

ذخائر العرب

١٧

الإحاطة فما أخبار غرناطة

للوزير لسان الدين بن الخطيب

حققه وقدم له

محمد عبد الله عيناين

المجلد الأول

دار المعارف بمصر

الإحاطة فما أخبار غرناطة

ذخائر العرب

١٧

الإحاطة
فما أخبار غرناطة
للوزير لسان الدين بن الخطيب

حققه وقدم له

محمد عبد الله غنيان

المجلد الأول

دار المعارف بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لم يكن من برنامج أعمالى فى الدراسات الأندلسية التى أضطلع بها منذ أعوام طويلة ، أن أعنى بنشر شىء من الآثار الأندلسية المخطوطة التى تقع فى حيز بحوثى ؛ وكان جل مقصدى فى هذه الناحية، هو البحث عن هذه الآثار أينما وجدت ، والتوفر على دراستها ، والرجوع إليها ، فيما أقوم بوضعه من مؤلفات فى تاريخ اسبانيا المسلمة وحضارتها .

ولكنى آنت خلال رحلاتى الأندلسية، واتصالى بالمعاهد والدوائر العلمية ، التى تعنى بتراث الأندلس ودراسته ، وبالعلماء الذين تخصصوا فى هذه الدراسة من المستشرقين الأسبان وغيرهم ، أن هنالك اهتماماً خاصاً بآثار وزير الأندلس ومفكرها العظيم ابن الخطيب ، ولا سيما مؤلفه الجامع « الإحاطة فى أخبار غرناطة » . وهذا الاهتمام بآثار ابن الخطيب قديم ، يرجع بالأخص إلى عصر ازدهار الدراسات العربية الأسبانية ، فى أواخر القرن الماضى حينما كانت هذه الآثار مستقى خصباً لأعلام المستشرقين الأسبان، أمثال سيمونيت، وأما دورى لوس ريوس ، وكوديرا، وألتاميرا، وريميرو ، ونيتو ، وكونتريراس ، ولوثينا ؛ بل يرجع هذا الاهتمام إلى أقدم من ذلك بكثير ، حيث نرى المؤرخين والمستشرقين الأسبان منذ القرن السادس عشر، ولا سيما الغرناطين منهم ، يرجعون إلى ابن الخطيب فى كثير مما يتعلق بتاريخ غرناطة ، وخططها وآثارها .

وقد رأيت هذا الاهتمام بآثار ابن الخطيب يقتزن في الوقت نفسه برغبة حارة في العمل على نشر آثاره ؛ وسنرى فيما بعد ، أن ما نشر من هذه الآثار قليل ، بالنسبة لما تركه لنا ابن الخطيب من تراث منوع ضخم .

ولما كانت القاهرة قد غدت في العصر الأخير ، مركزاً هاماً لنشر الآثار العربية الأسبانية ، فإن العلماء المستشرقين — نظراً لما أصاب حركة الاستشراق والبحوث الإسلامية في الغرب من الضعف والركود ، عقب الحرب العالمية الثانية — يتطلعون إلى طلب المزيد من هذا النشاط المثمر . وقد كان لما صدر في الأعوام الأخيرة بالقاهرة من أمهات الآثار الأندلسية ، مثل القسم الذي صدر من الذخيرة لابن بسّام ، والقسم الذي صدر من أزهار الرياض للمقرئ ، ومعجم ما استعجم للبكري ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ، وتاريخ قضاة الأندلس للنباهي ، وجذوة المقتبس للحميدي ، والمغرب في حلى المغرب بقسميه لابن سعيد . والمغرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية : كان لصدور هذه الآثار الأندلسية الجليلة أطيب الأثر في دوائر المستشرقين ، ولا سيما في إسبانيا حيث تحظى هذه الآثار كلها بتقدير خاص ، لأهميتها كمصادر للبحوث العربية الأسبانية .

ولما كان كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » ، هو أقيم أثر في موضوعه ، وما زال حتى يومنا يعتبر أهم مرجع إسلامي لتاريخ مملكة غرناطة ، وتاريخ رجالها وآدابها وحضارتها ، هذا فضلاً عن كونه يعتبر موسوعة لتراجم أعلام الأندلس بصفة عامة ؛ ولما كنت من جهة أخرى ، أعنى بهذا القسم من تاريخ الأندلس عناية خاصة ، وكانت آثار ابن الخطيب ولا سيما « الإحاطة » من أهم مراجع بحوثي الأندلسية ، فإني لم أجد بأساً من أن أشارك في العمل في تحقيق كتاب « الإحاطة » وإخراجه .

وهي مهمة شاقة ، لأن ما يوجد من نسخ كتاب « الإحاطة » أو أجزائه المخطوطة لا يساعد على مهمة إخراجه بسهولة . ذلك أن النسخة الوحيدة الكاملة منه ، وهي

التي توجد في مكتبة جامع الزيتونة بتونس ، توسم في نهايتها بأنها «مختصر الإحاطة». أما الأجزاء المخطوطة الأخرى منه، وهي التي توجد بالقاهرة، ومكتبة دير الإسكوريال الملكي، ومكتبة أكاديمية التاريخ الملكية بمدريد، والمكتبة الوطنية بمدريد، فإنها لا تكمل بعضها بعضاً بصورة منتظمة، بل توجد بينها مفارقات كثيرة، واختلاف بين في ترتيب التراجم؛ هذا إلى ما يوجد بها جميعاً من ضروب التحريف التي لا نهاية لها.

وفضلاً عن ذلك فإن هذه الأجزاء المختلفة، من مخطوط الإحاطة يرد في معظمها، سواء في سياق الكلام ذاته، أو في نهايتها ما يدل أيضاً على أنها قطع من «مختصر الإحاطة»، وهذا باستثناء القطعة المخطوطة من الجزء الأول، المحفوظة بدار الكتب المصرية، فإنه يبدو أن لها شأناً آخر، وذلك حسبما نفصل عند حديثنا عن أوصاف هذه المخطوطات ومحتوياتها.

وإنه لما يدعو إلى الأسف والدهشة معاً ألا تصل إلينا نسخة كاملة من «كتاب الإحاطة» الأصلي؛ وقد ذكر لنا المقرئ في «نفح الطيب» أن النسخة الأصلية من «الإحاطة» تقع في ثمانية مجلدات، وأن مؤلفه ابن الخطيب كان قد بعث منه بنسخة كاملة إلى القاهرة لتوقف على طلبه العلم بها، أودعت بخانقاه سعيد السعداء، ورأى المقرئ أثناء إقامته بالقاهرة منها الجزء الرابع^(١). ولكن المقرئ لا يذكر لنا شيئاً عن حجم هذا المجلد أو صفحاته. وأما كون إسبانيا، وهي وريثة التراث الأندلسي، ووريثة المكتبات الأندلسية، لا تحتفظ بنسخة كاملة من «الإحاطة»، ولا تملك مكتبة الإسكوريال، وهي مستودع تراث الأندلس الفكري، منه سوى قطعتين ناقصتين، فذلك يرجع إلى الحزن المؤلمة، التي أصابت هذا التراث، عقب سقوط مملكة غرناطة في يد إسبانيا النصرانية، وانهاء دولة الإسلام بالأندلس سنة ١٤٩٢ م.

(١) نفح الطيب - بولاق. ج ٤ ص ٦٥٧.

ذلك أن السياسة الأسبانية اتجهت عقب ظفرها إلى إرغام المسلمين على التنصر؛ وفي سنة ١٤٩٩ م. أمر الكردينال خنيس مطران طليطلة، وعميد الكنيسة الأسبانية، بجمع جميع الكتب والآثار العربية في غرناطة، وإحراقها في ساحات المدينة، تجريداً للشعب المغلوب من غذائه الروحي والنفسى القديم. وهلك على هذا النحو نحو مائة ألف أو تزيد من الآثار العربية، ولم يبق من تراث الأندلس الفكرى، سوى بقية وأشتات يسيرة، من المجموعات الخاصة، هي التي جمعت فيما بعد، وأودعت في قصر الإسكوريال.

وفي عصر فيليب الثالث أسر البحارة الأسبان في مياه جبل طارق، سفينة مغربية كانت تنقل مكتبة مولاي زيدان سلطان مراکش (سنة ١٦١٤) وقوامها ثلاثة آلاف مجلد في مختلف العلوم والفنون؛ وحملت هذه الغنيمة الأدبية الزاهرة إلى قصر الإسكوريال، وبلغت بذلك مجموعة الكتب العربية في الإسكوريال في أوائل القرن السابع عشر زهاء عشرة آلاف مجلد، وكانت أعظم وأنفس مجموعة من نوعها.

ولكن حريقاً شب في قصر الإسكوريال في سنة ١٦٧١، والتهم معظم هذا الكنز الفكرى الأندلسى، ولم ينقذ منه سوى نحو ألفى مجلد، تثوى اليوم في أقبية مكتبة دير الإسكوريال. وهذه البقية الباقية من الكتب الأندلسية والمغربية هي التي قام العلامة اللبناني ميشيل الخزيرى بدراستها، ووضع عنها فهرسه الشهير في أواخر القرن الثامن عشر، وهو الذى ما زال مرجع الباحثين إلى يومنا^(١).

تلك هي مأساة تراث الأندلس الفكرى، وذلك هو السبب الأول في أن كثيراً من أمهات الكتب الأندلسية قد دثرو لم يصل إلينا، ومنها كتاب «الإحاطة»؛ وإنك لترى اليوم بين هذه البقية الباقية من تراث الأندلس كثيراً من الكتب التي

(١) وهو باللاتينية وعنوانه : Casiri: Bibliotheca Arabico-Hispana Escorialensis

«المكتبة العربية الأسبانية في الإسكوريال».

ما زالت تحمل اسم صاحبها « مولاي زيدان » سلطان مراکش ، ومنها إحدى قطعتي كتاب « الإحاطة » اللتين سوف نتحدث عنهما .

وهناك واقعة تاريخية أخرى قد تفسر لنا فقد النسخ الكاملة من كتاب « الإحاطة » . وهي أن كتب ابن الخطيب ، وفي مقدمتها كتاب « الإحاطة » ، قد جمعت وأحرقت في غرناطة في سنة ٧٧٣ هـ ، حينما اتهم مؤلفها بتحريض خصومه ، بالإلحاد والزندقة ، وحكم بإدائته وإحراق كتبه على ما نفصل بعد .

يبد أنه إذا كانت جهود الباحثين لم تسفر حتى اليوم عن العثور على نسخة كاملة أصلية من كتاب « الإحاطة » فإن المستقبل قد يسفر عن ظهور مثل هذه النسخة أو بعض أجزائها الأصلية ، على نحو ما حدث في المغرب من ظهور بعض نسخ مخطوطة من آثار أندلسية كان ميثوساً من وجودها ، ومن ذلك ما وقع بالنسبة لكتاب الذخيرة لابن بسام وغيره .

(١)

ولنعرض الآن إلى دراسة ما انتهى إلينا من مخطوطات كتاب « الإحاطة » في مختلف الجهات .

ولقد قمنا لهذا الغرض خلال رحلاتنا المتوالية إلى اسبانيا بدراسات وافية لآثار ابن الخطيب المخطوطة كلها في مكتبات مدريد ، وأكاديمية التاريخ الملكية والإسكوريال ؛ وفي الإسكوريال بالأخص توجد عدا « الإحاطة » ، عدة مخطوطات أخرى من آثار ابن الخطيب ، قمنا بدراستها كلها بغية التحقيق والمقارنة .

ولنبداً بدراسة ما لدينا من قطع الإحاطة بالقاهرة ، وهي ليست في ذلك أقل ثروة من غيرها .

(١) ففي دار الكتب المصرية قطعة كبيرة من كتاب « الإحاطة » ، هي الجزء الأول أو معظم هذا الجزء ، لا تحمل تاريخاً معيناً لكتابتها ؛ ولكن يبدو مع ذلك من أوراقها العتيقة البالية المحرمة ، ومن نوع كتابتها ، أنها من أقدم القطع المخطوطة التي وصلتنا من « الإحاطة » إن لم تكن أقدمها جميعاً^(١) .

وهي تقع في ١٢٢ ورقة ، أعنى في ٢٤٤ صفحة من القطع الكبير ، مكتوبة بخط أندلسي أو مغربي قديم ، في كل صفحة ٢٣ سطراً ، وفي كل سطر نحو ١٤ كلمة . وقد وضعت ضمن مجموعة مخطوطة تحتوى في نفس الوقت على قطعتين مخطوطتين من الجزء الأول من كتاب « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » للسيوطي ، وتشغل إحداها ثمانى لوحات من لوحة ١٢٣ — ١٣١ ، وتشغل الثانية اثنتين وستين لوحة من لوحة ١٣٢ — ١٩٤ ، وقد كتبت كلاهما ، بخط مغربي مخالف هو أميل إلى النسخ ولكن على ورق مشابه .

وتحمل صفحة العنوان من قطعة الإحاطة المذكورة العبارات الآتية :

« السفر الأول من الإحاطة في أخبار غرناطة ، مما عني بتأليفه
الشيخ الأديب البارع المتفنن ابن الخطيب السمانى رحمه الله
تعالى ورضى عنه » .

وكتب تحت هذا العنوان العبارة الآتية :

« أوقف هذا الكتاب المبارك السيد أحمد عبد السلام المسيسى غفر الله
ولجميع المسلمين » .

وكتب في ذيل الصفحة بخط مغربي رديء ما يأتي : « ملك لله في يد عيسى
ابن أحمد بن إبراهيم لطف الله به بمنه وكرمه » .

ولا نستطيع إزاء خلو هذه القطعة من أية إشارة لكتابتها ، أو اقتنائها ، أن نحدد

(١) تحفظ هذه القطعة المخطوطة بدار الكتب ، تحت رقم ٣٤٨ تاريخ .

تاريخ كتابتها بصورة محققة ، ولكننا نستطيع على ضوء قدمها ونوع خطها ، أن نقول إن كتابتها ترجع على الأرجح إلى القرن التاسع الهجري .
ومما يجدر ذكره أيضاً أن هذه القطعة لم ترد بها أية إشارة إلى أنها « مختصر » للإحاطة مثلاً ورد في بعض القطع المخطوطة الأخرى .
وتوجد من هذه القطعة بدار الكتب أيضاً ، نسخة مصورة أخذت عن النسخة المخطوطة المحفوظة بالمتحف البريطاني ، والتي نقلت عن نسخة دار الكتب بتاريخ سنة ١٢٩٦هـ^(١) .

(٢) وتحفظ دار الكتب كذلك بقطعتين أخريين مصورتين من كتاب الإحاطة ، نقلتا عن نسخة مغربية ، وتحتوي الأولى منهما على ١٠١ لوحة من ذات الصفحتين في كل صفحة منهما ١٩ سطراً وفي كل سطر نحو ١١ كلمة .
وتبدأ هذه القطعة بترجمة ابن الخطيب لنفسه ، وتحتوي على ست وخمسين ترجمة أخرى كلها من حرفي الميم والنون . وتحتوي الثانية على ١١١ لوحة من نفس الحجم وتحتوي على تسع وسبعين ترجمة من أحرف الصاد والعين والغين والفاء والقاف والسين والياء بلا ترتيب . وقد كتبت كلتا القطعتين بخط مغربي جميل وكتبت العناوين بخط ثلث كبير متداخل منمق^(٢) .

وتحمل القطعة الثانية في نهايتها العبارة الآتية : « كل مختصر الإحاطة بحمد الله وحسن عونه على يد كاتبه الفقير إلى الله تعالى أحمد بن مسعود الوزاني بتاريخ أوائل ذي الحجة عام ٩٨٧ عرفنا الله خير ، ووقانا شره » . صلى الله على مولانا محمد وعلى آله .

وإذن فنحن هنا أمام تعريف صريح ، بأن الأمر في هاتين القطعتين يتعلق « بمختصر الإحاطة » .

(١) تحفظ هذه النسخة المصورة بدار الكتب برقم ٢٩٦٢ تاريخ .

(٢) تحفظ هاتان القطعتان المصورتان بدار الكتب برقم ١١٤٢٩ ح .

وقد لاحظنا بمراجعة النص في هاتين القطعتين المخطوطتين، أن به تحريفاً كثيراً، مما يدل على ضعف النسخ من الناحية الأدبية.

(٣) وأخيراً تحتفظ دار الكتب (المكتبة التيمورية) بنسخة مصورة من الجزء الثاني من كتاب « مركز الإحاطة بأدباء غرناطة » وهو الذى اقتبسه الأديب المصرى بدر الدين البشتكى من أدباء أواخر القرن الثامن الهجرى من كتاب الإحاطة وضمنه تراجم الكتاب والأدباء والشعراء ، الذين يضمهم كتاب الإحاطة ، وذلك على سبيل الاختصار . وقد نقل هذا المخطوط المصور الذى يتكون من مائة وخمسين لوحة من ذوات الصفحتين عن الأصل المحفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس ، وهو يحتوى على مائة وست وثلاثين ترجمة موجزة من حرفى الميم والعين .

(٤) وتحتفظ مكتبة الأزهر بنسخة مخطوطة من الجزء الأول من كتاب الإحاطة حديثة الكتابة (سنة ١٣١٤ هـ) وتحتوى على ١٩٠ ورقة ، وتزيد قليلاً عن مخطوطة دار الكتب . وأغلب الظن أنه قد نقل عن نسخة منقولة من نسخة مكتبة جامع الزيتونة بتونس — وسوف نتحدث عنها ؛ وهو يزيد عنها صفحة واحدة فقط . وهذا الجزء ملئ بالأخطاء والتحريف ولم نذكره إلا على سبيل استكمال البحث والاستقصاء .

(٥) على أنه توجد بمكتبة رواق المغاربة بالجامع الأزهر ، قطعة كبيرة مخطوطة من كتاب الإحاطة ، تتكون من مائة وسبعين ورقة ، أعنى ٣٤٠ صفحة من القطع المتوسط ، فى كل صفحة ١٩ سطراً ، وفى السطر نحو عشر كلمات ، ليس لها أول ولا آخر ، ومكتوبة بخط مغربى قديم . ويبدو من حالة ورقها وخطها ، أنها قديمة ، وقد ترجع إلى القرن التاسع الهجرى أو القرن العاشر .

ويؤيد هذا الفرض من قدم هذه المخطوطة المغربية ، أن بهوامشها تعليقات واستدراكات للمقرى صاحب كتاب نفح الطيب وبخطه . ومنها فى صفحة ٢٧٩

هامش كتبه تأييداً لقرشية نسب جده أبي عبد الله المقرئ ، وفي نهايته ما يأتي :
« قال هذا وكتبه الفقير أحمد بن محمد المقرئ التلمساني نزيل فاس بالقاهرة المحروسة
سنة ١٠٢٩ هـ عرفنا الله خير » .

وقد عكفنا على دراسة هذه المجموعة الخطية من « الإحاطة » ، وانهينا بالبحث
والمقارنة ، إلى أنها تتكون من عدة أقسام متناثرة ، لا تكون مجموعاً موحداً أو متتالياً ،
وإن كان بعضهم قد وضع عليها أرقاماً متتالية ؛ وتبدأ أوراقها الأولى ببقية ترجمة
بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية ، ثم تليها في ص ٦ ترجمة تاشفين بن علي بن
يوسف أمير المسلمين المرابطي ، وهي واردة بالجزء الأول من الإحاطة (نسخة
دار الكتب ، والنسخة المطبوعة ج ١ ص ٢٧٨) وتحتوي على مائة وثلاث وتسعين
ترجمة ، معظمها من حرفي الميم والياء ، وقد اختلطت بها تراجم من أحرف أخرى
مثل الألف والحاء ، وتنتهي بترجمة يحيى بن أصبغ بن السمع الفهري في ص ٣٤٠ .

وقد راجعنا عدة تراجم من النسخة المطبوعة من الإحاطة من الجراين الأول
والثاني ، على نظائرها في هذا المخطوط المغربي ، فتبين لنا بوضوح : أولاً أن هذه
المجموعة عبارة عن قطع متناثرة ليست كلها موصولة ولا متتالية ، وثانياً أنها
بلا ريب قطعة مما يعرف « بمختصر الإحاطة » لما ثبت من أنه يوجد بالنسخة
المطبوعة ، زيادات كثيرة عما أثبت فيها ، وثالثاً أن هذه القطع المتناثرة تدخل في
أجزاء كتاب الإحاطة الأول والثاني والثالث . بيد أننا تبينا في الوقت نفسه أن هذه
النسخة المغربية تحتوي على بضعة تراجم موجزة لم ترد في المخطوطات الأخرى ، وأنها
فيما تضمنته أقرب إلى الصحة ، وأقل في التحريف ، وأنها تحتوي أحياناً على
زيادات وتصحيحات مفيدة .

— ٢ —

ولنعرض الآن إلى نسخ الإحاطة الموجودة خارج مصر :

إن النسخة الوحيدة الكاملة المعروفة من الإحاطة أو بالحرى من « مختصر الإحاطة » هي النسخة المحفوظة بمكتبة جامع الزيتونة بتونس ، وقد نقلت عن هذه النسخة نسخ عديدة ، ومنها نسخة كاملة بأجزائها الثلاثة نقلت على يد العلامة المستشرق الأسباني فرنسيسكو كوديرا برسم مكتبة أكاديمية التاريخ الملكية بمدريد ، وهي ما زالت تحتفظ بها إلى اليوم . وقد قمنا بدراستها عوضاً عن نسخة تونس ، إذ هي في الواقع تامة المطابقة .

وعلى ذلك فسوف نتحدث مباشرة عن نسخ الإحاطة الموجودة بمكتبات إسبانيا ، وهي تحتفظ منها بعدة قطع هامة . وقد عني المستشرق الأسباني بونس بويجس بتعداد هذه المخطوطات ووصفها في كتابه « معجم فهرسى للمؤرخين والجغرافيين الأندلسيين »^(١) . ولم يتغير الوضع بالنسبة لعدد هذه المخطوطات أو حالتها منذ صدور معجم بويجس ، أعني منذ نحو نصف قرن ، وهذا ما انتهينا إليه بدراستنا للمخطوطات المشار إليها .

ويوجد من مخطوطات الإحاطة في المكتبات الأسبانية ثلاث مجموعات هي :

أولاً — يوجد في مكتبة أكاديمية التاريخ الملكية مخطوطان .

ثانياً — يوجد في مكتبة دير الإسكوريال الملكية قطعتان مخطوطتان .

ثالثاً — يوجد في المكتبة الوطنية بمدريد قطعتان هما في الواقع نسختان منقولتان عن قطعتي مكتبة الإسكوريال الأصليتين .

(١) F. Pons Boigues : Ensayo Bio-Bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos
Arábigo-Espanoles (Madrid 1898) p. 334-347.

المجموعة الأولى بمكتبة أكاديمية التاريخ

(١) نسخة كوديرا :

تحتفظ مكتبة أكاديمية التاريخ الملكية بمديرية Biblioteca de la Real Academia de Historia أولاً بنسخة مخطوطة كاملة من كتاب الإحاطة ، وثانياً بمجلد مخطوط يحتوي على السبعة الأسفار الأولى من الإحاطة ؛ والنسخة الأولى تقع في ثلاثة مجلدات ، وتحفظ بمكتبة الأكاديمية برقم XXXIV . وقد جاء في المذكرة الخاصة بها أنها نسخت بمدينة فاس من نسخة مسجد تونس منذ أربعين سنة ، ونسخة مسجد تونس هي نسخة مكتبة جامع الزيتونة التي سبقت الإشارة إليها .
وقد قام باستنساخ هذه النسخة العلامة كوديرا أستاذ اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة مدريد وعضو أكاديمية التاريخ ، وذلك في أواخر القرن الماضي ضمن مجموعة أخرى من الكتب المخطوطة قام باستنساخها برسم مكتبة الأكاديمية خلال رحلة قام بها في شمال إفريقيا لهذا الغرض ، ولهذا لا نرى بأساً من أن نسمى هذه النسخة بمخطوط كوديرا^(١) .

ويحتوي المجلد الأول من هذه النسخة على ١٩٨ ورقة (وهي تقابل ١٨٠ ورقة من المخطوط الأصلي) . وينتهي هذا المجلد بترجمة « محمد بن يوسف بن إسماعيل ابن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر » في الورقة ١٨٠ (١) . وتشغل هذه الترجمة حتى نهاية المجلد في الورقة ١٩٨ (١) . وتأتي هذه الترجمة في بداية الجزء الثاني من نسخة القاهرة المطبوعة .

(١) راجع تقرير العلامة كوديرا عن مهمته العلمية في تونس والجزائر :

وقد راجعنا محتويات هذا الجزء الأول من مخطوط كوديرا على محتويات نظيره المطبوع في القاهرة باباً باباً وترجمه ترجمة ، فألفيناها جميعاً متطابقة من حيث الوضع والترتيب والنص . وألفينا المطبوع يحتوى على ترجمة واحدة لم ترد في المخطوط وهى ترجمة « أبى بكر الخزومى الأعمى المدورى » (ص ٢٥٩ — ٢٦٢)

ويلاحظ أيضاً أن هذا الجزء يزيد عن الجزء الأول المخطوط بمكتبة الأزهر صفحة ونصف حيث ينتهى مخطوط الأزهر فى ص ١٩٧ منه .

ويحتوى المجلد الثانى من مخطوط كوديرا على ١٦٩ ورقة . ويبدأ بالعبارة الآتية : « أما بعد حمد الله الذى لا شريك به أحداً ، ولا نجد من دونه ملتحداً ، يبتلى قلوب المؤمنين أيها أقوى جلدًا ، وأبعد فى الصبر مدى » . وترد هذه العبارة فى ص ٣٢ من الجزء الثانى من المطبوع ، فى بداية نداء كتبه ابن الخطيب على لسان السلطان أبى الحجاج يوسف .

هذا وقد راجعنا محتويات الجزء الثانى ، من المخطوط ، على نظائرها فى المطبوع فوجدنا المطابقة تامة دون نقص ولا زيادة .

وينتهى هذا الجزء الثانى بترجمة « محمد بن قاسم بن احمد بن إبراهيم الأنصارى » فى الورقة ١٦٧ (١) .

أما الجزء الثالث من مخطوط كوديرا فهو أكبرها وهو يحتوى على ٢١٨ ورقة ، ويبدأ بترجمة « محمد بن محمد بن حسان الغافقى » . وينتهى بترجمة « يحيى بن إبراهيم ابن عيسى البرغواطى »

وهو ينتهى فى الواقع فى الورقة ١٨٧ (ب) . ويختتمه الناسخ بهذه العبارة : « كل مختصر الإحاطة بحول الله تعالى وقوته » . ثم تأتى بعد ذلك ترجمة ابن الخطيب لنفسه وتفتتح على النحو الآتى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .
يقول مؤلف هذا الديوان تغمّد الله خطله في ساعات أضعائها ، وشهوة من شهوات
اللسان أطاعها ، وأوقات الاشتغال بما لا يعنيه استبدل بها اللهو لما باعها » . وتستغرق
ترجمة ابن الخطيب بقية المخطوط حتى نهايته .

ثم يختتم المخطوط بهذا البيت :

إذا لم يكن منى لنفسى زاجرا فياليت شعري كيف أفعل في أخرى
وتليه العبارة الآتية : « انتهى كتاب الإحاطة » .

وظاهر من العبارة التي وردت بالمخطوط قبل ترجمة مؤلفه ، أن الأمر يتعلق هنا
بمختصر لكتاب الإحاطة .

وهذا ما انتهى إليه العلامة كوديرا منذ نصف قرن إذ يقول عن هذه النسخة في
تقريره الذي كتبه عن رحلته في شمال إفريقية : « يبدو أن الكتاب كامل ، ولست
أدرى إذا كان هذا مختصراً » *compenido* كما هو مذکور في نهاية الجزء الثالث ،
حيث جاء في ظهر الورقة ١٨٧ منه « كل مختصر الإحاطة » ، وبمقارنة المقدمة وبعض
تراجم بنظائرها في نسخة السنيور جاينجوس — وسوف نتحدث عنها بعد — لم
توجد فروق ذات شأن ، مما يدل على أنه توجد ثمة عدة مختصرات لهذا المؤلف . وقد
ذكر السيوطي في تراجم النحاة أنه رجع إلى هذا الكتاب وأنه يحتوي على ثمانية
مجلدات ، في حين أن مخطوطنا يتكون فقط من ثلاثة ليست كبيرة الحجم ، وهذا مما يوحي
بأن هذا المخطوط هو مختصر ولكنه أوفى من المختصرات المعروفة ^(١) .

(٢) نسخة العلامة جاينجوس .

وتحفظ بمكتبة الأكاديمية برقم CXLII وهو ضمن مجموعة العلامة المستشرق

(١) راجع المعجم : Pons Boigues; *ibid.*, p. 542 ، وتقرير العلامة كوديرا المشار إليه

Mision Historica, p. 174-175

دون پاسكوال جاينجوس « Gayangos » مترجم الجزء التاريخي من كتاب « نفع الطيب » إلى اللغة الإنجليزية^(١) وهو من أعظم المستشرقين الأسبان في القرن الماضي . وكان أيضاً عضواً في أكاديمية التاريخ .

وقد عينا بدراسة هذه النسخة عناية خاصة لقدمها وأهميتها . وهي عبارة عن مجلد كثيف يحتوي على مائتين وتسعين ورقة ، أعنى ٥٨٠ صفحة ، في كل صفحة ٢١ سطراً ، في كل سطر ١٥ كلمة . وقد كتبت بخط أندلسي قديم ولكن مستقيم واضح ، وفي نهايته عدة أوراق مخرمة وتالفة ، ولا تحمل الصفحة الأولى من المخطوط عنواناً ولكنه يبدأ في الصفحة الثانية على النحو الآتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

« قال الشيخ الأديب البارع

« أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب »

ويختتم المخطوط بالعبرة الآتية : « انتهى الجزء الأول بحمد الله وحسن عونه ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً ، على يد عبيد الله المقصر في حقه الراجي رحمته ، يحيى بن عثمان بن علي ، تاب الله عليه ، يوم الأربعاء السادس لصفري عام كتبه (أو هي كلمة غير واضحة) » . ويبدو على أي حال أن المخطوط قديم يرجع على الأقل إلى أواخر القرن التاسع . ويعتقد المستشرق پونس بويجس أنه كتب في سنة ٨٩٥ هـ (١٤٨٩ م) .

وينتهي الجزء الأول من مطبوع القاهرة في الورقة ١٤٩ (ب) من مخطوط جاينجوس ، وينتهي الجزء الثاني من المطبوع في الورقة ٢٦٣ (ب) منه ؛ ومعنى ذلك أن المخطوط يضم عدا الجزءين المطبوعين ٢٧ ورقة أخرى ، أعنى ٥٤ صفحة .

وينتهي هذا المخطوط بترجمة « محمد بن علي بن شامخ الأمين » . وهذه الترجمة ترد

(١) وعنوان هذه الترجمة الإنجليزية هو :

History of the Mohamedan Dynasties in Spain; 2. V. (London 1840-1843)

في الورقة ١٦١ (ب) من الجزء الثاني من مخطوط كوديرا ، ومعنى ذلك أن مخطوط جاينجوس يضم الجزء الأول كله ومعظم الجزء الثاني من مخطوط كوديرا أو مخطوط جامع الزيتونة .

وبمقارنة بعض التراجم في مخطوط كوديرا بنظائرها في مخطوط جاينجوس ، وجدت فروق بسيطة من إسقاط بعض كلمات أو إضافة غيرها ، ولا سيما في المخطوط الأخير . ويوجد في أول المخطوط فهرس لموضوعاته وما يتضمن من التراجم ، والظاهر أنه مكتوب بخط العلامة جاينجوس .

وقد حصلنا بموافقة أكاديمية التاريخ على نسخة فتوغرافية كاملة لهذا المخطوط نظراً لأهميته وقدمه ، وسلامة نصوصه ، وما يتضمن من إضافات قيمة . ورأينا أن يكون الى جانب الجزء الأول من مخطوط دار الكتب ، كلاهما أصل مقارن للنشر .

المجموعة الثانية

بمكتبة دير الإسكوريال

ويوجد بمكتبة دير سان لورنزو الملكية بالإسكوريال Real Biblioteca del Monasterio de San Lorenzo de El Escorial وهي مثنوى تراث الأندلس الفكرى ، قطعتان من كتاب الإحاطة : إحداهما أقدم قطعة انتهت منه إلينا .

وتحمل إحدى القطعتين رقم ١٦٦٨ من فهرس ميخائيل الغزيرى (ج ٢ ص ٧١) (ورقمها الحالى ١٦٧٣) . وتحمل الثانية رقم ١٦٦٩ (ج ٢ ص ١١٨) من فهرس الغزيرى (ورقمها الحالى ١٦٧٤) .

أما الأولى وهي رقم ١٦٧٣ فهي أكبر قطعة وصلتنا من الإحاطة ، وهي عبارة عن مجلد ضخم يقع في خمسمائة صفحة كبيرة الحجم ، في كل صفحة ٣٢ سطراً وفي كل سطر ١٥ كلمة

وقد كتبت بخط أندلسي واضح ، وكتبت أسماء أصحاب التراجم بخط كبير أسود .
وقد كتبت على صفحة العنوان من هذا المخطوط ما يأتي :
« هذا السفر الثاني من مختصر الإحاطة » .

وفي وسط هذه الصفحة ما يأتي :

« الحمد لله تملكه عبد الله تعالى زيدان أمير المؤمنين ابن أحمد .

المنصور أمير المؤمنين الحسنى خارا لله له ولوالديه ولجميع المسلمين » .

وإذن فقد كان هذا الجزء من الإحاطة أو مختصر الإحاطة ضمن مكتبة مولاي زيدان سلطان مراکش^(١) ، وهي المكتبة الشهيرة التي ظفر بها البحارة الأسبان في سفينة مغربية كانت مشحونة بها وبتحف أخرى لمولاي زيدان في سنة ١٦١٤م ، وأودعت محتوياتها مكتبة الإسكوريال الملكية . وما زالت مكتبة الإسكوريال تضم إلى يومنا هذا عدداً كبيراً من المخطوطات الأندلسية المغربية التي كانت تضمها مكتبة مولاي زيدان وتحمل اسمه ، وبعضها مكتوب بخطوط مذهبة ومجلد بجلود فاخرة .
وتبدأ الصفحة الأولى من هذا المجلد بالعبارة الآتية :

« ومن السفر السابع المفتح بقوله ،

ومن الطارئین منهم فی هذا الباب » .

ثم تليها أولى التراجم في هذا القسم ، وهي ترجمة محمد بن أحمد بن محمد أبي خيثمة الجبائي . ويلاحظ أن مخطوط المكتبة الوطنية المنقول عن هذه القطعة ، يبدأ بترجمة محمد بن أحمد الحداد الوادياشي ، وهذه الترجمة تأتي في اللوحة التاسعة من مخطوط الإسكوريال .

وينتهي السفر السابع المشار إليه في بداية المخطوط في اللوحة نمرة (١٠٥) حيث جاء فيها :

(١) حكم مولاي زيدان مراکش من سنة ١٦٠٨ حتى وفاته في سنة ١٦٢٧ م .

« انتهى ما قيده صاحبنا رحمه الله مما ألفاه بخط الأستاذ المذكور ، وعلقته أنا هنا في هذا السفر صوتاً له وعناية به » . ويبدأ السفر التالى فى اللوحة ١٠٦ حيث جاء فيها : « ومن السفر الثامن فى ترجمة المقرئين والعلماء » .

ويختتم هذا المجلد بترجمة « يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى » فى ص ٤٢٥ ، وفى بداية هذه الصفحة توجد عبارة الاختتام وهى : « كمل كتاب الإحاطة » .

ثم يلى ذلك ترجمة ابن الخطيب لنفسه . وتستغرق هذه الترجمة من ص ٤٢٥ إلى ص ٤٩٩ ، ويضيف إليها الناسخ تكملة من تاريخ ابن خلدون فى محنة ابن الخطيب ووفاته . ثم يختتم المخطوط كله بما يلى :

« انتهى من السفر الأخير منه حيث عرف بنفسه وشيوخه رحمة الله على الجميع » ، « قلت وهنا انتهى ما قصدناه وتم بحول الله ما أردناه واستوفينا واستلحناه . وذلك بغرناطة ، أقالها الله وصانها ، وعمر بالعلماء الأعلام وصالحى الإسلام عمرانها ، وبتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر عام خمسة وتسعين وثمانمائة ، والحمد لله على عباده الذين اصطفى » .

وفى هذه العبارة الختامية ما يدعو إلى التأمل . ذلك لأن تاريخ الانتهاء ، من كتابه المخطوط ، وهو ربيع الآخر سنة ٨٩٥ هـ . يوافق مارس سنة ١٤٩٠ م . وهى فترة مزعجة فى تاريخ مملكة غرناطة ، إذ كانت الجيوش القشتالية بقيادة الملكين الكاثوليكين — فرديناند وإساييلا — تهاجم قواعد الأندلس الأخيرة عندئذ ، وتسقط هذه القواعد تباعاً فى يد النصارى . وكانت أهم القواعد الأندلسية الباقية قد سقطت بالفعل فى أيديهم : رندة فى جمادى الأولى سنة ٨٩٠ هـ . ومالقة فى شعبان سنة ٨٩٢ هـ . وبسطة فى المحرم سنة ٨٩٥ هـ . وكان مصير غرناطة يهتز يومئذ فى يد القدر . وفى هذه الفترة الحرجة كتب المخطوط ، وتدل عبارة الكاتب « وذلك بغرناطة أقالها الله وصانها » بما كان يشعر به أهل غرناطة يومئذ من ضروب التوجس والجزع

على مصير غرناطة ومصايرهم . وقد سقطت غرناطة بالفعل في يد النصارى بعد ذلك بقليل في يناير سنة ١٤٩٢ م . و انتهت بسقوطها دولة الإسلام في الأندلس .

هذا وقد نقل العلامة ميخائيل الغزيرى واضع فهرس الإسكوريال ، في فهرسه ، نبذاً كثيرة من مخطوط الإحاطة تشغل نحو خمسين صفحة (ج ٢ ص ٧٠ — ١٢٠) .

وأما القطعة الثانية وهى رقم ١٦٧٤ فهى صغرى القطعتين ، وتقع فى ١٩٥ صفحة من الحجم الكبير فى كل صفحة ٢٢ سطراً ، وفى كل سطر ١٥ كلمة ، ومكتوبة بخط أندلسى واضح ، ولكن أوراقها قديمة جداً ، وكثير منها قد محيت أجزاءها العليا أو كادت ، وليس للقطعة بداية ولا نهاية ، ولكنها تبدأ بالعنوان الآتى : « المقرئون الأصليون » ثم بترجمة « موسى بن عبد الرحمن بن يحيى العربى الحميرى من أهل غرناطة » .

وتحتوى فى مختلف أبوابها على تراجم تبلغ زهاء المائة والخمسين ، معظمها من حرف العين — وتنتهى بها بترجمة « عبد الواحد بن الخليفة يعقوب بن الخليفة محمد عبد المؤمن بن على »

ويختتم المخطوط بالعبارة الآتية :

« تم هذا السفر بحمد الله تعالى وحسن عونه بتاريخ الخميس

« خامس عشر لشهر رمضان المعظم من عام ست وثمان مائة

« عرف الله المسلمين خيره وبركته وفضله » .

وعلى ذلك فإن هذه القطعة المخطوطة من كتاب الإحاطة ، هى أقدم قطعة وصلتنا منه ، إذ أنها كتبت بعد وفاة مؤلف الكتاب فى سنة ٧٧٦ هـ . بثلاثين عاماً فقط .

المجموعة الثالثة

بمكتبة مدريد الوطنية

تحتفظ مكتبة مدريد الوطنية ، بقسم المخطوطات ، بنسخة خطية من قطعتي كتاب الإحاطة المحفوظتين بمكتبة الإسكوريال . وقد قام بكتابة هذه النسخة في أواخر القرن الثامن عشر ، المستشرق الأسباني خوان آمون دي سان خوان ، كما قام بنسخ مخطوطات كثيرة أخرى توجد اليوم بالمكتبة الوطنية .

وتتألف هذه النسخة التي كتبت بخط عربي أوربي واضح ، أولاً من مجلدين كبيرين يضمن القسم الأول من مخطوط الإسكوريال ، وهو القسم الكبير ، وقد سمي هذا القسم في فهرس المكتبة الوطنية بكتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » ، وذكر في التعريف به أنه نقل من مخطوط الإسكوريال ، وأن هذا القسم يبدأ بترجمة « محمد بن أحمد بن الحداد الوادياشي » وينتهي بترجمة « يحيى بن إبراهيم البرغواطى » ويشغل ذلك حتى صفحة ٨١٥ من المخطوط ، ثم ينتهى بترجمة ابن الخطيب وهي تشغل من ص ٨١٥ حتى ص ٩٤٥ .

وذيل هذا التعريف بها مش جاء فيه أن الدون جاينجوس ، يملك مخطوطاً يحتوى على السبعة الأسفار الأولى من الإحاطة من حرف الألف حتى حرف الميم^(١) . وقد راجعنا أوائل الأسفار في هذه النسخة لوضوحها ، ولأن لها فهرساً كتبه ناسخها المذكور ، فألفينا أن السفر السابع ينتهى بترجمة « محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك النخعي » وقد ذيلت بالعبرة الآتية :

« انتهى ما اختصرته من السفر السابع من كتاب الإحاطة في تاريخ غرناطة يتلوه في

(١) يراجع فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بمدريد ص ١٣ ، وقد رقت نسخة الإحاطة

السفر الثامن بعده إن شاء الله، ومن السفر الثامن من ترجمة المقر بين والعلماء رحمهم الله». ثم « ومن السفر الثامن من ترجمة المقر بين والعلماء » أوله « محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني من أهل مالقة ، يكنى أبا القاسم ويعرف بابن حفيد الأمين » . ثم « ومن السفر التاسع من ترجمة القضاة من حرف الميم » . ثم « ومن السفر العاشر ، العمال الأثرا في هذا الحرف » . وينتهي المجلد الأول في صفحة ٥١٧ ويستطرد الترقيم في المجلد الثاني ؛ وتقرأ في صفحة ٦٥٣ منه ما يأتي :

« ومن السفر الحادى عشر من ترجمة الطارئين في ترجمة العمال الأثرا » ثم ، وفي صفحة ٨٠٠ ما يأتي : « ومن ترجمة الشعراء من السفر الأخير ، وهو الثانى عشر » . وينتهى كما قدمنا بترجمة يحيى البرغواطى ، ثم بترجمة ابن الخطيب لنفسه ، حيث ينتهى المخطوط بنهايتها في صفحة ٩٤٥ . وينقل الناسخ تاريخ كتابة النسخة الأصلية في نهايتها، وهو كما قدمنا سنة ٨٩٥ هـ . وأما القطعة الأخرى من مخطوط المكتبة الوطنية فهى نسخة من القسم الثانى من مخطوط الإسكوريال وهو القسم الأصغر ، ولكنه يسمى فى فهرس المكتبة الوطنية « كتاب التكملة » لابن الخطيب . ومذكور فى التعريف به أنه « يعتبر تكملة للإحاطة »^(١). ويقع هذا القسم فى ١٦١ صفحة ويحتوى على مجموعة من التراجم تبدأ كما قدمنا فى شأن مخطوط الإسكوريال بترجمة « موسى بن عبد الرحمن بن يحيى العربى الحميرى » وفى هذا القسم يبدو التباين فى الأبواب وفى التراجم واضحاً . وينتهى المخطوط بترجمة « عبد الودود بن عبد الرحمن بن على بن عبد الملك الهلالى نزىل لواته » . وهى ترد بعد ترجمة « عبد الواحد بن الخليفة يعقوب » التى يختم بها مخطوط الأسكوريال مما يدل على انه قد فقدت من هذا المخطوط ورقة من نهايته .

(١) يظهر أن وصف « التكملة » هذا قد نقل عن وصف الفزيرى لنفس القطعة المخطوطة بالإسكوريال وهو "Suplementum" (راجع فهرس الفزيرى ج ٢ ص ١١٨)

وقد عينا بدراسة مخطوط المكتبة الوطنية بالرغم من أنه ليس إلا نسخة مطابقة لمخطوط الإسكوريال لأسباب: منها أنه كتب في وقت كان فيه مخطوط الإسكوريال أكثر جدة ووضوحاً ، وأنه قد حفظ لنا مخطوط الإسكوريال بطريقة واضحة ، بعد أن أصاب التلف والتخريم كثيراً من صفحاته ، وأنه فوق ذلك يمتاز باحتوائه على فهرس التراجم والصفحات من وضع ناسخه ، مما يسهل سبل البحث والمقارنة فيه .

(٣)

والآن بعد أن استعرضنا سائر المخطوطات التي انتهت إلينا من كتاب الإحاطة نستطيع أن نجمل نتائج هذا البحث فيما يلي :

أولاً — أن هذه المخطوطات كلها ، سواء منها النسخة الكاملة أو أجزاؤها المختلفة توسم كلها « بمختصر الإحاطة » وليس بكتاب الإحاطة الأصلي .

ثانياً — أن مخطوط جاينجوس ومخطوط الإسكوريال تكمل بعضها بعضاً بطريقة لا بأس بها .

ثالثاً — أنه لا توجد فروق كبيرة أوجوهية بين محتويات هذه النسخة ، ومحتويات النسخة الكاملة التي توجد بتونس ، والتي توجد نسختها في مكتبة أكاديمية التاريخ .

رابعاً — أن أقدم قطعة وصلتنا من كتاب الإحاطة هي مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٧٤ وهي أصغر القطعتين ، إذ كتبت في سنة ٨٠٦ هـ أعني بعد وفاة المؤلف بثلاثين عاماً فقط .

وهنا تعرض أهم نقطة في هذا البحث ، وهي ما قيمة هذه المختصرات التي انتهت إلينا من كتاب الإحاطة بالنسبة للمؤلف الأصلي ؟ وما هو مدى الفروق التي توجد بين المختصر والنسخة الكاملة ؟

نعتقد أننا نستطيع على ضوء بعض المقارنات أن نصل إلى تقرير هذه الحقائق بصورة واضحة .

وتشمل هذه المقارنات أولاً بعض مؤلفات ابن الخطيب الأخرى التي وصلت إلينا كاملة ، وتشمل ثانياً عدداً من التراجم التي نقلها المقرئ بنصها الأصلي من كتاب الإحاطة الكامل .

فأما عن حجم كتاب الإحاطة الكامل ، فقد ذكر لنا المقرئ عنه روايتين ، الأولى أنه يقع في ثمانية مجلدات ، والثانية أنه يقع في ستة ، ولكنه لم يذكر لنا ما هو حجم هذه المجلدات بالتفصيل^(١) . وذكر لنا ابن الخطيب في ترجمته لنفسه بيان مؤلفاته ، وذكر لنا أحجام بعضها مقدرة « بالأسفار » لا بالمجلدات وذلك على النحو الآتي :

(١) كتاب الإحاطة في خمسة عشر سفرًا .

(٢) كتاب ريحانة الكتاب في أسفار ثمانية .

(٣) كتاب نفاضة الجراب في أربعة أسفار^(٢) .

والظاهر أن الأسفار التي كان ابن الخطيب يقسم إليها بعض مؤلفاته كانت تتردد في أحجام متقاربة ، ولكل كاتب في الواقع خطة يجري عليها في تقسيم مؤلفاته ، تستقر مع الزمن ، ثم تغدو من خصائص مؤلفاته .

وقد انتهت إلينا عدة من كتب ابن الخطيب كاملة بنصها الأصلي ، ومن بينها « ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » و « نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب » وكلاهما يوجد كاملاً في مكتبة الإسكوريال .

فأما « ريحانة الكتاب » فهو مجلد ضخم يقع في ٢٨١ لوحة كبيرة أعني ٥٦٢ صفحة في كل صفحة ٢٧ سطراً وفي كل سطر ١٢ كلمة ، ومكتوبة بخط أندلسي باهت ،

(١) نفح الطيب ج ٤ ص ٦٥٥ و ٧٥٧ .

(٢) ورد ذكر مؤلفات ابن الخطيب وبيان الأحجام لبعض منها في مخطوط الإسكوريال رقم

١٦٧٣ ، ص ٤٣٣ .

ومذكور في نهايتها أنها كتبت في سنة ٨٨٨ هـ . وفيه يختار ابن الخطيب شذوراً من كتبه السابقة ثم يورد عدداً كبيراً من الرسائل التي كتبها عن السلاطين الذين خدمهم بالأندلس والمغرب . ولما كان هذا المؤلف يتكون وفقاً لقول مؤلفه ابن الخطيب من ثمانية أسفار فمعنى ذلك أن السفر الواحد يضم سبعين صفحة^(١) .

وأما كتاب « نفاضة الجراب » فيقع في ١٥٩ لوحة أعنى ٣١٨ صفحة في كل صفحة ١٩ سطراً ، وفيه يقص ابن الخطيب بعض أخباره ورحلاته خلال إقامته منفياً في المغرب ، ويفصل بعض حوادث الأندلس التي وقعت أثناء غيابه ، ثم يورد بعض رسائله وقصائده . وقد ذكر لنا ابن الخطيب أن « نفاضة الجراب » يقع في أربعة أسفار ومعنى ذلك أن السفر منه يحتوي على ٨٠ صفحة ، ويلاحظ أن صفحات هذا الكتاب أصغر حجماً من صحف « ريحانة الكتاب »^(٢) .

ولما كان كتاب الإحاطة الكامل يتكون وفقاً لقول مؤلفه من خمسة عشر سفرًا فمعنى ذلك — وعلى ضوء مقارنته بكتابي ريحانة الكتاب ونفاضة الجراب — أنه يجب أن يحتوي على نحو ألف ومائة أو ألف ومائتي صفحة كبيرة .

وما نملكه نحن من كتاب الإحاطة يمكن أن نصنفه إلى مجموعتين كاملتين .

الأولى — مخطوط جاينجوس بمكتبة أكاديمية التاريخ ، وهو يحتوي على الأسفار الستة الأولى وبداية السفر السابع ويقع في ٥٨٠ صفحة كبيرة ، وينتهي في صفحة ٤٩٠ إلى بداية قطعة الإسكوريال الكبيرة ، ثم تكملة هذه القطعة التي تحتوي على ٥٠٠ صفحة كبيرة ، ومجموع هذه الصفحات هو ٩٩٠ صفحة .

الثانية — نسخة جامع الزيتونة بتونس ، وهي التي نقلت عنها نسخة أكاديمية التاريخ في ثلاثة أجزاء تحتوي على التوالي على ١٩٨ و ١٦٩ و ٢١٨ لوحة

(١) يحمل هذا المخطوط رقم ١٨٢٥ بمكتبة الإسكوريال ، وتوجد منه قطعة كبيرة بمكتبة الفاتيكان بروم .

(٢) يحمل هذا المخطوط رقم ١٧٥٥ بمكتبة الإسكوريال .

ومجموعها ٥٨٥ ورقة أعنى ١١٧٠ صفحة من القطع المتوسط ، فلو اختصرناها إلى الثلثين لكانت ٧٨٠ صفحة كبيرة .

وعلى ضوء هذه المقارنة ، يبدو لنا أن كتاب الإحاطة كما وصل إلينا عن طريق المخطوطات السابقة ، وباعتباره (مختصراً) للمؤلف الأصلي ، هو مختصر واف ، وأنه من ناحية الحجم ، لا يكاد ينقص عن الأصل الكامل ، أكثر من الربع أو الخمس .

وقد راجعنا فضلاً عن ذلك عدة تراجم مما نقل المقرئ في كتاب نفح الطيب ، وهو ينقل من نسخة الإحاطة الكاملة ، بنظائرها في القسم المطبوع ، وهو مأخوذ عن مختصر الإحاطة ، فاتمهنا إلى أنه لا تكاد توجد من حيث النص أو الحجم أية فروق ذات شأن وإليك بعض الأمثلة :

(١) بمقارنة ترجمة المقرئ (جد المؤرخ) وهو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن علي بن عبد الرحمن التي وردت في نفح الطيب (ج ٣ ص ١١٢ - ١١٨) بنظيرتها في « الإحاطة » (الإحاطة المطبوع ج ٢ ص ١٣٦ - ١٤٣) ألفيناها متطابقتين حتى ذكر شيوخ المترجم ، ثم اختلف القول بين تقديم وتأخير . ثم راجعنا القصائد التي نقلها نفح الطيب من الإحاطة الأصلية (ج ٣ ص ١٧١ - ١٧٣) بنظائرها في الإحاطة (ج ٢ ص ١٤٦ - ١٥٦) فألفيناها مطابقة كذلك .

(٢) بمقارنة ترجمة ابن الحاج ، وهو أبو إسحق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم ابن قاسم النيرى الواردة في نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٩) بنظيرتها في الإحاطة (ج ١ ص ١٩٣ وما بعدها) ألفيناها ملخصة في نفح الطيب بطريقة مخلّة في حين أنها وردت كاملة في الإحاطة .

(٣) بمقارنة ترجمة الوزير ابن زمرّك ، وهو محمد بن يوسف بن محمد الصريحى الواردة في نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٧٩ وما بعدها) بنظيرتها الواردة في الإحاطة

(ج ٢ ص ٢٢١ وما بعدها) ألفينا الترجمتين متطابقتين في النص ، وكذلك في الشعر الوارد في كل منهما ، مع زيادة مفيدة في الإحاطة المطبوعة (ج ٢ ص ٢٣٤) ، ومع زيادة قطعة نثرية كبيرة في الإحاطة أيضاً (ج ٢ ص ٢٣٧ — ٢٤٠) .

(٤) بمقارنة ترجمة المؤرخ ابن خلدون الواردة في نفح الطيب (ج ٤ ص ٤١٤ — ٤٢٦) بنظيرتها الواردة في مخطوط الإحاطة (الجزء المصور بدار الكتب لوحة ١٥٦ — ١٦٢) وجدناهما من حيث تاريخ المترجم متطابقتين مع فروق يسيرة في بعض عبارات وكلمات ناقصة أو زائدة في هذه الترجمة أو تلك ، ومع احتواء المخطوط على فقرة من عشرة أسطر عن حياه ابن خلدون في بجاية وخدمته لأمرها ثم لأمر تونس لم تنقل في نفح الطيب ، ثم احتواء نفح الطيب على قصيدتين كبيرتين لابن خلدون هما قصيدة « أسرفن في هجرى وفي تعذيبى » من أربعة وخمسين بيتاً ، وقصيدته في وصف هدية ملك السودان لملك المغرب وهى في ست وثلاثين بيتاً .

ويبدو من هذه المقارنات أيضاً أنه لا توجد في معظم الأحيان بين النصوص فروق جوهرية ، وأنه إذا كانت توجد أحياناً في النصوص المطبوعة المنقولة عن النسخة الأصلية أو المطولة بعض زيادات ، فإنه توجد أحياناً أمثالها زائدة في النصوص المخطوطة .

والخلاصة أن الدلائل كلها تدل على أننا ، بما وصل إلينا من مخطوطات كتاب الإحاطة أو مختصر الإحاطة ، نضع أيدينا على معظم محتويات النسخة الأصلية ، وأنها لم تفقد كثيراً من نصها الأصلي .

* * *

ولا بد لنا أن نشير في النهاية إلى السبب الذى يدعونا أن نقوم بنشر كتاب الإحاطة كله من جديد في حين أنه قد نشر منه في سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) أعنى منذ أربعة وخمسين عاماً ، جزءان بمدينة القاهرة (عن شركة طبع الكتب العربية)

أولهما في ٣٧٥ صفحة والثاني في ٣١٣ صفحة ، وهو ما يستغرق القطعة المخطوطة بدار الكتب (الجزء الأول من المطبوع) وقسما من الجزء الثاني ، من مخطوط جامع الزيتونة ؛ أو بعبارة أخرى ما يستغرق الجزء الأول من نسخة مكتبة الأكاديمية ، ومن الجزء الثاني حتى لوحة ١١٩ وهو يحتوى على ١٦٧ لوحة .

والسبب واضح ، فالقسم الذى نشر مليء بالأخطاء والتحريف بصورة تدعو إلى الرثاء بحيث يقع هذا التحريف فى كل صفحة من صفحاته بل فى كل سطر من سطوره ، وهذا ما يفقده كثيراً من قيمته ، هذا فضلا عما يتخلله فى أحيان كثيرة من صنوف الاختراع الذى يدنو إلى التزييف . وقد نوه العلامة المستشرق زيولده بهذا النقص المؤسف . منذ أكثر من أربعين عاماً ، وأعرب عن أمله فى أن تنشر من الإحاطة نسخة كاملة مصححة^(١) . ثم إن النص المطبوع نقل على علته من قطعة دار الكتب المخطوطة وجزء منقول عن نسخة تونس مشحون بالأخطاء ، ولم يقوم الناشر بأى مقارنة أو تحقيق للنصوص ، ولم يعن بالأخص بتحقيق الأعلام الأندلسية والأسبانية . ولم يقرن النص بأية هوامش أو تعليقات تفسيرية . وهذا ما نعزم نحن أن نعنى به فى نشر النص الجديد المحقق من الإحاطة ، بصورة تتفق مع ما لهذا الأثر الأندلسي النفيس من أهمية ، ومع ما تتطلبه المناهج العلمية الحديثة من أساليب البحث والتحقيق المقارن .

ابن الخطيب

مؤلف هذا الكتاب

— ١ —

كان القرن الثامن الهجرى فى مملكة غرناطة بالنسبة لدولة التفكير والأدب ، عصر النضج والازدهار ، وفيه ظهرت طائفة من أكابر المفكرين والكتاب

(١) فى مقاله عن ابن الخطيب فى دائرة المعارف الإسلامية .

والشعراء ، الذين أعادوا روعة الأدب الأندلسي في أعظم عصوره ، أمثال ابن خاتمة شاعر المريّة ، والوزير ابن الحكيم اللخمي ، والوزير ابن الجياب ، والوزير ابن الخطيب ، والوزير ابن زمرك ، وابن لب ، وأبي الحسن النباهي وغيرهم ، حفل بهم هذا العصر ، وزخرت دولة التفكير والأدب بآثارهم التي انتهى إلينا منها الكثير . وكان ابن الخطيب من بين هذا الحشد الحافل ، أعظم شخصية ظهرت بالأندلس في القرن الثامن . وكان عبقرية متعددة النواحي ، فهو طبيب ، وفيلسوف ، وهو كاتب وشاعر من الطراز الأول ، وهو مؤرخ بارع ، وهو أخيراً وزير وسياسي ، ثاقب النظر قوى الإدراك .

وقد دون لنا ابن الخطيب ترجمة نفسه كاملة في كتاب « الإحاطة » ، هذا عدا ما أورده في سياق الكتاب عن مراحل خدمته السلطانية^(١) ، وقص علينا كثيراً من حوادث حياته السياسية في مختلف كتبه الأخرى ، ولا سيما كتاب « اللوحة البدرية » وكتاب « ریحانة الكتاب » الذي يضم كثيراً من رسائله السلطانية . ودون له معاصره وصديقه المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون ترجمته في تاريخه الكبير ، ووصف لنا مأساة مصرعه المؤثر^(٢) .

وهو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله [بن محمد بن محمد بن عبد الله]^(٣) بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلماني . وأصل بيتهم من قرطبة . وتدل نسبتهم إلى سلمان وهو موضع في اليمن تنسب إليه بعض البطون القحطانية^(٤) على أنهم من

(١) وردت ترجمة ابن الخطيب لنفسه في مخطوطة الإسكوريال الكبيرة ص ٤٢٥ حتى ص ٤٩٩ أعنى في نهاية المخطوط ، كما وردت في مخطوطة دار الكتب المصورة (رقم ١١٤٢٩ ح) لوحة ١ حتى لوحة ٣٠ ، ونقلها المقرئ في نفح الطيب (ج ٣ ص ٤ وما بعدها) .

(٢) كتاب العبر ج ٧ ص ٣٣٢ - ٣٣٦ و ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٣) هذه الزيادة في النسبة وأردت في نسبة عبد الله بن الخطيب والد لسان الدين في ترجمته في مخطوطة دار الكتب المصورة (لوحة ١٣٣) .

(٤) نفح الطيب ج ٣ ص ١٠ .

اليمنية الذين وفدوا على الأندلس عقب الفتح ، واستقروا في قرطبة . والظاهر أنهم كانوا ينتمون إلى الحزب المعارض للبلاط أيام الحكم بن هشام أمير الأندلس ، فلما حدثت واقعة الربض المشهورة (ضاحية قرطبة) وثار أهل قرطبة بتحريض حزب الفقهاء المعارض للحكم (سنة ٢٠٢ هـ - ٨١٧ م) واستطاع الحكم أن يمزق الثورة ، وأن ينكل بأهل الربض ، غادر قرطبة كثير من المعارضين من الفقهاء وغيرهم ، وكانت منهم أسرة المترجم . رحلت كما يحدثنا ابن الخطيب إلى طليطلة ، واستقرت بها زهاء قرن ونصف . ولما شعرت الأسرة في أواسط القرن الخامس الهجري بالخطر يحرق بطليطلة ، وأنها غدت مطمح النصارى ، يدبرون أمرهم للاستيلاء عليها ، غادرتها إلى مدينة لوشة ، التي غدت فيما بعد مسقط رأس ابن الخطيب .

ويحدثنا ابن الخطيب بأن بيتهم كان يسمى ببني الوزير ، ثم سموا ببني الخطيب ، وسبب التسمية الأخيرة هو أن جد ابن الخطيب المسمى سعيداً ، وهو أول من استوطن من الأسرة مدينة لوشة كان عالماً ورعاً ، وكان يلقي دروسه ومواعظه تحت ظلال برج يجاور أملاك أسرته ، ويقع على الطريق العام الممتد من غرناطة إلى لوشة ، ثم إلى إشبيلية ، ومن ثم غلب عليه اسم الخطيب ، وأورث اللقب لبنيه فعرفوا ببني الخطيب من ذلك الحين .

وولد ابن الخطيب في مدينة لَوْشَة^(١) في الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ٧١٣ هـ (١٦ نوفمبر سنة ١٣١٣ م) . وتقع لوشة في غربي مدينة غرناطة على قيد خمسة وخمسين كيلومتر منها ، وقد كانت أيام الدولة الإسلامية من مدن الأندلس الزاهرة . وسقطت في يد النصارى خلال حرب غرناطة الأخيرة في شهر مايو سنة ١٤٨٦ م (١٨٩١ هـ) بعد دفاع مجيد . أما اليوم فإن لوشة تغدو مدينة أسبانية متوسطة الحجم ، ذات شوارع كبيرة ، يقوم بعض مبانيها فوق ربوة صخرية عالية ،

(١) وتسمى بالإسبانية Loja (لوجا) .

ويقوم البعض الآخر في منخفض الوادى ، ويخترقها نهر شنيل من الشمال ، ويقع على مقربة منها بسيط كبير من المزارع والحدائق الغناء ، يمتد حتى سفح الجبال القريبة منها . ويبلغ سكان لوشة اليوم نحو عشرين ألفاً ، وقد كانوا أيام الدولة الإسلامية يبلغون أضعاف هذا العدد .

وتتخذ خطط لوشة الحديثة شكل صليب . وتقع الكتدرائية أو الكنيسة العظمى في وسطها . ولم يبق في لوشة اليوم من آثارها الأندلسية القديمة سوى أطلال القصة القديمة أو القلعة ، وما تزال تقوم في باطنها بقايا بناء يظن أنه كان مسجداً ، وهى عبارة عن ثلاثة عقود على صفين ، وليست بها أية نقوش أو كتابات ، وقد غدت ظللاً دارساً يغمره الخراب والعفاء . ويسمى هذا المكان بالجب Aljibi ، وتقول الأسطورة المحلية إنه يحتوى على كنز للمسلمين . وتقع الكتدرائية على مقربة من أطلال القصة، وفوق موقع المسجد القديم فيما يرجح، وذلك جرياً على تقليد السياسة الكنسية الأسبانية ، من إقامة الكنيسة العظمى في كل بلد أندلسى مفتوح ، على أنقاض المسجد الجامع ، وقد كان المسجد الجامع يقام دائماً في وسط المدينة .

وقد طفت بأرجاء مدينة لوشة والذكريات تغمر ذهنى ، فألفيتها مدينة مشرقة عامرة ، تتجه أحيائها من طرفيها إلى الربوة العالية ، وتتجه أحيائها الوسطى إلى بطن الوادى ، وأحيائها الجانبية ضيقة الدروب والمسالك على الطريقة الأندلسية ، وشارعها الرئيسى الذى يخترقه الطريق إلى إشبيلية طويل فسيح ، وبه كثير من المتاجر والفنادق والمقاهى .

وكان شبح ابن لوشة العظيم ، ووزيرها العبرى ابن الخطيب ، يتراءى لى وأنا أجوس خلال دروبها الساحرة . ولكنى لم أستطع مع الأسف أن أظفر بأية آثار أو معلومات تتعلق بحياته أو موقع بيته ، وقد كان استقصاء آثاره جل مقصدى من هذه الزيارة .

* * *

ونشأ ابن الخطيب في بيت علم وفضل وجاه ، وكان أبوه عبد الله من أكابر العلماء والخاصة ، وهو يترجمه لنا في الإحاطة^(١) . وقد ولد سنة ٦٧٢ هـ واستقر حيناً في غرناطة ثم عاد إلى لوشة مقر أسرته . ثم عاد إلى غرناطة ليلتحق بخدمة السلطان أبي الوليد إسماعيل ، الذي جلس على عرش غرناطة سنة ٧١٣ هـ (١٣١٤ م) .

ولما توفي السلطان أبو الوليد قتيلا في سنة ٧٢٥ هـ ، خدم من بعده ولده السلطان أبا عبد الله محمد ، ثم أخيه السلطان أبا الحجاج يوسف أعظم سلاطين غرناطة . وقد ولى العرش سنة ٧٣٣ هـ . وخدم عبد الله في ديوان الإنشاء مع الكاتب والشاعر الكبير الرئيس أبي الحسن علي بن الجياب ، وأسبغ عليه لقب الوزارة ، ثم توفي قتيلا مع ولده الأكبر أخى لسان الدين في موقعة طريف الشهيرة^(٢) التي هزم فيها المسلمون بقيادة السلطان أبي الحسن المريني ملك المغرب ، والسلطان أبي الحجاج يوسف ، أشنع هزيمة ، وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ (أكتوبر سنة ١٣٤٠ م) وسقطت على أثرها طريف والجزيرة الخضراء في يد النصارى ، وكانت محنة عظيمة لم يشهد المسلمون في المغرب والأندلس مثلها منذ بعيد .

ونشأ ابن الخطيب في غرناطة وتلقى بها دراسته^(٣) . ومع أنه نزل بها منذ حداثة فإنه لم ينس قط مسقط رأسه ومرتع طفولته « لوشة » فكانت لها في قلبه دائماً منزلة « الأم » ، وكان يتغنى بها في شعره ويسميا « بنت الحضرة »^(٤) أى بنت

(١) مخطوطة دار الكتب المصورة لوحة رقم ١٣٣ - ١

(٢) وتسمى الموقعة بالإسبانية موقعة « سالادو » لوقوعها على ضفاف النهر المسمى بهذا الاسم والذي يصب في المحيط شمالى مدينة طريف . وقد غم الأسبان في تلك الموقعة علما للسلطان أبي الحسن المريني ، ما زال يحفظ حتى اليوم بدير برغش الملكى Real Monasterio de las Huelgas ، وقد رأيناه هناك ونقلنا نقوشه .

(٣) ابن خلدون : كتاب العبر ج ٧ ص ٣٣٢ .

(٤) نفح الطيب ج ٣ ص ٢٧ .

غرناطة ، وأحياناً « فتية » غرناطة^(١) . وكانت غرناطة « أو الحضرة » الأندلسية يومئذ أعظم مركز للدراسات الإسلامية في الغرب الإسلامي ، وكانت مجمع جمهرة من أكابر العلماء والأدباء . ودرس اللغة والشريعة والأدب على جماعة من أقطاب العصر مثل أبي عبد الله بن الفخار الإلييري شيخ النحاة في عصره ، وأبي القاسم محمد بن علي الحسني السبتي ، والمحدث شمس الدين بن جابر الوادي آشي ، وأبي عبد الله بن مرزوق فقيه المغرب الكبير ، والقاضي أبي البركات بن الحاج البلفيقي . وأخذ الأدب والشعر عن الوزير أبي عبد الله بن الحكيم اللخمي ، وعن ذي الوزارتين الرئيس أبي الحسن علي بن الجيّاب . وقد وصفه ابن الخطيب في الإحاطة في قوله « وهو شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ » ، وعن أبي سعيد فرج بن لب وغيرهم . ودرس الطب والفلسفة على حكيم العصر وفيلسوفه الشيخ أبي زكريا يحيى بن هذيل واختص بصحبته^(٢) ، وبرز في النظم والنثر منذ حداثة ، وكان أبوه أبو عبد الله بن الخطيب يشغل يومئذ مركزاً في القصر في خدمة السلطان أبي الوليد إسماعيل يصفه ابن خلدون بأنه « الإشراف على مخازن الطعام » ، ولكنه تقدم فيما بعد في الخدمة السلطانية ، وخدم في ديوان الإنشاء مع الرئيس أبي الحسن الجيّاب ، وكان بارعاً في النظم والنثر ، ثم توفي قتيلاً في موقعة طريف سنة ٧٤١ هـ مع ولده الأكبر حسبما قدمنا .

وتأثر ابن الخطيب منذ فتوته بهذا الأفق السلطاني ، الذي عاش والده في كنفه ، وتطلع إلى غزوه . فلما توفي والده سنحت الفرصة المرجوة ، ودُعي للخدمة مكان أبيه ، وكان يومئذ فتى في الثامنة والعشرين من عمره . وتولى أمانة السر لأستاذه الرئيس أبي الحسن الجيّاب وزير السلطان أبي الحجاج يوسف وكاتبه .

وتلقى ابن الخطيب في ديوان الإنشاء على يد أستاذه الكاتب الشاعر المبدع

(١) ورد ذلك في ترجمة أسلم بن عبد العزيز الواردة في هذا المجلد من الإحاطة .

(٢) ترجم ابن الخطيب لشيخه في الإحاطة . وقد نقل إلينا المقرئ هذه التراجم في نفح الطيب ج ٣

في الباب الثالث ص ١٠٤ وما يليها .

ابن الجياب ، أرفع أساليب النظم والنثر في هذا العصر ، وظهرت براعته في تدييج الرسائل السلطانية . ولما توفي ابن الجياب في الوباء الكبير أو الطاعون الجارف ، في شوال سنة ٧٤٩ هـ (يناير سنة ١٣٤٩ م) خلفه ابن الخطيب في الوزارة ، وتقلد ديوان الإنشاء للسلطان أبي الحجاج يوسف ؛ وكان كبير الوزراء يومئذ الحاجب أبو النعيم رضوان . وهنا بزغ نجم ابن الخطيب ، وعظمت منزلته ، وأغدق السلطان عليه عطفه وآثره بثقته ، وجعله كاتب سره ولسانه ، في المكاتبات السلطانية ، وصدرت منها بقلم ابن الخطيب يومئذ طائفة من أبداع الرسائل الملوكية التي ينعتها ابن خلدون « بالغرائب » لروعتها . وقد جمع ابن الخطيب الكثير منها فيما بعد في كتابه « ریحانة الكتاب و نجمة المتاب »^(١) وكذلك نقل إلينا المقرئ في « نفح الطيب » عدة منها^(٢) .

و يصف لنا ابن الخطيب في « الإحاطة » مركزه في الوزارة يومئذ وما حباه به السلطان من الثقة والإيثار في قوله : « فقلدني السلطان سرّه ، ولما يستكمل الشباب ويجتمع السن ، معززة بالقيادة ورسوم الوزارة ، واستعملني في السفارة إلى الملوك ، واستنابني بدار ملكه ، ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه ، واثمنني على صوان حضرته وبيت ماله وسجوف حرمة ومعتل امتناعه » .

ولما توفي السلطان يوسف أبو الحجاج قتيلا في يوم عيد الفطر سنة ٧٥٥ هـ (أكتوبر سنة ١٣٥٤ م) خلفه في الملك ولده السلطان محمد الغني بالله . واستمر الحاجب رضوان في الاضطلاع برياسة الوزارة ، واستمر ابن الخطيب في منصبه معاوناً له ، وندب للصاية على الأمراء القصر أبناء السلطان المتوفى . وأرسله السلطان الجديد لأول ولايته سفيراً إلى السلطان أبي عنان المريني ، ملك المغرب ، على رأس وفد من رجال الأندلس ،

(١) سنتحدث عن هذا المؤلف فيما بعد عند الكلام على مؤلفات ابن الخطيب .

(٢) راجع نفح الطيب ج ٢ ص ٥٧٠ وما بعدها ، وج ٤ حيث يورد طائفة منها في عدة مواضع .

يستنصره ويطلب عونه على مقاومة ملك قشتالة ، وليؤكد بينهما عهد الصداقة
والمودة جرياً على سنة أسلافه من ملوك بني الأحمر . فاستقبله السلطان بحفاوة وأنشد
بين يديه شعراً قال فيه :

خليفة الله ، ساعدَ القدرُ علاك ما لاح في الدجى قرُ
ودافعتُ عنك كفُّ قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشرُ
وجهك في النائبات بدرُ دجى لنا وفي المحل كفك المطرُ
والناس طرّاً بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وغاية الأمر أنه وطنٌ في غير عليك ما له وطرُ
فتأثر السلطان لإنشاده أيما تأثر، ووعد بإجابة سائر مطالبهم . ويصف لنا
ابن الخطيب نجاح سفارته في قوله :

« وكان الانصراف بأفضل مما عاد به سفير من واد أصيل وإمداد موهوب . . .
وقد نجح السعى ، وأثمر الجهد ، وصدقت الحيلة » .

واستأثر الخطيب بثقة الغنى بالله كما استأثر بثقة أبيه من قبل ، وأسبغ عليه لقب
ذى الوزارتين لجمعه بين الكتابة والوزارة . وهو يحمل لنا عهد خدمته في تلك الفترة
في قوله : « لما هلك السلطان « يعنى أبو الحجاج » ضاعف ولده حظوتى ، وأعلى
مجلسى ، وقصر الشورى على نصحى ، إلى أن كانت عليه الكائنة ، فاقتدى فى أخوه
المتغلب على الأمر ، فسجل الاختصاص وعقد القلادة . ثم حمله أهل الشحنة من
أعوان ثورته على القبض علىّ ، فكان ذلك » .

وهذه الكائنة التى يشير إليها ابن الخطيب هى الثورة التى نشبت فى غرناطة فى
شهر رمضان سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م) وقد فيها الغنى بالله ملكه . وتفصيل ذلك
أن الأمير إسماعيل أخا السلطان كان معتقلا فى بعض أبراج قلعة الحمراء ، وكانت
تؤازره جماعة من الزعماء الناقين على الغنى بالله ، وفى مقدمتهم صهره الرئيس عبد الله ،

وتعمل سرّاً لإسقاط الغنى بالله ، وإجلالته في الملك مكانه . وكانت أمه المقيمة بالقصر تؤيد مشاريعه بالسعى والبذل الوفير . وكان السلطان قد تحول بولده إلى سكنى قصر « جنة العريف » الواقع شمال شرقى قصر الحمراء ، فانهز المتآمرون ذات مساء فرصة ابتعاده عن دار الملك ، وهاجموا قلعة الحمراء (٢٨ رمضان سنة ٧٦٠ هـ) ونفذوا إلى دار الحاجب رضوان ، وقتلوه بين أهله وولده ، ونادوا بإسماعيل أخى السلطان ملكاً مكانه . وشعر محمد بعث المقاومة ففرّ إلى وادى آش . وألّفى ابن الخطيب نفسه بين عشية وضحاها ، مسلوب الحظوة والمنصب ، فسعى إلى مصانعة السلطان الجديد ، فاستبقاه في الوزارة ، ولكن لأسابيع قلائل فقط ، ثم ارتاب في ولائه وقبض عليه بتحريض خصومه ، وكان ابن الخطيب يقيم يومئذ ، بقصره الذى بالحضرة ، بمدينة الحمراء ، مقر اقامته الرسمية^(١) فأمر بكبسه كما أمر بكبس دوره الأخرى ، ومصادرة سائر أملاكه ومتاعه ؛ ونفذت هذه الأوامر بغلظة وشناعة ، وفقد ابن الخطيب ثروته العريضة في لحظة ، وهو يقص علينا تفاصيل محتته في الإحاطة فيما يلي :

« وتقبّض علىّ ، ونكث ما أبرم من أمانى ، واعتقلت بحال ترفيه ، وبعد أن كُبت المنازل والدور ، واستكثر من الحرس ، وختم على الأغلاق ، وأبرد إلى ما نأى ، فاستوصلت نعمة لم تكن بالأندلس من ذوات النظائر ، ولا ربات الأمثال ، في تبحر الغلة ، وفراهة الحيوان ، وغبطة العقار ، ونظافة الآلات ، ورفع الثياب ، واستجادة العدة ، ووفور السكتب ، الى الآنية والفرش والماعون والزجاج والطيب ، والذخيرة والمضارب والأقمشة . واكتسحت السائمة وثيران الحرث ، وظهر الجمولة ، وقوام الفلاحة والخيول ، فأخذ الجميع البيع ، وتناهبتها الأسواق ، وصاحبها البخس ، ورزأتها الخونة ، وشمل الخاصة والأقارب الطلب ، واستخلصت القرى ، وأعملت الخيل ، وطوقت الذنوب ، أمد الله تعالى بالعون ، وأنزل السكينة ، وانصرف اللسان

(١) الإحاطة (المطبوع . ح ٢ ص ١٢) ، وأزهار الرياض . ح ١ ص ٦٢ .

إلى ذكر الله تعالى ، وتعلقت الآمال به ، وطبقت نكبة مُصَحِّفِهِ^(١) مطلوبها الذات ، وسببها المال حسبما قلت عند إقالة العثرة والخلاص من الهفوة^(٢) .

والواقع أن ابن الخطيب كان خلال هذه الأعوام التي سطع فيها نجمه ، يعيش في ترف وأبهة و بذخ تناسب مركزه الرفيع في الدولة ، و ثراءه الطائل ، أحياناً بقصره بالحمراء ، وأحياناً بقصره الفخم الذي أنشأه في بقعة الحدائق والجنات المسماة « بعين الدمع » بجوار غرناطة والتي اشتهرت بجمالها وروعها ، وكانت يومئذ مسكن الكبراء والسادة . وقد أورد لنا « في الإحاطة » نص أبيات نظمها في التغنى بجمال « عين الدمع » ، ونقشت في قبة قصره المذكور .

ولكن محنة ابن الخطيب لم تطل ، وسرعان ما جاء الإنقاذ ، وكان مجيئه من الضفة الأخرى من البحر . ذلك أن السلطان المخلوع محمداً الغني بالله ، كانت تربطه بملك المغرب السلطان أبي سالم ولد السلطان أبي الحسن المريني ، علائق مودة وثيقة ، وكان أبو سالم قد لجأ إلى الغني بالله حينما تغلب عليه أخوه السلطان أبو عنان ، ونفاه إلى الأندلس ، فأكرم الغني بالله مثواه . فلما وقع الانقلاب بالأندلس ، وفقد الغني بالله عرشه ، وفر منبوذاً إلى وادي آش ، رعى له أبو سالم عهد الصداقة والوفاء ، وأرسل في الحال إلى غرناطة سفيراً هو الشريف أبو القاسم التلمساني يسعى لدى حكومتها الجديدة في إجازة السلطان المخلوع ، ووزير المعتقل ابن الخطيب ، إلى المغرب ، ولم يسع السلطان إسماعيل المتغلب على عرش أخيه إلا الاستجابة لرغبة سلطان المغرب حفظاً لمودة بني مرين ، واستبقاء لنجدتهم ومعاونتهم ، التي أنقذت الأندلس من عدوان النصارى غير مرة . وهكذا نجح السفير المغربي في مهمته ، وأفرج عن

(١) نسبه إلى الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي وزير الخليفة الحكم المستنصر بالله الأموي ثم وزير واده الخليفة هشام المؤيد . من بعده ، وقد نكبه المنصور ابن أبي عامر المتغلب على الدولة ، حينما اشتد بأسه ، وألقاه في سجن الزهراء حتى مات .

(٢) نقل المقرئ هذه الفقرة في نفع الطيب محرفة قليلا (ج ٣ ص ٤١) .

ابن الخطيب ، ولحق بسلطانه المخلوع إلى وادي آش . وعبر الغنى بالله مع وزيره القديم ، ونفر كبير من أهله وصحبه البحر من مَرَبْلَه ، ومعه السفير إلى ثغر سبته ، ثم سافر الركب إلى فاس فوصلها في السادس من المحرم سنة ٥٧٦١ هـ ، واستقبلهم السلطان أبو سالم أجمل استقبال ، واحتفل بقدومهم في يوم مشهود ؛ وأنشده ابن الخطيب يومئذ قصيدة من أروع ما نظم ، يدعو فيها لنصرة سلطانه وهذا مطلعها :

سَلَا هَلْ لَدِيهَا مِنْ مُخَبَّرَةٍ ذِكْرُ	وَهَلْ أُغْشِبَ الْوَادِي وَنَمَّ بِهِ الزَّهْرُ
وَهَلْ بَاكَرَ الْوَسْمِيُّ دَاراً عَلَى اللَّوَى	عَفَتْ آيُهَا إِلَّا التَّوَهُّمُ وَالذِّكْرُ
بِلَادِي الَّتِي عَاطَيْتْ مَشْمُولَةَ الْهَوَى	بِأَكْنَفِهَا وَالْعِيشُ فَيَنْانُ مُخْضَرُّ
وَجَوِّى الَّذِي رَبَّى جَنَاحِي وَكَرُهُ	فَهَا أَنَا ذَا مَالِي جَنَاحٌ وَلَا وَكْرُ

ومنها :

قَصْدُنَاكَ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَلَى النَّوَى	لَتَنْصِفَنَّا مِمَّا جَنَى عَبْدُكَ الدَّهْرُ
كَفَفْنَا بِكَ الْأَيَّامَ عَنْ غُلُوثِهَا	وَقَدْ رَابَنَا مِنْهَا التَّعَسُّفُ وَالْكِبَرُ
وَعُذْنَا بِذَلِكَ الْمَجْدِ فَانْصَرَمَ الرَّدَى	وَلُذْنَا بِذَلِكَ الْعَزْمِ فَانْهَزَمَ الشَّرُّ
وَلَمَّا أَتَيْنَا الْبَحْرَ يُرْهَبُ مَوْجُهُ	ذَكَرْنَا نَدَاكَ الْغَمْرَ فَاحْتَقِرَ الْبَحْرُ

ومنها :

وَأَنْتَ الَّذِي تُدْعَى إِذَا دَهَمَ الرَّدَى	وَأَنْتَ الَّذِي تَرْجَى إِذَا أَخْلَفَ الْقَطْرُ
وَمِثْلُكَ مَنْ يَرْعَى الدَّخِيلَ وَمَنْ دَعَا	يَا لَمَرِّينِ جَاءَهُ الْعَزُّ وَالنَّصْرُ
وَحَذِ يَا إِمَامَ الْحَقِّ بِالْحَقِّ ثَأْرَهُ	فَفِي ضَمْنِ مَا تَأْتِي بِهِ الْعَزُّ وَالْأَجْرُ ^(١)

(١) وهي في ثمانين بيتاً وقد نقلها المقرئ كاملة في نفح الطيب ج ٣ ص ٤٦ - ٤٨ وفي أزهار الرياض ج ١ ص ١٩٧ - ٢٠٠ وكذا وردت في اللوحة البدرية ص ١١٠ - ١١٣ . ونقلها ابن خلدون في كتاب البرج ج ٧ ص ٣٠٧ - ٣٠٩ .

وكان المؤرخ الكبير ابن خلدون ، وهو يومئذ من أكابر رجال الدولة في بلاط فاس ، من شهود ذلك الحفل ، وهو يصفه لنا ، ويقول لنا إن ابن الخطيب أبكى سامعيه تأثراً وأسى .

ويقول لنا ابن الخطيب نفسه إن القوم كانوا يرتجفون تأثراً لأقواله ، وتسيل منهم العبرات^(١) . والتقى ابن خلدون وابن الخطيب في هذا الحفل لأول مرة . وكان هذا اللقاء بين الرجلين العظيمين حادثاً في حياة كل منهما له أثره ونتأجه . وكان كل منهما يسمع عن صاحبه ويتوق إلى لقائه ، حتى جمعت بينهما الحوادث . وكانت تجمع بينهما مشابهاة عديدة أدبية ومادية ، فقد كان كلاهما أستاذ عصره وقطره في التفكير والكتابة ، وكان كلاهما شخصية بارزة في حوادث عصره ، يتصل منها بأوثق صلة ، ويخوض غمارها ، متقلبا بين الظفر والحنة ، وكان كلاهما وزيراً مستبدأً ، ومستشاراً لأمرأء عصره ، ومحرضاً لهم أو عليهم . كان ابن خلدون يشغل في دول المغرب نفس المركز الذي كان يشغله ابن الخطيب في الأندلس ، وقد استأثر في المغرب بزعامة التفكير والكتابة التي كان يستأثر بها ابن الخطيب في الأندلس ، وقد جمعت بين الرجلين أواصر الحب والصداقة في البداية ، ثم فرقت بينهما عوامل الغيرة والتنافس ، وكان كل منهما رغم ذلك يحترم صاحبه ويحله ، ويكبر مواهبه وخلاله ، وقد ترجم كلاهما الآخر ، وذكره بما ينم عن خالص التقدير والإجلال^(٢) وتبادلا طائفة من الرسائل الشخصية والسياسية ، تعتبر من أبداع نماذج النثر والترسل في هذا العصر^(٣) .

(١) ابن خلدون في كتاب العبر ج ٧ ص ٣٠٦ ؛ وابن الخطيب في الإحاطة (المطبوع

ج ٢ ص ١٣) .

(٢) اقتبست هذه النبذة من كتابي ابن خلدون (الطبعة الثانية) ص ٤١ .

(٣) أورد لنا ابن خلدون في التعريف عدداً من هذه الرسائل . راجع « التعريف بابن خلدون

ورحلته غرباً وشرقاً » (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ص ٨٢ - ٩٢ وص ١٠٣ - ١٢٨ .

وعاش ابن الخطيب حيناً في كنف سلطان المغرب . يقول « وبالغ ملكه في برى ، منزلاً رحباً ، وعيشاً خفصاً وإقطاعاً جمّاً ، وجراية ما وراءها مرمى ، وجعلنى بمجلسه صدرّاً ، ثم أسعف قصدى في تهيؤ الخلوة بمدينة سلا » . واستقر ابن الخطيب في ثغر سلا زهاء عامين ، عزيز الجانب موفور الرزق ، وقد اقتنى بها الدور والرياض ، وتوثقت بينه وبين ابن خلدون أواصر الصداقة والمحبة ، وتوالت مدائحها للسلطان أبى سالم ، ومنها قصيدة طويلة يهنئ فيها السلطان بفتح تلمسان ، في رجب سنة ٥٧٦١ هذا مطلعها :

أطاع لسانى فى مديحك إحسانى وقد لهجت نفسى بفتح تلمسان
فاطلعتها تفتّر عن شنب المنى وتسفر عن وجه من السعد حيانى
كما ابتسم النوار عن أدمع الحيا وجف نجد الورد عارض نيسان
كما صفقت ريح الشمال شمولها فبان ارتياح السكر فى غصن البان^(١)

ولبث محمد بن الأحمر ، سلطان غرناطة المخلوع من جانبه فى فاس يرقب الحوادث ، ويتطلع إلى استرداد ملكه ؛ وكان يعوّل فى تحقيق هذه الغاية أولاً على معاونة بيدور الثانى (بطره) ملك قشتالة ، تنفيذاً لاتفاق عقد بينهما ، ولكن ملك قشتالة لم يسعفه فى مشروعه ، وآثر أن يعقد السلم مع سلطان غرناطة الجديد . وفى أثناء ذلك حدث انقلاب فى فاس فقد فيه السلطان أبوسالم عرشه ، ولقى مصرعه (فى ذى القعدة سنة ٥٧٦٢) واستبد بالدولة مدبر الانقلاب الوزير عمر بن عبد الله ، فسعى لديه ابن الأحمر ليعاونه على استرداد ملكه . قاستجاب له الوزير ، وما زال يدبر أمره بمعاونته حتى تهيأت له الفرصة بوقوع ثورة جديدة فى غرناطة قتل فيها أخوه ومنافسه السلطان إسماعيل ، على يد المتغلب عليه الرئيس أبى سعيد . فعندئذ جاز محمد إلى

(١) أورد المقرئ هذه القصيدة برمتها وهى فى نحو مائة وعشرين بيتاً (نفح الطيب ج ٣ ص

الأندلس واستولى على مالقة ، ثم سار في صحبه إلى غرناطة ، فاستولى عليها ، وفر الرئيس أبو سعيد إلى قشتالة ، واسترد الغنى بالله ملكه ، وذلك في جمادى الآخرة سنة ٥٧٦٣هـ (١٣٦١م) .

(٢)

وما كاد محمد الغنى بالله يجلس من جديد على عرشه حتى كتب إلى وزيره المنفى ابن الخطيب ، رسالة رقيقة مؤرخة في ٢٤ جمادى الآخرة ، ينعته فيها بأرفع النعوت : « الفقيه الوزير الجليل ، الصدر الأوحـد المـثـيل العـالم العـلم . . . إمام البلغاء ، وصدر الخطباء ، وعلم العلماء ، وكبير الرؤساء » ، ويخبره فيها بنجاحه ، ويطلب إليه العودة لتقلد منصبه^(١) . فنزل ابن الخطيب عند رغبته ، وجاز إلى الأندلس وبرفقته أسرة السلطان وولده ، ووصل إلى غرناطة في أواخر شعبان من تلك السنة . وفي الثاني من شهر رمضان أصدر السلطان « ظهيراً » (مرسوماً) بإعادته إلى منصبه « قلده فيه نجاد الوزارتين ، وحلّاه بحلى الرياستين » .

عاد ابن الخطيب إلى سابق مكانته في الوزارة ، ولكنه لم ينعم تلك المرة بسابق حظوته ونفوذه ، إذ كان ينافسه في السلطة عندئذ ، شيخ الغزاة عثمان بن أبي يحيى^(٢) وكان السلطان يقربه ويسبغ عليه وافر عطفه ، لما قام به من معاونته في استرداد ملكه . والظاهر أن ابن الخطيب لم يشأ إلا أن يسترد سلطانه المطلق كاملاً ، فنشبت بين الرجلين منافسة شديدة ، وحقد ابن الخطيب على منافسه ، وما زال يحرض السلطان ويحذره من نفوذ عثمان وعصبته ، وينوه له بخطر أطماعهم ومشاريعهم ،

(١) أورد ابن الخطيب نص هذه الرسالة في ترجمته في الإحاطة (مخطوطة دار الكتب المصورة لوحة ٤) .

(٢) شيخ الغزاه أعنى قائد الجيش العام .

ويذكره بسابق غدرهم ، حتى انتهى السلطان إلى التأثر بتحريضه ، ونكبهم في شهر رمضان سنة ٧٦٤هـ . وبذلك خلا الجولابن الخطيب ، واستعاد سلطانه المطلق ، دون مناوأة أو منافسة .

وفي ذلك الحين ، وفد صديقه ابن خلدون على الأندلس ، بعد أن فقد حظوته ونفوذه في بلاط فاس واضطرته أعاصير السياسة والثورات المتوالية إلى مغادرة المغرب . وكان ابن خلدون قد أسدى إلى السلطان الغنى بالله أثناء إقامته بفاس كثيراً من الخدمات ، فاستقبله حين مقدمه إلى غرناطة في أوائل سنة ٧٦٤هـ . استقبالا حافلا ، وأغدق عليه عطفه وصلاته ، وجعله من خاصته ، وبعث به سفيراً إلى ملك قشتالة (سنة ٧٦٥هـ) فأدى ابن خلدون سفارته خير أداء ؛ واستقبله صديقه ابن الخطيب في البداية بمنتهى المودة ، ولكن الظاهر أنه غص بعد ذلك بما ناله ابن خلدون من حظوة سلطانه ، ففترت بينهما العلائق . ثم تبين ابن خلدون إعراض السلطان عنه ، وشعر بأثر ابن الخطيب في هذا التحول ، فغادر الأندلس ، وعاد إلى المغرب ليخوض غمار حوادثه ككرة أخرى (سنة ٧٦٦هـ) .

ويصف لنا ابن الخطيب سيرته في الحكم يومئذ في قوله : « فاستعنت الله تعالى ، وعاملت وجهه فيه من غير تلبس بجراية ، ولا تشبث بولاية ، مقتصرأ على الكفاية ، حذراً من النقد ، خامل المركب ، معتمداً على النساء ، مستمتعاً بخلق النعل ، راضياً بغير النبيه من الثوب ، مشفقاً من موافقة الغرور ، هاجر الزخرف ، صادعاً بالحق في أسواق الباطل ، كافأ عن السخال برائن السباع . ثم صرفت الفكر إلى بناء الزاوية والمدرسة والتربة ، بكر الحسنات بهذه الخطة ، بل بالجزيرة فيما سلف من لمدة ، فتأني بمنة الله تعالى ، من صلاح السلطان ، وعفاف الحاشية ، والأمن ، وروم الثغور ، وتثمين الجباية ، وإنصاف الحماة والمقاتلة ، ومقارعة الملوك المجاورة ، في إثارة المصلحة الدينية ، والصدع فوق المنابر ، ضماناً من السلطان بترياق سم الثورة ، وإصلاح بواطن الخاصة

والعامة ، ما الله تعالى المجازى عليه ، والمعوض من سهر خلعتة على أعطافه ، وخطر اقتحمته من أجله » . (١)

والظاهر أن ابن الخطيب كان يومئذ ، قد سُم الخدمة السلطانية ومظاهرها البراقة ، ومسئولياتها الفادحة . وساورته رغبة في الزهد والاعتكاف ، والسفر إلى الحج ؛ هذا إلى أنه لم يكن بالرغم من حياته المترفة الناعمة يتمتع بصحة طيبة . تدل على ذلك إشارته في مقدمة الإحاطة إلى سوء حالته الصحية ، كما يدل عليه ما ذكره من إصابته بالأرق المزمن . فلم يكن ينام من الليل سوى اليسير . وقد سجل ابن الخطيب ذلك في إحدى رسائله الطبية المسماة : « الوصول إلى حفظ الصحة في الفصول » ، وأبدى عجبه من أنه وهو طبيب يدون لغيره وسائل العلاج ، لم يستطع معالجة نفسه من هذا الداء .

بل يلوح لنا أن ابن الخطيب ربما ساورته رغبة في الهجرة من الأندلس قاطبة . وقد التمس بالفعل إلى سلطانه إقالته ، وتمكينه من تحقيق هذه الرغبة ، واشتهر عته يومئذ هذا العزم ، ونمى إلى صديقه الشاعر الكبير ابن خاتمة ، وهو بالمرية ، فكتب إليه رساله مؤثرة تفيض بلاغة وتقديراً ، يحاول فيها أن يثنيه عن عزمه ، وأن يقنعه بضرورة البقاء في وطنه . ومما جاء فيها في مخاطبته لابن الخطيب قوله : « إنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها ، وتاج مفرقها ، وواسطة سلكها ، وطاراز فلكها ، وقلادة نحرها ، وفريدة دهرها ، وعقد جيدها المنصوص ، وتمام زينتها على العموم والخصوص ؛ ثم أتم مدار أفلاكها ، وسر سياسة أملاكها ، وترجمان بيانها ، ولسان إحسانها ، وطبيب مارستانها ، والذي عليه عقد إدارتها ، وبه قوام إمارتها ، ولديه يحل المشكل ، وإليه يلجأ الأمر المعضل ، فلا غرو أن تتقيد بكم الأسماع والأبصار ، وتحقق نحوكم الأذهان والأفكار » . فرد عليه ابن الخطيب برسالة بليغة يقول فيها ، أنه وقد أشرف على المشيب والكهولة

(١) راجع نفح الطيب ، ج ٣ ص ٤٢ .

قد عاف زخارف الدنيا ومتاعها ، وأنه يضطرم شوقاً إلى زيارة الحرمين وأداء الفريضة^(١) .

والظاهر أيضاً أن ابن الخطيب يريد بهذا التنويه ، الذي يشير فيه إلى حسن سيرته في الوزارة ، ومراعاة الحق والعدل في تصرفاته ، أن يدحض أقوال القائلين بأنه جنح يومئذ إلى الاستبداد ، وسوء المسلك والسيرة ؛ ولكن لدينا من جهة أخرى شهادة صديقه ابن خلدون ، الذي عاشه ، وعاش إلى جانبه في تلك الفترة زهاء عامين ، وهو يصف لنا هذه المرحلة من حياة ابن الخطيب فيما يلي :

« وخلا لابن الخطيب الجو ، وغلب على هوى السلطان ، ودفع إليه تدبير المملكة ، وخلط بنيه بندمائه وأهل خلوته ، وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، وعُلقت عليه الآمال ، وغشى بابه الخاصة والكافة ، وغصت به بطانة السلطان وحاشيته ، فتوافقوا على السعاية فيه »^(٢) .

وما تدلى به هذه العبارات الموجزة القوية ، هو أن ابن الخطيب كان في هذه المرحلة من حياته الوزارية يتمتع بالسلطان المطلق . والواقع أن ابن الخطيب كان عندئذ حاكماً بأمره ، وكان استنثاره بالسلطان والتفوذ على هذا النحو يذكي سخط منافسيه ، ويشير من حوله ضراماً من البغض والحسد . وكان السلطان ثقة منه بوزيره الأكبر ، وبمقدرته وكفايته ، يترك له زمام الأمور ، ويعرض عن الإصغاء لأعدائه ومنافسيه ؛ ولكنه بدأ في النهاية يتأثر بسعايتهم ، ويرى في استبداد ابن الخطيب اعتداء على سلطانه . وشعر ابن الخطيب من جانبه بأن سلطانه قد بدأ يتغير عليه ، وأخذ يتوجس شراً من العواقب . وكان في مقدمة خصومه والساعين في حقه ، تلميذه ومعاونه في

(١) أورد ابن الخطيب نص الرسالتين في الإحاطة ، (في ترجمة ابن خاتمة) . ونقلهما المقرئ في

نفح الطيب ج ٣ ص ٣٣٦ - ٣٣٨ .

(٢) ابن خلدون في كتاب العبر ج ٧ ص ٣٣٥ .

الوزارة الكاتب والشاعر الكبير محمد بن يوسف ، أبو عبد الله بن زمرّك ، وقاضى الجماعة (قاضى القضاة) فى غرناطة أبو الحسن على بن عبد الله النباهى . وكان الأول يتزعم ضد ابن الخطيب الخصومة السياسية ، ويتزعم الثانى حملة أشد خطورة وخطراً ، وهى اتهام ابن الخطيب بالإلحاد ، والخروج على الدين وأحكام الشريعة ، اعتماداً على بعض ما ورد فى كتبه . وبلغت الأمور ذروتها فى أوائل سنة ٧٧٣ هـ ؛ وشعر ابن الخطيب بأن السعاية قد أثمرت ، وأنه فقد عطف مليكه ، وأن الخطر يحدق به . والظاهر أنه كان قبل ذلك بقليل ، يتصل سراً بالسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن المرينى ملك المغرب ، وكان يومئذ يقيم فى مدينة تلمسان التى افتتحها من يد بنى عبد الواد (سنة ٧٧٢ هـ) . وكانت العلائق بين بلاط فاس ، وبلاط غرناطة قد فترت يومئذ ، وأخذ كل فريق يمالئ خصوم الآخر ، ويحشد لهم المناوأة . ولما اطمأن ابن الخطيب ، إلى وعود السلطان عبد العزيز بالحماية والرعاية ، عول على مغادرة الأندلس ، واستأذن ابن الأحمر فى تفقد الثغور الغربية ، فأذن له ، وسار مع ولده على وجاعة من الفرسان إلى الجنوب ؛ فلما وصل إلى جبل طارق ، تلقاه قائدها فى قواته ، وكانت جبل طارق يومئذ من أملاك بنى مرين . وكان السلطان عبد العزيز قد أصدر أوامره باستقبال ابن الخطيب ، وتجهيز السفن اللازمة لنقله هو ومن معه إلى المغرب . ونجحت المحاولة ، وركب ابن الخطيب ومن معه البحر إلى سبته . ولكنه قبل أن يغادر جبل طارق ، بعث إلى سلطانه الغنى بالله رسالة مؤثرة ، يودعه فيها ، ويوضح أسباب تصرفه ، ويطلب إليه المغفرة ، ويؤكد له بقاءه على الود ، ويلتمس رعايته لأسرته وولده . ويستهل ابن الخطيب رسالته بأبيات هذا مطلعها :

بانوا فمن كان باكيا يبكي هذى ركاب السرى بلا شك

ثم يبدوها بقوله : « مولاي ، كان الله لكم ، وتولى أمركم : أسلم عليكم سلام الوداع ، وأدعوا الله فى تيسر اللقاء والاجتماع ، من بعد التفرق والانصداع ، وأقرر

لديكم أن الإنسان أسير الأقدار، مسلوب الاختيار، متقلب في حكم الخواطر والأفكار، وأنه لا بد لكل أول من آخر، وأن التفرق لما لزم كل اثنين بموت أو في حياة، ولم يكن منه بد، كان خير أنواعه الواقعة بين الأحباب، ما وقع على الوجوه الجميلة البريئة من الشرور .

ثم يقول بعد الإشارة إلى خدماته أنه قد غلبته « حال شديدة ، هزمت التعشق بالشمل الجميع والوطن المليح ، والجاه الكبير ، والسلطان القليل النظير » ، وأنه عمل بمقتضى قوله : « موتوا قبل أن تموتوا » ، وأنه قد أقدم على أمر صعب المرام ، « ولكن سهله على أمور ، منها أن الانصراف لما لم يكن منه بد لم يتعين على غير هذه الصورة ، إذ كان عندكم من باب الحال ، ومنها أن مولاي لو سمح لي في غرض الانصراف ، لم تكن لي قدرة على موقف وداعه ، لا والله ولكن الموت أسبق إلى ؛ وكفى بهذه الوسيلة الحسنة التي يعرفها وسيلة ، ومنها حرصى على أن يظهر صدق دعواى فيما كنت أهتف به ، وأظن أنى لا أضدق ، ومنها اغتنام المفارقة في زمن الأمان والهدنة الطويلة والاستغناء ، إذ كان الانصراف المفروض ضرورياً قبيحاً في غير هذه الحال ، ومنها وهو أقوى الاعذار أنى مهما لم أطق تمام هذا الأمر ، أو ضاق ذرعى به لعجز أو مرض أو خوف طريق ، أو نفاد زاد أو شوق غالب ، رجعت رجوع الأب الشفيق إلى الولد البر الرضى ، إذ لم أخلف ورأى مانعاً من الرجوع ، من قول قبيح ولا فعل ، بل خلفت الوسائل المرعية ، والآثار الخالدة ، والسير الجميلة » .

ثم يقول : « وإن فسخ الله فى الأمد ، وقضى الحاجة ، فأملى العودة إلى ولدى وتربى ، وأن قطع الأجل ، فأرجو أن أكون ممن وقع أجره على الله ، فإن كان تصرفى صواباً وجارياً على السداد ، فلا يلام من أصاب ، وإن كان عن حق وفساد عقل ، فلا يلام من اختل عقله وفسد مزاجه ، بل يُعذر ويشفق عليه ويُرحم ؛ وإن لم يعط مولاي أمرى حقه من العدل ، وجلت الذنوب ، ونشرت بعدى العيوب

فحياؤه وتنصفه ينكر ذلك ، ويستحضر الحسنات ، من التربية والتعليم ، وخدمة السلف ، وتخليد الآثار ، وتسمية الولد ، وتلقيب السلطان ، والإرشاد إلى الأعمال الصالحة ، والمداخلة والملابسة ، لم يتخلل ذلك قط خيانة في مال ولا سر ، ولا غش في تدبير ، ولا تعلق به عار ولا كدره نقص ، ولا حمل عليه خوف منكم ، ولا طمع فيما بيدكم ، وإن لم تكن هذه دواعي الرعى والوصلة والإبقاء ، فقيم تكون بين بني آدم ، وأنا قد رحلت فلا أوصيكم بمال ، فهو عندى أهون متروك ، ولا بولد فهم رجالكم وخدامكم ، ومن يحرص مثلكم على الاستكثار منهم ، ولا بعيال فهم من مزيات بيتكم وخواص داركم . . . »

ويسوق ابن الخطيب بعد ذلك النصيح إلى سلطانه ثم يقول : « واعلموا أيضاً على جهة النصيحة ، أن ابن الخطيب مشهور في كل قطر ، وعند كل ملك ، واعتقاده وبره والسؤال عنه ، وذكره بالجميل والإذن في زيارته ، حنانة منكم وسعة ذرع ودهاء ، فإنما كان ابن الخطيب بوطنكم سحابة رحمة نزلت ثم أقشعت ، وتركت الأزاهر تفوح ، والمحاسن تلوح . . . »^(١)

وهذه عبارات تدل على مبلغ اعتزاز ابن الخطيب بنفسه ، وبرفع مركزه ومنزلته لدى قصور عصره ، وعلى أنه لم يفقد ثقته بنفسه حتى في أقصى أيام محتته .

وسار ابن الخطيب من سبتة إلى تلمسان حيث كان بلاط المغرب ، وهناك استقبله السلطان عبد العزيز أجمل استقبال ، وأرسل في الحال سفيراً إلى سلطان غرناطة ، ليسعى في استقدام أسرة الوزير المنفى ، فأتى بها معرزة مكرمة ، وكان ذلك في أواسط سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧١ م) .

(١) نشر ابن خلدون هذه الرسالة برمتها في كتاب العبر (ج ٧ ص ٤٣٧ - ٤٣٩) وكان ابن الخطيب قد أرسل إليه صورتها . ويرى ابن خلدون أنها من أغرب الرسائل وأروعها بلاغة وإجادة .
(٤)

(٣)

استقر ابن الخطيب في مقامه الجديد، بعيداً عن الأهل والوطن ، ولكن ما حباه به السلطان من كرم المثوى وعلو المكانة ، وجزيل العطاء والنعمة ، خفف كثيراً من مرارة المنفى ؛ وهكذا استرد ابن الخطيب في بلاط المغرب مكانته المفقودة ، وكتب إلى صديقه القديم ابن خلدون ، وكان يومئذ يقيم في بـِسْكَرَة ينبئه بخبره ، ويعتب عليه فيما كان منه بحقه حين مقامه بالأندلس ، فرد عليه ابن خلدون برسالة مؤثرة، يؤكد فيها تقديره وحبه لصديقه، ويدفع عن نفسه مظنة الفتور والوقية ، ويهنته بنجاته (١).

ولكن فرار ابن الخطيب على هذا النحو لم يهدىء من ثورة خصومه ، بل كان بالعكس حجة جديدة لديهم تنهض على إدانته فيما يرمونه به من التهم ، وغصوا لإفلاته ونجاته من مكائدهم فضاعفوا سعيهم لملاحقته وسحق هيئته ، وتلويث سمعته ؛ فاتهموه بالزندقة والخروج على شريعة الإسلام ، ونسبوا إليه في ذلك أقوالاً ومقالات مما جاء في بعض كتبه ورسائله ، أولوها وفق مقاصدهم ، وزعموا أن منها ما يتضمن طعنًا في النبي ، والقول بالحلول ، ومجاراة مذهب الفلاسفة الملحدين ، وأن كتب ابن الخطيب التاريخية ، وما اشتملت عليه من تراجم الأحياء المعاصرين ، والأموات الأقربين ، وما يتخللها من الطعن المر في كثير منهم ، هي من قبيل الغيبة المحرمة . وكان تلميذ ابن الخطيب وخلفه في الوزارة ، أبو عبد الله بن زَمْرَك ، أكبر مروج لهذه الدعاية القوية . وتولى صوغ الاتهام عدوُّ ابن الخطيب الألد القاضي أبو الحسن النُّبَاهِي ، وأفقي بوجوب حرق كتبه التي تتناول « العقائد والأخلاق » . ويقول لنا القاضي أبو الحسن ، إن هذه الكتب قد تم إحراقها بالفعل في حضرة غرناطة في

(١) راجع كتاب العبر ج ٧ ص ٤٣٤ - ٤٣٦ .

منتصف عام ٧٧٣ هـ « بمحضر من الفقهاء والمدرسين من العلماء وأماثل الفقهاء ، لما تضمنته الكتب المذكورة من المقالات التي أوجبت ذلك عندهم ، وحققته لديهم »^(١) .

وقد وجه القاضي أبو الحسن إلى ابن الخطيب بالمغرب رسالة شديدة ، نقل إلينا المقرئ نصها ، وهي بمثابة دعوى اتهام شخصية وشرعية معاً ، يعدد فيها أبو الحسن معائب ابن الخطيب ، وما يسند إليه من تهم الإلحاد والزندقة ، وبالرغم من أن هذه الرسالة تحمل طابع التحامل ، والضعف الشخصي ، فإنها تلقى ضوءاً كبيراً على ما كان يُرمى به ابن الخطيب خلال توليه الحكم ، وعلى بعض الوقائع التي اتخذت سنداً لاتهامه بالخروج على أحكام الإسلام ، والحكم بعد ذلك بإدائته ونكبته . ويحسن قبل أن نعرض إلى محتويات هذه الرسالة أن نقول إن القاضي أبا الحسن النباهي ، كان في البداية من أنصار ابن الخطيب وأوليائه ، وإن ابن الخطيب هو الذي ندبه ليكون قاضياً للجماعة ، واستصدر ظهير تعيينه ، أيام توليه الوزارة للغنى بالله في المرة الثانية ، وذلك في فاتحة عام ٧٦٤ هـ ، وفيه ينعتة بأرفع النعوت والصفات ، من علم وفضل وتقى ونزاهة ؛ ثم ندبه بعد ذلك ليكون خطيباً للمسجد الجامع^(٢) . ولما وضع ابن الخطيب كتابه الإحاطة ، وترجم فيه من ترجم من أكابر معاصريه ، ظفر منه النباهي ، بأكرم النعوت والخلال ، إذ وصفه بأنه « قريع بيت مجادة وجلالة ، وبقية تعين وأصالة ، عف النشأة طاهر الثوب ، مؤثر للوقار والحشمة ، بعيد الغور ، مرهف الجوانب ، ناظم ، ناثر ، نثره يشف على نظمه ، ذاكر للكثير . . . بعيد

(١) أبو الحسن النباهي في كتابه « تاريخ قضاة الأندلس المعروف بالمرقبة العليا » المنشور بالقاهرة بعناية الأستاذ ليثي بروفنسال سنة ١٩٤٨ (ص ٢٠٢) .
 (٢) أورد المقرئ نص الظهيرين الصباريين بتعيين النباهي في خطي القضاء والخطابة (نفع الطيب ج ٣ ص ٧١ و ٧٤) ؛ وكذلك في أزهار الرياض (ج ٢ ص ٥) .

المدى فى باب النزاهة ، ماضياً غير هيب .. الخ»^(١) . ثم دارت الأيام دورتها ، وازور نجم ابن الخطيب ، وتقلص نفوذه ؛ وعندئذ برز النباهى إلى جانب ابن زمرك ، فى طليعة خصوم ابن الخطيب ، والساعين إلى هدمه ونكبته .

وتتخذ رسالة النباهى صورة رد ، على كتاب شديد أرسله إليه ابن الخطيب ، وقائمة اتهام معاً ؛ وفيها ينعى النباهى على ابن الخطيب ، انصرافه إلى الأغراض الدنيوية ، وشغفه بالاعتناء والبناء ؛ ثم ينعى عليه ما ورد فى كتبه التاريخية من سير الأحياء والأموات ، والطعن فى حقهم ، وهو ما يدخل فى باب « الغيبة المحرمة » ، ومخالفة ذلك للدين والعقل ؛ وأن ما تضمنته بعض مؤلفاته الأخرى ، من البدع والتلاعب بالشريعة ، يجعلها مستحقة للتخريق والتحريق ، وأنه أى النباهى قد نصحه وحذره من ذلك ، فلم ينتصح ، وآثر الاستماع لأقوال الجاملين والمداهنين .

وينكر النباهى على ابن الخطيب ، ما ينوه به فى كتابه ، من قيامه بصالح الأعمال ؛ ويقول إن ذلك هو من قبيل المنّ المذموم ، وأنه أى ابن الخطيب ، لم يشارك فى شيء « إلا بأغراض حاصلة فى يديكم ، ولأغراض دنيوية خاصة بكم » .

وأما اعتذار ابن الخطيب ، وتقدمه على فراق الأندلس ، فيرى النباهى أنه تناقض ، وأن ما وقع من فراره ، إنما هو غدر بسلطانه ، وأن هذا الخروج من الأوطان ، لم تكن تدعو إليه ضرورة غالبية ؛ ثم يقول : « وقد مددتم إلى التمتع بغيرها أعينكم ، ولو لم يكن بهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة ، إلا ما خصت به من بركة الرباط ، ورحمة الجهاد ، لكفاها فخراً ، على ما يجاورها من سائر البلاد » .

وينعى النباهى بعد ذلك على ابن الخطيب ، تدخله فى شئون القضاء ، أيام ولايته إياه ، ويعدد بعض ما ارتكبه ابن الخطيب فى ذلك ، من مخالفات للشرع

(١) وردت هذه الترجمة فى مخطوطة الإحاطة بالإسكوريال رقم ١٦٧٣ (القطعة الكبيرة)

ص ٣٠٢ وما بعدها . ونقلها المقرئ فى نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٨٥ و ٣٨٦) .

والدين فيقول : « فكابدت أيام تلك الولاية النكدة من النكاية باستحقاقكم للقضايا الشرعية ، وتهاونكم بالأمر الديني ، ما يعظم الله به الأجر ، وذلك في جملة مسائل ، منها مسألة ابن الزبير المقتول على الزندقة ، بعد تقضى موجباته ، على كره منكم ؛ ومنها مسألة ابن أبي العيش المثقف في السجن على آرائه المضلة ، التي كان منها دخوله على زوجته أثر تطلقه إياها بالثلاث ، وزعمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره مشافهة بالاستمتاع بها ، فحملتم أحد ناسكم تناول إخراجهم من الثقاف من غير مبالاة بأحد ؛ ومنها أن أحد الفتيان المتعلقين بكم ، توجهت عليه المطالبة بدم قتيل ، وسبق المدعى عليه للذبح بغير سكين ، فما وسعني بمقتضى الدين إلا حبسه على ما أحكته السنة ، فأنقمت لذلك وسجنتم الطالب ولى الدم ، وسرحتم الفتى المطلوب على الفور ، إلى غير ذلك مما لا يسع الوقت شرحه ، ولا يحمل بي ولا بكم ذكره » .

وأما عن تهمة الإلحاد والطعن في النبي ، وهي أخطر ما وجه إلى ابن الخطيب من التهم ، فيصوغها النباهي على النحو الآتي ، في كلامه لابن الخطيب : « فيأني أخاف عليكم من الإفصاح بالطعن في الشريعة ، ورمى علمائها بالمنقصة ، على عادتك وعادة المستخف ابن هذيل شيخكم^(١) منكر علم الجزئيات ، القائل بعدم قدرة الرب جل اسمه ، على جميع الممكنات ؛ وأنتم قد انتقلتم إلى جوار أناس أعلام قلما تجوز عليهم المغالطات فتأستركم شهادة العدول ، التي لا مدفع لكم فيها ، وتقع الفضيحة ، والدين النصيحة . . . وكذلك أحذركم من الوقوع بما لا ينبغي في الجنب الرفيع ، جناب سيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه نقل عنكم في هذا الباب أشياء منكورة ، يكبر في النفوس التكلم بها ، أنتم تعلمونها ، وهي التي زرعت في القلوب ما زرعت

(١) هو يحيى بن هذيل الفيلسوف الطائيف والعلامة الكبير ، وقد ذكرناه بين شيوخ ابن الخطيب فيما تقدم . توفي سنة ٧٥٣ هـ (١٣٥٣ م) ، وترجمه ابن الخطيب في الإحاطة . ونقل المسمى ترجمته في نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٥٨) .

من بغضكم وإيثار بعدكم ، مع استشعار الشفقة والوجل ، من وجه آخر عليكم ؛ ولولا أنكم سافرتم قبل تقلص ظل السلاطة عنكم ، لكانت الأمة المسلمة امتعاضا لدينها ودنياها ، قد برزت بهذه الجهات لطلب الحق منكم ، فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خدام الدول ، ما صدر عنكم ، من العبث في الإبشار والأموال ، وهتك الأعراس ، وإفشاء الأسرار ، وكشف الأستار ، واستعمال المكر والحيل ، والغدر في غالب الأحوال ، للشريف والمشروف ، والخدام والمخدوم .

ثم ينعى النباهى على ابن الخطيب تركه لسلطانه ، حين كان منفيًا بالمغرب ، ثم تهافت عليه حين عاد إلى عرشه ، وما كان منه من الضرب والتفريق بين رجال الدولة ، حتى خلا له الجو ، وتمكن الأمر والنهى ، ثم يقول : « فهمزتم ولمزتم ، وجمعتم من المال ما جمعتم ، ثم ورّيتم بثفقد ثغر الجزيرة الخضراء ، مكرًا منكم ، فلما بلغت أرض الجبل انحرقت عن الجادة ، وهربتم بأثقالكم ، الهروب الذى أنكره عليكم ، من بلغه حديثكم ، أو يبلغه إلى آخر الدهر ، فى العدوتين من مؤمن وكافر وبر فاجر » ويختتم النباهى رسالته بالتنديد ببني الخطيب ، ونشأتهم المتواضعة ، وحدثهم فى المال والنعمة ، وما نالوه من ثراء مغتصب ، ليقول لابن الخطيب أنه لا حق له فى التفاخر ، وهذا أصله ، وأن الاعتداد بملاذ الدنيا ، من ثراء وطعام ولباس ، إنما هو خسة وصغار ، وأن الأولى به أن يكون زاده التقوى للدار الباقية^(١) .

وقد رأينا أن نلخص رسالة النباهى ، وأن نقتبس منها على النحو المتقدم ، إذ هى حسبما قدمنا وثيقة الاتهام التى اتخذت فيما بعد سنداً لإدانة ابن الخطيب ونكبته . وتاريخ هذه الرسالة هو أواخر جمادى الأولى من عام ٧٧٣ هـ ، وقد تلقاها ابن الخطيب عقب وصوله إلى بلاط تلمسان بقليل ، وقد رد على سبب أبى الحسن

(١) أورد المقرئ رسالة القاضى أبى الحسن النباهى برمتها فى نفح الطيب ج ٣ ص ٦٦ - ٧١ . وكذا وردت فى كتاب أزهار الرياض ج ١ ص ٢١٢ - ٢٢٤ .

واتهاماته بما كتبه عنه في ترجمته في كتابه « الكتيبة الكامنة ، في أدباء المائة الثامنة » وحمل عليه فيها بشدة ، ثم استأنف حملته عليه في كتابه « أعمال الأعلام » الذي ألفه بالمغرب ، ونعته فيما كتب عنه بالجُعسوس أى القزم الدميم ، إذ كان أبو الحسن قصير القامة . ولما اشتد بينهما الجدل ، والتراشق بالسباب ، وضع ابن الخطيب رسالة خاصة في هجاء أبي الحسن والجملة عليه ، أسماها « خلع الرسن في وصف القاضي أبي الحسن »^(١) .

ومن الغريب المؤلم معاً أن ينحدر القاضي النباهي ، في خصومة ابن الخطيب والجملة عليه ، إلى هذا الحد المثير ، وهو الذي كان من قبل يرتفع في تقديره إلى أسمى الحدود ، كما تدل على ذلك رسالة وجهها إليه أيام إقامته منفياً في المغرب ، وهو بسلا ، وفيها ينعته « بالآية البالغة وقد طمست الأعلام ، والعزة الواضحة ، وقد تنكرت الأيام ، والبقية الصالحة ، وقد ذهب الكرام » . ثم يصفه بأنه بالنسبة إليه « هو الركن الذي ما زلت أميل على جوانبه ، ولا تزيد الأيام إلا بصيرة في الإقرار بفضله ، والاعتداد به . » وذلك أن النباهي كان أيضاً قد فقد منصبه من جراء الحوادث التي أودت بسلطان ابن الخطيب ، وعبر البحر منفياً مثله ، وكان يعتمد على الوزير المنفي ، متى انقشعت المحنة ، في الأخذ بيده وإعادةه إلى سابق وظائفه^(٢) .

وعلى أى حال فقد مضى خصوم ابن الخطيب في غرناطة في سعيهم لإهلاكه ، ولم يقعدهم بعده عن الأندلس ؛ فبعد أن قضى بإحراق كتبه في ساحة غرناطة ، سجل القاضي أبو الحسن عليه تهمة الإلحاد والزندقة ، وصادق السلطان على حكمه ، وأرسل القاضي رسله بهذا الحكم إلى السلطان عبد العزيز ، يطالب بتنفيذ حكم الشرع في الوزير الملحد ، وهو الإعدام ، فأنف سلطان المغرب لهذا المسعى ، وعنف رسل

(١) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ٦٦ - ٧٥ ، وكذلك كتاب قضاة الأندلس السابق ذكره

(المقدمة ص ط) والرسن معناه الحبل .

(٣) راجع هذه الرسالة في نفح الطيب ج ٣ ص ٣٨٤ و ٣٨٥ .

الأندلس وقال لهم « هلا أنفذتم فيه حكم الشرع ، وهو عنكم ، وأنتم عالمون بما كان عليه » وردهم خائبين ، وزاد في إكرام ابن الخطيب ورعايته^(١) .

ولما توفي السلطان عبد العزيز بعد ذلك بقليل في شهر ربيع الآخر سنة ٧٧٤ هـ (أواخر سنة ١٣٧٢ م) خلفه على العرش ولده الطفل السعيد ، وغادر بلاط المغرب تلمسان إلى فاس ، وسار ابن الخطيب صحبة الوزير أبي بكر بن غازي القائم بالدولة ، ونزل بفاس في كنف الوزير ورعايته ، متمتعاً بما كان يتمتع به ، في ظل السلطان الراحل ، من النفود وجزيل الصلات ، وطاب عيشه واقتنى الضياع والدور ، واستمر حيناً على مكانته في الدولة . وحاول السلطان ابن الأحمر ، أن يحمل الوزير ابن غازي ، على تشريد ابن الخطيب ونفيه ، لما كان يعتقد من أنه كان يحرض السلطان عبد العزيز على محاربتة ، فأبى ابن غازي . وساءت العلاقات بين بلاط فاس وبلاط غرناطة بسرعة ، ودفع ابن الأحمر بعض الخوارج من بني مرين إلى محاربة حكومة فاس ، وأمدهم بعونه ؛ وتمخضت حوادث المغرب عن انقلاب جديد ، ونادى الثوار بولاية الأمير أحمد بن السلطان أبي سالم ، وحاول الوزير ابن غازي مقاومة الثوار فلم يفلح ، واقتحم الخوارج مدينة فاس ، فأذعن الوزير وخلع الملك الطفل السعيد ، وجلس السلطان أحمد على العرش ، وذلك في أوائل سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م) .

وكان ابن الخطيب قد لجأ أثناء ذلك إلى البلد الجديد (ضاحية فاس) . وكان التفاهم قد تم بين السلطان ابن الأحمر وزعماء الفتنة ، بشأن ابن الخطيب ومصيره . فلما وقع الانقلاب المنشود ، بادر السلطان الجديد بالقبض على ابن الخطيب واعتقاله ، تنفيذاً للعهد الذي قطعه لابن الأحمر ، ولم يدخر وزيره سليمان بن داود ، وقد كان من ألد خصوم ابن الخطيب ، جهداً في تشديد النكير عليه ، وتدبير هلاكه . وكان ابن الأحمر يتوق إلى الانتقام من وزيره السابق ، لما أكده له خصومه ، من غدره

(١) ابن خلدون في كتاب العبر ج ٧ ص ٣٣٥ .

ودسائسه ؛ فبعث وزيره أبا عبد الله بن زمر ك تلميذ ابن الخطيب ، وخلفه في الوزارة ،
ليعمل على تحقيق هذه الغاية ، ووجهت إلى ابن الخطيب التهم السابقة ، وهي التي
وجهت إليه في غرناطة ، وصاغها القاضي أبو الحسن في قرار اتهامه ؛ ورأى السلطان
أحمد أن يعقد مجلساً من رجال الدولة وأهل الشورى ، واستدعى ابن الخطيب إليه
لمناقشته ، ومواجهته في التهم المنسوبة إليه ، وأخصها تهمة الإلحاد والزندقة استناداً
إلى ما ورد في بعض كتاباته ، وعُزِّر ابن الخطيب وعذب أمام الملاء ، وأفقي بعض
الفقهاء المتعصبين بوجوب قتله . ودس عليه الوزير سليمان بعض الأوغاد فقتلوه خنقاً في
سجنه (أواخر سنة ٧٧٦ هـ - ١٣٧٥ م) وأخذت جثته في الغد ، وأضرمت فيها
النار ، فاحترق شعره وبشرته ، ثم دفنت في ضاحية فاس ^(١) . وكان قبره معروفاً حتى
عصر المقرئ ، في أوائل القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) وقد
زاره المقرئ أثناء إقامته في فاس ^(٢) .

وهكذا ذهب الكاتب والمفكر الكبير ، ضحية الجهالة والتعصب ، والأحقاد
السياسية الوضيعة . ويحمل ابن خلدون حوادث هذه المأساة في قوله في مقدمته يشير
إلى صديقه ابن الخطيب بأنه هو « الهالك لهذا العهد شهيداً بسعاية أعدائه » ^(٣)
ويعلق عليها في تاريخه بقوله : « وكان في ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه
السفاهة التي جاء بها سليمان ، واعتدوها من هناته ، وعظم النكير منها عليه ، وعلى
قومه وأهل دولته » . ثم ينقل إلينا أبياتاً من الشعر نظمها ابن الخطيب في سجنه ،
وكان ينشدّها متوقفاً مصيره الحزن :

بَعْدُنَا وَإِنْ جَاوَرَتْنَا الْبُيُوتُ وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ
وَأَنْفُسُنَا سَكَنْتْ دَفْعَةً كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تِلَاةُ الْقُنُوتِ

(١) كتاب العبر ج ٧ ص ٣٤١ و ٣٤٢ .

(٢) نفح الطيب ج ٣ ص ٨٥ .

(٣) المقدمة ص ٤٩٦ .

وَكُنَّا عِظَامًا فَصَرْنَا عِظَامًا وَكُنَّا نَقُوتُ فَمَا نَحْنُ قُوتُ
وَكُنَّا شَمُوسَ سَمَاءِ الْعَلَا غَرَبْنَ فَنَاحَتْ عَلَيْهَا الْبُيُوتُ
فَكَمْ خَذَلَتْ ذَا الْحَسَامِ الظُّبَا وَذُو الْبَخْتِ كَمْ جَدَّلَتْهُ الْبُخُوتُ
وَكَمْ سِيقَ لِلْقَبْرِ فِي خِرْقَةٍ فَتَى مُلِثَتْ مِنْ كُسَاهِ التُّخُوتِ
قُلْ لِلْعِدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ وَفَاتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ
فَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْكُمْ لَهُ قُلْ يَفْرَحُ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَمُوتُ^(١)

— ٤ —

كان ابن الخطيب حسبما قلنا في بداية هذا البحث عبقرية متعددة النواحي .
والآن فلنحاول أن نعرض إلى نواحي هذه العبقرية بشيء من التفصيل . وأول
ما يبدو لنا من هذه النواحي هو ابن الخطيب الكاتب والشاعر ، وهي صفة تغلب
على سائر خصائصه الأخرى .

كان ابن الخطيب من أعظم كتاب عصره وشعرائه ، بل هو من أعظم كتاب
الأندلس وشعرائها على الإطلاق . وقد بلغ من النظم كما بلغ في النثر ، مرتبة التفوق ،
التي لا يدانيه فيها سوى القليل .

وأعظم ما يتميز به شعر ابن الخطيب ونثره ، هو وفرة التنوع والافتنان ، في
الموضوعات والمعاني . ويرجع ذلك إلى خصب قريحته ، وسعة أفقه ، وإلى حياته
المنوعة ، الفياضة بمختلف الأحداث والحن .

وقد برز ابن الخطيب بالأخص في ضرب من النثر هو النثر الوزاري والسياسي .
وقد ترك لنا في هذا الميدان تراثاً ضخماً ، من المراسيم السلطانية ، التي صدرت أيام

(١) كتاب العبرج ٧ ص ٣٤٢ . وكذلك في أزهار الرياض (ج ١ ص ٢٣١) .

توليه الوزارة ، عن سلاطين غرناطة ، ومن الرسائل السياسية والدبلوماسية ، التي كان يكتبها عن لسان سلطانه ، إلى ملوك اسبانيا النصرانية ، أو سلاطين المغرب ، أو سلاطين مصر . وفيها يتحدث عن علائق المودة والتحالف ، أو يصف بعض الحوادث التاريخية ، أو يطلق صيحة الجهاد للدفاع عن الأندلس ، أو يلتمس لها الإنجاد والغون ، من ملوك العدو ، إلى غير ذلك من الشئون والحوادث ، التي ملأت حياته السياسية ، سواء في الأندلس أو المغرب .

وانتهى إلينا من هذه الرسائل السلطانية والسياسية العدد الجم ، وجمع ابن الخطيب منها في كتابه « ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » طائفة كبيرة يتعلق بعضها بوصف الوقائع الحربية ، التي جرت حول جبل طارق والجزيرة الخضراء ، وغيرها من الحوادث المعاصرة ، ومنها رسائل عديدة وجهها ابن الخطيب إلى ملوك المغرب ، عن حوادث الأندلس ، وغزوات سلطانه في أرض النصارى . ونقل إلينا المقرئ في كتابيه نفح الطيب وأزهار الرياض عدداً كبيراً من المراسيم والرسائل السياسية التي كتبها ابن الخطيب في مختلف المناسبات ، كما نقل إلينا الكاتب المصري أبو العباس القلقشندي ، في موسوعته « صبح الأعشى » بعض الرسائل التي وجهها سلاطين غرناطة إلى سلاطين مصر المعاصرين مدبرة بقلم ابن الخطيب .

وترك لنا ابن الخطيب عدداً كبيراً من الرسائل الأدبية ، ورسائل المودة والصداقة ، التي كان يتبادلها مع شيوخه وأقرانه ، وأكابر معاصريه ، وقد أورد لنا في الإحاطة كثيراً منها ، ونقل إلينا ابن خلدون في « التعريف » بعضها .

وتمتاز رسائل ابن الخطيب بالأسلوب الرصين المشرق ، واللفظ الجزل المختار ، وبالرغم من أن معظمها يجري على قاعدة السجع ، فإنها على الأغلب خالية من روح التكلف ، الذي يجنى أحياناً على الأسلوب والمعنى . ولا بن الخطيب براعة خاصة في تخير الألفاظ ، وإبراز المعاني ، لا يجاريه فيها الكثيرون من أكابر الكتاب .

ولابن الخطيب مقدرة فائقة على تخير أساليب المدح والذم . ومديحه غالباً من النوع الرفيع الذى لا يشوبه التنزل الوضع ، بل تطبعه دائماً نزعة من الاعتزاز والكرامة ، يبدو ذلك فى كثير من تراجم الإحاطة ، وفى كثير من رسائله السلطانية . ونستطيع أن تقدم لمديحه الأدبى مثلاً بترجمة أستاذه وصديقه ابن صفوان فى « الإحاطة » وما كتبه عنه فى « الدرر الفاخرة » ، وهو الديوان الذى جمعه من شعره ؛ وما ورد فى ترجمته لابن خاتمة ، شاعر المريّة الكبير ؛ وأن نقدم مثلاً لمديحه السياسى بما كتبه عن سلاطين غرناطة المعاصرين ، وما ورد فى ترجمة صديقه وزميله الوزير الكبير الحاجب رضوان النصرى . وفى هذه التراجم عبارات مختارة من أساليب المدح الرفيع الذى يفيض اعتزازاً وكرامة ، واتزاناً فى الوصف والتصوير .

وكما أن ابن الخطيب يبدى اعتزازه فى كثير من المواطن بمنزلته السياسية ، فهو كذلك يبالغ فى الاعتزاز بكرامته ومنزلته الأدبية ، ويذهب أحياناً فى ذلك إلى حدود العجب والكبر . وهو لا يحجم عن أن يذكرنا أحياناً بأنه من أعظم شخصيات عصره فى دولة الأدب . وإليك ما يقوله مثلاً فى ديباجة كتابه المسمى « السحر والشعر » :

« وبعد فإنه لما قبض الله منى للآداب محلى سماتها ، وناشر رممها بعد مماتها ، وصاقل صفحاتها ، وقد محاسنها الصداً على بعد المدا ، وموضح طريققتها المثلى ، وقد أضحت طرائق قدداً ، والعاشى الى ضوء نارها لعلّى أجد على النار هدى » .

وأما فى الذم فإن ابن الخطيب يلجأ أحياناً إلى الأساليب المضطربة والعبارات القاذفة العنيفة ، ويطلق العنان لضغنه وحقده . ولنا فى ذلك أمثلة كثيرة فى الإحاطة ، أبرزها ما كتبه (نقلاً عن كتابه نفاضة الجراب) ، فى ترجمة السلطان محمد بن إسماعيل بن محمد بن فرج بن نصر ، وهو السلطان المتوثب على أخيه السلطان الغنى بالله ، والذى انتزع منه الملك لفترة فقد فيها ابن الخطيب منصبه وثروته ،

ونفى مع سلطانه الخلويع إلى المغرب . فهو يقول لنا مثلاً في وصف السلطان المذكور ما يأتي :

« كان شيطاناً ذميم الخلق ، حرفوشاً على عرف المشاركة ، مترامياً للخسائس ، مألفاً للذعرة والأجلاف والسوار وأولى الريب ، خبيثاً ، كثير النكر ، منغمساً في العهن ، كلفاً بالأحداث ، متقلباً عليهم في الطرق ، خليع الرسن ، ساقط الحشمة ، كثير التبذل ، قواد عصبة كلاب . . . الخ » .

وفي وصف وزيره : « استوز الوزير المشثوم ، ممدّه في النغى ، الوغد ، الجهول ، المرتاش من السرقة ، الحقود على عباد الله لغير علة عن سوء العاقبة ، المخالف في الأدب سنن الشريعة ، البعيد عن الخير بالعادة والطبيعة ، دودة القز ، وبغل طاحونة الغدر ، محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهرى ؛ فانطلقت يده على الإبشار ، ولسانه على الأعراض ، وعينه على النظر الشرر ، وصدره على التأوه والرين ، يلقي الرجل كأنه قاتل أبيه ، محدقاً إلى كفيه ، يحترش بهما خبيثة ، أو يظن بهما رشوة .. الخ » .

ونستطيع أيضاً أن نمثل لأساليب ابن الخطيب في الذم ، بما ورد في رسالته المضطربة التي يرد بها على خصمه القاضي أبي الحسن النباهي ، التي سبقت الإشارة إليها .

ومما يتميز به أسلوب ابن الخطيب بنوع خاص ، روحه النقدية العالية ، فهو يبدى في تناول الشخصيات ، وفي وصفها وتحليلها ، مقدرة فائقة لا يكاد يجاريه فيها أحد من كتاب التراجم المسلمين ، اللهم إلا شمس الدين السخاوي المصري صاحب « الضوء اللامع » ، في أعيان القرن التاسع « فإنه قرينه ومنافسه الحق ، في تلك الروح النقدية القوية . وابن الخطيب الى جانب ذلك غزير المادة في التنويع والابتكار ، يبدى براعة مدهشة في التنقل في نواحي الوصف ، من الأخلاق الشخصية ، إلى المواهب الأدبية والفنية ، إلى الحوادث الجارية ، وهو في ذلك كله فنان موهوب ،

يقدم إلينا تلك الجمهرة الكبيرة من العلماء والكتاب والشعراء ، والوزراء ، والأمراء الذين تضمهم « الإحاطة » في صور متباينة ساحرة ، تتم عن فائق مقدرة الأدبية والفنية .

وأما في الشعر فإن ابن الخطيب يرتفع إلى أسمى المراتب ، ويمتاز شعره بالتنوع الكثير . فقد نظم في شئون السياسة ، وفي المديح ، والغزل ، والزهد ، والتصوف ، والمدائح النبوية ، وهو يبدى في سائر قصائده براعة في ابتكار المعاني ، وفي صوغ الخيال ، واختيار اللفظ المشرق .

وكان ابن الخطيب بالأخص ، من أئمة الموشحات الأندلسية ، ومن أشهر ما نظم منها موشحته الذائعة الصيت التي مطلعها :

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى يَازْمَانَ الْوَصْلُ بِالْأَنْدَلُسِ
لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلَّا حُلْمًا فِي الْكَرَى أَوْخُلَسَةُ الْمُخْتَلِسِ
إِذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ الْمُنَى يَنْقُلُ الْخَطْوَ عَلَى مَا يَرْسُمُ
زُمَرًا بَيْنَ فُرَادَى وَثُنَا مِثْلَ مَا يَدْعُو الْوَفُودَ الْمَوْسِمُ
وَالْحَيَا قَدْ جَلَّلَ الرَّوْضَ سَنَا فَتُغَوِّرُ الزَّهْرُ مِنْهُ تَبَسُّمُ (١)

ولا محل لأن نورد هنا شيئاً من شعر ابن الخطيب أو نثره ، فسوف يرد الكثير منها في هذا الكتاب « الإحاطة » . ومن جهة أخرى فقد أفرد المقرئ في كتابه « نفح الطيب » مجلدين كبيرين هما الثالث والرابع لابن الخطيب وأخباره وشعره ونثره ، ونقل إلينا فيهما من مختلف كتبه ورسائله ، فصولاً وشذوراً لا تحصى ، كما

(١) نقل إلينا المقرئ هذه الموشحة بأكملها في نفح الطيب ج ٤ ص ١٩٨ وما بعدها . وكذلك أزهار الرياض ج ٢ ص ٢١٣ ، وأورد لنا المقرئ في كتابيه المذكورين طائفة كبيرة أخرى من موشحات ابن الخطيب .

نقل إلينا عشرات من قصائده ، وهذا عدا ما نقله من نثره ونظمه في كتابه « أزهار الرياض »^(١) .

ويصف لنا الأمير أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر معاصر ابن الخطيب ، خلاله ومواهبه ، في كتابه « نثر فرائد الجمان فيمن يضمني وإياهم الزمان » في تلك العبارات الرنانة :

« هو شاعر الدنيا ، وعلم المفرد والثنيا ، وكاتب الأرض إلى يوم العرض ، لا يدافع مدحه في الكتب ، ولا يجنح فيه إلى العتب ، آخر من تقدم في الماضي ، وسيف مقولة ليس بالكهام إذ هو الماضي ، وإلا فانظر كلام الكتاب الأول من العصبه ، كيف كان فيهم بالإفادة صاحب القصبة ، للبراعة بالبراعة ، وبه أسكت صائلهم ، وما حمدت بكرهم وأصائلهم ، المشربة بالحلاوة ، الممكنة من مفاصل الطلاوة ، وهو نفيس العدوتين ، ورئيس الدولتين ، بالاطلاع على العلوم العقلية ، والإمتاع بالفهوم النقلية » ثم يشير بعد ذلك إلى قسوته في الهجاء ، وإلى كونه قد هجا ابن عمه سلطان الأندلس بما لا يليق ويحمل^(٢) .

ويصف ابن خلدون في مقدمته ابن الخطيب بأنه « شاعر الأندلس والمغرب في عصره » وأنه « كان في اللسان ملكة لا تدرك »^(٣) . ويقول في وصف نثره وشعره ما يأتي : « وامتلاً حوض السلطان من نظمته ونثره مع انتقاء الجيد منه ، وبلغ في الشعر والترسل حيث لا يجارى فيهما ، وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر ، وملاً الدولة بمدايحه ، وانتشرت في الآفاق قدماه » . ثم يقول عن رسائله السلطانية « وصدرت عنه غرائب من الترسل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدو » .

(١) يراجع الجزء الأول من أزهار الرياض من ص ١٨٦ إلى نهايته .

(٢) أزهار الرياض ج ١ ص ١٩١ .

(٣) ابن خلدون في كتاب العبر - المقدمة ص ٥٢٢ و ٤٩٦ .

ولم تمنع المحنة التي نزلت بابن الخطيب وتراثه ، من جراء تدبير خصومه ، من أن يعود إليه اعتباره وتقديره الحق ، بعد انقضاء عصر السلطان الغنى بالله الذي توفي في سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م) . وفيما ورد في نص صيغة الوقف التي كتبت على نسخة كتاب « الإحاطة » التي حُبست على المدرسة اليوسفية أو جامعة غرناطة ، بقلم قاضي الجماعة الرئيس أبي يحيى بن عاصم ، والتي تحمل تاريخ وقفها وهو سنة ٨٢٩ هـ . من وصف كتاب الإحاطة والتنويه بقيمته وأهميته ، ووصف مؤلفه ، والارتفاع بقدره وعبقريته ، ما يدل على أن ذكرى ابن الخطيب ، عادت بعد نصف قرن من مصرعه ، تحتل مكانتها الحقة بين عظماء وطنه ، وعادت كتبه التي طوردت وأحرقت أيام الفتنة والتحامل ، تحتل مكانتها بين نفائس التراث الأندلسي^(١) .

ويشترك النقد الغربي الحديث في التنويه بمنزلة ابن الخطيب العلمية والأدبية . ويبدى المستشرقون الأسباب بالأخص إجلالهم لمواهبه وخلاله ، وإعجابهم بتفكيره وتراثه ، ويرون فيما خلفه من تاريخ غرناطة وجغرافيتها ، وأوصاف حياتها الاجتماعية ، أنفس ما انتهى إلينا في ذلك من تراث الكتاب المسلمين .

قال المستشرق مورينو نيتو Moreno Nieto في وصف ابن الخطيب وتراثه ما يأتي : « لا يوجد في تاريخ غرناطة الأدبي ، ما يمكن أن يقارن بهذا الكاتب الخصب ، فقد كانت معارفه موسوعة حقة ، وعبقريته تدعو إلى الإعجاب ، وكانت معارفه العلمية عظيمة . وقلمها حظى أسلوب كاتب مثله ، بما حظى به أسلوبه من البلاغة والرشاقة حسبما يقول ابن خلدون ؛ وقد برع بالأخص في علم السياسة وفي التاريخ ؛ وقد شهد حوادث سياسية لعب فيها دوراً كبيراً ، وكان مدى أعوام طويلة أميناً ومستشاراً للملك قابل خدماته بمجود مطبق .

(١) يراجع نص هذه الوقفية في أزهار الرياض ج ١ ص ٥٦ - ٥٨ .

« وإن تاريخ غرناطة حتى عصره ، ليعرف بالأخص من مؤلفاته ، بطريقة أتم وأكمل من أى عصر آخر ، من تاريخ الأندلس .

ويعتبر تاريخه للدولة النصرية ، وكتابه « الإحاطة » دائماً بين أعجب آثار الأدب الإسلامى .

ومنذ وفاة ابن الخطيب يخبو وينهار صرح العلوم فى الأندلس ^(١) .

ويصف العلامة المستشرق سيمونيت Simonet ابن الخطيب « بأمير الأدب الأندلسى الغرناطى » ^(٢) ويقول لنا إن شهرته وصلت إلى بلاط قشتالة ، وإنه يعرف فى توارينها « بابن خطين » Benhatin ويوصف بأنه « عالم كبير ، وفيلسوف ، ومستشار لملك غرناطة » .

ثم يقول : « إن ابن الخطيب قد ترك لنا آثاراً كثيرة ، فى النثر والشعر ، والتاريخ والجغرافيا ، والرحلات ، والبلاغة والشريعة والعلوم ، والأخلاق ، والدين ، والنبات والطب ، والبيطرة ، والموسيقى ، والفن الحربى ، والسياسة ، وكلها غنية فى الابتكار والتعمق والرشاقة » ^(٣) .

وأما من ناحية التصنيف الأدبى ، فإن صفة المؤرخ هى الغالبة فى كتابات ابن الخطيب ، فقد وضع أهم كتبه فى التاريخ ، والتاريخ المعاصر بنوع خاص ؛ ومؤلفاته التاريخية من أقيم المراجع فى تاريخ الأندلس والمغرب فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) . وكتاب « الإحاطة » وهو أضخم وأهم مؤلفاته ، هو معقد مجهوده التاريخى ؛ وقد كتب إلى جانبه عدة مؤلفات تاريخية أخرى هى :

(١) نقل إلينا هذه الفقرات المستشرق Pons Boigues فى معجمه Ensayo Bio-Bibliografico sobre los Historiadores y Geografos Arabigos Espanoles (Madrid 1898) p. 347.

(٢) Pons Boigues; ibid; p. 347

(٣) F.J. Simonet: Descripcion del Reino de Granada sacada de los Autores Arabigos. (Granada 1872) p. VI.

«اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية» و «طرفة العصر في دولة بني نصر» و
 «الحلل في نظم الدول» و «أعمال الأعلام فيمن بويح قبل الاحتلال» و «الآ
 الكامنة في أدباء المائة الثامنة» و «نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب» . ونسب
 أيضاً أن نعتبر «ريحانة الكتاب» وهو من أهم مؤلفاته ، مؤلفاً تاريخياً ، لما يته
 من رسائل تاريخية ذات أهمية خاصة .

ومعظم هذه المؤلفات يتعلق بتاريخ العصر الذي عاش فيه ابن الخطيب ، وت
 الملوك ، وأكابر الوزراء والعلماء والكتاب والشعراء الذين عاصروهم ، أو يقتربون
 العصر الذي عاش فيه ؛ وإن كان منها مثل الإحاطة ، ورقم الحلل ، وأعمال الأعا
 ما يضم شيئاً من تواريخ العصور السابقة .

وقد كان ابن الخطيب رجل سياسة من الطراز الأول ؛ وقد استطاع أن ي
 بعزمه وهمة سياسة الدولة النصرية أعواماً طويلة سواء إزاء دول اسبانيا النصراني
 أو دول المغرب. وتبدو أصالته السياسية في كثير من رسائله ونبوءاته ، ولعل أهم ما ي
 عنه في ذلك نظراته الصائبة إلى مصير الأندلس ؛ فقد كان هذا المؤرخ الثاقب الذ
 الذي يقرأ حجب المستقبل من عبر الماضي ، والسياسي البعيد النظر ، يرى في حواد
 الأندلس ، شبح المستقبل الرهيب واضحاً ، ويستشف بنافذ بصيرته ما وراء الحجب
 من نهاية محتومة لهذا الوطن ، الذي مزقته الأهواء وأضنته الفتن . وكان يرى هـ
 المصير الحزن قبل وقوعه بأكثر من قرن ، ويهيب بقومه وإخوانه المسلمين فيما و
 البحر ، أن يبادروا إلى غوثه ونصرته ، وإلى الجهاد في سبيل الدين والوطن ؛
 في ذلك رسائل عديدة مؤثرة يوجهها إلى قومه ، ويلفت نظرهم إلى الخطر الداهم
 الذي لا محيص من وقوعه ، إذا استمر تنازلهم وتواكلهم ؛ ومنها ما وجهه إلى مـ
 العدو من بني مرين ، يستنهض همهم لنصرة الوطن الأندلسي وإنجاده ، قبل

يفوت الوقت ، وهى رسائل تمتاز بروعة أسلوبها^(١) .

وأبلغ من ذلك كله فى الدلالة على شعور ابن الخطب بخطر الفناء الذى ينتظر الأندلس ، ما وجهه فى وصيته الى أولاده الثلاثة ، عبد الله ومحمد وعلى ، من النصيح بعدم الإسراف فى اقتناء العقارات بالأندلس ، إذ يقول لهم : « ومن رُزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد ، الذى لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه أجمع فى العقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه ، إن يتغلب العدو على بلده ، فى الافتضاح والافتقار ، ومعوفاً عن الانتقال أمام النوب الثقال . وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال فى الطلب أولى »^(٢) .

ولابن الخطيب أيضاً فصول فى السياسة الملكية ، مما تضمنته رسالة « كتاب الوزارة ومقامة السياسة » يشرح فيها واجب السلطان ، وخلال الوزير الصالح ، وأحوال الجند ، وما يجب لهم من توفير الجراية ، وتعويدهم على حسن الانقياد ؛ والعمال ووجوب حسن اختيارهم بتوفر الكفاية والأمانة ؛ وفى السياسة المنزلية أو الخاصة من السهر على تربية الأولاد ، وأحوال الخدم ، ووجوب أخذهم بحسن الانقياد ؛ والحرم ، وكيف يعاملن . ويورد ابن الخطيب هذه الفصول فى صورة مقامه بطلها الخليفة الرشيد ، وقد أرق ذات ليلة فأتى له الندماء بشيخ حكيم ، عابر سبيل ، فأخذ يتلو على الرشيد آراءه فى موضوعات السياسة الملكية والخاصية ؛ وقد كتب هذه الفصول بأسلوب مسجع ولكن جزل رصين^(٣) .

(١) أورد المقرئ فى أزهار الرياض ، وفى نفح الطيب كثيراً من هذه الرسائل . راجع أزهار الرياض ج ١ ص ٦٤ وص ٦٦ ، ونفح الطيب ج ٢ ص ٥٧١ .
 (٢) أورد لنا المقرئ نص هذه الوصية كاملاً فى نفح الطيب ج ٤ ص ٨١٧ وما بعدها ؛ وأزهار الرياض ج ١ ص ٣٢٠ وما بعدها .
 (٣) تراجع هذه الفصول فى نفح الطيب ج ٤ ص ٥٥٨ - ٥٦٥ .

(٥)

ترك لنا ابن الخطيب ، تراثا حافلا منوعا ، ما بين تاريخ ، وأدب ، وسياسة ، وطب ، وشعر ونثر ؛ وبلغت مؤلفاته أكثر من خمسين مؤلفا .

وقد انتهى إلينا من هذا التراث أكثره ، وهو المجموعة التاريخية والأدبية التي هي في الواقع ، لبُّ تراث ابن الخطيب ، والتي تلقى أعظم ضوء على تاريخ الأندلس والمغرب في القرن الثامن الهجري .

والظاهر أن مؤلفات ابن الخطيب ، التي لم تصل إلينا ، قد هلك معظمها في محنة إحراق كتبه التي وقعت في غرناطة في سنة ٧٧٣ هـ ، وهي من كتب الطب والتصوف والموسيقى ، وأن معظم كتبه التي نجت من تلك المحنة ، قد وصلت إلينا عن طريق المغرب .

وقد ذكر لنا ابن الخطيب ثبت مؤلفاته ، خلال ترجمته لنفسه ، في كتاب الإحاطة ، (مخطوطة الإسكوريال الكبيرة ص ٤٣٣) . ولكن هذا الثبت لا يتضمن كل كتبه ، لأنه انتهى من كتابة « الإحاطة » فيما يبدو في سنة ٧٧١ هـ ؛ ونقل المقرئ إلينا هذا الثبت في نفح الطيب وأزهار الرياض^(١) .

وإليك بيان مؤلفات ابن الخطيب التي نعرفها ، وما انتهى إلينا منها :

١ — كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » كما هو اسمه في مخطوطة دار الكتب ومخطوطة تونس ؛ أو الإحاطة بتاريخ غرناطة^(٢) أو الإحاطة في تاريخ غرناطة^(٣) ، هو أشهر كتب ابن الخطيب . وتوجد منه قطع مخطوطة في الإسكوريال ، والمكتبة

(١) في نفح الطيب ج ٤ ص ٦٥٣ - ٦٥٥ ، وفي أزهار الرياض ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٢) نفح الطيب ج ٤ ص ٦٥٦ .

(٣) أزهار الرياض ج ١ ص ٥٥ و ١٨٩ .

الوطنية وأكاديمية التاريخ بمديرية (مخطوطة تونس)، ودار الكتب المصرية، والجامع الأزهر (رواق المغاربة) حسبما فصلنا فيما تقدم .

٢ — «التاج المَحَلَّى في مساجلة القدح المعلى» . وفيه مختصر لتاريخ مملكة غرناطة منذ انشائها على يد بني نصر، وتراجم أعيانها في القرن الثامن الهجري ؛ ويوجد منه جزء بالمخطوط رقم ٥٥٤ بمكتبة الإسكوريال ، وهو «معيان الإختبار» من تأليف ابن الخطيب أيضاً ؛ ويشغل في هذا المخطوط من لوحة ٧١ إلى نهايته في لوحة ١٢٣ . وقد نقل إلينا المرقى منه كثيراً من التراجم .

وأما «القدح المعلى» الذي يقرن به ابن الخطيب ، عنوان كتابه ، فهو من تأليف ابن سعيد (أبي الحسن علي بن موسى) المتوفى في سنة ٦٦٦ هـ . أو ٦٧٣ هـ . وفقاً لابن الخطيب . وهو يضم تراجم الأدباء الأندلسيين في القرن السابع الهجري .

٣ — «الكتيبة الكامنة فيمن لقيته بالأندلس من شعراء المائة الثامنة» أو «الكتيبة الكامنة في أهل المائة الثامنة» . ويقول ابن الخطيب في ديباجته : إنه جمع فيه « جملة وافرة ، وكتيبة ظافرة ، ممن لقيناه ببلدنا ، الذي طوينا جديد العمر في ظله » . « ما بين من تلقينا إفادته ، وأكرمنا وفادته ، وبين من علمنا ، وخرجنا ، ووشحنا ودرجنا ، ومن اصطفيناه ، ورعيناه فضلاً صنعناه » . وفيه يترجم ابن الخطيب لطائفة من الخطباء والشعراء ، والمقرئين والفقهاء والكتاب ، المعاصرين له . ويورد مختارات من شعرهم ، وأحياناً من نثرهم . وتوجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة أكاديمية التاريخ تقع في ٨٦ لوحة كبيرة ، استنسخها العلامة المستشرق كوديرا عن نسخة مخطوطة بالجزائر كتبت في سنة ٧٣٨ هـ . ويدل هذا التاريخ ، على أن هذا الكتاب من أوائل مؤلفات ابن الخطيب ، وأنه وضعه في شبابه ، ولما يتجاوز الخامسة والعشرين .

٤ — «ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب» . وفيه يفصل ابن الخطيب في ديباجته محتوياته على النحو الآتي : «تمهيدات من أوائل المصنفات» . وفي هذا الباب يختار

ابن الخطيب نبذاً من كتبه ورسائله السابقة ، مثل « بستان الدول » ، « وتخليص الذهب »^(١) ، « وجيش التوشيح » ، و « اللوحة البدرية » ، و « رقم الحلل » و « السحر والشعر » ، و « التاج المحلى » ، و « الأكليل الزاهر » ، و « الإحاطة » ، « وكتاب الطب » ، و « روضة التعريف بالحب الشريف » و « استنزال اللطف الموجود في أسرار الوجود » . ثم يضمه بعد ذلك طائفة كبيرة من الرسائل السلطانية التي كتبها عن سلاطين غرناطة والمغرب في أغراض الحرب والسياسة في باب يسميه « جمهور أغراض السلطانيات » . ويلى ذلك طائفة أخرى من الرسائل التي خاطب بها أرباب المناصب . ثم يورد بعض رسائل « التعازى عن النائبات » وكتب « الرسائل والشفاعات » و « مخاطبة الرعايا والجهات » . وتليها رسائل في « جمهور الإخوانيات » . ثم يتحدث بعد ذلك عن بعض رجالات عصره في باب يسميه « بعض أوصاف الناس والأغراض والصلات » . ويختتمه بطائفة من « رسائل المودة » ، والفكاهات والزواجر والعظات . وتوجد من هذا المؤلف الضخم نسخة كاملة في مكتبة الإسكوريال (تحمل رقم ١٨٢٥) . وتقع في مجلد كبير يتكون من ٢٨١ لوحة كبيرة . وقد كتبت في شوال سنة ٥٨٨٠ هـ . وتوجد منه قطعة كبيرة في مكتبة مدريد الوطنية تتكون من ٦٢ لوحة كبيرة وتحمل رقم (٥١٨٣) . كما توجد منه نسخة ناقصة أخرى بمكتبة الفاتيكان الرسولية برومة تقع في ١٢٨ لوحة متوسطة وتحمل رقم (٢٥٢) . Borg وتوجد منه أخيراً نسخة ناقصة ثالثة في مكتبة « أبسال » بالسويد تتكون من ١٥٤ لوحة . وقد نشر بعض فصوله وترجمها إلى الإسبانية المستشرق جيسبار ريمير و G. Remiro في مجلة Revista del Centro de Estudios Historicos de Granada y su Reino (سنة ١٩١٢) .

(١) وقد ورد اسمه في أزهار الرياض كاملاً وهو : « تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات » (ج ١ ص ١٩٠) ولم نقف على أثر لهذا المؤلف . والظاهر أنه لم يصل إلينا .

٥ — « اللوحة البدرية في الدولة النصرية » . وهو مختصر لتاريخ بني نصر ملوك غرناطة حتى سنة ٧٦٥ هـ ، موجود بالإسكوريال رقم (١٧٧١) . وطبع بالقاهرة سنة ١٩٤٧ .

وقد أشار ابن الخطيب في كتاب « اللوحة البدرية » (ص ٢٧) إلى كتاب له عنوانه : « الإمارة عن وجه الإحاطة فيما أمكن من تاريخ غرناطة » . ولم يرد ذكر لهذا المؤلف ضمن كتبه ، ولم يشر إليه أحد ممن عنوا بتعداد مؤلفاته . ويغلب على الظن أنه ملخص آخر لتاريخ غرناطة على نمط « اللوحة البدرية » . و « طرفة العصر » . وربما كان مشروعاً لكتاب بدىء بوضعه ولم يتم .

٦ — « رقم الحلل في نظم الدول » . وهو عبارة عن تاريخ شعري للدول الإسلامية في المشرق والأندلس ، ويلى كل قصيدة شرحها . في مجلد متوسط موجود بالإسكوريال (رقم ١٧٧٦) ومكتبة مدريد الوطنية ، ودار الكتب المصرية . وطبع بتونس سنة ١٣١٦ هـ . وهو يسمى أحياناً « بالحلل المرقومة » كما هو الشأن في نسخة مدريد المخطوطة المنقولة عن نسخة الإسكوريال . وقد اختلط الأمر في ذلك على العلامة المستشرق زيبولد فظن أنهما كتابين مختلفين^(١) والواقع أنهما اسمان لنفس المؤلف .

٧ — « نفاضة الجراب في علالة الاغتراب » . وفيه يصف ابن الخطيب بعض أحواله وأخباره ، أثناء مقامه منفياً بالمغرب ، في المدة الأولى ، ورحلته إلى سلا ، وإلى مدينة أغمات حيث زار قبر المعتمد بن عباد ؛ ثم يضمّنه بعض الرسائل التي صدرت عنه يومئذ إلى بعض سلاطين المغرب ، وبعض فصول في تاريخ الأندلس ؛ وهو مجلد متوسط يقع في ١٥٩ لوحة ، وموجود بالإسكوريال (رقم ١٧٥٥) .

٨ — « كناسة الدكان بعد انتقال السكان » . وهو مجموعة رسائل موجهة من سلطان الأندلس أبي الحجاج يوسف ، إلى السلطان أبي عنان المريني ملك المغرب

(١) دائرة المعارف الإسلامية — ترجمة ابن الخطيب .

يشرح فيها بعض حوادث الأندلس مدبجة بقلم ابن الخطيب ، وبعض رسائل أخرى من أبي عنان إلى سلطان غرناطة . وقد جمعها ابن الخطيب في هذا الكتاب أثناء إقامته بسلا . مجلد صغير في ٥٠ لوحة ، وموجود بالإسكوريال (رقم ١٧١٢) .

٩ — « أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام » . وقد ألفه ابن الخطيب أثناء إقامته منفياً بالمغرب للمرة الثانية عقب وفاة السلطان عبد العزيز المريني سنة (٧٧٤ هـ) ، وتنصيب الوزير أبي بكر بن غازي لولده السعيد الطفل ملكاً ؛ فقد أثار خصوم ابن غازي حملة شديدة على تولية الطفل ، فألف ابن الخطيب كتابه هذا ليثبت فيه أن لهذا الحادث نظائر كثيرة في التاريخ الإسلامي ، وأنه تصرف سليم لا يخالف أحكام الدين في شيء . في جزءين يختص أولهما بتاريخ الشرق الإسلامي ، ويختص الثاني بتاريخ الأندلس ولا سيما أخبار ملوك الطوائف وبنو الأحمر وملوك النصارى ، وذلك على سبيل الاختصار . موجود منه نسخة في مكتبة أكاديمية التاريخ بمدريد منقولة عن نسخة بالجزائر ، وفي مستهلها أن هذا الكتاب هو آخر ما ألفه ابن الخطيب . ونشر منه الأستاذ ليثي بروقتسال في سنة ١٩٣٤ القسم الخاص بأخبار الجزيرة الأندلسية في مجلد كبير .

١٠ — « السحر والشعر » . هذا الكتاب ليس من قلم ابن الخطيب ، ولكنه من تصنيفه . وهو مجموعة شعرية اختارها ؛ ويحمل هذا العنوان على ورقة غلافه . وقد ذكر ابن الخطيب في مقدمته ، أنه لمناسبة ترعرع ولده عبد الله ، قد اغتم هذه الفرصة ، واختار له طائفة من القصائد تتعلق بالوصايا ، وقد اختارها من شعر المشاركة والمغاربة على السواء ؛ ومن اختار من شعرهم من المشاركة : ابن نباتة ، والصابي ، ومهيار ، وابن الرومي ، والشريف الرضي ، والبحترى ، وابن المعتز ، وعمارة اليمنى ؛ ومن المغاربة (أى الأندلسيين) : ابن اللبانة ، وابن عبدون ، وابن الجياب ، وابن صامح ، وابن هذيل وغيرهم . ويورد ابن الخطيب قطعاً من شعره في مواطن

كثيرة . وقد راعى فى قسمه الأول « نمط الشعر » . وفى قسمه الثانى « نمط السحر » . توجد منه نسختان بالإسكوريال ، الأولى كاملة ولكن دون عنوان وتحمل رقم ٤٥٦ وتقع فى ١٤٤ لوحة متوسطة . والثانية ناقصة وتحمل رقم ٤٥٥ (ديرنبور رقم ٢٩٩) . وتقع فى ١٠١ لوحة متوسطة .

١١ - « معيار الاختبار فى ذكر المشاهد والديار » أوفى « ذكر المعاهد والآثار » . وهو وصف نثرى مسجع لمدن ومملكة غرناطة ووصف محاسنها وعيوبها ، كما يتضمن وصف بعض المدن المغربية ، وكذلك عدة تراجم أندلسية مسجعة ؛ وقد كتب فى « مجالس » على طريقة المحاورة . موجودة بالإسكوريال ضمن مجموعة تحتوى على رسائل أخرى حسبما يحىء (رقم ٥٥٤ الغزيرى) ، وقد ذكر فى نهاية المخطوط أنه كتب سنة ٨٧٣ هـ . ويتضمن المخطوط جزءاً من كتاب « التاج الحلى » حسبما تقدم . وقد نشر المستشرق الأسباني سيمونيت القسم الأول من « معيار الاختبار » وهو المتعلق بغرناطة وترجمه إلى الأسبانية بعنوان : *Descripción del Reino de Granada bajo la Dominación de las Nazaritas* (Madrid 1861) « وصف مملكة غرناطة فى عهد بنى نصر » . ونشر باقيه المستشرق الألماني ميللر متضمناً لوصف جبل الفتح ، ووصف سبتة ومراكش وأغمت فى مجموعة : *Beitaäge zur Geschichte des Westlichen Araber.* (München 1866) (ص ٤٥ - ١٠٠) كما نشر الكتاب كله فى فاس سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧) .

١٢ - وهناك مؤلف تاريخى ينسب خطأ لابن الخطيب . وهو كتاب « الحلل الموشية فى الأخبار المراكشية » وقد طبع فى تونس سنة ١٣٣٧ هـ منسوباً لابن الخطيب وصدرت ديباجته بالعبارة الآتية : « قال الشيخ الأديب البارع لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله » ، ولكن ينقض ذلك ويقضى بزيفه ما ورد فى ختام الكتاب عند ذكر ولاية السلطان أبى زيد عبد الرحمن المتوكل على الله إذ جاء فيه : « واستقر بحاضرة مراكش فى شهر المحرم من عام ستة وسبعين وسبعائة . وهو إلى

هذا العهد الذى ألفت فيه هذا المجموع يوم الخميس الثانى عشر لربيع الأول من عام ثلاثة وثمانين وسبعائة » (ص ١٣٦) . ونحن نعرف أن ابن الخطيب توفى فى أوائل سنة ٧٧٦ هـ ، أى قبل هذا التاريخ بسبعة أعوام . وإذن فمن الواضح قطعاً أنه ليس مؤلف هذا الكتاب . ومؤلفه كاتب مجهول لم يكشف عن شخصه .

١٣ - « بستان الدول » . وهو كتاب فى السياسة ، والقضاء ، والحرب ، وأهل المهن والحرف ، وطوائف الشعب ، تخصص لكل منها فيه « شجرة » ؛ وهو كتاب لم يكمل ، ولم يصل إلينا . ويقول لنا ابن الخطيب فى الإحاطة : « إنه كتب منه ثلاثين سفرًا ثم عاقته الحوادث عن إتمامه ^(١) .

١٤ - « طرفة العصر » ، فى تاريخ دولة بنى نصر . هو مختصر آخر لتاريخ الدولة النصرية . ويعتقد العلامة قسطنفلد خطأ أنه اسم آخر لكتاب « اللوحة البدرية » . ولكننا بمقارنة الفقرات التى يقتبسها ابن الخطيب فى الإحاطة من « طرفة العصر » و « اللوحة البدرية » ، وكذلك بمراجعة كتاب اللوحة البدرية ، حيث يقتبس ابن الخطيب من « طرفة العصر » اتبيننا إلى أن الكتابين مختلفين .

١٥ - « مفاضلة أو مفاخرة بين مألقة وسلا » . رسالة مسجعة موجودة بالإسكوريال ضمن المخطوط (رقم ٥٥٤ الغزيرى) الذى يحتوى على رسالة معيار الاختبار كما تقدم ، والمخطوط رقم (١٨٢٠ الغزيرى) . وقد نشرها المستشرق ميلر فى كتابه الذى سبقت الإشارة إليه : Beiträge (ص ١ - ١٣) .

١٦ - « خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف » . رسالة كتبها ابن الخطيب فى سنة ٧٤٨ هـ يصف فيها رحلة قام بها مع السلطان يوسف أبى الحجاج فى الحرم من هذا العام ، وزار فيها عدة من مدن الأندلس مثل بسطة ، ووادى آش ، والحامة ، وقنالش ، ومبرشانة ، والمرية ، ومُرشانة ، ولورسانة ، وغيرها . وقد كتبت بأسلوب

(١) نفع الطيب ج ٤ ص ٦٥٣ ، وأزهار الرياض ج ١ ص ١٩٠ .

مسجع جزل . موجودة بالإسكوريال ضمن المخطوط رقم ٤٧٠ (ديرنبور ص ٢٩٩)
(وتشغل فيه من لوحة ٥٠ حتى لوحة ٦٨) . وقد نشرها المستشرق ميلر في كتابه
الذي سبقت الإشارة إليه Beitrage (ص ١٤ — ٤١) .

١٧ — « رسالة في السياسية » . ويقول لنا ابن الخطيب إنه أملاها في ليلة
واحدة . وقد كتبت على نمط المقامات . وتليها الرسالة التي عنوانها : « كتاب
الإشارة إلى أدب الوزارة في السياسة » . وفيها يتناول صفات الوزير وواجباته ،
وشروط اختياره . وقد وردت الرسالتان ضمن مجموعة الإسكوريال الخطية (رقم ٥٥٤
الغزيري) التي سبقت الإشارة إليها ، ونقلها المقرئ في « نفح الطيب » كما تقدم .

١٨ — « الإكليل الزاهر ، فيمن فصل عند نظم التاج والجواهر » . يتناول فيه
تراجم أعلام معاصريه ، وهو تكملة لكتابه « التاج المحلى » . وقد نقل إلينا المقرئ
منه كثيراً من التراجم والنبد .

١٩ — « مقنعة السائل عن المرض الهائل » . وهي رسالة كتبها ابن الخطيب عن
الطاعون الجارف ، الذي دهم الأندلس وسائر العالم الإسلامي سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م)
يصف فيها ظروف ظهوره ، وروعة انتشاره ، وأعراضه الأولى ، وسبل التحوط
منه . ويورد دعاء للاستغاثة منه . موجودة ضمن مجموعة خطية بالإسكوريال في عشر
لوحات (الغزيري رقم ١٧٨٥) . وقد نشرت هذه الرسالة مع ترجمتها الألمانية في
مجلة أكاديمية العلوم البافارية Bayerische Akademie der Wissenschaft.
(سنة ١٨٦٣) .

٢٠ — « عمل من طب لمن حب » . وهو مؤلف طبي كبير يتناول فيه ابن
الخطيب الأمراض المختلفة . ويذكر لنا أسباب كل مرض وأعراضه وعلاجه ،
وتحولاته ، ونظام الغذاء الذي يناسبه . ويتحدث فيه عن مختلف أعضاء الجسم
وطرق العناية بها . ويذكر في ديباجته بعد مديح طويل للسلطان أبي سالم المريني ،

أنه لم يجد لخدمته أفضل من الطب « الذى تكون الوسيلة به أول ذريعة لحفظ صحته . وهذا الغرض هو ما هو أصل الدين والدنيا ، وحفظ للسجايا البرة ، والشيم العليا » . وقد كتب هذا الكتاب فى سنة ٧٦١ هـ . أثناء إقامته منفياً ببلاط السلطان المذكور . وتوجد منه نسخة فى مكتبة مدريد الوطنية فى ١٥١ لوحة كبيرة . وهو مخطوط حديث نوعاً .

٢١ - ولابن الخطيب عدة رسائل طبية وصحية أخرى نذكر منها : المسائل الطبية ؛ الرجز فى عمل الترياق ؛ اليوسفى فى الطب ؛ رسالة تكوين الجنين ؛ الوصول لحفظ الصحة فى الفصول^(١) ؛ رجز الطب ؛ رجز الأغذية ؛ ثم البيطرة والبيطرة . وقد ذكرها لنا جميعاً فى كتاب « الإحاطة » ونقلها إلينا المقرئ فى نفح الطيب وأزهار الرياض .

٢٢ - وكتب ابن الخطيب فى التصوف قصيدته المسماة « روضة التعريف بالحب الشريف » ، ورسائله المسماة « استنزال اللطف الموجود فى سير الوجود » .

٢٣ - وكتب رسالة فى التوثيق عنوانها « مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة » . وهو يشير إليها فى الإحاطة فى ترجمة ابن القباب .

٢٤ - ووضع ابن الخطيب فى الفقه رجزاً فى أصول الفقه ، تولى شرحه بعد ذلك المؤرخ ابن خلدون ، ولم يصل إلينا الأصل ولا الشرح .

٢٥ - وجمع ابن الخطيب مجموعة من شعر أستاذه الوزير ابن الجياب . وجمع مجموعة أخرى أيام مقامه بمالقة فى سنة ٧٤٤ هـ من شعر أستاذه وصديقه أبى جعفر بن صفوان ، أسماها « الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة » وذلك حسبما يذكر فى ترجمته فى « الإحاطة » .

(١) ومنها نسخة خطية فى برلين .

٢٦ — وجمع ابن الخطيب مجموعة مختارة من موشحات أئمة التوشيح بالأندلس، مثل ابن بقي ، وابن اللبانة ، والأعمى التطيلي ، وعبادة القزاز ، وابن لبون ، وأبي بكر السرقسطي وغيرهم ، في كتاب سماه « جيش التوشيح » . والظاهر أنه قام بتصنيفه أثناء مقامه بالمغرب برسم أمير أو سلطان حسبما يبدو ذلك من ديباجته القصيرة . وتوجد منه نسخة خطية بجامع الزيتونة بتونس ، تقع في نحو ١٢٠ لوحة متوسطة .

٢٧ — وكتب ابن الخطيب ذيلًا لكتاب « الصلة » لابن الزبير سماه « عائد الصلة » جمع فيه طائفة من تراجم الأعلام اللاحقين ، وهو يذكره في « الإحاطة » في ترجمة مؤلف « الصلة » ويذكر أنه افتح الأسماء فيه باسم « ابن الزبير » . ويقتبس منه كثيراً .

٢٨ — واختار ابن الخطيب من شعره ، أو اختار له بعض تلاميذه « الديوان » أى ديوان شعره ، ولم يصل إلينا هذا الديوان . ولكن ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (رقم ٥٦٤٢) .

٢٩ — وألف ابن الخطيب رسالة في الموسيقى لم تصل إلينا .

٣٠ — وكتب ابن الخطيب أخيراً أثناء مقامه منفياً بالمغرب ، رسالة في الرد على خصمه القاضي النباهي أسماها « خلع الرسن في أمر القاضي أبي الحسن » . وقد سبقت الإشارة إليها .

وقد وضع ابن الخطيب كثيراً من كتبه ورسائله التي ذكرناها بعد تأليفه كتاب الإحاطة ، ولذلك لم يذكرها ضمن مؤلفاته في ترجمته لنفسه في « الإحاطة » . ولم يصل إلينا من هذه الكتب والرسائل الأخيرة سوى القليل ، ومعظم ما وصل إلينا منها ، أورده المقرئ في نفع الطيب وأزهار الرياض .

تلك هي مؤلفات ابن الخطيب ورسائله ، ما وصل إلينا منها وما لم يصل ، وقد بلغت أكثر من خمسين كتاباً ورسالة . وفي مجموعة مؤلفاته ورسائله التي وصلت إلينا ، والتي أتينا على ذكرها فيما تقدم ، وفي تنوعها بين التاريخ ، والأدب ، والسياسة ، والعلوم ، وبين الشعر والنثر ، وفي أساليبها البليغة العالية ، ما يدل على أهمية التراث الأدبي القيم ، الذي خلفه لنا ذلك المفكر والكاتب السياسي الأندلسي الكبير^(١) .

(٦)

بقيت كلمة عن كتاب « الإحاطة » ذاته ، وعن موضوعه وتاريخ تأليفه . إن عنوان كتاب « الإحاطة » وهو « الإحاطة في أخبار غرناطة » يدل على موضوعه ، فهو ليس تاريخاً لغرناطة بالمعنى المحدود ، ولكنه عبارة عن موسوعة شاملة لكل ما يتعلق بهذه المدينة الأندلسية الثالثة من الأخبار والأوصاف والعالم ؛ فهو يتناول وصفها ، وجغرافيتها ، وخططها ، ومواقعها ، وما يحيط بها من المروج والجبال . ثم يتناول تاريخها منذ نزول العرب الأوائل بها ، وتواريخ من كان بها من العلماء ، والكتاب ، والشعراء ، والأدباء ، والأمراء ، والمتغلبين ، منذ عصر الفتح حتى قيام الدولة النصرانية ، ثم تاريخ الدولة النصرانية ، وتاريخ سلاطينها ، منذ مؤسسها محمد ابن الأحمر حتى عصره .

(١) راجع في ذكر مؤلفات ابن الخطيب والتعريف بها C. Brockelmann: Geschichte der Arabischen Literatur (1948) B. II. p. 339.
وفهرس الإسكوريال للغزيري : Casiri : Bibliotheca Arabico-Hispana Escorialensis :
وفهرس الإسكوريال لديرنبور H. Direnbourg: Les Manuscrits Arabes de l'Escorial
F. Pons Boigues: Ensayo Bio-Bibliografico sobre los Historiadores y, V. I & V. III.
Geografos Arabigo-Espanoles (Madrid 1898) p. 334-347.
والمستشرق زيبولد : D.P. Gayangos: Mohamed an Dynasties, و Ency. de l'Islam; art. Ibnul Khat ibin Spain (Vol. I. p. 307).

وكذلك نفح الطيب ج ٤ ص ٦٥٣ - ٦٥٧ ، وأزهار الرياض ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠

ويقسم ابن الخطيب كتابه حسبما يقول لنا في خاتمة مقدمته إلى قسمين هما : « القسم الأول في حل المعاهد والأماكن ، والمنازل والمساكن » وهو يشتمل على الجزء الوصفى ، المتعلق بنشأة غرناطة وجغرافيتها ، وخططها ، وخواصها ، ومحاسنها ؛ وهو أصغر القسمين ، ويقع في نحو أربعين صفحة فقط . وثانيهما هو « القسم الثانى فى حل الزائر والقاطن ، والمتحرك والسكن » ، وهو عبارة عن هيكل الكتاب الرئيسى ، ويشمل سائر التراجم التى وردت فيه .

ويتناول ابن الخطيب تاريخ عصره ، وملوك عصره ، سواء فى الأندلس ، أو المغرب ، أو اسبانيا النصرانية ، بدقة وإفاضة ، ويصف ما وقع فيه من الأحداث السياسية والعسكرية ، وصف الخبير المطلع ، ورجل الدولة الواقف على دقائق الأمور ، والعوامل والأسباب .

ويورد لنا ابن الخطيب تراجم طائفة كبيرة من الأعلام والأكابر ، الذين عاشوا فى غرناطة أو نزلوا بها ، أو وفدوا عليها ، فى مختلف عصور الدولة الإسلامية ، ويفيض فى ذكر معاصريه من الملوك ، ثم ذكر أقرانه من الأكابر والوزراء ، مثل ابن الحكيم اللخمي ، والرئيس أبى الحسن بن الجياب ، ورضوان النصرى ، والوزير ابن زمرك ، وغيرهم . ويعنى عناية خاصة بترجمة أكابر العلماء ، والكتاب ، والشعراء ، من معاصريه ، سواء فى الأندلس أو المغرب ، ويورد لنا كثيراً من شعرهم ونثرهم .

وهو لا يلتزم فى كتابه الترتيب التاريخى ، للعصور والحوادث والأشخاص ، ولكنه يلتزم الترتيب الأبجدى ، لأصحاب التراجم . وهو يجمل طريقته فى تأليف « الإحاطة » فى مقدمته فى النبذة الآتية :

« والترتيب الذى انتهت إليه حيلتى ، وصرفت فى اختياره مخيلتى ، هو أنى ذكرت البلدة — حاطها الله — منبهاً منها على قديمها ، وطيب هوائها وأديمها ، وإشراق علاها ، ومحاسن حلاها ، ومن سكنها وتولاها ، وأحوال أناسها ، ومن دال بها من

ضروب القبائل ، وأجناسها ، وأعطيت صورتها ، وأزحت في الفخر ضرورتها ، وذكرنا الأسماء على الحروف المبوبة ، وفصلت أجناسهم بالتراجم المرتبة » .

وقد ذكر لنا ابن الخطيب مصادره في سياق كتابه ، وفي مقدمتها تواريخ ابن القوطية وبنى الرازي وتاريخ ابن حيان «المقتبس في رجال الأندلس» ، وقلائد العقيان للفتح بن خاقان ، والذخيرة لابن بسام ، وتاريخ مائقة لابن عسكر ، وكتاب البيان المغرب لابن عذارى المراكشي ، وكتاب روض القرطاس لابن أبي زرع الفاسي . ورجع فيما يتعلق بتاريخ الدولة المرابطية ، وسير أعيانها ، بالأخص إلى تاريخ ابن الصيرفي المسمى «بالأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية» وهو يكثر الاقتباس منه . وأما فيما يتعلق بالتراجم ، فقد رجع ابن الخطيب إلى تاريخ أبي القاسم الغافقي المسمى «تاريخ علماء البيرة» ، وإلى تاريخ ابن مسعدة المسمى «تاريخ قومه» ، وإلى «القدح المعلي في التاريخ المحلي» و«الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد» لأبي الحسن بن سعيد ، وإلى كتاب الحلة السيرة لابن الأبار ، وكتاب الصلة لابن بشكوال ، وصلة الصلة لأبي جعفر بن الزبير ، وكتاب التكملة لابن عبد الملك المراكشي^(١) .

ورجع فيما يتعلق بتراجم معاصريه وهم الكثرة الغالبة في كتاب الإحاطة ، من أشياخ وتلاميذ وأقران وغيرهم ، إلى مادة غزيرة من الوثائق والمعلومات الخاصة ، من ذوى الشأن أنفسهم ، أو من أقربائهم ومعارفهم . ورجع فيما يتعلق بسلاطين الدولة النصرية ووزرائها وأكابر دولتها إلى الوثائق والمحفوظات السلطانية والديوانية . ولا بد أنه استخدم في جمع هذه المعلومات وتنسيقها ، بعض الأقربين من معاونيه .

وينقل ابن الخطيب في كتاب «الإحاطة» ، نبذاً كثيرة من كتبه السابقة التي ألفها قبل الإحاطة ، ومنها كتاب «عائد الصلة» الذي جعله ذيلًا لصلة ابن الزبير ، وطرفة العصر في دولة بني نصر ، واللمحة البدرية في الدولة النصرية ، ونفاضة

(١) تناولنا التعريف بهؤلاء المؤرخين ومؤلفاتهم في هوامش خاصة ، في أماكن ذكرهم خلال سياق الكتاب .

الجواب ، والكتيبة الكامنة ، والتاج المحلى . وينقل ابن الخطيب فى بعض كتبه من البعض الآخر كثيراً من الشذور ، وهذه ظاهرة ملحوظة فى كثير من مؤلفاته .

وأما عن تاريخ تأليف كتاب الإحاطة ، فإنه يبدو أن ابن الخطيب ، قد بدأ فى كتابته أو جمع مواده ، قبل محنته الأولى ، أعنى قبل سنة ٧٦١ هـ ، وأنه استأنف الكتابة فيه ، عقب عوده من منفاه بالمغرب إلى غرناطة فى سنة ٧٦٣ هـ . وقد استمر ابن الخطيب فى وزارته الثانية ، متربعا فى دست الحكم والرياسة ، زهاء عشرة أعوام ؛ وقد كانت هذه الفترة الطويلة التى هى من ألمع فترات حياته ، وأكثرها استقراراً ، وأوفرها نضجاً ، من أخصب فترات إنتاجه ، وفيها وضع كثيراً من كتبه ورسائله ، ودبج كثيراً من النظم والنثر ؛ وفيها استمر فى كتابة الإحاطة حسبما يبدو فى كثير من إشاراته ، وإليك بعض الإشارات التى تؤيد هذه الحقيقة :

قال ابن الخطيب فى خاتمة ترجمته لنفسه « والحال إلى هذا العهد وهو منتصف عام خمسة وستين وسبعائة على ما ذكرته »^(١).

ويحدثنا فى ترجمة ابن الحاج ، عن أسره ومحنته فى جمادى الآخرة سنة ٧٦٨ هـ .^(٢) ويقول لنا فى ترجمة ابن خاتمة الأنصارى شاعر المرية « وهو الآن ب قيد الحياة ، وذلك ثانى عشر شعبان سنة سبعين وسبعائة »^(٣) .

ويسرد ابن الخطيب تاريخ الغزوات الأندلسية المعاصرة فى أراضى النصارى حتى سنة ٧٦٨ هـ ثم يقول لنا إن المسلمين استمروا فى غزواتهم حتى وصلوا إلى أحواز إشبيلية فى ربيع الأول سنة ٧٧١ هـ^(٤) .

(١) راجع نفع الطيب ج ٣ ص ٤٢ .

(٢) الإحاطة فى نهاية ترجمة « ابن الحاج » .

(٣) الإحاطة فى نهاية ترجمة « ابن خاتمة » .

(٤) الإحاطة المطبوع ج ٢ ص ٥٨ .

وقد تولى تلميذ ابن الخطيب ، أبو عبد الله الشريشي ، مؤدب أولاد السلطان ، نسخ كتاب الإحاطة لأول مرة من مسودات استاذة ، وكان يثق به ويعتمد على معاونته ، فجاءت هذه النسخة الأولى من الإحاطة حسبما يحدثنا المقرئ ، في ستة مجلدات^(١) . والظاهر أن ابن الخطيب لم يدون شيئاً في الإحاطة بعد سنة ٧٧١هـ أو سنة ٧٧٢هـ على الأكثر ، لأنه اضطر بعد ذلك بأشهر قلائل فقط إلى مغادرة الأندلس ملتجئاً إلى المغرب ، وذلك في أوائل سنة ٧٧٣هـ ، وقد شغل عندئذ في المغرب بكتابة كتب جديدة ، تملئها ظروف نفيه ، مثل كتاب « أعمال الأعلام » الذي ألفه في سنة ٧٧٤ — ٧٧٥هـ ، كما شغل بالرد على خصومه ، أمثال القاضي أبي الحسن النباهي وغيره .

(٧)

هذا وقد انتهينا بالبحث والمقارنة إلى أن مخطوطة دار الكتب المصرية ، من الجزء الأول من الإحاطة ، ومخطوطة مكتبة أكاديمية التاريخ بمدريد الموجودة في مجموعة العلامة جاينجوس ، وهي تحتوى على الأسفار السبعة الأولى ، من الإحاطة ، هما أقدم ما وصل إلينا من أجزاء الإحاطة الأولى ، وإلى أنهما في الوقت نفسه من حيث الكتابة والنص ، أقيمت وأصحها .

ولذلك رأينا أن تكون هاتان المخطوطتان معاً ، عمدتاً في تدوين هذا المجلد من « الإحاطة » ، وفي ضبطه وتحقيقه ، وذلك مع مقارنة نصيهما بنص نسخة كوديرا المحفوظة بمكتبة أكاديمية التاريخ بمدريد ، والمنقولة عن نسخة جامع الزيتونة بتونس ؛ ومع الاستعانة في هذا التحقيق بما نقل من « الإحاطة » من مختلف النصوص والتراجم في كتابي « نفح الطيب » و « أزهار الرياض » وهما أوفر المصنفات اللاحقة اقتباساً من « الإحاطة » ، وفي غيرها ؛ وكذلك بما نقل من هذه النصوص

(١) نفح الطيب ، ج ٤ ص ٧٥٧ .

في مؤلفات ابن الخطيب الأخرى التي بين أيدينا سواء من المخطوط أو المنشور .
وأخيراً بتتبع النبذ التي نقلها ابن الخطيب عن الكتاب المتقدمين في مصادرها
الأصلية ، مثل « الذخيرة » و « القلائد » و « المغرب » و « الحلة السراء » و « البيان
المغرب » وغيرها .

وقد عنيّا عناية خاصة بتحقيق الأعلام التاريخية والجغرافية ، ولا سيما الإسبانية منها
كما عنيّا بالتعريف بها في نبذ وهوامش عديدة .

وقد رأينا أن نستعين في ضبط النص وجلاء المعنى بالشكل الجزئي ، وإن كنا
لا نميل إلى اتباع هذه الطريقة . بيد أنها مما يرحب به في بعض الأوساط .

كما رأينا أن نقف في سياق هذا المجلد الأول من « الإحاطة » عند نهاية ترجمة محمد
ابن محمد بن يوسف ثاني الملوك النصريين . ولم نشأ مجازاة مخطوط « كوديرا »
(تونس) حيث يضم الجزء الأول منه نحو نصف الترجمة التالية . وهي ترجمة السلطان
محمد بن يوسف بن إسماعيل . وهي ترجمة طويلة تشغل نحو خمسين صفحة . ولم نشأ
أن ثبت جزءاً منها دون بقيتها .

وإنا لندرجو ، بعد هذا الجهد الذي بذلناه في إعداد هذا المجلد من « الإحاطة »
والذي استغرق منا فترة طويلة من العمل المتواصل ، بالقاهرة ومدرّيد والإسكوريال ،
أن نكون قد وفقنا إلى استجلاء نصه ، وإخراجه في خير الصور الممكنة ، بعيداً
ما أمكن عن شوائب الغموض والتحريف ، وأن نكون بذلك قد أدينا بعض
الواجب في سبيل التعاون في ميدان البحوث الأندلسية .

محمد عبد العنان

القاهرة في المحرم سنة ١٣٧٥
أغسطس سنة ١٩٥٥

رموز المخطوطات

رأينا أن نرسم في سياق النص إلى المخطوطات المختلفة التي كانت عمدتنا في تحقيق هذا المجلد من « الإحاطة » على النحو الآتي :

- ١ — مخطوط دار الكتب المصرية بحرف « ك » .
- ٢ — مخطوط أكاديمية التاريخ (جاينجوس) بحرف « ج » .
- ٣ — مخطوط كوديرا أو مخطوط تونس بحرف « ت » .
- ٤ — مخطوط رواق المغاربة بالجامع الأزهر وهو الذي رجعنا إليه في بعض التراجم التي وردت به بحرفي « ر . م » .
- ٥ — كذلك سوف نرسم إلى مخطوطي دار الكتب و جاينجوس مجتمعين بكلمة : المخطوطين .

الإحاطة في أخبار غرناطة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

[قال الشيخ الأديب البارع ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السَّلماني^(١) : أما بعد حمد الله الذي أحصى الخلائق عدداً ، وابتلاهم اليوم ليجزيهم غداً ، وجعل جياذهم تتسابق في ميادين الآجال إلى مدى ، وبأين بينهم في الصور والأخلاق ، والأعمال والأرزاق ، فلا يجدون بما قسمَ تحييصاً ، ولا فيما حكم مُلتحداً^(٢) ؛ وسِعَهُمْ عِلْمُهُ على تباين أفرانهم^(٣) ، وتكاثف أعدادهم ، والدأ وولداً ، ونسباً وبلداً ، ووفاةً ومولداً . فمنهم النبيه والحامل ، والحالى والعاطل ، والعالم والجاهل ؛ ولا يظلم ربك أحداً . وجعل لهم الأرض ذلولا يمشون في مناكبها ، ويتخذون من جبالها بيوتاً ، ومن متاعها عدداً ؛ وخصّ بعض أقطارها بمزايا تدعو إلى الاغتياب والاعتماد^(٤) ، وتحت على السكون والاستقرار ، متبواً فسيحاً ، وهواءً صحيحاً ، وماءً تَميراً ، وامتناعاً شهيراً ، ورزقاً رَغداً . فسبحان من جعل التفاضل في المساكن والساكن ، وعرف العباد عوارف اللطف ، في الظاهر والباطن ، ولم يترك شيئاً سدى .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى ملأ الكون نوراً وهدى ، وأوضح سبيل الحق ، وكانت طرائق قِداً^(٥) ، أعلى الأنام يداً ، وأشرف الخلق

(١) ما بين الحاصرتين وارد فقط في « ج » .

(٢) ملتحداً ، أى ملجأ .

(٣) جمع ، فرق ؛ أى على اختلاف طوائفهم .

(٤) الاعتماد ، أى الزيادة ، ومنها العبرة أو الحج الأصغر .

(٥) قِداً ، أى متعددة مختلفة .

ذاتنا ، وأكرمهم تَحْتِدا ، الذى أنجز الله به من نصر [دينه] ^(١) الحق موعدا ، حتى
 بلغت دعوته ما زوى ^(٢) له من هذا المغرب الأقصى ، فرفعت بكل هَضْبَة مَعْلَمًا ،
 وبَنَت بكل هَضْبَة مسجدا . والرضوانُ عن آله وأصحابه ، الذين كانوا لسماء سُنَّتِه
 عُمُدا ، ليوث العدا ، وغيوث الندى ، ما أقلَّ ساعدُ يداً ، وعمرُ بكر خالداً ، ومصباح
 بدا ، [فأرق سُهْداً] ^(٣) فإن الله عز وجهه ، جعل الكتاب لموارد العلم قيِّداً ، وجوارح
 اليراع تثير فى السهول الرقاع صيدا ، ولولا ذلك لم يشعر آتٍ فى الخلق بذهاب ،
 ولا اتصل شاهدٌ بغائب ، فماتت الفضائل بموت أهلها ، وأفلتت نجومها عن أعين
 مُجْتَليها ، فلم يُرْجِع إلى خبر يُنقل ، ولا دليل يُعقل ، ولا سياسة تُكْتَسَب ،
 ولا أصالة إليها يُنْتَسَب ، فهدى سبحانه وألهم ، وعلم الإنسان بالقلم [علم] ^(٤)
 ما لم يكن يعلم ، حتى ألفينا المراسم قائدةً ، والمرشد هاديةً ، والأخبار منقولةً ،
 والأسانيد موصولةً ، والأصول محررةً ، والتواريخ مقررةً ، والسير مذكورةً ،
 والآثار مأثورةً ، والفضائل من بعد أهلها باقيةً خالدةً ، والمآثر ناطقةً شاهدةً ،
 كأن النهار القرطاسُ ، والليل المدادُ ، ينافسان الليل والنهار ، فى عالم الكون
 والفساد ، فهما طويلا شيئا ولعا هُما بِنَثَره ، أو دفنا ذكرنا دعوا إلى نشره . فلو أن
 لسان الدهر نطق ، وتأمل لهذه المناقضة وتحقق ، لآتى بما شاء من عتبٍ ولوم ،
 وأنشَره علمه ما به كل يوم .

ولما كان الفنُّ التاريخي مأرب البشر ، ووسيلة إلى ضم النشر ، يعرفون به
 أنسابهم فى ذلك شرعاً وطبعاً ما فيه ، ويكتسبون به عقل ^(٥) التجربة فى حال
 السكون والرفيه ، ويستدلون ببعض ما يُبْدى به الدهر وما يخفيه ، ويُرى العاقل

(١) وردت فى «ك» ، وأغفلت فى «ج» .

(٢) زوى ، أى بعد ونهى .

(٣) وردت فى «ت» ، وأغفلت فى «ك» و «ج» .

(٤) وردت فى «ك» فقط .

(٥) هكذا وردت فى «ج» و «ت» ، وفى «ك» (حقول) .

من تصريف قدرة الله تعالى ما يشرح صدره بالإيمان ويشفّيه ، ويمر على مصارع الجبابة فيحسبه بذلك واعظاً ويكفيه ، وكتاب الله يتخلله من القصص ما يتم هذا الشاهد لهذا الفن ويؤفيه . وقال الله تعالى : « وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ » . وقال عز من قائل : « نَحْنُ نَقْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ » .

فَوَضَّحَ سَبِيلَ مُبِينٍ . وظهر^(١) أن القول^(٢) بفضلته يقتضيه عقل ودين ، وأن بعض المصنفين ، ممن ترك نومه لمن دونه ، وأَنْزَفَ ماءً شبابه مودعاً إياه بطن كتابه ، يقصده الناس ويردونه ، اختلفت في مثل هذا الباب أغراضهم . فمنهم من اعتنى بإثبات حوادث الزمان ، ومنهم من اعتنى برجاله بعد اختيار الأعيان ، عجزاً عن الإحاطة بهذا الشأن ، عموماً في أكثر الأقطار ، وخصوصاً في بعض البلدان .

فاستهدف إلى التعميم فرسانُ الـيـدـانِ ، وتوسعوا بحسب مادة الاطلاع وجهد الإمكان ؛ وجَنَحَ إلى التخصيص الأولوية بحسب ما ينحصره من المكان ، ويلزمه من حقوق السكان ، مغرمًا برعاية عهود وطنه ، وحسن العهد من الإيمان ، بادئًا بمن يعوله كما جاء في الطرق الحسان . فتذكرتُ جملةً من موضوعات^(٣) من أفراد لوطنه تاريخاً هزَّ إليها — علم الله — وفاءً وكرمًا ، ودار عليها ، بقول الله من رحمته الواسعة ، حرم ؛ كتاريخ مدينة بخارى لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الفخار . وتاريخ أصبهان لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ صاحب الحلية . وتاريخ أصبهان أيضاً لأبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن قنّدة الحافظ . وتاريخ نيسابور^(٤) للحاكم أبي عبد الله بن اليسع ، وذيله لعبد الغافر بن إسماعيل . وتاريخ همدان لأبي

(١) هكذا في « ت » . ووردت (يظهر) في كل من « ج » و « ك » .

(٢) هذا ما أورده « ك » و « ت » ، وفي « ج » (الفصل) .

(٣) في « ج » وفي « ك » (موضوعاته) .

(٤) نيسابور : مدينة قديمة من مدن خراسان تقع جنوب غربي طوس ، وكان لها أيام الدولة الإسلامية شأن عظيم ، وإليها ينتسب عدد كبير من العلماء .

شُجاع شيرَويه بن شهردار بن شيرويه محمد بن فناخسرو الديلمي . وتاريخ طبقات أهل شيراز لأبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن القصار . وتاريخ هراة^(١) أظنه لأبي عبد الله الحسن بن محمد الكتبي . وأخبار هراة أيضاً ومن نزها من التابعين وغيرهم من المحدثين لأبي إسحق أحمد بن ياسين الحداد . وتاريخ سمرقند لعبد الرحمن بن محمد الأردسي^(٢) . وتاريخ نَسَف^(٣) لجعفر بن محمد المعبر المستعفري . وتاريخ حُرْجان^(٤) لأبي القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي . وتاريخ الرِّقَّة لابن علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري . وتاريخ بغداد^(٥) للخطيب أبي بكر بن ثابت ، وذيله لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني . وأخبار بغداد لأحمد بن أبي طاهر . وتاريخ واسط لأبي الحسين علي بن الطيب الخلافي . وتاريخ من نزل حص من الصحابة ومن دخلها ، ومن ارتحل عنها ، ومن أعقب ، ولم يُعقب ، وحدث ولم يحدث ، لأبي القاسم عبد الصمد بن سعيد القاضي . وتاريخ دِمَشْق لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر^(٦) . وتاريخ مكة للأزرقي . وتاريخ المدينة لابن النجار . وتاريخ مصر لعبد الرحمن أحمد بن نواس . وتاريخ الإسكندرية

(١) هراة ، أو هرات مدينة قديمة تقع في شمال غربي أفغانستان ، وإليها ينتسب « الهروي » الرحالة الشهير .

(٢) الأردسي ، نسبة إلى أردستان وهي مدينة فارسية تقع على مقربة من أصبهان ، وقد وردت الكلمة محرفة في « ت » (الأندلسي) .

(٣) نسف من مدن التركستان ، وتقع جنوب شرق بخارى في طريق بلخ ، وقد رسمت محرفة في « ت » (نشب) وفي « ج » (نسب) .

(٤) جرجان مدينة فارسية قديمة تقع على مقربة من الطرف الجنوبي الشرقي لبحر قزوين وإليها ينتسب عدد كبير من علماء الحديث واللغة .

(٥) « تاريخ بغداد » للحافظ أبي بكر بن أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) ، وهو من أضخم التواريخ التي خصصت لمدينة عظيمة ، وقد نشر في القاهرة سنة ١٩٣١ في أربعة عشر مجلدا كبيرا .

(٦) « تاريخ مدينة دمشق » تأليف الحافظ أبي القاسم علي بن محمد بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) وهو كتاريخ الخطيب البغدادي موسوعة كبرى في تاريخ دمشق ومن حل بها من الأنبياء والخلفاء والولاة والعلماء والأدباء والشعراء وسائر الأكابر والأعيان على اختلاف طوائفهم . ومنه بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة غير كاملة في سبعة وثلاثين مجلداً .

لوجيه الدين أبي المظفر منصور بن سليمان بن منصور بن سليم الشافعي . وتاريخ طبقات
 فقهاء تونس لأبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي العباس بن خلف التميمي . وعنوان
 الدِّرَاية في ذكر من كان في المائة السابعة بِبِجَايةً، لأبي العباس بن الغبريني^(١) . وتاريخ
 تِلْمَسَان لابن الأصفر . وتاريخها أيضاً لابن هَدِيَّة . وتاريخ فاس لابن عبد الكريم .
 وتاريخها أيضاً لابن أبي زَرْع . وتاريخ فاس أيضاً للقونجى . وتاريخ سَبْتَةِ المسمى بالفنون
 السَّتَّة ، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض تركه في مسودته . وتاريخ بَلَنْسِيَّة
 لابن علقمة . وتاريخ البيرة لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحى .
 وتاريخ شُقُورَة لابن إدريس . وتاريخ مَالَقَة لأبي عبد الله بن عسكر ، تركه غير متمم ،
 فتممه بعد وفاته ابن أخيه أبو بكر بن خمسين . والإعلام بمحاسن الأعلام من
 أهل مَالَقَة ، لأبي العباس أَصْبَغ بن العباس . والاحتفال في أعلام الرجال ، لأبي بكر
 الحسن بن محمد بن مُفَرَّج القيسى . وتاريخ قُرْطُبَة ، منتخب كتاب الاحتفال . وتاريخ
 الرؤساء والفقهاء والقضاة بَطْلَيْطَلَة ، لأبي جعفر بن مظاهر . ومنتخبه لأبي القاسم بن
 بَشْكَوَال . وتاريخ فقهاء قُرْطُبَة ، لابن حَيَّان . وتاريخ الجزيرة الخضراء
 لابن خمسين . وتاريخ قلعة يَحْصِب المسمى بالطاليع السَّعِيد ، لأبي الحسن بن سعيد .
 وتاريخ بَقِيرَة ، لأبي عبد الله بن المؤذن . والدَّرَّة المكنونة في أخبار أشبونة ،
 لأبي بكر بن محمد بن إدريس الفَرَا بى العالوسى . وعزِيَّة المَرِيَّة ، لأبي جعفر أحمد
 ابن خاتمة من أصحابنا . وتاريخ المرية وباجة ، لشيخنا نسيج وحده أبي البركات
 ابن الحاج ، متع الله بإفادته ، وهو في مُبَيَّضَتِه ، لم يرمها بعد^(٢) .

فداخلتنى عصبية لا تقدح في دين ولا منصب ، ورحمة لا يُذَمُّ في مثلها مُتَعَصِّبٌ ،
 رغبة أن يقع سؤالهم وذكرهم من فضل الله جناب مُخْصَب ، ورأيت أن هذه

(١) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة : المعزى . المقريرى . العفريرى .

(٢) رأينا فيما يتعلق بهذه التواريخ الأندلسية ، وهى التى اعتمد ابن الخطيب على كثير منها في
 استقاء مادة « الإحاطة » ، أن نحيل في التعريف بها وبمؤلفيها إلى الهوامش الخاصة بذلك خلال السياق .

الحضرة^(١) التي لا خفاء بما وفّر الله ، من أسباب إثارها ، وأراده من جلال مقدارها ، جعلها ثغراً للإسلام ، ومتبوّاً العرب الأعلام ، قبيل رسوله ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وما خصّها به من اعتدال الأقطار ، وجريان الأنهار ، وانفساح الاعتبار^(٢) ، والتفاف الأشجار . نزلها العرب الكرام عند دخولهم مخطّين^(٣) ومنقطعين ، وهبوا بدعوة فضلها مهطعين^(٤) ، فعمروا وأولدوا ، وأثبتوا المفاخر وخلّدوا ، إلى أن صارت دار ملك ، وكتبه^(٥) سلك ؛ فنبه المقدار وإن كان نبهاً ، وازدادت الخطة ترفيعاً ، وجلب إلى سوق الملاء بما نفق فيها ، فكم ضمت جدرانها من رئيس يتقى الصباح هجومه ، ويتخوف الليل طروقه ووجومه ، ويفتقر الغيث لنوائله الممنوحة سجّومه^(٦) ، وعالم يبرز للفنون فيطيعه عاصيها ، ويدعو بالمشكلات فيأخذ بنواصيها ، وعالم بالله قد وسّم السجود جبينه ، وأشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرّ يمينه ، وبلغ قد أذعنت لبراعة خطه وشيعة^(٧) الخط ، يغوص على درر البدايع ، فيلقبها من طرسه الرائع الشّط ، لم يقم بحقها ممتعض حق الامتعاض ، ولا فرق بين جواهرها وبين الأعراض . هذا وشجر الأقلام مشرعة ، ومكان القول والحمد لله ذو سعة ، فهي الحسنى التي عدت الذّام ، وزينة الليالي والأيام ، والهوى إن قيل كلفت بمغانها ، وقصّرت الأيام على معانيها . فعاشق الجمال عذره مقبول ، والله در أبي^(٨) حيث يقول :

ضروب الناس عشاق ضروباً فاعذرهم أشفهمو حبيباً

(١) أعنى مدينة غرناطة . « والحضرة » . هي القاعدة والعاصمة .

(٢) يراد بها هنا العمران .

(٣) في « ك » (مخطّين) . وفي « ج » (محتطين) . والتصويب أرجح .

(٤) مهطمين ، أعنى مسرعين ومقبلين .

(٥) اللبة هي ما توسط الصدر . (٦) سجّومه أى هطله .

(٧) هكذا وردت في ج « » . وفي « ك » (وشحية) .

(٨) وردت في « ك » وفي « ج » (ولله در أبي) . ولكن أثبت في هامش « ك » كلمة « الطيب »

لكي تقرأ « ولله در أبي الطيب » . ولكن البيت ليس من شعر المتنبي ، وإنما هو من شعر والد ابن الخطيب .

فلست ببدعٍ ممن فُتِنَ بحب وطن ، ولا بأول ما شاقهُ منزلٌ فالتقى بالعطن ،
فحب الوطن معجون بطينة ساكنه ، وطرفه مُغرَى بإتمام محاسنه ، وقد نبّه على بن
العباس^(١) على السبب ، وجاء في التماس التعليل بالعجب ، حيث يقول :

وحبَّ أوطانَ الرجال إليهم مآربُ قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم عهودُ الصبا فيها فحنّوا لذلك

ورميتُ في هذا المعنى بسهم سديد ، وألحّْتُ بغرضٍ إن لم يكنه فليس ببعيد :

أحبك يا مغنى الجلال بواجب وأقطعُ في أوصافك الغرّ أوقات
تقسّم منك الثّربَ قومي وجيرتي ففي الظّهرِ أحياءُ وفي البطنِ أموات

وقد كان أبو القاسم الغافقي ، من أهل غرناطة ، قام من هذا الغرض بفرض ،
وأتى من كله ببعض^(٢) ، فلم يشف من غلة ، ولا سدّ خلّة ، ولا كثر قلة ، فقمت
بهذا الوظيف ، وانتدبت فيه للتأليف ، ورجوت على نزارة حظّ الصّحة ، وازدحام
الشواغل الملحّة ، أن أضطلع^(٣) من هذا القصد ، بالعبء الذي طالما طأطأت له
الأكتاد ، وأقف منه الموقف الذي تهيبّته الأبطال الأنجاد ، فاتخذت الليل جملاً لهذه
الطية^(٤) ، وانتضيتُ غارب العزم ونعمت المطية ، بحيث لا مؤانس إلا ذبّالٌ
يكافح جيش الدّجى ، ودفاترُ تلّقح الحجا ، وخواطرُ تبتغى إلى سماء الإجابة
معرّجا ؛ وإذا صحّب العملَ صدقُ النية ، أشرقت من التوفيق كلُّ ثنية ،

(١) هو على بن العباس بن جريج الشهير في المشرق بابن الرومي .

(٢) يشير ابن الخطيب هنا إلى أبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي المعروف بالملاحى نسبة إلى
الملاحه la Mala ، وهى قرية في جنوب غربى غرناطة ما تزال قائمة حتى اليوم ، وهو مؤلف كتاب
« تاريخ علماء البيرة » ، وهى عاصمة ولاية غرناطة القديمة .

(٣) وردت في « ج » وفي « ك » (طلع) وفي ت (اطلع) ، وهو رسم محرف الكلمة (اضطلع)

كما هو ظاهر من المعنى .

(٤) وردت في المخطوطين : المطية .

وطلعت من السداد كل غرة سنّة ؛ وقد علم الله أني لم أعتد منها دنيا أستمنحها ،
ولا نسمة جاهٍ يُستنشق ريحها ؛ وإنما هو صبح تبيّن ، وحق رأيتة على قد تعين ،
بذلت فيه جهدي ، وأقطعتُه جانب سُهدي ، لينظّم هذا البلد بمثله ، مما أثير كامنُه ،
وسطّرت محاسنه ، وأنشر بعد المات جانبه :

وما شر الثلاثة أمّ عمرو بصاحبك الذي لا تُصبحينا

فلم أدع واحدةٍ إلا استنجدتُها ، ولا حاشيةٍ إلا احتشدتُها ، ولا ضالةٍ إلا نشدتُها ؛
والمتجهدُ في هذا الغرض مقصّر ، والمطيل مختصر ، إذ ما ذكر لا نسبة بينه وبين
ما أغفل ، وما جهل أكثر مما نُقل ، وبحار المدارك مسجورة^(١) ، وغايات الإحسان
على الإنسان محجورة ؛ ومن أراد أن يوازن هذا الكتاب بغيره من الأوضاع فليتأمل
قصده ، ويثير كامنُه ، ويبدى خبائنه^(٢) ، تتضح له المكرمة ، ولا تخفى عليه
النصفة ، ويشاهد مجزى السيئة بالحسنة ، والإغراب عن الوصمة والظنة ، إذ الفاضلُ
في عالم الإنسان ، من عُددت سقطاته ، فما ظنك بمفضوله . وللمعاصر مزيةُ المباشرة ،
ومزيد الخبرة ، وداعى التشفى والمقارضة ؛ وسع الجميع السّتر ، وشملهم البرّ ، ونُشرت
جنائزهم لسقى الرحمة ، ومثنى الشفاعة ، إلا ما^(٣) شذّ من فاسق أباح الشرعُ حماه ،
أو غادرٍ وسمه الشؤم الذى جناه ، فتختل^(٤) عرضه عن تخليد مجد ، وتدوين فخر ،
وإبقاء ذكرٍ ، لمن لم يهّمه قط تحقيقُ اسم أبيه ، ولم يعمل لما بعد يومه ، فكم خلفٍ
مما ذكر فيه يجده بين يديه ، شفيعاً في زلة ، أو آخذاً بضبع^(٥) إلى رتبة ، أو قائماً
عند ضيمٍ بحجة ؛ أو عانسٍ يقوم لها مقام متاع ونحلة ، أو غريبٍ يحلّ بغير قطره ،

(١) أغنى مفعمة فياضة .

(٢) ومعناها « خفاياه » من خبن أى أخفى .

(٣) هكذا وردت في « ج » و « ك » ، وهو استعمال يؤثره ابن الخطيب . فيضع « ما »

مكان « من » .

(٤) وردت في « ت » (فتخلل) . وفي « ك » و « ج » (فتخل) ؛ وما أوردنا أرجح بالنسبة للمعنى

(٥) وردت في « ت » و « ج » (أو أخذ ببضع) . وفي « ك » (اخل فيضع) .

فيفيده نُحْلَة ، صاعد خدم قاعداً وناثماً . وقد رضىنا بالسلامة عن الشكر ، والإصغاء عن المثوبة ؛ والنصفة عِوَض الحُسرة ، إذ الناس على حَسَب ما سَطَّر ورُسَم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

والترتيب الذى انتهت إليه حيلتى، وصرفتُ فى اختياره مخيلتى ، هو أنى ذكرت البلدة^(١) حاطها الله ، مُنْبِهاً منها على قديمها، وطيب هوائها وأديمها ، وإشراق عُلاها، ومحاسن حُلاها ، ومن سكنها وتَوَلَّأها ، وأحوال أناسها ، ومن دال بها من ضُروب القبائل وأجناسها ، وأعطيت صورتها ، وأزخت فى الفخر ضرورتها ، وذكرت الأسماء على الحروف المبوبة ، وفصلت أجناسهم بالتراجم المرتبة ، فذكرت الملوك والأمراء ، ثم الأعيان والكبراء ، ثم الفضلاء ، ثم القضاة ، ثم المقرئين والعلماء ، ثم المحدثين والفقهاء ، وسائر الطلبة النجباء ، ثم الكتّاب والشعراء ، ثم العمال الأثراء ، ثم الزهاد والصلحاء ، والصوفيّة والفقراء ، ليكون الابتداء بالملك ، والاختتام بالمِسْك ، وليُنظَم الجميع انتظام السِّلْك ، وكلُّ طبقة تنقسم إلى من سكن المدينة بحكم الأصالة والاستقرار ، أو طرأ عليها مما يجاورها من الأقطار ، أو خاض إليها وهو الغريب أثباج^(٢) البحار ، أو ألمَّ بها ولو ساعة من نهار ؛ فإن كثرت الأسماء نوّعتُ وتوسعتُ ، وإن قلت اختصرتُ وجمعتُ . وآثرت ترتيب الحروف فى الأسماء ، ثم فى الأجداد والآباء ، لشهود الوَفَايات والمواليد ، التى رتبها الزمان عن الاستقصاء ؛ وذهبت إلى أن أذكر الرجل ونسبه ، وأصالته وحسبه ، ومولده وبلده ، ومذهبه وأنحاله^(٣) ؛ والفنّ الذى دعا إلى ذكره ، وحليته ومشِيخَتَه ، إن كان ممن قيّد علماً أو كتبه ؛ ومآثره إن كان ممن وصل الفضل بسببه ؛ وشعره إن كان شاعراً ؛ وأدبه وتصانيفه ، إن كان ممن ألّف فى فن أو هذّبه ، ومحنته إن

(١) أى غرناطة .

(٢) وردت فى « ك » و « ج » (اثباج) . وفى « ت » (أشباج) . واثباج جمع ثبج ؛ وثبج البحر وسطه ومعظمه .

(٣) هكذا وردت فى « ج » . وقد رُشمت محرفة فى « ك » (وانحى له) .

كان ممن بزّه^(١) الدهر شيئاً أو سلبه ؛ ثم وفاته ومُنقلبه ، إذ استرجع الله من منحه حياته ما وهبه .

وجعلت هذا الكتاب قسمين ، ومشتماً على فَنَيْن : القسم الأول ، « في حُلَى المعاهد والأماكن ، والمنازل والمساكن » . القسم الثانى ، « في حُلَى الزّائر والقاطن ، والمتحرك والسّاكن » .

(١) بزّه أى سلبه .

القِسْمُ الأوَّل

فِي حُلَىِّ الْمَعَاهِدِ وَالْأَمَاكِنِ
وَالْمَنَازِلِ وَالْمَسَاكِنِ

فصل

في اسم هذه المدينة ووضعها على إجمال واختصار

يُقال غَرْنَاطَة ويقال إغْرَنَاطَة^(١)، وكلاهما أعجمي، وهي مدينة كُورَة إلبيرة^(٢)،
فبينهما فرسخان^(٣) وثلاثا فرسخ. وإلبيرة من أعظم كُور الأندلس، ومتوسطة
ما اشتمل عليه الفتح من البلاد، وتسمى في تاريخ الأمم السالفة من الروم، سَنَام
الأندلس، وتُدعى في القديم بقَسْطِيلِيَّة^(٤). وكان لها من الشهرة والعمارة، ولأهلها
من الثروة والعُدَّة، وبها من الفقهاء والعلماء، ما هو مشهور. قال أبو مروان

(١) اختلفت آراء الباحثين في أصل هذه التسمية. فيرى البعض أن اسم غرناطة يرجع إلى عهد
الرومان وأنه مشتق من الكلمة الرومانية (اللاتينية) Granata، ومعناها «الرمانة»، وأنها سميت
كذلك لحماها وكثرة حدائق الرمان التي كانت تحيط بها (العلامة زيبولد في Ency. de L'Islam تحت
كلمة Grenade). وهذا ما يقرره الجغرافيون العرب إذ يقولون إن معنى غرناطة «الرمانة» بلسان عجم
الأندلس، سمي البلد بذلك لحسنه (راجع معجم ياقوت تحت كلمة غرناطة. طبع القاهرة ج ٦ ص ٢٨١).
ويرى المستشرق الإسباني سيمونيت في ذلك رأياً آخر، إذ يقول إن المرجح أن الاسم يرجع إلى عهد القوط،
وأنه مزيج من كلمة «ناطه»، وهو اسم قرية قديمة كانت تقع على مقربة من البيرة و «غار» وهو
المقطع الذي أضافه إليها المسلمون فصارت غرناطة، أو سماها البربر كذلك عند نزولهم بها. وهو اسم
لاحدى قبائلهم.

(٢) (راجع Simonet: Descripcion del Reino de Granada (Granada 1872). p. 40 & 41).
(٣) إلبيرة، وبالإسبانية Elvira هي مدينة رومانية قديمة. وكانت تسمى على عهد الرومان
Illbaris. وكانت عاصمة الولاية التي تسمى بهذا الاسم. ولما فتح المسلمون الأندلس كانت إلبيرة مدينة
كبيرة عامرة، وإلى جانبها محلة «غرناطة» الصغيرة. ثم تطور الزمن، وعفت إلبيرة وخربت. ونمت
غرناطة، وأصبحت منذ القرن الخامس الهجري قاعدة الولاية. ثم غدت عاصمة لمملكة غرناطة.
(٤) الفرسخ مسافة تقدر بثلاثة أميال. والميل عند البعض ثلاثة آلاف ذراع. وعند البعض الآخر
أربعة آلاف.

(٤) هذا رأى ابن الخطيب. ولكن المستشرق سيمونيت يرى أن قسطنطينية هذه، وأصلها
اللاتيني Castellum كانت حصناً يقع على مقربة من إلبيرة. ومعناها القشتالي Castella.
(راجع Simonet, ibid: p. 310).

ابن حيّان^(١): كان يجتمع بباب المسجد الجامع من البيرة خمسون حكمة^(٢) كلها من فضة لكثرة الأشراف بها . ويدل على ذلك آثارها الخالدة ، وأعلامها الماثلة ، كطلل مسجدها الجامع ، الذى تحامى استيالة البلى ، كسّلت عن طمس معالمه أكف الردى ، إلى بلوغ ما فسح له من المدى .

بناه الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، أمير المؤمنين الخليفة^(٣) بقرطبة رحمه الله ، على تأسيس حش بن عبد الله الصنعاني الشافعي رحمه الله ، وعلى محرابه لهذا الوقت : « بسم الله العظيم ، بُنيت لله ؛ أمر ببنائها الأمير محمد بن عبد الرحمن ، أكرمه الله ، رجاء ثوابه [العظيم]^(٤) ، وتوسيعاً لرعيته ؛ فتمّ بعون الله على يدي عبد الله [بن عبد الله]^(٥) عامله على كورة البيرة في ذى القعدة سنة خمسين ومائتين .»

ولم تزل الأيام تخيف ساكنها ، والعماء يتنبأوا مساكنها ، والفتن الإسلامية تجوس أماكنها ، حتى شملها الخراب ، وتقسّم قاطناتها الاغتراب ، وكل الذى فوق التراب تُراب . وانتقل أهلها مدة أيام الفتنة البربرية^(٦) سنة أربع مائة من الهجرة ،

(١) أبو مروان حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان القرطبي (٣٧٧ - ٤٦٩ هـ) من أعظم مؤرخي الأندلس . وقد اشتهر بنوع خاص بكتابه «المقتبس في تاريخ رجال الأندلس» وقد انتهت إلينا منه فقط بضع قطع مخطوطة نشرت احداها بعناية المستشرق الإسباني انتونيا وهى تتعلق بحوادث عصر الفتنة الكبرى (٢٥٠ - ٣٠٠ هـ) وتوجد قطعة أخرى بمكتبة أكاديمية التاريخ بمدريد تتعلق بحوادث سنّ ٣٦٢ - ٣٦٥ هـ . وعثر الأستاذ ليثى بروفنسال بقطعة ثالثة تتعلق بسنّ ١٨٠ - ٢٣٢ هـ . وله مؤلفات كثيرة أخرى لم تصل إلينا . ويمتاز ابن حيّان بأسلوبه النقدي والقوى ونظراته الصائبة .

(٢) هى قصبة توضع في فم الدابة لتذليلها وكبح جماحها .

(٣) التعبير هنا عن أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (توفى سنة ٢٧٣ هـ) بأمر المؤمنين والخليفة هو خطأ أو تجاوز لأن الخلافة الأموية لم تقم بالأندلس إلا بعد ذلك بنحو ثلثي قرن في عهد عبد الرحمن الناصر .

(٤) زائدة في « ج » .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في « ك » . وساقط في « ج » .

(٦) ثارت الحرب الأهلية بالأندلس عقب سقوط الدولة العامرية في سنة ٣٩٩ هـ بين أمراء بني أمية وظاهر البربر أحدهم وهو سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر . فزحفوا على الزهراء واقتحموها وخرّبوها ، ثم حاصروا قرطبة حتى سقطت في أيديهم ، وارتكبوا فيها رائع السفك والإثم (سنة ٤٠٣ هـ) واستولى زعمائهم على معظم قواعد الأندلس ومنها غرناطة . وقامت من ذلك الحين دول الطوائف .

فما بعدها، ولجأوا إلى مدينة غرناطة، فصارت حاضرة الصَّقْع، وأمَّ المِصر، وبيضة ذلك الحق^(١)، لحصانة وضعها، وطيب هوائها، ودُرُور مائها، ووُفُور مدتها، فأمن فيها الخائف، ونُظِم النّشر، ورسخت الأقدام، وتأثّل المِصر، وهلمَّ جرّاً. فهي بالأندلس، قُطْب بلاد الأندلس، ودار المُلك، وقرى الإمارة، أبقاها الله مُتَبَوِّأ الكلمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بقدرته.

من «كتاب البيرة»^(٢) قال، بعد ذكر البيرة، وقد خلفها بعد ذلك كله مدينة غرناطة من أعظم مدنها وأقدمها، عندما انقلبت العمارة إليها من البيرة، ودارت أفلاكُ البلاد الأندلسية، فهي في وقتنا هذا قاعدة الدُّنيا، وقرارة العُلّيا، وحاضرة السلطان، وقبة العدل والإحسان. لا يعدّ لها في داخلها ولا خارجها بلد من البلدان، ولا يُضاهيها في اتّساع عمارتها، وطيب قرارتها، وطنٌ من الأوطان. ولا يأتي على حصر أوصاف جمالها، وعدّ^(٣) أصناف جلالها، قلمُ البيان. أدام الله فيها العزَّ للمسلمين والإسلام، وحرّسها ومن اشتملت عليه من خلفائه، وأنصار لوائه، بعينه التي لا تنام، ورُكْنِه الذي لا يُرام.

وهذه المدينة من مَعْمُور الإقليم الخامس، يبتدئ من الشرق، من بلاد يَأْجُوج ومَأْجُوج، ثم يمرُّ على شمال خُرَاسان، ويمرُّ على سواحل الشَّام، مما يلي الشمال، ويمرُّ على بلاد الأندلس، قرطبة وإشبيلية وما والاها، إلى البحر المُحيط الغربي. وقال صاعدُ بن أحمد في كتاب «الطبقات»^(٤) إنَّ مُعْظَم الأندلس في الإقليم الخامس،

(١) هكذا في «ك» وفي «ج»، الحو.

(٢) هو كتاب «تاريخ علماء البيرة» لأبي القاسم الملاحى الذى سبقت الإشارة إليه.

(٣) وردت في المخطوطين (ك و ج)، «عن» وهو تحريف. والمعنى يستقيم بالتصويب.

(٤) هو أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد القرطبي. ولد بالمرية سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) ودرس على الفيلسوف ابن حزم، وولى القضاء بطليطلة. وسما ذكره في ظل دولة بني ذى النون. وتوفى سنة ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م). واشتهر بكتابه: «التعريف بطبقات الأمم». وهو مختصر جغرافى، ومنه نسخة خطية في المتحف البريطاني (ترجمته في الصلة لابن بشكوال رقم ٥٣٥).

وطائفة منها في الإقليم الرابع ، كمدينة إشبيلية ، ومالقة ، وغرناطة ، وألمرية ، ومرسية^(١) .

وذكر العلماء بصناعة الأحكام أن طالعها الذي اختطت به السرطان^(٢) ، ونحلوها^(٣) ، لأجل ذلك ، مزايًا ، وحظوظًا من السعادة ، اقتضاها تسيير أحكام القرائن الانتقالية على عهد تأليف هذا الوضع .

وطولها سبع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهي مساوية في الطول بأمر يسير لقرطبة ، وميورقة ، وألمرية ؛ وتقرب في العرض من إشبيلية ، وألمرية ، وشاطبة ، وطرطوشة ، وسردانية ، وأنطاكية ، والرقّة . كل ذلك بأقل من درجة . فهي شامية في أكثر أحوالها ، قريبة من الاعتدال ، وبينها وبين قرطبة ، أعادها الله تعالى ، تسعون ميلاً^(٤) . وهي منها بين شرق وقبلة . وبحر الشام^(٥) يحول^(٦) ويمحاذ بين الأندلس وبلاد العدو^(٧) ، وبين غرب وقبلة على أربعة برود^(٨) . والجبال بين شرق وقبلة ، والبراجلات^(٩) بين شرق وجوف ، والكنبانية^(١٠) بين غرب وقبلة ، وبين جوف وغرب ، فهي

(١) وردت في المخطوطين : المرسية .

(٢) هكذا في « ج » . ووردت محرفة في « ك » : السطران .

(٣) وردت في المخطوطين : ويحلوها . والتصويب من « ت » .

(٤) الميل عند العرب ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف ذراع . والمسافة بين غرناطة وقرطبة وفق التقدير الحديث نحو مائة وخمسون كيلومتراً .

(٥) بحر الشام اعنى البحر الأبيض المتوسط .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (ج وك و ت) : يحال وهو تحريف

(٧) أعنى عدوة المغرب ، أو ما وراء الضفة الأخرى من البحر المقابلة للأندلس .

(٨) جمع بريد وهو مقياس للمسافة الطويلة ويقدره العرب باثنى عشر ميلاً .

(٩) البراجلات جمع برجيلة وهو تعبير جغرافى قديم يطلق على بعض المناطق الجبلية .

(١٠) رسمت هذه الكلمة في « ت » (الكتباية) وفي « ك » (الكتباية) ، وفي « ج » (الكنباقه)

وهي كلها صور محرفة . وصوابه (الكنبانيه) وهي كلمة مشتقة من كلمة Campo القشتالية ، ومعناها هنا البسيط أو السهل من الأرض .

لمكان جوار الساحل ، مَمَارَّةٌ بالبَوَاكِير السَّاحِلِيَّةِ ، طِيَّةٌ^(١) البحار ، وركابٌ لجهاد البحر^(٢) ، ولمكان استقبال الجبال ، المقصودة بالفواكه المتأخرة للحاق ، مُعَلِّبَةٌ بالمُدَّخَرَاتِ ، استِدْبَارُ الكَنْبَانِيَّةِ ، واضْطِبارُ التَّراجِلَاتِ ؛ بحرٌ من بحور الحِنْطَةِ ، ومعدنٌ للحبوب المُفَضَّلَةِ ، ولمكان شَلِيْرٌ ، جبل الثلج^(٣) ، أحد مشاهير جبال الأرض ، الذي يَنْزِلُ به الثلج شتاءً وصيفاً ، وهو على قِبْلَةِ منها على فرسخين ؛ وَيُنْسَابُ منه ستةٌ وثلاثون نهراً من فوهات الماء ، وتَنْبَجِسُ^(٤) من سفوحه العيونُ ، صحٌّ منها الهواء ، واضْطَرَدَّتْ في أرجائها وساحاتها المياهُ ، وتعدَّدت الجَنَّاتُ بها والبساتينُ ، والتفت الأدواحُ ، وشَمَرُ الرُّوَادِ على منابت العُشْبِ في مظانِّ^(٥) العقار مُستودعات الأدوية والتَّرياقِيَّةِ . وبرُدُّها لذلك في المُنْقَلَبِ^(٦) الشتوى شديدٌ ، وتَجْمَدُ بسببه الأدهان والمائعات ، ويتراكم بساحاتها الثلج في بعض السنين ؛ فجُسُومُ أهلها لصِحَّةِ الهواء صُلْبَةٌ ، وسِحَانُهُمْ خَشِنَةٌ ، وهُضُومُهُمْ قَوِيَّةٌ ، ونفوسُهُمْ لمكان الحرِّ الغريزي جَرِيَّةٌ^(٧) .

وهي دارُ مَنَعَةٍ وكرسى مُلْكٍ ، ومقامُ حَصَانَةٍ . وكان ابن غانية^(٨) يقول للمرابطين

(١) هكذا في « ت » . وفي « ج » و « ك » ، طيه .

(٢) في « ت » ، البحرية .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة « شير » وهو تحريف . ويطلق الجغرافيون الأندلسيون اسم « شلير » أو جبل الثلج على جبال سييرا نفادا الشهيرة التي تشرف على مدينة غرناطة بآكامها العالية من الجنوب الشرقى . وشلير محرفة عن اللاتينية Solarius أو Solarus ومعناه جبل الشمس . وذلك لأن الشمس تسلط أشعتها الساطعة على هذه الجبال فينعكس ضوءها على الثلوج الناصعة التي تغطيها . وسميت أيضاً بجبل الثلج ، وهو ترجمة عربية مطابقة لاسمها القشتالي Sierra Nevada أى الجبال الثلجية .

(٤) أى تتفتح وتسيل . وقد وردت محرفة في المخطوطات الثلاث .

(٥) هكذا في « ك » . وفي « ج » مكان . والأول أرجح .

(٦) هكذا في « ج » . وفي « ك » و « ت » المنقف .

(٧) أى جريئة .

(٨) هو أبو زكريا يحيى بن غانية كبير قواد المرابطين في الأندلس حينما اضطرب سلطانهم فيها ، وخرج عليهم معظم الزعماء الأندلسيين في نفس الوقت الذي عبر فيه خصومهم الموحدون البحر إلى الأندلس يريدون افتتاحها (سنة ٥٤٠ هـ) . وبذل ابن غانية جهداً فادحاً في الدفاع عن سلطان المرابطين ، ولكن القواعد الأندلسية خرجت من قبضته تباعاً ، واضطر في النهاية أن يمتنع بغرناطة التي طوقها الموحدون . وسقط ابن غانية قتيلاً في الموقعة التي تلت بين المرابطين والموحدين ودفن بغرناطة (سنة ٥٤٣ هـ) .

في مَرِّ موته ، وقد عَوَّل عليها للامتسك بدعوتهم : الأندلس دَرَقَة ، وغَرْنَاة قَبْضَتُهَا ، فإذا جَشَّمْتُمْ يا معشر المرابطين القَبْضَةَ لم تخرج الدرقة من أيديكم .
ومن أبدع ما قيل في الاعتذار عن شِدَّة بَرْدِهَا ، ما هو غريب في معناه ، قول شيخنا القاضي أبي بكر بن شبرين رحمه الله^(١) :

رعى الله من غَرْنَاة متبواً يسُرُّ كَثيباً^(٢) أو يُجِيرُ طريدا
تبرَّم منها صاحبي عندما رأى مسارحها بالبَرْدِ^(٣) عُذْن جَليدا
هي الثَّغْرُصان الله من أَهَلَّتْ به وما خيرُ ثَغْرٍ لا يكون بروداً

وقال الرَّايزي^(٤) عند ذكر كُورَةِ البيرة : ويتصل بأحواز قَبْرَةِ كُورَةِ البيرة ، وهي بين الشرق والقبلة ، وأرضها سَقَى غزيرة الأنهار ، كثيرة الثمار ، ملتفة الأشجار ، أكثرها أدواح الجَوْز ، ويحسُن فيها قصب السُّكر ؛ ولها معادنٌ جوهريَّةٌ من ذهب ، وفضة ، ورصاص ، وحديد . وكورة البيرة أشرف الكور ، نزلها جند دِمَشق . وقال : لها من المدن الشريفة مدينة قَسْطِلِيَّة ، وهي حاضرة البيرة ، وفَحْصُهَا لا يُشَبَّه بشيء من بقاع الأرض طيباً ولا شَرَفاً إلا بالغوطة ، غوطة دِمَشق^(٥)
وقال بعض المؤرخين : ومن كَرَّمَ أرضنا أنها لا تَعْدَم زريعة بعد زريعة ، ورعيّاً بعد رعى ، طُول العام ؛ وفي عِمالاتها المعادن الجوهريَّة من الذهب ، والفضة ، والرصاص ، والحديد ، والتوتية . وبناحية دَلَايَةِ^(٦) من عملها ، عود اليلَنْجُوج ،

(١) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن شبرين من شيوخ ابن الخطيب . (٦٧٤ - ٧٤٧ هـ) . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد في الإحاطة .
(٢) وفي نص « حزيناً » (راجع رحلة ابن بطوطة - مصر - ج ٢ ص ١٨٧) .
(٣) وفي نص « بالثلج » (راجع رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٨٧) .
(٤) هو أحمد بن محمد بن موسى الرازي من مؤرخي الأندلس . ولد سنة ٢٧٤ هـ . وتوفي سنة ٣٤٤ هـ ، (٩٥٥ م) ومن تصانيفه : « اخبار ملوك الأندلس » وكتاب « الاستيعاب في أنساب أهل الأندلس » . وغيرها .

(٥) هي الوادي الخصب الذي تقع فيه دمشق . قال ياقوت : « والغوطة كلها أشجار وأنهار متصلة . وهي بالإجماع أنزه بلاد الله وأحسنها منظراً » (معجم ياقوت ج ٦ ص ٣٠٤) .
(٦) دلالية هي الآن Dalias الحديثة . وهي بلدة صغيرة تقع غرب المرية في جنوب سفح جبال « غدر » Gador ، على مقربة من البحر الأبيض المتوسط .

لا يفوقه العود الهندي ذكاً وعطرَ رائحة . وقد سيق منه لخيران^(١) صاحب المـرية
أصل كان منبته بين أحجار هناك . ويجبل شلير^(٢) منها سُنبل فائق الطيب ،
وبه الجنطيانا ، يحمل منه إلى جميع الآفاق ، وهو عفير رفيع ، ومكانه من الأدوية
الترياقية مكانه^(٣) . وبه المرقشينة على اختلافها ، واللازورْدُ . وبفحصها وما يتصل
به القرمز . وبها من العقار والأدوية النباتية والمعدنية^(٤) ما لا يحتمل ذكرها
الإيجاز . وكفى بالحرير الذي فضلت به فخراً وقِيَّةً ، وغلة شريفة ، وفائدة عظيمة ،
تمتارُه منها البلاد ، وتجلبه الرفاق ، وفضيلة لا يشاركها فيها إلا البلاد العراقية .
وفحصها الأفيح^(٥) المشبه بالغوطة الدمشقية حديث الرّكاب ، وسمر الليالى ،
قد دحاه الله فى بسيط سهل تخترقه المذائب ، وتتخلله الأنهار جداول ، وتنزاحم فيه
القرى والجَنَّات ، فى ذرع أربعين ميلاً أو نحوها ، تنبؤ العين فيها عن وجهه ،
ولا تتخطى المحاسن منها إلا مقدار رقعة الهضاب ، والجبال المتطامية منه بشكل
ثلاثى دارة ، قد عرت منه المدينة فيما يلى المركز لجهة القبلة ، مستندة إلى أطواد
سامية ، وهضاب عالية ، ومناظر مُشرِفة : فهى قيدُ البصر ، ومنتهى الحُسن .
ومعنى الكمال ، أضفى الله عليها ، وعلى من بها من عباده المؤمنين جناح ستره ،
ودفع عنهم عدوِّ الدّين بقدرته .

(١) وردت محرفة فى المخطوطين (لخيران) . وخيران العامرى هو أحد زعماء الدولة العامرية من
الفتيان الصقالبة . نهض عقب سقوط بنى عامر ، وقيام الثورة الأموية فى جماعة من الفتيان العامريين
وخصوم بنى أمية وزحف على مدينة المرية واستولى عليها (سنة ٤٠٣ هـ) . وحالف بنى حمود الإدارة فى
البداية ثم انقلب عليهم . ولبت يتقلب بين القوى المختلفة حتى توفى قتيلاً فى موقعة نشبت بينه وبين البربر
فى سنة ٤١٩ هـ (١٠٢٨ م) .

(٢) وردت فى «ج» : شليل . وهو تحريف ظاهر ، إذ أن شليل نهر لا جبل .

(٣) وردت بعد هذه الكلمة فى المخطوطين عبارة : (وقد خاطب فيها أبو جعفر المنصور) وهى
عبارة مدخولة لا مكان لها فى هذا الموطن ولهذا رأينا حذفها .

(٤) فى «ج» المغرانية .

(٥) الفحص أو فحص غرناطة هو مرجها الشهير La Vega de Granada ، وهو البسيط الأخضر
الذى تشرف عليه غرناطة من الجنوب الشرقى . وقد كان أيام الدولة الإسلامية من أنضر وأبدع بقاع الأندلس
الحضراء ، وكان بمزارعه اليانعة وحدائقه الغناء متنزه الناس المفضل ولا سيما فى ليالى الصيف . وكان مستقى
لوحى الشعر والنثر . أما اليوم فقد زالت مغانيه القديمة وقلت خضرته وتخللت الرقاع الجرداء .

فصل

في فتح هذه المدينة

ونزول العرب الشّاميين من جُند دمشق بها
وما كانت عليه أحوالهم ، وما تعلّق بذلك من تاريخ

قال المؤلف : اختلف المؤرخون في فتحها . قال ابن القوطيّة^(١) : إن يُوليان
الرّومي^(٢) الذي ندّب العرب إلى غزو الأندلس طلباً لوتره من ملكها لذريق^(٣)
بما هو معلوم ، قال لطارق بن زياد مُفتتحها عند ما كسر جيش الرّوم^(٤) [على وادي
ككّه : قد فضّضت جيش القوم]^(٥) ودوّخت حاميتهم ، وصيّرت الرعب في
قلوبهم ، فاصمد لبيضتهم ؛ وهؤلاء أدلاء من أصحابي ، ففرق جيوشك في البلدان
بينهم ، واعتمد أنت إلى طليطلة بمعظمهم ، وأشغل القوم عن النظر في أمرهم ، والاجتماع
إلى وليّ رأيهم .

(١) ابن القوطية هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عيسى بن مزاحم المعروف بابن القوطية
لأنّما به بطريق النسب إلى ساره القوطية ابنة وتيزا ملك القوط التي أسلمت عند الفتح وتزوجت من أحد أعيان
المسلمين ، ولد بقرطبة وتوفى بها سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) وكتب تاريخه المسمى « تاريخ افتتاح الأندلس » .
وقد نشر بعناية المستشرق الإسباني ريبيرا مقروناً بترجمة إسبانية .

(٢) يوليان الرومي هو الكونت يوليان الشهير في سيرة فتح الأندلس . وكان وقت أن توغل
المسلمون في المغرب الأقصى وافتتحوا طنجة ، حاكماً لشغر سبتة المنيع . وكان يظهر الحزب الذي يخاصم
ردريك ملك القوط يحفزه إلى ذلك عامل الانتقام ، لأن رديك حسبما تقول الرواية اغتصب ابنته التي
كانت نزيلة بقصره . فلما اقترب العرب من سبتة اتصل بموسى بن نصير ودعاه إلى فتح الأندلس ،
وقدم سفنه إلى العرب ليسهل لهم العبور إليها ، وعاونهم خلال الفتح بمختلف الوسائل .

(٣) لذريق أي رديك آخر ملوك القوط .

(٤) الروم هنا يقصد بها القوط .

(٥) هذه العبارة ساقطة في « ك » واردة استدراكاً في هامش « ج » .

قال : ففرّق طارق جيوشه من إِسْتِجَّة ؛ فبعث مُغيثاً الرُّومى ، مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان إلى قُرْطُبة ؛ وبعث جيشاً آخر إلى مالقة ؛ وأرسل جيشاً ثالثاً إلى غرناطة مدينة إلبيرة ؛ وسار هو في معظم الناس [إلى كورة جيان]^(١) يريد طليطلة . قال فصى الجيش الذى وجّه طارق إلى مالقة ففتّحها ، ولجأ علوجها إلى جبال هناك ممتنعة . ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى إلبيرة ، فحاصروا مدينتها ، وفتحوها عنوة ؛ وألقوا بها يهوداً ضمّوهم إلى قصبة^(٢) غرناطة ؛ وصار لهم سُنّة مُتَّبعة ، متى وجدوا بمدينة فتحوها يهوداً ، يَضمُّونهم إلى قَصَبَتِها ، ويجعلون معهم طائفةً من المسلمين يَسُدُّونها . ثم مضى الجيش إلى تَدْمِير .

وكان دخول طارق بن زياد الأندلس يوم الإثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنين وتسعين . وقيل في شعبان . وقيل في رمضان ، بموافقة^(٣) شهر غُشت من شهور العَجَمية .

وذكر معاوية بن هشام^(٤) وغيره ، أن فتح ما ذكر تأخّر إلى دخول موسى بن نصير في سنة ثلاث وتسعين . فتوجه ابنه [عبد العزيز]^(٥) في جيش إلى تَدْمِير^(٦) فافتتحها ، ومضى إلى إلبيرة فافتتحها ، ثم توجه إلى مالقة .

قال المؤلف رحمه الله : ولما استقرَّ مُلك الإسلام بجزيرة الأندلس ، ورمى إلى

(١) الزيادة ساقطة في « ك » واردة في هامش « ج » .

(٢) القصبة أى القلعة وهو استعمال أندلسى ذائع .

(٣) هكذا في « ك » ، وفي « ج » ، موافق . وغشت أعنى أغسطس .

(٤) معاوية بن هشام بن محمد بن هشام ، هو أديب وكاتب قرطبى من سلالة بنى أمية ، عاش في القرن الرابع الهجرى ، وكتب كتاباً في تاريخ الأندلس عنوانه « دولة بنى مروان بالأندلس » . ويكثر ابن حيان من الاقتباس منه .

(٥) وردت في المخطوطين (ج و ك) : عبد الأعلى ، وهو خطأ اقتضى التصويب .

(٦) تدمير هى إحدى ولايات الأندلس الشرقية القديمة ، سميت باسم أميرها والمدافع عنها وقت الفتح تيودمير . ثم غدت بعد ذلك ولاية مرسية .

قصبتهما الفتح ، واشرباً في عَرَصاتها الدّين ، ونزلت قرطبة وسواها العرب ، فتبوؤوا الأوطان ، وعمّروا البلدان ، فالداخلون على [يد]^(١) موسى بن نصير [يُسمّون بالبلديّين]^(١) ، والداخلون بعدهم [مع]^(١) بلج بن بشر القُشيري ، يُسمّون بالشّامين ؛ وكان دخول بلج بن بشر القُشيري بالطّالعة البلجيّة سنة خمس وعشرين ومائة .

ولما دخل الشاميّون مع أميرهم بلج ، حسباً تقرر في موضعه ، وهم أسود الشّرى^(٢) عزّة وشهامة ، غُصَّ^(٣) بهم السابقون إلى الأندلس ، وهم البلديّون ، وطالبوهم بالخروج عن بلدّهم الذي فتحوه ، وزعموا أنه لا يحملهم وإياهم ، واجتمعوا لغزوهم ، فكانت الحروب تدور بينهم ، إلى أن وصل الأندلس ، أبو الخطّار حُسام بن ضرار الكلبي ، عابراً إليها البحر من ساحل تونس ، وأظّل على قرطبة على حين غفلة ، وقد ستر خبر نفسه ، والحرب بينهم ، فانقاد إليه الجميع بحكم عهد مدينته^(٤) حنظلة بن صفوان والى إفريقية^(٥) ، وقبض على وجوه الشاميّين عازماً عليهم في الانصراف حسباً هو مشهور ؛ ورأى تفريق القبائل في كور الأندلس ، ليكون أبعداً للفتنة ، ففرّقهم ، وأقطّعهم ثلث أموال أهل الدّمة ، الباقيين من الرّوم ، فخرج القبائل الشاميون عن قرطبة .

(١) ظاهر من سياق النص أن هناك كلمات ساقطة في الأصل ، والمرجح أنها هي التي وضعناها بين

الخاصرتين ، وبها يستقيم المعنى التاريخي .

(٢) « الشّرى » ، جانب الفرات .

(٣) في المخطوطين : غص .

(٤) في المخطوطات الثلاثة : مدينة .

(٥) كانت الأندلس عقب الفتح تعتبر ولاية تابعة لأفريقية من الناحية الإدارية . ووالى إفريقية

هو الذي يختار حاكمها ، واستمر ذلك معظم عصر الولاة .

قال أبو مروان^(١) : أشار على أبي الخطار ، أرطباس^(٢) قوميس الأندلس^(٣) ، وزعيم عجم الذمة^(٤) ، ومُستخرج خراجهم^(٥) لأمراء المسلمين — وكان هذا القوميس شهير العلم والدهاء — لأول الأمر ، بتفريق القبائل الشاميين العلميين^(٦) على البلد ، من دار الإمارة قرطبة ، إذ كانت لا تحمِلهم ، وإنزالهم بالكُور ، على شبه منازلهم التي كانت في كُور شامهم ، ففعل ذلك عن اختيار منهم ؛ فَأَنْزَلَ جُنْد دِمَشْق كُورَةَ إلبيرة ، وجند الأُرْدُن كورة جَيَّان ، وجند مصر كورة باجة^(٧) ، وبعضهم بكورة تدمير : فهذه منازل العرب الشاميين ؛ وجعل لهم ثلث^(٨) أموال أهل الذمة من العجم طُعْمَةً ؛ وبقي العرب والبلديُّون والبرابرة^(٩) شركاؤهم ؛ وسكنوا واغْتَبَطُوا وكَبُرُوا وتموَّلُوا ، إلا من كان قد نزل منهم لأول قدومه في الفتوح على عنائهم ، لم يُعرض لهم في شيء منها . فلما رأوا بُلداناً شبه بُلدانهم بالشام ، نزلوا وسكنوا واغْتَبَطُوا وكَبُرُوا وتموَّلُوا ، إلا من كان قد نزل منهم لأول قدومه

(١) هو ابن حيان مؤرخ الأندلس ، وقد سبقت الإشارة إليه .

(٢) أرطباس هو الأسقف أو باس أخو الملك وثيزا . وكان مثل الكونت يوليان قد تحالف مع العرب منذ الفتح هو ووالدا أخيه ، إيفا وسيزبوت اللذان تسميهما الرواية الإسلامية « المند » و « رملة » . وقد عينه العرب عقب الفتح حاكماً لطليطلة ورئيساً للنصارى الذين انضوا تحت لواء الفاتحين .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة : « قوس الأندلس » . وهو تحريف ، والصواب « قوميس » . والقوميس هو الرسم العربي لكلمة Comes اللاتينية ، وهو الزعيم أو الرئيس . وقد أنشأ المسلمون منذ الفتح منصب « القوميس » و « القوامس » وهم زعماء النصارى في القواعد الأندلسية . ثم تطور المنصب حتى غدا منصباً دينياً يليه أسقف أو مطران للنصارى يرعى شؤونهم الروحية .

(٤) عجم الذمة أو النصارى المعاهدون Los Mozarabes . وسنتحدث عنهم فيما بعد .

(٥) وردت في « ج » و « ك » : مزاجهم . وفي « ت » : مزاجهم . وقد رجحنا التصويب .

(٦) هكذا في المخطوطات الثلاث : والعلميين نسبة إلى علم ، وهو مكان بالشام .

(٧) وردت في المخطوطتين : باجت .

(٨) وردت في المخطوطتين : « ثلثا » . والصواب : ثلث كما يتضح ذلك من سياق الكلام بعد

(٩) يريد البربر . وهو التعبير الصحيح .

موضعاً رضيعاً ، فإنه لم يَرْتَحِلْ عنه^(١) ، وسكن به مع البلديين . فإذا كان العطاء أو حضر الغزو وَلَحِقَ بِجُنْدِهِ ، فهم الذين كانوا سُمُّوا الشَّادَّةَ حينئذ .

قال أحمد بن موسى^(٢) : وكان الخليفة يعقد لَوَائِينَ ، لواءً غازياً ، ولواءً مقيماً ؛ وكان رِزْقُ الغازي بلوائه مائتي دينار . ويبقى المقيم بلا رزق ثلاثة أشهر ؛ [ثم يدال بنظيره^(٣) من أهله أو غيرهم]^(٤) . وكان الغزاة من الشاميين مثل إخوة المعهود له أو بنيه أو بنى عمه ، يُرزقون عند انقضاء غزاته عشرة دنانير ؛ وكان يعقد المعهود له ، مع القائد ؛ يَتَكَشَّفُ عَنْ غِزَا ، وَيَسْتَحِقُّ الْعَطَاءَ ، فَيُعْطَى عَلَى قَوْلِهِ تَكْرِيمَةً له ؛ وكانت خدمتهم في العسكر ، واعتراضهم إليه ؛ ومن كان من الشاميين غازياً من غير بيوتات العقْد ، ارتزق خمسة دنانير عند انقضاء الغزو . ولم يكن يُعْطَى أَحَدٌ مِنَ الْبَلَدِيِّينَ شيئاً غير المعهود له ؛ وكان البلديون أيضاً يعقد لهم لواءان^(٥) ، لواء غاز ، ولواء مقيم ؛ وكان يرتزق الغازي مائة دينار وازنة ؛ وكان يُعقد لغيره إلى ستة أشهر ، ثم يُدال بنظيره من غيرهم ؛ ولم يكن الديوان والكتبة إلا في الشاميين خاصة ؛ وكانوا أحراراً من العُشْرِ ، معدّين للغزو ، ولا يلزمهم إلا المقاطعة على أموال الرُّوم التي كانت بأيديهم ؛ وكان العرب من البلديين يؤدّون العُشْرَ ، مع سائر أهل البلد ، وكان أهل بيوتات منهم يَغْزُونَ كما يغزو الشاميون ، بلا عطاء ، فيسير بهم إلى ما تقدّم ذكره . وإنما كان يُكْتَبُ أَهْلُ الْبَلَدِ فِي الْغَزْوِ ؛ وكان الخليفة يُخْرِجُ عَسَاكِرِينَ ، إلى ناحيتين ، فيَسْتَتِرُ بِهِمْ ؛ وكانت طائفةٌ ثالثة يُسَمَّوْنَ النَّظَرَاءَ مِنْ

(١) يوجد ثمة في هذه الفقرة بعض تكرار . ولكن هناك اختلافاً في المعنى . والنص وارد كما هو في المخطوطات الثلاثة .

(٢) هو أحمد بن موسى العروى من مؤرخي الأندلس . ألف كتاباً عنوانه : « تاريخ الأندلس » ذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » . ولكنه لم يصل إلينا . وتوفي سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) .

(٣) هكذا وردت في « ك » . ووردت محرفة في « ج » : يدبل بنظره .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط في « ت » .

(٥) في « ج » و « ت » : لواءين .

الشاميين والبلدانيين ، كانوا يَغْزُونَ كما يغزو أهل البلد من الفريقين . وقد بينا نبذة
من أحوال هؤلاء العرب . والاستقصاء يُخْرِج كتابنا عن غرضه . والإحاطة
لله سبحانه .

ذكر ما آل إليه حال [مَنْ]^(١) ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين^(٢) على الإيجاز والاختصار

قال المؤلف : ولما استقرَّ بهذه الكورة الكريمة أهل الإسلام ، وأنزل الأمير أبو الخطار قبائل العرب الشاميّين بهذه الكورة ، وأقطعهم ثلث أموال المعاهدين ،

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين ، ولكنها ضرورية لاستقامة المعنى .

(٢) النصارى المعاهدون ، أو المعاهدون ، أو المعاهدة ، أو المستعربون ، وبالإسبانية : Los Mozarabes ، هم النصارى الذين بقوا بعد فتح الأندلس في المدن والبقاع المفتوحة تحت حكم الدولة الإسلامية . وكانوا يكوّنون أقليات كبيرة في القواعد الرئيسية مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة ، ويتمتعون في ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلي ، ويطبقون شرائعهم القوطية القديمة ، وطم قضائهم الخاص ، ولهم كنائسهم يزاولون فيها شعائهم الدينية بكل حرية . وكانوا فوق ذلك يتمتعون في بعض الأحيان بنفوذ قوى ، ويحتل كثير منهم مناصب هامة في الحكومة والجيش . وقد أنشأت الحكومة الأندلسية اعترافاً منها بأهمية الأقليات النصرانية منصب « القومس » للنصارى ليكون مرجعهم الرئيسي في شئونهم الروحية . وكان القومس من الشخصيات ذوات النفوذ ، وكان له في معظم الأحيان مكانة خاصة لدى الأمير أو الخليفة إذ كان مستشاره في كل ما يتعلق بشئون النصارى وأحوالهم . ولما نمت هذه الأقليات النصرانية وازدهرت ، بدأت في مناوأة الحكومة الإسلامية وتدبير الدسائس ضدها ، وكانت عضد الثورات المختلفة في المدن والمقاطعات الشائرة ولا سيما طليطلة وما يجاورها من المدن القريبة من حدود النصارى . ومن الغريب أنهم مع بغضهم للإسلام والحكومة الإسلامية ، كانوا يأخذون بقسط وافر من التقاليد والعادات الإسلامية وكانوا يتكلمون العربية ويكتبونها ، ويستعملونها في وثائقهم ومعاملاتهم ، وقد نبغ الكثير منهم في النظم والنثر . وفي عهد عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) (٨٢٢ - ٨٥٢ م) حاول النصارى المعاهدون أن يدبروا فتنة خطيرة لصدع الحكومة الإسلامية ، وعمد بعض القساوسة المتعصبين إلى سب الإسلام والنبي العربي جهراً في شوارع قرطبة وأمام القضاة الذين يحاكمونهم ، ودفعوا إلى هذا التحدى بعض الفتيات النصرانيات المتعصبات . فقضى على عدد منهم بالإعدام . وازداد النصارى هياجاً وتحدياً ، وكادت تحدث في قرطبة فتنة مدمرة لولا أن تدرعت الحكومة الإسلامية في إخمادها بمنتهى الحزم والشدة .

ولبت النصارى المعاهدون على كسر العصور شوكة في جانب الحكومة الإسلامية يحاولون إحداث الشغب بكل الوسائل ، ويشجعون كل خلاف وثورة ، ويحالفون المملكة النصرانية الشمالية ، ويستعدونها على الأندلس باستمرار . ولهم في الأندلس تاريخ طويل ليس هنا موضع استقصائه . ولكن جهودهم كانت على أي حال من أهم العوامل في إضعاف الحكومة الإسلامية ، وفي تعضيد جهود اسبانيا النصرانية لاسترداد أراضيها المفتوحة

استمر سُكناهم في غمار من الروم ، يعالجون فلاحه الأرض ، وعُمران القرى ،
يرأسهم أشياخ من أهل دينهم ، أولو حُنكة ودهاء ومُدَاراة ، ومعرفة بالجِباية
اللازمة لرؤوسهم . وأحدُهم^(١) رجل يُعرف بابن القَلَّاس ، له شهرة وصيت ، وجاه
عند الأمراء بها . وكانت لهم بخارج الحَضرة ، على غَلَوَتين^(٢) ، تجاه باب البيرة^(٣) ،
في اعتراض الطريق^(٤) إلى قولُجر^(٥) ، كنيسة شهيرة ، اتخذها لهم أحدُ الزعماء من أهل
دينهم ، استرَّ كُبه بعضُ أمرائها في جيش خَشِن من الروم ، فأصبحت فريدة في
العمارة والحليَّة ؛ أمر بهدمها الأمير يوسف بن تاشفين^(٦) ، لتأكِّد رغبة الفقهاء ،

من المسلمين . وهذا ما يمتدحه المؤرخون الإسبان من وجهة نظرهم أعمال بطولة . ولهذا ينحصر العلماء الإسبان
لتاريخ « النصارى المهادين » مصنفات وبحوثاً كثيرة .

وقد وضع المستشرق الكبير سيمونيت Simonet في تاريخ النصارى المهادين مؤلفاً ضخماً
عنوانه : Historia de los Mozarabes de Espana (Madrid 1897) . ون أحدث المؤلفات في
هذا الموضوع كتاب وضعه المستشرق Isidro de las Gagigas عنوانه : Los Mozarabes (Madrid 1947) .

(١) وردت في « ج » ، وآخرهم .

(٢) الغلوة مقياس مسافة . وتقدر بثلاثمائة ذراع إلى أربعمائة .

(٣) باب البيرة Puerta de Elvira هو من أبواب غرناطة القديمة ، وما يزال قائماً حتى اليوم
بقوسه وجانيه في الميدان المسمى باسمه داخل مدينة غرناطة . وهو الباب الوحيد الذي بقي كاملاً وسليماً من
أبواب سورها الخارجي . بيد أنه توجد من أبوابها الداخلية بضعة أبواب أخرى في حي البيازين وفي
مدينة الحمراء .

(٤) وردت بعد كلمة « الطريق » في المخطوطين ثلاث كلمات محرفة هذا رسمها : (والعياء يقيق
الماء) لا علاقة لها بالسياق ولا بالمعنى فأثرنا تركها .

(٥) هي اليوم بلدة Güejar Sierra الصغيرة الواقعة على قيد مسافة قليلة من شرق غرناطة في
اتجاه باب البيرة .

(٦) يترجم ابن الخطيب في نهاية « الإحاطة » ليوسف بن تاشفين اللمتوني زعيم المرابطين ومؤسس
دولتهم بالمغرب والأندلس المتوفى سنة خمسمائة من الهجرة (١١٠٦ م) . ونكتفي بأن نشير هنا إلى أعظم
أعمال حياته وهو عبوره إلى الأندلس نصرة لأمرائها ملوك الطوائف حينما اشتدت عليهم وطأة النصارى ،
ولقاؤه مع جيوش الأندلس ، الجيوش النصرانية المتحدة في سهول الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) ،
ولحرازه عليهم نصره الباهر الذي أنقذت به الأندلس من الفناء ، والذي مد في حياتها قرناً أخرى .

(٨)

وتوجه فتواهم . قال ابن الصيرفي^(١) : خرج أهل الحضرة لهدمها يوم الاثنين عقيب جمادى الآخرة من عام اثنين وتسعين وأربعمائة، فصيرت للوقت قاعاً، وذهبت كل يد بما أخذت من أنقاضها وآلاتها . قلت ، ومكانها اليوم مشهور، وجدارها مائل، يُنبئ عن إحكام وأصالة ، وعلى بعضها مقبرة شهيرة لابن سهل بن مالك رحمه الله . ولما تحررت لعدو الله الطاغية ابن رذمير^(٢) ريج الظهور ، على عهد الدولة المرابطية ، قبل أن يخضد الله شوكته على إفراغه^(٣) بما هو مشهور ، أمكت المعاهدة^(٤) من النصارى لهذه الكورة إدراك الثرة^(٥) وأطمعت [في]^(٦) المملكة،

(١) هو أبو بكر الصيرفي من أكابر علماء غرناطة في النصف الأول من القرن السادس الهجري . عمل كاتباً ووزيراً لأمير المرابطين محمد بن تاشفين الذي حكم الأندلس من سنة ٥٢٠ - ٥٣١ هـ . وألف كتاباً في تاريخ الدولة المرابطية هو : « الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية » الذي يقتبس ابن الخطيب كثيراً منه .

(٢) وردت في « ك » ، ابن أردمير . وفي « ج » ، ابن درمير . وكلاهما تحريف . وصوابه ابن رذمير ، وهو الاسم الذي تطلقه الرواية الإسلامية على الفونسو الأول ملك أراجون (١١٠٥ - ١١٣٤ م) . وقد كان ملكاً مقداماً . وهو الذي افتتح سرقسطة من يد المسلمين في سنة ١١١٨ م ، وانتزع إلى جانبها باقي قواعد الشجر الأعلى . وفي سنة ١١٢٥ م (٥١٨ هـ) خرج بقواته استجابة لتحريض النصارى المعاهدين إلى الغزوة التي يصفها ابن الخطيب فيما يلي . وسار بجيشه صوب غرناطة عن طريق بلنسية ومرسية وبياسة ، والنصارى المعاهدون يهرعون إلى لوائه أثناء السير حتى بلغ جيشه زهاء خمسين ألفاً . ووقف على غرناطة قليلاً ، ولكنه لم يفز منها بطائل لأن المرابطين اتخذوا أهبتهم لرده . ثم سار جنوباً حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط . ثم عاد بقواته . وخرج أثناء العود على غرناطة مرة أخرى . وفي أثناء ذلك دب الخلل إلى قواته ، وأرهقتها مطاردة المسلمين ، فعاد إلى أراضيها وقد تضاءلت قواته وتمزق معظمها .

(٣) كانت مدينة إفراغه Fraga من معاقل الشجر الأعلى . فلما استولى الفونسو الأول ملك أراجون على معظم قواعده سار إلى افتتاح إفراغه سنة ١١٣٤ م ، وضرب حولها الحصار . ولكن قدمت قوات المرابطين لإنجاد حاميتها . واشتبك المسلمون مع النصارى في معركة هزم فيها النصارى هزيمة ساحقة ، وفر الفونسو وتوفي بعد ذلك لأيام قلائل غماً وألماً .

(٤) المعاهدة هم النصارى المعاهدون الذين شرحنا أحوالهم فيما تقدم . وسماوا كذلك بسبب المعاهدات التي ارتضى الفاتحون المسلمون عقدها معهم ، وسمح لهم فيها بأن يحتفظوا بدينهم وشرائعهم نظير دفع الجزية المقررة .

(٥) في « ج » الترة . والثرة : السعة والبسطة .

(٦) ناقصة في المخطوطين ، ويقتضيها السياق .

فخاطبوا ابن رُذَيمٍ من هذه الأقطار ، وتوالت عليه كتبهم وتواترت رسلهم مُلحّة بالاستدعاء مُطْمَعة في دخول غرناطة . فلما أبطأ عنهم ، وجهوا إليه زماماً يشتمل على اثني عشر ألفاً من أنجاد مُقاتليهم ، لم يعدّوا فيها شيخاً ولا غراً ، وأخبروه أن من سمّوه ، ممن شهدت أعينهم لقرب مواضعهم ، وبالْبُعد من يخفى أمره ، ويظهر عند ورود شخصه ، فاستأثروا طمعه ، وابتعثوا حشفه ، واستقرّوه بأوصاف غرناطة ، وما لها من الفضائل على سائر البلاد ، وبفحصها الأفيح^(١) ، وكثرة فوائدها من القمح ، والشعير ، والكتّان ، وكثرة المرافق ، من الحرير والكرُوم ، والزيتون ، وأنواع الفواكه ، وكثرة العيون والأنهار ، ومنعة قبّتها وانطباع رعيّتها ، وتأتي أهل حاضرتها ، وجمال إشرافها وإطاليلها ، وأنها المباركة التي يمتلك منها غيرها ، المسماة سَنَام [الأندلس عند]^(٢) الملوك في تواريخها ، فرمّوه حتى أصابوا غرّبه ، فانتخب وأحشد وتحرك أول شعبان من عام خمسة عشر وخمسمائة^(٣) ، وقد أخفى مذهبه ، وكنم أربّه ، فوافى بِلَنسِيّة ، ثم إلى مُرُسية ، ثم إلى بيرة ، ثم اجتاز بالمنصورة ثم انحدر إلى بُرشانة^(٤) ، ثم تلوّم إلى وادي ناحلة^(٥) ، ثم تحرك إلى بسطة^(٦) ، ثم إلى وادي آش^(٧) ، فنزل بالقرية المعروفة بالقصر^(٨) ، وصافح المدينة بالحرب ، ولم يحل بطائل ، فأقام عليها شهراً .

(١) هو مرج غرناطة الشهير La Vega الذي سبق التعريف به .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في « ج » .

(٣) في هذا التاريخ شيء من التحريف . والحقيقة أن الفونسو الأرجوني بدأ زحفه على الأندلس في سنة ١١٢٥ م الموافقة ٥١٨ هـ ووصل إلى جنوبي الأندلس سنة ٥٢٠ هـ .

(٤) بيرة والمنصورة وبرشانة هي ثلاثة بلاد صغيرة في ولاية المرية الحديثة . تقع الأوليان منها شمال شرق مدينة المرية وتقع الثالثة شمال المرية في طريق وادي آش ، وتحمل على التوال الأسماء الحديثة الآتية : Vera, Cuevas de Almanzora, Purchena .

(٥) لم نعث على مقابل حديث لهذا الاسم .

(٦) رسمت « بصطه » في المخطوطين وصوابه بسطة وهي Baza الحديثة وتقع شمال شرق غرناطة .

(٧) وادي آش هي Guadix الحديثة . وقد كانت من المدن الزاهرة بمملكة غرناطة الإسلامية ، وكانت أيام حرب غرناطة الأخيرة معقل مولاي الزغل محمد بن سعد ، وسقطت في يد الإسبان قبل سقوط غرناطة بقليل في سنة ١٤٩٠ م .

(٨) هي بلدة القصر Alcazar الحديثة وهي واقعة في جنوب شرق غرناطة .

قال صاحب كتاب « الأنوار الجليّة »^(١) : فبدأ بَحْثُ المُعَاهِدَةِ بغرناطة في استدعائه ، فافتضح تديرهم باجتلابه ، وهمَّ أميرُها بتثقيفهم^(٢) ، فأعياهم ذلك ، وجعلوا يَتَسَلَّلُونَ إلى مَحَلَّتِهِ على كل طريق ، وقد أجدت جيوش المسلمين من أهل العُدُوَّة^(٣) والأندلس بغرناطة ، حتى صارت كالدَّائِرَةِ^(٤) ، وهى فى وسطها كالنُّقْطَةِ ، لَمَّا أُنْذِرُوا بغرضه ؛ وتحرك من وادى آش فنزل بقرية دِجَّة^(٥) ؛ وصلى الناس بغرناطة صلاة الخوف ، يوم عيد النحر من هذه السنة فى الأسلحة والأبهة ؛ وبُعِيدَ الظهر من غَدِهِ ، ظهرت أخبية الرُّومِ بالقيل^(٦) شرق المدينة ، وتوالى الحرب على فرسخين منها ، وقد أجلى السَّواد ، وتزاحم الناس بالمدينة ، وتوالى الجليد ، وأظَلَّتْ الأمطار . وأقام العدو بمَحَلَّتِهِ ، بضع عشرة ليلة ، لم تَسْرَحْ له سارحةٌ ، إلا أنَّ المُعَاهِدَةَ تَجَلَّبَ له الأقوات ؛ ثم أَقْلَعَ وقد ارتفع طَمَعُهُ عن المدينة ، لأربع بقين من ذى الحجة عام عشرين ، بعد أن تفرغ مُسْتَدْعِيهِ إليها ، وكبيرُهُ يُعْرِفُ بابن القلاس ، فاحتجوا بِبُطْنِهِ^(٧) وتلوَّموه حتى تلاحقت الجيوش ، وأنهم قد وقعوا مع المسلمين فى الهَلَكَةِ . فرحل عن قرية مُرْسَانَةِ إلى يَشْ^(٨) ، ومن الغد الى السكة^(٩) من

(١) وردت فى المخطوطين : « الأنوار الجليّة » وهو تحريف . وصاحب الكتاب هو أبو بكر الصيرفى الذى سبق التعريف به .

(٢) أى باعتقالهم .

(٣) أعنى أهل المغرب .

(٤) هكذا فى « ك » وفى « ج » كالدارة .

(٥) هى بلدة Diczma الحديثة وهى تقع غربى وادى آش فى منتصف الطريق بينها وبين غرناطة .

(٦) هكذا فى « ت » . وفى « ج » و « ك » ، بالنيل . وهو تحريف ، والقيل منتصف النهار .

(٧) هكذا فى « ك » و « ج » . وفى « ت » ، فاحتجوا ببطنه ، وهو تحريف ظاهر .

(٨) مرسانة وبالإسبانية Maracena ، وييش وبالإسبانية Beas ، قريتان من أحواز غرناطة

تقع الأولى فى شمالها الشرق ، والثانية فى شمالها الغربى .

(٩) هكذا فى « ت » . وفى « ك » السمكة . وفى « ج » الحكمة .

أحواز قلعة يَحْصِب^(١) ، ثم اتصل إلى لدُو بيانِه^(٢) ، ونكب إلى قبرة واللسَّانِه^(٣) ، والجيش المسلمة في أذْيالِه . وأقام بقبرة أياما ، ثم تحرك إلى بلای^(٤) والعساكر في أذْيالِه ، وشيْجَة^(٥) في فَحْصِ الرّيسُول^(٦) ، مكافحةً في أثنائها ، مناوشةً ، وظهوراً عليه .

ولما جَنَّ الليل ، أمر أميرهم برفع خبائه من وهدة كان فيها إلى نَجْدَة ، فساعت الظنون ، واختلَّ الأمر ، ففرَّ الناس وأسلموا^(٧) ، وتهبَّ العدو المَحَلَّة ، فلم يدخلها إلا بعد هدأة^(٨) من الليل واستولى عليها . وتحرك بعد الغد منها إلى جهة الساحل فشق العِمامة الآمنة من الإقليم والشارت^(٩) . فيقول بعضُ شيوخ تلك

(١) قلعة يحصب أو قلعة يعقوب هي بلدة « القلعة الملكية » الحديثة Alcalá la Real ، وتقع شمال غربي غرناطة . وقد كانت قديماً منزل آل سعيد الأدباء والمؤرخين أصحاب كتاب « المغرب » . وخاتمهم أبو الحسن بن سعيد المتوفى سنة ٦٨٥ هـ . وصاحب كتاب « القلح المعلى » و « الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد » .

(٢) هكذا رسم اسمها في « ج » . وفي « ت » « الدوبيانية » . ولم نعثر على بلد بهذا الاسم في هذه المنطقة .

(٣) قبره Cabra واللسان Lucena من بلاد الحصون القديمة في مملكة غرناطة الإسلامية ، وتقع كلتاها شمال غربي غرناطة على مقربة من قلعة يحصب ، وقد لعبت قبره بالأخص في حروب مملكة غرناطة الأخيرة أدواراً هامة . (٤) بلای ، كما رسمت في المخطوطين ، وبلى كما رسمت في « ت » Poley ، هو الاسم القديم لبلدة « أجيلار » Aguilar الحديثة . وموقعة بلای شهيرة في تاريخ الأندلس ، وهي الموقعة التي هزم فيها الأمير عبد الله صاحب الأندلس قوات الشاعر ابن حفصون سنة ٢٨٧ هـ (٨٩١ م) .

(٥) وردت في « ك » وسعته . وفي « ج » وسعته . وفي « ت » وبسمحته . وكلها تحريف لاسم بلدة شيجه أو أشيجه ، وهي بلدة Espejo الحديثة ، القريبة من غرناطة .

(٦) فحص الرئيسول أو أرنسول ، موضع يقع جنوب غرناطة . ويذكره ابن الأثير على أنه حصن لا فحص (ج ١٢ ص ٢٢٤) ويعرف حديثاً باسم Arinsol .

(٧) هكذا في « ت » . وفي المخطوطين : المسلمون . وهو تحريف ظاهر .

(٨) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » مدة ، والمعنى متقارب .

(٩) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » ، البشارات . والشارات أو البشارات هي فيما يبدو الهضاب والمرتفعات . وربما كانت ترجمة لكلمة Sierras الإسبانية أي الجبال .

الجهة ، إنه اجتاز بوادي شلوبانية^(١) المِطْلُ الحافّات ، المتحصّن^(٢) المجاز ، وقال بلغته : أى قَبْرُ هذا لو أَلْفَيْنَا من يَصُبُّ علينا التراب ؛ ثم عرّج يَمْنَةً حتى انتهى إلى بَلَش^(٣) ، وأنشأ بها جَفْنًا^(٤) صغيرا ، يصيد له حوتًا ، أكل منه كأنه نَذْرٌ كان عليه ، وفّى به ، أو حديثٌ أراد أن يُخلدَ عنه . ثم عاد إلى غرناطة ، فاضطرب بها محلته بقرية ذُكِرَ^(٥) ، على ثلاثة فراسخ منها قِبْلَةً ، ثم انتقل بعد ذلك بيومين إلى قرية هَمْدَان^(٦) ، وبرز بالكتب جاعِرِ سَطَةِ^(٧) من المدينة ، وكان بينه وبين عساكر المسلمين مُواقعة عظيمة ؛ ولأهل غرناطة بهذا الموضع حَدَثَان ينظرونه من القضايا المستقبلية .

قال ابن الصّيرفى : وقد ذُكر فى بعض كتب الجفر : « هذا الفحص ، بحرابٍ يجى^(٨) عن يتامى وأيامى » وكان هذا اليوم مُعَرَّضًا لذلك ، فوقى الله ؛ وانتقل بعد يومين إلى المَرَج^(٩) ، مُضَيِّقًا عليه والخليل بِجُرْحِيهِ^(١٠) ، فنزل بعين أطسه ،

(١) وادى شلوبانيه أو شلوبينية ، هو البسيط الذى تقع فيه بلدة شلوبانية ، وهى من الثغور الصغيرة الواقعة جنوب ولاية غرناطة على البحر الأبيض المتوسط . وهى تقع جنوب غربى مدينة مويريل وشرق المنكب . وتسمى اليوم بالإسبانية Salobrena ؛ وإليها ينتسب أبو على الشلوبينى إمام النحو بالأندلس المتوفى بإشبيلية سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) .

(٢) هكذا وردت فى « ت » . وفى المخطوطين : المتحصن . والأولى أرجح .

(٣) هى مدينة بلش مالقة Velez Malaga ، وهى تقع شرق ثغر مالقة وعلى مقربة منها .

(٤) أى مركبًا . وتستعمل هذه الكلمة بكثرة فى التواريخ الأندلسية للتعبير عن السفن وبخاصة السفن الحربية .

(٥) هكذا فى المخطوطين . وفى « ت » « دلوا » . وربما كانت هذه قرية Dilar الحديثة الواقعة جنوب غرناطة .

(٦) قرية همدان هى بلدة Alhendin الحديثة ، وهى تقع على مسافة قريبة من جنوب غرناطة .

(٧) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وهى إما أن تكون « وجاء عرسطه » ، وإما أن يكون

جاعرسطة الاسم الأول لأحد زعماء النصارى المعاهدين . وهو يتفق مع الإسبانية Inigo Arista

(٨) هكذا وردت هاتان الكلمتان فى « ت » . وفى « ج » ، بحرت سمى . ومكانها بياض فى « ك » .

(٩) وردت فى المخطوطات الثلاث : « الفرّج » . وقد رجحنا « المَرَج » La Vega .

(١٠) هكذا فى « ج » . وفى « ت » ، تحرحه . و « ك » نحوه وهو تحريف .

والجيوش مُحَدَقَةٌ به ، وهوفي نهاية من كمال التَّعَبِيَّة ، وأُخِذَ الحذر ، بحيث لا تُصابُ فيه فرصة ؛ ثم تحرك على التَّراجِلات ، إلى اللقوق^(١) ، إلى وادي آش ، وقد أُصيب كثيرٌ من حاميته ؛ وطوى المراحل إلى الشرق ؛ فاجتاز إلى مُرْسِيَّة ، إلى جوف شاطِبة ، والعساكر في كل ذلك تطأ أذياله ، والتَّناوش يتَخَطَّرُ به^(٢) ، والوباء يسرع إليه ، حتى لحق بلاده ، وهو ينظر إلى قفاه ، مُحْتَرِماً ، مَقْلُولاً من غير حرب ، يكاد الموت يستأصل مُحَلَّتَه وُجْهَتَه .

ولما بان للمسلمين من مكيدة جيرانهم المُعاهدين ، ما أُجِلَتْ عنه هذه القضية ، أخذهم الإرجاف ، ووَغِرَتْ لهم الصُّدُور . [وَوُجَّهَ إلى مكانهم الحزمُ ، فاحتسب الإرجافُ ، ووَغِرَتْ لهم الصدور]^(٣) ووجَّهَ القاضي أبو الوليد بن رُشد^(٤) الأجر ، وتَجَشَّمَ المجاز ، ولَحِقَ بالأمير [على بن]^(٥) يوسف بن تاشفين بمرَّاكش ، فَبَيَّنَ له أمر الأندلس ، وما مُنِيت^(٦) به من مُعاهِدِها ، وما جَنَّوه عليها ، من استدعاء الرُّوم ، وما في ذلك من نَقْضِ العَهْد ، والخروج عن الذمَّة ، وأفتى بتغريبهم ،

(١) لم نعثر على مواضع هذه الأماكن في الخرائط الحديثة ولا على مقابلها الإسباني والظاهر أنها دثرت .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي « ت » يتخطفه ، والمعنى واحد .

(٣) ما بين الخاصرتين زائد فقط في « ج » . وفيه تكرار .

(٤) أبو الوليد بن رشد هذا هو جد الفيلسوف الشهير ابن رشد . والاسمان متشابهان ، وكلاهما يكنى أبا الوليد . وقد ولد الفيلسوف في حياة جده المشار إليه سنة ٥٢٠ هـ ، أعنى في نفس السنة التي وقعت فيها غزوة النصارى لمرج غرناطة ، وعبر فيه الجدل إلى مراكش .

(٥) أضفنا هذه الزيادة لأنها لازمة لصحة الوقائع والسياق وبدونها نكون ازاء خطأ تاريخي واضح . لأن يوسف بن تاشفين توفى منذ سنة ٥٠٠ هـ ، وخلفه في الحكم والده على بن يوسف بن تاشفين الذي حكم من سنة ٥٠٠ هـ إلى سنة ٥٣٧ هـ ، وهو الذي أمر بتغريب النصارى المُعاهدين بناء على فتوى ابن رشد المذكور ، وخلاصتها أن النصارى المُعاهدين قد نقضوا العهود ، وأخلوا بها ، فسقطت عنهم الحماية الممنوحة لهم ، وحق عليهم العقاب (راجع الحلال الموشية ص ٧٠ و ٧١ . وتاريخ المرابطين والموحدين لاشياخ (الترجمة العربية) ج ١ ص ١٥٧ . وراجع أيضاً Simonet: Historia de los Mozarabes p. 790

(٦) وردت في المخطوطين : بنيت . وبالتصويب يستقيم المعنى .

وإجلالهم عن أوطانهم ، وهو أخفُّ ما يُؤخذ به من عقابهم ؛ وأخذ بقوله ، ونفَّذَ
بذلك عهدُهُ ، وأزْعَجَ^(١) منهم إلى بَرِّ العدوِّ ، في رمضان من العام المذكور ،
عددُ جمٍّ ، أنكرتهم الأهواء ، وأكلتهم الطرق ، وتفرَّقوا شَذَر مَذَر ، وأصاب
كثير من الجلاء مُجْتَمِعهم^(٢) من اليهود ، وتقاعدت بها منهم طائفة ، هَبَّت لها بمالأة
بعض الدول ريحٌ ، فأمرُوا وأكثَرُوا إلى عام تسعة وخمسين وخمسمائة ، ووقعت فيهم
وقيةٌ احتشَّتْهم ، إلَّا صابَةً^(٣) لهذا العهد قليلة ، قديمةُ المَدَلَّة ، وحالفت الصَّغار^(٤) ،
جعل الله العاقبة لأوليائه .

(١) في « ج » واعجز ، وهو تحريف ظاهر .

(٢) في « ج » ، جهتهم .

(٣) أى أقلية محدودة .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » الصغار .

ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم
التي نزلتها العرب بخارج غرناطة ، وما يتصل بها من العمالة

فصل

فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى والجَنَّات والجهات

قال المؤلف رحمه الله : وَيَحِفُّ بِسُور^(١) هذه المدينة المَعْصُومَة بدفاع الله تعالى ،
البساتين العريضة المُسْتَخْلَصَة ، والأدواح المُلتَفَّة ، فيصير سورها من خَلْف ذلك
كَأَنَّهُ من دُون سِيَّاج كَثِيفَة ، تلوح نجوم الشُّرَفَات أثناء^(٢) خَضْرَايَه . ولذلك ما قلت
فيه في بعض الأغراض :

بلد يحفُّ به الرِّياضُ كَأَنَّهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ والرِّياضُ عِذاره
وَكَأَنَّمَا واديه مِعْصَمٌ غَادِقٌ ومن الجُسُور المَحْكَمَاتِ سِوَارُهُ
فليس تَعْرِى جَنَبَاتُهُ من^(٣) الكُرُوم والجَنَّاتِ جهة ، إلا ما لا عِبْرَة به مقدارُ
غَلُوة ؛ أما ما حازه السَّفَل من جَوْفِهِ^(٤) ، فهي عَظِيمَة الخطر ، متناهية القِيم ، يضيق
جَدُّهُ^(٥) مَنْ عدا أهل المُلْك ، عن الوفاء بِأَثْمَانِهَا ، منها ما يُغِلُّ في السنة الواحدة نحو^(٦)

(١) وردت في المخطوطين : سور .

(٢) وردت فقط في « ت » ، وأغفلت في المخطوطين .

(٣) وردت كلمة « من » في المخطوطين بعد « جنباته » ، ووردت قبلها كلمة عن « ج »

و « ت » ، فلم نر محلا لإبقائها مع من لاختلاف المعنى .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » حومين .

(٥) هكذا في « ك » و « ت » . وفي « ج » جوه .

(٦) هكذا وردت في « ت » . وفي المخطوطين « شكر » .

الألف من الذهب ، قد غُصَّت الدكاكين بالخُضَر الناعمة ، والفواكه الطيبة ،
والثمر المدخرة ، يختصُّ منها بمُسْتَخْلَص السلطان^(١) ، المرور طَوْقًا على تَرَائب
بلده ما يناهز مائة^(٢)؛ منها الجَنَّة^(٣) المعروفة بفَدَّان المَيْسَة ، والجنة المعروفة بفدان
عِصام ، والجنة المعروفة بالمعروى^(٤) ، والجنة المنسوبة إلى قَدَّاح بن سُحْنُون ، والجنة
المنسوبة لابن المؤذن ، والجنة المنسوبة لابن كامل ، وجنة النَّخلة العليا ، وجنة النخلة
السفلى ، وجنة ابن عُمران ، والجنة التى إلى نافع ، والجُرْف الذى يُنسب إلى مُقْبَل ،
وجنة العَرَض ، [وجنة الحفرة]^(٥) ، وجنة الجُرْف ، ومدْرَج نجد ، ومدْرَج
السَّيِّكة^(٦) ، وجنة العَرِيف^(٧) : كلها لا نظير لها فى الحسن والدَّمانَة^(٨) والربيع ،
وطيب التربة ، وغرقد^(٩) السُّقيا ، والتِّفاف الأشجار ، واستجادة الأجناس ، إلى
ما يجاورها ويتخلَّلها ، مما يختص بالأحباس الموقفة ، والجنَّات المُتملِّكة ، وما يتصل
بها بوادى سَنَجِيل^(١٠) ما يقيد^(١١) الطَّرَف ، ويُعجز الوصف ، قد مَثَلَتْ منها على
الأنهار المتدافعة العُباب ، المنارة والقِباب^(١٢) ، واختصَّت من أشجار العاريات

-
- (١) مستخلص السلطان يراد به الأملاك السلطانية الخاصة التى يرجع ريعها إلى خزائنه الخاصة .
(٢) وردت فى المخطوطين : (ما ينهر بنيه) ، وبالتصويب يستقيم المعنى .
(٣) الجنة هنا بمعنى الحديقة أو البستان ، وهو اصطلاح ذائع فى اللغة الغرناطية .
(٤) هكذا فى « ك » . وفى « ت » بالمعروى . وفى « ج » بياض .
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط فى « ج » ووارد فى « ك » .
(٦) السبيكة هو الاسم الذى كان يطلق على البسيط الأخضر الشاسع الواقع جنوب شرق الحمراء
وقد شقت اليوم فيها الطرق الشاسعة المظلة بالأشجار الباسقة . ومنها الطريق المؤدى إلى باب الشريعة باب
الحمراء الرئيسى .
(٧) جنة العريف كانت تقع فى شمال شرق الحمراء فى أسفل الربوة التى يقوم عليها اليوم قصر جنة
العريف (المسمى بالإسبانية Generalife)
(٨) هكذا وردت فى « ج » ، وفى « ك » الدمامة وفى « ت » الدمامة .
(٩) الغرقد هو الشجر الضخم . والمقصود هنا وفرة المياه .
(١٠) وردت فى المخطوطين هكذا : « سجيل » وهو تعريف . والمقصود هو « سنجيل » . وهو اسم
آخر لنهر شنيل الذى تقع عليه غرناطة ، وسيجرى التعريف به .
(١١) هكذا فى « ج » . وفى « ك » يعيد .
(١٢) أثبتنا « واوا » بين الكلمتين ليستقيم المعنى .

ذاتِ العَصِيرِ الثاني بهذا الصَّعَقِ^(١)، ما قَصَّرت عنه الأقطار . وهذا الوادى من محاسن هذه الحضرة ، ماؤه رقيق من ذوب الثلج ، ومُجاجة الجَلِيدِ^(٢) ، وممرُّه على حصَى جوهريّة ، بالنبات والظلال محفوفة ، يأتى من قِبلة^(٣) البلد إلى غَرْبه ، فيمر بين القصور النّجْدية ، ذوات المناصب الرفيعة ، والأعلام الماثلة .

ولأهل الحضرة بهذه الجَنّات كَفٌّ ، ولذوى البطالة فوق نهره أريك من دَمَث الرمل ، وحِجال من مُلْتَفِّ الدَّوْح ، وكان بها سطرٌّ من شجر الحُور ، تُنسب إلى مَأمِل ، أحد خدام الدولة البادية^(٤) ، أدركنا المكان ، يُعرف بها .

قال أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن حسان :

أَحِنُّ إلى غَرْناطة كلما هَفَّتْ نسيمُ الصِّبا تهدي الجَوَى وتَشُوق
سقى الله من غَرْناطة كل منهل بمنهل سَحْبٍ ماؤُهُنَّ هَرِيق
ديارٌ يدور^(٥) الحسن بين خيامها وأرضٌ لها قلبُ الشَّجِيّ مَشُوق
أَغْرناطة العليّا بالله خَبْرِي أَللهائم الباكي إليك طريق
وما شاقنى إلا نضارة منظر وبهجة وادٍ للعيون تَرُوق
تأمل إذا أَمَلْتَ حَوْزَ مُؤَمِّلٍ ومدَّ من الحَمَرِ عليك شَقِيق
وأعلامُ نجدٍ والسَّيِّكة قد عَلَتْ وللشَّقَقِ الأعلى تلوحُ مُبروقُ

(١) وردت في المخطوطين : « السقع » وهو تحريف أو رسم مغربى لكلمة « الصقع » .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » الجليل .

(٣) وردت في « ج » كلمة « علام » زائدة بعد قبله ، وهى لا مكان لها هنا .

(٤) نسبة إلى باديس بن جبوس الصنهاجى الملقب بالمظفر . وقد حكم غرناطة وأحوازها عقب الفتنة

البربرية من ٤٢٨ - ٤٦٧ هـ . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد .

(٥) وردت في المخطوطين : ديور .

وقد سلّ شَنِيلٌ^(١) فَرِنْدًا مُهَنَّدًا نُضَى فوق دُرٍّ ذُرٍّ فيه عقيقُ
إذا نَمَّ منه طيبُ نَشْرِ أراكه أراكَ فَتَيْتِ الْمِسْكَ وهو فَتَيْقُ
ومهما بكى جَفْنُ الغمام تبسّمت ثغورُ أقاحٍ للريّاض أنيق

ولقد وَلَعَتِ الشعراء بوصف هذا الوادى ، وتغالت الغالات فيه ، فى تفضيله على النيل بزيادة الشَّين ، وهو ألفٌ من العدد ، فكأنه نيلٌ بألفٍ ضِعْفٍ ، على عادة متناهى^(٢) الخيال الشعرى ، فى مثل ذلك .

ولقد أَلْغَزْتُ فيه لشيخنا أبى الحسن بن الجيّاب^(٣) ، رحمه الله ، وقد نظم فى المعنى المذكور ما عَظُمَ له استِطْرَابُهُ وهو :

ما اسمٌ إذا زِدَتْهُ أَلْفًا من العَدَدِ أفَادَ معناه لم ينقص ولم يزد
وإنما ائْتَلَفَا^(٤) من بعد ما اختلفَا معنى بِشَيْنٍ ومن نَزَرَ ومن بَلَدٍ

ثم يتصل بالحسن العادى البديع ، وهو على قسمين ، خَمْسٌ من مُحْكَمِ الكِدَانِ [فى نهاية الإبداع والإحكام يتَّصل به بناءً قديمٌ مُحْكَمٌ ، ويستقبل المَلْعَبُ]^(٥) ، العِيدِى ، ما بين ذُنَابِى^(٦) الجسر إلى جِدَارِ الرَّابِطَةِ ، وملعب بديع الشكل ، عن

(١) شَنِيل ، وبالإسبانية Genil أو Xenil ، وهو النهر الذى تقع عليه غرناطة . ويسمى أيضاً عند الأندلسيين بنهر سنجيل ، مشتقاً من اسمه اللاتينى Singilis . وشَنِيل هو أحد فروع نهر الوادى الكبير . وقد كانت ضفافه أيام الدولة الإسلامية خاصة بالحدائق الغناء . ولكنه اليوم يغلب عليه الجفاف ، وقد عفت الحضرة عن شاطئيه . وقد رأيناه غير مرة ، وقد كاد قاعه يخلو من الماء .

(٢) وردت فى المخطوطين : « متناهى » . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٣) هو الرئيس ذو الوزارتين أبو الحسن على بن الجيّاب من أقطاب الشعر والكتابة (٦٧٣ -

٧٤٩ هـ) . وكان ابن الخطيب من تلامذته ومعاونيه فى ديوان الإنشاء . ويترجم له ابن الخطيب فيما بعد ويسميه « شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ » . وقد نقل المقرئ ترجمته من الإحاطة ، وأورد له كثيراً من النثر والنظم (نفع الطيب ج ٣ ص ٢٢٦ - ٢٤٥) .

(٤) وردت فى المخطوطين : « استلنى » ، والتصويب من « ت » .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى « ت » فقط وساقط من المخطوطين .

(٦) وردت فى المخطوطين : دنابى . وأغفلت فى « ت » .

يمينه جناحٌ بديع ، عن ميدانه عدّوات النهر ، وعن يساره الجَنّات^(١) ، ويُقضى بعد انتهائه إلى الرّابطة ، إلى باب القصر المنسوب إلى السيّد^(٢) ، وسيأتى ذكره ؛ ويرتفع من هذا النهر الزُّلال جداولٌ ، تدور بها أعداد من الارْحى^(٣) لا نظير لها استعداداً وإفادة .

(١) يبدو من هذه الأوصاف المضطربة نوعاً أنه يقصد بالبقعة الواقعة في جنوب شنيل تجاه غرناطة والتي تسمى اليوم أرميليا Armilla (أرملة القديمة) ، والملعب القديم الذي كان بها . وهي ما تزال تحتفظ ببقية صغيرة من القصر المشار إليه فيما بعد .

(٢) قصر السيد هو أحد القصور الملكية التي بنيت خارج غرناطة أيام الموحدين . أنشأه « السيد » أبو إسحق بن يوسف سلطان الموحدين سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) . وفي أيام ملوك بني نصر كان يستعمل قصراً للضيافة . وقد بقيت منه إلى اليوم بقية صغيرة تتكون من عقد مدخل ، وبهو صغير مربع ذي قبة عالية ، وقد نقشت على جوانبه أدعية مختلفة يتخللها شعار بني نصر « ولا غالب إلا الله » . ويعرف اليوم بين الآثار الغرناطية باسم « قصر شنيل » Alcazar Genil وذلك لموقعه في بقعة أرميليا الواقعة على ضفة نهر شنيل .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي « ت » الأراحة .

فصل

وتركب ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث ، الكروم البديعة ، طوقاً مرقوماً ، يتصل بما وراءها من الجبال ، فتعم الرُّبى والوهاد ، وتشمل الغور والنجد ، إلا ما اختص منها بالسَّهل الأفيح^(١) ، متصلاً بشرقي باب البيرة^(٢) ، إلى الخندق العميق ، وهو المسمى « بالمشايخ » ، بسيط جليل ، وجوٌّ عريض ، تعي^(٣) على العدَّ أبراجه^(٤) ؛ ومصانعه ، تلوح مبانيها ، ناجحةً بين الثَّار والزيتون ، وسائر ذوات الفواكه من اللوز والإجاص والكثيرى ، مُحْدَقَة^(٥) من الكروم المُسِحَّة ، والرياحين الملتفة ، ببحور طامية ، تأتي البُقعة الماء ؛ ففيها كثير من البساتين والرياض ، والحصون^(٦) ، والأماك المتصلة السكنى ، على الفُصول ؛ وإلى هذه الجهة يشيرُ الفقيهُ القاضى ، أبو القاسم بن أبي العافية ، رحمه الله ، فى قصيدة ، يجب بها عروس الشعراء ، الأديب الرَّحال أبا إسحاق السَّاحلى ، وكان ممن نيطت عليه بهذا العهد^(٧) ، التَّأئم :

يا نازحاً لعب المطي بكورةٍ لعب الرياح الهوج بالأملود
ورمت به للطفية القصوى التى ما وردها لسواه بالموزود
هلاً حننت إلى معاهدنا التى كنت الحلى لنحرها والجيد

(١) وهو الفحص La Vega الذى سبق التعريف به .

(٢) باب البيره ما يزال باقياً حتى اليوم . وقد سبق التعريف به .

(٣) هكذا فى « ت » . ووردت محرفة فى المخطوطين (تغمى تسمى) .

(٤) وردت فى المخطوطين : أمراجه . والتصويب من « ت »

(٥) هكذا فى المخطوطين . وفى « ت » : عرفت .

(٦) فى المخطوطات الثلاث : الرياضة والحصن وهو تعريف .

(٧) وردت فى المخطوطين : المعهد ، والمعهد أرجح .

ورِياضُ أنسٍ بالمشايخ^(١) طارَحَتْ فيه الحمامُ صَوْتَ سَجْعِ^(٢) العُودِ
 ومَبيتنا فيها وَصَفَوْا مُدَامِنَا صَفَوْا المَوَدَّةَ لابنةَ العُنُقُودِ
 والعيشُ أخضرُ والهوى يُدْنِي جَنَى زَهْرَاتِ ثَغْرِ أو ثَمَارِ نُهُودِ
 والقُضْبُ رافلةٌ يُعَانِقُ بعضها بعضاً إذا اعتنقت غُصُونُ قُدُودِ
 لهْفِي على ذاك الزمان وطِيبِهِ^(٣) وعلى مُناه وعَيْشِهِ المَحْسُودِ
 تلك الليالى لا ليالى بعدها عُطَّانٌ إلا من جَوَى وسُهودِ
 كانت قِصَّاراً ثم طُلْنَ فيها أنا ناءً على المَقْصُورِ والمَمْدُودِ

وأما ما استند إلى الجبل ، فيتصل به البيازير في سفح الجبل ، المتصل بالكُدَيْة
 ابن سعد ، مُتَّصِلاً بالكُدَيْة المُبْصَلَةِ ، المنسوبة لعَيْن الدَّمْعِ^(٤) ، منعطفةً على عَيْنِ
 القِبْلَةِ ، متصلةً بجبل الفَخَّارِ^(٥) ، نَاهِلَةٌ في غَمْرِ الماءِ المجوبِ على ذلك السَّمْتِ ؛
 أوضاعٌ بديعةٌ ، وبساتينُ رائقةٌ ، وجَنَاتٌ لا نظيرَ لها ، في اعتدالِ الهواءِ ، وعذوبةِ
 الماءِ ، والإشرافِ على الأرجاءِ ، ففيها القصورُ المحروسةُ ، والمنازلُ المعمورةُ ، والدُّورُ
 العاليةُ ، والمباني القَصَبِيَّةُ^(٦) ، والرياحينُ النَّصِيرَةُ ، قد فَضَّ فيها أهلُ البطالةِ ، من

(١) هو الاسم الذي كان يطلق على السهل الأخضر المتصل بالفحص كما تقدم في السياق .

(٢) وردت في المخطوطين محرفة : (سجم . سيج) .

(٣) هكذا وردت في « ج » . وهي ساقطة في « ك » .

(٤) عين الدمع هي بقعة من ضواحي غرناطة ، كانت أيام المسلمين متنزهاً بديعاً ، إذ كانت
 تفص بالمروج والحدائق الغناء . ويبدو من وصف ابن الخطيب أنها كانت قرية من سفح جبل الفخار .
 واستمرت هذه البقعة بعد سقوط غرناطة أيام الموريسكيين تحتفظ ببقية من سحرها القديم . وكانت عندئذ
 تسمى « عين الدمة » ويشغل موقعها سطح تلال البيازير التي تطل على المرج . ويطلق عليها اليوم
 بالإسبانية Dinadamar, Aindamar . ومكانها القديم يقع اليوم في دائرة لا كارتوخا La Cartuja .
 (راجع Simonet; Descripción; ibid p. 69) .

(٥) هو إحدى شعب جبال سيرايفادا المشرفة على غرناطة ويسمى اليوم Monte Alfacar

(٦) أعني مثل القصبة وهي الحصن ، أو القصر في لغة الخطط الأندلسية .

أولى الحبرة ، الأكياس ، وأرخصوا على النفقة عليها ، غالى النّشب^(١) ، تنازع^(٢) في ذلك غير^(٣) الخادمين ، من خدام الدولة على مرّ الأيام ، حتى أصبحت نادرة الأرض ، والمثل في الحُسن . ولهذه البقعة ذِكْرٌ يجري في المنظومات على ألسنة البلغاء من ساكنيها وزوّارها ؛ فمن أحسن ما مرّ من ذلك قول شيخنا أبي البركات^(٤) :

ألا قل لعين الدمع يَهْمِي بِمَقْلَتِي لفرقة عين الدمع وقفًا على الدم

وذكرته في قصيدة فقلت :

يا عهد عين الدمع كم من لؤلؤ للدمع جاد به عساك تعود
تسرى نواصمك اللدان بلبلة فيهنّ شوقٌ إليك شديد

وقلت من أيباب تُكتب في قُبّةٍ بقصرى الذى اخترعته بها :

إذا كان عينُ الدمع عينًا حقيقة فأنسانها ما نحن فيه ولا دع^(٥)
فدام لخيّل الأنس واللهو ملعبًا ولازال مثنوا المنعم مرتع
تودُّ الثريّا أن تكون له ثرى وتمدحه الشعرى وتحرسه المع

وقال صاحبنا الفقيه أبو القاسم بن قرطبة من قصيدة :

أجل إن عين الدمع قيدُ النواظر فسرح عيونًا في اجتلاء النواظر
وعرج على الأوزان إن كنت ذا هوى فإن رباه^(٦) مرتع للجاذر

(١) النّشب أخى المال والعقار .

(٢) في المخطوطين : يتنازعوا .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » ، غين .

(٤) هو أبو البركات بن الحاج البلفيقي من شيوخ ابن الخطيب . وسوف يترجم له فيما بعد بإفاضة .

(٥) وفي نص « ولا دعوى » .

(٦) وردت في « ج » رياه ، وفي « ك » . مرآة . والتصويب من « ت » .

وصافح بها كفَّ البهار مُسَلِّمًا وَقَبَّلَ عِذَارَ الْأُنْسِ بَيْنَ الْأَزَاهِرِ
وَحُذِّهَا عَلَى تِلْكَ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبِيِّ مُعْتَقَةً تَجْلُو الصَّدَا لِلْخَوَاطِرِ
مُدَامَةً حَانَ أَنْسَا الدَّهْرُ عُمرَهَا فَلَمْ تَحْشَ أَحْدَاثَ الدُّهُورِ الدَّوَائِرِ
تُحَدِّثُ عَنْ كِسْرَى وَسَاسَانَ قَبْلَهُ وَتُخْبِرُ عَنْ كَرَمٍ يُخَلِّدُ دَائِرَهُ

وهي طويلة . وقال أيضاً من قصيدة طويلة :

وليلاً بعين الدمع وصلًا قطعته وَأَنْجَمُهُ بَيْنَ النُّجُومِ سَعُودُ
تَرَى الْحُسْنَ مَنْشُورَ اللِّوَاءِ بِسْرَهُ وَظِلُّ الْأُمَانِي فِي رُبَاهِ مَدِيدُ
فَبِتَنَّا وَمَنْ رَوَّضَ الْخُدُودَ أَزَاهِرَهُ لَدَيْنَا وَمَنْ وَرَدَ الرِّيَّاضَ خُدُودُ
وَتَفَاحُنَا وَسَطَ الرِّيَّاضِ مُورَدُهُ وَرُمَانُنَا وَسَطَ الصُّدُورِ نُهُودُ
وَقَدْ عَرَفَتْ نَصَّ الْهَوَى وَذَمِيلَهُ تَهَيَّمُ مِنْ أَكْبَادِنَا وَنَجُودُ

وقال من قصيدة :

وملِّ بنا نحو عين الدمع نشرَبُهَا حَيْثُ السُّرُورِ بِكَاسِ الْأُنْسِ يَسْقِينِي
حَيْثُ الْمَنَى وَفَنُونَُ اللَّهْوِ رَاتِعَةٌ وَالطَّيْرُ مِنْ طَرَبٍ فِيهَا تُنَاجِينِي
وَجَدُولُ الْمَاءِ يَحْكِي فِي أَجْنَتِهِ صَوَارِمًا جُرِّدَتْ فِي يَوْمِ صِفِّينِ
وَأَعْيُنُ الزَّهْرِ فِي الْأَغْصَانِ جَاحِظَةٌ كَأَنَّهَا بِهَوَى الْغِزْلَانِ تُغْرِينِي

ومن ذلك :

سهرت بعين الدمع أرْعَى رُبُوعَهُ وَحَسْبِي مِنَ الْأَحْبَابِ رَعَى الْمَنَازِلِ
يُنَافِحُنِي عَرَفٌ إِذَا هَبَّتْ الصَّبَا وَيُقْنِعُنِي طَيْفُ الْحَبِيبِ الْمُرَاسِلِ

والأقاويل في ذلك أكثر من أن يحاط بها كثرة ؛ وما سوى هذه الجهة فغير لاحق بهذه الرتبة ، مما مَعَوْلُهُ^(١) على تحض الفائدة [وصریح العائدة]^(٢) . وتذهب هذه العُروس المغروسة قِبَلَةً ، ثم يفيض تيارها إلى غرب المدينة ، وقد تركت بها الجبال الشاهقة ، والسفوح العريضة ، والبطون الممتدة ، والأغوار الخائفة ، مكللة بالأعنان ، غاصّة بالأدواح ، متزاحمة بالبيوت والأبراج ، بلغ إلى هذا العهد عدّها في ديوان الحرص^(٣) ، إلى ما يناهز أربعة عشر ألفا ، نقلت ذلك من خطٍّ من يُشار إليه في هذه الوظيفة ؛ وقاها الله مَصْرَّة السنين ، ودفع عنها عُبَاب^(٤) القوم الظالمين ، وعُدَّوان الكافرين .

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » معوضه . والأولى أصلح للسياق .

(٢) هذه العبارة واردة في « ك » . وساقطة في « ج » .

(٣) كان ديوان الحرص فيما يبدو هو الديوان المختص بحصر الأملاك وغلاتها وتقدير الضرائب عليها .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » عياب .

فصل

ويحيط بما خلف السور من البناء^(١)، والجَنَّات، في سهل المدينة، العقار الثمين^(٢)، العظيم الفائدة، المتعاقبة الغلة، الذي لا يعرف الحمام، ولا يفارق الزرع، من الأرض البيضاء، ينتهي ثمن المرجع منها العلي، إلى خمسة وعشرين ديناراً من الذهب العين، لهذا العهد فيه مُسْتَخْلَصُ السلطان^(٣)، ما يضيق عنه نطاق القيمة، ذرعاً وغبطة وانتظاماً؛ يرجع إلى دور ناجمة^(٤)، وبرُوج سامية، وبيادر فسيحة، ومصابٍ للحمايم والدّواجن ماثلة، منها في طوق البلد، وجمي سورها، جُمْلَةٌ؛ كالدار المنسوبة إلى هذيل، والدار المنسوبة إلى ابن مرضي، والدار البيضاء^(٥)، والدار المنسوبة إلى السَّينيات، والدار المعروفة بنبلة ووتر؛ وبالمرج ما يسائر جربة النهر كقرية وكر وبها حصن خريز، وبستان وبشر عيون، والدار المنسوبة إلى خلف، وعَيْنُ الأبراج، والحش^(٦) المنسوب إلى الصّحاب؛ وقرية رومة وبها حصن وبستان، والدار المنسوبة إلى العطشي، وبها حصن، والدار المنسوبة لابن جزي، والحش المنسوب لأبي علي؛ وقرية ناحرة، ومنها فضل بن مسامة الحسني، وبها حصن، وحوله^(٧) ربض، فيه من الناس أُمّة، وقرية سنيانة وفيها حصن؛ وقرية أشكر؛ وقرية يشر وواط، وبهما حصنان؛ وقرية واط عبد الملك بن حبيب. وفي هذه القرى الجملُ البضخمة من الرجال، والفحول من الحيوان الحارث

(١) هكذا في «ك». وفي «ج» المبني.

(٢) في «ك» و «ج» الثمين.

(٣) سبق التعريف به. انظر الحاشية في ص ١٢٢.

(٤) وردت في المخطوطين: ناحة.

(٥) الدار البيضاء مكانها اليوم في غرناطة الحى المسمى Quarto real de San Domingo

(٦) الحش بالفتح وبالضم معناه البستان. وجمعه حُشَّان.

(٧) هكذا وردت في «ج». وفي «ك». وحولته.

لآثار الأرض ، وعلاج الفلاحة ؛ وفي كثير منها الأُرْحَى والمساجد^(١) . وما سوى هذه من القرى ، المُسْتَخْلَصُ من فَضْلة الإِقْطَاع ، وقَصَّرت به الشهرة عن هذا النَمَط ، فكثيرٌ .

ويتخلل هذا المتاع الغبيط^(٢) الذى هو لُبَاب الفلاحة ، وغير هذه المدرة^(٣) الطَّيِّبة ، سائر القرى التى بأيدي الرعية ، مجاورة لهذه الحدود ، وبنات لهذه الأمهات . منها ما انبسط وتمدد ، فاشترك فيه الألوف من الخَلْق ، وتعددت منه الأشكال ؛ ونحن نوقع الإِسْمَ منه على البُقْعة من غير ملاحظة للتعدد . ومنها ما انفرد بمالكٍ واثنين فصاعداً ، وهو قليل ؛ وتنيفُ أسماؤها على ثلاث مائة قرية ، ما عدا ما يجاور الحضرة من كثير من قرى الإقليم ، أو ما استضافته حدودُ الحصون المجاورة *

فمن ذلك حَوْز الساعدين^(٤) ، وفيه القرى ؛ وحَوْز وَتَر^(٥) ، ومنها إبراهيم بن

(١) وردت في المخطوطين محرفة : (الأرجلى ، الأرحلى والمساجد) .

(٢) الغبيط . أى الذى يغبط ويتمنى مثله .

(٣) المدر هو الطين وهو جمع مدرة ، والمدرة أيضاً بمعنى القرية .

* يورد ابن الخطيب فيما يلي أسماء نحو مائة وأربعين قرية ومحلة من قرى ولاية غرناطة القديمة . منها ما هو قريب من الحضرة أى غرناطة ، ومنها ما هو بعيد عنها أو واقع حولها . ولما كان كثير من هذه القرى والأماكن الأندلسية القديمة ما يزال قائماً حتى اليوم بعد أن استحالت إلى قرى إسبانية نصرانية ، واستحالت أسماؤها إلى أسماء أوربية ، ولما كان من المفيد لدراسة التاريخ الأندلسى والجغرافية لأندلسية أن نقف على الأسماء الإسبانية الحديثة لما بقى منها ، وأن نعرف فى نفس الوقت ما دثر منها ؛ لذلك رأيت أن أتولى مهمة التعريف بها وبأسمائها ، وأن أتقصى مواقعها على الخرائط الخاصة . وقد وفقت بعد جهد شاق إلى التعريف بكثير منها ، وتعيين مواطنها . وسنذكرها تباعاً فيما يلي كلاً منها تحت رقمه وفق الترتيب الذى أوردها به ابن الخطيب ، مع ذكر مواقعها وأسمائها الإسبانية ؛ مع العلم بأن كثيراً منها قد دثر اليوم . وهذه تركناها دون ترقيم :

(٤) هو اليوم المكان المسمى El Zaidin وهو يقع فى جنوب غرناطة بجوار قرية Hueter

المذكورة بعد .

(٥) هى القرية المسماة Hueter de le Vega وهى ضاحية فى جنوب شرق غرناطة .

زيد المحاربي ؛ وقرية قُلْجَار^(١) ؛ وقرية يَاجُر الشاميين ، وقرية يَاجُر البلّيين^(٢) ؛
 وقرية قَشْتَالَة^(٣) ، ومنها قاسم بن إمام من أصحاب سُحُنُون ، ونزل بها جده عطيه بن
 خالد المحاربي ؛ وقرية أَجْجَر^(٤) ؛ وقرية أَرْمِلَة الكبرى ، وقرية أَرْمِلَة الصغرى^(٥) ؛
 وقرية رِقَاق وَهْمَدَان^(٦) ، منها الغريب بن يزيد الشمر جَدُّ بنى أَضْحَى ؛ وقرية
 الْغَيْضُون ؛ وقرية لَسَّانَة^(٧) ؛ وحارة الجامع ؛ وحارة الْفِرَاق ؛ وقرية غُرْلِيَانَة ؛
 وَحُشُّ الْبُكْر^(٨) ؛ وغدير الصغرى ، وغدير الكبرى ، من إقليم الْبَلَاط ، منها
 يُرْبُوع بن عبد الجليل ، نزل بها جده يربوع بن عبد الملك بن حبيب ؛ وقرية
 قُولر^(٩) ؛ وقرية جُرْلِيَانَة^(١٠) ؛ وقرية حارة عمروس^(١١) ؛ وَحُشُّ الطَّلَم^(١٢) ؛

-
- (١) هي قرية Gojar الواقعة جنوب غرناطة في الضفة الأخرى لنهر شنيل .
- (٢) أحد الإسمين ينطبق اليوم على ضاحية Yajar الواقعة في نهاية « الزاوية » La Zubia على مقربة من غرناطة .
- (٣) هي قرية Castella القديمة وقد دثرت اليوم .
- (٤) أحجر إذا كانت بالحاء فالمرجح أنها Hajar الحديثة وهي تطلق اليوم على قرية تقع بجوار قُولر Cullar Vega الآتى ذكرها . وإذا كانت أججر أو أجيجر وهو ما نرجحه فإنها تكون Ugijar الحديثة وهي تقع جنوب شرق الولاية ، وجنوب وادي آش .
- (٥) هاتان القريتان تجتمعان اليوم تحت اسم واحد هو Armilla (أرمليا) وهي ضاحية غرناطة على ضفة شنيل الجنوبية ، وبها بقية قصر السيد المشهور باسم قصر شنيل Alcazar Genil .
- (٦) رقاق وهمدان هما اليوم قرية Alhendin الواقعة جنوب شرق أرمليا .
- (٧) لسانة ربما كانت هي اللسانة المشهورة في حروب غرناطة الأخيرة . وهي اليوم Lucena الحديثة وهي تقع في نهاية الولاية شمال غربي لوشة .
- (٨) حش البكر ربما كان موضعه اليوم القرية المسماة Bucor ، وهي شمال غربي غرناطة على مقربة من قربسانة الآتى ذكرها .
- (٩) وقرية قُولر هي اليوم Cullar Vega الواقعة في جنوب غربي غرناطة .
- (١٠) وجرليانة هي Churriana de la Vega الواقعة أيضاً في جنوب غربي غرناطة وجنوب شرق سانتافييه .
- (١١) وحارة عمروس هي اليوم قرية Ambrox وهي تقع بجوار جرليانة .
- (١٢) وحش الطلم مكانه اليوم قرية Macharatalan الواقعة في مرج غرناطة على ضفة شنيل ، وتقابل حي Sagrario الحديث في غرناطة .

وقرية المطار ؛ وقرية الصرْمُورَتَة^(١) ؛ وقرية بِلِسَانَة^(٢) ؛ وقرية الحَبِشَان ؛
 وقرية الشُّوش^(٣) ؛ وقرية عَرْتَقَة ؛ وقرية جيجانة^(٤) ؛ وقرية السَّيْجَة ؛ وَقَنْب
 قَيْس^(٥) ؛ وقرية بَرْدَنَار^(٦) ؛ وقرية دوير تارش ؛ وقرية آقَلَة^(٧) ؛ وقرية
 أَحْجَر^(٨) ؛ وقرية تَجْرَجُر^(٩) ؛ وقرية والَة ؛ وقرية أَنْقَر ؛ وقرية الْغُرُوم^(١٠) ؛
 وقرية دار وَهْدَان ، وقرية بيرة^(١١) ؛ وقرية الْقُصَيَّة ؛ وقرية أَنْطُس ؛ وقرية
 قَنْتِيلَان^(١٢) ؛ وقرية سنبودة ؛ وَحْش زَنْجِيل ؛ وقرية أَشْتَر ؛ وقرية غَسَّان^(١٣) ، منها
 مطر بن عيسى بن الليث ؛ وقرية شَوَذَر^(١٤) ؛ وقرية سُنْتَشَر^(١٥) ؛ وقرية ابن ناطح ؛

-
- (١) قرية الصرمورته هي Sierra Murada وموقعها في شمال غربي غرناطة .
 (٢) قرية بلسانة (وقد رسمت بايسانه خطأ في المخطوطين) هي Belicena الحديثة الواقعة غربي
 غرناطة بجوار سانتافييه .
 (٣) وقرية الشوش هي اليوم على ما يرجح قرية El Jau الحديثة الواقعة في المريج قرب سانتافييه .
 (٤) وقرية جيجانة هي Chauchina الحديثة وهي تقع شمال غربي سانتافييه .
 (٥) وقنب قيس هي Cambea .
 (٦) وقرية بردنار (وقد رسمت محرفة ، بردنام في «ك») هي Bcznar الحديثة وهي تقع جنوبي
 غرناطة على بعد نحو خمسين كيلومتراً منها .
 (٧) وآقله هي Acula .
 (٨) وأحجر هي في اعتقاد البعض تحريف لكلمة «الحجر» وهي اليوم قرية Lachar الحديثة
 الواقعة بين تجرجر والعقوله .
 (٩) وقرية تجرجر هي اليوم Tajarja ، وهي محلة صغيرة تقع في غربي غرناطة في منتصف
 الطريق بينها وبين لوشة .
 (١٠) وقرية الغروم هي Agron الحديثة ، وهي تقع على نحو أربعين كيلومتراً من جنوب غربي
 غرناطة على مقربة من الحامة .
 (١١) وقرية بيرة هي Baira الحديثة .
 (١٢) وقرنة فنتيلان هي إما Fontanar أو Fuentallana الحديثة .
 (١٣) وغسان هي اليوم قرية Cacin الحديثة ، وهي تقع في نهاية المريج في سفح جبل الحامة .
 (١٤) وشوذر هي Jodai الحديثة ، وتقع شمال غرناطة ، وهي الآن من أعمال ولاية جيان .
 (١٥) وسنتشر ربما كانت بلدة Conchar الواقعة جنوب غرناطة .

وقرية الملاحه^(١)، ومنها محمد بن عبد الواحد الغافقي أبو القاسم الملاحى؛ وقرية القُمُور،
 منها أصْبَغ بن مُطَرِّف؛ وقرية نفجر وغرنطلة^(٢)؛ وقرية بيرة وبها مسجد قراءة ابن
 حبيب؛ وقرية قُولَجَر^(٣)، منها سهل بن مالك؛ وقرية شور^(٤)، منها محمد بن
 هانىء الأزدي الشاعر المُفلق، ومحمد بن سهل جدُّ هذا البيت، بنى سهل بن مالك؛
 وقرية بُلَيَّانة^(٥)؛ وقرية برقلش^(٦)؛ وقرية ضُوجر؛ وقرية البَلُوط^(٧)؛ وقرية
 أُنتَيَّانة^(٨)؛ وقرية مَرْسَانة^(٩)؛ وقرية الدَّوِير؛ وقرية الشَّلَان؛ وقرية
 طِغْنَر^(١٠)، منها الطغنى صاحب الفلاحة؛ وقرية حش الدجاج؛ وقرية حُش
 نوح؛ وقرية حُش خليفة؛ وحُش الكَوْبَانِي^(١١)؛ وحُش المعيشة؛ وحُش السلسلة؛
 وقرية الطرف^(١٢)؛ وقرية إلبيرة^(٣)؛ وقرية الشَّكْرُوجَة^(١٤)، ومنها عيسى بن

-
- (١) والملاحه هي قرية La Malà الحديثة . وهي واقعة جنوب غرناطة على مقربة من همدان Alhendin
 (٢) وقرية نفجر وغرنطلة هي اليوم Naujar Grandilla وربما كانت هي غولجر الآتية الذكر
 (٣) وقولجر هي قرية Gojar الواقعة جنوب غرناطة على مقربة من ضاحية أرمليا .
 (٤) وقرية شور وقد تكون أيضاً شون، هي اليوم بلدة Jun الواقعة شمال غرناطة ومن ضواحيها .
 ويسمى بها آسين بلاثيوس « جند » .
 (٥) وبليانة هي اليوم كاسمها القديم Pulianas وتقع بجوار قرية شور على مقربة من غرناطة .
 (٦) وبرقلش هي اليوم قرية Peligros الواقعة بجوار بليانة المتقدمة .
 (٧) وقرية البلوط هي اليوم Albolote الواقعة قبالة بليانة وبرقلش، على مقربة من غرناطة .
 (٨) وقرية انتيانية ربما كانت Fontanar الحديثة .
 (٩) ومرسانة هي قرية Maracena الحديثة الواقعة شمال غربي غرناطة ومن ضواحيها .
 (١٠) وقرية طغنى Tignar (وقد وردت محرفة في المخطوطين ، طعن) كان موقعها شمال غربي غرناطة
 على مقربة من البيرة ؛ ولعلها دثرت إذ لم نجد موقعها بالخرائط .
 (١١) في الأسماء الثلاثة الأخيرة وردت كلمة « حبش » قبل كل منها في المخطوطين . ولكننا نرجح
 أنها « حش » جرياً على ما تقدم .
 (١٢) وقرية الطرف تحمل اليوم نفس اسمها القديم Atarfe وتقع على مقربة من مرسانة المتقدمة
 الذكر .
 (١٣) وقرية البيرة هي اليوم بلدة Elvira وتقع على مقربة من الطرف ، وهي مثلها من ضواحي
 غرناطة وهي غير البيرة القديمة .
 (١٤) وقرية الشكروجة هي اليوم Asquerosa الحديثة .

محمد بن أبي زَمْنين ؛ وعين الحُورَة ؛ وحُش البُومل ؛ وقرية بلومال^(١) ؛ وقرية
 رقّ المَخِيض ؛ وقرية الغَيْضُون الحُورَة ؛ وقرية اشقُطمر ؛ وقرية الدِّيمُوس الكُبرى ،
 وقرية الدِّيمُوس الصُغرى^(٢) ؛ وقرية دار الغازى ؛ وقرية سُويْدَة ؛ وحُش قَصِيْرَة ؛
 وقرية الرُّكن ؛ وقرية الفَنْت^(٣) ، ومنها صَخْر بن أبان ؛ وقرية الكُدِيَة^(٤) ؛
 وقرية لاقِش^(٥) ؛ وقرية قَرْبَسَانَة^(٦) وقرية بُرْسَانَة ابن ياط ؛ وقرية الوَلْجَة ؛
 وقرية ماس ؛ وحُش على ؛ وحُش بنى الرُّسَيْليَة ؛ وحُش رقيب ؛ وحش البَلُوطَة ؛
 وحش الرُّوَّاس ؛ وحُش مَرْزُوق ؛ وقرية قُبَالَة^(٧) ؛ [وقرية نِبَالَة]^(٨) وقرية
 العَيْرَان ؛ و بُرْج هِلَال^(٩) ؛ وقرية قَلْتِيْش^(١٠) ، وقرية القنار^(١١) ؛ وقرية أَرْبَل ؛
 وقرية بَرْبَل ؛ وقرية قَرْبَاسَة^(١٢) ؛ وقرية أَشْكَر قَلَنْبِيْرَة^(١٣) ؛ وقرية سَعْدَى ؛

-
- (١) وبلومال هي اليوم قرية El Palomar الواقعة جنوبى ولاية غرناطة بقرب مدينة Albonol قرب شاطئ البحر الأبيض المتوسط .
- (٢) والدِّيمُوس الكُبرى والدِّيمُوس الصُغرى هما اليوم بلدة واحدة تحمل اسم Adamuz أو Adamucejo وتقع على مقربة من غرناطة .
- (٣) والفنت هي Daifontes الحديثة ، وهي تقع شمالى غرناطة على نحو عشرين كيلومتر منها .
- (٤) وقرية الكدية هي Alcudia الواقعة جنوب شرق وادى آش .
- (٥) لافش هي اليوم الحى الغرناطى المسمى La Cruz de Lagos وهو فى ضاحية غرناطة يبعد عنها نحو كيلومتر ونصف .
- (٦) وقرية قَرْبَسَانَة (وقد وردت محرفة فى ج ، قَرْسَانَة) هي اليوم بلدة Caparacena الحديثة وتقع غربى غرناطة على فرع نهر شينل .
- (٧) وقرية قُبَالَة هي Cubillas الحديثة .
- (٨) هذا الإسم وارد فى « ج » .
- (٩) و برج هلال هي اليوم قرية Purchil الواقعة غربى غرناطة على قيد نحو ثلاثة كيلومترات منها .
- (١٠) وقرية قَلْتِيْش هي Cortés الحديثة . وتقع غربى مدينة وادى آش
- (١١) وقرية القنار هي بلدة Canar الحديثة . وتقع شمال مدينة ارحبة برذناز
- (١٢) وقرباسة ربما كانت هي قَرْبَسَانَة وردت مكررة وقد سبق ذكرها .
- (١٣) وقرية اشكر - قَلَنْبِيْرَة هي بلدة Colomera الحديثة ، وهي تقع فى شمال غرناطة على قيد نحو ثلاثين كيلو مترا منها ، وعلى مقربة من بلدة موكلين .

وقرية علقاجج^(١) ؛ وقرية قَن^(٢) ؛ وقرية مرنيط ؛ وقرية ددشطر ؛ وقرية
شَتَمَانِس^(٣) ؛ وقرية أرنالش^(٤) ؛ وقرية وابشر^(٥) ؛ وقرية قَقْلُولُش^(٦) ؛ وقرية
النَّبِيل^(٧) ؛ وقرية الفَخَّار^(٨) ؛ وقرية القصر^(٩) ، منها محمد بن أحمد بن مرعيَّاز الهلالي ؛
وقرية بشر ؛ وقرية بُنُوط^(١٠) ؛ وقرية كورة ؛ وقريه لَصْ ؛ وقرية بِيَش^(١١) ؛ وقرية
قَنْتَر^(١٢) ؛ وقرية دور ؛ وقرية قَلَنْقَر ؛ وقرية غُلْجَر^(١٣) ، ومنها هشام بن
عبد العظيم بن يزيد النخولاني ؛ وقرية دُرْدَر^(١٤) ؛ وقرية ولجر ؛ وقرية قنالش^(١٥) ؛

(١) وقرية علقاجج هي فيما يرجح بلدة Calicasas الحديثة ، وتقع شمال غرناطة ، وشرق
بلدة قربسانة .

(٢) وقرية قَن ربما كانت Fatinafar الحديثة .

(٣) وشتمانس هو تحريف لكلمة Sietemanos ومعناها الأيدي السبعة .

(٤) وارئالش هي Arnals الحديثة .

(٥) وابشر هي وفقاً لسيمونيت Güejar الحديثة ، وهي واقعة في شمال شرق غرناطة في المجموعة التي
منها علقاجج Calicasas وبرقلش Peligros والفخار Alfacar . ويرى بلاثيوس أن Guejâr هي وجار
(٦) وققلولش هي بلدة Gogollos الحديثة ، وهي تقع شمال غرناطة على مقربة من Calicasas .
(٧) وقرية النبيل هي بلدة Nivar الحديثة ، وهي تقع شمال غرب غرناطة بين ققلولش والفخار .
(٨) والفخار هي بلدة Alfacar الحديثة ، وهي تقع شمال شرق غرناطة في دائرة المجموعة السابقة
وقد سميت بذلك لأنها تقع على سفح جبل الفخار .

(٩) وقرية القصر هي Alcazar ، وهي تقع بعيداً عن غرناطة في الجنوب الشرقي على مقربة
من أرجبة Orgiva .

(١٠) وقرية بنوط هي بلدة Pinos Puente أو Fent-Binox الحديثة ، وهي واقعة على مقربة
من قربسانة والبلوط .

(١١) وقرية بيش هي التي تعرف اليوم باسم Beas ، وتقع في شمال شرق غرناطة على مقربة
من مجموعة الفخار وبرقلش .

(١٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » قَن . ومقابلها الحديث Quentar .

(١٣) وغلجر هي فيما يرجح قاجر Cojar وهي حسبما تقدم من ضواحي غرناطة الجنوبية . وتقع على
مقربة من ضاحية الزاوية La Zubia الآتية الذكر .

(١٤) ودردر هي بلدة Dudar الحديثة وتقع شرق غرناطة على مقربة من قنتر .

(١٥) وقرية قنالش هي بلدة Caniles الحديثة ، وهي واقعة جنوبي مدينة بسطة وعلى مقربة منها .

وقرية إبتائلس ؛ وقرية سج ؛ وقرية منشال^(١) ؛ وقرية الوطأ^(٢) ؛ وقرية واني ؛ وقرية قريش ؛ وقرية الزاوية^(٣) .

وقد ذكرنا أن أكثر هذه القرى أمصار ، فيها ما يناهز خمسين خطبة ، تُنصب فيها لله المنابر ، وترفع الأيادي ، وتتوجه الوجوه .

وجملة المراجع العلية^(٤) المرتفعة فيها ، في الأزمنة ، في العام بتقريب ، ومعظمها السقيا الغبيط السمين ، العالى ، مايتا ألف ثنتان وستون ألفا ؛ وينضاف إلى ذلك مراجع الأملاك السلطانية ، ومواضع أحباس المساجد ، وسبل الخير ، ما ينيف على

(١) منشال هي اليوم قرية Monachil الحديثة ، وأصل الاسم مأخوذ من كلمة Monasterio الإسبانية ومعناها الدير . وهي من ضواحي غرناطة تقع في جنوبها الشرق على مقربة من بلدة الوطأ Hueter .
(٢) قرية الوطأ هي Hueter Vega وهي ضاحية غرناطة . وتقع في جنوبها الشرق في شمال أرمليا ، وعلى مقربة منها .

(٣) والزاوية هي ضاحية غرناطة التي تعرف اليوم باسم La Zubia وهي واقعة بعد أرمليا وغلجر . هذا وأما القرى التي لم نعثر على مواقعها وأسمائها الحديثة بما ذكره ابن الخطيب ، فقد دثر الكثير منها ولا ريب ، وغاضت أسماء البعض الآخر خلال الزمن ، واستحالت إلى أسماء إسبانية أضحى من العسير أن نردها إلى أصولها . كذلك لم نعثر على مواقع بعض الأماكن التي أوردنا مقابلها الأسباني .

ومن جهة أخرى فإن ابن الخطيب لم يذكر كثيراً من قرى ولاية غرناطة المعروفة في التواريخ الأندلسية ، والتي ما زالت قائمة حتى اليوم ، مثل بلدة الجابية الكبرى Gabia Grande والجابية الصغرى Gabia Chica ، والبذول Padul ، وموكلين Moclin ، وحصن البلوش Bellillos ، والبلاط Veletو ، وبلدة حصن اللوز الكبيرة Iznalloz ، وغيرها ، وكلها من أحواز غرناطة ولها جميعاً ذكرها في الجغرافية الأندلسية .

وقد رجعنا في هذا التحقيق إلى المراجع الآتية :

F.J. Simonet: Descripción del Reino de Granada, sacada de los Autores Arabigos.
p. 10, 12, 90, 220, 276-281

M. Añin Palacio: Contribucion a la Toponomia arabe de España

وكذلك L. Saco de Lucena: Toponimos granadinos: (Al- Andalus; Vol XVII-2-1952)

ورجعنا في تحديد المواقع إلى خريطة إسبانيا وضع (J.P. (Gotha ، وخرائط مصلحة المساحة الإسبانية ، وبلدية غرناطة ، وغيرها من الخرائط التفصيلية .

(٤) في « ك » العملية . وفي « ج » العلمية .

ما ذكر ، فيكون الجميع باحتياط ، خمسمائة ألف وستون ألفا ؛ والمستفاد فيها من الطعام المختلف الحبوب للجانب السلطاني ، ثلاثمائة ألف قدح ويزيد ؛ ويشتمل سورُّها وما وراءه من الأَرْحَاء الطَّاحنة بالماء على ما ينيف على مائة وثلاثين رَحَى ؛ الْحَقَّهَا اللهُ جَنَاح الأَمْنَةِ ، ولا قَطَعَ عنها مادَّة الرحمة ، بفضله وكرمه .

فصل :

وقد فرغنا من ذكر رسوم هذا القطر ومعاهده ، وفرغنا من تصويره وتشكيله ،
وذكر قراه وجناته^(١) ، وقصوره ومنزهاته^(٢) ، فنحن الآن نذكر بعضا من سير
أهله ، وأخلاقهم ، وغير ذلك من أحوالهم بإجمال واختصار ، فنقول :

أحوال هذا القطر في الدين وإصلاح العقائد^(٣) ، أحوال سنيته^(٤) ، والنحل
فيهم معروفة ، فمذاهبهم على مذهب مالك بن أنس^(٥) إمام دار الهجرة جارية ،
وطاعتهم للأمرأ محكمة ، وأخلاقهم في احتمال المعاوز^(٦) الجبائية جميلة ، وصورهم
حسنة ، وأنوفهم معتدلة غير حادة ، وشعورهم سود مرسل^(٧) ، وقدودهم متوسطة
معتدلة ، إلى القصر ، وألوانهم زهر مشربة بمحمة ، وألسنتهم فصيحة عربية ، يتخللها
غرب^(٨) كثير ، وتغلب عليهم الإمامة ؛ وأخلاقهم أبية في معاني المنازعات ؛
وأنسابهم عربية ؛ وفيهم من البربر والمهاجرة كثير ؛ ولباسهم الغالب على طرقاتهم
الفاشي بينهم ، الملف المصبوغ شتاء ؛ وتتفاضل البر بتفاضل الجدة ، والمقدار ؛

(١) في المخطوطين : واجناته .

(٢) في المخطوطين : ومنزهاته .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » ، والصلاح العقائد ، وهو تحريف .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » ، سنة . وهو تحريف .

(٥) ذاع مذهب الإمام مالك بالأندلس أيام معاصره الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وكان
ذيوعه بالأخص على يد جماعة من فقهاء الأندلس رحلوا منذ أيام عبد الرحمن الداخل إلى المشرق ودرسوا
على مالك بالمدينة . ثم عادوا إلى الأندلس فذاع مذهبه على يدهم . وكان هشام بن عبد الرحمن كثير
الورع ، شديد الإجلال لمذهب مالك ، فزاد ذلك في ذيوعه . وكان أهل الأندلس قبل ذلك يعملون بمذهب
الأوزاعي إمام أهل الشام .

(٦) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » المغاون .

(٧) هكذا في « ج » . وفي « ك » مترسلة .

(٨) في المخطوطين : عرب . وربما كانت غرب أو غريب .

والكتان والحريز ، والقطن ، والموخر ، والأردية الإفريقية ، والمقاطع التونسية ،
والمآزر المشفوعة صيفا ؛ فتبصرهم في المساجد ، أيام الجمع ، كأنهم الأزهار
المفتحة ، في البطاح الكريمة ، تحت الأهوية المعتدلة^(١) .

وأنسابهم حسبما يظهر من الإشراعات^(٢) ، والبيعات السلطانية والإجازات ،
عربية ؛ يكثر فيها القرشي ، والفهري ، والأموي ، والأُمي ، والأنصاري ،
والأوسي ، والخزرجي ، والقحطاني ، والحِميري ، والمخزومي ، والتَنُوخي ،
والغساني ، والأزدي ، والقيسي ، والمُغافري ، والكناني ، والتميمي ، والهذلي ،
والبكري ، والكلابي ، والنمري ، واليعمري ، والمازني ، والثقيفي ، والسلمي ،
والفزارى^(٣) ، والباهلي ، والعبسي ، والعنسي ، والعذري ، والحجبي ،
والضبي ، والسكوني ، والتيمي ، والعبشمي ، والمري ، والعقيلي ، والفهمي ،
والصريمي ، والجزلي ، والقشيري ، والكلبي ، والقضاعي ، والأصبحي ،
والمُرادي ، والرُعيني ، واليحصبي ، والتجبي ، والصدفي ، والحضرمي ،
والحمي ، والجذامي ، والسلولي ، والحكمي ، والهمداني ، والمذحجي ، والخشني ،
والبُلوي ، والجهني ، والمزني ، والطائي ، والفاقي ، والأسدي ، والاشجعي ،
والعاملي ، والخولاني ، والأبادي ، واللبي ، والخثمي ، والسكسكي ،
والزُبَيْدي ، والتغلي ، والتغلي ، والكلاعي ، والدَّوسي ، والحواري ، والسلماني .
هذا ، ويرد كثير في شهادتهم ، ويقلُّ من ذلك السلماني نسباً ، وكالدَّوسي ،
والحواري ، والزُبَيْدي ؛ ويكثرُ فيهم ، كالأنصاري ، والحميدي ، والجذامي ،
والقيسي ، والغساني ؛ وكفى بهذا شاهداً على الاصلة ، ودليلاً على العروبة .

(١) وردت «المعبر» في المخطوطين .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة «الإشراعات» ، والمرجح أنها «الإشراعات» ، ومفردتها إشرع ،

أو الاشتراعات بمعنى مرسوم أو ظهير .

(٣) وردت في المخطوطين : والفازري ، وهو تحريف .

وَجُنْدُهُمْ صِنْفَانِ ، أُنْدَلُسِيٌّ وَبَرْبَرِيٌّ ؛ وَالْأُنْدَلُسِيُّ مِنْهَا يَقُودُهُمْ رَئِيسٌ مِنْ الْقَرَابَةِ أَوْ حَصِيٍّ^(١) مِنْ شِيُوخِ الْمَالِكِ . وَزِيَّتُهُمْ فِي الْقَدِيمِ شَبَهُ زِيِّ أَقْتَالِهِمْ^(٢) ، وَأَضْدَادُهُمْ مِنْ جِيرَانِهِمُ الْفَرَنْجِ ، إِسْبَاغُ الدُّرُوعِ ، وَتَعْلِيقُ التُّرْسَةِ ، وَحِفَا الْبَيْضَاتِ ، وَاتِّخَاذُ غُرَاضِ الْأَسْنَةِ ، وَبِشَاعَةِ^(٣) قَرَايِسِ السُّرُوجِ ، وَاسْتِرْكَابُ حِمْلَةِ الرَّاياتِ^(٤) خَلْفَهُ ، كُلُّ مِنْهُمْ بِصِفَةٍ تَخْتَصُّ بِسِلَاحِهِ ، وَشَهْرَةٍ يُعْرِفُ بِهَا . ثُمَّ عَدَلُوا الْآنَ عَنْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا^(٥) ، إِلَى الْجَوَاشِنِ الْمُخْتَصَّةِ ، وَالْبَيْضَاتِ الْمَرْهَفَاتِ ، وَالسُّرُوجِ الْعَرَبِيَّةِ^(٦) ، وَالْيَيْبِ اللَّمَطِيَّةِ ، وَالْأُسْلُ الْعَطْفِيَّةِ^(٧) .

وَالْبَرْبَرِيُّ مِنْهُ ، يَرْجِعُ إِلَى قِبَائِلِهِ الْمَرْيِزِيَّةِ ، وَالزَّنَاتِيَّةِ ، وَالتَّجَانِيَّةِ ، وَالْمَغْرَاوِيَّةِ ، وَالْعَجِيسِيَّةِ ؛ وَالْعَرَبُ الْمَغْرِبِيَّةُ إِلَى أَقْطَابِ وَرُؤُوسِ ، يَرْجِعُ أَمْرُهُمْ إِلَى رَئِيسٍ ، عَلَى رُؤُسَائِهِمْ ، وَقُطْبِ لَعُفَائِهِمْ ، مِنْ كِبَارِ الْقِبَائِلِ الْمَرْيِزِيَّةِ ، يَمُتُّ إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ بِنَسَبٍ .

وَالْعَامُّ ثَقُلَ فِي زِيِّ أَهْلِ هَذِهِ الْحَضَرَةِ ، إِلَّا مَا شَذَّ^(٨) فِي شِيُوخِهِمْ وَقَضَاتِهِمْ وَعِلْمَائِهِمْ ، وَالْجُنْدُ الْعَرَبِيُّ مِنْهُمْ . وَسِلَاحُ جُمْهُورِهِمُ الْعِصَى الطَّوِيلَةُ ، الْمَشْنَاةُ بَعْضُ صَغَارِ ذَوَاتِ عُرَى فِي أَوْسَاطِهَا ، تُدْفَعُ بِالْأَنَامِلِ عِنْدَ قَذْفِهَا تَسْمَى [« بِالْأَمْدَاسِ » ؛ وَقِسَى الْإِفْرَنْجِيَّةُ يُحْمَلُونَ عَلَى التَّدْرِيبِ بِهَا عَلَى الْأَيَّامِ ؛ وَمُنَانِهِمْ^(٩) مَتَوَسِّطَةٌ ،

(١) وردت في المخطوطين : حصيا فاقضى التصويب ، والحصي الرجل الوافر العقل .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود هنا ، الذين يقاتلونهم .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » ، جملة الربات وهو تحريف ظاهر .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في « ك » .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة : والروج والعربية ، وهو تحريف ظاهر .

(٧) هكذا وردت في « ك » وفي « ج » . و « ت » (اللطيفة . اللطيفة) .

(٨) وردت في المخطوطات الثلاثة : شاد وهو تحريف . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٩) هكذا في « ج » . وفي « ك » ومناسهم . والمنان جمع منة وهي القوة .

[وأعيادهم] ^(١) حسنة ، ماثلة إلى الاقتصاد ، والغناء ^(٢) بمديتهم فاش ، حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها ، كثيراً من الأحداث ، كالحفّافين ^(٣) ومثلهم .

وقوتهم الغالب ، البرّ الطيّب ، عامّة العام ^(٤) ، وربما اقتات في فصل الشتاء الضّعفة والبوادي والفعلة في الفلاحة ، الذرة العربية ، مثل أصناف القطاني الطيبة . وفواكههم اليابسة عامة العام ، متعددة ؛ يدخرون العنب سليماً من الفساد ، إلى شطر العام ؛ إلى غير ذلك من التين ، والزبيب ، والتفاح ، والرمان ، والقسطل ، والبلوط ، والجوز ، واللوز ، إلى غير ذلك مما لا ينفد ، ولا ينقطع إلا مدة ، في ^(٥) الفصل الذي يزهد في استعماله .

وصرفهم فِضة خالصة ، وذهب إبريز طيّب ^(٦) محفوظ ، ودرهم مربّع الشكل ، من وزن ^(٧) المهدي القائم بدولة الموحدين ^(٨) ، في الأوقية منه سبعون درهماً ، يختلف الكتب فيه . فعلى عهدنا ، في شقّ ، « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ؛ وفي شقّ آخر ، « لا غالب إلا الله ، غرناطة » . ونصفه وهو القيروط ، في شقّ ، « الحمد لله ربّ العالمين » ؛ وفي شقّ ، « وما النصر إلا من عند الله » . ونصفه وهو الربع ، في شقّ ، « هُدي الله هو الهُدي » ؛ وفي شقّ ، « العاقبة للتقوى » .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط في « ت » .

(٢) رسمت في المخطوطات الثلاثة : والغنى .

(٣) جمع خفّاف . وهو الذي يصنع الحفّاف جمع خف .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة : العامة وهو تحريف .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة : إلا في ، وإلا هنا زائدة ، وهو تكرار سهو .

(٦) هكذا وردت هذه الكلمات الثلاث في « ج » . ووردت على النحو الآتي في « ك » :

وذهباً إبريزاً طيباً . وهو تحريف ظاهر .

(٧) وردت في المخطوطتين : لون . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٨) هو أبو عبد الله محمد بن تومرت الملقب بالمهدي مؤسس دولة الموحدين في المغرب ، وهي التي

غلبت فيما بعد على الأندلس ، وانتزعتها من أيدي المرابطين . وقد توفي المهدي سنة ٥٢٤ هـ (١١٢٩ م) .

ودينارهم في الأوقية منه ، ستة دنانير وثلاث دنانير ؛ وفي الدينار الواحد ثمن أوقية وخمس ثمن أوقية . وفي شق منه ، « قل اللهم مالك الملك بيدك الخير » ، ويستدير به قوله تعالى ، « إلهكم إله واحد » ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . وفي شق ، « الأمير عبد الله يوسف ، بن أمير المسلمين أبي الحجاج ، بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن نصر ، أيد الله أمره » . ويستدير به ، شعار هؤلاء الأمراء ، « لا غالب إلا الله » . ولتاريخ تمام هذا الكتاب ، في وجهه ، « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . ويستدير به ، « لا غالب إلا الله » . وفي وجهه ، « الأمير عبد الله الغني بالله ، محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر ، أيد الله وأعانته » . ويستدير برُبع ، « بمدينة غرناطة حرسها الله » .

وعادة أهل هذه المدينة ، الانتقال إلى حلال العصور أوان إدراكه ، بما تشتمل عليه دورهم ، والبروز إلى الفحوص^(١) بأولادهم ، معولين في ذلك على شهادتهم^(٢) وأسلحتهم ، وعلى كُتب دورهم^(٣) ، واتصال أمصارهم بمحدود أرضه . وحليتهم في القلائد ، والدِّمالج ، والشنوف ، والخلائل الذهب الخالص ، إلى هذا العهد ، في أولى الجدة ؛ واللجين في كثير من آلات الرِّجلين ، فيمن عداهم ؛ والأحجار النفيسة من الياقوت ، والزُّبرجد ، ونفيس الجواهر ، كثير من ترتفع طبقاتهم المستندة إلى ظل دولة ، أو أصالة معروفة موفرة .

وحريمهم ، حريم جميل ، موصوف بالسحر^(٤) ، وتنعم الأجسام ، واسترسال الشعور ، ونقاء الثغور ، وطيب النشر^(٥) ، وخفة الحركات ، ونبل الكلام ،

(١) جمع فحص وهو المرج .

(٢) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » سهامهم ، فإن كانت تعني السهام فهي صحيحة أيضاً .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » (على كتب على دورهم) وهو تحريف .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » بالحسن ، والمعنى واحد .

(٥) وردت في « ج » : الشرا ، و « ك » النشرا . والنشر هو الريح الطيبة .

وحُسْنُ المحاورَةِ^(١) ، إلا أن الطُّولَ يَنذُرُ فيهنَّ^(٢) . وقد بَلَغْنَ من التَّفَنُّنِ في الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بين المُصْبَغَاتِ ، والتَّنْفِيسِ بالذَّهَبِيَّاتِ والذِّيَابِجِيَّاتِ ، والتَّماجُنِ في أشكالِ الحُلِيِّ ، إلى غاية نَسْأَلِ الله أن يُغْضَّ عَنْهُنَّ فيها ، عَيْنَ الدهرِ ، وَيُكَفِّفَ الخَطْبُ ، ولا يجعلها من قَبِيلِ الابتلاء والفتنة ، وأن يعامل جميع من بها بَسْتَرَهُ ، ولا يُسْلِبَهُمْ خَفِيَّ لُطْفِهِ ، بعزَّتِهِ وقُدْرَتِهِ .

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » المجاورة .

(٢) إن أوصاف ابن الخطيب لنساء مملكة غرناطة في عصره ، ما تزال حتى اليوم ماثلة في نساء غرناطة الإسبانية النصرانية مثولا قويا ، يستلقت نظر كل من تجول في ربوع المدينة الأندلسية الثالثة .

فصل

فيمن تداول هذه المدينة

من لدن أصبحت دار إمارة باختصار واقتصار

قال المؤلف : أول من سكن هذه المدينة ، سُكنى استبداد ، وصيرها دار مُلكه ومقرّ أمره ، الحاجبُ ، المنصور أبو مُثَنَّى زَاوِي بن زِيْرِي^(١) بن مَنَاد^(٢) ، لَمَّا تَغَلَّب جيش البربر ، مع أميرهم سليمان بن الحكم على قرطبة ، واستولى على كثير من كور الأندلس ، عام ثلاثة وأربعمائة فما بعدها ، وظهر على طوائف الأندلس^(٣) ، واشتهر أمره ، وبعد صيته ؛ ثم اجتاز البحر إلى بلد قومه بإفريقية ، بعد أن ملك غرناطة سبع سنين ؛ واستخلف ابن أخيه حبّوس بن ماكسن ، وكان حازماً داهية ، فتوسّع النظر إلى أن مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة . وولي بعده حفيده عبد الله ابن مُبْلَكِين^(٤) بن باديس ، إلى أن خلع عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة ، وتصير أمرها إلى أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك لَمْتُونَة^(٥) عند تملكه الأندلس ، ثم إلى ولده علي بن يوسف . وتنوّب إمارتها جملة من أبناء الأمراء اللَمْتُونِيِّين

(١) وردت في المخطوطين : رمدي ؛ وهو تحريف ظاهر .

(٢) كانت غرناطة عقب ثورة البربر التي قامت على أثر انهيار الدولة العمارية والخلافة الأموية من نصيب البربر ؛ واستولى عليها زعيمهم زاوي بن زيري الصنهاجي سنة ٤٠٣ هـ وحكمها حتى سنة ٤١٠ هـ (١٠١٢ - ١٠١٩ م) . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد في نهاية هذا المجلد .

(٣) طوائف الأندلس ، هم زعماء الطوائف الذين اقتسموا ولايات الأندلس وقواعدها عقب انهيار الخلافة وثورة البربر ، وأسسوا لأنفسهم في ولايات الأندلس وقواعدها إمارات وممالك صغيرة . وعرف أولئك الزعماء بملوك الطوائف .

(٤) وردت في المخطوطين : (مبلقن) وهو تحريف بلقين أو بلكين . وبلكين أكثر شيوعاً .

(٥) سبقت الإشارة إلى يوسف بن تاشفين . انظر الحاشية في ص ١١٣ .

وقرّابتهم ، كالأمير أبي الحسن علي بن الحاج^(١) وأخيه موسى ؛ والأمير أبي زكريا يحيى بن أبي بكر بن إبراهيم ؛ والأمير أبي الطاهر تميم ؛ والأمير أبي محمد بن مزدلي ؛ والأمير أبي بكر بن أبي محمد ؛ وأبي طلحة الزبير بن عمر ؛ وعثمان بن بدر اللّمتوني ؛ إلى أن انقرض أمرهم عام أربعين وخمسمائة .

وتصير الأمر بها للموحّدين^(٢) ، وإلى ملكهم أبي محمد عبد المؤمن بن علي^(٣) ، فتناوبها جملة من بنيه وقرابته ، كالسيد أبي عثمان بن الخليفة ؛ والسيد أبي إسحاق ابن الخليفة ؛ والسيد أبي إبراهيم بن الخليفة ؛ والسيد أبي محمد بن الخليفة ؛ والسيد أبي عبد الله ؛ إلى أن انقرض منها أمر الموحّدين .

وتملكها المتوكل على الله ، أمير المؤمنين ، أبو عبد الله محمد يوسف بن هود^(٤)

(١) هكذا وردت في « ك » ، وفي « ج » ، الحجاج . والأولى هي الصواب .

(٢) وردت في « ج » ، للموحد . وفي « ك » ، الموحدون ، وحكمة التصويب واضحة .

(٣) هو خليفة المهدي محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين ، وثاني رؤسها ، وأعظم زعمائها . تولى الزعامة عقب وفاة المهدي ، وأتم افتتاح المغرب من يد المرابطين ، وقضى على دولتهم بافتتاح مراكش سنة ٥٤٣ هـ . وافتتح الأندلس من يد المرابطين وحلفائهم . ووطد دولة الموحدين في المغرب والأندلس . وكانت وفاته في سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م) .

(٤) يترجم ابن الخطيب فيما بعد في الإحاطة للمتوكل ابن هود . ولا بأس من أن نقدم إيضاحاً موجزاً لما يجمله ابن الخطيب هنا من أمر هذا الانقلاب الحاسم في مصائر الأندلس . وذلك أنه لما اشتدت وطأة الموحدين والنصارى على الأندلس في أوائل القرن السابع الهجري ، ظهر المتوكل ابن هود هذا . وهو سليل بني هود ملوك سرقسطة السابقين أيام الطوائف ؛ ظهر في أحواز مرسية سنة ٦٢٥ هـ ، ودعا إلى تحرير الأندلس من النصارى والموحدين معاً ، وقوى أمره تبعاً ، وانحازت إليه عدة من قواعد الأندلس الهامة مثل جيان وقرطبة وماردة وبطليوس . وفي سنة ٦٢٨ هـ استطاع أن ينتزع غرناطة من الموحدين . وفي تلك الآونة اشتدت وطأة النصارى على الأندلس ، وأخذت قواعدها تسقط في أيديهم تبعاً . وبذل ابن هود جهده لمحاربتهم ولكنه لم يستطع وقف عدوانهم لتمزق الأندلس يومئذ . ثم توفي ابن هود قتيلاً في سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م) . وكان قد ظهر في نفس الوقت محمد بن يوسف بن نصر (ابن الأحمر) في جنوب الأندلس ، وبسط حكمه على كثير من أنحائها . ثم استولى على غرناطة عقب وفاة ابن هود ، وجعلها عاصمة إمارته وبذلك قامت مملكة غرناطة . ويخصه ابن الخطيب فيما بعد بترجمة وافية .

في عام ستة وعشرين وستمائة ، ثم لم يَنْشَبْ^(١) أن تملكها أمير المسلمين الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي ، جدُّ هؤلاء الأمراء موالينا ، رحم الله من درج منهم ، وأعان من خلفه ، إلى أن توفي عام أحدٍ وسبعين وستمائة . ثم ولي الأمر بعده ولده وسميَّه محمد بن محمد فقام بها أحد قيام ، وتوفي عام إحدى وسبعائة . ثم ولي بعده سميَّه محمد إلى أن خلع يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعائة ، وتوفي عام أحد عشر وسبعائة في ثالث شوال منه . ثم ولي بعده أخوه نصر بن مولانا أمير المسلمين أبي عبد الله ، فأرتب أمره وطلب الملك اللاحق به^(٢) مولانا أمير المسلمين أبو الوليد إسماعيل بن فرج ، فغلب على الإمارة ، ثاني عشر ذي القعدة من عام ثلاثة عشر وسبعائة ؛ وانتقل نصر إلى وادي آش مخلوعاً ، مُوَادِعاً بها إلى أن مات عام [اثنين وعشرين]^(٣) وسبعائة . وتماذى ملك السلطان أمير المسلمين أبي الوليد إلى السادس والعشرين من رجب عام خمسة وعشرين وسبعائة ، ووُثِبَ عليه بعض قرابته فقتله ، وعُوجِلَ بالقتل مع مَنْ حضر منهم . وتولَّى الملك بعده ولده محمد ، واستمرَّ سلطانه إلى شهر ذي الحجة من عام أربعة وثلاثين وسبعائة ، وقُتِلَ بظاهر جبل الفتح^(٤) . وولي بعده أخوه مولانا السلطان أبو الحجاج لبابُ هذا البيت ، وواسطة هذا العقد ، وطِرازُ هذه الحلية ، ثم اغتاله^(٥) ممرور من أخايث السوق ، قيَّضَه الله إلى شهادته ، وجعله سبباً لسعادته ، فأكبَّ عليه في الرَّكعة الأخيرة من ركعتي عيد الفطر ، بين يدي المِحْرَاب ، خاشعاً ، ضارعاً ، في الحال الذي أقرب ما يكون

(١) هكذا في المخطوطين . ومعناها لم يلبث .

(٢) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » ، إلى أن لحق به . وبالأولى يستقيم السياق .

(٣) وردت في « ك » (عام . . . وسبعائة) مع بياض في مكان التاريخ . ووردت في « ج » (عام اثنين وسبعائة) ، فاقضى تصحيح التاريخ كما هو بين الحاصرتين .

(٤) أي جبل طارق ، وسمى كذلك لأنه كان دائماً يتخذ قاعدة لعبور الجيوش الإسلامية الغازية إلى اسبانيا منذ طارق بن زياد .

(٥) قتل السلطان يوسف أبو الحجاج غيلة على النحو الذي يصفه ابن الخطيب في يوم عيد الفطر سنة ٧٥٥ هـ (أكتوبر سنة ١٣٥٤ م) . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد بإفاضة .

العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ ، وَهُوَ سَاجِدٌ ، وَضَرَبَهُ بِخَنْجَرٍ مُهِمٍّ^(١) لَلْفَتْكَ بِهِ ، فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ ، كَانَ ، زَعَمُوا ، يَحَاوِلُ شَحْذَهُ مِنْذُ زَمَانٍ ، ضَرْبَةً وَاحِدَةً ، عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مِنْ ظَهْرِهِ ، فِي نَاحِيَةِ قَلْبِهِ ، فَقَضَى عَلَيْهِ ، وَبُودِرَ بِهِ قَتْلُ .

وَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدَهُ مُحَمَّدٌ^(٢) ، وَلَدُهُ أَكْبَرُ بَنِيهِ ، وَأَفْضَلُ ذَوِيهِ ، خَلَقًا وَخُلُقًا ، وَحَيَاءً وَجُودًا ، وَوَقَارًا وَسَلَامَةً وَخَيْرِيَّةً ، وَدَافِعَ دَوْلَتِهِ مِنْ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ^(٣) ؛ ثُمَّ تَدَارَكَ الْأَمْرَ سَبْحَانَهُ ، وَقَدْ أَشْفَى ، وَدَافِعَ وَكَفَى ، بِمَا يَأْتِي فِي مَحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَهُوَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ ، مَتَّعَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَدَامَ مَدَّتَهُ ، وَكُتِبَ سَعَادَتُهُ ، وَأُطْلِقَ بِالْخَيْرِ يَدُهُ ، وَجَعَلَهُ بِمِرَاسِمِ الشَّرِيعَةِ مِنَ الْعَامِلِينَ ، وَلِسُلْطَانِ يَوْمِ الدِّينِ مِنَ الْخَائِفِينَ ، الْمُرَاقِبِينَ ، بِفَضْلِهِ .

وَقَدْ أَتَيْنَا بِمَا أَمَكُنْ مِنَ التَّعْرِيفِ بِأَحْوَالِ هَذِهِ الْحَضْرَةِ عَلَى اخْتِصَارٍ . وَيَأْتِي فِي أَثْنَاءِ التَّعْرِيفِ بِرَجَالِهَا كَثِيرٌ مِنْ تَفْصِيلِ مَا أَجْمَلَ ، وَتَتِمُّيمِ مَا بَدَأَ ، وَإِضَاحِ مَا خَفِيَ ، بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى .

(١) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ : مُهِمًّا ، وَهُوَ تَحْرِيفُ ظَاهِرٍ .

(٢) هُوَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ . تَوَلَّى الْمَلِكَ مَرَّتَيْنِ : الْأُولَى بَيْنَ سَنَتَيْ (٧٥٥ - ٧٦٠ هـ) . وَالثَّانِيَةَ بَيْنَ سَنَتَيْ (٧٦٣ - ٧٩٣ هـ) . وَهُوَ السُّلْطَانُ الَّذِي قَضَى ابْنُ الْخَطِيبِ فِي خِدْمَتِهِ زَهَا سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا ، وَشَاطِرُهُ الْمُنْفَى بَعْدَ وِلَايَتِهِ الْأُولَى . وَيَخْصُصُ ابْنُ الْخَطِيبِ حَوَادِثَ عَصْرِ مَلِكِهِ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ ، وَهُوَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ الْعَصْرِ الَّذِي بَلَغَ فِيهِ ابْنُ الْخَطِيبِ ذُرْوَةَ مَجْدِهِ السِّيَاسِيِّ وَالْأَدَبِيِّ ، بِفَصُولٍ كَثِيرَةٍ فِي « الْإِحَاطَةِ » ، وَفِي كُتُبِهِ الْأُخْرَى .

(٣) يُشِيرُ ابْنُ الْخَطِيبِ هُنَا إِلَى ثَوْرَةِ إِسْمَاعِيلَ أَخِي السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ ، وَانْتِزَاعِهِ الْمَلِكَ مِنْهُ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٧٦٠ هـ ، وَاسْتِمْرَارِهِ فِي الْعَرْشِ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ ، اسْتِطَاعَ مُحَمَّدٌ بَعْدَهَا أَنْ يَسْتَرِدَّ مَلِكَهُ ، وَذَلِكَ فِي أَوَائِلِ سَنَةِ ٧٦٣ هـ .

القِسْمُ الثَّانِي

فِي حُلَى الزَّائِرِ وَالْقَاطِنِ
وَالْمُتَحَرِّكِ وَالسَّائِكِ

أحمد بن خلف بن عبد الملك الغساني القليعي

من أهل غرناطة ، يُكنى أبا جعفر ، من جِلَّة أعيانها ، تُنسب إليه الساقية الكبرى المجاورة بطوق الحضرة إلى البيرة ، وما والاها .

حاله

قال ابن الصيرفي : كان الفقيه أبو جعفر القليعي ، من أهل غرناطة ، فريد عصره ، ومريع^(١) دهره ، في الخير والعلم والتلاوة ؛ وله حزبٌ من الليل ، وكان سريع الدِّمعة^(٢) ، كثير الرواية^(٣) ؛ وهو المُشار إليه في كل نازلة ، وله العَقْد والحلُّ والتقدُّم والسَّابقة ، مع مُنة في جلائل الأمور ، والنهضة بالأعباء ، وسُمُوُّ الهمة .
« غريبة في شأنه » : قال ، كان باديس بن حبّوس [أمير بلده]^(٤) يتفرّس فيه أن مُلك دولته ، ينقرض على يديه ، فكان ينصب^(٥) لشأنه أكْبُبا ، ويتملّط سيفه^(٦) إلى قتله ، فحمّاه الله منه بالعِلم ، وغلّ يده ، وأغمد سيفه ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

مشيخته

روى عن أبي عمر^(٧) بن القطّان ، وأبي عبد الله بن عتاب ، وأبي زكريا القليعي ، وأبي مروان بن سراج ؛ وكان ثقةً صدوقاً ، أخذ عنه الناس .

-
- (١) أغنى وافر الخصب والمرعى . وفي « ر. م » : قريع .
(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » الدمة .
(٣) وردت في المخطوطين : الراية . وهو تحريف ظاهر .
(٤) هذه الزيادة واردة في « ر. م » .
(٥) في المخطوطين : نصب .
(٦) في « ر. م » بسيفه .
(٧) هكذا في « ر. م » . وفي المخطوطين : علي ، والأولى أرجح .

محتته

ولما أجاز أمير لمتونة يوسف بن تاشفين البحر [مُستدعى إلى نصر المسلمين]^(١) ،
 ثانی حركاته إلى الأندلس ، ونازل حصن أليط^(٢) ، وسارع ملوك الطوائف إلى
 المسير في جملته ، كان ممن وصل إليه الأمير أبو عبد الله بن بُلْكِين^(٣) بن باديس
 صاحب غرناطة ، ووصل صحبتته الوزير أبو جعفر بن القليعي ، لرغبته في الأجر مع
 شهرة مكانه ، وعلو منصبه ، ولهوض نظرائه^(٤) ، من زعماء الأقطار ، إلى هذا
 الغرض ؛ وكان مَضْرِبُ خيام القليعي [قريباً من مَضْرِب] ^(٥) حفيد باديس ؛
 ولمنزلته عند الأمير يوسف بن تاشفين ، وله عليها الحفوف ، وله به استبدادٌ ، وانفرادٌ
 كثير ، وتردُّدٌ كثير^(٦) ، حتى نفى بذلك حفيد باديس ، وأنهم عنيه^(٧) . قال
 المؤرخ ، وكيفما دارت الحال ، فلم يخل من نصيح الله ، ولأمير المسلمين .

قلت ؛ حفيد باديس كان أدري بدائه ، قصر الله خطانا من مدارك الشرور .
 فلما صدر^(٨) حفيد باديس إلى غرناطة ، استحضره ونجمه ، وقام من مجلسه مغضباً ،

(١) هذه الزيادة واردة في « ر. م » .

(٢) هذا الحصن يسمى بالإسبانية Alédo . وتسميه الرواية العربية بحصن لبيط أو ليط أو أليط
 كما يسميه ابن الخطيب . وقد كان من الحصون النصرانية المنيعة الواقعة بين لورقة ومرسية ، وقد حاصره
 المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين ومعه حلفاؤه الأندلسيون في سنة ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م) . ولكن الفونسو
 السادس ملك قشتالة استطاع الدفاع عنه وإنقاذه . وتفيض الرواية الإسلامية في تفاصيل هذه الموقعة
 (راجع روض القرطاس لابن أبي زرع ص ١٩٩ . والاستقصاء للسلاوي ج ٢ ص ١١٩ . وابن الأثير
 ج ١٠ ص ٥٣) .

(٣) رسمت في المخطوطين ، بـلقين . ورسمها بالكاف أكثر شيوعاً حسبما يتوضح بعد .

(٤) وردت في المخطوطين : « قرابته » . والتصويب من « ر. م » .

(٥) ورد في « ر. م » مكان هذه العبارة : « في محلة » والمؤدى واحد .

(٦) هذه العبارة واردة في المخطوطين ؛ وناقصة في « ت » .

(٧) وردت في المخطوطين ، غيبه . والتصويب من « ت » وهو أرجح بالنسبة للمعنى .

(٨) هكذا وردت في المخطوطين وفي « ر. م » . وفي « ت » صار .

وتعلّقت به الخدّمة ، وحفّت به الوزعة^(١) والحاشية^(٢) . وهمّوا بضربه ؛ إلا أن أم عبد الله تطارحت على ابنها في استحيائه ، فأمر بتخليصه ، وسجنه في بعض بيوت القصر ؛ فأقبل فيه على العبادة والدعاء والتلاوة ؛ وكان جَهير الصوت ، حسن التلاوة ، فارتجّ القصر ، وسكنت لاستماعه الأصوات ، وهدأت له الحركات ، واقشعرت الجلود . وخافت أم عبد الله على ولدها، عقاباً من الله بسببه ، فلاطفته حتى حلّ عقّاله ، وأطلقه من سجنه . ولما تخلص أعدّها^(٣) غنيمةً . وكان [جزلاً ، قوى القلب]^(٤) ، شديد الحزم^(٥) ؛ فقال الصيّد بغراب أكيس ؛ فاتخذ الليل جملاً^(٦) ؛ فطلع له الصباح بقلعة يحصّب^(٧) ، وهي لنظر ابن عباد، وحث منها السير إلى قرطبة ؛ فخطب منها يوسف بن تاشفين بملء فيه ، بما حرّكه وأطمعه ؛ فكان من حركته إلى الأندلس ، وخلع عبد الله بن بلكين من غرناطة ، واستيلائه عليها ، ما يرد في اسم عبد الله وفي اسم يوسف بن تاشفين إن شاء الله . وبدأ الحفيد باديس في أمر أبي جعفر القليعي ، ورأى أنه أضاع الحزم [في إطلاقه فبحث]^(٨) عنه من الغد^(٩) ، وتقصّت^(١٠) عنه البلدة ، فلم يقع له على خبر ، إلى أن اتصل به خبر نجاته ، ولحقه

(١) الوزعة هم قامعو الشر والبهنى .

(٢) وردت في « ك » الحارسية . وفي « ج » الحاسية . وفي « ت » الجلسة . والتصويب من « ر . م » .

(٣) هكذا في المخطوطين ، وفي « ر . م » اعتدها .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . ولكنها وردت في « ر . م » : « حولاً قلباً » .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . وفي « ت » ، الحزم ، والأولى أرجح .

(٦) هكذا في المخطوطين . والمقصود أنه اتخذ الليل مركباً .

(٧) قلعة يحصّب أو Alcalá la Real الحديثة ، وقد سبق التعريف بها . انظر الحاشية في ص ١١٧

(٨) ما بين الحاصرتين وارد في « ر . م » ومكانه بياض في « ك » . وفي « ج » (في البحث) وما أورده « ر . م » أرجح بالنسبة للمعنى .

(٩) وردت في المخطوطين : العدو . والمعنى يستقيم بالتصويب .

(١٠) في المخطوطين : نقصت . وهو تحريف ظاهر .

بأمنه . فرجع باللائمة على أمّه ، ولات حين مندم . ولم يزل أبو جعفر مدّته في دول
الملك ، من لمتونة ، معروف الحق ، بعيد الصّيت والذكّر ، صدر الحضرة ،
والمخصوص بعلو المرتبة إلى حين وفاته .

[أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمداني اللخمي

من أهل غرناطة .

« حاله » : كان فقيهاً وزيراً جليلاً حسيباً حافلاً .

« وفاته » : توفي بالبيرة قبل الثلاثين وأربعمائة .

ذكره أبو القاسم الغافقي في تاريخه وابن اليسر في مختصره وأثنى عليه ^(١)

أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب بن يزيد

ابن الشّمر بن عبد شمس بن غريب الهمداني الإلبيري

من نزلاء قرية همدان ^(٢)؛ ذكره ابن حيان ، والغافقي ، وابن مسعدة ، وغيرهم ؛
فقال جميعهم ، كان من أهل البلاغة ، والبيان ، والأدب ، والشعر البارع .

(١) وردت هذه الترجمة في صلب « ر. م » (ص ٢٦٩) قبل ترجمة ابن أضحى ؛ ولم ترد في
المخطوطات الثلاثة فرأينا إثباتها في مكانها .

(٢) هي بلدة Alhendin الحديثة وقد سبق التعريف بها . انظر الحاشية في ص ١١٨ .

مناقبه

قدم على الخليفة أبي مطرّف عبد الرحمن^(١) ، فقام خطيباً بين يديه ، فقال : الحمد لله المحتجب بنور عظّمته ، عن أبصار بريّته ، والدّالّ بحدوث خلقه على أوليّته ، والمنفرد بما أتقن من عجائب دهره ، ومنّ بصمديّته ، وأشهد أن لا إله وحده ، لا شريك له ، إقراراً بوحْدانيّته^(٢) ، وخضوعاً لعزّه وعظّمته . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، انتخبه من أطيب البيوتات ، واصطفاه من أطيب البيوتات^(٣) ، حتى قبضه الله إليه ، واختار له ما لديه . وقد قبل سعيه ، وأدّى أمانته ، فصى الله عليه وسلم تسليماً . ثم إن الله لما أن بعثه من أكرم خلقه ، وأكرم برسالته ، وأنزل عليه مُحْكَمَ تَنْزِيلِهِ ، واختار له من أصحابه وأشياعه خلقاً ، جعل منهم أئمةً يَهْدُونَ بالحق ، وبه يَعْدِلُونَ ؛ فجعل الله الأمير ، أعزه الله ، وارث ما خلفوه من معاليهم ، وباني ما أسسوه من مشاهدهم ، حتى أَمَّنَ الْمَنَاسِكَ^(٤) ، وسكن الخائف ، رَحْمَةً من الله ، أَلْبَسَهُ^(٥) كَرَامَتَهَا ، وطوّقه فضيلتها ؛ والله يُؤْتِي مُلْكَهُ من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله إلا سؤقها إليك حتى قلّدوك طوقها

(١) هو الخليفة عبد الرحمن الناصر مؤسس الخلافة الأموية بالأندلس وقد حكم من سنة ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ (٩١٢ - ٩٦١ م) .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » ، بربوبيّته .

(٣) هكذا وردت في « ج » . ومكانها بياض في « ك » .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » ، المسالك .

(٥) هذه الكلمة وردت في « ج » وأُغفلت في « ك » .

ثم أردف قوله بهذه الأبيات :

أَيَا مَلِكًا تُرْمَى بِهِ قُضْبُ الْهِنْدِ^(١) إِذَا كَمَعَتْ بَيْنَ الْمَغَافِرِ وَالْصُّرُدِ
وَمَنْ بَأْسُهُ فِي مَنَهْلِ الْمَوْتِ وَارِدُ إِذَا أَنْفُسُ الْأَبْطَالِ كَلَّتْ عَنِ الْوَرْدِ
وَمَنْ أَلْبَسَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ نِعْمَةً بِهِ فَاقَتْ النِّعْمَا وَجَلَّتْ عَنِ الْخُلْدِ
فَلَوْ نَظَّمْتَ مَرْوَانَ فِي سِنِّكَ فَخَرِهَا لِأَصْبَحَ مِنْ مَرْوَانَ وَسِطَةَ الْعِقْدِ
تَجَلَّى عَلَى الدُّنْيَا فَأَجَلَّى ظَلَامَهَا كَمَا انْجَلَّتِ الظُّلُمَاءُ عَنْ قَمَرِ السَّعْدِ
إِمَامٌ هُدًى أَضْحَتْ بِهِ الْعُرُبُ غَضَّةً^(٢) مُلَبَّسَةً نُورًا كَوَاشِيَةَ الْبُرْدِ
كَفَانِي لَدَيْهِ^(٣) أَنْ جَعَلْتُ وَسِيلَتِي^(٤) ذِمَامًا شَامِيَّ^(٥) الْهَوَى خَالِصَ الْوَرْدِ
يؤكد ما يدل به من مشابهة خُلُوصَ أَيُّهُ عَبْدُ الْفَارِسِ الْجَنْدِ
فَتَأْمَلْ رُؤَاهِ وَالرِّمَاحَ شَوَاجِرُ وَخَيْلٌ إِلَى خَيْلٍ بِأَبْطَالِهَا تُرْزَى
رَأَى أَسَدًا وَرَدًّا يَخِفُّ إِلَى الْوَغَى وَرَأَيْتُهُ أَرْبَى عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ
فَأَنْعِمَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ يَا خَيْرَ مُنْعِمٍ بِإِظْهَارِ تَشْرِيفٍ وَعَقْدِ يَدٍ عِنْدِي
وَلَا تُشْمِتِ الْأَعْدَاءُ أَنْ جِئْتُ قَاصِدًا إِلَى مَلِكِ الدُّنْيَا فَأَحْرَمُ مِنْ قَصْدِي
فَعِنْدَ الْإِمَامِ الْمُرْتَضَى كُلُّ نِعْمَةٍ وَشُكْرًا لِمَا يُؤَلِّيهِ^(٦) مِنْ نِعْمَةٍ عِنْدِي
فَلَا زَالٍ فِي الدُّنْيَا سَعِيدًا مُظْفَرًا وَبُؤَى فِي دَارِ الْعُلَى جَنَّةَ الْخُلْدِ

(١) وردت هذه الشطرة في المخطوطين : « أَيَا مَلِكًا تُرْمَى بِهِ قُلُوبُ الْهِنْدِ » . وهو تحريف والتصويب من الحلة السيرة لابن الأبار (ص ١٢٠) .

(٢) هكذا في المخطوطين وفي « الحلة السيرة » : (إِمَامٌ هُدًى زِيدَتْ بِهِ الْأَرْضُ بِهَجَةٍ) .

(٣) ساقطة في المخطوطين . واردة في الحلة السيرة .

(٤) هكذا في الحلة . وفي المخطوطين وسائل .

(٥) واردة في الحلة وساقطة في المخطوطين .

(٦) وردت في « ج » يلحيه ، وفي « ك » ، يليه .

وكان من بيت سماحة وفصاحة وخطابة ، فعلاً^(١) شرفه بهذه الخصال ؛ فسُجِّلَ له على أرحية ، وحِصِّنَ نبيل بني هُود وغير ذلك ، فانقلبَ مرعىِّ الوسائل ، ومَقْضَىِّ الرِّسائل .

[قال المؤلف أرى ابن فركون قبل الست عشرة الثلاثمائة]^(٢)

أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي

من أهل غرناطة . يُكنى أبا جعفر ، ويُعرف بابن فركون

أَوَّلِيَّتُهُ

وكفى بالنسب القرشي أولية .

حاله

من « عائد الصلة »^(٣) : كان من صُدُور القضاة بهذا الصقع^(٤) الأندلسي ، اضطلاعاً بالمسائل ، ومعرفة بالأحكام من مظانها^(٥) ، كثير المطالعة والدُّروب ، وحي^(٦) الإجهاز في فصل القضايا ، نافذ المَقْطَع ، كثير الاجتهاد والنَّظر ، مشاركاً

(١) في المخطوطين : فالى . وهو تحريف ظاهر .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في المخطوطات الثلاثة عقب هذه الترجمة . ووجود هذه العبارة في هذا الموطن غير واضح ، ولا علاقة لها بما تقدم أو بما تأخر بعد ذلك من ترجمة ابن فركون التالية ، بيد أننا لم نر بأساً من إثباتها كما هي .

(٣) هو من مؤلفات ابن الخطيب . وقد تقدم التعريف به في المقدمة .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » السقع .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة : مضانها .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » ، وحير . ووحى معناها عجل مسرع

في فنون ، من عربيّة ، وفقه ، وقراءة ، وفرائض ، طيّب النعمة بالقرآن ، حسن التلاوة ،
عظيم الوقار ، بين طبعٍ ومكسوب ، فائق الأبهة ، مزيّياً بمن دونه من الفقهاء ،
وعاقدى الشروط ، مستقيماً للكنى والتجالات ، يعامل الكهول معاملة الأحداث ،
ويتهاون بتعاملات^(١) ذلك ، فيجعلها دُبُرُ أذنيه^(٢) ، ويستترسِل في إطلاق عِنان
النّادرة الحارّة ، في مجالس حُكمه ، فضلاً عن غيرها ؛ وجَدَ ذلك مَنْ يحمل
عليها ، سبباً للغرض منه .

نباهته

ترشّح بذاته ، وباهر أدواته ، إلى قضاء المدن النّبيلة ، والأقطار الشهيرة ،
كرُندة ، ومالقة ، وغيرها . ثم وُلّي قضاء الجماعة^(٣) ، في ظلّ جاهٍ ، وضمّن حرمة .
« غريبة في أمره » : حدث أنه كان يقرأ في شبّيته على الأستاذ الصالح
أبي عبد الله بن مستقور^(٤) ، بكرّم له خارج الحضرة ، على أميال منها ، في فصل
العصير . قال وجّهني يوماً بغلة من الرّثب^(٥) لأبيعه بالبلد ، فأصابني مطرٌ شديد ،
وعُدّت إليه بحال سيئة ، بعد ما قضيت له وطره ؛ وكان له أخٌ أسنُّ منه ، فعاتبه
في شأنه ، وقال له : تأخذُ صديقاً ضعيفاً يأتيك لفائدة يستفيدها ، وتعرّضه لمثل
هذه المشقة ، في حقّ مصلحتك ، ليس هذا من شيم العلماء ، ولا من شيم
الصّالحين . فقال له دَعُه ، لا بد أن يكون قاضي الجماعة بغير ناطة ؛ فكان كذلك ،
وصدّقت فراسته ، رحمه الله تعالى .

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » بتعامات .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » أذنه .

(٣) قضاء الجماعة في الخطط الأندلسية معناه رئاسة القضاء العليا ، أو منصب قاضي القضاة .

ومركزه في حضرة غرناطة .

(٤) وردت في المخطوطين : « مسفور » وهو تحريف . والتصويب من كتاب « المرقبة العليا »

(قضاة الأندلس) ص ١٣٩ .

(٥) الرب هو بقايا الثمار بعد اعتصارها

مَشِيخَتُهُ

قرأ بالقرية على الأستاذ أبي القاسم بن الأصفر ؛ وبغرة ناطة على العالم القاضي أبي الحسن محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري ، وعلى الشيخ المفتي أبي بكر [محمد بن]^(١) أبي إبراهيم بن مفرّج الأوسي بن الدبّاغ الإشبيلي ، وعلى الخطيب الزاهد أبي الحسن العدّال ، وعلى الأستاذ النحوي أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن الصّايغ ، بالصّاد المهملة ، والغين المعجمة ، وعلى الأستاذ أبي الحسن الأبدى^(٢) ، وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الطّائى ، عُرف بابن مسْتَقْمور .

ولما دالت الدولة ، كان له في مُشَايعة تَخْلُوعِهَا أمور اقْتَضَتْهَا مِنْهُ أَرْحِيَّةٌ^(٣) وحسنُ وفاء ، أُوجِبَتْ عَلَيْهِ الخُمُولُ بعد اسْتِقْرَارِ دَائِلِهَا ، السلطان أبي الوليد رحمه الله ؛ [وأصابته]^(٤) أيام الهَيْجِجِ مَحَنٌ ، ونُسِبَتْ إِلَيْهِ نَقَائِصٌ ، زَوَّرَ سَها حَسَدَتُهُ^(٥) ، فَصُرِفَ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَبَقِيَ مَدَّةً مَهْجُورِ الْفِنَاءِ ، مُضَاعَ الْمَكَانِ ، عَاطِلَ الدَّوْلَةِ ، مُنْتَبِذاً فِي مَلِكٍ لَهُ ، خَارِجِ الْحَضَرَةِ ، يَنْحَنِي عَلَى خَرَثِيٍّ^(٦) سَاقِطِ الْقِيَمَةِ ، وَدَفَاتِرِ سَاقِطَةِ الثَّمَنِ ، يَتَعَلَّلُ بِعُلَالَتِهَا ، وَيُرْحَى الْوَقْتَ بِبَيْسِيرِهَا .

حدَّثَنِي الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْحَكِيمِ^(٧) ، قَالَ زَرَّتُهُ فِي مَنْزِلِهِ بَعْدَ عَزْلِهِ^(٨) ، وَنِسْبَةِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِمِثْلِهِ ، فَأَنْشَدَنِي بِمَا يُنْبِئُ عَنْ ضَجْرِهِ ، وَضَيْقِ صَدْرِهِ :

(١) ما بين الخاصرتين زائد في ك ، وساقط في « ج » .

(٢) الأبدى بتشديد الباء وفتحها نسبة إلى مدينة أبدة . وهي مدينة أندلسية قديمة تقع شرق قرطبة على مقربة من منابع نهر الوادي الكبير . وهي بالإسبانية Ubeda .

(٣) وردت في « ج » ، رجيية . وفي « ك » رجيية . وهو تحريف . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) أصفنا هذه الكلمة من عندنا ليستقيم المعنى والسياق .

(٥) هكذا وردت في « ك » ، وفي « ج » ، حسده .

(٦) أى : الشيء . التافه الذى لا قيمة له .

(٧) وردت في المخطوطين : الحكم . وهو تحريف .

(٨) هكذا في « ج » . وفي « ك » : عزله .

أنا عن الحُكْمِ تائبٌ وعن دعاويه هاربٌ
 بعد التفقه عُمرى ونيل أَسْنَى المَرَاتِبِ
 وبعد ما كنتُ أَرْقى على المنابر خاطِبٌ
 أَصْبَحْتُ أَرْمَى بِعَارٍ لِلْحَالِ غيرِ مُنَاسِبِ
 أَشْكُو إلى الله أَمْرِي فهو المُثِيبُ المُعَاقِبُ

وثبت اسمه في التاريخ المسمى « بالتاج »^(١) من تأريخي بما نصه :
 « شيخ الجماعة وقاضيه ، ومُنَفِّذُ الأحكام ومُضِيها ، وشايم^(٢) سيوفها الماضية
 ومُنْتَضِيها ، رأس بفضيلة نفسه ، وأحيا دارس رسم القضاء بدَرَسِهِ ، وأودع في
 أرض الاجتهاد ، بذر السَّهَاد ، فجَنَى ثمرة غَرَسِهِ ؛ إلى وقار يَوَدُّ رَضْوَى رجاخته^(٣) ،
 وصَدُرَ تحسُّدُ الأرضُ الغبيطة ساحتَه ، ونادِرة يدْعُوها فلا تتوقَّف ، ويُلقى عصاها
 فتَتَلَقَّف ؛ ولم يَزَلْ يَطْمَحُ بِأَمَانِيهِ ، ويضطلع بما يُعَانِيهِ ، حتى رُفِعَ إلى الرُّتبة العالية ،
 وحصل على الحال الحالية ؛ وكان له في الأدب مُشاركة ، وفي مَرَبُضَةٍ^(٤) النظم حصّة
 مباركة . انتهى إلى قوله يَهْنِيُ السلطان أبا عبد الله بن عبد الله بن نصر ، بالإبلال من
 مرض في اقترانٍ بعيد وفتح ، وذلك :

شفاؤك للمُلكِ اعتزازٌ وتأيدٌ وبرؤك مولانا به عيدنا عيدُ
 مَرَضَتِ فلم تأوِ النفوسَ لِراحَةٍ ولا كان للدُّنيا قرارٌ وتمهيدُ
 [ولم تبصر عيني قود حولها]^(٥) ولازمها طول اعتلالك تسهيد

(١) هو كتاب «التاج الحلى فى مساجلة القدر الحلى» . وقد سبق التعريف به فى المقدمة .

(٢) وشايم أى منتضى .

(٣) هكذا وردت فى « ج » وفى « ك » رجاخته .

(٤) هكذا وردت فى « ك » . وفى « ج » ، مريضة .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة فى « ج » . وفى « ك » (ولم تبصر عيني توالى مؤلّا)

وشعره مختلف عن نمط الإجابة التي تناسب محلّه في العلم ، وطبقته في الإدراك
فاختصرته .

مولده

عام تسعة وأربعين وستمائة .

« وفاته » : في السادس عشر لذي القعدة عام تسعة وعشرين وسبعماية . ذكرته
في كتاب « عائد الصلّة » قاضياً ، وفي كتاب « التّاج المحلّي » قاضياً أديباً . وذكره
أبو بكر بن الحكيم^(١) في كتاب « القوائد المُستَغَرّبة » ، والموارد المُستَعْدَبة »
من تأليفه .

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن
ابن يوسف بن سعيد بن جُزَيّ الكَلْبِيّ

من أهل غرناطة ؛ ويعرف بابن جُزَيّ ؛ أوليته معروفة ، وأصلته شهيرة ؛
تُنظر فيما مر من ذلك [عند]^(٢) ذكر سلفه ، وفيما يأتي في ذلك ، بحول
الله وقوته .

حاله

من أهل الفضل والنّزاهة ، والهمّة ، وحُسن السّمة ، واستقامة الطّريقة ؛ غرّب
في الوقار ، ومال إلى الانقباض ، وترشّح إلى رُتب سلفه ؛ له مشاركةٌ حسنة في

(١) هو من شيوخ ابن الخطيب وهو ولد الوزير الشهير أبي عبد الله محمد بن الحكيم . ولد سنة ٥٦٦ هـ
وتوفى سنة ٥٧٥ هـ (١٣٤٩ م) وتولى مثل أبيه الوزارة . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد بإفاضة في
المجلد الثاني من الإحاطة .

(٢) يظهر أنه قد سقطت هنا في المخطوطين كلمة (عند) ، أو نحوها ليستقيم المعنى ، فأضفناها .

فنون ، من فِته ، وعَرَبيّة ، وأدب ، وحفظ ، وشعر ، تسمو^(١) ببعضه الإجادة ، إلى غاية بعيدة .

مشيخته

قرأ على والده الخطيب أبي القاسم ، ولازمه ، واستظهره ببعض موضوعاته ، وتأدّب به ؛ وقرأ على بعض معاصري أبيه ، وروى ؛ واستجلب له أبوه كثيراً من أهل صُتعة وغيرهم .

نباهته

ثم أُرسم في الكتابة السلطانية لأوّل دولة السابع من الملوك النّصريين ، مُنفق سوق الحليّة من أبناء جنسه ، أبي الحجاج بن نصر ، فوري زنده ، ودَرّت أحلاب قريحته ، وصدّر له في مدائمه شعر كثير . ثم تصّرف في الخطّ الشرعيّة ، فوُلّي القضاء ببرجة^(٢) ، ثم بأندرش^(٣) ، وهو الآن قاضي مدينة وادي آش ، مشكور السيرة ، معروف النّزاهة ، أعانه [ذلك]^(٤) وسوّده ، وبلغ به رتبة سلفه . وجرى ذكره في كتاب التّاج بما نصه :

« فاضلٌ تحلّى بالسكينة والوقار ، قدّدت إليه رقاب سلفه يد الافتقار ، ما شئت

(١) وردت في المخطوطين : (سما) ، وهذا التصويب يستقيم المعنى .

(٢) برجة هي Berja الحديثة وهي من أعمال ولاية المرية ، وتقع غربي ثغر المرية على مقربة من البحر الأبيض المتوسط .

(٣) وردت في المخطوطين : « اندش » وهو تحريف . واندراش Andrax هي بلدة صغيرة من أعمال ولاية المرية أيضاً ، تقع في شمال بلدة برجة . وهي شهيرة في تاريخ مملكة غرناطة إذ كانت مقر أبي عبد الله آخر ملوك الأندلس بعد تسليم غرناطة . وبها أقام زهاء عامين حتى عبر البحر إلى المغرب في أكتوبر سنة ١٤٩٣ م .

(٤) زيادة مرجحة لا يستقيم بغيرها السياق .

من هدوء وسكون ، وجُنوح إلى الخير ورُكون ؛ غنى بالمحافظة على سِمته من لدُن
عَقْل ، ولزم خِدْمَة العلم فما حاد ولا انتقل ، ووجد من أبيه رحمه الله مرعىً خصبياً
فابتقل ؛ وعمل على شاكلة سلفه في سلامة الجانب ، وفضل المذاهب ؛ وتَحَلَّى بتلك
المآثر وتَوَشَّح ، وتأهَّل إلى الرُّتب في سن الشَّيْبَة وترشَّح ؛ وله مع ذلك في لُجَّة
الفِقه سَبَّحٌ ، وعلى بعض موضوعات أبيه شَرَحٌ ؛ وأدبه ساطع ، وكلامه حَسَن
المقاطع . فمن ذلك ما كتب به إلَيَّ ، وقد خاطبت ما أمكن من نظمه :

فَدَيْتُكَ يَا سَيِّدِي مِثْلَمَا فَدَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي زِنْتَهُ

وقوله في المقطوعات من ذلك في معنى التورية :

كَمْ مُبْكَأَى لُبْعَدَمٍ وَأُنِينِي مَن ظَهِيرِي عَلَى الْأَسَى مَن مُعِينِي
جَرَّحَ الْخَدَّ دَمْعُ عَيْنِي وَلَكِنْ عَجَبٌ أَنْ يُجْرَحَ ابْنُ مُعِينِ
وقال في الغنى ^(١) :

أَرَى النَّاسَ يُؤَلُّونَ الْغَنَى ^(٢) كَرَامَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرِفْعَةِ مِقْدَارِ
وَيَلْوُونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُبْلَقَ بِإِكْبَارِ ^(٣)
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِينَارِ ^(٤)

ومن بديع ما صدر عنه قوله ينسج على منوال السقرسطيني في قصيدته الشهيرة :

أَقُولُ لِحَزْمِي ^(٥) أَوْ لَصَالِحِ أَعْمَالِي إِلَّا عِمٌّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي
أَمَّا وَاعْظِي شَيْبٌ سَمَا فَوْقَ لِمْتِي سُمُوٌّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ

(١) في المخطوطين : الممْنَى ، وهو تحريف حسبما يتضح بعد من نص الشعر .

(٢) وردت في المخطوطين : الغَبَى . والتصويب من نفح الطيب وهو يتفق مع سياق البيت التالي .

(٣) في المخطوطين : بَأْثَار . والتصويب من نفح الطيب .

(٤) لم يرد هذا البيت في المخطوطين . ونقلناه عن نفح الطيب .

(٥) هكذا في المخطوطين ؛ وفي النفح وأزهار الرياض : لعزْمِي .

أنار به ليل الشباب كأنه
 نهاني عن غيٍّ وقال مُنبِّهاً
 يقولون غَيْرُهُ لَتَنعمَ برهةً
 أغلطُ دهرى وهو يعلم أنى
 ومؤنسُ نارِ الشَّيْبِ يَتَبَحُّ لَهْوُهُ
 أشيخاً وتأتى فعلَ مَنْ كان عُمرُهُ
 وتُشغِفُكَ الدُّنيا وما أنْ شَغَفَتْهَا
 ألا أنها الدنيا إذا ما اعتبرتْها
 فأين الذين استأثروا قبلنا بها
 ذهلت بها غياً فكيف الخلاصُ من
 وقد عَلِمْتُ منى مواعيد توْبَتى
 ومُذْ وثِقْتُ نَفْسِي بِحُبِّ مُحَمَّدٍ
 وأصبحَ شيطانُ الغواية خاسِئاً
 ألا لَيْتَ شِعْرَى هل تقول عزائى
 فَأَنْزِلْ دَاراً لِلنَّبِيِّ نَزِيلُهَا
 فَطُوبَى لِنَفْسٍ جَاوَرَتْ خَيْرَ مَرْسَلٍ
 وَمِنْ ذِكْرِهِ عِنْدَ الْقَبُولِ تَعَطَّرَتْ
 جِوَارُ رَسُولِ اللَّهِ مَجْدُهُ مُؤْتَلًى
 ومن ذا الذى يثنى عِنانَ الشُّرى وقد

مصاييحُ رُهْبَانٍ تَشَبُّ لُقْفَالُ
 أَلَسْتَ تَرَى السُّمَارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالى
 يَعْمِنُ بِهِ ^(١) مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِى
 كَبِرَتْ وَأَنْ لَا يُحْسِنُ اللَّهُ أَمْثَالِى
 بَانِسَةٍ كَانَهَا خَطُّ تِمثالِ
 ثَلَاثُونَ شَهْراً فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالى
 كَمَا شَغَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِى
 دِيَارَ لَسَلَمَى عَافِيَاتٍ بَذَى خَالِ
 لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِ
 لَعُوبٍ تَنسِينِى إِذَا قُمْتُ سِرْبَالِى
 بَأَنَّ الْفَتَى يَهْذَى وَلَيْسَ بِفَعَالِ
 هَصَرْتُ بِفُضْنِ ذِي شِمَارِيخِ مِيَالِ
 عَلَيْهِ قَتَامٌ ^(٢) سِيءُ الظَّنِّ وَالْبَالِ
 لِيَخِيلُ كَرِّى [كَرَّةً بَعْدَ] ^(٣) إِجْفَالِ
 قَلِيلُ مُهُومٍ مَا يَبِييتُ بِأَوْجَالِ
 بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارَهَا نَظْرُهُ عَالِى
 صَبَاً وَشَمَالٌ فِي مَنَازِلِ قُفَالِ
 وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِى
 كَفَانِى وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ

(١) عن المكان أى أقام به .

(٢) وردت فى المخطوطين : القَتَام . والقَتَام هو الغبار الأسود .

(٣) وردت فى المخطوطين ، (كرا ذات) والتصويب من النفع والأزهار .

ألم تر أنَّ الطَّيِّبَةَ اسْتَشْفَعَتْ بِهِ تَمِيلُ عَلَيْهِ هُونَةً غَيْرَ مُجْفَلٍ
 وَقَالَ لَهَا عُودِي فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
 فَعَادَتْ إِلَيْهِ وَالْهَوَى قَائِلٌ لَهَا وَكَانَ عَدَاءُ الْوَحْشِ مِنِّي عَلَى بَالِي
 رَأَى لَبْعِيرٍ قَالَ أَزْمَعَ مَالِكِي لَيَقْتُلَنِي وَالْمَرْءُ بَلِيسُ بَفْعَالٍ^(١)
 وَثَوْرٍ ذَبِيحٍ بِالرَّسَالَةِ شَاهِدٌ طَوِيلُ الْقَرَا وَالرَّوْقِ اخْنَسَ ذِبَالُ
 وَحَنٌّ إِلَيْهِ الْجِدْعُ حَنَّةً عَاطِشٍ لَغَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ رَائِدُهُ خَالِي
 وَأَصْلَيْنِ مِنْ نَخْلٍ قَدْ التَّأَمَّا لَهُ فَمَا اخْتَبَسَا مِنْ لَيْنٍ مَسٍّ وَتَسْهَالٍ^(٢)
 وَقَبْضَةٍ تُرْبٍ مِنْهُ ذَلَّتْ لَهَا الصَّبَا^(٣) وَمَسْنُونَةٍ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ
 وَأَضْحَى ابْنُ جَحْشٍ بِالْعَسِيبِ مُقَاتِلًا وَلَيْسَ بِذِي رُمُحٍ وَلَيْسَ بِذَبَالِ
 وَحُسْبُكَ مِنْ سَيْفٍ^(٤) الطُّفَيْلُ إِضَاءَةٌ كَصُبَّاحِ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلِ ذُبَالِ
 وَبَدَّتْ بِهِ الْعَجَفَاءُ كُلُّ مُطَهَّمٍ لَهُ حَبَابَاتُ مُشْرِفَاتٍ عَلَى الْفَالِ
 وَيَا خَسَفَ أَرْضٍ تَحْتَ بَاغِيهِ إِذْ عَلَا عَلَى هَيْكَلٍ نَهْدَ الْجَزَارَةِ جَوَّالِ
 وَقَدْ أُخِذَتْ نَارٌ لِفَارِسٍ طَالِمَا أَصَابَتْ غَضًى [جَزَلًا]^(٥) وَكَفَّتْ بِأَجْزَالِ
 أَبَانَ سَبِيلَ الرُّشْدِ إِذْ سُبُلُ الْهُدَى^(٦) يَقْلُنُ لِأَهْلِ الْحَلَمِ ضَلًّا بِتَضْلَالِ
 لِأُتْحَدَ خَيْرَ الْعَالَمِينَ انْتَقِيَّتْهَا وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً^(٧) أَيْ إِذْ لَالِ
 وَإِنَّ رَجَائِي أَنْ أَلَاقِيَهُ غَدًا وَلَسْتُ بِمَقْلَى الْخِلَالِ وَلَا قَالِي

(١) لم يرد هذا البيت في المخطوطين، ونقلناه عن نفح الطيب .

(٢) وردت في المخطوطين : « وتسأل » والتصويب من النفح والأزهار .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النفح : أيضاً .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النفح سوط .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . ونقلناها عن النفح والأزهار .

(٦) « إذ سبل الهدى » نقلناها عن النفح . وبكائها في المخطوطين عبارة مضطربة : (إذ سبل به) .

(٧) وردت في المخطوطين طبعه . والتصويب من النفح .

فأدرك آمالي وما كلُّ آملٍ بمُذكرٍ أطرافِ الخطوبِ ولا وَال

ولا خفاء ببراءة هذا النظم ، وإحكام هذا النسيج ، وشدة هذه المعارضة . وله تقييدٌ في الفقه على كتاب والده ، المسمى بالقوانين الفقهية ، ورجزٌ في الفرائض يتضمن العمل . وإحسانه كثير . وتقدّم قاضياً بحضرة غرناطة ، وخطيباً بمسجد السلطان ، ثامن شوال من عام ستين وسبعائة . ثم انصرف عنها ، وأعيد إليها في عام ثلاث وستين ، موصوفاً بالنزاهة والمضاء .

« مولده » ؛ في الخامس عشر من جمادى^(١) الأولى عام خمسة عشر وسبعائة ، وهو الآن بقيد الحياة .

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سعد
ابن سعيد بن مسعدة بن ربيعة بن صخر بن شراحيل^(٢) بن عامر
ابن الفضل بن بكر^(٣) بن بكار بن البدر بن سعيد بن عبد الله العامري
يكنى أبا جعفر ؛ من أهل غرناطة .

أوليتّه

عامر الذي ينتسبون إليه ، عامر بن صَعَصَعَة بن هَوَازِن بن منصور بن عَكْرَمَة
ابن حَفْصَة بن قَيْس بن عِيلَان بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان .

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » ، لجمادى .

(٢) في « ك » سراحيل . وفي « ج » سراحيل .

(٣) وردت في المخطوطين : بدال . وهو تحريف . ويؤيد هذا التصويب ما يرد بعد قليل في السياق .

ومن مناقبهم ؛ مَيْمُونَةُ أم المؤمنين ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعَمْرُو بن عامر من أصحابه ، وعاصم بن عبد الله الجعلى ، ويزيد بن الحُمير ،
وغيرهم . مَنْزِلُ جدِّهم الداخل إلى الأندلس ، وهو بكرُ بن بَكَّار بن البَدْرِ بن
سعيد بن عبد الله ، قرية طُغْنَزْ^(١) ، من إقليم بَرَجِلَه^(٢) ابن خريز
من البيرة .

قال ابن الصيرفى^(٣) فى تاريخه الصغير : منزل بنى مَسْعَدَة ، موضعُ كرم
ومَحْمَدَة ، ينتسبون فى عامر ، وهم أعيان عِلْيَة ، فرسان أكابر ، وحُجَّاب وكتاب
ووزراء ، ولهم سابقات ومفاخر ، وأوائلُ وأواخرُ . ومنهم على القِدَم جليل^(٤)
ونبيه ؛ ومنهم كان وضعُ بن جَرَّاح الفقيه ؛ لم يُدخل أحد منهم فى الفتنة يداً ،
ولا تأذى مُسَلِّماً ، ولا مُعَاهِداً^(٥) ، على قُدْرَتِهِمْ على ذلك ؛ وكفى به فخراً
لا ينقطع أبداً . ودخل جدُّهم الأندلس بعقد بنى مروان له سنة أربع وتسعين من
الهجرة ؛ ويأتى من ذكر أعلامهم ما يدلُّ على شرف بيتهم ، وأصالته ،
وعُلُوِّه وجلالته .

(١) ورد اسم هذه البلدة محرفاً فى المخطوطين : (طغنس) . والصواب هو « طغنز » Tignar
التي منها الطغنزى صاحب كتاب الفلاحة . وموقعها على مقربة من غرناطة . وقد سبقت الإشارة
إليها . راجع الحاشية فى ص ١٣٥ .

(٢) سبق أن أوضحنا المعنى الجغرافى لكلمة براجلة وبراجلات . وهى البقاع والسفوح الواقعة فى
أسفل جبل الثلج Sierra Nevada وبراجلة ابن خريز أو خريز هو إحدى هاتى البقاع المجاورة
لبلدة البيرة .

(٣) وردت فى المخطوطين : السيرفى وهو تحريف .

(٤) وردت بعدها فى المخطوطين كلمة (ولا) لتقرأ العبارة (جليل ولا نبيه) ، ووجودها على
هذا النحو غامض مناقض للسياق فحذفناها وأبقينا الواو ليستقيم المعنى .

(٥) هكذا وردت فى « لك » . و « ج » عاهد . وهو تحريف . والمعاهد هو النصرانى الذى كان
يعيش فى ظل الحكومة الإسلامية Mozarabe . وقد سبق التعريف بأحوال المعاهدين . راجع الحاشية فى ص ١١٢ .

حالُه

كان صدرًا جليلا ، فقيها مضطلعا^(١) ، من أهل النظر السديد والبحث ، قائما على المسائل ، مشاركا في كثير من الفنون ، جزلا مهما ، جاريا على سنن سلفه ، ريان من العربية . وختم سيبويه تفقهها ، وقرأ الفقه ، واستظهر كتاب التلقين ، ودرس الأحكام والحديث ، وعرضها في مجلس واحد ، وقرأ أصول الفقه ، وشرح المستصفي شرحا حسنا ، وقرأ الإرشاد والهداية^(٢) ؛ وكان صدرًا في الفرائض والحساب ، وألف تاريخ قومه وقرابته .

ولايته

وُلِّي القضاء بمواقع من الأندلس كثيرة^(٣) من البشارات^(٤) ، أقام بها أعواما خمسة ؛ ثم لوثة^(٥) ، وأقام بها ثلاثة أعوام ؛ ثم بسطة وبرشانة^(٦) . ثم انتقل إلى مالقة ، وأقام بها أعواما خمسة . نبهت على مقدار الإقامة لما في ضمن طول سني الولاية من استقامة أمر الوالي . وكان له من أمير المسلمين بالأندلس خطوة لطيفة لم تكن لغيره ، استنزلها بسحر التلطف ، وخطبها بلسان التملق حتى استحكمت له أسبابها .

(١) وردت في المخطوطين : مصصعا . وهي كلمة لا معنى لها . وحكمة التصويب واضحة .

(٢) وردت في المخطوطين : والنهاية .

(٣) وردت في المخطوطين : كثير .

(٤) « البشرات » سبق التعريف بمعناها الجغرافي . وهي السفوح والسهول في منطقة « سيارانفادا »

الوسطى ومقابلها الإسباني Alpujarras . راجع الحاشية في ص ١١٧ .

(٥) لوثة هي بلد ابن الخطيب . وقد سبق التعريف بها في المقدمة .

(٦) سبق التعريف بهما ، راجع الحاشيتين في ص ١١٥

حدّثني بعض أشياخي ممن كان يباشر حال السلطان يومئذ ؛ قال : وجه ابن مسعدة ابنه من مألقة ، بكتاب في بعض الأغراض الضرورية ، ثم رغب فيه أن يُنعم على ولده بالمُشافهة لإلقاء أمر ينوب عنه فيه ؛ فلما حضر ، تناول رجل السلطان فقَبَّلها ، وقال أمرني أبي أن أنوب في تَغْفِير الوجه ، في هذه الرَّجُل الكريمة الجهادية عنه خاصّة ، لُبْعَد عهده بها ، إلى أمثال هذا ، مما اقتضت الانتفاع بعاجل من الدُّنيا زهيد ، لا يدري ما الله صانع فيه ؛ والإبقاء بما تجاوز الإفراط ، في تقدُّمه بمألقة ، بعده دارُ الأعلام ، وديوانُ العقد ، وهو حَدَثٌ خَلِيٌّ من العِلْم ، قريبُ العهد بالبلوغ ، فكانت على أنها غاية الصُّدور مَلْعَبًا ، إلى أن ضرب الدهر ضرباته ، وانتقلت الحال .

مُشَيْخَتُهُ

أولهم قاضي الجماعة ، أبو الحسن بن أبي عامر بن ربيع ؛ وثانيهم القاضي أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع ؛ وثالثهم أبو يحيى بن عبد المنعم الخزرجي ؛ ورابعهم العَدْل ، الرَّأْوِيَّة ، أبو الوليد العطار ؛ وخامسهم أبو إسحاق بن إبراهيم بن أحمد الخُشَنِي ؛ وسادسهم الأستاذ أبو الحسن الكِنَانِي الإشبيلي ؛ وسابعهم محمد بن إبراهيم ابن مُفَرِّج الأَوْسَى الدِّبَاغ ؛ وثامنهم أبو جعفر أحمد بن علي الرُّعَيْنِي ؛ وتاسعهم أبو علي بن أبي الأَحْوَص .

وصمته

فروى الناس أنه وُجِدَ بخزانته بعد وفاته ، زمامٌ ، يشتمل على مثالب أهل غرناطة ، مما يحدثُ على الأيام في أفرادهم ، من فَلَائِتٍ يُجْرِيها عدم الاتِّصاف بالعِصْمَةِ . استقرَّ عند ولده الفضل ، زعموا ، ثم خَفِيَ أثرُه ، ستر الله عيوبنا برحمته .

وفاته

توفي بمالقة قرب صلاة المغرب ، يوم الأحد الموفى عشرين لذي الحجة عام تسعة وتسعين وستمائة ، ودفن بخارج باب قبالة في مالقة المذكورة بمقربة من رابعة بنى عمار ، وبالروضة المنسوبة لبني يحيى ؛ نقلت من خط ولده الفضل .

أحمد بن محمد بن أحمد بن قُعب الأزدى

يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن قُعب .

« أوليته » ؛ ذكر الأستاذ ابن الزبير في « صلاته »^(١) وغيره ، أن قوماً بغرناطة يعرفون بهذه المعرفة ، فإن كان منهم ، فله أولية لا بأس بها .

حاله

كان من شيوخ كتاب الشروط معرفة بالمسائل ، واطلاعاً بالأحكام ، وانفرد بصحة الوثيقة ؛ باقعة^(٢) من بواقع زمانه ، وعيابة^(٣) في مشايخ قطره ؛ يآلف النادرة الحارة في ملاء من النوك والغفلة ، فلا يهتز لموقع نادرة ، ولا يضحك عقب عقد صرعة ؛ لقلقه غير ما مرة ، غير مجلس من مجالس القضاء ، من بني مسعود المزرة

(١) هو كتاب « صلة الصلة » لأبي جعفر أحمد بن الزبير . وقد ذيل به على كتاب « الصلة » لابن بشكوال . ونشرت منه الأقسام التي عثر عليها منه . ويقتبس ابن الخطيب كثيراً منه . ويترجم له فيما يلي .

(٢) الباقعة هو الذكي الداهية من الرجال .

(٣) أى يكثر العيب في الناس .

أحكامهم ، المرمية بتهكمه وإزرائه ، فتقتع^(١) في طريق حكمهم خطأ منفسحة ، غير مكترث بهوانه ، ولا غاص بلسانه . وربما قال لبعض الوزعة^(٢) من قاداته بمجلسه ، وقد توقّفوا به في بعض الطريق ، توقّعاً لسكون غضب قاضيه ، إبعثوا بعضهم إلى هذا المحروم ، لنرى ما عزم عليه ، بكلام كثير الفتور والاستكانة ؛ له في هذا الباب شهرة .

« ذكر بعض نزاعاته » ؛ حدثني ملازمه ، وقف عليه ، أبو القاسم بن الشيخ الرئيس أبي الحسن بن الجيّاب ، وقد أعمل والده ، رحلة إلى مالقة لزيارة شيخه الذي تلمذ له ، وشهر بالتشيع فيه ، أبي عبد الله السّاحلي ، صاحب الأتباع والطريقة ، وكان مفرط الغلو فيه ، واستصحب ولده الصغير ؛ فسأله عن سفر أبيه ، فقال نعم ، واحتمل أخى ، فقال أظنه منذ وُلد ، كان غير مغتطس ، فحمّله الشيخ فغطّسه ؛ واستغرب كل من حضر ضحكاً ، فلم يبتسم هو كأنه لا شعور عنده ، بما ذهب إليه ، فكانت إحدى الطّوام عند الشيخ .

وحدثني ، قال : جاءت امرأة تخاصم عيّاراً^(٣) ، أوصلها من بعض المدن ، في أمرٍ نشأ بينهما ، ويده عقّد ، فقال بعض جيرانه ، من نصه حاكياً ، « وأنه جا معها من موضع كذا إلى كذا » ولم يرسم المدّ على ألف جاء ؛ فقال الشيخ للمرأة ، أتعرفين أن هذا العيّار جا معك في الطريق أى فعل بك ، فقالت معاذ الله ، ونفرت من ذلك ؛ فقال كذا شهد عليك الفقيه ، وأشار إلى جاره . ومثل ذلك كثير . وُلّي القضاء بأماكن عديدة كلوشة ، وبسطة ، والمسند ، وبرجه ، وأرجبة^(٤) ، وغير ذلك .

(١) أى خنع وذل .

(٢) هم الحراس والحجاب .

(٣) وردت في المخطوطين ميارا . وهو تحريف . والعيار هو الرجل الكثير الذهاب في الأرض أعنى الدليل . وبهذا التصويب يستقيم المعنى .

(٤) سبق التعريف ببسطة (الحاشية في ص ١١٥) وبرجه (الحاشية في ص ١٦٤) . وأرجبة وبالإسبانية Orgiva ، هي بلدة تقع جنوب شرق غرناطة .

مشيخته

يحمل عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، والخطيب الصالح أبي عبد الله بن فضيلة ،
وأبي محمد بن سَمَاك ، وأبي الحسن بن مَسْتَقُور .

مولده

عام سبعين وستمائة . توفي قاضياً ببرجة بعد علة سَدِ كَتَّ^(١) به في السادس عشر
من شعبان من عام اثنين وثلاثين وسبعماية ، وانتقل منها في وعاء خشب . ودفن
بمقبرة البيرة ، تجاوز الله عنه ورحمه .

[أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقي

من أهل غرناطة ، وجِلَّةُ بيوتها ، ويأتى من ذكر ذلك ما فيه كفاية .

حاله

هذا الرجل ممن صُرفت إلى الله رُجعا ، وخلصت له معاملته ، وخلص إليه
انقطاعه . نازع في ذلك نفساً جامحة في الحزم ، عريقة في الغفلة ، فكتب الله له النصر
عليها دَفْعَةً ؛ فشبر وفوت الأصول للحضرة في باب الصِّدْقَةِ ، ونبذ الشواغل ،
وحفظ كتاب الله على الكِبَرَةِ ، واستقبل الحراب ، ملغياً سواه . درأ به ، فاتفق

(١) أى لازمت .

على فضله ، وغُبط في حسن فيئته . وله ديوان نبيل ، يتضمن كثيراً من فقه النفس والبدن ، دل على نبله ؛ وهو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد . نفعه الله تعالى .
« مولده » ؛ بغرناطة عام تسعين وستمائة ^(١)

أحمد بن أبي سهل بن سعيد بن أبي سهل الخزرجي

من أهل الحمّة ^(٢) ، يكنى أبا جعفر .

« حاله » ؛ من أهل الخير والعفاف والطهارة والانقباض ، والصحة والسلامة ، أصيل البيت ، معروف القدم ببلده ، حاد ^(٣) النادرة . قرأ بالحضرة ، واجتهد ، وحصل ؛ ولزم الأستاذ أبا عبد الله الفخّار وغيره من أهل عصره . وولى القضاء ببلدة الحمّة ، ثم بغربي مالقة . وهو الآن قاض بها ، مشكور السيرة .

أحمد بن عُمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله بن ورد التميمي

من أهل المريّة ^(٤) . يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن وُرد .

(١) وردت هذه الترجمة في « ر . م » ، في هامش ص ٢٧٢ ؛ ولم ترد في المخطوطات الثلاثة ، فرأينا إثباتها في هذا المكان وفق ترتيبها الأبجدي .

(٢) الحمّة أو الحامة Alhama ، تقع جنوب غربي غرناطة على قيد أربعين كيلومتراً منها . وقد كانت أيام مملكة غرناطة من أهم مدنها وأكثرها حصانة . وهي اليوم بلدة متوسطة .

(٣) في المخطوطين : حر .

(٤) هكذا وردت في « ك » . ووردت (غرناطة) في « ج » ، والأولى أرجح حسبما يستدل به

من سياق الكلام .

حاله

قال الملاحى : كان من جِلَّة الفقهاء المُحدثين . قال ابن الزُّبير كذلك ، وزاد : موفور الحظُّ من الأدب والنحو والتاريخ ، متقدِّماً في علم الأصول والتفسير ، حافظاً متقناً ؛ ويقال إن عِلْم المَالِكِيَّة انتهت إليه الرياسة فيه ، وإلى القاضى أبى بكر بن العربى ، فى وقتها ، لم يتقدَّمهما فى الأندلس أحد [بعد]^(١) وفاة أبى الوليد بن رشد . قال أخبرنى الثقة أبو عبد الله بن جَوَّبر عن أبى عمر بن عات ؛ قال : حديث ابن العربى ، اجتمع بابن وَرْد ، وتبايتا ليلة ، وأخذنا فى التناظر والتذاكر ، فكانا عجباً . يتكلم أبو بكر فيظن السامع أنه ما ترك شيئاً إلا أتى به ؛ ثم يجيبه أبو القاسم بأبدع جواب يُنسى السامعين ما سمعوا قبله . وكنا أعجوبتى دهرها . وكان له مجلسٌ يتكلم فيه على الصَّحيحين ، ويخص^(٢) الأخمسة بالتفسير .

« حلولة غرناطة »^(٣) ؛ قال المؤرخون وُلَّى قضاء غرناطة سنة عشرين ، فعُدل وأحسن السيرة ، وبه تفقه طلبتها إذ ذاك .

مشيخته

روى عن أبى على الغسانى ؛ وأبى الحسن بن سراج ، وأكثر عنه ؛ وأبى بكر بن سابق الصقبلى ؛ وأبى محمد بن عبد الله بن فرج المعروف بالعسال الزاهد ، ولازمه ، وهو آخر من روى عنه . ورحل إلى سِجِلْمَاسة ، وناظر عبد الله بن العواد^(٤) .

(١) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين . وقد أضفناها ليستقيم المعنى والسياق .

(٢) وردت فى المخطوطين : ويحضر . وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت فى « ج. » ، وفى « ل. » (حلولة عن غرناطة) وعن هنا لا محل لها .

(٤) وردت فى المخطوطين (وناظر عند ابن العواد) .

وروى أيضاً عن أبي الحسن المبارك المعروف بالخشاب ، وكان الخشاب يحمل عن أبي بكر بن ثابت الخطيب وغيره .

« من روى عنه » ؛ وروى عنه جماعة كأبي جعفر بن الباذش ، وأبي عبيد الله ، وابن رفاعه ، وابن عبد الرحيم ، وابن حكيم وغيرهم . وآخر من روى عنه ، أبو القاسم ابن عمران الخزرجي بفاس .

« وفاته » ؛ توفي بالمريّة في الثاني عشر لرمضان سنة أربعين وخمسة .

أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن علي الأموي^(١)

يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن برطال^(٢) ؛ أصله من قرية تعرف بحارة البحر من وادي طرش^(٣) نصر حصن مُنْتِماس من شرقي مالقة ، من بيت خير وأصالة ؛ وانتقل سلفه إلى مالقة ، فتوسّجت لهم بها عروقٌ ، وصاهروا إلى بيوتات نبيهة .

حاله

كان من أهل الخير ، وكان على طريقة مثلى من الصّمت ، والسّمت ، والانتقباض ، والذكاء ، والعدالة والتخصّص ، محوّلاً في الخير ، ظاهر المروءة ،

(١) وردت في المخطوطين : الأمدى . والتصويب من كتاب « قضاة الأندلس » (ص ١٤٨)

(٢) وردت في المخطوطين : ابن بطال ، وهو تحريف . وقد وردت بعد ذلك في السياق « ابن برطال » وهو الصواب .

(٣) هو السهل الذي تقع فيه فيه بلدة Torrox الحديثة أو طرش ، وذلك في شرقي مالقة على مقربة من البحر الأبيض المتوسط .

معروف الأصالة ، خالص الطعمة ، كثير العفة ، مشهور الوقار والعفاف ، تحرف بصناعة التوثيق على انقباض .

دخوله غرناطة

تقدم قاضياً بغرناطة ، بعد ولاية القضاء ببلده ، وانتقل إليها ، وقام بالرسم المضاف إلى ذلك ، وهو الإمامة بالمسجد الأعظم منها ، والخطابة بجامع قلعتها الحمراء ؛ واستقل بذلك إلى تاسع جمادى الثانية من عام إحدى وأربعين وسبعائة ، على قصور في المعارف ، وضعف في الأداة ، وكلال في الجدد ؛ ولذلك يقول شيخنا أبو البركات ابن الحاج :

إن تقديم ابن برطال دعا طالب العلم إلى ترك الطلب
حسبوا الأشياء عن أسبابها فإذا الأشياء عن غير سبب

إلا إنه أعانه^(١) الدربة ، والحنكة على تنفيذ الأحكام ، فلم تؤثر عنه فيها أحداثه ، واستظهر بجزالة ، أمضت حكمه ، وانقباض عافاه عن الهوادة ، فرضيت سيرته ، واستقامت طريقته .

« مشيخته » ؛ لقي والده ، شيخ القضاة ، وبقية المحدثين ؛ وله الرواية العالية ، والدرجة الرفيعة ، حسياً يأتي في اسمه ، ولم يؤخذ عنه شيء^(٢) فيما أعلم .

شعره

أنشدني الوزير ، أبو بكر بن ذي الوزارتين ، أبي عبد الله بن الحكيم^(٣) ؛ قال

(١) هكذا وردت في « ل » . وفي « ج » أعاده .

(٢) وردت في المخطوطين : « شيئاً » وهو تحريف .

(٣) سبق التعريف الموجز به . انظر الحاشية في ص ١٦٣

أنشدني القاضي أبو جعفر بن بُرطال لنفسه ، مُودِّعاً في بعض الأسفار :
 أستودع الله [الأولى أودعهم]^(١) قلبي وروحي إذ دنى الوداع
 بانوا وطرفي والفؤاد ومقولي باكٍ ومسلوب العزاء وداع
 فتولَّ يا مولاي حفظهم ولا تجعل تفرقنا فراق وداع

وفاته

توفي رحمه الله ، وعفا عنه ، أيام الطاعون الغريب^(٢) بمالقة ، في منتصف ليلة
 الجمعة خامس صفر عام خمسين وسبعائة ، وخرجت جنازته في اليوم التالي ، ليلة وفاته ،
 في ركبٍ من الأموات ، يناهز الألف ، وينيف بمائتين ؛ واستمر ذلك مدة ؛ وكان
 مولده عام تسعة وثمانين وستائة ، رحمه الله تعالى .

أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي

بَلَنْسِي ، شَقُورِي^(٣) الأصل ، يكنى أبا مطرّف .
 « أَوْلَيْتُهُ » ؛ لم يكن من بيت^(٤) نباهة ؛ ووقع لابن عبد الملك في ذلك نقلٌ ،
 كان حقه التجافي عنه ، لو وفق .

(١) في المخطوطين : من لوداعهم . « والتصويب من « ت » .

(٢) وردت بعدها في المخطوطين كلمة (القوا) وهي دخيلة هنا فأغفلناها . ويشير ابن الخطيب
 هنا إلى الوباء الهائل الذي اجتاح المشرق والمغرب سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٩ م) ، وطاف بالأندلس وفتك
 بأهلها . وقد كتب عنه ابن الخطيب رسالته المسماة « مقنعة السائل عن المرض الهائل » التي ذكرناها في المقدمة .

(٣) نسبة إلى شقورة . وهي بلدة تقع شمال شرق مدينة أبده ، وشمال غربي جبال شقورة Sierra de Segura
 وكانت أيام الدولة الإسلامية من أعمال ولاية جيان . وتسمى اليوم بالإسبانية Segura de Sierra

(٤) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » أهل . والأولى أرجح ، وهي متفقة مع ما يرد بعد
 في السياق .

حاله

قال ابن عبد الملك^(١): كان أوّل طلبه ، شديد العناية بشأن الرواية ، فاستكثر من سماع الحديث ، وأخذ عن مشايخ أهله ، وتفنّن في العلوم ، ونظر في العقليّات وأصول الفقه ، ومال إلى الأدب ، فبرع فيه براعة ، عُدّ بها من كبار مجيدي النظم . وأما الكتابة ، فهو عَلمُها المشهور ، وواحدها الذي عجزت عن ثانيه الدُّهور ، ولا سيما في مخاطبة الإخوان ، هنالك استولى على أمد الإحسان^(٢) ، وله المَطَوَّلَات المُنْتَخَبَة ، والقِصَار المَقْتَضِبَة ؛ وكان يُعلم كلامه نظماً ونثراً بالإشارة إلى التاريخ ، ويؤدّعه إلماعات بالمسائل العلميّة ، مُنَوَّعة المقصد . قلت : وعلى الجملة ، فذاتُ أبي المطرّف فيما ينزع إليه ، ليست من ذوات الأمثال ؛ فقد كان نسيج وحده ، إدراكاً وتفناً ، بصيراً بالعلوم ، مُحَدَّثاً ، مَكْتَرِئاً ، راوية^(٣) ثَبَتاً ، مُتَبَحِّراً^(٤) في التاريخ والأخبار ، رَيَّان ، مضطّلعاً بالأصليّن ، قائماً على العربيّة واللغة ، كلامه كثير الحلاوة والطلاوة ، جَمَّ العيون ، غزير المعاني والحاسن ، وافد أرواح المعاني ، شفاف اللفظ ، حرّ المعنى ، ثاني بديع الزمان ، في شكوى الحرقة ، وسوء الحظ ، ورونق الكلام ، ولُطْف المأخذ ، وتبريز النثر على النظم ، والقُصُور في السُلْطانيات .

مشيخته

روى عن أبي الخطّاب بن واجب ، وأبي الربيع بن سالم ، وأبي عبد الله بن فرج ، وأبي علي الشُّلُوبين ، وأبي عُمر بن عات ، وأبي محمد بن حَوْط الله ؛ لقيهم ، وقرأ

(١) هو ابن عبد الملك المراكشي المتوفى سنة ٦٦٩ هـ ، صاحب كتاب « التكلّة » . ومنه قطعة مخطوطة بمكتبة الإسكوريال .

(٢) وردت في المخطوطين : الإنسان . والتصويب من « ت » .

(٣) وردت في المخطوطين : رواية .

(٤) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » شحرا .

عليهم ، وسمع منهم ، وأجازوا له ؛ وأجاز له من أهل المشرق أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج وغيره .

« من روى عنه » ؛ روى عنه ابنه القاسم ، وأبو بكر بن خطاب ، وأبو إسحاق البلقيني الحفيد ، والحسن طاهر بن علي الشَّقُورِي ، وأبو عبد الله البرِّي . وحدث عنه أبو جعفر بن الزُّيَير ، وابن شَقِيف ، وابن ربيع ، وغيرهم مما يطول ذكره .

نباهته

صحب أبا عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن خطاب ، قبل تولية ما تولى من رئاسة بلده ، وانتفع به كثيراً ؛ وكتب عن الرئيس أبي جميل زيان بن سعد^(١) ، وغيره من أمراء شرق الأندلس . ثم انتقل إلى العدو^(٢) ، واستكتبه الرشيد^(٣) أبو محمد عبد الواحد^(٤) بمراكش ، مدة يسيرة ؛ ثم صرفه عن الكتابة وولاه قضاء مليانة من نظر مراكش ، فتولاه قليلاً ، ثم نقله إلى أقصى رباط الفتح . وتوفي الرشيد ، فأقره على ذلك الوالي بعده ، أبو الحسن المعتضد أخوه ؛ ثم نقله إلى قضاء مكناسة الزيتون ؛ ثم لما قتل المعتضد لحق بسبته ، وجرى عليه بطريقها ما يذكر في

(١) الرئيس أبو جميل زيان بن سعد ، كان أميراً بلنسية واستمر على إمارتها حتى حاصرها النصارى سنة ٦٣٥ هـ . وقد أوفد عندئذ كاتبه الشهير أبا عبد الله بن الأبار القضاعي إلى صاحب تونس الأمير زكريا بن أبي حفص يستنجد به ويطلب عونه . وأنشد ابن الأبار لهذه المناسبة بين يدي أمير تونس قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلساً إن السبيل إلى منجأتها درسا

ولكن تلك الاستغاثة لم تنفع شيئاً . وسقطت بلنسية في يد النصارى في العام التالي أي في سنة ٦٣٨ هـ .

(١٢٣٨ م) .

(٢) أي عدوة المغرب .

(٣) هو خليفة الموحدين ، وولد الخليفة العادل . حكم في مراكش من سنة ٦٣٠ إلى سنة ٦٤٠ هـ .

(٤) وردت في المخطوطين : عبد الوليد ، وهو تحريف .

مُحْتَتِه . ثُمَّ رَكِبَ الْبَحْرَ مِنْهَا مُتَوَجِّهًا إِلَى إفريقية ، فَقَدِمَ بِجَايَةِ عَلَى الْأَمِيرِ أَبِي زَكْرِيَا
يُحْيَى بْنِ الْأَمِيرِ أَبِي زَكْرِيَا . ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى تُونِسَ فَنَجَحَتْ بِهَا وَسَائِلُهُ ، وَوَلَّى قَضَاءَ
مَدِينَةِ الْأَرُشِ^(١) . ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى قَابِسَ ، وَبِهَا طَالَتْ مَدَّةُ وَلَايَتِهِ ؛ وَاسْتَدْعَاهُ
الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ^(٢) مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَكْرِيَا ، وَلَطُفَ مَحَلُّهُ مِنْهُ ، حَتَّى كَانَ يُحْضِرُ مَجَالِسَ
أَنْسِيهِ ، وَدَاخَلَهُ بِمَا قَرَفَتْهُ الْأَلْسُنُ بِسَبَبِهِ حَسْبَمَا يَذْكُرُ فِي وَصْفَتِهِ .

مَنَاقِبُهُ

وَهِيَ الْكِتَابَةُ وَالشَّعْرُ ؛ كَانَ يَذْكُرُ أَنَّهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ ، النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَنَاولَهُ أَقْلَامًا ، فَكَانَ يُرْوَى لَهُ أَنْ تَأْوِيلَ تِلْكَ الرُّؤْيَا ، مَا أَدْرَكَ مِنَ التَّبَرُّيزِ فِي
الْكِتَابَةِ ، وَشِيَاعِ الذِّكْرِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَمِنْ بَدِيعِ مَا صَدَّرَ عَنْهُ ، فِيمَا كَتَبَ فِي غَرَضِ التَّوْرِيَةِ ، قِطْعَةٌ مِنْ رِسَالَةٍ ، أَجَابَ
بِهَا ، الْعَبَّاسُ بْنُ أُمِيَّةَ ، وَقَدْ أَعْلَمَهُ بِاسْتِيلَاءِ الرُّومِ عَلَى بِلَنْسِيَّةِ^(٣) ، فَقَالَ :
« بِاللَّهِ أَيُّ نَحْوٍ نَنْجُو ، أَوْ مَسْطُورٍ تُثَبِّتُ أَوْ نَمُجُّو ؛ وَقَدْ حُذِفَ الْأَصْلُ
وَالزَّائِدُ ، وَذَهَبَتِ الصَّلَةُ وَالْعَائِدُ ؛ وَبَابُ التَّعَجُّبِ طَالُ ، وَحَالُ الْبَأْسِ لَا تَخْشَى
الْإِنْتِقَالَ ؛ وَذَهَبَتْ عَلَامَةُ الرَّفْعِ ، وَفَقَدَتْ [نون] الْجَمْعِ ؛ وَالْمُعْتَلُّ أَعْدَى الصَّحِيحِ ،
وَالْمُثَلَّثُ أَرْدَى الْفَصِيحِ ؛ وَامْتَنَعَتِ الْجُمُوعُ مِنَ الصَّرْفِ ، وَأَمِنَتْ زِيَادَتُهَا مِنْ
الْحَذْفِ ؛ وَمَالَتِ قَوَاعِدُ الْمِلَّةِ ، وَصِرْنَا بِجَمْعِ الْقِلَّةِ ؛ وَظَهَرَتْ عَلَامَةُ الْخَفْضِ ،
وَجَاءَ بَدَلُ الْكُلِّ مِنَ الْبَعْضِ » .

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « ج » ، وَفِي « ك » (الْأَوْش) .

(٢) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ : الْمُنْتَصِرُ بِاللَّهِ . وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ .

(٣) سَقَطَتْ بِلَنْسِيَّةُ فِي يَدِ النِّصَارِيِّ فِي ضَفَرِ ٥٦٣٦ . حَسْبَمَا تَقْدِمُ (سِبْتَمْبَر ١٢٣٨ م) . وَالرُّومُ

هَنَاهُمْ « الْأَرَجِنِيُّونَ » ، وَكَانَ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَيْهَا هُوَ خَايِمُ الْأَوَّلِ مَلِكُ أَرَاغُونِ .

ومن شعره في المقطوعات التي ورّى فيها بالعلوم قوله :

قد عَكَفْنَا على الكتابة حينًا وجاءت خُطَّةُ القضاء تليها
وبكل لم يبق للجُهد إلا منزلاً نابياً وعيشاً كريهاً
نسبةً بدلت ولم تتغير مث ل ما يزعم المهندس فيها

وكقوله مما افتتح به رسالة :

يا غائباً سلبتني الأُنسَ غيبته فكيف صبرى وقد كابدتُ بينهما
دَعَوَى أَنْك في قلبي فعَارَضَهَا شوقى إليك فكيف الجَمْعُ بينهما

وفي مثل ذلك استفتاحُ رسالته أيضاً :

إنَّ الكِتَابَ أتى وساحةً طَرُسُه روحٌ مُوشى^(١) بالبديع مُرتع^(٢)
وله حقوقٌ ضاق وقتٌ وجوبها ومنَ الوجوب ضيقٌ وموسع

وفي مثل ذلك في استفتاح رسالة أيضاً :

كَبَّرْتُ بالبُشرى أتت وسماعها عِدى الذى لشُهُوده تكبيرى
وكذلك الأعيادُ سنة يومها مختصة بزيادة التكبير

وفي أغراض آخر :

بَايَعُونَا مَوَدَّةً هى عندى كالمرآة^(٣) بيعها بالخِداع
فسأقضى برَدَّها ثم أقضى بعدها من مدا^(٤)معى ألف صاع

(١) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » موشع .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » مرتبع .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » و « ت » كالممرات كالمعارات .

(٤) هكذا في « ت » . وفي « ج » مدا^(٤)معى . وفي « ك » قدامتى .

وله في معنى آخر :

شَرَطْتُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ تَسْلِيمِ مُهْجَتِي وَعِنْدَ انْعِقَادِ الْبَيْعِ قُرْبًا يُوَاصِلُ
فَلَمَّا أَرَدْتُ الْأَخْذَ بِالشَّرْطِ أَغْرَضُوا وَقَالُوا يَصِحُّ الْبَيْعُ وَالشَّرْطُ بَاطِلُ

تَصَانِيفُهُ

له تأليفٌ في كائنة مَيْرُوقَة^(١) ، وتغلَّب الرُّوم عليها ، نَحَى فِيهِ مَنَحَى الْعِمَادِ الْأَصْفَهَانِي ، فِي الْفَتْحِ الْقُدْسِيِّ^(٢) ؛ وَكِتَابُهُ فِي تَعْقِبِهِ عَلَى فخر الدين بن الخطيب الرَّازِي فِي كِتَابِ الْعَالَمِ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ مِنْهُ ؛ وَرَدُّهُ عَلَى كَمَالِ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ السَّامَكِيِّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالتَّيْبَانِ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ ؛ وَاقْتِضَابُهُ النَّبِيلِ^(٣) فِي ثَوْرَةِ الْمُرِيدِينَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّعَالِيقِ^(٤) وَالْمَقَالَاتِ . وَدَوَّنَ الْأُسْتَاذُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ هَانِي السَّبْتِي كِتَابَتَهُ وَمَا يَتَخَلَّلُهَا مِنَ الشُّعْرِ فِي سِفْرَيْنِ بَدِيعَيْنِ ، أَتَقَنَ تَرْتِيبَهُمَا ، وَسَمَّى ذَلِكَ « بُغْيَةُ الْمُسْتَطْرِفِ ، وَغُنْيَةُ الْمُتَطَرِّفِ »^(٥) مِنْ كَلَامِ إِمَامِ الْكِتَابَةِ ابْنِ عَمِيرَةَ أَبِي الْمَطَرِّفِ .

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « ك » . وَفِي « ج » مَرِيقَة . وَفِي « ت » الْمَرِيَّةُ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَكَائِنَةُ مَيُورُوقَة يَقْصَدُ بِهَا هُنَا اسْتِيلَاءُ النَّصَارَى عَلَى جَزِيرَةِ مَيُورُوقَة كَبْرَى جَزَائِرِ الْهَلْيَارِ أَوْ الْجَزَائِرِ الشَّرْقِيَّةِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٦٢٧ هـ (١٢٢٨ م) عَلَى يَدِ مُلْكِهِمْ خَايِمُ مَلِكِ أَرَاغُونِ الَّذِي سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ .
(٢) كِتَابُ الْعِمَادِ الْأَصْفَهَانِيِّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ هُنَا هُوَ « كِتَابُ الْفَتْحِ الْقُدْسِيِّ فِي الْفَتْحِ الْقُدْسِيِّ » وَهُوَ مِنْ تَأْلِيفِ عِمَادِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ هَبَةِ اللَّهِ الْقُرْشِيِّ الْأَصْفَهَانِيِّ الْمَشْهُورِ بِالْعِمَادِ الْكَاتِبِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) . وَفِيهِ يَصِفُ الْحَوَادِثَ الَّتِي اقْتَرَنْتْ بِفَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ فِي سَنَةِ ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) ، وَيُنَحِّوْهُ فِيهِ مَنَحَى السَّجْعِ الْمُرْتَبِ . وَقَدْ كَانَ شَاهِدًا لَكَثِيرٍ مِنَ الْحَوَادِثِ الَّتِي يَصِفُهَا .

(٣) وَرَدَتْ فِي « ج » السَّمِيلُ ، وَفِي « ك » النَّسِيلُ . وَهُوَ فِيمَا يَبْدُو تَحْرِيفٌ لِمَا أَثْبَتْنَاهُ .

(٤) فِي الْمَخْطُوطِينَ : الْعَمَالِيقُ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ ظَاهِرٌ .

(٥) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » الْمَطَرُفُ .

دخوله غرناطة

[قال] ^(١) شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب ، مُخبرٌ أخبرٌ بذلك من شيوخه — والرجل ممن يُركن إليه في أخباره فيما أحقُّوا ^(٢) على سبيل الرواية والإخبار ، من شرق الأندلس ، إلى غرناطة ، إلى غربها ، إلى غير ذلك ، عند رحلته ، وهو الأقرب . وقال : قال الخبر ، عهدي به طويلاً ، نحيف الجسم ، مُصَفَّرًا ، أَقْنَى الأنف ؛ أصيب بمالقة أحوج ما كان إليه ، وقد استقبل الكبرة ^(٣) ، وقارعه ^(٤) سوء الحظ . قال الشيخ أبو الحسن الرُّعَيْنِي ، إنه كتب إليه يُعلمه بهذه الحادثة عليه ، وأن المنهوب من ماله ، يَعْدِل أربعة آلاف دينار عُشْرِيَّة ، وكان ورقاً وعيناً وحُلِيًّا . وذلك أنه لما قُتِل المعتضد ، اغتُتِم الفترة ^(٥) ، وفَصَلَ عن مكناسة ، قاصداً سَبْتَةَ ، فلقى التي كان فيها جَمْعٌ من بني مَرِين ، سلبوه كلَّ من كان معه .

مولده

بجزيرة شُقَر ^(٦) ، وقيل ببَلَنْسِيَّة في رمضان اثنتين وثمانين وخمسمائة .

(١) ساقطة في المخطوطات الثلاثة ، ويقتضيها السياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين مع تحريف بسيط . وفي ت « مما أخفوا » .

(٣) الكبرة هي كبر السن .

(٤) هكذا وردت في « ك » . وفي « ت » و « ج » ، ونازعه ، والمعنى واحد .

(٥) هكذا في « ك » ، وفي « ج » ، الفطرة .

(٦) جزيرة شقر كانت تطلق أيام الدولة الإسلامية على الجزيرة الواقعة في نهر شقر Jucar ، قبل مصبه في البحر الأبيض المتوسط جنوبي بلنسية . وكانت من أجمل البقاع في تلك المنطقة ، وكانت تسمى أحياناً بالجزيرة فقط . وهو الاسم الذي استعير فيما بعد لبلدة Alcira الإسبانية الواقعة على نهر شقر على مقربة من الجزيرة المذكورة . وقد كانت جزيرة شقر موطن كثير من العلماء والأدباء .

« وفاته » ؛ توفي بتونس ليلة الجمعة الموفية عشرين^(١) ذى الحجة عام ستة وخمسين وستمائة . قال ابن عبد الملك ؛ وَوَهْمُ ابْنِ الزَّيْرِ فِي وَفَاتِهِ ، إِذْ جَعَلَهَا فِي حَدُودِ الْخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةِ أَوْ بَعْدَهَا .

أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى بن عبد الحق الجزلى

من أهل مالقة ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن عبد الحق .

حاله

من صدور أهل العلم والتفنن ، فى هذا الصُّقْعِ^(٢) الأندلسى ، نسيجٌ وحده فى الوقار والحصافة ، والتزامٌ مثلى الطريقة ، جَمُّ التحصيل ، سديد النظر ، كثير التخصُّص ، محافظ على الرسم ، مقبوضُ العنان فى التَّطْفِيفِ فى إيجاب الحقوق لأهلها ، قريب من الاعتدال فى معاملته أبناء جنسه ، مقتصد مع ثروته^(٣) ، مؤثر للترتيب^(٤) فى كافة أمره ، متوقِّدُ الفكرة مع سكون ، لَيِّنُ العريكة مع مضاء ؛ مجموع خصال حميدة مما يفيد التخريج^(٥) والحُنْكَة ؛ مضطلع بصناعة العربية ، حائز قصب السبق فيها ، عارف بالفروع والأحكام ، مشارك فى فنون من أصول ،

(١) هكذا فى « ك » . وفى « ج » و « ت » عشر .

(٢) ترد دائماً فى « ك » السقع بالسين . وهو تحريف لإملاء مستمر .

(٣) هكذا فى « ك » ، وفى « ج » ثورته . وهو تحريف ظاهر .

(٤) هكذا فى « ج » ، وفى « ك » للقريب . والأولى أرجح .

(٥) وردت فى المخطوطين : « التخريج » ، والتخريج ، أنسب للمعنى .

وطبّ ، وأدب ، قائم على القراءة ، إمام في الوثيقة^(١) ، حسن الخط ، مليح السمة والشبهة ،^(٢) عذب الفكاهة ، حسن العهد ، تام الرجلية^(٣) .

نباهته

تصدّر للإقراء ببليده ، على وفور أهل العلم ، فكان سابق الحلبة ، ومناخ الطيبة ، إمتاعاً ، وتفناً ، وحسن إلقاء^(٤) . وتصرف في القضاء ببليش^(٥) وغيرها من غربي بلده ، فحسنت سيرته ، واشتهرت طريقته ، وحدثت نزاهته . ثم ولى خطة القضاء بمالقة ، والنظر في الأحباس^(٦) بها ، على سبيل من الحظوة والنباهة ، مرجوعاً إليه في كثير من مهمات بلده ، سائمة وجوه السعادة ، ناطقة ألسن الخاصة والعامة بفضله ، جماعة نزاهته ، آوياً إلى فضل بيته . واتصلت ولايته إياها إلى هذا العهد ، وهي أحد محامد^(٧) الوالى ، طول مدة الولاية ، لاسيما القاضى ، مما يدل على الصبر ، وقلة القدح ، وسد أبواب التهم ، والله يُعينه ، ويمتّع به بمنه .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبى عبد الله بن بكر ، وهو نجيب حلّته ، والسهم المصيب من كُناتته ، لازمه ، وبه تفقه وانتفع ؛ وتلا القرآن عليه ، وعلى محمد بن أيوب ، وعلى

(١) الوثيقة والتوثيق كتابة العقود .

(٢) هكذا فى « ج » . وفى « ك » ، الشبهة .

(٣) وردت فى المخطوطين : « الرجلية » . والمقصود الرجولة .

(٤) هكذا فى « ك » . وفى « ج » اللقاء وهو تعريف .

(٥) هى بلدة بلش مالقة Velez-Malaga . وقد سبق التعريف بها . انظر الحاشية فى ص ١١٨

(٦) أى الأوقاف .

(٧) هكذا فى « ك » . وفى « ج » المحامد .

أبي القاسم بن دَوْهَم ، عَلمى وقتهما فى ذلك ، وعلى غيرها ؛ وتعلم الوثيقة على العاقد
القاضى أبى القاسم بن العريف . وروى عن الخطيبين المحدثين أبى عثمان بن عيسى
وأبى عبد الله الطنجالى وغيرها .

دخوله غرناطة

تردّد إليها غير ما مرّة ؛ منها فى أمور عرّضت فى شئونه الخاصّة به ؛ ومنها مع
الوفود الجليّة ، من أهل بلده ، تابعاً قبل الولاية ، متبوعاً بعدها . ومن شعره قوله
فى جدول :

ومُقاربُ الشّطين^(١) أحكم صقّله كالشّرفى إذا اكتسى بفرّنده
فَحَمائلُ الدّيباج منه خَمائلُ ومعانقُ فيها البهار بورده
وقد اختفى طرفٌ له فى دَوْحَةٍ كالسّيف رُدّ ذُبابه فى غمّده

وقوله فى شجر نارنج مزهر :

وتمّار نارنج نرى أزهارها مع نائى النّارنج فى تنّضيد
فإذا نظرت إلى تألّفها أتت كمباسيم^(٢) أوّمت للاثم خُدود

وفاته

فى زوال يوم الجمعة السابع والعشرين لرجب عام خمسة وستين وسبعائة .
« مولده » ؛ ثامن شوال عام ثمانية وتسعين وستمائة .

(١) وردت فى المخطوطين : ومنهم الشيطان .

(٢) وردت فى المخطوطين : كلاسّم .

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد
ابن الصَّقر الأنصاري الخزرجي

يُكنى أبا العباس ، من أهل الثغر الأعلى^(١) .

أوليتُهُ

من سَرَقُسطة ، حيث منازل الأنصار هنالك ؛ انتقل جدُّ أبيه عبد الرحمن بابنه الصغير منها لحدوث بعض الفتن بها إلى بَلَنْسِيَّة ، فولد له ابنه عبد الرحمن أبو العباس هذا ؛ ثم انتقل أبوه إلى المَرِّيَّة^(٢) ، فولد له أبو العباس بها ، ونقله أبوه إلى سَبْتَةِ فأقام بها مدَّة .

حالُه

كان محدثًا مُكثرًا ثَقَّةً ، ضابطًا ، مقرئًا ، مُجَوِّدًا ، حافظًا للفقه ، ذا كَرٍّ للمسائل ، عارفًا بأصولها^(٣) ، متقدِّمًا في عِلْمِ الكلام ، عاقدًا للشروط ، بصيرًا بعِلَلِها ، حاذقًا بالأحكام ، كاتبًا بليغًا ، شاعرًا محسنًا ، أتقنُ أهل عصره خَطًّا ، وأجلهم مَنزَعًا ؛ ما اكتسب قط شيئًا من متاع الدُّنيا ، ولا تلبَّس بها ؛ مُقتنعًا باليسير ، راضيًا بالدُّون ، مع الهمة العليَّة ، والنفس الأبيَّة ؛ على هذا قطع عمره ؛ وكتب

(١) الثغر الأعلى في الجغرافية الأندلسية هو ولاية الحدود الشمالية وهي ولاية سرقسطة ، وأعمالها تطيلة وشقة ولاردة وطركونة وطرطوشة . وهو يقابل في الجغرافية الحديثة ولاية أراجون .

(٢) وردت في المخطوطين : « القرية » . وهو تحريف ، ولا بد أنها « المرية » كما يتضح من سياق الكلام فيما بعد .

(٣) وردت في المخطوطين : بأصوله . والتصويب أرجح لأن الضمير هنا عائد إلى المسائل .

من دواوين العلم ودفائره ، ما لا يحصى كثرة ، بجودة ، وضبط ، وحسن خط ؛
وعنى به أبوه في صغره ، فأسمعه كثيراً من الشروح ، وشاركه في بعضهم . نفعه الله .

نباهته

استدعاه أبو عبد الله بن حسون ، قاضى مرّاكش ، إلى كتابته ، إلى أن
مُصرف ، واستقرّ هو متولّي حُكمها وأحكامها ، والصلاة في مسجدّها ، ثم ترك
الأحكام ، واستقرّ في الإمامة . ولما تصيّر الأمر إلى الموحّدين ، ألحقه
عبد المؤمن^(١) منهم بجملة طلبة العلم ، وتحفّاه ، وقدمه إلى الأحكام بحضرة
مرّاكش ، فقام بها مدّة ؛ ثم ولّاه قضاء غرناطة ، ثم نقله إلى إشبيلية قاضياً بها
مع وليّ عهده . ولما صار الأمر إلى أبي يعقوب^(٢) ، ألزمه خدمة الخزانة العلمية
وكانت عندهم من الخطط التي لا يُعيّن لها إلا كبار أهل العلم وعليهم ؛ وكانت
مواهب^(٣) عبد المؤمن له جزلة ، وأعطياتهم مترافهة كثيرة .

مشيخته

قرأ القرآن على أبيه ، وأكثر عنه ، وأجاز له ؛ وعلى أبي الحسن التّطيلي^(٤) ،
قال وهو أول من قرأت عليه .

(١) هو الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على . وقد سبق التعريف به (انظر الحاشية في ص ١٤٧) .

(٢) أبو يعقوب يوسف هو ولد عبد المؤمن وخليفته . وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٥٨ -

٥٨٠ هـ (١١٦٢ - ١١٨٤ م) .

(٣) هكذا في « ك » ، وفي « ج » مذاهب . وهو تحريف .

(٤) التّطيلي ، نسبة إلى تطيلة ، وهي مدينة من مدن الثغر الأعلى تقع شمال غربي سرقسطة على

نهر ايبرو ، وبالإسبانية Tudela .

« من روى عنه » ؛ روى عنه أبو عبد الله ، وأبو خالد يزيد بن يزيد بن زفاعة ،
وأبو محمد بن محمد بن علي بن وهب القضاعي .

دخوله غرناطة

صُحبة القاضي أبي القاسم بن حمزة ؛ ونوّه به واستخلفه إذ وليها ، وقبض عليه
بكلتي يديه ؛ ثم استقضى بها أبو الفضل عياض بن موسى ، فاستمسك به ، واشتمل
عليه ، لصحبة كانت بينهما قرابة ، إلى أن صُرف عنها أبو الفضل عياض ، فانتقل
إلى وادي آش ، فتولّى أحكامها والصلاة بها ؛ ثم عاد إلى غرناطة سنة ست
وثلاثين ، إلى أن استقضى بغرناطة في دولة أبي محمد بن عبد المؤمن بن علي ، فحُمدت
سيرته ، وشُكر عدله ، وظهرت نزاهته ، ودام بها حتى ظن من أهلها .

شعره

وشعره في طريقة الزهد [وهي] ^(١) لا ينفذ فيها إلا من قويت عارضته ،
وتوفرت مادته :

ألهى لك الملك العظيم حقيقة وما للورى مهما منعت نكير
تجافى بنو الدنيا مكانى فسرتنى وما قدر مخلوق جداه ^(٢) حقير
وقالوا فقير وهم عندى جلالة نعم صدقوا إني إليك فقير

وشعره في هذا المعنى كثير ، وكله سلس المقادة ، دالاً على جودة الطبع .
ومن شعره قوله :

(١) هذه الكلمة واردة في « ك » - وساقطة في « ج » .

(٢) في المخطوطين : جداه .

إَرْضِ الْعَدُوَّ بِظَاهِرٍ مُتَصَنِّعٍ إِنْ كُنْتَ مُضْطَرًّا إِلَى اسْتَرْضَائِهِ
كَمْ مِنْ فَتًى أَلْقَى بِوَجْهِهِ بِاسْمِهِ وَجَوَانِحِي تَنْتَقِدُ مِنْ بَغْضَائِهِ

تصانيفه

له تصانيفٌ مفيدة ، تدل على إدراكه وإشرافه ، كشرحه الشَّهاب ، فإنه أبداع فيه؛ وكتابه « أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزَّهاد والأبرار » ، ابتداءً تأليفه ، وتوفى دون إتمام غرضه فيه ، فكماله عبد الله ابنه .

مختلته

كان ممن وقعت عليه المحنة العظمى بمراءكش يوم دخول الموحدين إياها ، يوم السبت لإثني عشر ليلة بقيت من شوال [عام]^(١) إحدى وأربعين وخمسة ، على الوجه المشهور في استباحة دماء كل من اشتملت عليه من الذُّكور البالغين ، إلَّا من تَسَتَّرَ بالاختفاء في سِرْب [أو غرفة]^(٢) أو مخبأ ؛ وتمادى القتل فيها ثلاثة أيام ، ثم نودي بالعفو عن أشارته الفتكة الكبرى ، فظهر من جميع الخلق بها ، ما يناهز السبعين رجلا ، وبيع أسارى المشركين ، هم وذرايرهم ، وعُفي [عنهم]^(٣) ، فكان أبو العباس مَنَّ تَخَطَّته المنية ، واستنقذه من الرقِّ العفو ، وحسبك بها محنة ، نفعه الله ؛ وضاعت له في ذلك وفي غيره ، كتب كثيرة بخطه وبغير خطه ، مما تجلَّ عن القيمة .

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين ، وإثباتها أصلح للسياق .

(٢) هذه الكلمة زائدة في « لك » .

(٣) ناقصة في المخطوطين . ويقتضى إثباتها السياق .

مولده .

بالمريّة في أواخر شهر ربيع سنة اثنين وخمسمائة .

« وفاته » ؛ توفي بمراً كش بين صلاة الظهر والعصر ، في يوم الأحد ثمان خلون من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وخمسمائة . ودفن يوم الاثنين بعد عقب^(١) صلاة الظهر ، وصلى عليه القاضي أبو يوسف حجاج ؛ وكانت جنازته عظيمة المحفل ، كثيرة الجمع ، برز إليها الرجال والنساء ، ورفعوا نعشه على الأيدي . رحمه الله .
ومما رثاه به جاره وصديقه أبو بكر بن الطفيل^(٢) ، وهو ياشنيلية ، بعث بها إلى ابنه مع كتاب في غرض العزاء :

لأمرٍ ما تَغَيَّرَتِ الدُّهُورُ وَأُظْلِمَتِ الكَوَاكِبُ والبُدُورُ
وطال على العُيُونِ الليلُ حتى كَأَنَّ النَّجْمَ فيه لا يَغُورُ

أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن ، يعرف بابن القَبَّاب

من أهل فاس ، ويكنى أبا العباس

حالُه

هذا الرجل ، صَدْرُ عدول^(٣) الحَضْرَةِ الفَاسِيَّةِ ، وناهضُ عُشَّهِمُ ، طالب ،

(١) هكذا في المخطوطين .

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن طفيل (أو ابن الطفيل) القيسي الإشبيلي من أعظم فلاسفة الأندلس ورياضيها وأطبائها . ولد في أوائل القرن السادس الهجري بمدينة وادي آش . وتوفي سنة ٥٧١ هـ (١١٧١ م) . تولى منصب الوزارة ومنصب الطبيب الخاص للسلطان أبي يعقوب يوسف الموحدي . وكان صديقاً ومعاصراً لابن رشد . وهو صاحب رسالة «حي بن يقظان» الشهيرة .

(٣) جمع عدل . والعدل في نظام الأندلس القضائي ، وهو الذي اشتقت أصوله بالمغرب فيما بعد ، هو مرزف قضاوي مهمته صياغة الوثائق التي يطلبها المتقاضون . ويقرر القاضي صحة نص الوثائق . ولا يباشر

فقيه ، نبيه ، مُدْرِك ، جيد النظر ، سديد الفهم ؛ حضر الدرس بين يدي
السلطان ، ووُلِّي القضاء بجبل الفتْح^(١) ، متّصفاً فيه بجزالة واتهّاض . تعرفتُ به
بمدينة فاس ، فأعجبني سيمته ؛ ووصل مدينة سَلا في غرض اختبار واستطلاع
الأحوال السلطانية ؛ واستدعيتّه ، فاعتذر ببعض ما يُقبل ، فخاطبته بقولي :

أَبَيْتُمْ دَعَوِي إِمَّا لِشَأْوٍ وَتَأْبَى لَوْمِهِ مِثْلِي الطَّرِيقَةُ
وغيرُ غَرِيبَةٍ أَنْ رَقَّ حُرٌّ عَلَى مِنْ حَالِهِ مِثْلِي رَقِيقَةُ
وإِمَّا زَاغِرُ الْوَرَعِ اقْتَضَاهَا وَيَأْبَى ذَاكَ دُكَانُ الْوَثِيقَةِ
وَعِشْيَانُ الْمَنَازِلِ لاختِبَارٍ يُطَالِبُ بِالْجَلِيلَةِ وَالْدَقِيقَةِ
شَكَرْتُ مَخِيلَةً كَانَتْ مَجَازاً لَكُمْ وَحَصَلْتُ بَعْدُ عَلَى الْحَقِيقَةِ^(٢)

وتفرّع الكلام على قولي : « وَيَأْبَى ذَاكَ دُكَانُ الْوَثِيقَةِ » ، بما دعى إلى بيانه
بتصنيفي^(٣) فيه الكتاب المسمّى « بِمِثْلِي الطَّرِيقَةُ فِي ذِمِّ الْوَثِيقَةِ » .

دخوله غرّة ناطة

في عام اثنين وستين وسبعائة ، مُوجَّهًا من قِبَل سلطان المغرب أبي سالم بن أبي
الحسن لمباشرة صدقة عهد بها لبعض الرُّبُط^(٤) ؛ وهو إلى الآن ، عَدْلٌ بمدينة فاس ،

العدل مهمته إلا بعد أن يقوم القاضى «بتمديله» أعنى بإثبات أنه عدل. وبذلك يصبح أهلاً للتوثيق .
(راجع الخشنى : قضاة قرطبة - طبعة القاهرة - ص ١٤١) .
(١) أى جبل طارق .

(٢) ورد بعض التحريف في المخطوطين في إيراد هذه الأبيات . وقد اعتمدنا في تصويبها على نفح
الطيب (ج ٤ ص ٤٧٣) .

(٣) وردت في المخطوطين : بتعني ، وهو تحريف ظاهر . وبالتصويب يستقيم المعنى .
(٤) الربط جمع رباط وهو في الأصل المكان الذى يربط فيه المجاهدون استعداداً لدفع العدو ،
وكان ذلك في الغالب على الحدود أو الثغور . ثم تطور إلى المعنى الدينى . والربط هنا فيما يبدو الزوايا التى
ينتسب إليها جماعات من الصلحاء والزهاد .

بِحَالِ تَجَلَّةٍ وَشَهْرَةٍ ؛ ثُمَّ تَعَرَّفْتُ أَنَّهُ نَسَكَ وَرَفَضَ الْعَيْشَ ^(١) مِنْ الشَّهَادَةِ ككَثِيرٍ ^(٢) مِنْ الْفَضَلَاءِ .

أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَسَنِ
ابْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَاصِمٍ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ كَعْبِ الشَّقَفِيِّ
يَكْنَى أَبَا جَعْفَرٍ .

أَوَّلِيَّتُهُ

كَعْبٌ الَّذِي ذَكَرَ ، هُوَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ عَلَقَمَةَ بْنِ حَيَّانٍ ^(٣) بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ عَدَى
ابْنِ مَرَّةٍ بْنِ عُوفٍ بْنِ ثَقِيفٍ ؛ أَصْلُهُ مِنْ مَدِينَةِ جَيَّانٍ ^(٤) ، مَنْزِلُ قِنْسَرِينَ ، مِنْ
الْعَرَبِ الدَّاخِلِينَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ؛ وَنَسَبُهُ بِهَا كَبِيرٌ ، وَحَسَبُهُ أَصِيلٌ ، وَثَرْوَتُهُ ^(٥)
مَعْرُوفَةٌ . خَرَجَ بِهِ أَبُوهُ عِنْدَ تَغْلُبِ الْعَدُوِّ عَلَيْهَا عَامَ ثَلَاثَةِ وَأَرْبَعِينَ وَسِتَّمِائَةٍ ، وَلَأْيِهِ
إِذَاكَ إِثْرَاءً ^(٦) وَجِدَّةً أَعَانَتْهُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَإِرْفَادٍ ^(٧) مِنْ أَحْجَوِّتِهِ الْأُزْمَةِ فِي

(١) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ : الْمَتَمَعَشُ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ظَاهِرٌ وَالتَّصْوِيبُ مِنْ « ت » .

(٢) وَرَدَتْ « الْكَثِيرُ » فِي « ك » وَ « ت » . وَفِي « ج » لِلْكَثِيرِ .

(٣) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ : حَبَابٌ . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ « الصَّلَةِ » .

(٤) كَانَتْ مَدِينَةُ جَيَّانَ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ الْهَامَةِ أَيَّامَ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَهِيَ تَقَعُ شَمَالِي
غَرْنَاطَةَ وَشَرْقِيَّ قَرْطَبَةَ . وَهِيَ الْيَوْمَ قَاعِدَةُ الْوَلَايَةِ الْإِسبَانِيَّةِ الْمُسَمَّاةِ بِاسْمِهَا Jaen

(٥) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ : وَثُورَتُهُ .

(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « ك » . وَفِي « ج » أَثَرٌ .

(٧) أَرْفَادٌ مِنْ رَفْدٍ وَأَرْفَدٌ ؛ وَمَعْنَاهُ الْعَوْنُ وَالْمُسَاعَدَةُ .

ذلك الزمان من جالية العلماء عن قرطبة وإشبيلية كآبي الحسن الصائغ^(١) وغيره ،
فنصحوا له ، وحطّبوها في حبّله .

حاله

كان خاتمة المحدثين ، وصدور العلماء والمُقرئين ، نسيج وحده ، في حُسن التعليم ،
والصبر على التّسمع ، والملازمة للتدريس ، لم تختل له ، مع تخطّي الثمانين ، ولا
لحقيقته سامة ؛ كثير الخشوع والخشية ، مُسترسل العبرة^(٢) ، صليبا في الحق ، شديداً
على أهل البدع ، ملازماً للسُّنة ، جَزْلاً ، مُهيباً ، معظماً عند الخاصة والعامة ، عذب
الفكاهة ، طيب المجالسة ، حلو النادرة ، يؤثر عنه في ذلك حكايات ، لا تخلُّ بوقار ،
ولا تخل بجلال منصب .

« فنونه » ؛ إليه انتهت الرياسة بالأندلس في صناعة العربية ، وتجويد القرآن ،
ورواية الحديث ، إلى المشاركة في الفقه ، والقيام على التفسير ، والحوض في
الأصليين .

« مشيخته » ؛ أخذ عن الجِلَّة المُقرئين ، كالمقرئ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن
مستقور^(٣) الغرناطي الطائي .

« نباهته وخطّطه » ؛ وُلّي قضاء المناكح ، وأُخطبته بالحضرة ، وبلغ من الشهرة
والإشادة بذكره ، ما لم يَبْلُغه سواه .

(١) هو أبو بكر محمد بن باجة النجيب الأندلسي المشهور بابن الصائغ ، الفيلسوف الشاعر .
كان من أعظم فلاسفة الأندلس ومفكرها . وهو فيما يبدو من أهل الشَّعر الأعلى . وقد نسب إليه الإلهاد
والخروج على تعاليم الدين . وكانت وفاته مسموماً بفاس سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) . ويعرف بالإفرنجية
باسم Avenpace .

(٢) هكذا وردت في « ك » . ووردت في « ج » ، اللمعة .

(٣) وردت في المخطوطين : مشهور . والتصويب من كتاب « المرقبة العليا » .

تصانيفه

من تأليفه كتاب « صِلَةُ الصَّلَاةِ لابن بَشْكُوَال » ، التي وصلتُها بعده ، وسمَّيتُ كتابي « بعائد الصلّة »^(١) ، وافتتحت أول الأسماء فيه باسمه ؛ وكتاب « ملاك التأويل » ، في المُتَشَابِه اللَّفْظُ فِي التَّنْزِيلِ » ، غريبٌ في معناه ؛ [والبرهان في ترتيب سُور القرآن]^(٢) ؛ وشرح الإشارة للباجي في الأصول ؛ وسبيلُ الرِّشَادِ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ ؛ وَرَدُّعُ الْجَاهِلِ عَنْ اغْتِيَابِ الْمَجَاهِلِ ، فِي الرَّدِّ عَلَى الشُّودِيَّةِ^(٣) ، وهو كتاب جليل يُبْنِي عَنِ التَّفَنُّنِ وَالِاضْطِلَاعِ ؛ وَكِتَابُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وَهُوَ وَضْمَةٌ ، تَجَاوِزُ اللَّهَ عَنْهُ .

شعره

وشعره مختلف عن نمط الإِجَادَةِ ، مِمَّا حَقُّهُ أَنْ يُثَبَّتَ أَوْ ثُبَّتَ فِي كِتَابِ شَيْخِنَا أَبِي الْبَرَكَاتِ الْمَسْمُوعِ « شَعْرٌ مِّنْ لَا شِعْرَ لَهُ » مِمَّا رَوَاهُ ، مِمَّنْ لَيْسَ الشَّعْرُ لَهُ بِضَاعَةٍ ، مِّنَ الْأَشْيَاخِ الَّذِينَ عُدَّ صَدْرُهُمْ عَنْهُمْ هُوَ . فَمِنْ شَعْرِهِ :

مَالِي وَلِلتَّسْتَالِ لَا أُمٌّ لِي^(٤) إِنْ سَأَلْتُ مِنْ يَعْزِلُ أَوْ مِنْ يَلِي
حَسْبِي ذُنُوبٌ أَثْقَلْتُ كَاهِلِي مَا إِنْ أَرَى إِظْلَامَهَا يَنْجَلِي
يَا رَبِّ عَفْوَاً إِنَّهَا جَهَّةٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَفْوَكَ لَا أُمٌّ لِي

(١) سبق التعريف به في المقدمة .

(٢) ما بين الخابرتين وارد فقط في « ك » . وساقط في « ج » و « ت » .

(٣) الشودية ، فرقة من فرق الصوفية معروفة في المغرب .

(٤) رسمت في المخطوطات الثلاثة (لأمل) وهو تعريف .

محتته

نشأت بينه وبين المتغلب بمالقة من الرؤساء التجيبيين من بني إश्قِيلولة^(١) ،
 وَحْشَةً أَكَدَّتْهَا سَعَايَةُ بَعْضٍ مِنْ اسْتِهْوَاهِمُ رَجُلٌ مُمَخَّرَقٌ مِنْ بَنِي الشَّعْوَذَةِ ، وَمُنْتَحَلِي
 الْكِرَامَةِ ، يَمْتَطِيهَا زَعَمُوا إِلَى النُّبُوَّةِ ، يَعْرِفُ بِالْفَزَارِيِّ ، وَاسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ ، غَرِيبُ
 الْمَنْزَعِ ، فَذُو الْمَأْخَذِ ، أَعْجُوبَةٌ مِنْ أَعَاجِيبِ الْفَتَنِ ، يَخْبِرُ بِالْقَضَايَا الْمُسْتَقْبَلَةِ ، وَيَتَسَوَّرُ
 سَوْرَ حِمَى الْعَادَةِ فِي التَّطَوُّرِ^(٢) مِنَ التَّقَشُّفِ وَالْخِلَابَةِ ، تَبِعَهُ ثَاغِيَةٌ وَرَاغِيَةٌ ، مِنَ الْعَوَامِ
 الصَّمِّ الْبُكْمِ ، مُسْتَفْزِينَ فِيهِ حَيَاتِهِ ؛ وَبَعْدَ زَمَنِ^(٣) مِنْ مَقْتَلِهِ ، عَلَى يَدِ^(٤) الْأُسْتَاذِ
 بَغْرِنَاطَةَ ، قَرَعَهُ بِحَقِّهِ ، وَبَادَرَهُ بِتَعْجِيلِ نَكِيرِهِ ، قَاسَتْغَاثٌ بِمَفْتُونِهِ الرَّئِيسِ ، ظَهَرَ مُجَالَهُ
 فَاسْتَعَصَى^(٥) لَهُ ؛ وَبَلَغَ الْأُسْتَاذُ النِّيَاحَةَ ، فَفَرَّ لَوَجْهِهِ^(٦) ، وَكُبِسَ مَنْزِلُهُ لَحِينِهِ ، فَاسْتَوْلَتْ
 الْأَيْدَى عَلَى ذَخَائِرِ كُتُبِهِ ، وَفَوَائِدُ تَقْيِيدِهِ عَنْ شِيُوخِهِ ، عَلَى مَا طَالَتْ لَهُ الْحَسْرَةُ ،
 وَجَلَّتْ فِيهِ الرِّزْيَةُ^(٧) . وَلَحِقَ بَغْرِنَاطَةُ آوِيًّا إِلَى كَنْفِ سُلْطَانِهَا الْأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 الْأَمِيرِ الْغَالِبِ بِاللَّهِ بْنِ نَصْرٍ ؛ فَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، وَعَرَفَ حَقَّهُ ، وَانْثَالَ عَلَيْهِ الْجُمُ الْغَفِيرُ
 لَالْتِمَاسِ الْأَخْذِ عَنْهُ ، إِلَى أَنْ نَالَتَهُ لَدَيْهِ سَعَايَةُ ، بِسَبَبِ جَارٍ لَهُ ، مِنْ صُلَحَاءِ الْقَرَابَةِ
 النَّصْرِيَّةِ ، كَانَ يَنْتَابُهُ لِنِسْبَةِ الْخَيْرِيَّةِ ، مُنِمَّتْ عَنْهُ فِي بَابِ تَفْضِيلِهِ ، وَاسْتَهَالَتْ لِلْأَمْرِ

(١) بنو إश्قِيلولة هم أسرة غرناطية قوية ، ترجع فيما يبدو إلى أصل مغربي وكانوا أصحاباً للملك
 بنى نصر ، وحكاماً لكثير من القواعد ، وقد قاموا بعدة ثورات ، واستقلوا خلال ذلك ببعض المدن
 والشغور .

(٢) وردت في المخطوطين : الطور . والتصويب من « ت » .

(٣) وردت هاتان الكلمتان في المخطوطين : (ونفرن من) . وفي « ت » (ونفذت) . وهو

تحريف والتصويب من الصلة .

(٤) هذه الكلمة واردة فقط في « ك » .

(٥) وردت في « ج » ، فاستعص ؛ وفي « ك » فاستفض . والتصويب من « ت » .

(٦) وردت في المخطوطين : لوجه . والتصويب من « ت » .

(٧) هكذا في « ج » ، وفي « ك » المردية .

كلمة ، أوجبت امتحانه ، وتخلَّلَ تلك الأُلُقِيَّةُ^(١) من الشك ، ما قصر المحنة على إخراجِه من منزله ، المجاور لذلك المتهم به ، ومنَعَه من النظر ، والتزامه قَعْرَ منزل ، انتقل إليه بحال اعتزال من الناس ، محجوراً عليه مُدَاخِلَتِهِمْ ؛ فمكث على ذلك زماناً طويلاً ، إلى أن سُرِّيت عنه النكبة ، وأَقْشَعَتِ المَوْجِدَةُ ، فتخلَّص من سوادها بدره ، وأَقْلَّ من شكاتها جاهه ، وأَحْسَنَتِ أثرُها حاله ، وكَثُرَ مُلْتَمَسُه ، وعُظُمَت في العلم غاشيته ؛ فدَوَّنَ واستمع ، وروى ودَرَّبَ ، وخرَّجَ^(٢) وأدَّبَ وعَلَّمَ ، وحلَّقَ وجَهَرَ ؛ وكانت له الطَّايِلَةُ على عدُوِّه ، والعاقبة للحسنى ، بعد التياث^(٣) أمره ، والظفر بكثير من مُنْتَهَبِ كُتُبِهِ . وآلت الدولة للأمير أبي عبد الله بن نصر بمالقة ، فطالب الفزارى المذكور ، واستظهر بالشهادات عليه ، وبالغ في دحض دَعْوَتِهِ ، إلى أن قُتِلَ على يده بغرناطة .

حدَّثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب ؛ قال : لما أمر بالتأهب للقتل وهو في السجن الذى أخرج منه إلى مصرعه ، جَهَرَ بتلاوة « ياسين » ، فقال له أحد الذَّعْرَةِ ، ممن جمع السجن بينهم : « اقرأ قرآنك ؛ على أى شىء تتطفل على قرآننا اليوم » أو ما هو فى معناه . فتركها مثلاً للوَدَعِيَّةِ .

مولده

ببلدة جيَّان فى أواخر عام سبع وعشرين وستمائة .
وتوفى بغرناطة فى الثامن لشهر ربيع الأول عام ثمانية وسبعمائة . وكانت جنازته [جنازة]^(٤) بالغة أقصى مبالغ الاحتفال^(٥) ، نفرَّ لها الناس من كل أُوْب ، واحتمل

(١) أُلُقِيَّةٌ والجمع الاق ، أى مسائل والغاز .

(٢) هكذا فى « ج » ، وفى « ك » واخرج . والأولى أرجح .

(٣) هكذا فى « ك » وفى « ج » تبات .

(٤) هذه الكلمة زائدة فى « ك » .

(٥) هكذا وردت فى « ج » ، وفى « ك » احتفال .

طلبةُ العِلْمِ نَعِشْهُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، إِلَى جَدَّتهِ ، وَتَبِعْهُ ثَنَاءً جَمِيلًا ، وَجَزَعٌ كَبِيرٌ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .
وَرِثَاهُ طَائِفَةٌ مِنْ طَلَبَتِهِ ؛ وَمِمَّنْ أَخَذَ عَنْهُمْ ، الْقَاضِي أَبُو جَعْفَرِ بْنِ أَبِي حَبْلٍ فِي
قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

عَزِيزٌ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعِلْمِ مَاجِدٌ فَكَيْفَ لِعَيْنِي أَنْ يُلَمَّ بِهَا الْكَرَامُ
وَمَا لِمَاقِي لَا تَفِيضُ شَتُونَهَا نَجِيعًا^(١) عَلَى قَدَرِ الْمَصِيبَةِ أَحْمَرُ
فَوَاللَّهِ مَا تَقْضِي الْمَدَامِعَ بَعْضُ مَا يَحْقُوقُ وَلَوْ كَانَتْ سُيُولًا وَأَنْجُرًا
حَقِيقٌ لَعَمْرِي أَنْ تَفِيضَ نَفُوسُنَا وَفَرَضٌ عَلَى الْأَكْبَادِ أَنْ تَنْفَطِرًا

أحمد بن عبد الوالى بن أحمد الرُّعَيْنِي

يكنى أبا جعفر ؛ ويعرف بالعوّاد ، صنعةٌ لأبيه الكاتب الصالح .

حاله

هو من بيت تَصَاوُنٍ ، وَعِفَافٍ ، وَدِينٍ ، وَالتَّزَامِ السُّنَّةِ ؛ كَانُوا فِي غِرْنَاةٍ فِي
الْأَشْعَارِ ، وَتَجْوِيدِ الْقُرْآنِ ، وَالْإِمْتِيَازِ بِحَمَلِهِ ، وَعَكُوفِهِمْ عَلَيْهِ ، نَظَرَاءُ بَنِي عُظَيْمَةِ
يَاشُبِيلِيَّةٍ ، وَبَنِي الْبَاذِشِ بِغِرْنَاةٍ ؛ وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ هَذَا ، الْمُرْتَجَمُ لَهُ ، مِمَّنْ تُطَوَّى
عَلَيْهِ الْخَنَاصِرُ ، مَعْرِفَةً بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَتَحْقِيقًا لِحَقِّهِ ، وَإِتْقَانًا لِتَجْوِيدِهِ ، وَمُثَابَرَةً عَلَى
تَعْلِيمِهِ^(٢) ، وَنُصْحًا فِي إِفَادَتِهِ ؛ عَلَى سُنَنِ الصَّالِحِينَ ، انْقِبَاضًا عَنِ النَّاسِ ، وَإِعْرَاضًا
عَنِ ذَوِي الْوَجَاهَةِ ، سَدِيًّا فِي قَوْلِهِ وَفَعْلِهِ ، خَاصِيًّا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، مُخْشَوْنًا فِي
مَلْبَسِهِ ، طَوِيلَ الصَّمْتِ إِلَّا فِي دَسْتِ تَعْلِيمِهِ ، مُقْتَصِرًا فِي مَكْسَبِهِ ، مُتَفِيًّا لِدِينِهِ ،

(١) وردت في المخطوطين : نجيباً . وهو تحريف والتصويب مستقيم مع السياق .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » تجويده مرة أخرى .

محافظاً على أواده . سأل منه رجل يوماً كَتَبَ رقعة ، ففهم من أمره ، فقال يا هذا والله ما كَتَبْتُ قط يميني إلا كتاب الله ، فأحبُّ أن ألقاه على سَجِيَّتِي بتوفيقيهِ إن شاء الله وتسديده .

مُشِيخَتُهُ

قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزُّبَيْر ، والأستاذ أبي جعفر الحَرَبِيُّ الكفيف ، وأبي عبد الله بن رشيد^(١) وغيرهم .

وفاة

توفي في شهر ذى الحجة من عام خمسين وسبعمائة ، ودفن بجبانة باب الفَخَّارين^(٢) في أسفل السفح تجاه القصور الحَكَمِيَّة ، وأتبعه الناس أحسن الشاء .

أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري

من أهل غرناطة ؛ يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن الباذش .
« أَوْلَيْتُهُ » ؛ أصله من جِيَّان من بيت خَيْرِيَّة ، وتَصَوَّن .

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » رشد .

(٢) باب الفخارين أحد أبواب غرناطة الإسلامية . وقد كان موقعه تجاه القرية المسماة بهذا الاسم

وهي من أطراف غرناطة الشمالية . وتسمى اليوم Alfacar

حاله

قال القاضي أبو محمد بن عطية ؛ إمامٌ في المقرئين ، ومُقدِّمٌ في جهابذة الأُستاذين ، راويةٌ^(١) ، مُكثرٌ ، متفنِّنٌ في علوم القراءة ، مُستَبَجِرٌ ، عارفٌ بالأدب والإعراب ، بصيرٌ بالأسانيد ، نقَّادٌ لها ، مُمَيِّزٌ لشاذِّها من معروفها . قال ابن الزُّبير ؛ وما علمت فيما انتهى إليه نظري وعلمي ، أحسن انقياداً لطُرق القراءة ، ولا أجَلَ اختياراً منه ، لا يكاد أحد من أهل زمانه ، ولا ممن أتى بعده أن يبلغ درجته في ذلك .

مُشيخته

تَفَقَّهَ بأبيه الإمام أبي الحسن ، وأكثُر الرواية عنه ، واستوفى ما كان عنده ، وشاركه في كثير من شيوخه . أخذ القراءات عَرَضاً عن الإمام المُقَرِّى أبي القاسم ابن خَلَف بن النحَّاس ، رحل إلى قُرطُبة ولازمه ؛ وعلى المُقَرِّى أبي جعفر هابيل بن محمد الحلاسي ، وأبي بكر بن عِيَّاش بن خلف المُقَرِّى ، وأبي الحسن بن زكريا ، وأبي الحسن شُريح بن محمد ، وأبي محمد عبد الله بن أحمد الهمداني الجبَّاني ؛ وتلا على جميع من ذكر ؛ وروى بالقراءة والسمع والإجازة على عالمٍ كثير ، كُأبي داود وأبي الحسن بن أخى الدَّش المُقَرِّين ، أجازا له ؛ وأبي على الغساني في الإمامة والإتقان ، وقد أسمع عليه ؛ وأبي القاسم خَلَف بن صواب المُقَرِّى ، وأبي عامر محمد بن حبيب الجبَّاني ، وأبي عبد الله محمد بن أحمد التَّجِيبِي الشهير ، وأبي محمد بن السيد ، وأبي الحسن بن الأخضر ، وأبي محمد عبد الله بن أبي جعفر الحافظ ، وعالمٌ كثير غير هؤلاء يطول ذكرهم .

(١) وردت في المخطوطين : رواية .

من رَوَى عنه

روى عنه أبو محمد عبد الله ، وأبو خالد بن رفاعه ، وأبو علي القلعي المَعَدِّي ،
وأبو جعفر بن حكم ، وأبو الحسن بن الضحّاك ، وابنه أبو محمد عبد المنعم ، وهو آخر
من حدّث عنه .

تصانيفه

ألّف كتاب « الإقناع » في القِراءات ، لم يُؤلّف في بابِه مثله ؛ وألّف كتاب
« الطرق المتداولة » في القِراءات ، وأتقنه كل الإتقان، وحرّر أسانيده وأتقنها ، وانتقى
لها ، ولم يتّسع عُمره لفرش حُرُوفهم وخلافهم من تلك الطرق . وألّف غير ما ذكر .

مولده

في ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وأربعمائة .
« وفاته » ؛ توفي ثاني جمادى الآخرة سنة أربعين وخمسمائة ، وكان عمره تسعاً
وأربعين سنة .

أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد ، رحمه الله^(١)

يكنى أبا جعفر ، من أهل مالقة ، ويعرف بيته بها ببني راشد ؛ قال شيخنا .
أبو البركات : نقلتُ اسم هذا من خطّه ، ولا نعلم له نسباً إذ لم يكتبه ، وشهر
بأبن عبد النور .

(١) هكذا وردت في المخطوطين .

حالہ

كان قِيَمًا على العربية إذ كانت جُلُّ بضاعته ؛ يشارك مع ذلك في المنطق ، على رأى الأقدمين ، وعَرُوض الشعر ، وفُرُوض العبادات من الفقه ، وقرَّض الشعر ؛ وكان له اعتناء بفكِّ المعَمَّى ، والتنقيير عن اللُّغُوز . وكان ذكيَّ الصوت عند قراءة القرآن ، خاشعًا به . رحل من بلده مالقة إلى سَبْتَةِ ، ثم انتقل^(١) إلى الأندلس ، وأقرأ بوادي آش مدة ؛ وتردد بين المريَّة وبرجَّة ، يُقرئ بها القرآن ، وغير ذلك مما كان يشارك فيه . وناب عن بعض القضاة وقتًا ، ودخل غرناطة أثناء هذا السَّفر^(٢) .

مشيخته

قال : أخذ القرآن قراءةً على طريق أبي عمرو الداني^(٣) ، على الخطيب أبي الحسن الحجاج بن أبي رَيمانة المرَبِّلِيَّ^(٤) ، ولا يُعلم له في بلده شيخ سواه ، إذ لم يكن له اعتناء بقاء الشيوخ ، والجلُّ عنهم ؛ ومن علمى أنه لَقِيَ أبا الحسن بن الأخضر المقرئ العَرُوضي بسَبْتَةِ ، وذاكره في العَرُوض ، ولا أعلم هل أخذ عنه أم لا . ورأيت في تقاييدي أن القاضي^(٥) أبا عبد الله بن بُرطال حدَّثني أن ابن التَّورقرأ

(١) وردت في المخطوطين : نقل . وهو تحريف .

(٢) هكذا في « ج » وفي « ك » السفرة .

(٣) وردت في « ج » أبي عمر ، وهو تحريف : وأبو عمرو الداني من أشهر علماء القراءات والتفسير في الأندلس . وعاش في دانية دهرا يلقي علمه ، ووضع كتاباً شهيراً في « القراءات » اسمه « التيسير في القراءات » ، (٣٧١ - ٤٤٤ هـ) .

(٤) .نسبة إلى مربلة أو ماربلة . وهي بلد أندلسي صغير يقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط

جنوب غربي مالقة . وبالإسبانية Marbella

(٥) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » الشيخ ، والأولى أصح لشهرة ابن برطال بهذه الصفة

بين قضاة الأندلس .

معه الجزولية^(١) على ابن مفرج المالقي تفقهاً ، وقيد عليه تقييداً عرضه بعد ذلك ، على ابن مفرج هذا ؛ وهو محمد بن يحيى بن علي بن مفرج المالقي . وروى عن أبي الحجاج المتقدم الذكر تيسير أبي عمرو الداني ، وجمل الزجاجي ، وأشعار الستة ، وفصيح أحمد بن يحيى ثعلب ؛ وقفت في ذلك على رِقِّ أجاز فيه بعض الآخذين عنه ، ولم ينص فيه على كيفية أخذه لهذا الكتيب عن أبي الحجاج . قال : ورأيت في ذلك الرِقِّ أوهاماً ، تبدل على عدم شعوره بهذا الباب جملة ، وقبول التلقين فيه ، فلا ينبغي أن يُرَكَّن إلى مثله فيه . ورأيت بخط بعض أصحابه ، أنه تفقه على أبي رِيحانة ، ولعل ذلك في صغره قبل أن يتحكم طلبه ويتفنن ، إذ الفنون التي كان يأخذ منها لم يكن أبو رِيحانة ، ملياً بها ، ولا منسوباً إليها .

تصانيفه

منها كتاب « الحلية في ذكر البسملة والتصلية » . وكتاب « رَصَف »^(٢) المباني في حروف المعاني ، وهو أجل ما صنف ، ومما يدل على تقدُّمه في العربية . وجزء في العروض . وجزء في شواذه . وكتاب في شرح الكوامل لأبي موسى الجزولي ، يكون نحو الموطأ في الجِرم . وكتاب شرح مُغرب أبي عبد الله بن هشام الفهري المعروف بابن الشواش ، ولم يتم ، انتهى [فيه]^(٣) إلى همزة الوصل ، يكون نحو الإيضاح لأبي علي . وله تقييد على الجمل غير تام .

شعره

قال : وشعره وسطٌ ، بعيدٌ عن طرفي الغثِّ ، والشمينُ أبعدُ ؛ وكان لا يتغنى فيه

(١) الجزولية هي الحواشي التي وضعها أبو موسى الجزولي النحوي المغربي المتوفى سنة ٦٠٧ هـ . على « جمل الزجاجي » . وتعرف أيضاً « بالمقدمة » .

(٢) وردت في « ج » رصني . وفي « ك » وصني ، وكلاهما تحريف .

(٣) وردت في « ك » وأغفلت في « ج » .

ولا يتكلفه ، ولا يقصد قصده ؛ وإنَّ ذلك لعذر في عدم الإجابة . قال الشيخ ،
ولدىّ جزأ منه^(١) تصفيحه على أن أستجيد^(٢) منه شيئاً أثبتته له في هذا التعريف ،
فرايته بعضه أشبه ببعض من الغرابة ، فكتبت من ذلك ، لا مؤثراً له على سواء من
شعره ، بل لمرجح^(٣) كونه أوّل خاطر بالبال ، ومُتمّح خطّه بالبصر ، فمن ذلك
قوله من قصيدة ، ومن خطه نقلتُ :

محاسنُ من أهوى يضيق لها الشرحُ	له الهمة العلياء والخلقُ السّمحُ
له بهجةٌ يَغشى البصائر نورها	وتعشى ^(٤) بها الأبصار إن غلَس الصُّبحُ
إذا ما رَنَى فاللحظُ سَهْمٌ مُفَوَّقٌ	وفي كل عُضْوٍ من إصابته جُرحُ
إذا ما اثنى زهواً ووَلَّى تبخُّراً	يفار لذاك القَدَّ من لينه الرُّمَحُ
فإن نَفَحَتْ أزهاره عند روضةٍ	فيُخْجِلُ رِيّاً زَهْرَها ذلك النَّفْحُ
هو الزَّمَنُ المأمولُ عند ابتهاجه	فَلِمَتُهُ ليلٌ ، وغُرَّتُهُ صُبْحُ
لقد خَامَرَتْ نفسى مُدّامة حبه	فقلبي من سُكر المُدّامة لا يَصْحُ
وقد هام قلبي في هواه فَبَرَّحتُ	بأسرارِهِ عينٌ لمدَمَعها سَبْحُ

غفلته ونوكه

كان هذا الرجل من البَلَه في أسباب الدنيا ؛ له في ذلك حكايات دائرة على ألسنة
الثِّقاة من المُلازمين له وغيرهم ، لولا تواترُها لم يُصدق أحدُ بها ، تشبه ما يُحكى عن
أبي على الشُّلُوبين . منها أنه اشترى فضلةً مِلَف^(٥) ، فبلّها ، فانتقصت كما يجري في

(١) وردت في المخطوطين : من .

(٢) وردت في المخطوطين : تجيد . والتصويب من « ت » .

(٣) هكذا وردت في « ك » ، وفي « ج » لحنج وهو تحريف .

(٤) وردت في المخطوطين : وتعشى ، والتصويب يستقيم المعنى .

(٥) هكذا وردت في « ك » ، وفي « ج » ملفا .

ذلك ، فذرعها بعد البَلِّ فوجدها انتقصت ، فطلب بذلك بائع المِلْف ، فأخذ يُبين له سبب ذلك فلم يفهم . ومنها أنه سار إلى بعض بساتين المَرِيَّة مع جماعة من الطلبة ، واستصحبوا أرزاً ولَبَنًا ، فطلبوا قَدْرًا لطبخه ، فلم يجدوا ، فقال اطبخوا في هذا القدر ، وأشار إلى قدر بها بَقِيَّة زِفْت مما يُطلى به السَّوَّاق^(١) عندهم . فقالوا له : وكيف يسوغ الطبخ بها ، ولو طُبِخ بها شيء مما تأكله البهائم لعافته ، فكيف [الأرز باللبن]^(٢) ؛ فقال لهم اغسلوا معائندكم ، وحينئذ تدخلون فيها الطعام ، فلم يذروا مما يَعْجَبُونَ ، هل من طيب نفسه بأكله مما يطبخ في تلك القدر ، أم من قِيَّاسه المَعِدَّة عليها . ومنها أنهم حاولوا طبخ لحم مرة أخرى في بعض الثَّزَه فذاق الطعام من الملح بالمِغْرِفَة ، فوجده محتاجاً للملح ، فجعل فيه مِلْحًا وذاقه على الفور ، قبل أن ينحلَّ الملح ويسرى في المَرَقَة الأولى ، فزاد ملحاً إلى أن جعل فيه قَدْرًا ما^(٣) يَرْجُح اللحم ، فلم يقدرُوا على أكله . ومنها أنه أدخل يده في مِفْجَر صهر يج ، فصادت يده ضِفْدَعًا كبيراً ، فقال لأصحابه تعالوا ، إن هنا حَجَرًا رَطْبًا . ومنها أنه استعار يوماً من القائد أبي الحسن ابن كُمَاشَة ، جواداً ملوكياً ، قِرطاسي اللون ، من مراكب الأمراء ؛ فقال وجه لي تلك الدابة ، فتخيَّل أنه يريد الرُّكوب إلى بعض المواضع ، ثم تَفَطَّنَ لَغَفْلَتِهِ ، وقال : أى شيء تصنع به ، قال : أجعله يُسْنَى شيئاً يسيراً في السَّانِيَّة^(٤) ، فقال تُقْضَى الحاجة إن شاء الله بغيره ؛ ووجه له حماراً بِرَسْمِ السَّانِيَّة ، وهو لا يشعر بشيء من ذلك كله . قلت ، وفي موجودات الله تعالى عِبْرَةٌ ، وأغربها عالم الإنسان ، لما جُبلوا عليه من الأهواء المختلفة ، والطباع المستتة^(٥) ، والقصور عن فهم أقرب الأشياء ، مع الإحاطة بالغوامض .

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » ، السواني . والسانية كالمساقية آلة لحبس الماء وري الأرض .

(٢) وردت هذه العبارة في المخطوطين : (الرزبلبن) . وهو تحريف .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في « ج » .

(٤) هي المساقية كما تقدم . وهي كلمة ذاتة في أدب الأندلس .

(٥) وردت في المخطوطين : المستتة .

حدثنا غير واحد ، منهم عمى أبو القاسم ، وابن الزبير ؛ إذنا في الجملة ، قالا :
حدثنا أبو الحسن بن سراج عن أبي القاسم بن بشكوال ، أن الفقيه صاحب الوثائق
أبا عمر بن الهندي ، خاصم يوماً عند صاحب الشرطة والصلاة ، إبراهيم بن محمد ،
فَنَكَلَ وعجز عن حُجَّتِهِ ؛ فقال له الشرطي^(١) : ما أعجب أمرَكَ أبا عمر ، أنت
ذَكَى لغيرك ، بَكَى^(٢) في أمرِكَ ؛ فقال أبو عمر : « كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ » .
ثم أنشد متمثلاً^(٣) :

صرت كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نَصِبتُ تُضِيءُ للناسِ وهي تَحترق

قال ، وحدثني الشيخ أبو العباس بن الكاتب ببجاية ، وهو آخر من كتبنا
معه الحديث من أصحاب ابن العمار ، قال : كنت آوياً إلى أبي الحسن حازم
القرطاجاني^(٤) بتونس ؛ وكنت أحسن الخياطة ، فقال لي : إن المُستنصر خلَعَ على
جُبَّةٍ جَرَبِيَّةٍ من لباسه ، وتفصيلها ليس من تفصيل أثوابنا بشرق الأندلس ، وأريد
أن تُحَلَّ أكامها ، وتُصَيَّرَها مثل ملابسنا . فقلت له : وكيف يكون العمل ، فقال :
تُحَلَّ رأس الكُمَّ ، ويوضع الضيق بالأعلى ، والواسع بالطرف . فقلت : وبِمَ
يُحِيرُ الأعلى ، فإنه إذا وُضِعَ في موضع واسع ، سَطَّتْ علينا فُرَجٌ^(٥) ما عندنا ؛
ما يُصنع فيها إلا إن رَقَعْنَا بغيرها ، فلم يفهم . فلما يئُسْتُ منه تركته وانصرفت . فأين
هذا الذهن الذي صنع المقصورة وغيرها من عجائب كلامه .

مولده

في رمضان من عام ثلاثين وستمائة .

(١) وردت في المخطوطين : الشرفي ، وهو تحريف .

(٢) بكى أى عوى وعاجز .

(٣) وردت في المخطوطين : مثلاً .

(٤) نسبة إلى قرطاجنة .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » فوج .

وفاته

توفي بالمرية يوم الثلاثاء السابع والعشرين لربيع الآخر من عام اثنين وسبعائة ،
ودفن بخارج باب بجاية بمقبرة من ترربة الشيخ الزاهد أبي العباس بن مكنون .

أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى [بن محمد]^(١)

ابن مصادف بن عبد الله

يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن مصادف ؛ من أهل بسطة ، واستوطن غرناطة ،
وقرأ وأقرأ بها .

حاله

من أهل الطلب والسلطة والاجتهاد ، ومن يقصر محصله عن مدى اجتهاده ،
خلوب^(٢) اللسان ، غريب الشكل ، وحشيته ، شتيت الشعر ، مغفيه ، شديد
الاقتحام والتسور ، قادر على اللصوق بالأشراف . رمى بنفسه على مشيخة الوقت ،
يطرُقهم طروق الأمراض الوافدة ، حتى استوعب الأخذ من أكثرهم ، يفك عن
فايده فك المتبرم^(٣) ، وينتزعها بواسطة الحيا^(٤) ، ويسلط^(٥) على قنصها جوارح

(١) وردت هذه الزيادة في « ك » فقط .

(٢) وردت في المخطوطين : خلوب ، وهو تحريف . وخلوب بمعنى خلاب وجذاب .

(٣) هكذا وردت في « ك » وفي « ج » ، التبرم .

(٤) وردت في « ك » الحيا . وفي « ج » الحبا . وقد رجحنا التصويب لاستقامته مع السياق .

(٥) وردت في المخطوطين : وسلط ، بالماضي . والتصويب أرجح عطفاً على ما سبق في المضارع .

التبذل والإطراء ، إلى أن ارتسم في المقرئين بغرناطة ، محمولا^(١) عليه بالنحْب والملق ، وسد الترتيب المدني^(٢) ؛ ولوثة^(٣) تعتاده في باب الرُّكوب والثَّقافة^(٤) ، وهو لا يستطيع أن يستقر بين دفتي السَّرج ، ولا يُفرق بين مَبسوط الكتف^(٥) ؛ أخذ نفسه في فنون ، من قرآن، وعربية ، وتفسير ، وامْتَحَن مرات لجرى حركة القلقلَة^(٦) الذي لا يَمْلِك عِناهُ ، ثم تَخَلَّص من ذلك ، وهو على حاله إلى الآن .

مشيخته

قرأ على الخطيب ببسطة ، وأبي الإصْبَع بن عامر ، والخطيبين بها أبي عبد الله وأبي إسحاق ابن عمه ، وأبي عبد الله بن جابر ، وعلى أبي عثمان بن ليون بالمرية ، والخطيب أبي عبد الله [بن العربي]^(٦) بحمّة^(٧) ، وتلا القرآن بقراءاته السبع على شيخنا أبي عبد الله بن الوالي العواد ؛ وروى عن شيخنا أبي الحسن بن الجيّاب ، وعلى الحاج أبي الحجاج الساحلي . وكتب الإقراء ، وأخذ الفقه عن الأستاذ أبي عبد الله البيّاني^(٨) . وقرأ على قاضي الجماعة أبي القاسم البيّاني ، وقرأ على قاضي الجماعة أبي القاسم الحسّني ؛ ولازم أستاذ الجماعة أبا عبد الله الفخّار ، وقرأ عليه العربية ؛ وصاهره على بنته الأستاذ المذكور، وانتفع به ، إلى أن ساء ما بينهما عند وفاة الشيخ،

(١) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » محولا ، وفي « ت » فحولا .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » ، المديني

(٣) الثقافة بالكسر ، هي الضرب بالسيف .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » ، الكيف ، وفي « ت » الكف .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » القلقلَة .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » (من الغرب) .

(٧) الحمة أو الحامة ، هي بلدة تقع في جنوب غربي غرناطة وقد سبق التعريف بها (ص ١٧٥) .

(٨) نسبة إلى بيانة ، وهي مدينة أندلسية قديمة تقع في جنوب شرق قرطبة على مقربة من قبره

وهي Baena الحديثة .

فرماه بترمية بيضاء تخلقها^(١) ، مثيرة عجبٍ ، مرّة . وحاله متصلة على ذلك ، وقد ناهز الاكتحال .

أحمد بن حسن بن باصة الأسلمى
المؤقت بالمسجد الأعظم بغرناطة

أصله من شرق الأندلس ، وانتقل إليها والده ؛ يكنى أبا جعفر .

حاله

كان نسيج وحده ، وقريع دهره ، معرفة بالهيئة ، وإحكاماً للآلة الفلكية ، ينحتُ منها بيده ذخائر ، يقف عندها النظر والخبر^(٢) ، جمال خط ، واستواء صنعة ، وصحة وضع ؛ بلغ في ذلك درجة عالية ، ونال غاية بعيدة ، حتى فضل بما ينسب إليه من ذلك كثيراً من الأعلام المتقدمين ، وأزرت آلاته^(٣) بالحماريات^(٤) والصفاريات وغيرها من آلات المحكمين ، وتعالى الناس في أثمانها ، أخذ ذلك عن والده شيخ الجماعة في هذا الفن .

وفاته

في عام تسع وسبعمائة .

(١) وردت في «ج» تخلفها . وفي «ك» تخلفت . والتصويب من «ت» .

(٢) هكذا في «ج» و «ت» . وفي «ك» الحيرة ، والأولى أرجح .

(٣) وردت في المخطوطين : (إلا أنه) والتصويب من «ت» .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» بالحماريات .

أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري

من أهل غرناطة ؛ يكنى أبا جعفر ، ويعرف بالحِبالي .

حالُه

عكف صَدْرًا من زمانه منتظمًا في العدُول^(١) ، آوياً إلى تخصيص وسكون ودمائة ، وحسن معاملة ، له بصر بالمساحة والحساب ، وله بصر بصناعة التعديل وجداول الأبراج^(٢) ، وتدَرَّب في أحكام النجوم ، متصوِّدٌ في العلاج بالرقا والعزائم ، من أولى المس^(٣) والخبال^(٤) ، تعلق بسبب هذه المُنْتَحَلات بأذيال الدول ، وانبتت من شيمته الأولى ، فنال استعمالاً في الشهادات المخزنية ، وخبر منه أيام قُرْبِهِ من مبادئ الأمور والنواهي ، ومُداخلة السلطان ؛ صمتٌ ، وعقلٌ ، واقتصارٌ على معاناة ما امتحن به ؛ وهو الآن بقيد الحياة .

مُشِيخَتُهُ

أخذ تلك الصناعة عن الشيخ أبي عبد الله الفخار المعروف بأبي خريسة^(٥) ، أحد البوابع الموسومين بصحة الحكم فيها ، وعلى أبي زيد بن مثنى ؛ وقرأ الطب على شيخنا أبي زكريا بن هُذَيْل رحمه الله ؛ ونُسب إليه عند الجاذبة على الدولة وانتقالها

(١) جمع عدل ، وهو الموثق . وقد سبق التعريف بنظام العدول (راجع الحاشية في ص ١٩٣) .

(٢) هكذا في « ج » و « ت » . وفي « ك » الأرياح .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » اللمس .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » و « ت » الخيال .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » خزيمة .

إلى يد المتغلب، اختيار وقت الثورة، وضمان تمام الأمر، وشهد بذلك بخطّ، وغيب من إيثارها. فلما عاد الأمر إلى السلطان المزعج بسببها إلى العدو، أوقع به نكيراً كثيراً، وضربه بالسياط التي لم يخلصه منها إلا أجله، وأجله^(١) إلى تونس في جملة المغرّبين في أواخر عام ثلاثة وستين وسبعائة.

وأخبرني السلطان المذكور، أن المترجم به كتب إليه بمدينة فاس، قبل شروعه في الوجهة، يخبره بعودة الملك إليه ويايقاعه المكروه الكبير به، بما شهد بمهارته في الصنعة، إن صح ذلك كله من قوانينها، نسأل الله أن يضيّ علينا لبوس ستره، ويقينا شرّ عثرات الألسن بمنه.

أحمد بن محمد السكرّني^(٢)

من أهل غرناطة.

حاله

شيخ الأطباء بغرناطة على عهده، وطبيب الدار السلطانية؛ كان نسيج وحده، في الوقار والنزاهة، وحسن السمّت، والتزام مثلى الطريقة، واعتزاز الصنعة؛ قائماً على صناعة الطب، مقرّناً لها، ذاكراً لنصوصها، موفّقاً في العلاج، مقصوداً فيه، كثير الأمل والمثاب، مكبوح العنان عما تثبت به أصول^(٣) صناعته من علم الطبيعة، سنياً، مقتصرّاً على المداواة؛ أخذ عن الأستاذ أبي عبد الله الرّقوّطى، ونازعه بالباب

(١) وردت في المخطوطين: وجلاه.

(٢) هكذا وردت في «ك» وهو الرسم الصواب للإسم. ووردت في «ج» الكزى.

(٣) وردت محرفة في المخطوطين: الطول، الصول. والتصويب من «ت».

السلطاني ، لما شدّ ، واحتيج إلى ما لديه في حكم^(١) بعض الأموال المعروضة على الأطباء ، منازعةً أوجبت من شيخه يمينا أن [لا]^(٢) يحضرَ معه بمكان ، فلم يجتمعا بباب السلطان بعد ، مع التمسك بما لدهما ؛ وأخذ عن ابن عروس وغيره ، وأخذ عنه جملةً من شيوخنا كالطبيب أبي عبد الله بن سالم ، والطبيب أبي عبد الله بن سراج وغيرهما .

حدثني والدي بكثير من أخباره [في]^(٣) الوقار وحسن الترتيب ؛ قال ، كنت آنس به ، ويُعجبني استقصاؤه أقوال أهل هذا الفن ، من صنعته ، على مشهوره^(٤) ، فلقد عُرض عليه ، لعليل لنا ، بعضُ ما يخرج ، وفيه حية ، فقال على فتور ، وسكونة ، ووقار كثير : هذا العليلُ يتخلص ؛ فقد قال الرئيس ابن سينا في أرجوزته :

إِنْ خَرَجَ ائْتَلَطُ مَعَ الْحَيَّاتِ فِي يَوْمِ بُحْرَانٍ فَعَنْ حَيَاةٍ

وهذا اليوم من أيام البُحرانيّة ، فكان كما قال .

وفاته

كان حياً سنة تسعين وستمائة

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » ، أحكام .

(٢) أغفلت هذه الكلمة في المخطوطين ، وإثباتها لازم لاستقامة السياق .

(٣) ساقطة في المخطوطين ، ويقتضي إثباتها السياق .

(٤) هكذا وردت في « ك » . ووردت محرفة في « ج » ، بصورة .

أحمد بن محمد بن أبي الخليل مُفَرِّجُ الْأُمُورِ

مولاَهُمْ ؛ من أهل إشبيلية ، يُكنى أبا العباس ، وكناه ابن فُرتون^(١) أبا جعفر ، وتفرَّد بذلك ؛ يعرف بالعشَّاب ، وبابن الرُّومِيَّة ، وهى أشهرهما وألصقهما به .

أُولِيَّتُهُ

قال القاضي أبو عبد الله ، كان والد جدِّه أحد أطباء قرطبة ، وكان قد تبَّناه ، وعن مولاَه أخذ علم النبات .

حالُه

كان نسيج وحده ، وفريد دهره ، وغُرَّة جنسه ، إماماً فى الحديث ، حافظاً ، ناقدًا ، ذا كُرا توارىخ المُحدِّثين ، وأنسابهم وموالدهم ووفاتهم ، وتَعْدِيلهم ، وتجريحهم ؛ عجيبةُ نوع الإنسان فى عصره ، وما قبله ، وما بعده ، فى معرفة علم النبات ، وتمييز العُشْب ، وتحليلتها ، وإثبات أعيانها ، على اختلاف أطوار منابتها ، بمشرق أو مغرب ، حسًّا ، ومشاهدةً ، وتحقيقًا ، لا مدافع له فى ذلك ، ولا منازع ؛ حجةٌ لا تُرد ولا تُدفع ، إليه يُسَلَّم فى ذلك ويُرجع . قام على الصَّنعتين ، لوجود القَدْر المشترك بينهما ، وهما الحديث والنبات ، إذ موادها الرَّحَلَةُ^(٢) والتَّقْيِيد ، وتصحيح الأصول ، وتحقيق المشكلات اللفظية ، وحفظ الأديان والأبدان ، وغير ذلك . وكان زاهدًا فى الدنيا ، مؤثرًا بما فى يديه منها ، مُوسِعًا عليه فى معيشته ، كثيرَ الكُتب ،

(١) هكذا فى « ك » . وفى « ج » ، فرقون ، وهو تحريف : والصواب (فرتون) وهو اسم أندلسى ذائع محرف عن القشتالية Fortun ، ويكثر فى نسب الذين ينحدرون من أصول نصرانية .
(٢) وردت فى المخطوطين : الرحلة . وهو تحريف .

جَماعاً لها ، في كل فن من فنون العلم ، سَمَحاً لطلبة العلم ، ربما وهب منها للتمسه^(١)
الأصل النفيس ، الذي يَعْزُّ وجوده ، احتساباً وإعانةً على التعليم ؛ له في ذلك^(٢)
أخبار منبثة عن فضله ، وكرم صنعه ؛ وكان كثير الشغف بالعلم ، والدؤوب^(٣) على
تقييده ، ومداومته سهر الليل من أجله ، مع استغراق أوقاته ، وحاجات الناس إليه ،
إذ كان حسن العلاج في طبِّه المورود ، الموضوع ، لثقته ودينه .

قال عبد الملك ؛ إمامُ المغرب قاطبةً فيما كان سبيله ؛ جال الأندلس ، ومغرب
العدوة ، ورحل إلى المشرق ، فاستوعب المشهور من إفريقية ، ومِصرِه ، وشامِه ،
وعِراقِه ، وخِجازه ، وعَيْن الكثير ممّا ليس بالمغرب ؛ وعارض كثيراً فيه ، كلّ
ما أمكنه ، بمن يشهد له بالفضل في معرفته ؛ ولم يزل باحثاً على حقائقه ، كاشفاً عن
غوامِضه ، حتى وقف منه على ما لم يقف عليه غيره ، ممن تقدم في الملة الإسلامية ،
فصار واحد عصره فرداً ، لا يجاريه فيه أحد بإجماع من أهل ذلك الشأن .

مذاهبه

كان سُنِّيًّا ظاهريًّا المذهب^(٤) ، مُنحياً على أهل الرأي ، شديد التعصّب لأبي
محمد بن علي ، أحمد بن سعيد بن حزم ، على دين متين ، وصلاح تام ، وورع شديد ؛
انتشرت عنه تصانيف أبي محمد بن حزم ، واستنسخها ، وأظهرها ، واعتنى بها ، وأنفق
عليها أموالاً جمة ، حتى استوعبها جُملة ، حتى لم يشُدْ له منها إلا ما لا خطر ،

(١) وردت في المخطوطين : لمتلمسه . والتصويب أنسب للسياق .

(٢) وردت بعدها في المخطوطين كلمة (في) مرة أخرى . وهو من باب السهو .

(٣) ورد في المخطوطين : والدروب . والتصويب أنسب للسياق .

(٤) أعنى من أتباع الظاهرية الذين يقولون بتأويل ظاهر القرآن والحديث ، والذين كان الفيلسوف

ابن حزم القرطبي من أقطاب مذهبهم بالأندلس .

مقتدراً^(١) على ذلك بِجَدَّتِهِ^(٢) ويساره ، بعد أن تفقّه طويلاً على أبي الحسن محمد ابن أحمد بن زَرْقُون في مذهب مالك .

مشيخته

البحرُ الذي لا نهاية له ؛ روى بالأندلس عن أبي إسحاق الدمشقي ، وأبي عبد الله اليابري ، وأبي البركات بن داود ، وأبي بكر بن طلحة ، وأبي عبد الله بن الحر ، وابن العربي ، وأبي علي الحافظ ، وأبي زكريا بن مرزوق ، وابن يوسف ، وابن ميمون الشريشي ، وأبي الحسن بن زَرْقُون ، وأبي ذَرٍّ مُصْعَب ، وأبي العباس بن سيّد الناس ، وأبي القاسم البرّاق ، وابن جمهور ، وأبي محمد بن محمد بن الجنّان ، وعبد النعم ابن فرّس ، وأبي الوليد بن عُفَيْر ؛ قرأ عليهم وسمع ؛ وكتب إليه مُجِيزاً^(٣) من أهل الأندلس والمغرب ، أبو البقاء بن قديم ، وأبو جعفر حكم الجفّار ، وأبو الحسن الشّقُورِي ، وأبو سليمان بن حَوط الله ، وأبو زكريا الدمشقي ، وأبو عبد الله الأندَرَشِي ، وأبو القاسم بن سمجون ، وأبو محمد الحجري ؛ ومن أهل المشرق جُملةٌ ، منهم أبو عبد الله الحَمْدَانِي بن إسماعيل بن أبي صيف ، وأبو الحسن الحَوَيْكِر نزيل مكة ؛ وتأدّى إليه أذنٌ طائفة من البَغْدَادِيِّين والعراقيين له في الرواية ، منهم ظَفَر بن محمد ، وعبد الرحمن بن المبارك ، وعلى بن محمد اليزيدي ، وفَنَّاخُسَرُو فَيْرُوز بن سعد ، وابن سَنِيّة ، والحمد بن نصر ، والصّيدلاني ، وابن تَيْمِيّة ، وابن عبد الرحمن الفارسي ، وابن الفضل المؤدّن ، وابن عمر بن الفَخَّار ، ومسعود بن محمد بن حسان المنيغي ، ومنصور بن عبد المنعم الصاعدي ، وابن هَوَازِن القُشَيْرِي ، وأبو الحسن النّيسابُورِي . وحجّ سنة اثني عشر وستمئة ، فأدّى الفريضة ثلاث عشر ، ولُقّب بالمشرق

(١) وردت في « ك » ، مقتدراً . وفي « ج » متقدماً وهو تحريف .

(٢) وردت في المخطوطين : بجدة .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » نجيها . وهو أيضاً تحريف .

بحب الدين . وأقام في رحلته نحو ثلاثة أعوام ، لقي فيها من الأعلام العلماء ، أكابر
 جُملة ؛ فمنهم ببجاية أبو الحسن بن نصر ، وأبو محمد بن مكّي ؛ وبتونس أبو محمد
 المرْجاني ، وبالأُسكندرية أبو الإصبع بن عبد العزيز ، وأبو الحسن بن جُبَيْر الأندلسي ،
 وأبو الفضل بن جعفر بن أبي الحسن بن أبي البركات ، وأبو محمد عبد الكريم الربعي^(١) ،
 وأبو محمد العثماني أجاز له ولم يلقه ؛ وبمصر أبو محمد بن سُحْنُون الغماري ولم يلقه ،
 وأبو الميمون بن هبة الله القرشي ؛ وبمكة أبو علي الحسن بن محمد بن الحسين ،
 وأبو الفتوح نصر بن أبي الفرج المصري ؛ وببغداد أحمد بن أبي السعادات ، وأحمد
 ابن أبي بكر ، وابن أبي خَطْ طَلْحَة ، وأبو نصر القرشي ، وإبراهيم بن أبي ياسر
 القطيعي ، ورَسْلان المَسْدِي ، والأسعد بن ققارقا^(٢) ، وإسماعيل بن باركش الجوهري ،
 وإسماعيل بن أبي البركات .

وبرّ نامج مَرْوِيَّاته وأشياخه ، مشتملٌ على مئين عديدة ، مرتبة أسماؤهم على
 البلاد العراقية وغيرها ؛ لو تتبعتها ، لاستبَعِدَتُ الأوراق ، وخرجت عما قصدت .
 قال القاضي أبو عبد الله المراكشي بعد الإتيان على ذلك ؛ مُنْتَهَى الثِقَاة
 أبو العباس النبائي ، من التَّقْيِيد الذي قيّد ، وعلى ما ذكره في فهارس له مُنَوَّعة ، بين
 بسط ، وتوسُّط ، واقتضاب ؛ وقَفَّت منها بخطّه ، وبخط بعض أصحابه ، والآخذين عنه .

من أخذ عنه

حدث ببغداد^(٣) ، برواية واسعة ، فأخذ عنه بها أبو عبد الله بن سعيد اللّوشّي ؛
 وبمصر الحافظ أبو بكر بن مقط ؛ وبغيرها من البلاد أُمّة . وقَفَل برواية واسعة ،
 وجلب كتباً غريبة^(٤) .

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » : الريعي .

(٢) هكذا وردت في « ج » ، وفي « ك » نفاقا .

(٣) وردت في المخطوطين : حديث بغداد . وهو تحريف .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : عربية وهو تحريف ، لأن الكتب عربية بطبيعتها .

تصانيفه

له فيما ينتحله من هذين الفئتين تصانيف مفيدة^(١)، وتنبيهات نافعة، واستدراكات نبيلة بديعة؛ منها في الحديث، « رَجَالَةُ الْمَعْلَمِ بزوائد البخارى على مُسَلِّم »؛ واختصار غريب حديث مالك للدَّارَقُطْنِي؛ و« نَظْمُ الدَّرَارِي فيما تفرد به مُسَلِّم عن البخارى »؛ و« توهين طرق حديث الأربعين »^(٢)؛ و« حُكْمُ الدُّعَاءِ في إدبار الصَّلوات »؛ و« كيفية الأذان يوم الجمعة »؛ واختصار الكامل في الضُّعفا والمتكبرين لأبي أحمد ابن على؛ و« الحافل في تذييل الكامل »؛ و« أخبار محمد بن إسحاق ».

ومنها في النبات، « شرح حشائش دياسقوريدوس وأدوية جالينوس »^(٣)؛ والتنبيه على أوهام ترجمتها؛ والتنبيه على أغلاط^(٤) الغافق؛ والرحلة النباتية [المستدركه]^(٥)، وهو الغريب الذي اختصَّ به، إلا أنه عَدِمَ عَيْنَه بعده، وكان معجزة في فنّه؛ إلى غير ذلك من المُصَنِّفات الجامعة، والمقالات المفيدة المفردة، والتعليق المُنَوَّعة.

(١) هكذا في « ج ». وفي « ك » مفيدات . والمعنى واحد .

(٢) ورد اسم هذا الكتاب في « ك » هكذا : « توهين حديث طرق الأربعين » .

(٣) دياسقوريدوس ، أو دياسقوريدوس Dioscorides ، طبيب وكيمائي يوناني عاش في القرن الأول للميلاد واشتهر بكتابه عن « الأعشاب العلاجية » . وقد عرفه المسلمون منذ عصر مبكر ، وأهدى الإمبراطور قسطنطين السابع قيصر بيزنطية نسخة منه إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وترجمت إلى العربية منذ أوائل القرن الرابع الهجري . وعليها وضع ابن الرومية شرحه . وأما جالينوس Galen ، فهو من أطباء اليونان القديمة ، عاش في القرن الثاني للميلاد ، واشتهر ببراعته في الطب وتركيب الأدوية ، وعرف العرب كتبه الطبية وعربوها .

(٤) هكذا في « ج ». وفي « ك » اختلاط . والأولى أرجح .

(٥) مكان هذه الكلمة بياض في المخطوطين .

مناقبُه

قال ابن عبد الملك وابن الزبير ، وغيرهما ؛ عُنى تلميذه ، الآخذ به ، الناقد ، المحدث ، أبو محمد بن الجزيري^(١) ، واهتم بجمع أخباره ، ونشر ما أثره ، وضمن ذلك مجموعاً حفيلاً نبيلاً .

شعره

ذكره أبو الحسن بن سعيد في « القدح الملقى » ، وقال : جَوَّالٌ بالبلاد المشرقية والمغربية ، جالسته بإشبيلية بعد عودته من رحلته ، فرأيتُه متعلِّقاً بالأدب ، مرتاحاً إليه ارتياح البُحْثَرى لحَلَبْ ؛ وكان غير متظاهر بقول الشعر ، إلا أن أصحابه يسمعون منه ، ويروون عنه ، وحملتُ عليه في بعض الأوقات ، فقيدت عنه هذه الأبيات :

خَيْمٌ تَخَلَّقَ بَيْنَ الكَأْسِ والوَتَرِ فِي جَنَّةٍ هِيَ مَلَأَ السَّمْعَ والبَصَرَ
وَمَتَّعَ الطَّرْفَ فِي مَرَأَى محاسنها بَرَوْضَ فِكْرِكَ بَيْنَ الرُّوضِ والزَّهَرِ
وَانْظُرْ إِلَى ذَهَبِيَّاتِ الأَصِيلِ بها واسْمِعْ إِلَى نَعَمَاتِ الطَّيْرِ فِي السَّحَرِ
وَقُلْ لِمَنْ لَامَ فِي لَذَاتِهِ بَشَرًا دَعْنِي فَإِنَّكَ عِنْدِي مِنْ سِوَى البَشَرِ

قال ، وكثيراً ما يُطنَّب على دمشق ، ويصف محاسنها ، فما انفصل عني إلا وقد امتلأ خاطري من شكلها^(٢) ؛ فأتمنى أن أحلَّ مواطنها ، إلى أن أبلغ الأمل قبل المنون .

ولو أني نظرتُ بألفِ عَيْنٍ لما استوفتُ محاسنها العيون

(١) وردت في « ج » الحراز . وفي « ك » الحوار ، وكلاهما تحريف حسبما يتبين من السياق بعد عند ذكر تلاميذه .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » ثكلها وهو تحريف ظاهر .

دخوله غرناطة

دخلها غيرَ ما مرّة لسماع الحديث ، وتحقيق النبات ؛ ونَقَرَ عن عيون النبات بجبالها ، أحد خزائن الأدوية ، ومبطلان^(١) الفوائد الغريبة ، يجرى ذلك في تواليفه بما لا يفتقر إلى شاهد .

مولده

في محرم سنة إحدى وستين وخمسة .

وفاته

توفي بإشبيلية عند مغيب الشفق من ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة . وكان مما رُئي ؛ قال ابن الزبير ، ورثاه جماعة من تلامذته كأبي محمد الجزيري ، وأبي أمية اسماعيل بن عُفَيْر ، وأبي الأصبغ عبد العزيز الكبتوري^(٢) وأبي بكر محمد بن محمد بن جابر السقطي ، وأبي العباس بن سليمان ؛ ذكر جميعهم الجزيري المذكور في كتاب ألفه في فضائل الشيخ أبي العباس ، رحمه الله .

(١) وردت محرفة في المخطوطين مضان . مصان .

(٢) وردت محرفة في المخطوطين . والكبتوري نسبة إلى كبتور أوقبتور ، من قرى مدينة إشبيلية .

أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن خلف
 ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان
 ابن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر صاحب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم

أوليته

بيت بني سعيد العنسي ، بيت مشهور في الأندلس بقلعة يحصب^(١) ،
 نزلها^(٢) جدهم الأعلى^(٣) ، عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر ؛ وكان له حظوة
 لمكانه من اليمانية بقرطبة ؛ وداره بقرب قنطرتها ، كانت معروفة ؛ وهو بيت
 القيادة والوزارة ، والقضاء ، والكتابة ، والعمل . وفيما يأتي ، وما مرّ كفاية
 من التنبيه عليه .

حاله

قال الملاحى^(٤) ، كان من جلة الطلبة ، ونباهتهم ؛ وله حظ^(٥) بارع من
 الأدب ، وكتابة مفيدة ، وشعره مدوّن . قال أبو الحسن بن سعيد في كتابه
 المسمى « بالطالع »^(٦) نشأ محباً في الأدب ، حافظاً للشعر ، وذا كراً لنظم الشريف

(١) قلعة يحصب أو قلعة بني يحصب أو قلعة يعقوب أو قلعة بني سعيد هي اليوم بلدة Alcalá la Real

الإسبانية . وقد سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١١٧) .

(٢) وردت في المخطوطين : نزلهم .

(٣) وردت في « ك » . وأغفلت في « ج » .

(٤) سبق التعريف به (انظر الحاشية في ص ٩٣) .

(٥) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » خط . وهو تحريف .

(٦) هو كتاب « الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد » .

الرّضى، ومهيّار ، وابن خفاجة ، وابن الدّقّاق^(١) ، فرقت طباعه ، وكثُر اختراعه وإبداعه ؛ ونشأت معه حفصة بنت الحاج الرّكوفى^(٢) ، أديبة زمانها ، وشاعرة أوانها ، فاشتدّ بها غرامه ، وطال حبّه وهيامه ؛ وكانت بينهما منادات ومغازلات أرّبت على ما كان بين علوة وأبى عبادة ؛ يمر من ذلك إلّام فى شعر حفصة إن شاء الله .

نباهته وحظوته

ولما وفدت^(٣) الأندلس ، على صاحب أمر الموحّدين فى ذلك الأوان ، وهو مُحْتَلٌّ بجبل الفتح^(٤) ، واحتفل شعراؤها فى القصائد ، وخطباؤها فى الخطب بين يديه^(٥) ، كان فى وفدِ غرناطة ، أبو جعفر هذا المترجم به ، وهو حدّث السن فى جملة أبيه وإخوته وقومه ، فدخل معهم على الخليفة ، وأنشده قصيدة ؛ قال أبو الحسن بن سعيد ، كتبت منها من خط والده قوله :

تكلّم فقد أصغى إلى قولك الدهرُ	وما لسواك اليوم نهى ولا أمرُ
ورمّ كلّ ما قد شئتَه فهو كائنُ	وحاولَ فلا برّ يُفوت ولا بحرُ
وحسبك هذا البحرُ فالأّ فإنه	يقبّلُ ترّبا داسه جيشك الغمرُ
وما صوته إلّا سلامٌ مُردّدُ	عليك وعن بشرٍ بقرّبك يفتّرُ

(١) رسمت فى « ج » ابن الرّزّاق .

(٢) ورد اسمها محرّفة فى المخطوطين : حفصة بنت الحجاج . وسوف يترجم لها ابن الخطيب فيما بعد .

(٣) وردت فى المخطوطين : وفد ، والتصويب يقتضيه السياق .

(٤) الحادث الذى تشير إليه هذه العبارة هو قدوم وفود الأندلس على خليفة الموحّدين عبد المؤمن ابن على وهو مقيم بجبل طارق وذلك فى سنة ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) . وقد ألقى بين يديه الشعراء والخطباء بهذه المناسبة قصائدهم وخطبهم مرحّبين منوهين بمعظمة عهده (راجع الحلل الموشية ص ١١٧ ، والاستقصاء للسلاوى ج ١ ص ١٦٣ ، وتاريخ المرابطين والموحّدين لمحمد عبد الله عنان ج ٢ ص ٦٠) .

(٥) وردت فى المخطوطين : يده .

بجيش لكى يلقى أمامك مَنْ غدا يُعانِدُ أمراً لا يقوم له أمرُ
أطلَّ على أرض الجزيرة سَعْدُها وجدَّد فيها ذلك الخبرُ الخبرُ
فما طارقٌ إلا لذلك مُطرقٌ ولا بن نُصيرٍ لم يكن ذلك النصرُ
ها مَهْدَاها كى تحلَّ بأرضها كما حلَّ عند التَّمِّ بالهالة البدرُ

قال : فلما أتمَّها أثنى عليه الخليفة كل مُيسِّر ، وقال لعبد الملك أبيه : أيهما خيرُ
عندك في ابنك ؛ فقال يا سيِّدنا : محمدٌ دخل إليكم مع أبطال الأندلس وقوادها ،
وهذا مع الشعر ، فانظروا ما يجب أن يكون مُيسِّراً^(١) عندي ؛ فقال الخليفة : كلُّ
مُيسِّرٍ لما خُلِقَ ، وإذا كان الإنسان متقدِّماً في صناعة فلا يؤسف عليه ، إنما يؤسف
على متأخر القَدَر ، محروم الحظ . ثم أنشد فحول الشعراء والأكابِر ابنَ أبي مروان .
ثم لما ولي غرناطة ولدُه السيد أبو سعيد ، استوزرَ أبا جعفر المذكور ، واتصلت
حظوته^(٢) إلى أن كان ما يذكر من نكبته .

محتته

قال قريبُه وغيره : فسَدَ ما بينه وبين السيد أبي سعيد لأجل حفْصة الشاعرة ،
إذ كانت محلَّ هواه^(٣) ، ثم اتصلت بالسيد ، وكان له بها [كَلَف]^(٤) ، فكان
كل منهما على مثل الرِّضْف للآخر^(٥) ؛ ووجد حسَّاده السبيل ، إلى إغراء السيد به ،
فكان مما نُمى به عنه ، أن قال لحفْصة يوماً : وما هذا الغرام الشديد به ، يعنى السيد ،

(١) هكذا في « ك » ، وفي « ج » خيراً .

(٢) وردت في المخطوطين : حضرته . والتصويب أرجح وأصلح للسياق .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » هداه . والأولى أرجح .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين ، ويقتضى إثباتها السياق .

(٥) الرضف هو الحجارة المحماة ، ومعناه أن كلا منهما كان شديداً الحقد على الآخر .

وكان شديد الأذمة^(١) ، وأنا أقدر أن أشتري لك من الغرض أسوداً خيراً منه
بعشرين ديناراً ؛ فجعل السيد يتوسد له المهالك ، وأبو جعفر يتحفظ كل التحفظ .
وفي حالته تلك يقول :

مَنْ يَشْتَرِي مَنِ الْحَيَاةَ وَطَيِّبَهَا وَوَزَارَتِي وَتَأْدِيبِي وَتَهْدِي
بِمَحَلِّ رَايَ فِي ذُرَى مَلْهُومَةٍ زُوَيْتَ عَنِ الدُّنْيَا بِأَقْصَى مَرْتَبِ
لَا حُكْمَ يَأْخُذُهُ بِهَا إِلَّا لِمَنْ يَغْفُو وَيَرْوِّفُ دَائِماً بِالْمُذْنِبِ
فَلَقَدْ سَيِّئْتُ مِنَ الْحَيَاةِ مَعَ امْرَأٍ مُتَغَضِّبٍ^(٢) مُتَغَلِّبٍ مَتَرْتَّبِ
الْمَوْتُ يَلْحُظُنِي إِذَا لَاحَظْتُهُ وَيُقُومُ فِي فِكْرِي أَوَانُ تَجَنُّبِي
لَا أَهْتَدِي مَعَ طَوْلِ مَا حَاوَلْتُهُ لِرِضَا فِي الدُّنْيَا وَلَا لِلْمَهْرَبِ

وأخذ في أمره مع أبيه وأخوته ، وفتنة ابن مردنيس^(٣) مضطربة ؛ فقال له أخوه
محمد وأبوه ، إن حركنا حركة كُنا سبياً لهلاك هذا البيت ، ما بقيت دولة هؤلاء
القوم ، والصبر عاقبته حميدة ، وقد كنا نهاك عن المماوجة^(٤) ، فلم تر كـب إلا هواك ؛
وأخذ مع أخيه عبد الرحمن ، واتفقا على أن يثورا في القلعة باسم ابن مردنيس ، وساعدهما
قريبهما على ذلك حاتم بن حاتم بن سعيد ، وخاطبوا ابن مردنيس ، وصدر لهم جوابه
بالمبادرة ، ووصلت منه خيل ضاربة ، وتهيأ لدخول القلعة ؛ وتهيأ الحصول في القلعة ،
وخافوا من ظهور الأمر ؛ فبادر حاتم وعبد الرحمن إلى القلعة ، وتم لهما المراد ؛ وآخر

(١) أى شديد السيرة . والأدم هو الجلد المدبوغ .

(٢) وردت في المخطوطين : مغضب . وبالتصويب يستقيم الوزن والسياق .

(٣) يشير ابن الخطيب هنا إلى قيام ابن مردنيس ، وهو محمد بن سعد بن زعماء شرق الأندلس ، في
أواسط القرن السادس الهجري ، وتملكه بلنسية ومرسية وثورته على الموحدين ، ومحاربتة إياهم . وقد توفي
ابن مردنيس سنة ٥٦٧ هـ (١١٧٢ م) . ويترجم له ابن الخطيب في الإحاطة فيما بعد (راجع في ذلك الحلة
السيرة ص ٢٢٠ و ٢٣٠ . والاستقصاء ج ١ ص ١٦٠ . وابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٨ و ٢٤٠) .

(٤) هكذا في « ك » ، وفي « ج » : المعارجة .

الجبْنُ أبا جعفر ففاتاه ، وتوقع الطلب في الطريق إلى القلعة ، فصار مُتَخَفِيًا إلى مَالَقَةٍ ، ليركب منها البحر إلى جهة ابن مردنيش ؛ ووضع السيّد عليه العيون في كل جهة ؛ فقبض عليه بمالقة ، وطولع بأمره فأمر بقتله صبراً ، رحمه الله .

جزالته وصبره

قال أبو الحسن بن سعيد ؛ حدثني الحسين بن دَويرة ، قال : كنت بمالقة لما قبض على أبي جعفر ، وتوصلت إلى الاجتماع به ، ريثما استؤذن السيد في أمره حين حُبس ، فدمعت عيني لما رأيته مكبولا ؛ قال : أعلّ تبكي بعد ما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها ، فأكلتُ صدور الدجاج ، وشربت في الزُّجاج ، وركبت كل هِمْلَاج^(١) ، ونمت في الديباج ، وتمتعت بالسراي والأزواج ، واستعملت من الشمع ، السّراج الوهاج ؛ وهأنا في يد الحجاج ، منتظراً محنة الحلاج^(٢) ؛ قادمٌ على غافرٍ ، لا يُخْوج إلى اعتذار ولا احتجاج . فقلت : ألا أبكي على من ينطق بمثل هذا ؛ ثم تُفقد ، فقامت عنه ، فما رأيته إلا مصلوباً ، رحمه الله .

شعره

أتاني كتابٌ منك يحسده الدهر^(٣) أمّا حَبْرُهُ ليل ، أمّا طِرْسُهُ فَجَرُّ
به جمع الله الأمانى لناظري وسمعى وفكرى فهو سِحْرٌ ولا سِحْرُ

(١) الهملاج هو الدابة الأصيلة الحسنة السير .

(٢) هو أبو مغيث الحسين بن منصور المعروف بالحلاج ، وهو فارسي من أصل مجوسي ، اشتغل بعلوم الدين ، واشتهر بالتنسك والزهد . وكادت له آراء في الدين عدها فقهاء عصره مروقاً وإلحاداً ، وقبض عليه بأمر الخليفة المقتدر ، ثم ضرب ألف سوط ، وأعدم بطريقة بشعة إذ قطعت أطرافه ، ثم قطع رأسه ، وأحرقت جثته أمام جمهور كبير من أهل بغداد ، وذلك في ذى القعدة سنة ٣٠٩ هـ (٩٢٢ م) (ترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ١٨٣) .

(٣) هذا في « ك » ، وفي « ج » الزهر .

ولا غَرُّوْا إِن أَبْدَى الْعَجَائِبَ رَبُّهُ فِي ثَوْبِهِ بِرٌّ ، وَفِي كَفِّهِ بَحْرٌ
ولا عَجَبَ إِن أَيْنَعَ الزَّهْرُ طَيِّبُهُ فَمَا زَالَ صَوْبُ الْقَطْرِ يَبْدُو بِهِ الزَّهْرُ
وَمِنْ شَعْرِهِ مَا يَجْرَى مَجْرَى الْمُرْقَصِ ، وَقَدْ حَضَرَ مَعَ الرُّصَافِي وَالْكُنْتَدَى
[وَمَعَهُمْ مَغْنِ بِرُوطَةٍ ^(١)] .

لِلَّهِ يَوْمٌ مَّسْرَّةٌ أَضْوَى وَأَقْصَرُ مِنْ ذُبَالِهِ
لَمَّا نَصَبْنَا لِلْهُنَى فِيهِ مِنْ أَوْتَارِ حِبَالِهِ
ظَلَّ النَّهَارُ بِهَا كَمُرٌّ تَاعٍ ، وَأَجْفَلَتْ الْغَزَالُهُ
وَشَعْرُهُ مُدَوَّنٌ كَمَا قَلْنَا ، وَهَذَا الْقَدَرُ عَنَوَانٌ عَلَى نُبْلِهِ .

غَرِيبَةٌ فِي أَمْرِهِ مَعَ حَفْصَةَ

قَالَ حَاتِمُ بْنُ سَعِيدٍ ؛ وَكَانَ قَدْ أَجْرَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ ، إِذَا حَرَّكَتِ الْكَأْسُ بِهَا
غَرَامَهُ ، أَنْ يَقُولَ ، وَاللَّهِ لَا يَقْتُلُنِي أَحَدٌ سِوَاكَ ؛ وَكَانَ يَعْنِي بِالْحُبِّ ، وَالْقَدَرِ
مُؤَكَّلٍ بِالْمَنْطِقِ ، قَدْ فَرَّغَ مِنْ قَتْلِهِ بغيرِهِ مِنْ أَجْلِهَا . قَالَ ؛ وَلَمَّا بَلَغَ حَفْصَةُ قَتْلَهُ ،
لَبِستِ الْحِدَادَ ، وَجْهَتْ بِالْحَزَنِ ، فَتَوَعَّدَتْ بِالْقَتْلِ ، فَقَالَتْ فِي ذَلِكَ :

هَدَّدُونِي مِنْ أَجْلِ لِبْسِ الْحِدَادِ لَحِيْبٍ أَرْدُوهُ لِي بِالْحِدَادِ
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ يَجُودُ بِدَمْعٍ أَوْ يَنْوَحُ عَلَى قَتِيلٍ الْأَعَادِ
وَسَقَتُهُ بِمِثْلِ جُودِ يَدِيهِ حَيْثُ أَضْحَى مِنَ الْبِلَادِ الْغَوَادِ
وَلَمْ يُنْتَفِعْ بَعْدُ بِهَا ثُمَّ لَحِقَتْ بِهِ بَعْدَ قَلِيلٍ .

وَفَاتِهِ

تُوفِيَ عَلَى حَسَبِ مَا ذُكِرَ ، فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ تِسْعَةِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

(١) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارِدٌ فِي « ج » ، وَسَاقَطٌ فِي « ك » . وَرُوطَةٌ مِنْ قَرْيِ غَرْنَاطَةِ .

أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشي
المعروف بابن فرّكون

يكنى أبا جعفر .

أَوَّلُهُ

قد مرّ ذلك في اسم جدّه قاضي الجماعة^(١) ، وسيأتى في اسم والده .

حالُه

شعلة من شعل الذكاء والإدراك ، ومجموع خلال حميدة ، على الحداثة ، طالب نبيل ، مدرك ، نجيب ، بذّ أقرانه كفاية ، وسما إلى المراتب ، فقراً ، وأغرب ، وتمرّ^(٢) ، وتدرّب ، واستجاز له والده شيوخ بلده ، فمن دونهم ، ونظم الشعر ، وقيد كثيراً ، وسبق أهل زمانه في حسن الخط ، سبقا أفردته بال غاية القصوى ؛ فبراعه اليوم ، المشار إليه ، باللطف^(٣) والإتقان ، والحوّا ، والإسراح ؛ اقتضى ذلك كله ارتقاؤه إلى الكتابة السلطانية ، ومزية الشفوف بها ، بالخلع والاستعمال ؛ واختصّ بي ، وتادّب بما انفرد به من أشياخ تواليين ، فأثرتُه بفوائد جمّة ، وبطن^(٤) حوضه من تحلّيه ، وترشّح إلى الاستيلاء على الغاية .

(١) وردت ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي في ص ١٥٩

(٢) هكذا في المخطوطين . والمقصود بها أتمر .

(٣) وردت محرفة في المخطوطين : في « ج » بالطرف ، وفي « ك » بالطنف .

(٤) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » ونطق .

شعره

أنشد له بين يدي السلطان في الميلاد^(١) الكريم :
 حتى المعاهد بالكثيب وجادها غيث يروى حيها وجادها

مولده

في ربيع الآخر من عام سبع وأربعين وسبعائة .

أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان

من أهل مالقة ؛ يُكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن صفوان .

حاله

بقية الأعلام ، أديب^(٢) هذا القطر ، وصدر من صدور كتّانه ، ومشيخة طلبته ، ناظم ، ناثر ، عارف ، ثاقب الذهن ، قوى الإدراك ، أصيل النظر ، إمام الفرائض والحساب والأدب والتوثيق ، ذا كرم للتاريخ واللغة ، مشارك في الفلسفة والتصوف ، كلف بالعلوم^(٣) الإلهية ، آية الله في فك المعنى ، لا يجاريه في ذلك أحد ممن تقدّمه ، شأنه عجب ، يفك من المعانيات^(٤) والمستنبطات ، مفصلاً وغير مفصول ؛ شديد التعصب لذي وده ، وبالعكس ، تام الرجولة ، قليل التهيب ،

(١) وردت في المخطوطين : البلاد ، وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » أدب .

(٣) وردت في المخطوطين : بالعلوم ، وهو تحريف ظاهر .

(٤) وردت محرفة في المخطوطين : المعانيات .

مُقتحم حتى أهل الجاد والحمد والمضايقة ، إذا دعاه لذلك داع ، حَبْلٌ ^(١) نقده على غاربه ، راضٍ بالخُمُول ، مُتَبَلِّغٌ بما تيسر ، كثير الدروب والنظر ، والتقيد والتصنيف ، على كلال الجوارح ، وعائق الكبرة ^(٢) ، متقارب بمَضَى الشعر والكتابة ، مجيد فيهما ، ولنظمه شغوف على نثره .

مشيخته

قرأ على الأستاذ [أبي محمد] ^(٣) الباهلي ، أستاذ الجملة من أهل بلده ، ومولى النعمة عليهم ، لازمه وانتفع به ؛ ورحل إلى العدو ، فلقى جملة ، كالقاضي المؤرخ أبي عبد الله بن عبد الملك ، والأستاذ التعللي أبي العباس بن البنا ، وقرأ عليهم بمرآكش .

نباهته

استدعاه السلطان ، ثاني الملوك من بني نصر ^(٤) إلى الكتابة عنه ، مع الجيلة ^(٥) ، ببابه ، وقد نما عُشُّه ، وعلا كعبه ، واشتهر ذكاؤه وإدراكه . ثم جَنَحَ إلى العودة ^(٦) لبلده . ولما ولي الملك ، السلطان أبو اليد ، ودعاه إلى نفسه ، ببلده مالقة ، استكتبه رئيساً مستحقاً ، إذ لم يكن يبلده . فأقام به ، واقتصر على كتب الشروط ، معروف

(١) وردت محرقة في المخطوطين : حل .

(٢) الكبرة أى تقدم السن .

(٣) واردة في « ك » . وساقطة في « ج » .

(٤) هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر الملقب بالفقيه . حكم من

سنة ٦٧١ هـ - ٧٠١ هـ (١٢٧٢ - ١٣٠٢ م) .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » الجملة .

(٦) وردت في المخطوطين : العدو ، وهى هنا تحريف .

القدر ، بمكان من القضاة ورعيهم ، صدرأ في مجالس الشورى ؛ وإلى الآن يجعل إلى زيارة غرناطة ، حظاً من فصول بعض السنين ، فيَنْصِبُ^(١) بها العدالة ، ثم يعود إلى بلده في الفصل الذي لا يصلح لذلك . وهو الآن بقيد الحياة ، قد علّقه أشراك^(٢) الهرم ، وفيه بعدُ مُسْتَمْتَعٌ ، بديع ، كبير .

تصانيفه

من توافيه ، « مطلع الأنوار الإلهية » ؛ « وُبُغْيَةُ المستفيد » ؛ وشرح كتاب القرشي في الفرائض ، لا نظير له . وأما تقييده على أقوال يعترضها ، وموضوعات ينتقدها ، فكثيرة .

شعره

قال في غرض^(٣) التَّصَوُّف ، وبلغني أنه نظمها بإشارة من الخطيب ، ولي الله ، أبي عبد الله الطنّجالي ، كَلَفَ بها القوّالون ، والمسمعون بين يديه :

بان الحميمُ فما الحَمَى والبانُ بشفاء مَنْ عنه الأحيّة بانوا
لم ينقُضُوا عهداً بينهم ولا أنسأهم ميثاقك الحدّثانُ
لكن جَنَحْتَ لغيرهم فأزالهم عن أنسِهم بك مُوحشٌ غَيَّرانُ
لو صحَّ حُبُّك ما فقدتُهم ولا سارتُ بهم عن حُبِّك الأظعانُ
تشتاقهم ، وحشاك هالةٌ بدّهم والسرُّ منك نِلْهم ميدانُ
ما هكذا أحوالُ أرباب الهوى نسَخَ الغرامَ بِقَلْبِكَ السِّلوانُ

(١) وردت في المخطوطين : فتنصب . والتصويب أصلح للسياق .

(٢) في المخطوطين : اشتراك وهو تحريف .

(٣) وردت في المخطوطين : عرض .

لا يشتكى ألم البعاد مُتَتِمِّمٌ
 ما عندهم إلا الكمال وإنما
 شغلتك بالأغيار عنهم مُقَلَّةٌ
 غَمَضَ جُفُونَكَ عن سواهم مُعْرِضًا
 واصرِفْ إليهم لَحْظَ فِكْرِكَ شَاخِصًا
 ما بان عن مَغْنَاكَ من الطافه
 وحياد أنعمه بيا بك تَرْتَمِي
 جعلوا دليلًا فيك مِنكَ عليهم
 يا لامحًا سِرَّ الوجود بعينه
 ارجع لذاتك إن أَرَدْتَ تَنَزُّهاً
 هي رَوْضَةٌ مَطْلُوءَةٌ بل جَنَّةٌ
 كم حِكْمَةٌ صارت تلوح لناظرٍ
 حُجِبَتْ بِشَمْسِكَ^(٢) عن عيانك شَمْسُهَا
 لولاك ما خَفِيَتْ عليك إِيَّاهُ^(٣)
 أنت الحجابُ لما تَوَاطَل منهم
 فاخرُج إليهم عنك مُفْتَقِرًا لهم
 واخضع لعِزِّهم ولِدُلَّهم يُلْحِ
 هم رشحوك إلى الوصول إليهم
 أحبابه في قلبه^(١) سُكَّانُ
 غَطَّى على مِرَّاتِكَ النُقْصَانُ
 إنسانها عن لَمَحِهِم وُسْنَانُ
 إن الصوارم حَجَبُهَا الْأَجْفَانُ
 تَرَهُم بِقَلْبِكَ حيث كنت وكانوا
 يَهْمِي عليها سحابُك الهَتَّانُ
 تَسْرِي إليك بِرَكْبِهَا الْأَكْوَانُ
 فبدا على تَقْصِيرِكَ الْبُرْهَانُ
 السِّرُّ فيك بِأَسْرِهِ وَالشَّانُ
 فيها لَعَيْنِي ذِي الْحِجَابِ بُسْتَانُ
 فيها الْمُنَى وَالرَّوْحُ وَالرَّيْحَانُ
 حَارَتْ لِبَاهِرِ صُنْعِهَا الْأُذْهَانُ
 شَمْسٌ مُحَاسِنٌ ذِكْرُهَا التِّيَّانُ
 والجوُّ من أنوارها مَلَّانُ
 فَفَنَّاوُكُ الْأَقْصَى لَهُمُ وُجْدَانُ
 إن الْمُلُوكَ بِالْإِفْتِقَارِ تُدَانُ
 منهم عليك تَعَطُّفٌ وَحَنَانُ
 وَهُمْ عَلَى طَلَبِ الْوِصَالِ عَوَانُ

(١) وردت في المخطوطين : بقلبه . وبالتصويب يستقيم الوزن .

(٢) هكذا في « ج » ، وفي « ك » : بشخصك .

(٣) هكذا في « ج » ، وفي « ك » آيتها .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ل » . لذهم وهو تحريف .

عَظَفُوا جَمَالَهُمْ عَلَى أَجْمَالِهِمْ فَجَلَى الْمَشُوقِ الْحُسْنَ وَالْإِحْسَانَ
 يَا مُلْبَسِينَ عَبِيدَهُمْ^(١) حُلَّالَ الضَّنَا جَسْمِي بِمَا تَكْسُونَهُ يَزْدَانُ
 لَا سُخْطَ^(٢) عِنْدِي لِلَّذِي تَرْضُونَهُ قَلْبِي بِذَلِكَ فَارِحَ^(٣) جَذْلَانُ
 فَبِقُرْبِكُمْ عَيْنُ الْغِنَا وَبِبَعْدِكُمْ مُحْضُ الْفَنَاءِ وَمَحْبُكُمُ وَلَهَانُ
 إِنِّي كَتَمْتُ عَنِ الْأَنَامِ هَوَاكُمُ حَتَّى دُهَيْتُ وَخَانَتِي الْكُتْمَانُ
 وَوَشَتُ بِحَالِي [عِنْدَ ذَاكَ]^(٤) مَدَامَعُ أَدْنَى مَوَاقِعِ قَطْرِهَا طُوفَانُ
 وَبَدَتُ عَلَى شَمَائِلِ عَذْرِيَّةٍ تَقْضِي بَأْنِي فِيكُمْ هَيَّانُ
 فَإِذَا نَطَقْتُ فَذَكْرُكُمْ لِي مُنْطَقُ مَا عَنِ سَوَاكُمُ لِلَّسَانُ بَيَانُ
 وَإِذَا صَمْتُ فَأَنْتُمْ سِرِّي الَّذِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ فِي الْفُؤَادِ يُصَانُ
 فَبِطَائِنِي وَبِظَاهِرِي لَكُمْ هَوَى مِنْ جُنْدِهِ الْإِسْرَارُ وَالْإِعْلَانُ
 وَجَوَانِحِي وَجَمِيعِ أَنْفَاسِي وَمَا أَحْوَى عَلَى مُحِبِّكُمْ أَعْوَانُ
 وَإِلَيْكُمْ مِنِّي الْمَفْرُ فَقَصْدُكُمْ حَرَمٌ بِهِ لِلْخَائِفِينَ أَمَانُ
 وَقَالَ يَذُمُّ الدُّنْيَا وَيَمْدَحُ^(٥) عُقْبَى مِنْ يُقَلِّلُ مِنْهَا :

حَدِيثُ الْأَمَانِيِّ^(٦) فِي الْحَيَاةِ شَجُونُ إِنْ أَرْضَاكَ شَأْنٌ أَحْفَظَتْكَ شُتُونُ
 يَمِيلُ إِلَيْهَا جَاهِلٌ بَغْرُورُهَا مِنْهُ اشْتِيَاقٌ نَحْوُهَا وَأَنْبِنُ
 وَذُو الْحَزْمِ يَنْبُو عَنْ حِجَابِهَا يَقِيهِ إِذَا شَكَّ عَرَاهُ يَقِينُ
 إِلَيْكَ صَرِيحَ الْأَمْنِ سَنَحَةٌ نَاصِحُ عَلَى نُصْحِهِ سَيَا الشَّفِيقِ^(٧) تَبِينُ

(١) وردت في المخطوطين : عميدهم .

(٢) وردت في المخطوطين : سخطي .

(٣) في المخطوطين : فرح .

(٤) هذه العبارة ساقطة في المخطوطين وواردة في « ت » .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » ويحمد .

(٦) هكذا في « ج » . وفي « ك » ، الجمان .

(٧) هكذا وردت في « ك » . ووردت محرفة في « ح » : السفين .

تجافَ عن الدُّنيا ودِنَ باطِّراحِها
وترَفِيعُها خَفُضٌ وتَنَعِيمُها أَدَى
إذا عَاهَدَتْ خانت وإنْ هي أَقْسَمَتْ
يروقُكْ منها مَطْمَعٌ من وفائِها
وَتَمْنَحُكْ الإِقْبَالَ كَفَّةٌ حَابِلِ
سَقَاهُ لَعَمْرُ اللَّهِ إِنْحَاضُكْ الهوى
ومن تَصَطَّفيه وهو يُنْقِطُكَ القِلَا
ألا إِنَّها الدُّنيا فلا تَغْتَرِرْ^(٢) بها
يَمُومُ رَدَاها الغِرَّ وإِخْلَبَ ذا الدَّها
وتَشْمَلُ بِلَوَاهَا نَبِيلاً وخاملاً
أَبْنَاهَا لَهَاها الله كم فِتْنَةٍ لها
فلا مَلِكٌ سَامٍ^(٤) أَقَالَتْ عِثَارُهُ
[ولا مَعْدٍ إِلَّا وقد نَبَّهَتْ به
أَبَيْتُ لِنَفْسِي أَنْ يَدْنِسَها الْكَرَى
فليس قَرِيرَ الْعَيْنِ فِيها سوى امرئٍ
أَبَيْتَ طَلَّاقَ الْحَرْصِ فالزُّهدُ دَائِباً
إذا أَقْبَلْتُ لم يُبْلِها بَشَرٌ شَيِّقٍ

فَمَرَّ كَبُها بِالْمُطْمَعِينَ^(١) حَرُونَ
وَمَنَّبَلُها لِلوَارِدِينَ أَجُونُ
فلا تَرْجُ بَرّاً بِالْيَمِينِ يَمِينُ
وَسَرَّعَانَ ما إِثَرَ الْوَفَاءِ تَخُونُ
وَمِنْ مَكْرِها فِي طَى ذاك كَمِينُ
لَمَنْ أَنْتَ بِالْبَغْضَاءِ فِيهِ قَمِينُ
وَتُهْدَى لَهُ الإِعْزَازَ وَهُوَ يُهِينُ
وَلُودُ الدَّوَاهِي بِالْخُدَاعِ تَدِينُ
وَيُلْحَقُ فِيها بِالْكَنَاسِ عَرِينُ
وَيَلْقَى مُذَلُّ^(٣) غَدَرُها وَمَصُونُ
تَعْلَمُ صُمَّ الصَّخْرِ كَيْفَ يَلِينُ
ولو أَنَّهُ لِلْفَرَقْدَيْنِ خَدِينُ
بُعِيدَ الْكَرَى لِلثَّائِلَاتِ جُفُونُ
سَكُونُ^(٥) إِلَيْها مَوْبِقُ وَرُكُونُ^(٥)
قَلَّاهُ لها رَأَى يَراهُ وَدِينُ
خَلِيلُ^(٥) لَهُ مُسْتَضْحَبُ^(٥) وَقَرِينُ
ولا خَفَ^(٥) لِلْإِقْبَالِ مِنْهُ رَزِينُ

(١) هَكَذَا فِي « ك ». وفي « ج » بِالْمُطْمَعِينَ .

(٢) هَكَذَا فِي « ج » ، وفي « ك » تَغْتَرِرُ .

(٣) فِي الْمَخْطُوطِينَ : مَذَال .

(٤) هَكَذَا فِي « ك ». وفي « ج » سَمَى .

(٥) هَذَانِ الْبَيْتَانِ أَدْجَا فِي « ك » فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ نَصَهُ :

ولا مَعْدٍ إِلَّا . . . سَكُونُ إِلَيْها مَوْبِقُ . . .

وإن أدبرت لم يلتفت نحوها بها
 خفيف المطا من حمل أثقال همها
 على حفظه للفقر أبهى ملاءة
 برحب بحال الخائفين منازل
 منازل نجد عندها وتبهامة
 يرود رياضاً أين سار وورده
 فهذا أثيل^(٢) الملك لا ملك ثائر
 وهذا عريض العز لا عز مترف
 حوت شخصه أوصافها فكأنه
 فيا خابطاً عشواء والصبح قد بدا
 أفق من كرى هذا التعامى ولا تضع
 إذا كان عقيب ذي جدّة إلى بلى
 فقيم التفانى والتنافس ضلّة
 إلى الله أشكوها نفوساً غميّة
 وأسأله الرجعى^(٦) إلى أمره الذى
 فلا خير إلا من لدنه وجوده
 واد على ما لم توات حزين
 إذا ما شكت ثقل الهموم متون
 سنى حلها وسط الدارى يرين
 لمن مكان حيث حل مكين
 سوى واستوى هند لديه وصين^(١)
 زلال اعتاض الورود معين
 لأعدائه حرب عليه زبون
 له من مشيدات القصور سجون
 وإن لم يمت فوق التراب دفين
 [إلام تغطى]^(٣) ناظر يك دجون
 بجهلك علق^(٤) العمر فهو ثمين
 وقصارى ذى الحياة منون
 وفيم التلاحى والخصام يكون
 عن الرشد والحق اليقين تبين^(٥)
 بتوفيقه حبل الرجاء متين
 لتيسير أسباب النجاة ضمير

وجمعت ديوان شعره أيام مقامى بمالقة عند توجّهى صُحبة الركبان السلطاني إلى

(١) هكذا فى «ج». وفى «ك» ودين.

(٢) وردت فى «ج»، وأغفلت فى «ك».

(٣) ما بين الخاصرتين ورد محرفاً فى المخطوطين: إلى تعنى. ثعنى.

(٤) هكذا وردت فى «ج»، وفى «ك» علو.

(٥) فى المخطوطين: يكون.

(٦) هكذا فى «ج». وفى «ك»، الرجا.

إصراخ الخضرَاء عام أربعة وأربعين وسبعائة ؛ وقدّمت صدره خطبة ، وسمّيت الجزء « بالذرر^(١) الفاخرة ، واللّجج الزاخرة » ، وطلبت منه أن يُجيزني ، وولدي عبد الله ، رواية ذلك عنه [فكتب]^(٢) بخطه الرائق بظهر المجموع ما نصه :

« الحمد لله مستحقّ الحمد ؛ أجبّت سؤال الفقيه ، الأجلّ ، الأفضل ، السّريّ ، الماجد ، الأوحد ، الأحفل ، [الأديب]^(٣) البارع ؛ الطّالع في أفق المعرفة والنّباهة ، والرفعة المكيّنة والوجاهة ، بأبهى المطالع ؛ المصنّف ، الحافظ ، العلّامة ، الحائز في فنّي النظم والنثر ، وأسلوبى المكاتبة^(٤) والشّعر ، رتبة الرياسة ؛ الحامل لراية التقدّم والإمامة ؛ محلّي جيد^(٥) العصر بتواليقه الباهرة الرواء^(٦) ؛ ومجلّي محاسن بنيّه^(٧) ، الرائقة على منصّة الإشهاد والإنباء ؛ أبى عبد الله بن الخطيب ، وصلّ الله سعادته ومجاداته ؛ وسنّى من الخير الأوفر ، والصّنع الجميل الابرّ ، مقصّده وإرادته ؛ وبلّعه في نجله الأسعد ، وإبنة الراقي^(٨) بمحتده الفاضل ، ومنشئه الأطهر ، محلّ الفرقد ، أفضل ما يؤمّل نخلته إياه في المكرّمات وإفادته ؛ وأجزّت له ، ولابنه عبد الله المذكور ، أبقاها الله تعالى ، في عزّة سنّة الخلال^(٩) ؛ وعافية ممتدة الأفياء ، وارفة الظلال ؛ رواية جميع ما تقيّد في الأوراق ، المكنّتب على ظهر أوّل ورقة منها ، من نظمي ونثري ؛ وما توليت إنشاءه^(١٠) ، واعتمدت بالارتحال

(١) وردت في المخطوطين : الدار ، وهو تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . ويقتضيها السياق .

(٣) وردت فقط في « ك » وأغفلت في « ج » .

(٤) هكذا في المخطوطين ، وأوردها نفح الطيب (الكتابة) .

(٥) وردت في المخطوطين : جيل .

(٦) في المخطوطين : الرواية ؛ والتصويب من نفح الطيب .

(٧) وردت في المخطوطين : ومحل بنيّه ، مع إغفال « محاسن » . والتصويب في نفح الطيب .

(٨) وردت محرفة في المخطوطين : (إلى اقر) .

(٩) هكذا في « ج » . وفي النفح ، وفي « ك » ، الخلال .

(١٠) هكذا في « ج » وفي النفح ، وفي « ك » أنشاده .

والرواية ، اختياره وانتقاءه ، أيام عُمرى ؛ وجميع ما لى من تصنيف وتقييد ، ومقطوعة وقصيدة ؛ وجميع ما أحمله عن أشياخى رضى الله عنهم ، من العلوم ، وفنون المنثور والمنظوم ؛ بأى وجه تأتى ذلك ، وصحح حمله له ، وثبت إسناده لى ؛ إجازة تامة ، فى ذلك كله عامة ، على سُنن الإجازات الشرعية ، وشرطها المأثور عند أهل الحديث المرعى ؛ والله ينفعنى وإيتاها بالعلم وحمله ، وينظمنا جميعاً فى سلك حِزبه المُفلحين وأهله ، ويُفيض علينا من أنوار بركته وفضله . قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية ، العبدُ الفقير إلى الغنى به ، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان ، ختم الله له بخير ؛ حامداً لله تعالى ، ومصلياً ومُسلماً على محمد نبيه المصطفى الكريم ، وعلى آله الطاهرين ذوى المنصب العظيم ، وصحبه البررة ، أولى المنصب والأثرة والتقديم ؛ فى سادس ربيع الآخر عام أربعة وأربعين^(١) وسبعمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

واشتمل هذا الجزء الذى أذن بتحمُّله عنه من شعره على جملة من المطوَّلات ، منها قصيدة يعارض بها الرئيس أبا على بن سينا فى قصيدته الشهيرة فى النفس التى مطلعها : « هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْحُلِّ الْأَرْفَعِ » ، أولها : « أهلاً بمسراك المحب^(٢) الموضع » . وأول قصيدة :

لِمَعْنَاكَ فِي الْأَفْهَامِ سِرٌّ مُسَكَّتَمٌ عَلَيْهِ نَفُوسُ الْعَارِفِينَ تَحُومُ

وأول أخرى :

أَزْهَى حِجَابِكَ رُؤْيُ الْأَغْيَارِ فَامِحُ الدُّجَى بِأَشْعَةِ الْأَنْوَارِ

وأول أخرى :

ثَنَاءُ وَجُودِي فِي هَوَاكُمُ هُوَ الْخُلْدُ وَمَحْوُ رُسُومِي حُسْنُ ذَاتِي بِهِ يَبْدُو

(١) هكذا وردت فى « ك » . وفى النسخ وفى « ج » : أربعة وسبعين ، وهو تحريف واضح يناقض ما ذكره ابن الخطيب فى البداية ويناقض أحداث التاريخ .
(٢) وردت فى المخطوطين : المحب .

ومطلع أخرى :

ألا في الهوى بالذل تُرعى الوسائلُ ودَمْعِي أن أنادي مجيبٌ وسائلُ

ومطلع أخرى :

هُمْ الْقَصْدُ جَادُوا بِالرَّضَى أَوْ تَمَنَّوْا^(١) صَلُّوا اللّٰهَ فِيهِ أَوْ دَعُوا الْقَلْبَ أَوْ دَعُوا

ومن أخرى :

سَقَى زَمَنَ الرِّضَا هَامٌ مِنَ السُّحْبِ وَلِلَّهِ الْعَوْدُ مِنْ أَثَوَابِهِ الْقُسْبِ

ومن أخرى :

يَا فَوْزَ نَفْسِي فِي هَوَاكَ هَوَاؤُهَا رَقَّتْ مَعَانِيهَا وَرَاقَ مَنَاؤُهَا

ومن أخرى :

أَمَّا الْغَرَامُ فَبِالْفُؤَادِ غَرِيمٌ هِيَهَاتَ مَنَى مَا الْعَذُولُ يَرُومُ

ومن شعره في المقطوعات قوله :

رَشَقَ الْعِذَارُ لُجَيْنَهُ بِنِبَالِهِ فَعَدَا يَدُورُ عَلَى الْمُحِبِّ الْوَالِهِ
خَطَّ الْعِذَارُ بِصَفْحَتَيْهِ لَامَهُ خَطًّا تَوَعَّدَهُ بِمَحْوِ جَمَالِهِ
فَحَسِبْتُ أَنْ جَمَالَهُ شَمْسُ الضُّحَى حُسْنًا وَذَاكَ الْخَطُّ خَطُّ زَوَالِهِ
فَدَنَا إِلَى تَعَجُّبًا وَأَجَابَنِي وَالرَّوْعُ يَبْدُو مِنْ خِلَالِ مَقَالِهِ
إِنْ الْجَمَالَ آخِرُهُ اللَّامُ فَعَجَّ عَنْ رَسْمِهِ وَانْدَبَ عَلَى أَطْلَالِهِ

ومن أبياته في التَّوَرِيَةِ بِالْفُنُونِ قوله :

كَفَفْتُ عَنْ الْوَصَالِ طَوِيلَ شَوْقِي إِلَيْكَ وَأَنْتَ لِلرُّوحِ الْخَلِيلِ
وَكَفُّكَ لِلطَّوِيلِ فَدَتِكَ نَفْسِي قَبِيحٌ لَيْسَ يَرْضَاهُ الْخَلِيلِ

(١) وردت في المخطوطين : (وتمنوا) . والتصويب لازم للوزن والمعنى .

وقال في التَّوْرِيَّةِ بِالْعَرُوضِ :

يا كاملاً شَوْقِي إِلَيْهِ وَافِرُ وبسيط خَدِّي فِي هَوَاهُ عَزِيزُ
عَامِلَتَ أَسْبَابِي لَدَيْكَ بِعَطْمِهَا والقَطْعُ فِي الْأَسْبَابِ لَيْسَ يَجُوزُ

وقال في التَّوْرِيَّةِ بِالْعَرَبِيَّةِ :

أَيَا قَرَأَ مَطَالَعُهُ جَنَانِي وَغُرَّتُهُ تُوَارِي عَنْ عَيَانِ
أَصْرَفُ فِي هَوَاكَ عَنْ اقْتِرَاحِي وَسُهِدِي وَانْتِحَابِي عِلَّتَانِ
وقال أيضاً :

لَا تَضْحَكِينَ [يَا صَاحِبِي] ^(١) غَيْرَ الْوَفِيِّ كُلُّ أَمْرٍ عُنْوَانُهُ مِنْ يَصْطَفِي
كَمْ مِنْ خَلِيلٍ بِشْرُهُ زَهْرُ الرَّبِّي وَطَى ذَاكَ الْبِشْرُ حَدُّ الْمُرْهَفِ
ظَاهِرُهُ يَرِيكَ سَرٌّ مِنْ رَأْيِ وَأَنْتِ مِنْ إِعْرَاضِهِ فِي أَسْفِ

ووقعت بينه وبين قاضي بلده أبي عمرو بن المنظور مقاطعةً انبرى بها إلى مطالبتة
بما دعاه إلى التحوُّل مضطراً إلى غَرْ ناطة ، وأخذ بكظمه ^(٢) ، وطوّقه الموت في أثناء
القطيعة ، فقال في ذلك مُتَشَفِّياً ، وهو من نبيه كلامه ، وكلُّه نبيه :

تَرَدَّى ابْنُ مَنْظُورٍ وَحُمَّ حِمَاهُ وَأُسْلَمَتْهُ حَامٌ لَهُ وَنَصِيرُ
تَبَرَّأَ مِنْهُ أَوْلِيَاءُ غُرُورِهِ وَلَمْ يَقِهِ بَأْسُ ^(٣) الْمَنُونِ ظَهِيرُ
وَأَوْدَعَ بَعْدَ الْأَنْسِ مُوحِشَ بَلَقَعٍ فُخِّيَاهُ فِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
وَلَا رِشْوَةً يُدْلِي الْقَبُولُ رِشَادَهَا فَيُنْسَخُ ^(٤) بِالسَّيْرِ الْمُرِيحِ عَسِيرُ
وَلَا شَاهِدٌ يُقْضَى لَهُ عَنْ شَهَادَةٍ تَخْلَلَهَا إِفْكٌ يُصَاغُ وَزُورُ

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . والإضافة من « ت » .

(٢) وردت في المخطوطين : بكنفه . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في « ك » . وفي « ج » (ولم يفقه بأن) . والأولى أرجح للوزن والمعنى .

(٤) وردت في المخطوطين : (فينسج) . والتصويب أرجح .

ولا خِدْعَةً تُجْدِي ولا مَكْرَهُ نَافِعٌ ولا غِشًّا مَطْوِيٌّ عَلَيْهِ ضَمِيرُ
ولكنه حقٌّ يَصُولُ وبَاطِلٌ يَحُولُ وَمَثْوَى جَنَّةٍ وَسَعِيرُ
وقالوا قَضَاءُ الْمَوْتِ حَتْمٌ عَلَى الْوَرَى يُدِيرُ صَغِيرٌ كَأَنَّهُ وَكَبِيرُ
فلا تَنْتَسِمَ رِيحَ ارْتِيَاكِ لَفَقْدِهِ فَإِنَّكَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ تَحُورُ
فَقُلْتُ بَلَى حُكْمُ الْمَنِيَّةِ شَامِلٌ وَكُلُّهُ إِلَى رَبِّ الْعِبَادِ يَصِيرُ
ولكنَّ تَقْدِيمَ^(١) الْأَعَادَى إِلَى الرَّدَى نَشَاطٌ يَعُودُ الْقَلْبَ مِنْهُ سُرُورُ
وَأَمِنْ يَنَامُ الْمَرْءُ فِي بُرْدِ ظِلِّهِ وَلَا حَيَّةٌ لِلْحَقْدِ ثَمَمٌ تَنْشُورُ
وَحَسْبِي بَيْتٌ قَالَهُ شَاعِرٌ مَضَى غَدًا مِثْلًا فِي الْعَالَمِينَ يَسِيرُ
وَإِنْ بَقَاءَ الْمَرْءِ بَعْدَ عُدُوِّهِ وَلَوْ سَاعَةً مِنْ عُمُرِهِ لَكَثِيرُ

مولده

قال بعض شيوخنا ، سألتُه عن مولده فقال لي في آخر خمسة وتسعين وستمائة ،
أظن في ذى قعدة منه الشك .

« وفاته » ؛ بمالقة في آخر جمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وسبعمائة .

أحمد بن أيوب اللماي^(٢)

من أهل مالقة ، يُكنى أبا جعفر .

(١) مكانها بياض في « ك » ، وكلمة غير واضحة في « ج » . ورسمها قريب من التصويب

(٢) رسمت في الذخيرة لابن بسام : « اللماي » (الذخيرة : القسم الأول من المجلد الثاني ص ١٣٢)

حاله

قال صاحب الذيل^(١) ، كان أديباً ماهراً ، وشاعراً جليلاً ، وكاتباً نبيلًا . كتب عن أوّل الخلفاء الهاشميين بالأندلس ، على بن تحّود ، ثم عن غيره من أهل بيته ؛ وتولّى تدبير أمرهم ، فحاز لذلك صيتاً شهيراً ، وجلالة عظيمة . وذكره ابن بسّام في كتاب « الذخيرة » ، فقال : كان أبو جعفر هذا في وقته أحد أئمة الكتاب ، وشهّب الأدب ، بمنّ سُخرت له فنون البيان ، تسخير الجنّ لسلطان ، وتصرف في محاسن الكلام ، تصرف الرياح بالغمام ، طلع من ثناياه ، واقتعد مطاياه ؛ وله إنشاءات^(٢) سرّية ، في الدولة الحمّودية^(٣) ، إذ كان علماً أدبائها ، والمضطلع بأعبائها^(٤) ، إلّا أنّي لم أجده عند تحريري هذه النسخة ، من كلامه ، إلا بعض فصول من منشور ، وهي ثمادٌ من بحور .

« فصل » : من رِقعة خاطب بها أبا جعفر بن العباس . « غُضْنُ ذِكْرِكَ عِنْدِي نَاضِرٌ ، وَرَوْضُ شُكْرِكَ لَدَيَّ عَاطِرٌ ، وَرِيحُ^(٥) إِخْلَاصِي لَكَ صَبَاً ، وَزَمَانُ آمَالِي فِيكَ صَبَاً ، فَأَنَا شَارِبٌ مَاءِ إِخَائِكَ ، مَتَفِيٌّ بِظِلِّ^(٦) وَفَائِكَ ؛ جَانِ مِنْكَ ثَمَرَةَ فَرْعِ طَابِ أَكُلُهُ ، وَأَجْنَانِي الْبَرِّ قَدِيمًا^(٧) أَصْلُهُ ، وَسَقَانِي إِكْرَامًا بَرَقُهُ ، وَرَوَانِي أَفْضَالًا وَدَقَّهُ ؛ وَأَنْتَ الطَّالِعُ فِي فِجَاجِهِ ، السَّالِكُ لِمِنْهَاجِهِ ، سَهْمٌ فِي كِنَانَةِ الْفَضْلِ

(١) هو كتاب « الذيل والتكملة » ، لكتّاب الموصول والصلة « لابن عبد الملك المراكشي . وقد سبق التعريف به (راجع الحاشية في ص ١٨٠)

(٢) هكذا وردت في « ك » والذخيرة . ووردت محرفة في « ج » ، (انشأت) .

(٣) وردت محرفة في المخطوطين : في « ج » الحمّدية . وفي « ك » الحمّودية .

(٤) وردت في « ك » ، بأعيانها . وفي « ج » بأذيالها . والتصويب من الذخيرة .

(٥) وردت في المخطوطين : وروح . والتصويب من الذخيرة .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي الذخيرة : ظل .

(٧) في المخطوطين : قديم وهو تحريف .

صائبٌ ، وكوكبٌ في سماء المجد ثاقبٌ ؛ إن أتبعْتَ الأعداء نورَه أحرَق ، وإن
رميتهم به أصاب الخدَق ؛ وعلى الحقيقة فلساني يقصُر عن جميل أنشره^(١) ،
ووصف وُدِّ أضمره .

شعره

قال ، ومما وجد بخطه لنفسه :

طلعت طلائعُ الربيع فأطلعت في الروض ورداً قبل^(٢) حين أوانه
حيّاً أمير المسلمين^(٣) مبشراً وموئلاً للنَّيل من إحسانه
ضنّت سحائبه عليه بمائها^(٤) فأتاه يستسقيه ماء بنائه
دامت لنا أيامه موصولةً بالعزِّ والتمكين في سلطانه

قال : وأنشدني الأديب أبو بكر بن معن ، قال أنشدني أبو الربيع بن العريف
[لجده]^(٥) الكاتب أبي جعفر اللامى ، وامتحن بداء النّسمة من أمراض
الصدر ، وأزمن به ، نفعه الله ، وأعياه علاجه ، بعد أن لم يدع فيه غاية ، وفي
ذلك يقول :

لم يبق من شيء أعالجها به^(٦) طمعُ الحياة وأين من لا يطمعُ
« وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كلّ كريمة لا تنفع »

(١) هكذا في المخطوطين . وفي الذخيرة : أسره .

(٢) وردت في « ج » ، وأغفلت في « ك » .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الذخيرة : أمير المؤمنين .

(٤) في المخطوطين : بمائه . والتصويب من الذخيرة .

(٥) وردت بحرفة في المخطوطين : الحرة . والتصويب من الذخيرة .

(٦) هكذا وردت هذه الشطرة في المخطوطين . ولكنها وردت في الذخيرة كما يلي : « لم يبق شيء

لم أعالجها به » .

ودخل عليه بعض أصحابه فيها ، وجعل يُروِّح عليه فقال له بديهة :
 روِّحني عائدِي فقلت له لا تزِدني على الذي أُجِدُ
 أما ترى النار وهي خامدةٌ عند هبوب الرياح تتقد
 ودخل غرناطة غير ما مرة عنها ، متردداً بين أملاكه ، وبين من بها من ملوك
 صنهاجة ؛ قالوا ولم تفارقه تلك الشكاية حتى كانت سبب وفاته .

وفاته

بمآلة عام خمس وستين وأربعمائة . ونقل منها إلى حصن الورد ، وهو عند حصن
 مُنتِ مَيُور^(١) إذ كان قد حصَّنه ، واتخذ لنفسه ملجأ عند شدته ، فدُفن به ،
 بعهدٍ منه بذلك ، وأمر أن يُكتب على قبره بهذه الأبيات :

بَنَيْتُ وَلَمْ أَسْكُنْ وَحَصَّنْتُ جَاهِداً فلما أتى المَقْدُورَ صَيَّرَهُ قَبْرِي
 وَلَمْ يَكُنْ حَظِّي غَيْرَ مَا أَنْتَ مُبْصِرٌ بَعَيْنِكَ مَا بَيْنَ الذَّرَاعِ إِلَى الشَّيْرِ
 فَيَا زَائِرَا قَبْرِي أَوْصِيكَ جَاهِداً عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
 فَلَا تُحْسِنَنَّ بِالذَّهْرِ ظَنًّا فَإِنَّمَا مِنَ الْحَزْمِ إِلَّا يُسْتَنَامَ إِلَى الدَّهْرِ

أحمد بن محمد بن طلحة

من أهل جزيرة شُقُر^(٢) ، يكنى أبا جعفر ، ويُعرف بابن جده طلحة .

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » (منت ميون) . وهو تحريف . وما أثبتته « ج » وهو
 مونت ميور أرجح - . وهو مطابق للإسم الإسباني المقابل وهو Monte Mayor أي الجبل الكبير .
 (٢) سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١٨٥) .

حاله

قال صاحبُ « القِدْحِ المَعْلَى » ، من بيت مشهور بحزيرة شُقْر من عمل بِلَنْسِيَّة .
كتب عن ولاة الأمر من بنى عبد المؤمن ، ثم استكتبه ابنُ هود^(١) ، حين
تغلب على الأندلس ، وربما استوزره ، وهو ممن كان والدى يُكثرُ مجالسته ،
وبينهما مُزاورةٌ ، ولم أستفد منه إلا ما كنتُ أحفظه من مجالسته .

شعره

قال ، سمعته يوماً يقول ، تقيمون القيامة بحبيب ، والبُحْتَرى ، والمُتَنبى ، وفي
عصركم من يهتدى إلى ما لم يهتد إليه المتقدمون ولا المتأخرون [فأنبرى إليه شخص
له همّة وإقدام ، فقال يا أبا جعفر : أين بُرهان ذلك ، فما أظنك تعنى إلا نفسك ،
فقال ما أعنى إلا نفسى ، ولم لا ، وأنا الذى أقول]^(٢) :

يا هل ترى الظرفُ من يومنا قدّ جيدَ الافق طَوْقَ العقيق
وأنطق الورقُ بعيدانها مطربةً كلَّ قضيبٍ وريق
والشمسُ لا تشربُ خمر الندى فى الروضِ إلا بكأس الشقيق

فلم يُنصفوه فى الاستحسان ، وردّوه فى الغيظ^(٣) كما كان ، فقلت له :
يا سيدى هذا والله السّحر الحلال ، وما سمعت من شعراء عصرٍ نا مثله ، فبالله ألا
ما لازمته وزدّتنى من هذا النمط ، فقال لى لله درّك ، ودّرّ أيبك من مُنصف
ابن مُنصف . إسمع ، وافتح أذنيك . ثم أنشد :

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود ، المتوكل على الله ، سليل بنى هود أمراء سرقسطة . وقد سبق التعريف به (انظر الحاشية فى ص ١٤٧) .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط فى المخطوطين . ووارد فقط فى « ت » .

(٣) وردت فى المخطوطين : الغيظ . والتصويب من « ت » .

أَدْرِهَا فَالسَّمَاءُ بَدَتْ عَرُوسًا مُضْمَخَةٌ الْمَلَابِسُ بِالْغَوَالِ
 وَخَذْتُ الْأَرْضَ خَقَرَهُ أَصِيلٌ وَجَفَنُ النَّهْرِ^(١) كُحْلٌ بِالظَّلَالِ
 وَجِيدُ الْغُصْنِ يُشْرِقُ فِي لَالٍ تُضِيءُ بِهِنَ أَكْنَافُ اللَّيَالِ
 فقلت بالله أعدّ وزد^(٢) ، فأعاد والارتياح قد ملأ عطفه ، والتهيه قد رفع أنفه ،
 ثم قال :

لله نهرٌ عند ما زرتَه عاين طَرْفِي مِنْهُ سَحْرًا حَلَالٌ
 إِذْ أَصْبَحَ الطَّلُّ بِهِ كَيْلَةً وَخَالَ^(٣) فِيهِ الْغُصْنُ مِثْلَ الْخِيَالِ
 فقلت ما على هذا مزيدٌ في الاستحسان ، فعسى أن يكون المزيد في الإنشاد ،
 فزاد ارتياحه وأنشد :

ولما ماج^(٤) بحرُ الليل بيني وبينكم وقد جدّدتُ ذِكْرًا
 أَرَادَ لِقَاكُمْ إِنْسَانٌ عَيْنِي فَمَدَّ لَهُ الْمَنَامُ عَلَيْهِ جِسْرًا
 فقلت إيه زادك الله إحسانًا ، فزاد :
 وَلَمَّا أَنْ رَأَى إِنْسَانٌ عَيْنِي بَصَحْنَ الْخَدَّ مِنْهُ غَرِيقَ مَاءٍ
 أَقَامَ لَهُ الْعِذَارَ عَلَيْهِ جِسْرًا كَمَا مَدَّ الظَّلَامُ^(٥) عَلَى الضِّيَاءِ
 فقلت فما تكررَ ويَطُولُ ، فإنه مَمْلُولٌ ، إِلَّا مَا أَوْزَدْتَهُ آفًا ، فإنه كنسيم
 الْحَيَاةِ ، وَمَا أَنْ يُمِلَ ، فَبِاللَّهِ أَلَا مَا زِدْتَنِي ، وَتَفَضَّلْتَ عَلَيَّ بِالْإِعَادَةِ ،
 فَأَعَادَ وَأَنْشَدَ :

(١) هكذا وردت في « ك » ، و « ت » . وفي « ج » النهار .

(٢) هكذا في « ت » . وفي المخطوطين : وأزد .

(٣) هكذا في « ج » و « ت » . وفي « ك » و « ج » .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » فاح . والأولى أرجح .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » صح .

هات المدام إذا رأيت شبيها في الأفق يا فرداً بغير شبيه
فالصُّبح قد ذبح الظلام بنصاه فغدت سحائبه مُتخاصم فيه

دخوله غرناطة

دخلها مع مخدمه المتوكل على الله ابن هود وفي مجلته ، إذ كان يصحبه في
حركاته ، ويباشر معه الحرب ، وجرت عليه الهزائم ، وله في ذلك كله شعر .

محبته

قالوا لم يقنع بما أجرى عليه أبو العباس السبتي^(١) من الإحسان ، فكان
يُوغر صدره من الكلام فيه ، فذكروا أن السبتي قال يوماً في مجلسه : رميتُ
يوماً بسهمٍ من كذا ، فبلغ إلى كذا ؛ فقال أبو طلحة لشخص كان إلى جانبه :
والله لو كان قوس قزح ؛ فشعر أبو العباس إلى قوله ما يشبه ذلك ، واستدعى
الشخص ، وعزم عليه ، فأخبره بقوله ، فأسرّها في نفسه ، إلى أن قوى الحقد عليه ،
ما بلغه عنه من قوله يهجوّه :

سمعنا بالموفق فارتحلنا وشافِعنا له حسبٌ وعِلْمٌ
ورُمْتُ يداً أقبلها وأخرى أعيشُ بفضلها أبداً وأشمُو
فأنشدنا لسانُ الحال عنه يَدٌ شَلَّ وأمرٌ لا يَتِمُّ

فزادت موجدته^(٢) عليه ، وراعى أمره إلى أن بلغتْه أبياتٌ قالها في شهر رمضان ،
وهو على حال الاستهتار^(٣) :

(١) هكذا وردت في « ت » . ووردت محرفة في المخطوطين : البنشقي .

(٢) وردت في المخطوطين : موجوه . وهو تحريف ظاهر .

(٣) وردت في المخطوطين : الإسهاد . والمرجح أنه الاستهتار حسبما يدل على ذلك معنى الشعر .

يقول أخو الفضول وقد رآنا على الإيمان مُبلَّغنا الحُجُون
 أنشكو شهر الصَّوم هلاًّ حماء منكم عقلٌ ودين
 فقلتُ اصحبَّ سوانا فنحن قوم زنادقةٌ مذهبنا فنون
 ندينُ بكل دين غير دين الرِّعاع فما به أبداً ندينُ
 فنحن على صُفوح^(١) الدهر ندعو وإبليسٌ يقول لنا أمين
 أيا شهرَ الصيام إليك عَنَّا ففبك أكفرُ ما نكون
 قال ، فأرسل إليه من هجم عليه ، وهو على^(٢) هذا الحال ، وأظهر إرضاء العامة
 بقتله ، وذلك في سنة إحدى وثلاثين وستمائة^(٣) . ولا خفاء أنه من صدور الأندلس ،
 وأشدّهم عثوراً على المعاني الغريبة المخترعة ، رحمه الله .

أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري

من أهل ألمرية^(٤) ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن خاتمة .

-
- (١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » الصفوح بالتعريف وهو لا يستقيم مع وزن الشعر .
 (٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » في .
 (٣) وردت في المخطوطات الثلاثة : (وسبعمائة) وهو سهو تاريخي لان المتوكل بن هود الذي
 التحق بخدمته الشاعر المترجم له توفي قتيلاً سنة ٥٦٣هـ ، وذلك بعد مقتل الشاعر . ولهذا اقتضى التصويب .
 (٤) سبق ذكر ألمرية في السياق غير مرة . وقد رأينا أن نعرف بها هنا لمناسبة ترجمة شاعرها الكبير
 ابن خاتمة . وألمرية Almeria ، ثغر من ثغور الأندلس الشهيرة يقع في جنوب اسبانيا على البحر
 الأبيض المتوسط شرق مالقه . وهي مدينة مشرقة جميلة الموقع والتخطيط . وكانت أيام الدولة الإسلامية
 من أعظم ثغورها الجنوبية ، وكان سكانها يومئذ يزيدون على مائة وخمسين ألفاً ، وهم اليوم لا يعدون
 ستين ألفاً . وقد سقطت ألمرية في يد النصارى سنة ١٤٨٩م . وما تزال تقوم بها حتى اليوم أطلال القسبة
 الأندلسية القديمة ، وبها عدة أبراج منيعة تشرف عليها من عل . ولألمرية ميناء جميل يرسو به كثير من
 السفن .

حاله

هذا الرجل صدره يُشار إليه ، طالب متفَنٍّ ، مشاركٌ ، قوى الإدراك ، سديد النظر ، قوى الذهن ، موفور الأدوات ، كثير الاجتهاد ، معين الطبع ، جيد القريحة ، بارع الخط ، مُتَمَتِّعُ المجالسة ، حسن الخلق ، جميل العشرة ، حَسَنَةٌ من حسنات الأندلس ، وطَبَقَةٌ في النظم والنثر ، بعيد المَرَق في درجة الاجتهاد ، وأخذ بطرق الإحسان ؛ عقد الشروط ، وكتب عن الولاية ببلده ، وقعد للاقراء ببلده ، مشكور السيرة ، حميد الطريقة ، في ذلك كله .

وجرى ذكره في كتاب « التاج » بما نصه : « ناظم دُرَرِ الألفاظ ، ومقلد جواهر الكلام ، نُحُور^(١) الرواة ، وَلَبَّات^(٢) الحفَظ والآداب ، التي أصبحت شوارِدُها ، حلم النائم ، وسمَر الأيقاظ ؛ وكم في بياض طرسها ، وسواد مَقْسَمها سحرُ الألفاظ^(٣) ؛ رفع في قطره راية هذا الشأن على وفور حَلْبَتِه ، وقرع فنه البيان على سُمُو هَضْبَتِه ، وفوق سَهْمِه إلى بحر الإحسان ، فأثبتته في لَبَّتِه ؛ فإن أطل^(٤) شأنُ الأبطال ، وكأثر المنسجم الهطال ؛ وإن أوجَز ، فضح وأعجز ؛ فمن نسيب تهيج به الأشواق ، وتضييق عن زفرتها الأطواق ؛ ودُعابة تُقلِّص ذيل الوقار ، وتزُري بأكواس العقار ؛ إلى اتماء للمعارف ، وجنوح إلى ظلها^(٥) الوارف ؛ ولم تزل معارفه ينفَسح آمادُها ، وتحوز خُصَل السباق جياذُها . »

(١) وردت في المخطوطين : بحور ، وهو تحريف . وحكمة التصويب واضحة .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » لباب . والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٣) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » اللحاظ .

(٤) وردت في المخطوطين : طال . وهو تحريف .

(٥) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » ظل .

مُشِيخَتُهُ

حسباً نَقَلَ بِحُطَاهُ فِي ثَبَتِ اسْتِدْعَاهُ مِنْهُ مِنْ أَخْذِ عَنْهُ ؛ الشَّيْخُ الْخَطِيبُ ، الْأُسْتَاذُ
مَوْلَى النِّعْمَةِ ، عَلَى أَهْلِ طَبَقَتِهِ بِالْمَرْيَةِ ، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْعَيْشِ
الْمَرْيِّ ؛ قَرَأَ عَلَيْهِ وَلَازَمَهُ ، وَبِهِ جِلَّ اتِّفَاعُهُ ؛ وَالشَّيْخُ الْخَطِيبُ الْأُسْتَاذُ الصَّالِحُ
أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ التَّنُوخِيِّ . وَرَوَى عَنْ الرَّائِيَةِ الْمُحَدَّثِ الْمَكْتَرِ
الرَّحَّالِ ، مُحَمَّدَ بْنَ جَابِرَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَّانَ الْوَادِيَّيْنِ ؛ وَعَنْ شَيْخِنَا أَبِي الْبَرَكَاتِ
ابْنِ الْحَاجِّ ، سَمِعَ عَلَيْهِ الْكَثِيرَ ، وَأَجَازَهُ [إِجَازَةً] ^(١) عَامَةً ؛ وَالشَّيْخُ الْخَطِيبُ
أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ شُعَيْبِ الْقَيْسِيِّ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ ؛ وَالْقَاضِي أَبُو جَعْفَرٍ
الْقُرْشِيُّ بْنُ فَرَّكَوْنٍ . وَأَخَذَ عَنِ الْوَزِيرِ الْحَاجِّ الزَّاهِدِ ، أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنِ
سَهْلَ بْنِ مَالِكٍ . وَقَرَأَ عَلَى الْمُقَرَّرِيِّ أَبِي جَعْفَرٍ الْأَغَرِّ ^(٢) ، وَغَيْرِهِمْ .

كِتَابَتُهُ

بِمَا خَاطَبَنِي بِهِ بَعْدَ إِيْلَامِ الرَّكْبِ ^(٣) السُّلْطَانِي بِبَلَدِهِ ، وَأَنَا صَحْبَتُهُ ، وَلِقَائِهِ إِيَّايَ ،
بِمَا يَلْقَى بِهِ مِثْلُهُ مِنْ تَأْنِيْسٍ ، وَبَرٍّ ، وَتَوَدُّدٍ ، وَتَرَدُّدٍ :

يَا مَنْ حَصَلَتْ عَلَى الْكَمَالِ بِمَا رَأَتْ عَيْنَايَ ^(٤) مِنْهُ مِنَ الْجَمَالِ الرَّائِعِ
مَرَّأَى يَرُوقُ وَفِي عِطَافِي بُرْدِهِ مَا شِئْتُ مِنْ كَرَمٍ وَمَجْدٍ بَارِعِ
أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ تَحَاُمِلًا فِي فَضٍّ شَمَلٍ لِي بِقُرْبِكَ جَامِعِ

(١) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَإِضَافَتُهَا لَازِمَةٌ لِمُسْتَقَامَةِ السِّيَاقِ .

(٢) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » ، الْأَغْنِ .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « ج » . وَفِي « ك » ، الرِّكَابِ .

(٤) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » عَيْنَانِ .

هم البُعاد علينا ضنًا باللقا حتى تقلَّص مثل برقٍ لامع
 فلو أننى ذو مذهب لشفاعته ناديتُهُ يا مالِكى كُن شافعى
 شكواى إلى سيدى ومُعظمى ، أقرَّ الله تعالى بسنائه أعين المجد ، وأدرَّ بثنائه
 ألسنَ الحمد ، شكوى الظمان صدَّ عن القراح العذب^(١) لأول وروده ، والهميان
 ردَّ عن استرواح القرب لمُعْضِل صدوده ، من زمانٍ هجم على بُعاده ، على حين
 النفادة^(٢) ، ودَهْنى بفراقه غَبَّ إنارة أفقٍ به وإشراقه ؛ ثم لم يكفِه ما اجترَم فى
 ترويع خياله الزاهر^(٣) ، حتى حرم عن تشييع كماله الباهر ، فقطع عن توفية حقِّه ،
 ومنع من تأدية مُستحقِّه ، لا جرَم أنه أنفٍ لشارع ذكائه من هذه المطالع النافية
 [عن شريف الإنارة ، وبخيل بالإمتاع بذكائه عن هذه المسمع النائية]^(٤) عن
 لطيف العبارة ؛ فراجع أنظاره ، واسترَّجع مُعاره^(٥) ؛ وإلا فعهدى بغروب
 الشمس إلى طلوع ، وأنَّ البدر ينصرف بين الاستقامة والرُّجوع . فما بالُ هذا
 النير الأسعد ، غرُب ثم لم يطلع من الغد ، ما ذاك إلا لِعَدْوَى^(٦) الأيام وعُدْوانها ،
 وشأنها فى تغطية إساءتها وجه إحسانها ، وكما قيل عادت^(٧) هيف^(٨) إلى أديانها ؛
 أستغفر الله أن لا يُعد ذلك من المُغتفر فى جانب ما أوليت من الأثر، التى أزرى العيان
 فيها بالأثر ، وأربى الخبرُ على الخبر ؛ فقد سُرَّت مُتَشَوِّفات الخواطر ، وأقرَّت
 مُتَشَرِّفات النواظر^(٩) ، بما جَلَّتْ من ذلِّكم الكمال الباهر ، والجمال الناصر ؛

(١) وردت فى المخطوطين : الضر . والتصويب من نفح الطيب .

(٢) هكذا فى « ج » . وفى « ك » النعاق . وفى النفخ : أسعاده .

(٣) وردت فى المخطوطين الزاير . والتصويب من النفخ .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط فى المخطوطين . وأضفناه عن النفخ .

(٥) وردت فى المخطوطين : عماره . والتصويب من النفخ .

(٦) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين .

(٧) فى المخطوطين : عاد .

(٨) هذه كلمة ساقطة فى المخطوطين .

(٩) هكذا فى « ج » . وفى « ك » القواطر . وهو تحريف .

الذى قيّد خطى الأبصار ، عن التشوّف والاستبصار ؛ وأخذ بأزمنة القلوب ، عن سبيل كل مأمول ومرغوب ؛ وأنى للعين بالتحوّل عن كمال الزّين ، أو للطّرف^(١) ، بالتحول عن خلال الطّرف ؛ أو للسّمع [من]^(٢) مراد ، بعد ذلك الإصرار والإيراد ، أو للقلب من مراد ، غير تلكم الشيم الرافلة من ملابس الكرم في حلل وأبراد ؛ وهل هو إلا الحسنُ مُجمع في نظام ، والبدرُ طالع التّمام ، وأنوار النضائل ضمّها جنسُ اتفاقٍ والتّام ؛ فما ترعى العين منه في غير مرعى خصيب ، ولا تستهدفُ الأذهان^(٣) لغير سهمٍ في حدّق البلاغة مُصيب ؛ ولا تطلعُ النفسُ سوى مطلعٍ له في الحسن والإحسان أوفر نصيب . لقد أزرى بناظم حلاه فيما تعاطاه التقصير ، وانفسح من أعلاه بكل باعٍ [قصير ، وسفّه حلمُ القائل : إنّ الإنسان عالمٌ صغير . شكراً للدهر على يد أسداها بقرب مزاره ، وثُخفة]^(٤) ثناء أهداها بمطلع أنواره على تغاليه في ادّخار نفائسه ، وبُخله بنفائس^(٥) ادّخاره ؛ ولا غرو أن يضيق عنا نطاق الذّكر ، ولما يتسعُ لنا سوار الشكر ؛ فقد عُمت هذه الأقطار بما شاءت من تحفٍ ، بين تحفٍ وكرامة ، واجتنت أهلها ثمرة الرحلة^(٦) في ظلّ الإقامة ، [وجرى الأمرُ في ذلك بجري الكرامة]^(٧) ؛ ألا وإن مفاتيحي لسيدى ومُعظّمى ، حرس الله تعالى مجده ، وضاعف سعدّه ؛ مفاتيحة من ظفّر من الدهر بمطلوبه ، وجرى له القدرُ على وفق مرغوبه ؛ فشرع له إلى أمله باباً ، ورفع له من خجله جلباباً ؛ فهو يكلّف بالاحتحام ، ويأنف من الإحجام ؛ غير أنّ الحصر

(١) وردت في المخطوطين اطرفه . والتصويب من النفح .

(٢) ساقطة في المخطوطين . والإضافة من النفح .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » الأذان .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين : وقد أثبتناه عن النفح .

(٥) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » بنعائم . والأولى أرجح .

(٦) هكذا وردت في ج وفي النفح . وفي « ك » الوحدة .

(٧) هذه العبارة ساقطة في المخطوطين . ونقلناها عن النفح .

عن دَرَجٍ قَصْدِهِ يَقِيدُهُ ، فهو يُقَدِّمُ والبَصَرُ يُبْهَرُجُ ^(١) نَقْدَهُ فَيُقْعِدُهُ ؛ فهو يُقَدِّمُ
رَجُلًا وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى ، وَيَجِدُّ عَزْمًا ^(٢) ثُمَّ لَا يَتَحَرَّى ؛ فَإِنْ أَبْطَأَ خِطَابِي
فَلَوَاضِحٌ ^(٣) الْإِعْذَارُ ، وَمِثْلُكُمْ لَا يَقْبَلُ حَيَاةَ الْأَعْذَارِ ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَصِلُ
إِلَيْكُمْ عَوَايِدَ الْإِسْعَادِ وَالْإِسْعَافِ ، وَيَحْفَظُ لَكُمْ مَا لِلْمَجْدِ مِنْ جَوَانِبٍ وَأَكْنَافٍ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ؛ كُتِبَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ عَامِ ثَمَانِيَةِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

دخوله غرناطة

دخل غرناطة غير ما مرّة ، منها في استدعاء شمال الخواصّ من أهل الأقطار
الأندلسية ، عند إعدام الأمراء في الدولة اليوسُفِيَّة ^(٤) ، في شهر شعبان من عام إحدى
وخمسين وسبعمائة .

شعره

كَانَ مَجْلِيًّا ^(٥) . وَأَنْشَدَ فِي خَلْبَةِ الشَّعْرَاءِ قَصِيدَةً أُولَاهَا :
أَجْنَانُ خُلْدٍ زُخْرِفَتْ أُمُّ مَصْنَعٍ وَالْعِيدُ عَاوَدَ أُمُّ صَنِيعٍ يُصْنَعُ
وَمِنْ شَعْرِهِ :

مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ مَوْقِفًا لِفِرَاقٍ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تَوَلَّهِ الْعُشَاقُ

-
- (١) وردت في المخطوطين : يهرج . والتصويب من النسخ .
(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » جزأ .
(٣) وردت محرفة في المخطوطين : لوضح . فلو صح .
(٤) الدولة اليوسُفِيَّة أعنى دولة السلطان يوسف أبي الحجاج ملك غرناطة الذي حكم من سنة ٧٣٣
إلى ٨٧٥ (١٣٣٣ - ١٣٥٤ م) .
(٥) كلمة (كان) ساقطة في « ك » . ووردت العبارة في « ج » هكذا : مجليا كان .

إن كنت لم تره فسائل من رأى
 من حرّ أنفاسٍ وخفق جَوانِحِ
 دُهي القوَاد فلا لسانٌ ناطقٌ
 ولقد أشيرُ لمنْ تَكَلَّفَ رِحْلَةً
 على أراجُعٍ من دِمَائِ حَشَاشَةٍ
 فَمَضَى ولم تَعِطْهُ نَحْوَى ذِمَّةً
 يا صاحبيَّ وقد مضى حُكْمُ النَّوَى
 واستَقْبَلَا بِي نَسْمَةً عن أرضكم^(٤)
 إني ليشْفيني النَّسيم إذا سَرَى
 مَنْ مُبْلَغٌ^(٦) بالجزع أهل مودَّتِي
 ولئن تحوَّل عهدُ قُرْبِهِمْ نَوَى
 أنِفْتُ خَلَائِقِي الكرام لَخَلَّتِي
 قَسَمًا به ما استغرقتني فِكْرُهُ
 لي آهَةٌ عند العِشِيِّ لعلّه
 أبكى إذا هبَّ النَّسيمُ فإنْ تَجِدَ
 أو ما كتبت إليه مع رِيح الصِّبَا^(٧)

يُخْبِرُكَ عن وَلَهِي وعن أَشْوَاقِي^(١)
 وَصُدُوعِ أَكْبَادٍ وَفِيضِ مَآقٍ
 عند الوداع ولايح^(٢) مُتَرَاقٍ
 أن عَجْجَ على ولو بقَدَرِ فَوَاقٍ
 أشكو بها بعض الذي أنا لاق
 هيهات لا يُبْقِيَا على مُشْتَاقٍ
 رُوحًا على بِشِيمَةٍ^(٣) العُشَاقِ
 فَلَعَلَّ نَفَحَتِهَا^(٥) تَحُلُ وِثَاقٍ
 مُتَضَوِّعًا من تَلَكُّمِ الْآفَاقِ
 أنى على حُكْمِ الصَّبَابَةِ باقٍ
 ما حُلْتُ عن عَهْدِي ولا مِثَاقٍ
 نَسَبًا إلى الْأَخْلَاقِ وَالْأَخْرَاقِ
 إلا وَفِكْرِي فِيهِ وَاسْتِغْرَاقٍ
 يُصْنَعِي لَهَا وَكَذَا مع الْإِشْرَاقِ
 بَدَلًا به فَبِدْمَعِي الْمُهْرَاقِ
 فالذكر كُتِبِي والرفاقُ رَفَاقِ

(١) وردت في المخطوطين : وهو سياق . والتصويب من « ت » .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » طابع .

(٣) وردت في المخطوطين : بمشيمة .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » أرضهم .

(٥) هكذا في « ك » . وفي « ك » نفحاتها .

(٦) في المخطوطين : بلغ .

(٧) وردت هذه الشطرة في المخطوطات الثلاثة : « أو ما تكتب إليه مع الصبا » .

من لي وقد شحط المزار بنازح^(١) إن غاب عن عيني فمَثَوَاهُ الحشا
جارت عليَّ يد النَّوى بفراقه أحباب قلبي هل لماضي عَيْشِنَا
أم هل لأثواب التجلُّد راقعٌ ماغاب كوكب حُسْنِكُمْ عن ناظري
إيه أخى أدِرْ عليَّ حديثهم وإذا جنحت لماء أو طرب فمن
ذكراهُ راحي والصَّباةُ خضرتي فليَّلهُ عني من لحاني إني
وقال :

وقفت والركب^(٢) قدزمت ركائبه وقد تمايل نحوى للوداع وهل
أضُمُّ منه كما أهدى لغير نوى يهفو فأذعر خوفاً من تقلُّصها^(٣)
هل عند من قد دَعَى بالبين مُقلَّتَه أشيعُ القلب عن رَغْمٍ عليَّ وما
أرى وشأتني أنى لست مُفْتَقِراً^(٤) وللنفوس مع الأيام تقطيع
للراحل القلبِ صَدْرُ الرِّكبِ توديع ريحانةً في شذاها الطيبُ مجموعُ
إن الشفيق بسوء الظن مؤلوع إن الردى منه مرئى ومسموع
بقائه جسم له للقلب تشيع لما جرى وصميم القلب مصروع

(١) وردت هذه الشطرة في المخطوطات الثلاثة : « من لي شحط المزار بنازح أنى » .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » ، « والبين » .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ت » و « ج » نقضها .

(٤) هكذا في « ت » . وفي المخطوطين : مفترقاً .

الوجد طبعٌ وسِلْوانى مُصانعةٌ
 إن الجديد إذا ما زيد فى خلقٍ
 هيهات يَشْكُلُ مصنوع ومَطْبُوع
 تَبَيَّنَ النَّاسُ أن الثوب مَرَقُوع
 وقال أيضاً :

لولا حيائى من عيون^(١) النرجس
 ورَشَفْتُ من ثَغْرِ الأَقاحَةِ ريقها
 وهتكتُ أَسْتار الوقار ولم أبل
 ما لى وصهباء الدِّنانِ مُطارِحاً
 شَتان بين مُظَاهِرٍ ومُخَايِلٍ
 ومُجْجَمٍ بِالْعَدْلِ باكرنى به
 نَزَّهْتُ سَمْعى عن سَفَاهَةِ نُطْقِهِ
 سَفَّهْتُ فى العِشاقِ يوماً إن أكن
 أعْذُولَ وَجْدى لیس عُشْكَ فادرجى
 هل تبصُرُ الأشجار والأطيار والأزْه
 تالله وهو [أَلَيْتَى وكفى به]^(٢)
 ما ذاك من شَكْوٍ ولا لِحَالَةٍ^(٣)
 شَكَراً لمن بَرَأَ الوجود بِجُودِهِ
 لَثَمْتُ خَدَّ الورد بين السُّنْدُسِ
 وَضَمَمْتُ أَعْطافَ الغُصُونِ المَيْسِ
 للباقلاء تلحظ بطرفٍ أشوس
 سَجَّعَ القِيانَ مُكَاشِفاً وجه المَسِ
 ثوب^(٤) الحِجَا ومُطَهَّرٌ ومُدَنِّسٌ
 والطير أَفْصَحُ مسعدٍ بتأنُسٍ
 وأَعْرَتْهُ صوتاً رَخِيمٌ^(٥) الملمس
 ذاك الذى يُدْعِ^(٦) الفَصيحَ الأخرس
 ونصيحَ رُشْدى بان نُصْحِكَ فاجلسِ
 ار [تلك]^(٧) الخافضاتِ الأروُسِ
 قسماً يُفِدِّى بَرُّهُ بالأَنْفُسِ
 لكن سَجود مُسَبِّحٍ ومُقَدِّسٍ
 فثَنى إليه الكلُّ وجه المُغْلِسِ

(١) وردت فى المخطوطين : العيون . والتصويب من « ت » .

(٢) فى « ج » بثوب . وفى « ك » مشوب . و « ت » ثوب .

(٣) فى المخطوطين ، رحيم . وفى « ت » ونخيم .

(٤) هكذا وردت فى المخطوطين . ووردت فى « ت » : يدعى .

(٥) ساقطة فى المخطوطات الثلاثة .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين . ووردت فى « ت » (الذى كفى به) .

(٧) هكذا فى المخطوطين . ووردت فى « ت » : (ولا نجادة) .

[وسما بساط الأرض فمده] ^(١) ودحا بسيط ^(٢) الأرض أوثر مجلس
 ووشى بأنواع المحاسن هذه وأنار هذى بالجوار ^(٣) الكُنس
 وأدرّ أخلاف العطاء تطوّلاً وأنال فضلاً مَنْ يُطيعُ وَمَنْ يُسي
 حتى إذا انتظم الوجودُ بنسبةٍ وكساه ثوبى نوره والحنديس
 واستكملت كلُّ النفوس كلها شفّع العطايا بالعطاء الأنفس
 بأجلٍ هادٍ للخلائق مُرشدٍ وأتمَّ نورٍ للخلائق مُقديس
 بالمصطفى المهدى إلينا رحمةً [مرمى الرّجا ومسكة ^(٤) المتيئس ^(٥)]
 نعمٌ يضيق ^(٦) الوصفُ عن إحصائها ظلّ الخطيبُ بها لسان الأوجس
 إليه فحدّثني حديثَ هواهم ما أبعد السلوان عن قلب الأسي
 إن كنتُ قد أحسنتُ نعتَ بجهالم [فلقد سما عني العذول بهم وسي ^(٧)]
 ما إن دَعَوكَ يُبلبلُ إلا لما قد هجّت من بلبال هذى الأنفس
 سبحان من صدّع الجميعُ بحمده وبشكره من ناطق أو أخرس
 وامتدّت الأطلالُ ساجدةً له بجبالها من قائمٍ أو أقعس
 فإذا تراجعت الطيور وزايلت أغصانها ^(٨) بان المطيعُ من المسي

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في المخطوطات الثلاثة . والظاهر ان بها نقصاً أو تحريفاً لم يتضح .

(٢) هكذا في « ج » و « ت » . وفي « ك » ببسيط .

(٣) هكذا وردت في « ت » . وفي المخطوطين : بجوار .

(٤) وردت في المخطوطين : مكسة . والتصويب من « ت » .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة في المخطوطات الثلاثة مع اختلاف يسير .

(٦) وردت في المخطوطين : (نعماً ضاق) . والتصويب من « ت » .

(٧) وردت هذه الشطرة في المخطوطين هكذا : (فلقد سما عندي العذول بهم وسي) .

(٨) هكذا في « ت » . وفي « ج » اغصها ، وفي « ك » أغظبها وهو تحريف .

فيقولُ ذا سَكِرَتْ لِنَعْمَةٍ مُنْشَدٌ ويقولُ ذا سَجَدْتُ لِذِكْرِ مُقَدَّسٍ
كل يفوه بذَوَقِهِ^(١) والحقُّ لا يخفَى على نظر اللَّيِّبِ الأَكْيَسِ

وقال :

زارت على حَذَرٍ من الرُّقَبَاءِ والليلُ ملتحفٌ بفضلِ رداءِ
تصلُ الدُّجَا بسوادِ فرعٍ فاحمٍ لتزيد^(٢) ظَمَاءً إلى ظَمَاءِ
فوشى بها من وجهها وحُلِيِّهَا بدرُ الدُّجَا وكواكبُ الجَوَازِ
أهلاً بزائرةٍ على خَطَرِ الشَّرَى ما كنتُ أرجوها ليومِ لِقَاءِ
أقسمتُ لولا عَفَّةٌ عُذْرِيَّةٌ [وتلقَى له على رقيبٍ راءٍ]^(٣)
لنَقَعْتُ غُلَّةَ لَوْعَتِي بِرُضَائِهَا ونَضَحْتُ وَرْدَ خَدُودِهَا بِبِكَائِي

ومن ذلك ما قاله أيضاً :

أرسلتُ لَيْلَ شَعْرِهَا من عَقْصِ عن محيٍّ رمى البُدُورِ بِنَقْصِ
فأرثنا الصباحَ في جُنْحِ لَيْلٍ يَتَهَادَى ما بين غُصْنٍ ودِعْصِ
وتصدَّتْ بِرَامِحَاتِ نُهُودٍ أشرعتُ للأَنَامِ من تحت قُمْصِ
فتولَّتْ جِيوشُ صَبْرِي انْهَازَما وبوَدْدِي ذاكَ اللِّقَاءِ وَحِرْصِ
ليس كلُّ الذي يَفِرُّ بِنَاجٍ رَبٌّ ظَنَنْ^(٤) فيه حياةٌ لشَخْصِ
كيف لي بالسُّلُو عنها وقلبي قد هوى حِلْمِهِ^(٥) بِمَهْوَى لِحَوْصِ^(٦)

(١) هكذا في « ك ». وفي « ج » ، بدونه . وفي « ت » بقوله .

(٢) وردت في المخطوطين : لتدبير وهو تحريف . والتصويب من « ت » .

(٣) هكذا وردت هذه الشطرة في المخطوطات الثلاثة . وفي نص آخر (وتخوفى وشى الرقيب الراء) .

(٤) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » وطنى . وفي « ت » ظفن .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » حله .

(٦) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » بمعول لحوص . وفي « ت » بملعكى الخرص .

ما تعاطيت [ظاهر الصبر] ^(١) إلا ردتي جيدها بأوضح نص
ومن ذلك قوله أيضاً :

أنا بين الحياة والموت وقف
حلّ بي من هواك ما ليس يُنبى ^(٢) عنه نعت ولا يُعبر وصف
عجباً لانعطاف صدغتيك والمِطَفُ والجيد ثم ما منك عطف
ضاق صدري بضيق حجلتك واستوقف طرفي حيران ^(٣) ذلك الوقف
كيف يرجى فكاك قلبٍ معني في غرام قيّدها قرط ^(٤) وشنف
ومن ذلك قوله أيضاً :

رقّ السنا ذهباً في اللازوردى فالأفق ما بين مرقوم وموشى
كأنما الشهب والإصباح ينهبها لآلى سقطت من كف زنجى
ومن شعره في الحكم قوله :

هو الدهر لا يُبقى على عائذ به فمن شاء عيشاً يضطير لنوائبه
فمن لم يُصب في نفسه قمصائه لفوت أمانيه وفقد حبايبه
ومن ذلك قوله :

ملاك الأمر تقوى الله فاجعل تقاه عُدّة لصلاح أمرك
وبادر نحو طاعته بعزم فما تدرى متى يمضى بعمرك ^(٥)

(١) وردت في المخطوطين : طاهر البصير ، وهو تحريف ظاهر . والتصويب من « ت » .

(٢) وردت في المخطوطين : ينسى . وفي « ت » محرفة ، بينى .

(٣) وردت في المخطوطين : جيران .

(٤) الشنف معناه القرط أيضاً .

(٥) في المخطوطين : لعمرك . والتصويب من « ت » .

ومن ذلك أيضاً :

دماء فوق خدك أم خلوق وريق ما بثغرك أم رحيق
وما ابتسمت ثنايا أم أقاح ويكنفها شفاء أم شقيق
وتلك سناة قوم ما تعاظت جفونك أم هي الخمر العتيق
لقد أعدت معاطفك انشاء وقلبي سكرة ما إن يفيق
جمالك حضرتي وهواك راحي وكأسك مقلتي فمتي أفيق

ومن شعره في الأوصاف :

أرسل الجو ماء وردي رذاذاً وسمع الحزن والدمايث رشا
فأثنى حول أسواق الدوح حجلاً وجرى فوق بردة الروض رشا
وسما في العصون حلى بنان أصبحت من سلافة الطل رعشا
فترى الزهر ترقم الأرض رقماً وترى الريح تنقش الماء نقشا
فكان المياه سيف صقيلاً وكان البطاح غمد مؤش

وكتب عقب انصرافه من غرناطة في بعض قدماته عليها ما نصه : « بما قلته
بديهة عند الإشراف على جنابكم السعيد ، وقدمي مع النفر الذين أتحفهم
[السيادة]^(١) سيادتكم بالإشراف عليه ، والدخول إليه ، وتنعيم الأبصار في
الحاسن المجموعة لديه ، وإن كان يوماً قد غابت شمس ، ولم يتفق أن كل^(٢)
أنسه ؛ وأنشده حينئذ بعض من حضر ، ولعله لم يبلغكم ، وإن كان قد بلغكم ،
ففضلكم يحملني إعادة الحديث :

(١) هذه الكلمة واردة في « ج » وساقطة في « ك » .

(٢) وردت في المخطوطين : نكمل . والتصويب من نفع الطيب .

أقول وعينُ الدِّمعِ ^(١) نَصَبَ ^(٢) عيوننا
 أهذى سماءَ أم بناءَ سما به
 تناظرتُ الأشكالُ منه تقابلًا
 وقد جرت الأفواهُ فيه مُجرَّةً
 وأشرف من [علياء بهو] ^(٤) تحفه
 يُطلُّ على ماء به الآسُ دائرُ
 هنالك ما شاء العلى من جلاله
 ولما حضر ^(٥) الطعام هنالك ، دعى شيخنا القاضى أبو البركات ، إلى الأكل
 فاعتذر بأنه صائم ، قد بيّته من الليل ، فحضرنى أن قلت :

دَعَوْنَا الخَطيْبَ أبا البركا ت لأكل طعام الوزير الأجل
 وقد ضَمَّنَا فى نداء جناب به احتفل الحُسنُ حتى كَمَل
 فأعرض عَنَّا لعذر الصيام وما كلُّ عُذرٍ له مُستَقِل ^(٦)
 فإن الجنان محلُّ الجزاء وليس الجنانُ محلُّ العمل
 وعند ما فرغنا [من الطعام] ^(٧) أنشدتُ الأبيات شيخنا أبا البركات ، فقال :
 « لو أنشدتَنيها ، وأنتم بعد لم تفرغوا منه لأكلتُ معكم برًّا بهذه الأبيات ، والحوالة
 فى ذلك على الله تعالى . »

(١) عين الدمع مكان اشتهر أيام غرناطة الإسلامية بجمال خضرته ومتمنزهاته . وسبق التعريف به
 (انظر الحاشية فى ص ١٢٧) .

(٢) فى المخطوطين تنصب . والتصويب من النفع .

(٣) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » الجانب .

(٤) وردتا محرفتين فى « ج » (علياء بهو) وفى « ك » (علياء فهو) .

(٥) هكذا فى « ج » ، وفى « ك » حضر .

(٦) هكذا فى « ج » . وفى « ك » مستقبل .

(٧) الزيادة من نفع الطيب .

ولما قضى الله عز وجلّ ، بالإدالة ، ورجعنا إلى أوطاننا من العُدوة ، واشتهر
عنى ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة ، والتّيه على السلطان والدولة ، والتكبر
[على أعلى رُتب الخدمة]^(١) ، وتطارحتُ على السلطان فى استنجاز وعد الرحلة ،
ورغبت فى تفويت^(٢) الذمة ، ونفرت عن الأندلس بالجملة ، خاطبني بعد صدر
بلغ من حُسن الإشارة ، وبراعة الإستهلال الغاية ، بقوله^(٣) :

« وإلى هذا يا سيدى ، ومحلّ تعظيمى وإجلالى ، أمتّع الله تعالى الوجود بطول
بقائكم ، وضاعف فى العزّ درجات ارتقائكم ؛ فإنّه من الأمر الذى لم يغب عن رأى
المعقول^(٤) ، ولا اختلف فيه أربابُ المحسوسِ والمعقول ؛ أنكم بهذه الجزيرة
شمسُ أفقها ، وتاج مفرّقها ، وواسطة سلكها ، وطراز ملكها ، وقِلادة نحرها ،
وفريدة دهرها^(٥) ، [وعقد جيدها المنصوص ، وكال زينتها على المعلوم والخصوص ؛
ثم أنتم مدارُ أفلاكها]^(٦) ، وسرّ سياسة أملاكها ، وثرّجمان بيانها ، ولسانُ
إحسانها ، وطبيب^(٧) مارستانها ، والذى عليه عقد إدارتها ، وبه قوام إمارتها ؛ فلديّه
يُحلّ المشكل ، وإليه يُلجأ فى الأمر المُعضل ؛ فلا غرو أن تتقيّد بكم الأسماع
والأبصار ، وتُحدّق نحوكم الأذهان والأفكار ؛ ويُرَجَر عنكم السائح والبارح ،
ويُسْتَنْبأ ما تطرّفُ عنه العين وتختلج الجوارح ، استقراء لمرامكم ، واستطلاعاً
لطالع اعتزامكم ، واستكشافاً لمرامى سهامكم ؛ لاسيما مع إقامتكم على جناح خُفوق ،

(١) وردت هذه العبارة فى المخطوطين : (على أعلى المراتب) . وما أثبتناه عن نفح الطيب وأزهار
الرياض ، وهو أرجح .

(٢) هكذا فى المخطوطين . وفى النفح : تبرئة .

(٣) وردت مكانها فى المخطوطين : وهو . والتصويب من النفح وأزهار الرياض .

(٤) هكذا فى المخطوطين . وفى النفح وأزهار الرياض : المعقول . والأولى أرجح حسبما يتضح
من السياق .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى النفح وأزهار الرياض (درها) . والأولى أرجح .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى « ك » ، وساقط فى « ج » .

(٧) هكذا فى النفح . وفى المخطوطين : طب .

وظهوركم في مُلتَمَع بُروق ، واضطراب^(١) الظُّنُون فيكم مع الغروب والشروق ؛ حتى تستقرَّ بكم الدَّار^(٢) ، ويلقى عصاهُ التَّسيار ؛ وله العُذر في ذلك إذ صَدَّعُها بفراقكم لم يَنْدَمِل ، وسرورها بِلِقائكم لم يَكْتَمَل ؛ فلم يَبْرَ بعد جناحها المَهِيز ، ولا جَمَّ ماؤها المَغيِض ، ولا تَمَيَّزَت من داجيها لِياليها البيض ؛ ولا استوى نهارُها ، ولا تَأَلَّقَت أنوارُها ، ولا اشتملت نعاؤها ، ولا نُسِيت غماؤها ؛ بل هي كالنَّاقه ، والحديث العَهْد بالمكانه ، تَسْتَشعر نَفْس العافية ، وتتمسَّح منكم باليد الشافية ؛ فبِحياتكم عليها ، وعظيم مُرَّضاتكم^(٣) على من لديها ، لا تَشُوبوا لها عذب المُجَاج بالأُجَاج ، وتُقنطوها^(٤) مما عُودت من طيب المزاج ، فما لدائها^(٥) ، وحياة قُربكم غير طَبِّكم من علاج ؛ وإني لَيَخْطُرُ بِخاطري محبةٌ فيكم ، وعنايةٌ بما يَغنِيكم ، ما نال جانبكم صانه الله [بهذا الوطن]^(٦) من الجفاء ، ثم أذكر [ما نالكم من حسن العَهْد وكرم الوفاء ، وأنَّ الوطن إحدى المواطن الأظَار التي]^(٧) يحقُّ لهنَّ جميل الاحتفاء ، وما يتعلق بكم من حُرمة أولياء القِرابة [وأولى]^(٨) الصِّفاء ؛ فيغلب على ظني ، أنكم لحسن العَهْد أَجَنَحَ ، وبحقِّ نفسكم [على أوليائكم]^(٩) أَسْمَحَ ، والتي هي أعظم قيمةً في فضائلكم أَوْهَبَ وأَمْنَحَ ؛ وَهَبَ أن الدُّرَّ لا يَحْتَاج في الإثبات إلى شهادة النُحور^(١٠) واللبَّات ؛

(١) وردت في المخطوطين : واضطراب . هو تحريف .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ وأزهار الرياض : الديار .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ : حرمتكم .

(٤) وردت في « ك » وتقطَّعوها ، وفي « ج » وتقطَّعوها . وفي النسخ والأزهار : وتقطَّعوها . ولكنني اعتقد صحة التصويب .

(٥) وردت في « ج » لديها . وفي « ك » لبدنها .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين . وقد أكلناه عن النسخ والأزهار .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط أيضاً في المخطوطين ، وهو سقط سهو كما يبدو . وقد أثبتناه عن النسخ والأزهار .

(٨) وردت في « ج » ، وأغفلت في « ك » .

(٩) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في النسخ والأزهار : (عن حق أوليائكم)

(١٠) وردت في المخطوطين : شهود ، وهو تحريف . والتصويب من النسخ والأزهار .

والياقوت غنى المكان، عن مظاهر القلائد والتيجان ؛ أليس أنه أعلى للبيان ، وأبعدُ
عن مكابرة البرهان ، تألّفها^(١) في تاج الملك أنوشروان ؛ والشمس وإن كانت
أمّ الأنوار وجلالة الأبصار ، مهما أغنى مكانها من الأفق ، قيل ، الليلُ هو أم نهار ؛
وكما في علمكم ما فارق ذو الأحلام ، وأولو الأرحام ، مواطن استقرارهم ، وأما كن
قرارهم ، إلا برغمهم واضطرارهم ، واستبدال دار هي^(٢) خير من دارهم ؛ ومتى
توازن الأندلس بالمغرب ، أو يعوض عنها إلا بمكة أو يثرب ؛ ما تحت أديمها أشلاء
أولياء وعُباد، وما فوقه مرابط^(٣) جهاد ، ومعاهد ألوية في سبيل الله، ومضاربٌ أوتاد ؛
ثم يُبَوِّئُ ولده مُبَوِّئاً أجداده ، ويجمع له بين طرافه^(٤) وتلاده ؛ أعيد أنظاركم
المُسَدَّدة من رأى فائل ، ومعنى طويل لم يحل منه بطائل [فحسبكم من هذا الإياب
السعيد ، والعود الحميد]^(٥) . وهي طويلة .

فأجبتة عنها بقولى :

لَمْ فِي الْهَوَى الْعُذْرَى أَوْ لَا تَلَمْ فَالْعَذْلُ لَا يَدْخُلُ أَسْمَاعِي
شَأْنُكَ تَعْنِينِي وَشَأْنِي الْهَوَى كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِي

« أهلا بتخفة القادم ، ورَيْحانة المنادم ، وذكر الهوى المتقادم ؛ لا يُصفر الله مسراك ،
فما أسراك ؛ لقد جَلَبْتِ^(٦) إلى من همومي ليلا ، وَجُبْتِ^(٧) خَيْلا وَرَجَلا ، ووفيت
من صاع الوفا كَيْلا ، وظننت بي الأسف على ما فات ، فاعملت الالتفات ، لكَيْلا ؛

(١) وردت في المخطوطين : (ما يعها) . والتصويب من النسخ والأزهار .

(٢) في المخطوطين : هو . وهو تحريف .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » ، رباط .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ والأزهار : طرافه .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين . وأثبتناه عن النسخ والأزهار .

(٦) هكذا في « ج » ، وفي « ك » جلبت . وفي النسخ والأزهار : جبت . والأولى أرجح .

(٧) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ والأزهار : جست .

فأقسم لو أن الأمر اليوم بيدي ، أوكانت اللّمة السوداء من عُددي^(١) ما أفلتت
أشراكي المنصوبة لأمثالك حَوْل المياه وبين المسالك ، [ولا علمت ما هنالك]^(٢) ،
لكنك طَرَقْتَ حَمِي كَسَحَتَهُ^(٣) الغارة الشعواء ، وغيرت [رَبْعَهُ]^(٤) الأنواء ؛ فحمد
بعد ارتجاجه ، وسَكَتَ أذِينَ دَجَاجِهِ ، وتلا عَبَتَ الرياح والهوج فوق فِجَاجِهِ ؛ وطال
عهدُهُ بالزَّمان الأول ، وهل عند رسمِ دارس من مُعَوَّل ؛ وحيّا الله ندباً إلى زيارتي
ندبك ، وبآدابه الحكيمة أدّبك :

فكان وقد أفاد بك الأمانى كمن أهدى الشفاء إلى العليل^(٥)

وهي شيمةٌ بوركت من شيمة ، وهبةُ الله قبله من لدُن المَشِيمة ؛ ومن مثله في صِلَة
رَعَى ، وفضل سعى ، وقولٍ وَوَعَى :

قسماً بالكواكب الزُّهر والزُّهر عاتِمة
إنما الفضل مِلةٌ خُتِمت بَابِن خاتمة

كساني حُلَة وصفه^(٦) ، وقد ذهب زمان التجمُّل ، وحملتى ناهض شكره ، وكتدّى
واهٍ عن التَّحْمُل ، ونظرني بالعين الكليّة عن العيوب^(٧) فهلا أجاد التأمل ؛ واستطلع
طلع نَتْنِي^(٨) ووالى في مركب^(٩) المعجزة حَتَّى ، وإنما أشكو بُئِي :

« ولو ترك القطا ليلا لنا ما »

(١) في المخطوطين : عددي . والتصويب من النفع والأزهار .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين . وأثبتناه عن النفع والأزهار .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النفع والأزهار : كسحته .

(٤) واردة في « ك » . وساقطة في « ج » .

(٥) ورد هذا البيت في المخطوطين مرسلًا في سياق الكلام .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين . وفي النفع والأزهار : فضله . والأولى أرجح .

(٧) هكذا في المخطوطين . وفي النفع والأزهار : العيب .

(٨) في المخطوطين : بُئِي .

(٩) هكذا في « ج » . وفي « ك » ركب .

وما حالُ شملٍ وتَدُّه مفروق ، وقاعدته فروق ، وصُواعُ بنى أبيه مسروق ؛
وقلبُ قرَّحه من عَضَّة الدهر دامٍ ، وجَمْرَةُ حسرته ذات احتدام ؛ هذا وقد صارت
الصُّغرى ، التى كانت الكبرى ، لمُشيبٍ لم يَرُعْ أن هجم ، لَمَّا نَجَمَ ، ثم تهلَّلَ
عارضه وانسجم :

لا تَجْمَعِ هَجْرًا عَلَى وَغُرْبَةٍ فَالْهَجْرُ فِي تَلَفِ الْغَرِيبِ سَرِيعٌ
نظرتُ فإذا [الجنب ناب]^(١) ، والنفسُ فريسة ظُفْرٍ وناب ، والمالُ أَكِيلَةُ اتِّهَابٍ ،
[والعمر رهن ذهاب]^(٢) ، واليدُ صِفْرٌ من كل اكتساب ، وسوقُ المعاد مترامية ،
واللهُ سريع الحساب .

ولو نُعْطِيَ الْخِيَارَ لَمَّا افْتَرَقْنَا وَلَكِنْ لَا خِيَارَ مَعَ الزَّمَانِ
وَهَبْ أَنْ الْعَمْرَ جَدِيدٌ ، وَظِلُّ الْأَمْنِ مَدِيدٌ ، ورأى الاغْتِبَاطَ [بالوطن]^(٣)
سَدِيدٌ ؛ فَمَا الْحِجَّةُ لِنَفْسِي إِذَا مَرَّتْ بِمَطَارِحِ جَفَوْتِهَا ، وَمَلَاعِبِ هَفَوْتِهَا ، وَمَنَاقِبِ^(٤)
قَنَاتِهَا^(٥) ، ومظاهر عَزَّاتِهَا وَمُنَاتِهَا ؛ والزمانُ وَلُودٌ ، وَزِنَادُ الْكَوْنِ غَيْرُ صَلُودٍ^(٦)

وإذا امرؤ لدغته أفعى مرة تركته حين يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرُقُ
ثم ان المرغَّبُ قد ذهب ، والدهرُ قد استرجع ما وهَبَ ، والعارضُ قد اشتَهَبَ ؛
وآراءُ الاكتسابِ مرجوحة مرفوضة ، وأسماؤه على الجوار مخفوضة ، والنِّية مع الله على
الزُّهد فيما بأيدي الناس معقودة ، والتوبة بفضل الله عز وجل شروطها غير مُعارضة

(١) مكان هذه العبارة في المخطوطين : (الحسنات) . وهى ساقطة في النسخ . وقد أثبتناها عن

الأزهار .

(٢) هذه العبارة ساقطة في « ج » . ووردت محرفة في « ك » : (والعمر رد عن ذهاب) .

(٣) ساقطة في المخطوطين ، وأثبتناها عن النسخ والأزهار .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ والأزهار : « مثاقف » .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » قناعتها .

(٦) هكذا في « ك » . وفي « ج » صلاذ .

ولا منقودة ؛ والمعاملة سامرية ، ودروع الصبر سابرية^(١) ؛ والاقتصاد قد قرّت العين بصحبته ، والله قد عوّض^(٢) حب الدنيا بمحبته ؛ فإذا راجعها^(٣) مثلى من بعد الفراق ، وقد رقى لدغتها ألف راق ؛ وجمعتني بها الحُجرة ، ما الذى تكون الأجرة ، جلّ شانى ، وقد رضى الوامق وسَخِطَ الشانى ؛ إني إلى الله [تعالى]^(٤) مُهاجر^(٥) ، وللغرض الأدنى هاجر ، ولأظعان السرى زاجر ، لأُحد^(٦) إن شاء الله وحاجر ؛ ولكن دعانى إلى الهوى ، لهذا المولى المُنعم هوى ، خلعتُ نَعْلَى الوجود وما خلعتُه ، وشوق أَمَرَنِي فَأَطَعْتُهُ ، وغالبَ اللهُ صَبْرِي فَمَا اسْتَطَعْتُهُ ؛ والحال والله أغلب ، وعسى أن لا يخيبَ المَطْلَب ؛ فإن يسره رضاه فأمل^(٧) كَمَل ، وراحل احتمل ، وحادٍ أشجى الناقة والجَمَل ؛ وإن كان خلاف ذلك ، فالزمان جَمٌّ العوائق ، والتسليم ببقاى لائق .

ما بين غَمُضَة عَيْنٍ وانتباهتها يُصَرِّفُ الأمرُ من حالٍ إلى حالٍ

وأما تفضيله هذا الوطن على غيره ، ليؤمن طَيرُهُ ، وعموم خَيرِهِ ، وبركة جهادِهِ ، وعُمران رُباه ووهادِهِ ، بأشلاء عُبَادِهِ وزَهَادِهِ ، حتى لا يفضلُهُ إلا أحدُ الحرمين ، فحقُّ بَرٍّ مِنَ المَين ؛ لكُنِّي لِلحَرَمينِ جَنَحْتُ ، وفي جو الشوق اليهما سَرَحْتُ^(٨) ، فقد أَفْضَتُ الى طريقِ قَصْدِي مَحَبَّتُهُ ، ونصرتني وَالْمِنَّةُ^(٩) لله حَجَّتُهُ ؛ وَقَصْدُ

(١) هكذا فى « ج » . وفى « ك » ، سافرية .

(٢) هكذا فى « ج » . وفى « ك » ، عرض ، وهو تحريف .

(٣) فى « ك » ، راجعها .

(٤) ساقطة فى المخطوطين .

(٥) هكذا فى النسخ والأزهار . وفى المخطوطين : هاجر .

(٦) هكذا فى المخطوطين . وفى النسخ والأزهار : لنجد .

(٧) هكذا فى المخطوطين والأزهار . وفى النسخ : أمر .

(٨) هكذا فى المخطوطين . وفى النسخ والأزهار : سبحت .

(٩) وردت فى « ج » والسمة . وفى « ك » والسمة . والتصويب من النسخ والأزهار .

سیدی اُسْنی قصد ، توخّاه الشکر والحمد، ومعروفٌ عُرِف به النُّکر، وأملٌ انتحاه
الفکر؛ والآمال [والحمد لله] ^(١) بعد تُمْتار ، والله یخلق ما یشاء ویختار ، ودعاؤه
بظهر الغیب مَدَد ، وعُدَّة وعَدَد ، وبُره حَالی الظَّعن والإقامة مُعْتَمَلٌ مُعْتَمَد ،
ومجال المعرفة بفضله ، لا یَحْضُرُه أحد ، والسلام » ^(٢).

وهو الآن بقید الحياة ، وذلك ثانی عشر شعبان عام سبعین وسبعائة .

أحمد بن عباس بن أبی زکریا

ویقال ابن زکریا . ثَبَتَ بخط ابن النّبائی ؛ أنصاریُّ النسب ، یکنی أبا جعفر .

حاله

كان كاتباً حسن الكتابة ، بارع الخطّ ، فصيحاً ، غزير الأدب ، قوى المعرفة ، شارعاً
في الفقه ، مشاركاً في العلوم ، حاضر الجواب ، ذكيّ الخاطر ، جامعاً للأدوات السلطانية ،
جميل الوجه ، حسن الخلقة ، كلّف بالأدب ، مؤثراً له على سائر لذاته ، جامعاً للدواوين
العلمية ، مُقتنياً [للجيد منها] ^(٣) مغالياً فيها ، نفاعاً من خصّه بها ، لا يستخرج منها
شيئاً ، لفرط بُخله بها ، إلا لسبيلها ، حتى لقد أثرى كثيرٌ من الورّاقين والتجار معه
فيها ، وجمع منها ما لم یکن عند مَلِك .

« یساره » ؛ یقال إنه لم یجتمع عند أحد من نُظرائه ما اجتمع عنده من عین وورق
ودفاتر وخرق ، وآنية ، ومتاع وأثاث وكُراع .

(١) هكذا وردت في المخطوطین . وفي النفخ والأزهار : (من فضل الله) .

(٢) وردت رسالة ابن خاتمة ورد ابن الخطيب عليها ، في نفح الطيب ج ٣ ص ٣٣٦ - ٣٣٨ ؛

وفي أزهار الرياض (القاهرة) ج ١ ص ٢٦٥ - ٢٧٠ .

(٣) وردت بحرفة في المخطوطین : (لعمريها - بحمدها) . والتصويب من الذخيرة .

« مشيخته » ؛ روى عن أبى تمام غالب البىانى، وأبى عبد الله بن صاحب الأحباس .
 « نباهته وحظوته » ؛ وزَرَ لَزُهَيْرِ العامرى^(١) الآتى ذكره ، وارثاً الوزارة عن
 أبيه ، وهى ما هى فى قطر [مُتَحَرِّرٍ بينابيع السَّخِيلَةِ ، وَثَرَّ بِهِذِهِ الأَمْنَةُ]^(٢) مستنداً
 الى قَعَسَاءِ العِزَّةِ ، فَتَبَنَّكَ^(٣) نعيماً كثيراً ، تجاوز الله عنه .
 « دخوله غرناطة » ؛ الذى اتصل علمى أنه دخل غرناطة منكوباً حسبما يتقرر .

نكته

زعموا أنه كان أقوى الأسباب فيما وقع بين أميره زهير ، وبين باديس^(٤) . أمير
 غرناطة ، من المفسدة ، وفصل صحبه إلى وقم باديس وقبيله ، وحطه فى حيز هواه
 وطاعته ، وكان ما شاء الله من استيلاء باديس على مجملتهم ، ووضع سيوف قومه
 فيهم ، وقتل زهير ، واستئصال محلته ؛ وقبض يومئذ على أحمد بن عباس ، وجيء
 به إلى باديس ، وصدره يغلى حقدًا عليه ، فأمر بحبسه ، وشفأؤه الولوغ فى دمه ،
 وعجل عليه بعد دون أصحابه من حمله^(٥) الأعلام^(٦) . قال ابن حيان ، حديث ابن
 عباس أنه^(٧) ، كان قد ولع ببيت^(٨) شعر صيره هجواه أوقات لعبه بالشطرنج ، أو
 معنى يسنح له مستطيلاً بجده^(٩) :

(١) هو أحد زعماء الطوائف من الفتيان العامريين عقب الفتنة البربرية . استولى على المرية وحكمها
 عقب وفاة زميله خيران العامرى (٤١٨ - ٤٢٨ هـ) .

(٢) وردت هذه الكلمات محرفة فى المخطوطين : (ببحر فينابيع السنجاية وثير بهذا الأمانة) .
 والتصويب من « ت » .

(٣) أى استقر فى نعماء .

(٤) ترد هنا فى المخطوطات الثلاثة : (بادس) . والصحيح المشهور هو (باديس) .

(٥) وردت محرفة فى المخطوطات الثلاثة : جملة .

(٦) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى « ت » الأقدام ، وهو تحريف .

(٧) ساقطة فى المخطوطين . واردة فى « ت » .

(٨) وردت هاتان الكلمتان ، فى المخطوطين هكذا : ولغ بيت ، وهو تحريف ظاهر .

(٩) هكذا فى « ك » . وفى « ج » و « ت » ، بعده .

عيونُ الحوادث عني نيامٌ وهَضْمِي على الدهر شيء حَرَامٌ
وشاع بيتهُ هذا عند الناس ، وغازهم ، حتى قلب له مصراعه بعضُ الشعراء
فقال :

« سَيُوقِظُهَا قَدَرٌ لَا يَنَامُ »

فما كان إلا كلاً ولا حتى^(١) تنبّهت الحوادث لهضمه ، انتباهة^(٢) انتزعت منه
نخوته وعزّته ، وغادرتة أسيراً ذليلاً يرُسُف في وزن أربعين رطلاً من قيده ، منزعجاً
من عضه لساقه البضة^(٣) ، التي تألمت من ضغطة جوربه ، يوم أصبح فيه أميراً
مطاعاً أعتى^(٤) الخلق على بابه ، وآمنهم بمكره ، فأخذه أخذَ ملكٍ مقتدر ، والله
غالبٌ على أمره .

وفاته

قال أبو مروان : كان باديس قد أرجأ قتله مع جماعة من الأسرى ، وبذل في
فداء نفسه ثلاثين ألف دينار من الذهب العَيْن ، مالت إليها نفسُ باديس ، إلا أنه
عرّض ذلك على أخيه بُلكَيْن^(٥) ، فأنف منه ، وأشار عليه بقتله ، لتوقعه^(٦)
إثارة فتنة أخرى على يديه ، تأكل من ماله أضعاف فديته . قال فانصرف يوماً

(١) وردت هنا في « ت » هذه العبارة : (تيقظت إليه ونهبت) وهي ساقطة في المخطوطين .

وفي الذخيرة الذي نقل نص ابن حيان الأصلي . ولذلك أسقطناها .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » انباهة .

(٣) وردت هذه العبارة محرفة في « ت » (من غصه لسانه العضه)

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » وردت محرفة : على .

(٥) جرى النسخ في المخطوطات الثلاثة على كتابة اسم « بلقين » بالقاف . ولكننا فضلنا كتابتها

حينما وردت « بالكاف » أي « بلكين » . وهو الرسم الذي يورده ابن خلدون أوثق حجة في الأعلام البربرية ،

وكذلك السلاوي في « الاستقصاء » ، وابن خلكان في « وفيات الأعيان » .

(٦) وردت في المخطوطين محرفة (لتفرقه - لتفرنمه) .

من بعض رَكَبَاتِهِ مع أخيه ، فلما توسط الدار التي فيها أحمد بقَصَبَةِ غَرْ نَاطَةِ ، لصق القصر ، وقف هو وأخوه بِلَكَيْنٍ ، وحاجبُهُ على بن القَرَوِي ، وأمر بإخراج أحمد إليه ، فأقبل يَرُسُفُ في قيده حتى وقف بين يديه ، فأقبل على سَبِّهِ وتبكيته بذنوبه ، وأحمدُ يتلطف إليه ، ويسأله إِرَاحَتَهُ مما هو فيه ، فقال له : « اليوم تستريح من هذا الألم ، وتنتقل إلى ما هو أشد » ؛ وجعل يُرَاطِنُ أخاه بالبربرية^(١) ، فبان لأحمد وجه الموت ، فجعل يكثرُ الضَّرَاعَةَ ، ويضعفُ عدد المال ، فأثار غضبه ، وهز مِرْزَاقَهُ ، وأخرجه من صدره ؛ فاستغاث [الله]^(٢) ، زعموا ، عند ذلك ، وذكر أولاده وحرمه ؛ لِلْحَيْنِ أمر باديس بحزّ رأسه ، ورُمِيَ^(٣) خارج القصر .

حدّث خادم باديس ، قال : رأيت جسد ابن عباس ثاني يوم قتله ، ثم قال لي باديس ، خُذْ رأسه ووارِه مع جسده ؛ قال : فنبشتُ قبره ، وأضفتُهُ إلى جسده ، بِجَنْبِ أَبِي الفُتُوح قَتِيلِ باديس أيضاً . وقال لي باديس : ضع عدوًّا إلى جَنْبِ عدُو ، إلى يوم القِصاص ؛ فكان قتلُ أَبِي جعفر عَشِيَّةَ الحادِي والعشرين من ذِي حِجَّة سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، بعد اثنين وخمسين يوماً من أسره . وكان يوم مات ابن ثلاثين سنة . [نفعه الله ورحمه]^(٤) .

(١) وردت في « ك » بالبربارية . وفي « ج » بالبرية .

(٢) واردة في « ك » . وساقطة في « ج » .

(٣) وردت في « ك » وروى . وفي « ج » وروى ، وهو تحريف حسبما يتضح بعد من السياق .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في « ج » . ووردت في « ك » (رحمه الله ونفعه) .

أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية القضاعي

من أهل مراكش ، وأصله القديم من طرطوشة^(١) ، ثم بعد ، من دانية^(٢) ،
يكنى أبا جعفر .

« حاله » ؛ كان كاتباً بليغاً ، سهل المأخذ ، مُنقاد القريحة ، سيال الطبع^(٣) ،
رائق الحظ .

« مشيخته » ؛ أخذ عن أبيه ، وعن طائفة كبيرة من أهل مراكش .

نباهته

كتب عن [على]^(٤) بن يوسف بن تاشفين ، وعن ابنه^(٥) تاشفين ، وعن
أبي إسحاق^(٦) . وكان أحظى كتبهم . ثم لما انقطعت دولة كمتونة ، دخل في كفيف
الناس ، وأخفى نفسه . ولما أثار الماسي^(٧) الهداية بالسوس ، ورمى الموحدين

(١) طرطوشة وبالإسبانية Tortosa من مدن الأندلس القديمة ومن قواعد الشجر الأعلى ، وتقع
على مصب نهر إيبرو جنوب غربي برشلونة .

(٢) ودانية من ثغور الأندلس القديمة . تقع جنوبي بلنسية على لسان بارز في البحر . وقد كانت
أيام الطوائف قاعدة لمملكة مجاهد العامري أمير دانية والجزائر الشرقية (البليار) . وبالإسبانية Denia

(٣) هكذا وردت في « ك » . ولكنها وردت في « ج » (القريحة) للمرة الثانية ، وهو سهو .

(٤) هذا الإسم ساقط في المخطوطين ، وإثباته ضروري للسياق .

(٥) وردت في المخطوطين : أبيه . وهو تحريف . لأن تاشفين هو ابن علي بن يوسف .

(٦) في إيراد هذه العبارة التاريخية بعض الغموض والخلط . فإن الذي كتب عن علي بن يوسف ثم
عن ولده تاشفين ، هو أبو جعفر بن محمد بن عطية والد صاحب الترجمة (انظر ابن خلدون ج ٦ ص ٢١٢ .
والاستقصاء للسلوى ج ١ ص ١٥٢) . أما صاحب الترجمة أحمد بن أبي جعفر فقد خدم أبا إسحاق
(وليس إسحاق كما ورد في المخطوطين) إبراهيم بن علي بن يوسف . وهو الذي انقضت على يده دولة
المرابطين في المغرب سنة ٥٤١ هـ . (١١٤٦ م) .

(٧) هو محمد بن هود الماسي ، أصله من أهل سلا . وقد خرج بالسوس داعياً ضد الموحدين ،
وجمع لمحاربتهم جيشاً كبيراً ، وهزمهم في البداية ، ولكنه هزم في النهاية وقتل ، وذلك في أواخر سنة ٥٤١ هـ
(راجع ابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٢ ، والاستقصاء ج ١ ص ١٥٢) .

بَحَجَرَهُمُ الَّذِي رَمَوْا بِهِ الْبِلَادَ ، وَأَعْيَا أَمْرُهُ ، وَهَزَمَ جِيوشَهُمُ الَّتِي جَهَزُوهَا إِلَيْهِ ،
وَانْتَدَبَ مِنْهُمْ إِلَى مَلَاقَاتِهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ يَحْيَى الْهَنْتَاتِي ، فِي جَيْشِ خَشْنٍ مِنْ
فَرَسَانٍ وَرَجَالَةٍ ، كَانَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ عَطِيَّةٍ ، مِنَ الرَّجَالَةِ ، مُرْتَسِمًا بِالرَّمَايَةِ ، وَالتَّقَى
الْجَمْعَانِ ، فَهَزَمَ جَيْشَ الْمَاسِيِّ ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ الْمُوَحِّدُونَ ^(١) ، وَقُتِلَ الدَّعِيُّ الْمَذْكُورُ ؛
وَعَظُمَ مَوْقِعُ الْفَتْحِ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْغَالِبِ يَوْمَئِذٍ أَبِي حَفْصٍ عُمَرُ ، فَأَرَادَ إِعْلَامَ الْخَلِيفَةِ
عَبْدَ الْمُؤْمِنِ ، بِمَا سَنَاهُ اللَّهُ ، فَلَمْ يَلْقَ فِي جَمِيعٍ مِنْ اسْتَصْحَبِهِ مَنْ يُجَلِّي عَنْهُ ، وَيُؤْفَى
مَا أَرَادَهُ ، فَذُكِرَ لَهُ أَنَّ فَتًى مِنَ الرَّمَاةِ يُخَاطِرُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَدَبِ وَالْأَشْعَارِ وَالرِّسَائِلِ
فَاسْتَحْضَرَهُ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ غَرَضَهُ ، فَتَجَاهَلَ وَظَاهَرَ بِالْعَجْزِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ عِذْرَهُ ،
وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ رِسَالَةً فَائِقَةً مَشْهُورَةً . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهَا وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ ، اشْتَدَّ
إِعْجَابُهُ بِهَا ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَاعْتَنَى بِهِ ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ ذُخْرٌ يُتَحَفُّ بِهِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ ؛
وَأَنْفَذَ الرِّسَالَةَ ، فَلَمَّا قُرِئَتْ بِمَحْضَرِ أَكْبَارِ الدَّوْلَةِ ، عَظُمَ مَقْدَارُهَا ، وَنَبِهَ فَضْلُ
مَنْشِئِهَا ؛ وَصَدَرَ الْجَوَابُ ، وَمِنْ فُصُولِهِ الْإِعْتِنَاءُ بِكَاتِبِهَا ^(٢) ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِ ،
وَاسْتَصْحَابُهُ مَكْرَمًا . وَلَمَّا أُدْخِلَ عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ، سَأَلَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَحْظَاهُ لَدَيْهِ ،
وَقَلَّدَهُ خُطَّةَ الْكِتَابَةِ ، وَأَسْنَدَ إِلَيْهِ وَزَارَتَهُ ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا ؛
فَنَهَضَ بِأَعْيَاءِ مَا فُوضَ إِلَيْهِ ، وَظَهَرَ فِيهِ اسْتِقْلَالُهُ ، وَغِنَاؤُهُ ، وَاشْتَهَرَ بِأَجَلِ السَّعْيِ
لِلنَّاسِ ، وَاسْتِمَاتِهِمْ ^(٣) بِالْإِحْسَانِ ، وَعَمَّتْ صَنَائِعُهُ ، وَفُشِيَ مَعْرُوفُهُ ، فَكَانَ مَحْمُودَ
السَّيْرِ ، مُنْتَحَبًا الْمَحَاوِلَاتِ ، نَاجِحَ الْمَسَاعِي ، سَعِيدَ الْمَأْخِذِ ، مُيسِّرَ الْمَآرِبِ ؛
وَكَانَتْ وَزَارَتُهُ زَيْنًا لِلْوَقْتِ ، كَمَالًا لِلدَّوْلَةِ .

(١) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » : الْمُوَحِّدِينَ . وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « ك » . وَوَرَدَتْ مُحَرَّفَةً فِي « ج » بِكُتَابَتِهَا .

(٣) هَكَذَا فِي « ن » ، وَفِي « ج » ، وَاسْتِمَاتَتْ .

محتـه

قالوا : واستمرت حالته إلى أن بلغ الخليفة عبد المؤمن أن النصارى غزوا^(١) قَصَبَةَ المَرِيَّةَ ، وتحصَّنوا بها ، واقتن بذلك تقديمُ ابنه يعقوب على إشبيلية ، فأصبحه أبا جعفر بن عطية ، وأمره أن يتوجه بعد استقرار ولده بها ، إلى المَرِيَّةِ ؛ وقد تقدم إليها السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن ، وحَصَرَ من بها من النصارى ، وضيق عليهم ليحاول أمر إنزالهم ، ثم يعود إلى إشبيلية ، ويتوجه منها مع واليها^(٢) ، إلى مُنازلة الثائر بها على الوهبي ، فعمل على ما حاوله من ذلك ، واستنزل النصارى من المَرِيَّةِ على العهد ، بحسن محاولته^(٣) ؛ ورجع السيد أبو سعيد إلى غرناطة ، مُزَعَّجِينَ إليها ، حتى يسبق جيش الطَّاغِيَّةِ ؛ ثم انصرف إلى إشبيلية ليقضى الغرض من أمر الوهبي . فعند ما خلا منه الجوُّ ، ومن الخليفة مكانه ، وجدت حُسَّاده ، السبيل إلى التَّديِر عليه ، والسعى به ، حتى أوغروا^(٤) صَدْرَ الخليفة ؛ فاستوزر عبد المؤمن ، ابن عبد السلام بن محمد الكومي ، وانبرى لمطالبة^(٥) ابن عطية ، وجدَّ في التماس عَوْرَاتِهِ ، وتشنيع سَقَطَاتِهِ ، وأغرى به صنایعه ، وشحن عليه حاشيته ، فبرأوا وراشوا وانقلبوا ؛ وكان مما نَقِمَ على أبي جعفر ، نِكاة القَرَحِ بالقَرَحِ ، في كونه لم يقف في اصطناع العدَدِ الكثير من اللَّمتونيين ، وانتياشهم من خُمُولهم ، حتى تزوج بنت يحيى الحمار من أمرائهم ؛ وكانت أمُّها زينب بنت علي بن يوسف ، فوجدوا^(٦)

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » عدوا .

(٢) وردت في المخطوطين : واليها . وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » ولايته . والأولى أصلح للسياق .

(٤) في المخطوطين : وأغروا .

(٥) وردت في المخطوطين : لمطالبتة . والتصويب أرجح .

(٦) وردت في المخطوطين : فوجد بالمفرد . والسياق يقتضى صيغة الجمع .

السَّيْلُ بِذَلِكَ إِلَى اسْتِئْصَالِ شَأْنِهِ ، [والحكام] ^(١) ، حَتَّى نَظَّمَ مِنْهُمْ مِرْوَانَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، طَلِيقَهُ وَمُسْتَرْقُ اسْطِنَاعِهِ ، أَيْبَاتًا طُرِحَتْ بِمَجْلِسِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ :
 قُلْ لِلْإِمَامِ ^(٢) أَطَالَ اللَّهُ مَدَّتَهُ قَوْلًا تَبَيَّنَ لَدَى لَبِّ حَقَائِقِهِ
 إِنْ الزَّرَاحِينَ ^(٣) قَوْمٌ قَدْ وَثَرَتْهُمْ وَطَالِبُ الثَّارِ لَمْ تُؤْمَنْ ^(٤) بَوَائِقُهُ
 وَلِلْوَزِيرِ إِلَى آرَائِهِمْ مِيلٌ لِذَاكَ مَا كَثُرَتْ فِيهِمْ عِلَائِقُهُ
 فَبَادِرِ الْحَزْمِ فِي إِطْفَاءِ نَارِهِمْ فَرَبَّمَا عَاقَ عَنْ أَمْرِ عَوَائِقِهِ
 هُمُ الْعَدُوُّ وَمَنْ وَالَاهُمْ كُهُمُ فَاحْذَرِ عَدُوَّكَ وَاحْذَرِ مَنْ يُصَادِقُهُ
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ وَالْحَقُّ أَبْلَجُ لَا تَخَفِ طَرَائِقُهُ

قالوا ، ولما وقف عبد المؤمن على هذه الأبيات البليغة في معناها ، وغر صدره على وزيره الفاضل أبي جعفر ، وأسرَّ له في نفسه تغييراً ، فكان ذلك من أسباب نكبته . وقيل أفضى إليه بسر فأفشاه ^(٥) . وانتهى ذلك كله إلى أبي جعفر وهو بالأندلس ، فقلق وعجل الانصراف إلى مرَّاكش ، فحُجِبَ عند قدومه ، ثم قيد إلى المسجد في اليوم الثاني بعده ، حاسِرَ العمامة ، واستحضر الناس على طبقاتهم ، وقرروا ما يعلمون من أمره ^(٦) ، وما صار إليهم منه ، فأجاب كلُّ ما اقتضاه هواه ، فأمر بسجنه ، ولفَّ معه أخوه أبو عقيل عطية ؛ وتوجَّه عبد المؤمن في إثر ذلك ، زائراً إلى تربة المهدي ، فاستصحبهما منكوبين بحال ثقافٍ ؛ وصدرت عن أبي جعفر ، في هذه الحركة ، من لطايف الأدب ، نظماً ونثراً في سبيل التوسُّل بتربة

(١) وردت هذه الكلمة في المخطوطين . ولم نستبن صلتها بالسياق .

(٢) هكذا وردت في « ك » وفي « ح » . الأمير ، والأولى أرجح .

(٣) في المخطوطين : الزراحين ، والتصويب من الاستقصاء .

(٤) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » توقد .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » فافشى .

(٦) في المخطوطين : أمرهم . والتصويب من الاستقصاء .

إمامهم ، عجائب لم تُجَدِ^(١) ، مع نفوذ قَدَر الله فيه ؛ ولما انصرف من وجهته أعادها معه ، قافلاً إلى مراکش ؛ فلما حاذى^(٢) تاقمَرَت^(٣) ، أنفذ الأمر بقتلهما ، بالشَّعراء المتَّصلة بالحصن على مقربة من المَلَّاحة هنالك ، فمضيا لسبيلهما ، رحمهما الله .

شعره وكتابه

كان مما خاطب به الخليفة عبد المؤمن مُسْتَعظِفاً كما قلناه من رسالة :

« تالله لو أحاطت بي خطيئةٌ ، ولم تَنفَكْ نفسى عن الخيرات بطيئةٌ ، حتى سَخِرْتُ بِنِ في الوجود ، وأنفَتُ لآدم من السجود ، وقلتُ إن الله لم يُوحِ إلى الفلك إلى نوح ، وبرَّيْتُ لقرار ثمود نبلاً ، وأبرمتُ لخطب نار الخليل حبلاً ، وحطَّطْتُ^(٤) عن يونس شجرة اليقطين ، وأوقدتُ مع هامان على الطين ، وقبضتُ قبضةً [من الطَّير]^(٥) من أثر الرسول فنبذتها ، وافتريتُ على العذراء البتول فقدقتها ، وكتبتُ صحيفة القطيعة بدار الندوة ، وظهرتُ الأحزاب بالقُصوى من العدو ، وذممتُ كل قُرشى ، [وأكرمتُ لأجل وحشى كل حبشى]^(٦) ، وقلتُ إن بيعة السَّقيفة^(٧) لا توجب لإمام^(٨) خليفة ، وشحذتُ

(١) فى المخطوطين : توجد ، وهو تحريف ظاهر .

(٢) وردت فى « ج » ، حاذت . وفى « ك » ، حاد .

(٣) هكذا فى « ك » . وفى « ج » ، قمريت . وينطق اسم هذه البلدة أحياناً : تاكرت ، وتغمريت .

(٤) وردت فى المخطوطين : انحططت ، والتصويب يقتضيه السياق .

(٥) وردت هاتان الكلمتان فى « ك » وأغفلتا فى « ج » .

(٦) وردت هذه العبارة فى المخطوطين هكذا . (وأكرمت لأجل كل وحشى) . والزيادة والتصويب

من الاستقصاء .

(٧) وردت فى « ك » ، وأغفلت فى « ج » .

(٨) هكذا وردت فى « ج » وفى « ك » لإمام . والأولى أصوب .

شفرة غلام المغيرة [بن شعبة]^(١) ، واعتَلَقْتُ من حصار الدار وقتل أَشْمَطَهَا^(٢) بشُعبة ، وغادرت الوجه من الهامة خضيباً ، وناولت من قرع سن الحسين قضييًّا ، ثم أتيت حَضْرَةَ الْمُعْصُومِ لائِذَاً ، وبقبر الإمام المهديِّ عَائِذَاً^(٣) ، لقد آن لمقاتلي أن تُسمع ، وأن تُغفر لي هذه الخطيئاتُ أَجْمَعُ :

فَعَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَنْ لَنَا بِحَمْلِ قُلُوبٍ هَدَّهَا الْخَفَقَانُ
عَطْفًا عَلَيْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ بَانَ الْعِزَاءُ لِفَرْطِ الْبَثِّ وَالْحُزَنِ
قَدْ أَغْرَقْنَا ذُنُوبًا كَلِمًا لُجَجٌ وَعُطْفَةٌ مِنْكُمْ أَنْجَى مِنَ السُّفْنِ
وَصَادَفْتَنَا سِهَامٌ كُلِّهَا غَرَضٌ لَهَا وَرَحْمَتُكُمْ أَوْقَى مِنَ الْجَنَنِ
هِيَهَاتَ لِلْخَطْبِ أَنْ تَسْطُو حَوَادِثُهُ بِمَنْ أَجَارَتْهُ رَحَاكُم مِّنَ الْمِحَنِ
مَنْ جَاءَ عِنْدَكُمْ يَسْعَى عَلَى ثِقَةٍ بِنَصْرِهِ لَمْ يَخَفْ بَطْشًا مِنَ الزَّمَنِ
فَالثُّوبُ يَطْهَرُ بَعْدَ الْغَسْلِ مِنْ دَرَنِ وَالطَّرْفُ يَنْهَضُ بَعْدَ الرَّكْضِ مِنْ وَسَنِ
أَنْتُمْ بَدَلْتُمْ حَيَاةَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ مِنْ دُونَ مَنْ عَلَيْهِمْ لَا وَلَا ثَمَنٍ
وَنَحْنُ مِنْ بَعْضِ مَنْ أَحْيَيْتُمْ مَكَارِمَكُمْ تِلْكَ الْحَيَاتَيْنِ مِنْ نَفْسٍ وَمِنْ بَدَنِ
وَصِيبِيَّةَ كَفْرَاخِ الْوَرَقِ مِنْ صِفَرٍ لَمْ يَأْلَفُوا النَّوْحَ فِي فِرْعٍ وَلَا قَنَ
قَدْ أَوْجَدْتَهُمْ^(٤) أَيَادٍ مِنْكَ سَابِقَةً وَالْكُلُّ لَوْلَاكَ لَمْ يُوْجَدْ وَلَمْ يَكُنْ

ومن فصول رسالته التي كتب بها عن أبي حفص ، وهي [التي]^(٥) أورثته
الكتابة العلية والوزارة كما تقدم قوله :

(١) هاتان الكلمتان ساقطتان في « ج » .

(٢) وردت في المخطوطين : شمطها .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » لائذا .

(٤) وردت في المخطوطين : أوجبتهم . والتصويب من الاستقصاء .

(٥) ساقطة في المخطوطين .

« كتبنا هذا من وادى ماسة بعد ما تَزَحْزَح من أمر الله الكريم ، ونصر الله المعلوم ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم . فتح بمسرى الأنوار إشراقاً ، وأحْدَق بنفوس المؤمنين إحداقاً ، ونبه للأمانى النائمة جفوناً وأحداقاً ، واستغرق غاية الشكر استغراقاً ، فلا تطيق الألسن كُنْه^(١) وَصْفه إدراكاً ولا لحاقاً ؛ جمع أَشْتَات الطبِّ والأدب ، وتقلَّب في النعم أكرم مُنْقَلَب ، وملاً دِلْء الأمل إلى عقد الكَرْب .

فَتَحُّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقَشْبُ

وتقدَّمت بشارتنا به جملة ، حين لم تعط الحال بشرحه مُهْلَةً . كان أولئك الضالُّون المرتدون قد بطروا عدواناً وظلماً ، واقتطعوا الكُفْرَ مَعْنَى وإسمًا ، وأملَى لهم الله ليزدادوا إثمًا^(٢) ؛ وكان مقدِّمهم الشَّقَى قد استمال النفوس بِخُرْعِ عِبَالَتِهِ ، واستهوى القلوب بِمَهْوَلَاتِهِ ، ونصب [له]^(٣) الشيطان من حِبَالَاتِهِ ، فَأَتَتْهُ الْخَاطِبَةُ من بُعْدٍ وَكُتِبَ ، وَنَسَلَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ^(٤) من كل حزب ، واعتقدته الخواطر أُعْجَبَ عَجَبٌ ؛ وكان الذى قادهم لذلك ، وَأُورِدَهُمْ تِلْكَ الْمِهَالِكَ ، وَصُولُ مَنْ بَتَلَكَ السَّوَاهِلَ ، مِمَّنْ ارْتَسَمَ بِرَسْمِ الْإِنْقِطَاعِ عَنِ النَّاسِ ، فِيمَا سَلَفَ مِنَ الْأَعْوَامِ ، واشتغل على رَغْمِهِ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ ، آتَاءَ اللَّيْلِ وَالْأَيَّامِ ، لبسوا الناموس أثواباً ، وتدرَّعوا الرياء جِلْبَاباً ، فلم يفتح الله لهم إلى التوفيق باباً .

ومنها فى ذكر صاحبهم :

« فَضَّرَعَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِحِينِهِ ، وَبَادَرَتْ إِلَيْهِ بَوَادِرُ مَنُونِهِ ، وَأَتَتْهُ وَافِدَاتُ الْخَطِيبَاتِ عَنِ يَسَارِهِ وَيَمِينِهِ ، وَكَانَ يَدَّعَى أَنَّ الْمَنِيَّةَ فِي هَذِهِ الْأَعْوَامِ لَا تَصِيبُهُ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ

(١) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : الا لكته ، وهو تحريف .

(٢) واردة فى « ج » ، وساقطة فى « ك » .

(٣) وردت فى « ج » . وأغفلت فى « ك » .

(٤) هكذا فى « ج » . ووردت فى « ك » الرمل .

يُبَشِّرُ بِذَلِكَ وَالنَّوَابِ لَا تَنْوِبُهُ ؛ وَيَقُولُ فِي سِوَاهُ قَوْلًا كَثِيرًا ، وَيَخْتَلِقُ ^(١) عَلَى
 اللَّهُ إِنْكَارًا وَزُورًا ؛ فَلَمَّا عَايَنُوا هَيْئَةَ اضْطِجَاعِهِ ، وَرَأَوْا مَا خَطَّتْهُ ^(٢) الْأَسِنَّةُ فِي
 أَعْضَائِهِ ^(٣) ، وَنَفَذَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى اسْتِرْجَاعِهِ ؛ هَزُمَ لَهُمْ مَنْ كَانَ
 لَهُمْ مِنَ الْأَحْزَابِ ، وَتَسَاقَطُوا عَلَى وَجُوهِهِمْ كَتَسَاقُطِ الذَّبَابِ ، وَأَعْطَوْا عَنْ
 بَكْرَةٍ ^(٤) أَبِيهِمْ صَفْحَةَ الرِّقَابِ ، وَلَمْ تَقْطُرْ كَلِمَتُهُمْ إِلَّا عَلَى الْأَعْقَابِ ؛ فَامْتَلَأَتْ تِلْكَ
 الْجِهَاتُ بِأَجْسَادِهِمْ ، وَأَذِنَتْ ^(٥) الْأَجَالُ بِانْقِرَاضِ آمَالِهِمْ ، وَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ
 وَفُسَادِهِمْ ؛ فَلَمْ يُعَايِنْ مِنْهُمْ إِلَّا مِنْ خَرَّتْ صَرِيحًا ^(٦) وَسَقَى الْأَرْضَ نَجِيمًا ، وَلَقِيَ مِنْ
 وَقَعِ الْهِنْدِيَّاتِ أَمْرًا فُظِيحًا ؛ وَدَعَتِ الضَّرُورَةُ بِأَقِيمِهِمْ إِلَى التَّرَامِي فِي الْوَادِي ، فَمَنْ كَانَ
 يُؤْمِلُ الْفِرَارَ مِنْهُمْ وَيَرْتَجِيهِ ، وَيَسْتَبَحُ طَامِعًا فِي الْخُرُوجِ إِلَى مَا يُنْجِيهِ ، اخْتِطَفَتْهُ
 الْأَسِنَّةُ اخْتِطَافًا ، وَأَذَاقَتْهُ مَوْتًا ذُعَافًا ؛ وَمَنْ لَجَّ فِي التَّرَامِي عَلَى لُجْبِهِ ، وَرَامَ الْبَقَاءَ
 فِي ثَجِّهِ ، قَضَى عَلَيْهِ شَرْقُهُ ، وَأَلْوَى فَرَقَتْهُ غُرْقُهُ ^(٧) . وَدَخَلَ الْمُوَحِّدُونَ إِلَى الْبَاقِيَةِ
 الْكَائِنَةِ فِيهِ ، يَتَنَاولُونَ قِتَالَهُمْ طَعْنًا وَحَرْبًا ^(٨) ، وَيَلْقَوْنَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ هَوْنًا عَظِيمًا وَكَرْهًا ،
 حَتَّى سَطَّتْ ^(٩) مَرَاقَاتُ الدَّمَاءِ عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ ، وَحَكَتْ مُحَرِّقُهَا عَلَى زُرْقِهِ ، حَمْرَةَ
 الشَّفَقِ عَلَى زُرْقِ السَّمَاءِ ؛ وَظَهَرَتِ الْعِبْرَةُ لِلْمُعْتَبِرِ ، فِي جَرَى الدَّمَاءِ جَرًى ^(١٠)
 الْأُبْحُرِ . «

(١) فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : وَيَخْلُقُ . وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي التَّصْوِيبَ .

(٢) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » خَطْبَتُهُ .

(٣) وَرَدَتْ مَحْرَفَةٌ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : فِي « ج » أَعْطَايَهُ . وَفِي « ك » أَغْطَا بِهِ .

(٤) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » ، الْكَرَّةُ .

(٥) فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : وَادْنَتْ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : سَرِيحًا . وَالتَّصْوِيبُ أَنْسَبُ .

(٧) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « ك » . وَفِي « ج » ، عَرَقُهُ .

(٨) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » ، وَضَرَبَا .

(٩) وَرَدَتْ مَحْرَفَةٌ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : اسْطَطَتْ فِي « ج » . وَاسْطَطَتْ فِي « ك » .

(١٠) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : تَجَرَّى . وَالتَّصْوِيبُ يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

دخوله غرناطة

احتلّ بغرناطة عام إحدى وخمسين وخمسمائة ، لما استدّعي أهل جهات ألمرية ، السيد [أبا سعيد] ^(١) إلى مُنازلة من بها من النصارى ؛ وحشد ، ونزل عليها ، ونصب المجانيق على قصبّتها ، واستصرّخ من بها الطاغية ^(٢) ، فأقبل إلى نصرهم ؛ واستمد السيد أبو سعيد الخليفة ، فوجّه إليه الكبير أبا جعفر بن عطيه صُحبة السيد أبي يعقوب ابنه ، فلحق به ، واتّصل الحصار شهوراً سبعة ، وبُذل الأمنُ لمن كان بها ، وعادت إلى مَلَكَة الإسلام ، وانصرف الوزير أبو جعفر صُحبة السيد أبي يعقوب إلى إشبيلية ، وجرت أثناء هذه أمور يطول شرحها ؛ ففي أثناء هذه الحركة دخل أبو جعفر غرناطة ، وعُدّ فيمن ورد عليها .

مولده

بمراكش عام سبع وعشرين وخمسمائة .

وفاته

على حسب ما تقدم ذكره لليلة ، بقيت من صفر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .

(١) وردت هذه الكلمة في « ك » وأغفلت في « ج » .

(٢) يقصد بالطاغية هنا ألفونسو ريموندس ملك قشتالة الذي حكم من سنة ١١٢٦ - ١١٥٧ م . وفي عصره استطاعت الأساطيل والبحيوش النصرانية المتحدة أن تنتزع ألمرية من يد المرابطين (٥٤٢ هـ - ١١٤٧ م) . واستمرت ألمرية في يد النصارى زهاء عشرة أعوام حتى حاصرها الموحدون بشدة وفق ما هو مسطور . وحاول النصاي وحليفهم ابن مردنيش أمير بلنسية وخصم الموحدين ، انقاذها من السقوط . ولكن ذهبت جهودهم سدى وسقطت ألمرية في يد الموحدين ، وعادت إلى قبضة الإسلام في سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) وأفرج عن حاميتها النصرانية بالأمان .

أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني

من أهل فاس ؛ يكنى أبا العباس ، ويعرف بابن شعيب من كرية ، قبيلة من قبائل الرّيف العربي .

حاله

من « عائد الصّلة » : من أهل المعرفة بصناعة الطب ، وتدقيق النظر فيها ، مشاركاً في الفنون ، وخصوصاً في علم الأدب ، حافظاً للشعر ؛ ذكر أنه حفظ منه عشرين ألف بيت للمُحدثين ، والغالب عليه العلوم الفلسفية ؛ وقد مُقت لذلك ، وتهبّت في علم الكيمياء ، وخلع فيه العذار ، فلم يحل بطائل ، إلا أنه كان تفوّه^(١) بالوصول ، شنّنة المفتونين بها على مدى الدهر . وله شعر رائق ، وكتابة حسنة ، وخط ظريف . كتب في ديوان سلطان المغرب مُرساً ، وتسرى جارية رومية اسمها صُبْح ، من أجمل الجوارى حسناً ، فأدّبها حتى لُقنت حظاً من العربية ، ونظمت الشعر ، وكان شديد الغرام بها ، فهلكت أشدّ ما كان حبّاً لها ، وامتداد أمل فيها ؛ فكان بعد وفاتها لا يُرى إلا في تأوّه دائم ، وأسف مُتّادٍ ، وله فيها أشعار بديعة في غرض^(٢) الرّثاء .

مشيخته

قرأ في بلدّه فاس على كثير من شيوخها ، كالأستاذ أبي عبد الله بن أجروم نزيل فاس ، والأستاذ أبي عبد الله بن رشيد^(٣) ؛ وصل إلى تونس ، فأخذ منها

(١) هكذا في المخطوطين بصيغة الماضي .

(٢) وردت في المخطوطين : عرض .

(٣) هكذا ورد اسمه في « ج » . وفي « ك » رشد .

الطَّبَّ والهيئة على الشيخ رُحْلَةً^(١) وقته في تلك الفنون ، يعقوب بن الدَّرَّاس .
 وكان مما خاطب به الشيخ أبا جعفر بن صَفْوَان ، وقد نشأت بينهما صداقة أوجبها
 القدر المشترك من الولوع بالصَّنعة المَرْمُوزة ، يتشوّق إلى جهة كانوا [يَخْلُون بها]^(٢)
 للشيخ فيها ضَيِّعة بخارج مألقة كَلَأها الله :

رعى الله وادى شَنِيانَةً وتلك الغدَايا^(٣) وتلك اللَّيال
 ومَسْرَحنا بين خُضر الغصون ووَدَّق المِياه وسِخِر الظَّلَال
 ومَرَّتَعُنَا تحت أدْوَاحه ومَكْرَعُنَا في النَّمير^(٤) الزلال
 نُشاهد منها كَعَرَض الحُسام إذا ما انتَشَت فوقه كالعوال
 ولله من دُرِّ حَصْبائه لَالٍ وأَحْسِن بها من لَال
 ولیل به في سُتُور^(٥) الغُصون كخودٍ ترنَّم فوق الحِجَال
 وأَسْحارُهُ كيف راقَتْ وصَحَّ النسيمُ بها في اعتدال
 ولله منك أبا جعفر عَميد^(٦) الحلال حميدَ الخِلال
 تُطارِحُنِي برُموز الكُكنو ز وتُسفر لى عن معانى المعال
 وتُبَدِّلُنِي في شجون الحديث ويا طِيبَه كلَّ سِخِرٍ حَلالٍ
 فألقُطُ من فيك سِخِرَ البیان مجبباً به عن عريض النّوال
 أفدتُ الذى دونها معشرٌ كثير المقال قليل النّوال
 فأصبحتُ لا أبتَغى بعدها سواك وبعدكُما لا أبال

(١) أى رحالة .

(٢) هذه العبارة وردت في « ج » . وأغفلت في « ك »

(٣) وردت محرفة في المخطوطين : العدايا .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » النهر .

(٥) وردت في المخطوطين : الستور .

(٦) هكذا في « ج » . وفي « ك » عيد .

وخاطب الفقيه العالم أبا جعفر بن صفوان يسأله [عن]^(١) شيء من علم الصناعة بما نصه :

دارُ الهوى نجدُ وساكنها أقصى أمانى النفس من نجدٍ
ومما صدر به رسالة :

أُجمَع هذا الشمل بعد شتاته ويوصل هذا الحبل بعد انبتاته
أما للبلى آية عيسوية فينشر ميت الأنس بعد مماته
ويورد عيني بعد ملح مدامعى برويته فى عذبه وفراته
وأنشده صاحبنا الفقيه الجليل صاحب العلامة^(٢) بالمغرب ، أبو القاسم بن صفوان قوله :

يا ربّ ظبى شعاره نُسك الحاظه فى الورى لها فتك
يترك من هام به مكتئباً لا تعجبوا أن قومه الترك
أشكو له ما لقيت من حرق فثنا^(٣) لاهياً إذا أشكو
صبرت حتى أطلّ عارضه فكان صبرى ختامه منك
ومن المعاتبة والفكاهة قوله :

وبائع للكتب يتاعها بأرخص السوم وأغلاه
فى نصف الاستذكار أعطيته وتحض العين وأرضاه
وله أيضاً :

يا من توعّدتى بنجاث هجره إن السلو لدون ما يتوعّد

(١) واردة فى « ج » . وساقطة فى « ك » .

(٢) صاحب العلامة أو كاتب العلامة ، هو الذى يتولى التوقيع باسم السلطان وشارته على المخاطبات والمراسيم الماكية ، وكانت هذه الوظيفة من أهم الوظائف الإدارية فى القصور المغربية .

(٣) وردت فى المخطوطين محرقة : (فشى : فشا) .

هذا عذارك وهو موضع سَلَوْتِي فأَكْفِفْ فقد سبق الوعيدَ المَوْعِدُ
وأظن سَلَوْتَنَا غداً أو بعده فبذاك خبرنا الغرابُ الأسود
وله أيضاً :

قال العذول تنقُصاً لجمالها هذا حبیبك قد أطلَّ عِذاره
لا بل بدا فصلُ الربيعِ بِخَدِّه فلذا تساوى ليله ونهاره
وله يرثى :

يا قبرَ صُبح حلَّ فيك بمهجتي أَسْنَى الأمانى^(١)
وغدوتَ بعد عيانها^(٢) أشهى البقاع إلى العيان
أخشى المَنِيَةِ إِنْهَا [تُقْصَى]^(٣) مكانك عن مكان
كم بين مَقْبُور بف لاس وقابر بالقيرُوان
وله أيضاً يرثيها :

يا صاحبَ القبر الذي أعلامه وثابت حَبَّه لم يُدْرَس
مالِياسُ مِنْكَ على التَصَبُّرِ حاملي أياستنى فكأنتى لم أياَس
لما ذهبتَ بكل حُسْنٍ أصبحت نفسى تُعانى شَجْو كلِّ الأَنفس
أصبحُ أياى ليالٍ كُلُّها^(٤) لا تَنجلى عن صُبْحِكَ المَتَنَفِّس

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » الأمان .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » بقاعها .

(٣) وردت هذه الكلمة في المخطوطين بالرسم الآتى (تصصى) . ووردت في « ت » تنفى . واعتقد أن هذا التصويب في محله .

(٤) وردت هذه الشطرة محرفة في المخطوطين : (صبح أياى ليل كلها) . وفي « ت » (صبح أياى كلها ليل) . والوزن لا يستقيم بهذه النصوص .

وقال في ذلك :

أعلمت ما صنع الفراق^(١) غداة جدّ به الرّفاق^(٢)
 ووقفت منهم حيث للنّـ حظرات والدمع استباق
 سبّقت مطاياهم فما أبطى^(٣) بنفسك في السباق
 أأطقت حمل صدودهم لبّين خطب لا يُطاق
 عن ذات عرق أضعدوا أقول دارهم^(٤) العراق
 نزلوا [بركة تمهد^(٥)] فلذاك ما شئت البراق^(٦)
 وتيامنوا عسفان أن يقفوا بمُجتمع الرّفاق
 ما ضرهم وهم المني لو واقفوا بعض الوفاق
 قالوا تفرّقنا غداً فشغلت عن وعد التّلاق
 عمداً^(٧) رأوا قتل العميـ د فكان عيشك في اتّفاق
 أولى لجسمك أن يبرّق^(٨) ودمع عينك أن يراق
 أمّا الفؤاد فعندهم دعه ودعوى الاشتياق
 أعتاد حجب^(٩) محلهم فحلّ صدرك عنه ضاق

(١) هكذا وردت في « ج ». وفي « ك » الفريق، وهو تحريف .

(٢) في المخطوطين : « الفراق » مرة أخرى . والتصويب من « ت » .

(٣) في المخطوطين : انبطى . والتصويب من « ت » .

(٤) هكذا وردت في « ت » . وفي المخطوطين : وراهم . وهو تحريف .

(٥) وردت هذه العبارة محرفة في المخطوطات الثلاثة .

(٦) هكذا وردت هذه الشطرة في المخطوطين . وفي « ت » : (فلذاك مشئت البراق) .

(٧) هكذا وردت في « ت » . وفي المخطوطين : عدا .

(٨) وردت في المخطوطين : يرفى .

(٩) هكذا وردت في « ت » . وفي المخطوطين : حب .

واها لسالفة الشبا ب مضت بأيامي الرقاق
أبقت حرارة لوعة بين التراب والتراق
لا تنطفي وورودها من أدمعي كأس دهاق

وقال أيضاً :

يا موحشي والبعْدُ دون لقائه أدعوك عن شحط وإن لم تسمع
يدنيك مني الشوق حتى إنني لأراك رأى العين لولا أدمعي
وأحنُّ شوقاً للنسيم إذا سرى لحديثكم وأصيحُّ كالمستطلع
كان اللقا فكان حظي ناظري وسط الفراق فصار حظي مسمع
فابعث خيالك تهديه نار الحشى إن كان يجهل من مقامى موضع
واصحبه من نومي بتحفة قادم فصدى قليل ركابكم لم تجمع^(١)

دخوله غرناطة

دخل غرناطة على عهد السابع من ملوكها الأمير محمد لقرب من ولايته في بعض
شئونه؛ وحقق^(٢) بها تغيير أمر الأدوية^(٣) المنفردة التي يتشوف الطيب إليها والشحورور،
وهي بقرية شون^(٤) من خارجها .
« وفاته » رحمه الله؛ توفى بتونس في يوم عيد الأضحى من سنة تسع وأربعين
وسبعمائة .

(١) وردت هذه الشطرة في المخطوطين : (فصدا سفلى ركابكم لم صمغ) .

(٢) في المخطوطين : وخفق .

(٣) في المخطوطين : الدولة . وهي كلمة لا محل لها هنا .

(٤) قرية شون من ضواحي مدينة غرناطة وهي Jun الحديثة، وتقع في شمالها الشرق .

أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد
ابن محمد بن حسين بن علي بن سليمان بن عرفه^(١) اللخمي

الفقيه ، الرئيس ، المتفني ، حامل راية مذهب^(٢) الشعر في وقته ، المشار إليه
بالبنان^(٣) في ذلك بيده ، يكنى أبا العباس .

حاله

كان فذاً في الأدب ، طرّفاً في الإدراك ، مهذب الشمايل ، ذليق اللسان ، ممتع
المجالسة والمحاضرة ، حلو الفكاهة ، يرمي في كل غرضٍ بسهم ، إلى شرف النشأة^(٤)
وعزّ المرتبة ، وكرم المحتد، وأصالة الرياسة .

حدثني الشيخ أبو زكريا بن هذيل ، قال : حضرت بمجلس ذي الوزارتين
أبي عبد الله بن الحكيم ، وأبو العباس بدر هالته ، وقطب جلالته ، فلم يُحرّ بشيء^(٥)
إلا ركض فيه ، وتكلم بملء فيه . ثم قمنا إلى زبارين^(٦) يصلحون شجرة عنب ، فقال
لعريعهم حقّ هذا أن يقصّر ، ويُطال هذا ، ويُعمل كذا . فقال الوزير ، يا أبا العباس
ما تركت لهؤلاء أيضاً ، حظاً من صناعتهم ، يستحقون به الأجرة ؛ فعجبنا من
استحضاره^(٧) ، ووساعة^(٨) ذرعه ، وامتداد حظ كفايته .

-
- (١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » (ابن أبي عرفه) .
(٢) هكذا وردت في « ج » وفي « ك » . (مهذب) .
(٣) وردت في المخطوطين : بالبيان ، وهو تحريف ظاهر .
(٤) وردت في المخطوطين محرفة : (الشاة) .
(٥) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » شيء .
(٦) هكذا في « ج » . وفي « ك » ، زبارين .
(٧) وردت في المخطوطين : استحضاره .
(٨) أي سعة . وقد وردت (ساعة) في المخطوطين . (واساعة) في « ت » .

قدومه على غرناطة

قدم عليها مع الجُملة من قومه عند تغلب الدولة النصرية على بلدهم ، ونزول
البلاء والغلاء والمحنة بهم ، والجللاء بهم في آخر عام خمسة وسبعائة، ويأتى [التعريف
بهم]^(١) بعد إن شاء الله ؛ وكان أوفر الدواعى فى الاستعطاف لهم بما تقدم بين يدي
أدعيائهم^(٢) ، ودخولهم على السلطان ، [أن]^(٣) الذى تنخل^(٤) بمثله السخائم ، وتذهب
الإحن^(٥) ؛ وخطب لنفسه ، فاستمرت حاله ، لطيف المنزلة ، معروف المكانة ،
ملازماً مجلس مُدبّر الدولة ، مرسوماً بصداقته^(٦) مشتملاً عليه ببرّه ، إلى أن كان
من تقلّب الحال ، وإدالة الدولة ، ما كان .

شعره

وشعره نمطٌ عال ، ومحل البراعة حال ، لطيف الهبوب ، غزير المائة^(٧) ، أنيق
الديباجة ، جمُّ المحاسن ؛ فمبته فى مذهب المدح ، يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله
ابن الحكيم :

تملّكت رقيّ بالجمال فأجمل وحكمت قلبي بجورك^(٨) فاعدل
أنت الأمير على الملاح ومن يجز فى حكمه إلا جفونك يُعزل

(١) هذه الإضافة مساقطة فى المخطوطات الثلاثة . وإضافتها لازمة للسياق .

(٢) هكذا وردت فى « ت » . وفى المخطوطين : إذعامهم ، وهو تحريف

(٣) واردة فى « ت » . وساقطة فى المخطوطين .

(٤) هكذا فى « ك » . وفى « ج » تنحل .

(٥) وردت فى « ج » الأحر . وفى « ك » الأجر . وفى « ت » الآخر .

(٦) هكذا فى المخطوطين . وفى « ت » صدقاته .

(٧) فى المخطوطات الثلاثة : ألمافية .

(٨) وردت فى المخطوطين ، يجود . وفى « ت » ، فجود . والتصويب من أزهار الرياض .

إن قيل أنت البدرُ فالفضل الذي
 لولا الحظوظ^(١) لكُنت أنت مكانه
 عيناك نازلتا القلوب فكُلها
 هزّت ظُباها بعد كسر جفونها
 ما زلت أعدل في هواك ولم [يزل]^(٢)
 أصبَحْتُ في شغل بحبك شاغلٍ
 لم أهل الكتمان لكن أدمى
 جَمَعَ الصحيحين الوفاء مع الهوى
 ما في الجنوب ولا الشمال جواب ما
 خلّسًا له من طيب عرّفك نفحة
 إن كنت بعدى حُلّت عما لم أحل
 أو حالت الأحوال فاستبدلت بي
 لاقيتُ بعدك ما لو انّ أقرّه
 وحملت في حُبّيك ما لو حُمِلت
 من حَيْفٍ دهرٍ بالحوادث مُقدمٍ
 قد كنت منه قبل كرّ صروفه^(٣)

لك بالكمال ونقصه لم يُجهل
 وكان دونك في الحضيض الأسفل
 إما جريحٌ أو مُصاب المقتل
 فأصيب قلبي في الرّغيل الأول
 سمعى عن العذال فيك بمعزل
 عن أن أصيخ إلى كلام العذال
 همّلت ولو لم تعصني لم تهمل
 قلبي وأملى الدمع كشف المشكل
 أهدى إليك مع الصّبا والسّمال
 تجىّ بها^(٤) دماء عليها المتعل
 عنه وأهمّلت الذى لم أهل
 فأنا^(٥) بحجّى لم أستبدل
 لاقى الثرى لأذاب^(٥) صمّ الجنّدل
 شمّ الجبال أخفّه لم تحمّل
 حتى على حبّس الهزبر المشبل^(٦)
 فوق السّنام فصرت تحت الكلكل

(١) هكذا في « ت ». وفي المخطوطين : الخصوص

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وفي « ت » ، أضح . والإضافة عن أزهار الرياض .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » ضحاهها .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » فاني .

(٥) في المخطوطين : لذاب .

(٦) هكذا في « ك » . وفي « ج » المسبل .

(٧) في المخطوطين : صروفها .

وَنُصُولُ شَيْبٍ قَدْ أَلَمَّ بِلَمَّتِي وَخِضَابُ أَبِي شَيْبَةٍ لَمْ تَنْصِلِ
يُنَوِّى الْإِقَامَةَ مَا بَقِيَتْ وَأَقْسَمَتْ لَا تَنْزِلُ اللَّذَاتُ مَا لَمْ يَرْحُلِ
وَمَسِيرُ ظَعْنٍ وَدَانٍ حَمِيمُهُ لَاقَى الْحَمَامَ وَإِنَّهُ لَمْ يَفْعَلِ
يَطْوِي عَلَى جَسَدِي^(١) الضَّلُوعَ فَقَلْبُهُ بِأَوَارِهِ يَغْلِي كَغَلَى الرَّجُلِ
فِي صَدْرِهِ مَا لَيْسَ فِي صَدْرِي لَهُ مِنْ مِثْلِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلِ
أَعْرَضْتُ عَنْهُ وَلَوْ أَشْفَى لَذَمُّهُ شَعْرِي^(٢) لَجَرَّعَهُ نَقِيعَ الْحَنْظَلِ
جُلِّيتُ فِي حَلَبَاتٍ سَبَقَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا بِمِرْتَاكِحٍ وَلَا بِمُؤَمِّلٍ^(٣)
مَا ضَرَّهَ سَبْقِيهِ فِي زَمَنِ مَضَى أَنَّ الْمُجَلَّى فِيهِ دُونَ الْفُسْكَالِ
سَاءَتْهُ مَنَى عَجْرَقِيَّةُ قَلْبٍ بَاقٍ عَلَى مَرِّ الْحَوَاثِ حَوْلِ
مُتَحَرِّقٍ^(٤) فِي الْبَذْلِ مَدَّةَ سِيرِهِ مُتَجَلِّدٌ فِي عُسْرِهِ مُتَجَمِّلِ
حَتَّى يَثُوبَ لَهُ الْغِنَى مِنْ مَاجِدٍ بِقَضَاءِ حَاجَاتِ الْكِرَامِ مُوَكَّلِ
مِثْلُ الْوَزِيرِ ابْنِ الْحَكِيمِ وَمَالَهُ مِثْلُ يَقُومٍ مَقَامَهُ مُتَمَثِّلِ
سَادَ الْوَرَى بِحَدِيثِهِ وَقَدِيمِهِ فِي الْحَالِ وَالْمَاضِي وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ
مَنْ يَبْتَ مَجْدٌ قَدْ [سَمَتْ بِقَبَابِهِ]^(٥) أَقْيَالُ لَخْمٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
سَامَى الدَّعَائِمُ طَالِ^(٦) بَيْتِ وَزَارَةِ وَمَجَاشِعُ وَأَبَى الْفَوَارِسِ نَهْشِلِ
يَلْقَى الْوُفُودَ يَبْسُطُ وَجْهَهُ مُشْرِقٍ تَجْلُو طَلَاقَتُهُ هُومُ الْمُجْتَلِي
فَلَا مِلَى جَدَّوَاهِ حَوْلَ فَنَائِهِ لَقَطَ الْقَطَا الْأَسْرَابَ حَوْلَ الْمَنْهَلِ

(١) هكذا في « ج » و « ت » . وفي « ك » : قلبي .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » ، شجري .

(٣) في المخطوطين : بمؤمل .

(٤) وردت في « ك » متخرق . وفي « ج » مخترق .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » : اسست بقبابه .

(٦) في المخطوطين : طالت .

وإذا نحى بالعدل^(١) فصل قضية لم تخطُ فصلاً من إطالة مُفصل
يقضى على سخب الخصوم وشغبهم ويقيم مُغريهم مقام المؤمل
ويلقن الحجب العيَّ تمحُّجاً من راحٍ عند اللجاج وأعزل
فإذا قضى صور المُحقِّ بحقه عنه وحا^(٢) عقابه بالمُبطل
عجل^٣ على من يستحقُّ مثوبةً فإذا استحقَّ عقوبة لم يعجل
يا كافى الإسلام كلَّ عظمة ومعيدَه غصاً كان لم يذبل

وقال أيضاً يمدحه بقصيدة من مطولاته ؛ وإنما اجتلبت من مدحه للوزير
ابن الحكيم لكونه يمدح أديباً ناقداً ، وبلغاً بالكلام بصيراً ، والإجادة تلزم فيه
منظومه ، إذ لا يوسع القريحة فيه عُذراً ، ولا يُقبل من [الطمع قدراً]^(٣) ، وهى :

أما الرُسوم فلم ترق لما بى واستعجمت عن أن تردّ جوابى
واستبدلت بوحوشها من أذ س بيض الوجوه كواعب أتراب
ولقد وقفت بها أرقرق عبّرة حتى اشتكى طول الوقوف صحابى
يبكى لطول بكاءى فى عرصاتها صحبى ورجعت الحنين ركاب

ومن شعره فى المقطوعات غير المطولات :

لم يبق ذو عين لم يُسبه وجهك من زين بلا مئ
فلاح بينهما طالعا كأنه القمر بلامين

ومن ذلك قوله :

[كأنما الخال مصباحٌ بوجنته هبت عواصف أنفاسى فعطف

(١) وردت فى المخطوطين : بالعد . وهو تحريف .

(٢) فى المخطوطين : وعا .

(٣) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : الطبع قدراً .

أو نقطة قطرت في الخلد إذ رسمت
ومن ذلك قوله :

وعدتني أن تزور يا أُمي
حتى إذا الشمس للغروب دنت
أنسني البدر منك حين بدا
ومن ذلك قوله :

هجركم مالي عليه جلد
ما قسى قلبي من هجرانكم
فأعيدوا إليّ الرضى أو فعدوا
ولقد طال عليه الأمد
ومن ذلك قوله :

أبدى عذارك عذرى في الغرام به
كأنه ظن أنى قد نسيت له
ومما هو أطول من المزدوجات قوله :

ويوم كساه الدجى^(٢) دكن^(٣) ثيابه
ولاحت بأفلاك الأفق^(٤) كواكب
وجالت جياذ الراح بالراح جولة
ومن ذلك :

عذلوني فيمن أحب وقالوا
دب نمل العذار في وجنتيه

(١) هذان البيتان قد أثبتهما « ج » ، وأغفلهما « ك » .

(٢) وردت في المخطوطين : الدجن .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : ذكر .

(٤) وردت في المخطوطين محرفة : الإفك .

وكذا النمل كما حلَّ شيئاً منع النفس أن تميل إليه
 قلت قبل العذار أعذر فيه ثم من بعده ألام عليه
 إنما دبَّ نحو [شَهِدَ فيه] ^(١) فلذاك انتهى إلى شَفَتِيهِ
 وإحسانه كثير، ومثله لا يُقنع منه بيسير .

وفاته

قال في «عائد الصلة» : «ولما كان من تغلب الحال ، وإدالة الدولة ، وخلع
 الأمير ، وقتل وزيره ، يوم عيد الفطر من سنة سبع وسبعائة ، وانهبت دار
 الوزير ، ونالت الأيدي يومئذ ، مَنْ شَمَلَهُ دهليز بابه ، من أعيان الطبقات ،
 وأولى الخطط والرُّتب ، ومنهم أبو العباس هذا رحمه الله ؛ فأفلت تحت سلاح
 مشهور ، وحيَّز مَرَقُوف ، وثوب مَسُوف ^(٢) ؛ فأصابته بسبب ذلك علةٌ أياماً ،
 إلى أن أودت به ، فقضت عليه بغرناطة ، في الثامن والعشرين لذي حجة من
 سنة سبع وسبعائة ؛ ودفن بمقبرة الغرباء من الرُّبَيْط عَبْرَ الوادي تجاه قصور ^(٣) نجد ،
 رحمة الله عليه .

أحمد بن علي المِلياني ^(٤)

من أهل مرَّاكُش ، يكنى [أبا عبد الله] ^(٥) وأبا العباس .

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» شَهِدِيهِ : وهو تحريف .

(٢) مرقوف أى مرتعد مرتجف ، وسلوف اعنى رقيق .

(٣) هكذا في «ك» . وفي «ج» : قطور .

(٤) نسبة إلى مليانة . وهي مدينة قديمة من مدن تونس .

(٥) وردت فقط في «ج» . وأغفلت في «ك» .

صاحب العلامة^(١) بالمغرب ، الكاتب الشهير ، البعيد الشأن في اقتضاء الثروة ،
المثل المضروب [في]^(٢) العفة ، وقوة الصّريمة ، ونفاذ العزيمة .

« حاله » ؛ كان نبيه البيت ، شهير الأصالة ، رفيع المكانة ، على [سجية]^(٣)
غريبة كانت فيه ، من الوقار ، والانتقباض ، والصّمت . أخذ بحظ من الطب ، حسن
الخط ، مليح الكتابة ، قارضاً للشعر ، يُذهب نفسه فيه كل مذهب .

وصمته

فك فتكة شنيعة أساءت الظنّ بحمالة الأقلام على مرّ الدهر ؛ وانتقل إلى
الأندلس بعد مشقة ، وجرى ذكره في كتاب « الإكليل » بما نصه :

« الصّارم ، الفاتك ، والكاتب الباتك ، أبي اضطراب في وقار ، وتجهّم تحته
أنس عقار ؛ اتخذه صاحب المغرب ، صاحب علامته^(٤) ، وتوجّه تاج كرامته ؛ وكان
يطالب جملة [من]^(٥) أشياخ مراکش بثار عمّه ، ويطوقهم دمه بزعمه ، ويُقصر على
الاستبصار منهم بنات همّه ، إذ سعوا فيه حتى اعتقل ، ثم جدّوا في أمره حتى
قُتل ؛ فترصد كتاباً إلى مراکش يتضمن أمراً جَزْماً ، ويشلّ من أمور الملك عزماً ،
جعل الأمر فيه بضرب رقابهم ، وسبّ أسبابهم ؛ ولما أكّده على حامله في العجل ،
وضايقه في تقدير الأجل ، تأنّى حتى علم أنه قد وصل ، وأن غرضه قد حصل . فرّ إلى
تِلْسان ، وهي بحال حصارها ، فاتصل بأنصارها^(٦) ، حالاً بين أنوفها وأبصارها ؛

(١) سبق أن أوضحنا اختصاص هذا المنصب (انظر الحاشية في ص ٢٨٢) .

(٢) ساقطة في المخطوطين . ويقتضيها السياق .

(٣) واردة في « ك » . وساقطة في « ج » .

(٤) وردت في المخطوطين : علامة .

(٥) ساقطة في المخطوطين : واردة في « ت » .

(٦) هكذا في « ج » . وفي « ك » بأقطارها .

وتعجب من فراره ، وسوء اغتراره ، ورجحت الظنون في آثاره . ثم اتّصلت الأخبار
بتمام الحيلة ، واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة ، وترّكها شنةً على الأيام ،
وعاراً في الأقاليم على حملة الأعلام ؛ وأقام بتلمسان إلى أن حلّ مُخَنَّقٌ حصرها ،
وأزيل اللّقيان^(١) الضيقة عن خصرها ؛ فلهق بالأندلس ، فلم يَعدْ برّاً ورغياً مستمراً ،
حتى أتاه حمامه ، وانصرفت أيامه .

شعره

من الذي يدل على بره^(٢) ، وانقاسح خطاه في النّفاسة ، وبعد شأوه ، قوله :
العزُّ ما ضربت عليه قبّابي والفضل ما اشتملت عليه ثيابي
والزّهرُ ما أهداه غصن^(٣) براعتي والمِسْكُ ما أبداه نقش كتابي
والجدُّ يمنع أن يزاحم مؤردي والعزم يأبى أن يُسام جنّاني
فإذا بلوتُ صنيعاً جازيتها بجميل شكري أو جزيل ثوابي
وإذا عقدتُ مودّة أجريتها مجرى طعامي من دمي وشرابي
وإذا طلبتُ من الفراقد والسّهي ثأراً^(٤) فأوشك أن أنال طلابي

وفاته

توفي رحمه الله يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر وسبعائة ، ودفن
بجبانة باب إلبيرة ، تجاوز الله عنه .

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » ، العبان .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » ، أفوه .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : غضر .

(٤) وردت في المخطوطين : آثاراً . وهو تحريف .

أحمد بن محمد بن عيسى الأموي

يكنى أبا جعفر ، ويعرف بالزيّات

حاله

من أهل الخير والصلاح والأتباع ، مفتوح عليه في طريق الله ، نير الباطن والظاهر ، مطرح التصنع ، مُستدل ، بجانب الدنيا وأهلها ، صادق الخواطر ، مُرسل اللسان بذكر الله ، مبذول النصيحة ، مثابر على اتباع السنة ، عارف بطريق الصوفيّة ، ثبتُ القدم عند زلّاتها^(١) ، ناطق بالحكمة على الأمية ، جميل اللقاء ، متوغل في الكلف بالجهاد ، مرتبط للخيل ، مبادر للهبة ، حريص على الشهادة ، بركة من بركات الله في الأندلس ، يعز وجود مثله .

وفاته

توفي رحمه الله ببلده غرناطة ، يوم الخميس الثاني والعشرين لجمادى الثانية من عام خمسة وستين وسبعمائة ؛ وشارف الإكتهال .

أحمد بن الحسن بن علي بن الزيّات الكلاعي

من أهل بَلَش مالقة^(٢) ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بالزيّات ، الخطيب ، المتصوّف الشهير .

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » ، قولاتها .

(٢) بلش مالقة Velez Malaga ، سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١١٨)

حاله

من « عائد الصلة » : كان جليل القدر ، كثير العبادة ، عظيم الوقار ، حسن الخُلُق ، مخفوض الجناح^(١) ، متألق^(٢) البِشْر ، مبذول المؤانسة ، يُذَكَّر بالسلف الصالح ، في حُسْن شيمته ، وإعراب لفظه ، مزدهم المجلس ، كثير الإفادة ، صبوراً على الغاشية ، واضح البيان ، فارس المنابر غير مُدافع ، مستحق التصدُّر في ذلك ، بشروط قلما كملت عند غيره ؛ منها حسن الصورة ، وكال الأبهة ، وجَهْوَرِيَّة الصوت ، وطيب النِّعْمة ، وعدم التَّهَيُّب ، [والقدرة على الإنشاء]^(٣) ، وغَلَبَةُ الخشوع ؛ إلى التفنُّن في كثير من المآخذ العلمية ، والرياسة في تجويد القرآن ، والمشاركة في العربية ، والفقه ، واللغة ، والأدب ، والعروض ، والمحاسنة^(٤) في الأصلين ، والحفظ للتفسير .

قال لي شيخنا أبو البركات بن الحاج ، وقد جرى ذكر الخطابة : ما رأيت في استيفائها مثله . كان يفتح مجالس تدريسه أكثر الأحيان ، بخطب غريبة ، يطبَّق بها مفاصل الأغراض ، التي يشرع في التكلم فيها ، وينظم الشعر دائماً في مراجعته ومخاطباته ، وإجازاته ، من غير تأنٍ ولا رويَّة ، حتى اعتاده مَلَكَه بطبعه ؛ واستعمل في السِّفارة بين الملوك ، لدخض السِّخائِم ، وإصلاح الأمور ، فكانوا يوجبون حقَّه ، ويلتمسون بركته ، ويلتمسون دعاءه .

مشيخته

تحمَّل العلم عن جملة ؛ منهم خاله الفقيه الحكيم أبو جعفر أحمد بن علي المذحجي

(١) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » محفوظ الجناد .

(٢) وردت كلمة (كثير) في المخطوطين قبل هذه الكلمة . ولا موضع لها هنا إلا أن كانت كلمة (متألق) تقرأ (تألق) . وفي ذلك تجاوز .

(٣) وردت هذه العبارة محرفة في المخطوطين : (والقدرة على الإنشاء) .

(٤) هكذا في المخطوطين . من محس ، والمقصود بها هنا الإتقان والبراعة .

من أهل الحمّة^(١) ، من ذوى المعرفة بالقرآن والفرائض ؛ ومنهم القاضى أبو على الحسن بن أبى الأحوص الغمرى ، أخذ عنه قراءة وإجازة ؛ ومنهم العارف الربانى ، أبو الحسن فضل بن فضيلة ، أخذ [عنه]^(٢) طريقة الصوفية وعليه سلك ، وبه تأدب ، وبينهما فى ذلك مخاطبات ؛ ومنهم أبو الزهر ربيع بن محمد بن ربيع الأشعرى ، وأبو عبد الله محمد بن يحيى أخوه ؛ ومنهم [أبو الفضل]^(٣) عياض بن محمد بن عياض ابن موسى ، قرأ عليه ببّلس وأجاز له ؛ ومنهم الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، والأستاذ أبو الحسن السفّاح العبّدى ؛ والعدل أبو الحسن التّجلى ، وأبو محمد بن سماك ؛ وأبو جعفر بن الطّباع ؛ وأبو جعفر بن يوسف الهاشمى الطّنجلى^(٤) ؛ والأستاذ النحوى أبو الحسن بن الصّائغ ؛ والكاتب الأديب أبو على بن زهيق التّغلبى ؛ والراوية أبو الحسن بن مسّثور^(٥) الطائى ؛ والإمام أبو الحسن^(٦) بن أبى الربيع ؛ والأستاذ أبو إسحاق الغافقى الميربى ؛ والإمام العارف أبو محمد عبد العظيم بن الشيخ البلوى ، بما كان من إجازته العامة لكل من أدرك عام أحد وأربعين وستمائة ؛ وغير هؤلاء ممن يشقّ إحصاؤهم .

تصانيفه

كثيرة ، منها المسماة « بالمقام المخزون فى الكلام الموزون » ؛ والعقيدة^(٧) المسماة « بالمشرق^(٨) الأصفى فى المأرب الأوّفى » وكلاهما ينيف على الألف بيت ؛ و « نظم

(١) الحمّة أو الحامة سبق التعريف بها (انظر الحاشية فى ص ١٧٥) .

(٢) ساقطة فى المخطوطين ؛ وإضافتها يقتضيه السياق .

(٣) وردت هذه الزيادة فى « ج » وأغفلها « ك » .

(٤) الطنجلى نسبة إلى طنجة . وترسم أحياناً الطنجالى . والطنجى .

(٥) وردت فى المخطوطين : ابن مسغور .

(٦) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » أبو الحسين .

(٧) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وربما كانت « القصيدة » .

(٨) هكذا رسمت فى « ك » . وفى « ج » ، الشرف .

السُّلوك في [شيم الملوك] «^(١)» ؛ و « المُجْتَنَى النَّضِيرُ وَالْمُقْتَنَى ^(٢) الخطير » ؛ و « العبارة الوجيزة عن الإشارة » ؛ و « اللطائف الرُّوحانية والعوارف الربَّانية » .

ومن تواليفه : « أسُّ مبنى العلم ، وأس معنى الحلم » في مقدمة علم الكلام ؛ و « لذات السمع من القراءات السَّبْع » نظماً ؛ و « رصف نفائس الآلى ، ووصف عرائس المعالى » في النحو ؛ و « قاعدة البيان وضابطة اللسان » ، في العربية ؛ و « لهجة اللَّافظ وبهجة الحافظ » ؛ والأرجوزة المسماة « بَقْرَةٌ عَيْنِ السَّائِلِ وَبُغْيَةُ نَفْسِ الْأَمَلِ » في اختصار السيرة النبوية ؛ « والوصايا النظامية في القوافي الثلاثية » ؛ وكتاب « عُدَّة الداعى . وعُمْدَةُ الواعى » ؛ وكتاب « عوارف الكرم ، وصلات الإحسان ، فيما حواه العين من لطائف الحِكم وخلق الإنسان » ؛ وكتاب « جوامع الأشراف والعنايات ، فى الصَّوَادِع والآيات » ؛ و « السَّفْحَةُ الوسيمة والمنحة الجسمية » ، تشتمل على أربع قواعد اعتقادية وأصولية وفروعية وتحقيقية ؛ وكتاب « شُرُوبُ الْمَفَارِقِ فى اختصار كتاب المشارق » ؛ و « تلخيص الدلالة فى تخلص الرسالة » ؛ و « شُذُورُ الذَّهَبِ فى صرُوم الخطب » ؛ و « فائدة المُلْتَقَطِ وعائدة المُغْتَبِطِ » ؛ وكتاب « عُدَّةُ الْمُحِقِّ وَتُحْفَةُ الْمُسْتَحِقِّ » .

نثره

من ذلك خُطْبَةُ أَلْغَيْتِ الْأَلْفِ من حروفها ، على كثرة ترددها فى الكلام وتصرفها ، وهى :

« حمدتُ ربِّي جلَّ من كريم محمود ، وشكرتُه عزَّ من عظيم موجود ، ونزَّهته عن جهل كل مُلحد كفور ، وقدَّسته عن قول كل مُفسد غرور ، كبير لو تقوم ،

(١) هكذا وردت فى « ك » . وفى « ج » (نظم السلوك) مرة أخرى . وهو سهو ظاهر .

(٢) هكذا فى « ك » . وفى « ج » المنتقى ، والأولى أرجح .

في فهم لحد ؛ قد ير لو تصور في رسم لحد ، لو عَدَّتْه فكرةُ التَّصَوُّر^(١) لتَصَوَّر ،
ولو حَدَّتْه^(٢) فكرة لتَعَذَّر ؛ ولو فُهِمَتْ له كيفية لبَطُلَ قِدْمُهُ ، ولو عُلِمَتْ له كيفية
لحَصَلَ عَدْمُهُ ، ولو حَصَرَ^(٣) طَرَفٌ لَقُطِعَ بَتَجَسُّمِهِ ، ولو قَهَرَ وَصَفٌ لَصَدَعَ
بِتَقَسُّمِهِ ؛ ولو فُرض له شَبَحٌ^(٤) لَرَهَقَهُ^(٥) كيف ؛ ولو عَرِضَ له ، للحق عَجَلٌ
وَرَيْثٌ ؛ عَظِيمٌ من غير تركبٍ قُطِرَ ، عَلِيمٌ من غير ترتبٍ فَكِرَ ؛ موجودٌ من غير
شَيْءٍ يُنْسَكُهُ ، مَعْبُودٌ من غير وهمٍ يُدْرِكُهُ ؛ كَرِيمٌ من غير عِيَوضٍ يُلْحِقُهُ ، حَكِيمٌ
من غير عَرَضٍ يُلْحِقُهُ ؛ قَوِيٌّ من غير سَبَبٍ يَجْمَعُهُ ، عَلِيٌّ من غير سَبَبٍ يَرْفَعُهُ ؛
لو وَجَدَ له جنسٌ لَعُورِضٌ في قِيُومِيَّتِهِ^(٦) ، ولو ثَبَتَ له حِسٌّ لَنُوزِعَ في
دَيُّومِيَّتِهِ .

ومنها : « تقدَّسَ عن لَمٍّ فِعْلُهُ ، وتنَزَّهَ عن سَمٍّ فَضْلُهُ ، وجلَّ عن ثَمٍّ قُدْرَتُهُ ،
وعَزَّ عن عَمٍّ عِزَّتُهُ ، وعَظُمَتْ عن مَنٍّ صِفَتُهُ ، وكَثُرَتْ عن كَمٍّ مِثَّتُهُ ؛ فَتَقَّ وَرَتَقَ ،
صَوَّرَ وَخَلَقَ ، وَقَطَعَ وَوَصَلَ ، نَصَرَ وَخَذَلَ ؛ حَمَدَتْهُ حَمْدٌ من عَرَفَ رَبَّهُ ،
وَرَهَبَ ذَنْبَهُ ، وَصَفَتْ حَقِيقَةُ يَقِينِهِ قَلْبَهُ ، وَذَكَتَ بَصِيرَةُ دِينِهِ لَبَّهُ ؛ فَهَضَّ لَوَغِي
بشروطِ نَفَضَتِهِ وَحَدَّ ، وَرَبَطَ سِلْكَ سُلُوكِهِ وَشَيَّدَ ، وَهَدَمَ صَرْحَ عَتُوءِهِ وَهَدَّ ،
وَحَرَسَ مَعْقِلَ عَقْلِهِ وَحَدَّ ، وَطَرَدَ غُرُورَ غُرَّتِهِ وَرَذَلَهُ ؛ عِلْمٌ [عِلْمٌ]^(٧) تَحْقِيقٌ
فَنَحَانُحُوهُ ، وَتَفَرَّدَ له عِزٌّ وَجَلَّ بِثَبُوتِ رَبُوبِيَّتِهِ وَقِدَمِهِ ، وَنَعْتَقَدُ^(٨) صُدُورَ كُلِّ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « ك » . وَفِي « ج » تَصَوَّر .

(٢) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » حَدَّتْهُ . وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ .

(٣) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » حَصَرَ .

(٤) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : شَح ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » لَهْرَقَهُ .

(٦) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : قِيَمُومِيَّتِهِ .

(٧) سَاقِطَةٌ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَوَارِدَةٌ فِي « ت » .

(٨) فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : وَنَعْتَقِدُ . وَالسِّيَاقُ يَسْتَلْزِمُ التَّصْوِيبَ .

جوهر وعَرْض ، عن جوده وكرمه ؛ ونشهد بتبليغ محمد صلى ربه عليه وسلم ،
رسوله وخير خلقه ، ونعلن بنهوضه في تدبين فرضه ، وتبليغ شرعه ؛ ضرب قبة
شرعه ، فتمسخت كل شرع ، وجدد عزمته فقمع عدوه خير قمع ؛ قوم كل
مقوم بقويم سيمته ، وكريم هديه ، وبين لقومه كيف يركنون فوره بقصده ،
وسديد سعيه ؛ بشر مطيعه ، فظفر برحمته ، وحذر عاصيه فشقي بنقمته .

« وبعد فقد نصحتكم لو كنتم تعقلون ، وهديتم لو كنتم تعلمون ، وبصرتكم
لو كنتم تبصرون ، وذكرتكم لو كنتم تدكرون ؛ وظهّرت لكم حقيقة شركم ،
وبرزت لكم خبيثة حشركم ، فلم تركضون في طلق غفلتكم ، وتغفلون^(١) عن
يوم بعثكم ؛ وللموت عليكم سيف مسلول ، وحكم عزم غير معلول ؛ فكيف بكم
يوم يؤخذ كل بذنبه ، ويخبر بجميع كسبه ، ويفرق بينه وبين صاحبه ، ويعدم
نصرة حزبه ، ويشغل بقوله وكرّبه ، عن صديقه وتربّه ، وتُنشر له رقعة
وتُعين له بقعته ؛ فربح عبدٌ نظر وهو في مهل لنفسه ، وترسل^(٢) في رضى عمله
جنةً للول رُمسه ، وكسر صنم شهوته ليقرّ في بحوحة قدسه^(٣) ، وحصر^(٤) بنظر
يُنزله سرير سروره بين عقله وحسه . »

ومنها : « فتنبه ويحك من سنّتك ونومك ، وتفكر فيمن هلك من صُحبتك
وقومك ؛ هتف بهم من تعلم ، وشبّ عليهم منه حرق مظلّم ، فخرّبت بصيحتهم
ربوعهم ، وتفرّقت لهوله جموعهم ، وذللّ عزيزهم ، وخسّ رفيعهم ، وصمّ
سميعهم ؛ فخرج كل منهم عن قصره ، ورُمى غير مؤسّد في قبره ؛ فهم بين سعيد
في روضته مقرب ، وبين شقي في حفرة مُعذّب ؛ فلست توهب منه عز وجل عصمته

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » ، وغافلون . وهو تحريف .

(٢) في المخطوطين : وترسيل .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » ، قدمه .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » ، وحسن .

من كل خطيئة ، وخصوصيةً تقى من كل نفس جريئة » .

كتب إلى شيخنا الوزير ، ابن ذى الوزارتين ، ابن الحكيم ، جواباً عن مخاطبة كتبها إليه يلتمس منه وصايته ونُصَحَه هذا الشعر :

جلَّ اسم مولانا اللطيف الخبير وعزَّ في سلطانه عن نظير
هو الذى أوجد ما فوقها وتحتها وهو العليم الخبير
ثم صلاة الله تترى على ياقوتة الكون البشير النذير
وصحبه الأولى نالوا مرأى يرجع عنه الطَّرف وهو الحسير
وبعد فأنفسهم جوهر للأرواح منه ما للأثير
فإنك استدعيت من ناصرٍ نُصَحًا طويلاً وهو منه قصير
ولستُ أهلاً أن أرى ناصحاً لقلَّة الصدق وخُبث الضمير
وإنما يحسنُ نصيح الورى من ليس للشرع عليه نكير
ومستحيلٌ أن يقود امرأً يدُ امرئٍ واهى المباني ضرير
واعجباً يُلتمس الخير من مُعتقل العقل مهيضٍ كبير
لكن إذا لم يكن بُدٌّ فعن [جهد أوفيك تبر]^(١) يسير
فألقنه إن كنت به قانعاً دراً نظماً يزدرى بالثبير
لازم أبا بكر على منهج ذاك تفزُّ منه بخير كثير
واقنع بما يكفى ودع غيره فإنما الدنيا هباءٌ نثير
بُنَى لا يخذعك^(٢) هذى الدُّنا فإنها والله شيء حقير
أين المشيدات أما زُلزلت أين أخو الإيوان أين السدير^(٣)

(١) وردت في المخطوطين : (جهرا وفيك تبرز - تبرر) .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » يخذعك .

(٣) وردت في المخطوطين : العدير .

أَيْنَ أَنُو شِرْوَانٍ أَضْحَى كَانَ لَمْ يَكُ أَيْنَ الْمُعْتَدَى أَزْدَشِيرُ
هَذَا مَقَالٌ مِنْ وَعَاهِ اهْتَدَى وَحِيطَ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ مُبِيرُ
وَصَّى^(١) أَبُو بَكْرٍ بِهِ أَحْمَدًا وَأَحَدُ فِي الْوَقْتِ شَيْخٍ كَبِيرُ
إِنْقَرَضَتْ^(٢) أَيَّامُهُ وَاتَّهَى وَهَنًا وَمِنْ قَبْلُ أَتَاهُ النَّذِيرُ
وَهَا هُوَ الْيَوْمَ عَلَى عُدَّةٍ مُبْرَمَةٌ لِلشَّرِّ وَمَا مِنْ عَذِيرِ

ومن شعره في طريقه الذي كان ينتحله :

شُهُودُ ذَاتِكَ [شَيْءُ عَنكَ]^(٣) مَحْجُوبُ لَوْ كُنْتَ تُذَرِّكُهُ لَمْ يَبْقَ مَطْلُوبُ
عَلُوٌّ وَسُفْلٌ وَمِنْ هَذَا وَذَاكَ مَعَا دَوَّرَ عَلَى نَقْطَةٍ^(٤) الْإِشْرَاقُ مَنْصُوبُ
وَمَنْزِلُ النَّفْسِ مِنْهُ مِيمٌ مَذْكُورَةٌ^(٥) إِنْ صَحَّ لِلْغَرَضِ الظَّنُّ مَرْغُوبُ
وَإِنْ تَنَاءَتْ مَسَاوِيهَا فَمَنْزِلُهَا أَوْجُ الْكَمَالِ وَتَحْتَ الرُّوحِ تَقْلِيلُ
وَالرُّوحُ إِنْ لَمْ تَمُخِّنْهُ النَّفْسُ قَامَ لَهُ فِي حَضْرَةِ الْمُلْكِ تَخْصِيصٌ وَتَقْرِيبُ

ومن شعره :

دَعْنِي عَلَى حُكْمِ الْهَوَى أَنْتَضِرَّ فَعَسَى يَلِينُ لَنَا الْحَيِيبُ وَيَخْشَعُ
إِنِّي وَجَدْتُ أَخَا التَضَرُّعِ فَائِزًا بِمَرَادِهِ وَمِنْ الدُّعَا مَا يُسْمَعُ
أَهْلًا وَمَا شَيْءٌ بِأَنْفَعٍ لِلْفَتَى مِنْ أَنْ يَذِلَّ عَسَى التَذَلُّلُ يَنْفَعُ
وَأَمَحُ اسْمُ نَفْسِكَ طَالِبًا إِبْثَاتِهِ وَاقْنَعْ بِتَفْرِيقٍ لَعَلَّكَ تَجْمَعُ
وَاخْضَعْ فَمَنْ دَابَّ الْحُبُّ خَضُوعُهُ وَلَرَبَّمَا نَالَ الْمُنَى مِنْ يَخْنُضِ

(١) هكذا في « ك ». وفي « ج » اضحى .

(٢) هكذا في « ج ». وفي « ك » انقضت .

(٣) وردت هاتان الكلمتان في المخطوطين هكذا : (شرعية) . والتصويب من « ت » .

(٤) في « ج » نطقه . وفي « ك » نطقه .

(٥) هكذا في « ج ». وفي « ك » مركزة .

ومن شعره :

مالى ببابٍ غير^(١) بابلك موقف كلاً^(٢) ولا لى عن فِنائك مَصْرَف
هذا مقامى ما حَيَّيتُ فإن أُمْتُ فالذل مأوى للضراعة مَأْلَف
غرضى وأنت به عليم لمحّة تذر الشّيت الشّمل وهو مؤلّف
وعليك ليس على سواك مُعَوَّلِي جاروا على لأجل [ذا أو أنصفوا]^(٣)

ومن المقطوعات فى التجنيس :

يقال خِصال أهل العلم ألفٌ ومن جَمَعَ الخِصال الألف سادا
ويجمعها الصّلاح فمن تعدّى مذهبَه فقد جمع الفسادا
ومنه فى المعنى :

إن شئت فوزاً بمطلوب الكرام غداً فاسلُك من العمل المرضى مِنْهاجا
واغلب هوى النفس لا تفرُّرك خادعة فكل شيء يحطُّ القدر مِنْهاجا

دخوله غرناطة

دخل غرناطة مراراً عدة تشدُّ عن الحصر ، أوجبتها الدّواعى بطول عمره ، من طلب العلم وروايته ، وحاجة عامة ، واستدعاء سلطان ، وقدوم من سفارة^(٤) . كان الناس ينسألون عليه ، ويغشون منزله ، فيما أدركت ، كلما تبوّأ ضيافة السلطان ، تبرُّكا به ، وأخذاً عنه .

(١) هكذا فى « ك » . وفى « ج » غيرك . وهو تحريف .

(٢) وردت فى المخطوطين : لا لا .

(٣) وردت هذه العبارة محرفة فى المخطوطين : ذاك وأنصف .

(٤) هكذا فى « ج » . وفى « ك » ، سفاره .

مولده

ولد ببَلَش بلدة في حدود تسع وأربعين وستمئة .

وفاته

توفي ببَلَش سَحَر^(١) يوم الأربعاء السابع عشر من شوال عام ثمانية وعشرين وسبعمائة . ومن رثاه شيخنا ، نسيج وحده ، العالم الصالح الفاضل ، أبو الحسن بن الجِيَّاب بقصيدة أولها :

على مثله خصا به الدهر فاجع تفيض نفوس^٢ لا تفيض المدامع
ورثاة شيخنا القاضي أبو بكر بن شَبْرين رحمه الله ، بقصيدة أولها :

أيساعد رائده الأمل أم يُسمع سائله الطلل
يا صاح فديتُك ما فعلتِ ومن الأحباب وما فعلوا^(٢)
فأجاب الدمعُ مناديه أمّا الأحباب فقد رحلوا^(٢)

ورثاه من هذه البلدة طائفة ، منهم الشيخ الأديب أبو محمد بن المربع الآتي اسمه في العيادة له ، بنحو الله ، بقصيدة أولها :

أدعوك ذا جزع لو أنك سامع ماذا أقول ودمع عيني هامع
وأنشد خامس يوم دفنه قصيدة أولها :

عبرة تفيض حزناً وثُكلاً وشجون^٣ تعم بعضاً وكُلاً
ليس إلا صباية أضرمتها حسرة^٤ تبعث الأسي ليس إلا

وهي حسنة طويلة .

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » منحدر .

(٢) في المخطوطين : فعل . رحل .

إبراهيم بن محمد بن مُفَرِّج بن هُمُشِك

المتأثر ، روى ^(١) الأصل .

أَوَّلِيَّتُهُ

مُفَرِّجٌ أَوْ هُمُشِكٌ ^(٢) ، من أجداده ، نصراني أسلم على يدى أحد ملوك بني هود بسرْقُسطة ؛ نزع إليهم ، وكان مقطوع إحدى الأذنين ، فكان النصراني إذا رآوه في القتال عرفوه ، وقالوا هُمُشِك ، معناه ترى المقطوع الأذن ، إذ « ها » عندهم قريب مما هي في اللغة العربية ، و « المُشِك » المقطوع الأذنين في لغتهم ^(٣) .

نباهته وظهوره

ولما خرج بنو هود عن سرْقُسطة ، نشأ تحت خول ، إلا أنه شهيم متحرك ، خدم بعض الموحدين في الصيد ، وتوسل بدلالة الأرض ؛ ثم نزع إلى ملك قشتالة واستقر مع النصراني ؛ ثم انصرف إلى بقيّة اللّمتونيين ^(٤) بالأندلس بعد شفاعته وإظهار توبة . ولما ولى يحيى بن غانية قرطبة ، إرْتَسَم لديه برسمه . ثم كانت الفتنة عام تسعة وثلاثين

(١) يقصد بروى الأصل هنا ، قشتالي أو إسباني .

(٢) ترسم بالإسبانية Hamusco ومن ثم كان ضبطها على هذا النحو .

(٣) لم نجد في معاجم اللغة القشتالية ما يؤيد هذا التفسير الذي يورده ابن الخطيب . وقد عثرنا فقط على كلمة Musco الإسبانية ، ومعناها الشديد السبرة .

(٤) أى المرابطين ، وهم كما رأينا ينتسبون إلى قبيلة لمتونة .

[وثار]^(١) ابن حمدين^(٢) بقرطبة ، وتسمى بأمر المؤمنين ، فبعثه رسولا ثقة بكفايته ودر بته وعجمة لسانه ، لمحاولة الصلح بينه وبين ابن حمدين ، فأغنى ونبه قدره ؛ ثم غلى مِرْجَل الفتنة وكثر الثوار بالأندلس ، فاتصل بالأمير ابن عياض بالشرق وغيره ، إلى أن تمكن له الإمتزاز^(٣) بحصن شقوبش ، ثم تغلب على مدينته شقورة^(٤) وتملكها وهي ما هي من النعمة ، فغلظ أمره ، وساوى محمد بن مردينش^(٥) أمير الشرق وداخله ، حتى عقد معه صِهْرًا على ابنته ، فاتصلت له الرياسة والإمارة . وكان يُعد سيفالصره المذكور ، مُسلطًا على من عصاه ، فقاد الجيوش ، وافتتح البلاد إلى أن فسد ما بينهما ، فتفاتنا وتقاطعا ، وانحاز بما لديه من البلاد والمعاقِل ، وعُدَّ من ثوار الأندلس أولى الشوكة الحادة ، والبأس الشديد ، والشبا المرهوب . وآثاره بعد انقباض دولته تشهد بما تأثّل من مُلك وسلف من الدولة ؛ والدّار الآخرة خير لمن اتقى . قال ابن صفوان :

وديار شكوى الزمان فتشك^(٦) حدّثنا عن عزة ابن همّشك

حاله

قال محمد بن أيوب بن غالب ، المدعو بابن حمادة : أبو إسحاق الرئيس ، شجاع

(١) هذه الكلمة واردة في « ج » . وساقطة في « ك » .

(٢) ورد اسمه في « ج » (ابن أحمد) . وفي « ك » (ابن أحمد) وكلاهما تحريف . وصوابه (ابن حمدين) . وابن حمدين هذا هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن علي بن حمدين . ثار بقرطبة في رمضان سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) ، واستبد بحكمها ، وتلقب باسم المنصور بالله ، ولكن حكمه لم يطل أكثر من أسبوعين حيث قصد المستعين بن هود قرطبة ، واستولى عليها بمعاونة أهلها . وفر ابن حمدين ناجياً بنفسه . (راجع الحلة السراء لابن الأبار ص ٢٢٥ و ٢٢٨ . وتاريخ المرابطين والموحدين (الترجمة) لمحمد عبد الله عنان ج ١ ص ٢١٨)

(٣) الامتزاز أى الامتناع .

(٤) سبق التعريف بمدينة شقورة Segura de Sierra (انظر الحاشية في ص ١٧٩) .

(٥) سبق التعريف به (انظر الحاشية في ص ٢٢٥)

(٦) وردت في المخطوطين : فتشك .

بِهَمَّةٍ مِنَ الْبَهَمِ^(١). كَانَ رَئِيسًا ، جَرِيئًا شَجَاعًا مِقْدَامًا شَدِيدَ الْحَزْمِ ، سَدِيدَ الرَّأْيِ ، عَارِفًا بِتَدْيِيرِ الْحَرْبِ ، حَمِيَّ الْأَنْفِ ، عَظِيمَ السَّطْوَةِ ، مَشْهُورَ الْإِقْدَامِ [مُرْتَكِبًا لِلْعَظِيمَةِ]^(٢). قَالَ بَعْضُ مَنْ عَرَّفَ بِهِ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ ؛ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ قَائِدَ فَرَسَانٍ ، هُوَ حَلِيفٌ فَتَنَةٌ وَعُدُوَانٌ ، وَلَمْ يَصْحَبْ قَطُّ مَتَشَرِّعًا ، وَلَا نَشَأَ فِي أَصْحَابِهِ مَنْ كَانَ مَتَوَرِّعًا ، سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَى الْخَلْقِ ، وَأَمَلَى لَهُ فَأَضْرَبَ بَيْنَ جَاوِرِهِ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ ، وَحُبَّ بِإِلَيْهِ الْعَيْثُ فِي الْعِبَادِ .

سِيرَتُهُ

كَانَ جَبَارًا قَاسِيًا ، فَظًّا غَلِيظًا ، شَدِيدَ النَّكَالِ ، عَظِيمَ الْجَرَأَةِ وَالْعَبَثِ بِالْخَلْقِ ؛ بَلَغَ مِنْ عَيْثِهِ^(٣) فِيهِمْ ، إِحْرَاقُهُمْ بِالنَّارِ ، وَقَذْفُهُمْ مِنَ الشَّوَاهِقِ وَالْأَبْرَاجِ ، وَإِخْرَاجِ الْأَعْصَابِ وَالرِّبَاطَاتِ عَنْ ظُهُورِهِمْ ، عَنْ أَوْتَارِ الْقَيْسِيِّ بَزْعَمِهِ ، وَضَمِّ أَغْصَانِ الشَّجَرِ الْعَادِي بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَرَبَطِ الْإِنْسَانَ بَيْنَهَا^(٤) ، ثُمَّ تَسْرِيجِهَا ، حَتَّى يَذْهَبَ كُلُّ غَصْنٍ بِحِظِّهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ ؛ وَرَأَاهُ بَعْضُ الصَّالِحِينَ فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَسَأَلَهُ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ فَأَنْشَدَهُ :

مِنْ سِرِّهِ الْعَيْثُ فِي الدُّنْيَا بِخَلْقَةٍ مِنْ يَصُورُ الْخَلْقَ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ
فَلْيَصْبِرِ الْيَوْمَ صَبْرِي تَحْتَ بَطْشَتِهِ مَغْلًا^(٥) يَمْتَطِي جَمْرَ الْغَضَا فَرَشًا .

شَجَاعَتُهُ

زَعَمُوا أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي كَانَتْ لِنَصْرِهِ مُتَصَيِّدًا ، وَفِي صَحْبَتِهِ مُحَاوِلُو الْهَوَى

(١) تَطْلُقُ عَلَى الشَّجَاعِ الَّذِي يَسْتَبْهِمُ عَلَى أَقْرَانِهِ مَاتَاهُ . وَالْبَهْمَةُ هِيَ الصَّخْرَةُ الصَّامِتَةُ .

(٢) وَرَدَتْ فِي « ك » ، مُرْتَكِبُ الْعَظْمَةِ . وَابْتِهَا وَرَدَتْ مُحَرَّفَةً فِي « ج » (مُرْتَكِبًا لِلْعَظِيمَةِ) .

(٣) وَرَدَتْ فِي « ج » ، عَيْثُهُ . وَفِي « ك » غَشَهُ .

(٤) فِي « ج » بَيْنَهُمَا .

(٥) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » مَغْلًا .

وقارعوا أوتار الغناء^(١) ، في مائة من الفرسان ، وثقاوة أصحابه ؛ فما راعهم إلا خيل
العدو هاجمة على غيرة ، في مائتي^(٢) فارس ضعيف عددهم ؛ فقالوا العدو في مائتي
فارس ، فقال وإذا كنتم^(٣) أتم لمائة ، وأنا لمائة ، فنحن قدرهم ؛ فعدّ نفسه بمائة .
ثم استدعى قدحاً من شرابه ، وصرف وجهه إلى المغني ، وقال أعد^(٤) لي تلك
الآيات ، كان يغنيه بها فتعجبه :

يتلقى النداء بوجهٍ حيٍّ وصدور القنا بوجه وقاح
هكذا هكذا تكون المعالي طرق الجد غير طرق المزاح

فغناه بها ، واستقبل العدو ، وحمل عليه بنفسه وبأصحابه ، حملة رجل واحد ،
فاستولت على العدو الهزيمة ، وأتى على معظمهم القتل ، ورجع غانماً إلى بلده . ثم
ضربت الأيام ، وعاود التصيّد في موضعه ذلك ، وأطلق بازه على حجلة ، فأخذها ،
وذهب ليذكيها ، فلم يحضره خنجر ذلك الغرض في الوقت ، فبينما هو يلتبسهُ ،
إذ رأى نصلاً من نصال المعتك من بقايا يوم الهزيمة ، فأخذه من التراب ، وذبح به
الطائر ، ونزل واستدعى الشراب ؛ وأمر المغني فغناه بيت أبي الطيب :

تذكرت ما بين العذيب وبارق تجرّ عوالينا في مجرى السوابق
وصحبة قوم يذبجون قنيصهم بفضلة ما قد كسروا في المفارق

وقد رأيت من يروى هذه الحكاية عن أحد أمراء بني مرّدينش ، وعلى كل حال
فهي [من]^(٥) مُستظرف الأخبار .

(١) وردت في المخطوطين : (أوتار غنى) .

(٢) وردت في المخطوطين : مائتين . وهو تحريف .

(٣) وردت في المخطوطين : كان . والتصويب لازم للسياق .

(٤) وردت في المخطوطين : عد .

(٥) زيادة يقتضيهما السياق . وهي ساقطة في المخطوطين .

دخوله غرناطة

قالوا ، وفي سنة ست وخمسين وخمسمائة ، في جمادى الأولى منها ؛ قصد إبراهيم ابن هُمُشك بجمعه مدينة غرناطة ، وداخل طائفة من ناسها ، وقد تشاغل الموحدون بما دهمهم من اختلاف الكلمة عليهم بالمغرب ، وتوجّه الوالى بغرناطة السيد [أبى] ^(١) سعيد إلى العدو ، فاقتحمها ليلاً واعتصم الموحدون بقصبتها ؛ فأجاز بهم ^(٢) بأنواع الحرب ، ونصب عليهم المجانيق ، ورمى فيها من ظفر به منهم وقتلهم بأنواع من القتل . وعند ما اتصل الخبر بالسيد أبى سعيد ، بادر إليها فأجاز البحر ، والتف ^(٣) به السيد أبو محمد [بن] ^(٤) أبى حفص بجميع جيوش الموحدين والأندلس ؛ ووصل الجميع إلى ظاهر غرناطة ، وأصحر إليهم ابن هُمُشك ، وبرز منها ، فالتقى الفريقان « بمرج الرقاد » ^(٥) من خارجها ، ودارت بينهم الحرب ، فانهزم جيش الموحدين ، واعترضت الفلّ تخوم القدادين ^(٦) وجداول المياه التى تتخلل المَرَج ^(٧) ، فاستولى عليهم القتل ، وقتل فى الواقعة السيد أبو محمد ؛ ولحق السيد أبو سعيد بمالقة ؛ وعاد ابن هُمُشك إلى غرناطة فدخلها بجُملة من أسرى القوم ، أخش فيهم المثلة ، برأى من إخوانهم المحصورين ؛ واتصل الخبر بالخليفة بمراكش ، وهو بمقرّبة ^(٨) سَلَا ، قد فرغ من

(١) وردت فى المخطوطين : أبو . وهو تحريف يقتضى التصويب .

(٢) هكذا فى « ك » . وفى « ج » لهم .

(٣) وردت هذه الكلمة فى « ج » . ومكانها بياض فى « ك » .

(٤) وردت فى « ك » . وأغفلت فى « ج » .

(٥) كان هذا الاسم يطلق على موضع بظاهر غرناطة على بعد بضعة كيلومترات من قرية الطرف

Atarfe فى سفح جبل البيرة Sierra de Elvira على مقربة من نهر شنيل . ومقابلها الحديث هو Majorrocal

أو Merrojal : (S. de Lucena: Al-Andalus: 1944, p. 505)

(٦) أى الحدائق والبقاع .

(٧) هو مرج غرناطة الشهير La Vega . وقد سبق التعريف به (انظر الحاشية فى ص ١٠٥) .

(٨) هكذا وردت فى « ك » . وفى « ج » بقربة .

أمر عدوّه^(١)، فجهز جيشاً حسناً، أصبحبه السيد أبا يعقوب ولده، والشيخ أبا يوسف ابن سليمان زعيم وقته، وداهية زمانه؛ فأجازوا البحر، والتقوا^(٢) بالسيد أبي سعيد بمالقة، وتتابع الجمع، والتف بهم من أهل^(٣) الجهاد من المتطوعة، واتصل منهم السير إلى قرية دِلَر^(٤) من قرى غرناطة؛ وكان من استمرار الهزيمة على ابن هُمَشَك الذي أمره لنفسه^(٥) وجيشه، من نصارى وغيرهم، ما يأتى ذكره عند اسم ابن مَرْدَنِيَش في الموحدين، في حرف الميم بحول الله تعالى.

انخلاعه للموحدين عما ييده

وجوازه للعدوة، ووفاته بها

قالوا؛ ولما فسد ما بينه وبين ابن مردنیش بسبب بنته التي كانت تحت الأمير أبي محمد بن سعد بن مردنیش إلى أن طلقها، وانصرفت إلى أبيها، وأسلمت إليه ابنها منه، مختارة كنف أبيها إبراهيم، نازعة في انصرامه إلى عروقتها؛ فلقد حكى أنها سئلت عن ولدها، وإمكان صبرها عنه، فقالت: جَرُّوْ كَلْبٍ، جرو سوء، من كلب سوء، لا حاجة لي به؛ فأرسلت كلمتها في نساء الأندلس مثلاً؛ فاشتدت بينهما الوحشة والفتنة، وعظمت الحنة، وهلك بينهما من الرعايا الممرورين، المضطرين، بقنينة^(٦) الثوار ممن شاء الله بهلاكه، إلى أن كان أقوى الأسباب في تدمير^(٧) ملكه.

(١) هكذا في «ج». وفي «ك»، عوده.

(٢) وردت في المخطوطين: وتلقوا. وهو تحريف اقتضى التصويب.

(٣) أثبتنا «ك»، وأغفلنا «ج».

(٤) هكذا ورد اسمها صحيحاً في «ج». وفي «ك» دلن، وهو تحريف. وقرية دِلَر ما تزال تقوم

حتى اليوم. وتقع في جنوب غرناطة على مقربة من قرية «البذول». وهي بالإسبانية Dilar

(٥) هكذا في «ك». وفي «ج»، بنفسه.

(٦) هكذا وردت في المخطوطين. وقنينة أعني حظيرة.

(٧) وردت هذه الكلمة في المخطوطين: تدمير. وواضح أنه تحريف لكلمة تدمير، وهو ما

يؤيده سياق الكلام.

ولما صرف ابن سعد عزمه إلى بلاده ، وتغلب على كثير منها ، خدم ابن هُمُشَك
الموحِّدين [ولاذ بهم]^(١) واستجارهم ؛ فأجاز البحر ، فقَدِمَ على الخليفة عام
خمسَ وستين وخمسمائة ، فأكرم قدومه ، وأقرَّه بمواضعه ؛ إلى أوائل عام أحد وسبعين ،
فطولب بالانصراف إلى العُدوة بأهله وولده ، وأُسكن مَكْنَسَةً ، وأُقطع بها سَآمًا^(٢)
لها خطر ، واتَّصلت تحت عناية إلى أن هلك .

وفاته

قالوا ، واستمر^(٣) مُقام ابن هُمُشَك بمكناسة غير كبير ، وابتلاه الله بفالج غريب
الأغراض ، شديد سوء المزاج ، إلى أن هلك ؛ فكان يدخل الحَمَّام الحار ، فيشكو
حرَّه بأعلى صراخه ، فيخرج ، فيشكو البرد كذلك ، إلى أن مضى سبيله .

إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعد
عثمان بن أمير المسلمين^(٤) أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق
يكنى أبا سالم .

أوليته

الشمس تنخبر^(٥) عن حُلَى ، وعن حُلَل . فهو البيت الشهير ، والجلال الخطير ، والمُلك

(١) وردت هذه العبارة في « ج » ، وأغفلها « ك » .
(٢) هكذا في المخطوطين ، والسوام والسائمة أى الإبل الراعية .
(٣) وردت في المخطوطين : واستمرت . وهو تحريف .
(٤) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » ، أمير المؤمنين . وهو سهو .
(٥) في المخطوطين : تنكر ، والتصويب من « ت » .

الكبير، والفلك الأثير، ملاك المسلمين، ومُحاة الدين، وأمرء المغرب الأقصى من بني مَرين^(١)؛ غيوث المواهب، وليوث العرين^(٢)، ومعتد الصريح، وسهام الكافرين . أبوه السلطان أبو الحسن، الملك الكبير، البعيد^(٣) شأو الصيت والهمة والعزيمة، والتحلّى بحلى الشنة، والإقامة لرسوم الملك، والاضطلاع بالهمة، والصبر عند الشدة . وأخوه أمير المسلمين، فذلّة الحسب، ونير النّصبة، وبذرة المعدن، وبيت القصيد، أبو عنان، فارس؛ الملك الكبير، العالم المتحجّر، العامل، النظّار، الجواد، الشجاع، القسور، الفصيح، مدد السعادة، الذي خرق الله [به]^(٤) سياج العادة؛ فما عسى أن يطلب اللسان، وأين تقع العبارة، وماذا يحضّر الوصف، عينُ هذا المجد فوّارة، وحسبُ هذا الحسبِ اشتهاه، قولاً بالحق، وبعداً عن الإطراء، ونشراً للواء النّصفة، حفظ الله [على]^(٥) الإسلام ظلّهم، وزين بيدور الدين والدنيا هالتهم، وأبقى الكلمة فيمن اختاره منهم .

حاله

كان شاباً^(٦) كما تطلّع وجهه، حسن الهيئة، ظاهر الحياء والوقار، قليل الكلام،

(١) بنومرين هم بطن من بطون قبيلة زناتة البربرية الشهيرة، وكانوا في بداية أمرهم من القبائل البدوية المتنقلة . وفي أوائل القرن السابع الهجري ساروا نحو المغرب الأقصى، ونفذوا إلى أراضي الموحدين . وكانت دولة الموحدين تجوز دور انحلالها . وبدأت المعارك بينهم وبين الموحدين فظهروا عليهم تباعاً واستولوا على فاس سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) . ثم استولوا على مراكش سنة ٦٦٩ هـ (١٢٦٩ م) وانتهت بذلك دولة الموحدين . وقامت مكانهم دولة بني مَرين في المغرب الأقصى من ذلك الحين . واشتد بأسها وسطع نجمها، وظهر فيها ملوك عظام مثل أبي يوسف يعقوب منشيء دولتهم، وأبي الحسن علي بن عثمان، وولده أبي عنان فارس، ثم ولده أبي سالم إبراهيم، (وهو المترجم هنا) . وقد لبثت دولة بني مَرين دهرأ عضداً لمملكة غرناطة بالأندلس . وقد عبروا البحر مراراً وتكراراً لغزوها وإنجاءها .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : الغر . والأولى أرجح وأصلح للسياق .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » المعتد .

(٤) زيادة يستلزمها السياق .

(٥) أثبتها « ك » . وأغفلها « ج » .

(٦) في المخطوطين : شبا .

صليفيه عن اللفظ، آدَمَ اللون^(١)، ظاهر السكون والخيرية والحشمة، فاضلاً، متخلفاً؛ قدمه أبوه، أمير الرتبة، موُفَى الألقاب، بوطن سِجِلْمَاسَة، وهى عمالة مُلْكٍ^(٢)، فاستحق الرتبة فى هذا الباب بمزيد هذه الرتبة المشترط لأول تأليفه. ولما قبضه الله إليه، واختار له ما عنده، أحوج ما كانت الحال إلى من ينظم الشّت، ويجمع الكلمة، ويصون الدّما سبحانه^(٣) أحوج ما كانت الدنيا إليه، وصير أمره [إلى وارثه طواعية]^(٤) وقسراً، ومستحقاً وغلاباً، وسَلَمًا، وذاتاً وكَسْبًا، السلطان أخيه، تحصل هو [وأخ له]^(٥) اسمه محمد، وكنيته أبو الفضل، يأتى التعريف بحاله فى مكانه إن شاء الله؛ فأبقى^(٦)، وأغضى، واجتنب الهوى، وأجاب داعى البر والشفقة والتقوى، فصرفهما إلى الأندلس؛ باشرت إركابهما البحر بمدينة سَلَا ثانى اليوم الذى انصرف من بابه؛ وصدرت عن بحر جوده، وأفضت بإمامة عنايته، مُصْحَبًا بما يُجْرَس^(٧) لسان الثناء من صنوف كرامته، فى غرض السّفارة عن السلطان بالأندلس، تغمده الله برحمته؛ ونزل مَرَبَلَة^(٨) من بلاد الأندلس المصروفة إلى نظره، واصلًا السير إلى غرناطة.

(١) أعنى أسمر اللون.

(٢) هكذا وردت فى المخطوطين. وفى «ت» ملكهم.

(٣) وردت فقط فى «ج». ومكانها بياض فى «ك».

(٤) وردت هذه العبارة محرفة فى «ج» (إلى وازنه طوعية). ومكانها بياض فى «ك». والتصويب

من «ت».

(٥) هكذا وردت فى المخطوطين. وفى «ت» اخوه.

(٦) وردت فى المخطوطين: فأننى. والتصويب من «ت».

(٧) هكذا وردت فى «ك». وفى «ج» و «ت». يعرض.

(٨) ورد اسم هذا المكان محرفاً فى المخطوطات الثلاثة: فى «ك» جربله. و«ج» جذيلة. و«ت»

جربة. والمرجح المقصود، هو مربلة، وهى من ثغور الأندلس الجنوبية. وتقع إلى جنوب غربى مالقة

وكانت وقتئذ من الثغور الأندلسية التى بيد بنى مرين. وبالإسبانية Marbella

دخوله غرناطة

قَدِمَ هو وأخوه عليها ، يوم عشرين من جمادى الأولى ، من عام اثنين وخمسين وسبعائة . وبرز السلطان إلى لقاءهما ، إبلاغاً في التَّجَلُّة ، وانحطاطاً في دَسْت^(١) التَّخْلُق ؛ فسعيا إليه مُرْتَجِلِينَ ، وفاوضهما^(٢) ، حتى قُضِيَت الحقوق ، واستَفْرَجَت^(٣) تَفَقَّدَه وجرأيتَه ، وحلًّا بأحظى الأمكنة ، واحتَفَيَا^(٤) في سرير مجلسه ، مقسوماً بينهما الحظ ، من هَشْتِه وَلَحْظَتِه ؛ فأما محمد فسوَّلت له نفسه الأطماع ، واستَفْرَجَتَه الأهواء ، أمراً كان قاطع أجله ؛ وسَعَّدَ أخيه اختاره الله من دونه . وأما إبراهيم المترجم به ، فَجَنَحَ إلى أهل^(٥) العافية ، بعد أن ناله اعتقال ، بسبب إرضاء أخيه أمير المسلمين فارس ، في الأخريات لشهر ذى حجة من عام تسعة وخمسين وسبعائة ، وتقديم ولده الصبيّ ، المُكْنَى بأبي بكر ، المسمّى بسعيد ، لنظروزيه في الحزم والكفاية ، حَرَّكَه الاستدعاء ، وأقْلَقَتْهُ^(٦) الأطماع ، وهبَّ به السائل^(٧) . وعَرَّضَ بغرضه إلى صاحب [الأمر]^(٨) بالأندلس ، ورفق عن صُبُوْحه ، فشكا إلى غير مُصْتَمِت ، فخرج من الحضرة ليلاً من بعض مجارى المياه ، راكباً للخطر ، في أخريات جمادى الأولى من العام بالحضرة المكتبة الجوار ، من ثغور العدو ، وَلَحِقَ بملك قشتالة ، وهو يومئذ بإشبيلية ، قد شرع

(١) هكذا وردت في «ك»، وفي «ج» ضمة ، وفي «ت» نعة . والأولى أرجح

(٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» ، قارضهما .

(٣) في «ج» واستفرجت . وفي «ك» استفرج . والتصويب من «ت» .

(٤) في «ت» ، واختفيا . وفي المخطوطين : اختنى .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة . (أصل) وقد رجحنا هذا التصويب لأنه أنسب للسياق .

(٦) وردت محرفة في المخطوطين : قلقة . وفي «ت» ، وقلعت .

(٧) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» الرسائل . والأولى أرجح .

(٨) هذه الكلمة واردة في «ج» و «ت» ، وساقطة في «ك» .

في تَجْرِيةٍ إلى عدوّه من بَرْجِلونة^(١) ، فطرح عليه نفسه ، وعرض عليه مخاطبات استدعائه ودسّ له المطامع المرتبطة بمحصول غايته ، فقبل سعايته ، وجّه له جَفَنًا من أساطيله ، أركب فيه ، في طائفة تَحْرِيكه ، وطعّن بحر المغرب إلى ساحل أزمو^(٢) ، وأقام به منتظرًا إلى إنجاز المواعد ، ممن بمرّاكش ، فألّف [الناس]^(٣) قد حَطَبُوا في حَبَل منصور بن سليمان ، وبايعوه بجملتهم ، فأخفق مسعاه ، وأخلف ظنه ، وقد أخذ منصور بِمُخَنَّقِ البلد الجديد ، دار مُلْك فارس^(٤) ، واستوثق له الأمر ، فانصرف الجَفَنُ أدراجَه . ولما حاذى لبلاد غُمارة من أحواز أَصِيلا^(٥) ، تنادوا به^(٦) قومٌ منهم ، وانحدروا إليه ، ووعدوه الوفاء له ، فنزل إليهم ، واحتملوه فوق أكتادهم ، وأحدقوا^(٧) به في سفح^(٨) جبلهم ، وتنافسوا في الذَّبّ عنه ، ثم كَسَبُوا^(٩) أَصِيلا فملكوها [وَضِيقُ بطنجة]^(١٠) ، فدخلت في أمره ، واقتدت بها سَبْبةً ، وجبل الفتح ؛ واتصل به بعض الخاصة ، وخاطبه الوزير المحصور ، وتخاذل أشياع منصور ، فخذلوه^(١١) ، وفروا عنه جهارًا ، بغير علة ، وانصرفت الوجوه إلى السلطان أبي سالم ، فأخذ بيعاتهم عَفْوًا^(١٢) ، ودخل البلد المحصور ،

-
- (١) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة : في « ج و ك » ، رحلونه . وفي « ت » رجوله . والصواب (برجلونه) أو برشلونة وهي يومئذ عاصمة مملكة أراجون .
 (٢) أزمو^(٢) أو أزمو^(٢) من ثغور المغرب الأقصى وتقع شمال أصيلا .
 (٣) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . واردة في « ت » .
 (٤) دار ملك فارس ، أي السلطان فارس أبو عنان .
 (٥) هي من ثغور المغرب الغربية . وتقع على المحيط جنوب طنجة .
 (٦) هكذا في « ك » . وفي « ج » تنادر . والأصوب أن يكون الفعل بالمفرد . ولكنه يرد قبل الفاعل بالجمع في أحيان كثيرة . وهذه خاصة في بعض الأساليب الأندلسية المتأخرة .
 (٧) وردت في المخطوطين : واحزنوا . والتصويب من « ت » .
 (٨) هكذا في « ج » . وفي « ك » سطح .
 (٩) وردت في المخطوطات الثلاثة : كَسَبُوا . وهو تحريف ظاهر .
 (١٠) وردت في المخطوطين : (وصينوا لطنجة) وهو تحريف . والتصويب من « ت » .
 (١١) هكذا في « ج » و « ت » . وفي « ك » (فغدروه) والمعنى واحد .
 (١٢) هكذا وردت في « ج » و « ت » . وفي « ك » ، عنوا .

وقد ترددت بينه وبين الوزير المحصور ، مخاطبات في رد الدعوة إليه ؛ فدخل البلد يوم الخميس خامس عشرة شعبان من عام التاريخ ؛ واستقر^(١) وجدّد الله عليه أمره ، وأعاد ملكه ، وصرف عليه حقّه ، وبلى^(٢) هذا الأمير من سير الناس إلى تجديد عهد أبيه ، وطاعتهم إلى أمره ، وجنوحهم إلى طاعته ، وتمنّى مدته ؛ حال^(٣) غريبة ، صارت عن كَثَبٍ إلى أضدادها ، فصرف ولده إلى اجتثاث شجرة أبيه ، فالتقط من الصّبية بين مُراهقٍ ومُحتلمٍ ومُسْتَجْمِعٍ ، طائفة تناهز العشرين ؛ غلماناً رَدَنَةً ، قُتِلُوا إغراقاً من غير شُفْعَةٍ^(٤) توجب إباحة قطرة من دماهم ، ورأى أن قد [خلاله الجو]^(٥) ، فتواكل ، وآثر الحُجْبَةَ ، وأشرك الأيدي في مُلكه ، فاستبيحت أموال الرعايا ، وضائق^(٦) الجبايات ، [وكثرت الظلمات]^(٧) ، وأخذ الناس حرمانُ العطاء ، وانفتحت أبواب الإرجاف ، وحُدت [أبواب]^(٨) القواطع ، إلى أن كان من أمره ما هو معروف .

وفي أول شهر رجب عام واحد وستين وسبعائة ، تحرّك الحركة العظمى إلى تِلْسان . وقد استدعى الجهات ، وبعض البلاد ، ونَهَدَ في جيوش تَجَرُّ الشوك والحَجَر ، ففر سلطانها أمام عزمه^(٩) ، وطار الذُّعْر بين يدي الضلالة ، وكنا قد استغثنا القرار في إيالته^(١٠) ، وانتهى بنا الإزعاج إلى ساحل سَلا من ساحل مملكته ؛

(١) هكذا في المخطوطين : وفي « ت » واستنقد

(٢) هكذا في المخطوطين وفي « ت » ، وأخذ .

(٣) هكذا في « ج » و « ت » . وفي « ك » حالا .

(٤) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » و « ت » شفقة .

(٥) وردت محرفة في المخطوطين هكذا : (حالا له الحق) .

(٦) هكذا في « ت » . وفي « ج » ، وضويقت . وفي « ك » وصرقت .

(٧) وردت هذه العبارة محرفة في المخطوطين : (وكثرت الظلمات) .

(٨) هذه الكلمة ساقطة في « ك » . وواردة في الآخرين .

(٩) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » ، العزم .

(١٠) هكذا وردت في المخطوطين . وفي « ت » أظلمته . والمعنى واحد .

فخاطبته وأنا يومئذٍ مقيم بتربة أبيه ، مُتذمّمٌ بها ، في سبيل استخلاص أملاكى
بالأندلس ، في غرض التهينة والتوسّل :

« مولاي ، فتّاحُ الأقطار والأمصار ، فائدة الزمان والأعصار ، أثيرُ هبات الله
الآمنة من الاعتصار ، قدوةُ أولى الأيدي والأبصار . »

وفاته

وفي ليلة العشرين من شهر ذي قعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة ، ثار عليه
بدار الملّك ، وبلد الإمارة المعروف [بالبلد الجديد]^(١) ، من مدينة فاس ،
الغادر^(٢) مُخْلِفه عليها عمر بن عبد الله بن علي ، نَسَمَةُ السوء ، وُجُمَلَةُ الشؤم ،
المثل البعيد في الجرأة على قدر ، اهتبل^(٣) غرة انتقاله ، إلى القصر السلطاني ، بالبلد
القديم ، مُحتولاً إليه ، حَذِراً من قاطع فلكى [الجذّ رُقِيّة]^(٤) ، استعجله ضعفُ
نفسه ، وأعاناه على فرض صحته به ، وسدّ الباب في وجهه ، ودعا الناس إلى بيعة
أخيه المعتوه ؛ وأصبح حائراً بنفسه ، يروم استرجاع أمر ذهب من يده ، ويطوف
بالبلد ، يلتمس وجهاً إلى نجاح حيلته^(٥) ، فأعياه ذلك ، ورشّقت من معه السهام ،
وفرّت عنه الأجناد والوجوه ، وأسأَمه الدهر ، وتبرأ منه الجذّ ؛ وعندما جنّ عليه
الليل ، فرّ على وجهه ، وقد التفت عليه الوزراء ، وقد سُفّهت أحلامهم ، وقالت
آراءهم ؛ ولو قصدوا به بعض الجبال المنيعه ، لوّلوا وجوههم شطر مظنة الخلاص ،

(١) وردت هكذا في « ت » ، وفي المخطوطين : (البلد القديم الجديد) وعلى كلمة القديم علامة
تدل على الشك . والصواب ما أثبتناه .

(٢) وردت هذه الكلمة في المخطوطين : العاد . وفي « ت » : المعادي .

(٣) أى احتال واغتم .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في « ت » . وفي المخطوطين : (الجذ رمته) وهو تحريف . ولعل المقصود
هو حذره من نبوة تقضى على حظه .

(٥) هكذا في « ت » : وفي المخطوطين : حيله .

واتصفوا بعذر^(١) الإِبلاغ ؛ لكنهم نكلوا عنه ، ورجعوا أدراجهم ، وتسَلَّلوا راجعين
 من غادر^(٢) الجُملة ، وقد سلبهم الله لباس الحياء والرجلة^(٣) ، وتأذَّن الله لهم بسوء
 العاقبة ؛ وقصد بعض بيوت البادية ، وقد فضحه نهار الغداة^(٤) ، واقتفى البعث^(٥)
 أثره ، حتى وقعوا عليه ، وسيق إلى مصرعه ، وقُتل بظاهر البلد ، ثانی اليوم الذى
 كان غدر فيه ، جعلها الله له شهادة [ونفعه بها]^(٦) ، فلقد كان بقيَّة البيت ،
 وآخر القوم ، دماءة وحياء ، وبعداً عن الشر ، ورُكُوناً للعافية .
 وأنشدتُ على قبره الذى ووريت به جثته بالقلعة من ظاهر المدينة ، قصيدة
 أدّيت فيها بعض حقه .

بنی الدنيا بنی لَمع السَّراب لُدُّوا للموت وابنوا للخراب

إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص
 عمر بن يحيى الهنتاتى ، أبو إسحاق

أمير المؤمنين بتونس ، وبلاد إفريقية ، بن الأمير أبى زكريا ، أمير إفريقية ،
 وأصل الملوك المتأثلين العزّ بها ، والفرع الذى دَوَّح بها ، من فروع الموحّدين بالمغرب ؛
 واستجلابه بها أبا محمد عبد المؤمن بن على ، أبا الملوك من قومه ، وتغلبُ ذريته على

(١) هكذا فى « ت » . وفى المخطوطين : بعدار .

(٢) هكذا وردت فى « ت » . وفى « ج » ، (برعادر) . وفى « ك » (من عادى) . وهو

تحريف .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة : (الرحلة) . والرجلة أى الرجولة .

(٤) هكذا وردت فى « ت » . ووردت محرفة فى المخطوطين : (العدو) .

(٥) هكذا فى « ك » . وفى « ج » (اتبع) . وساقطة فى « ت » .

(٦) وردت فى المخطوطين . وأغفلت فى « ت » .

المغرب وإفريقية والأندلس معروف كله ، يفتقر بسطه^(١) إلى إطالة كثيرة ، تخرج عن الغرض .

وكان جدُّ هؤلاء الملوك من أصحاب المهدي ، في العشرة الذين [هبوا لبيعته]^(٢) وصحبوه في غزواته ، أبو حفص ، عمر بن يحيى ، ولم يزل هو وولده^(٣) من بعده ، مرفوع القدر ، معروف الحق .

ولما صار الأمر للناصر أبي عبد الله بن المنصور ، أبي يوسف بن يعقوب بن عبد المؤمن بن علي ، صرف وجهه إلى إفريقية ، ونزل بالمهدية ، وتلواك^(٤) إليه ابن غانية^(٥) فيمن لفه من العرب والأوباش ، في جيش يسوق الشجر والمدر ، فجهز إلى لقائه عسكرياً لنظر الشيخ أبي محمد بن عبد الواحد^(٦) بن أبي حفص ، جدهم الأقرب ، فخرج من ظاهر المهدية في أهبة ضخمة ، وتعبية^(٧) محكمة ، والتقى الجمعان فكانت على ابن غانية ، الدائرة ، ونصر الشيخ محمد نصراً لا كفاء له ، وفي ذلك يقول أحمد بن خالد من شعرٍ عندهم :

فتوحٌ بها شدَّت عرى الملك والدين تراقب منّا منكم غير تمنون

(١) وردت محرفة في المخطوطين : سبطه .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في « ك » . وفي « ج » (هبوا لبيعته) . وفي ت (هبوا البيعة) .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة : ووالده . وهو تحريف ظاهر .

(٤) وردت في المخطوطين : (وقلول) . وهو تحريف . وفي « ت » ، ، ، واق . وهي في حيز

هذا المعنى .

(٥) هو محمد بن إسحاق المسوفي المعروف بابن غانية من أسرة بني غانية وهم أسرة من القواد المرابطين اشتهرت بالمغرب والأندلس . وكان ابن غانية المذكور حينما انهارت دولة المرابطين - قد استولى على المهدية وتونس سنة ٥٩٩ هـ . وفرض عليها حكم إرهاب . وبعث الموحدين لقتاله أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص فاستطاع التغلب عليه وهزمه في سنة ٦٠٢ هـ . ثم هزمه ثانية في سنة ٦٠٦ هـ ، ووضع بذلك حداً للغامرات ابن غانية في تونس . ويلاحظ أن ابن غانية هذا هو غير سمييه الذي سبقت ترجمته (في الحاشية في ص ١٠٣) . (راجع الاستقصاء للسلوى ج ١ ص ١٨٩) .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين . وفي « ت » ، عبد المؤمن . وهو تحريف ظاهر .

(٧) وردت في المخطوطين : وتبعية .

وفُتحت المهديّة على هيئة ذلك الفتح ، وانصرف الناصر إلى تونس ، ثم تفقد البلاد ، وأحكم ثقافتها^(١) ، وشرع في الإياب إلى المغرب ، وترجّج عنده تقديم أبي محمد ابن أبي حفص المصنوع له يافريقية ، على ملكها ، مستظهاً منه بمضاء وسابقة وحزم ، بسط يده في الأموال ، وجعل إليه النظر في جميع الأمور ، سنة ثلاث وستمئة . ثم كان اللقاء بينه وبين ابن غانية في سنة ست بعدها ؛ فهزم ابن غانية ، واستولى على محلته ؛ فاتصل سعده ، وتوالى ظُهره ، إلى أن هلك مشايعاً لقومه من بني عبد المؤمن ، مظاهراً بدعوتهم ، عام تسعة وعشرين وستمئة .

وولى أمره بعده ، كبيرُ ولده ، عبد الله ، على عهد المستنصر بالله بن الناصر من ملوكهم ؛ وقد كان الشيخ أبو محمد زُوحم ، عند اختلال الدولة ، بالسيد أبي العلاء الكبير ، عم أبي المستنصر ، على أن يكون له اسم الإمارة بقصبة تونس ، والشيخ أبو محمد على ما لساأر نظره ؛ فبقى ولده عبد الله على ذلك بعد ، إلى أن كان ما هو أفضاً معروف من تصير الأمر إلى المأمون أبي العلاء إدريس ، ووقعه السيف في وجوه الدولة ببراكش ، وأخذه بثرّة^(٢) أخيه وعمه منهم . وثار أهل الأندلس على السيد أبي الربيع بعده بإشبيلية وجعجّعوا^(٣) بهم ، واخذوا في التشريد بهم ، وتبديد دعوتهم ؛ واضطربت الأمور ، وكثر الخلاف ؛ ولحق الأمير أبو زكريا بأخيه يافريقية ، وعرض عليه الاستبداد ، فأف من ذلك ، وأنكره عليه إنكاراً شديداً ، خاف منه على نفسه ؛ فلحق بقابس فارّاً ، واستجمع بها مع شيخها مكّي ، وسلف شيوخها اليوم من بني مكّي ؛ فمهد له ، وتلقاه بالرحب ، وخاطب له الموحدين سرّاً ، فوعده بذلك ، عند خروج عبد الله من تونس إلى الحركة ، من جهة القيروان . فلما

(١) ثقافتها أى تحصينها . وقد وردت محرفة في « ت » ، ثقاتها .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » (برة) . والثرة الطفرة الكثيرة الدم . والمقصود هنا الأخذ بالثأر .

(٣) هكذا وردت في « ك » ؛ وفي « ج » ، وجمعا .

تحرك [نحوا عليه]^(١)، وطلبوا منه المال، وتلكأ، فاستدعوا أخاه الأمير أبا زكريا، فلم يرعه وهو قاعد في خبائه، آمين في سر به، إلا ثورة الجند به، والقبض عليه، ثم طردوه إلى مراکش؛ وقعد أخوه الأمير أبو زكريا مقعده، وأخذ بيعة الجند والخاصة لنفسه، مستبداً بأمره، ورَحَلَ إلى تونس، فأخذ بيعة العامة، وقتل السيد الذي كان بقصبتها؛ وقبض أهل بجاية حين بلغهم الخبر، على واليها السيد أبي عمران، فقتلوه تغريقاً؛ وانتظمت الدولة^(٢)، وتأثَّل الأمر؛ وكان حازماً داهية مشاركاً في الطلب، أديباً راجح العقل، أصيل الرأي، حسن السياسة، مَصْنوعاً له، مَوْفَقاً في تديره؛ جبي^(٣) الأموال، واقتنى العُدَد، واصطنع الرجال، واستكثر من الجيش، وهزم العرب، وافتتح البلاد؛ وعظمت الأمانة بينه وبين الخليفة بمراكش الملقب بالسعيد، وعزم كل منهما على ملاقاته صاحبه، فأبى القَدَر ذلك؛ فكان من مهلك السعيد بظاهر تلمسان، ما هو معروف؛ واتصل بأبي زكريا هلاكٌ ولده ولى العهد أبي يحيى ببجاية، فعظم عليه حزنه، وأفرط جزعه؛ واشتهر من رثائه فيه قوله:

ألا جازِعٌ يبكي لفقْد حبيبه فإني لعمري قد أضربى الثُّكلُ
لقد كان لي مالٌ وأهل فقدتهم فهأنا لا مالٌ لَدَيَّ ولا أهل
سأبكي وأرثي حُسرةً لفراقهم بكاءً قريحٍ لا يَمَلُّ ولا يَسَلُّ
فلتهجى ليوم فرَّق الدهر بيننا ألا فرجٌ يُرجى فينتظم الشَّمْلُ
وإني لأرضى بالقضاء وحكمه وأعلم ربي أنه حاكمٌ^(٤) عدلٌ

نسبه^(٥) ابنُ عَذارى المراكشي في البيان المغرب. واعتلَّ بطريقه فمات ببلد

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «ك»، نحووا عنه. والأولى أنسب للسياق.

(٢) هكذا وردت في «ج». وفي «ك» الدعوة. والأولى أنسب للسياق.

(٣) وردت في المخطوطين: (مجبي). والمعنى يستقيم بالتصويب.

(٤) هكذا وردت في «ك». وفي «ج»، حكم. وبالأولى يستقيم الوزن.

(٥) وردت في المخطوطين: نسب. وربما سقطت بعدها كلمة «له». وبالتصويب يستقيم

الكلام نوعاً.

العُتَابَ لا نقضاء أربعة من مهلك السعيد ؛ وكان موت السعيد، يوم الثلاثاء ، مُنْسَلَخَ صَفَر سنة ست وأربعين وستمائة . وبويع ولده الأمير أبو عبد الله بتونس وسنه إحدى وعشرين سنة ، فوجد مُلْكاً مُؤَسَّساً ، وَجُنْدًا مُجَنَّدًا ، وسلطاناً قاهراً ، ومالاً^(١) وافراً ؛ فبلغ الغاية في الجبروت والتَّيَّة والتَّخوة والصِّلَف ، وتسمى بأمر المؤمنين ، وتلقَّب^(٢) بالمستنصر بالله ؛ وَتَقِيمُ^(٣) عليه أرباب دولته أموراً ، أَوْجَبَتْ مداخله عمه أبي عبد الله ابن عبد الواحد المعروف باللَّحْيَانِي ، ومبايعته سرّاً بداره ؛ وانتهى الخبر للمستنصر ، فعاجل الأمر قبل انتشاره برأى الحَزْمَةَ من خاصَّته ، كابن أبي الحسين ، وأبي جميل ابن أبي الحَمَلَات بن مَرْدِيش ، وظافر الكبير ، وقصدوا دار عمه فكبسوها^(٤) ، فقتلوا من كان بها ، وعُدَّتْهم تناهز خمسين ، منهم عمه ؛ فسكن الإرجاف ، وسَلِمَ المنازع ، وأَلَقَتْ عصاها ، وأعطت مقادها^(٥) ، واستمرت أيتامه . وأخباره في الجود والجُرْأَة ، والانهماك ، والتَّعَاطُف على ملوك زمانه ، مشهورة . وكانت وفاته سنة أربع وسبعين وستمائة . [وولى أمره]^(٦) بعده ابنه الملقب بالواثق بالله ، وكان مَضْعُوفاً^(٧) ، ولم تطل مدته

عاد الحديث ؛ وكان عمه المَترَجَم ، لما اتصل به مهلك أخيه المستنصر ، قد أجاز البحر من الأندلس ، ولحق بِتِلْمَسَانَ ، وداخل كثيراً^(٨) من الموحِّدين بها ، كأبي هلال ؛ فهَيَّأَ له أبو هلال تَمَلُّكاً بِجَايَةٍ ؛ ثم تحرك إلى تونس ، فتغلب عليها ، فقتل الواثق ،

(١) وردت في المخطوطين : وآمالا .

(٢) هكذا وردت في ك . وفي « ج » تقلب .

(٣) وردت في المخطوطين : ونظم . والتصويب من « ت » .

(٤) وردت هذه الكلمة في المخطوطين : (فجأ مكسبوها) وهو تحريف ظاهر .

(٥) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » مقالدها . والمعنى واحد .

(٦) هكذا وردت في « ج » . ووردت محرفة في « ك » (ووامره) .

(٧) هكذا وردت في المخطوطين . وهي كلمة يكثر المؤلف من استعمالها .

(٨) في المخطوطين : كثير .

وطائفة من إخوته وبنيه ، منهم صبيٌ يسمى الفضل ؛ وكان أنْهَضَهُمْ^(١) ، واستبدَّ بالأمر ، وتمَّت بيعته بإفريقية ، وكان من الأمر ما يذكر .

حاله

كان أيداً^(٢) ، جميلاً وسيماً ، رُبْعَةً بادناً ، آدَمَ اللون ، شجاعاً بُهْمَةً عَجَلًا غير مُرَاحٍ^(٣) ولا حازم ، منحطاً في هوى نفسه ، مُنْقَاداً لِلذَّتَةِ ، بريئاً من التَّشَمُّتِ في جميع أمره . وولى الخلافة في [كل]^(٤) حال كِبَرِهِ ، ووخطه الشَّيْبُ ، وآثر اللهو ، حتى زعموا أنه فُقِدَ [فَوُجِدَ]^(٥) في مزرعة باقلاً مزهرة أُلْفِي فيها بعد جهد ، نائماً بينها نشوان يتناثر^(٦) عليه سقطها ، واحتجب عن مباشرة سلطانه ؛ فزعموا أن خالسته^(٧) [أبا الحسن بن سهيل الناس ، داخل ولده أبا فارس]^(٨) في خلعه ، والقيام مكانه ، وبلغه ذلك ، فاستعدَّ وتأهب ، واستركب الجند ، ودعا ولده ، فأحضره ينتظر الموت من يمينه وشماله ، وأمر للحين فُقُتِلَ وطرح بأزقة المدينة ، وعجل بإزعاج ولده إلى بحاية ، وعاد إلى حاله .

دخوله غرناطة

قالوا ، ولما أوقع الأمير المستنصر بعَمِّه أبي عبد الله ، كان أخوه أبو إسحاق ، ممن

(١) هكذا في « ج » . ومكانها بياض في « ك »

(٢) أيداً ، أعنى قوياً .

(٣) وردت في « ج » مراحا ، وفي « ك » مرحا . وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وهي هنا حشو .

(٥) ساقطة في المخطوطين . والإضافة ، من « ت » .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة : يناثر . وهو تحريف .

(٧) هكذا وردت في المخطوطين . وفي « ت » ، خاصة . والمقصود هنا ، صفيه وموضع ثقته .

(٨) هكذا ورد ما بين الحاصرتين في المخطوطين . ولكنه ورد بصورة أخرى في ت : (أبا الحسن

ابن سهل ، فداخل الناس بولده أبي فارس) . وقد رجحنا نحن نص المخطوطين لما تدل عليه عبارة « والقيام مكانه » من ترجيحه .

فرَّ بنفسه إلى الأندلس، ولجأ إلى أميرها أبي عبد الله بن الغالب بالله أبي عبد الله [بن] ^(١) نصر، ثاني ملوكهم ^(٢) فنوّه به، وأكرم نزله، وبوّأه بحال عنايته، وجعل دار ضيافته لأول نزوله القصر المنسوب إلى السيد ^(٣) خارج حضرته، وهو آثرُ قصوره لديه؛ وحضر غزوات أغزاها ببلاد الروم، فظهر منه في نكاية العدو وصدامه [سهولة وغناء] ^(٤).

ولما اتصل به موت أخيه تعجّل الانصراف، ولحق بتلمسان، وداخل منها كبيراً من الموحدين، يعرف بأبي هلال ببجاية كما تقدم، فملكه أبو هلال منها ببجاية، ثم صعد ^(٥) تونس فملكها، فاستولى على ملك ابن أخيه [وما تمّ من دمه] ^(٦)، وارتكب الوزر ^(٧) الأعظم فيمن قُتل معه؛ وكان من أمره ما يأتي ذكره إن شاء الله.

إذبارُ أمره بهلاكه على يد الدعيِّ

الذي قيّضه الله [لهلاك حينه] ^(٨)

قالوا، واتّهم بعد استيلائه على الأمر فتى من أخصّاء ^(٩) فتيان المستنصر، اسمه نصير، بمالٍ وذخيرة، وتوجه إليه طلبه، ونال منه. وانتهاز الفتى فرصةً لحق فيها بالمغرب واستقر [بجلال المراجعة] ^(١٠) من عرب دَبَّاب، وشارع الفساد عليه، بجملة

(١) ساقطة في المخطوطات الثلاثة ويقتضيها السياق.

(٢) هذا السلطان هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن الأحمر. حكم مملكة غرناطة بعد وفاة أبيه مؤسس المملكة في سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢ م) حتى سنة ٧٠١ هـ (١٣٠٢ م). وكان يلقب بالفقيه لعلمه وتقواه.

(٣) هو القصر الذي ما تزال بقية منه تقوم حتى اليوم خارج غرناطة. ويعرف عند الإسبان بقصر

شنييل Alcazar Genil. وقد سبق التعريف به (انظر الحاشية في ص ١٢٥).

(٤) وردت في الثلاثة: (سهولة عنا). وهو تحريف.

(٥) هكذا في «ت». وفي المخطوطين: صمد، وهو تحريف.

(٦) هكذا في «ك» وفي «ت». و«ج» (وما تمّ من دمه).

(٧) وردت في الثلاثة: الوزير، وهو تحريف ظاهر.

(٨) هكذا وردت في المخطوطين. وفي «ت» (بهلاك حينه).

(٩) هكذا وردت في المخطوطين. وفي «ت» خصيات.

(١٠) هكذا وردت في «ت». وفي المخطوطين: (بخلال المراجعة).

جهده ، حريصاً على إفساد أمره ، وعثرَ لقضاء الله وقدره بدعي^(١) من أهل بجاية يعرف بابن أبي عمارة .

حدثني الشيخ المُسن الحاج أبو عثمان اللواتي من عدول المياسين^(٢) ، متأخر الحياة إلى هذا العهد ؛ قال خُضْتُ^(٣) مع ابن أبي عمارة ببعض الدكاكين بتونس ، وهو يتكهن لنفسه ما آل إليه أمره ، ويعد بعض ما جرى به القدر ؛ وكان أشبه الخلق بأحد الصبية الذين ماتوا^(٤) ذبحاً ، بالأمير أبي إسحاق ، وهو الفضل ، فلاحته نُصيرَ وجهه حُلْمه^(٥) ، فبكي حين رآه ، وأخبره بشبهه بمولاه ، ووعدته الخلافة ؛ فحركَ نفساً مُهيأة^(٦) في عالم الغيب المحجوب إلى ما أبرزته المقادر^(٧) ، فوجده منقاداً لهواه ، فأخذ في تلقينه ألقاب الملوك ، وأسماء رجاله ، وعوايده ، وصفة قصوره ؛ وأطلعه على إماراتٍ جرت من المستنصر لأمراء العرب ، سرّاً كان يعالجها نُصير ، وعرضه على العرب ، بعد أن أظهر العويل ، ولبس الحداد ، وأركبه ، وسار بين يديه حافياً ، حُزناً لما ألقاه عليه من المضيعة ، وأسفاً لما جرى عليه ، فبايعته العرب النّافرة ، وأشادوا بذكره ، وتقوؤوا بما قرره من إمارته ؛ فعظم أمره ، واتّصل بأبي إسحاق نبأه ، فبرز إليه ، بعد استدعاء ولده من بجاية ؛ فالتقى الفريقان ، وتمت على الأمير أبي إسحاق الهزيمة ، واستلّحم الكثير ممن كان معه ، وهلك ولده ، ولجأ أخوه الأمير أبو حفص لقلعة سنان ، وفرّ هو لوجهه ، حتى لحق ببجاية ؛ وعاجله

(١) وردت هذه الكلمة في المخطوطين : (يعنى) . وفي « ت » « بد » . وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه وهو اللقب الذي عرف به ابن أبي عمارة .

(٢) إما أن تكون هذه الكلمة اسم موضع ، أو تكون تحريفاً لكلمة « مياسير » . والأولى أرجح .

(٣) وردت في المخطوطين : (حطت) . وفي « ت » (خطت) . والتصويب أرجح .

(٤) وردت في المخطوطين : (توا) فقط . وهو سهو ظاهر .

(٥) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » (حيلة) . وفي « ت » (حليته) .

(٦) وردت في المخطوطين : (ميهات) وهو تحريف .

(٧) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » المقابر . وهو تحريف .

ابن أبي عمارة ، فبعث جريدة من الجند^(١) لنظر أشياخ من الموحدين ، أغرت^(٢) إليهم الإيقاع ، فوصلت^(٣) إلى بجاية ؛ فظن من رآه من القلّ المنهزم فلم يعترضه معترض عن القصبة . وقبض على الأمير أبي إسحاق ، فطوّقه الحمام ، واحتزّ رأسه ، وبعث إلى ابن أبي عمارة به ؛ وقد دخل تونس ، واستولى على ملكها ، وأقام سنين ثلاثة ، أو نحوها [في]^(٤) نعاء لا كفاء له ، واضطّلع بالأمر ، وعاث في بيوت أمواله ، وأجرى العظام على نسائه ورجاله ، إلى أن فشا أمره ، واستقال^(٥) الوطن من تمرّته^(٦) فيه ، وراجع^(٧) أرباب الدولة بصايرهم في شأنه ، ونهّد^(٨) إليه الأمير أبو حفص طالبا بثأر أخيه ، فاستولى ، ودحض عاره ، واستأصل شأفته ، ومثّل به ؛ والمُلك لله ، الذي لا تزن الدنيا جناح بعوضة عنده .

وفي هذا قلت عند ذكر أبي حفص في الرجز المسمى [بنظم]^(٩) الملوك ، المشتمل على دول الإسلام أجمع ، على اختلافها إلى عهدنا ، فمنه في ذكر بني حفص :

أولهم يحيى بن عبد الواحد وفضلهم ليس له من جاحد
وهو الذي استبدّ بالأمور وحازها ببيعة الجمهور
وعظمت في صُقعهِ آثاره ونال مُلكاً عالياً مقداره

(١) وردت في « ت » الخبر . وهو تحريف لا موضع له .

(٢) في المخطوطين : أوغرت . والتصويب من « ت » .

(٣) في المخطوطين : فوصل . والتصويب من « ت » .

(٤) وردت هذه الكلمة في « ت » . ومكانها في المخطوطين ، (سك) وهما حرفان لم نهتد إلى حكمة وجودهما هنا .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . وفي « ت » ، استقل .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة : (ثمرته) . والتصويب أنسب للسياق .

(٧) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » وراجعت .

(٨) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » : نهض ، والمؤدى واحد .

(٩) هكذا في « ت » . وفي المخطوطين : بقطع . والمقصود هنا كتاب ابن الخطيب المسمى (رقم

الحلل في نظم الدول) . وقد سبقت الإشارة إلى غير مرة .

ثم تولى ابنه المستنصر وهو الذى علياه لا تنحصر
 أصاب ملكاً رئيساً^(١) أوطانه وافق عزاً سامياً سلطانته
 ودولة أموالها مجموعة وطاعة أقوالها مسموعة
 فلم تخف من عقدها انتكاثا وعاث في أموالها عيائنا
 هبت بنصر عزه الرياح وسقيت بسعده الرماح
 حتى إذا أدركه شرك الردى وانتحب الندى عليه والندا
 قام ابنه الواثق بالتدبير ثم مضى في زمن يسير
 سطا عليه العم إبراهيم والمُلك في أربابه عقيم
 وعن قريب سلب الإمارة عنه الدعى^(٢) ابن أبي عمارة
 عجبية من لعب الليالى ما خطرت^(٣) لعاقل ببال
 واخترم السيف أبا إسحاقاً أبا هلال لقي المحاقا
 واضطربت على الدعى الأحوا ل والحق لا يغلبه المِحال
 ثم أبو حفص سما عن قرب وصير الدعى رهين^(٤) التُّرب
 ورجع الحق إلى أهليه وبعده محمد يليه

وهذه الأمور تستدعى الإطالة ، مخلة بالغرض ، ومقصدي أن أستوفى ما أمكن
 من التواريخ التى لم يتضمنها ديوان ، وأختصر ما ليس بقريب^(٥) ، والله ولى
 الإعانة [بمنه]^(٦) .

(١) هكذا فى « ت » ، و « ج » . وفى « ك » : رايسا .

(٢) هكذا وردت فى « ت » . وفى المخطوطين : الداعى :

(٣) وردت فى المخطوطين : خاطرت .

(٤) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : وهق ، وهو تحريف .

(٥) وردت فى المخطوطين : بغريب . والتصويب أنسب للسياق .

(٦) وردت فقط فى « ج » .

إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد
ابن سهيل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي
يكنى أبا إسحاق .

أوليتّه

منزل جدّهم الداخل إلى الأندلس ، قرية « شون »^(١) من عمل ، أوقيل من إقليم البيرة . قال [ابن البستي]^(٢) : يتهم في الأزدي ، ومجدهم ما مثله مجد ، حازوا السكّال^(٣) ، وانفردوا بالأصالة والجلال ، مع عفة وصيانة ووقار ، وصلاح وديانة ؛ نشأ على ذلك سلفهم ، وتبعهم الآن خلفهم . وذكرهم مطرف بن عيسى في تاريخه^(٤) ، في رجال الأندلس ؛ وقال ابن مسعدة^(٥) ، وقفت على عقد قديم لسلفي ، فيه ذكر محمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي ، وقد حُلّي فيه بالوزير الفقيه أبي أحمد بن الوزير الفقيه أبي عمرو إبراهيم . وتاريخ العقد سنة ثلاث وأربعمائة ، فناهيك من رجال تحملوا^(٦) بالجلالة والطهارة منذ أزيد من أربعمائة سنة ، ويوصفون

(١) سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ٢٨٥) .

(٢) وردت في المخطوطين : ابن البسر . والمرجح انه ابن البستي ، وهو من أدباء الأندلس في القرن الثالث الهجري .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » : الكلام .

(٤) مطرف بن عيسى الغساني من أدباء غرناطة في القرن الرابع الهجري . وقد صنف كتاباً عن « فقهاء البيرة » . وآخر عن شعرائها .

(٥) سبق أن وردت ترجمة ابن مسعدة (ص ١٦٨ - ١٧٢) وأورد ابن الخطيب ثبت مؤلفاته (ص ١٧٠) .

(٦) وردت في المخطوطين : تجلوا . والتصويب أرجح .

في عقودهم بالفقه والوزارة منذ ثلاثمائة [سنة] ^(١) في وقت كان فيه هذا المنصب في تحلية الناس ، ووصفهم ، في نهاية من الضبط والحرز ^(٢) ، بحيث لا يُتهم فيه بالتجاوز لأحد ، لا سيما في العقود ، فكانوا لا يصفون فيه الشخص إلا بما هو [الحق فيه] ^(٣) والصدق ؛ وما كان قصدي في هذا إلا أن شرفهم غير واقف عليه ، أو مستند في الظهور إليه ؛ بل ذكرهم على قديم الزمان شهير ، وقدّرهم خطير .

قلت ، ولما عُقد لولدي عبد الله ، أسعده الله ، على بنت الوزير أبي الحسن بن الوزير أبي الحسن القاسم ^(٤) [بن] ^(٥) الوزير أبي عبد الله بن الفقيه العالم الوزير ^(٦) ، حَزَمَ فخارهم ، ومجدد آثارهم ، أبي الحسن سهل بن مالك ، خاطبت شيخنا أبا البركات بن الحاج ، أعرض ذلك عليه ؛ فكان من نص مراجعته ^(٧) ، فسبحان الذي أرشدك لبيت السّتر والعافية والأصالة ، وسحوب ^(٨) الأبرار ، قاتلك الله ما أجلّ اختيارك . [وخلف] ^(٩) هذا البيت الآن على سُنَن سلفهم من التحلّي بالوزارة ، والافتقار من العظمة الزاكية ، والاستناد القديم الكريم ، واغتنام العمر بالنسك ؛ عناية من الله أطرد ^(١٠) لهم قانونها ، واتصلت عاداتها ، والله ذو الفضل العظيم .

-
- (١) واردة في « ج » . وساقطة في « ك » .
 (٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : الحوز .
 (٣) هكذا وردت في المخطوطين ، وفي « ت » : حق به . والأولى أرجح وأنسب للسياق .
 (٤) وردت بعدها كلمة (الوزير) أكثر من مرة . والظاهر أنها وردت سهواً إذ لا محل لها هنا وورودها قبل الاسم ولهذا أغفلناها .
 (٥) هذه الكلمة ساقطة في « ت » . ووردت في « ج » ، إبي . وفي « ك » بن أبي . وهو اضطراب في النسخ لا يعتد به .
 (٦) هذه الكلمة ساقطة في « ت » .
 (٧) وردت في المخطوطين : فراجعته . والتصويب من « ت » .
 (٨) هكذا وردت في « ت » . وفي « ك » : شحوب .
 (٩) وردت في المخطوطين : وخف . وفي « ت » : وحق . وهو تحريف وحكمة التصويب واضحة .
 (١٠) هكذا رسمت في المخطوطين . والمقصود اضطرد .

حاله

كان من أهل السرِّ والخصوصية ، والصمت والوقار ، ذا حظ وافر من المعرفة بلسان العرب ، ذكىّ الذهن متوقد الخاطر ، مليح النادرة ، شذّشنته معروفة فيهم . سار بسيرة أبيه ، وأهل بيته ، في الطيّارة والعدالة ، والعفاف والنزاهة .

« وفاته »^(١) ؛

إبراهيم بن فرج بن عبد البرّ الخولاني

من أهل قرطبة ، يُكنى أبا إسحاق ، ويعرف بابن حرّة^(٢) .
« أوليته » ؛ من أهل البيوتات بالحاضرة ، ولى أبوه القهّرة^(٣) لثاني الملوك من بني نصر ، فتأثّل مالا ونباهة .

حاله

هذا الرجل من أعيان القطر ، ووزراء الصّنع^(٤) ، وشيوخ الحضرة ، أغنى هذه المدرة يدا ، وأشغلهم بالعرض^(٥) الأدنى نفساً ، تحرّف بالتّجرب المربوب في حجر

(١) ورد بعدها في المخطوطات الثلاثة بياض . ولم نهد إلى تاريخ الوفاة المنشود .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » : ابن جره .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : قهرمة . والمقصود بها هنا إحدى وظائف القصر السلطاني الخاصة .

(٤) وردت في « ك » كالعادة : السقع .

(٥) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : بالفرض . و « ت » : بالحضرة . والأولى أصح

للسياق .

الجاه ، ونما ماله ، تحاط به الجِدات ، وتنمو الأموال ، فقار تنورها ، وفَهق حوضها ، كثير الخوض في التصارييف الوقتية ، والأدات الزمانية ، وأثمان السلع ، وعوارض الأسعار ، متبجح^(١) بما ظهرت به يده من عِلْق مَضَنَّة^(٢) هُرَى المدينة ، الذى يُنفق على أسواقها ، عند ارتفاع القيم ، وتمييز الأسعار ، وبلوغها الحد الذى يراه كُفُو حَبَّتِه ، ومنتهى ثمن غَلَّتِه ؛ غَرِق الفكر ، يخاطبُ الحيطان والشجر والأساطين ، محاسباً إياها على معاملات وأغراض فنيّة ، يُرى من التلبّس شيئاً من المعارف والآداب والصنائع ، وحجة من الحجج [فى]^(٣) الرِّزْق ؛ تغلب عليه السّذاجة والصحة ، دَمِثٌ ، متخلّق ، متزّل ، مُختصر الملبس والمطعم ، كثير التبدّل ، يعظّم الانتفاع به فى باب التوسعة ، بالتسلف^(٤) والمدائنة ، حسن الخلق^(٥) ، كثير التجمّل [مُبتلى بالموقب والطّائز]^(٦) : يسمع ذى القحّة ، ويصمّ على ذوى المسألة^(٧) .

ظهوره وحُظوته

لبس الحُظوة شملة ، لم يفارق طوقها رقبته ، إذ كان صِهراً للمتغلب على الدولة أبى عبد الله بن المحروق^(٨) ، صار بسهم فى جذور خُطته ، وألقى فى مرّقة حُظوته ،

(١) هكلدا فى المخطوطين . وفى « ت » : فنجح . والأولى أرجح .

(٢) وردت فى « ج » : مطنة . وفى « ك » ؛ مظنة .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى .

(٤) هكلدا رسمت فى « ج » . وفى « ك » و « ت » : بالسلف .

(٥) وردت فى المخطوطين : الحق . والتصويب من « ت » .

(٦) هذه العبارة واردة فى المخطوطين . وساقطة فى « ت » . والموقب والطّائز أى القادح والساخر .

(٧) هكلدا وردت فى « ك » ، و « ت » . وفى « ج » المتبلة وهو تحريف .

(٨) وردت فى « ت » محرفة : ابن محروق . وصحته ابن المحروق . وهو وزير محمد بن الأحمر

الثالث . وقد توفى قتيلا فى سنة ٧٢٨ هـ .

مشتملاً على حاله ، بعبادة^(١) جاهه ؛ ثم صاهر المصير الأمر إليه بعده القائد الحاجب أبا النعيم رضوان ، مولى الدولة النصرية ، وهلم جرا ، بعد أن استعمل في السفارة إلى العدو وقشتالة ، في أغراض تليق بمبعثه ، مما يوجب فيه المياسير والوجوه ، مشرفين معززين بمن يقوم بوظيفة المحاطبة والجواب ، والرد والقبول ؛ ووُلِّي وزارة السلطان ، لأول ملكه في طريق من ظاهر جبل الفتح إلى حضرته ، وأياماً يسيرة من أيام اختلاله ، [إلى]^(٢) أن رغب الخاصة من الأندلسيين في إزالته ، وصُرف الأمر إلى الحاجب المذكور ، الذي تسقط مع رياسته المنافسة ، وترضى به الجملة .

مختته

وامتحن هو وأخوه ، بالتغريب إلى تونس ، عن وطنهما ، على عهد السلطان الثالث من بني نصر . ثم آب عن عهد غير بعيد ، ثم أسن واستسر أديمه ، وضجر عن الركوب إلى فلاحته التي هي قرة عينه ، وحظ سعادته ، يتطارح^(٣) في سكة المتردين^(٤) بإزاء بابه ، مباشر الثرى بثوبه ، قد سدكت^(٥) به شكاية شائنة ، قلما يفلت منها الشيوخ ، ولا من شرّكها ، فهي تزفه^(٦) بولاء ، بحال تقتحمها العين شعناً^(٧) ، وبعداً عن النظر ، فلم يطلق^(٨) الله يده من جدته على يده ، فليس في سبيل دواء ولا غذاء إلى أن هلك .

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي « ت » : بعبادة . والأولى أرجح . وهي (العبادة) .

(٢) إضافة لا بد منها لاستقامة السياق .

(٣) وردت في المخطوطين : يتطاح : وهو تحريف .

(٤) وردت في المخطوطين : المتردين . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٥) أى علقت به ولزمته .

(٦) هكذا في « ك » ، وفي « ج » تنزفه .

(٧) هكذا في « ك » . وفي « ج » شعة .

(٨) كذا في « ك » . وفي « ج » : يطل .

« وفاته » ؛ في وسط شوال عام سبعة وخمسين وسبعائة .

« مولده » ؛ في سنة خمس وسبعين [وستمائة]^(١) .

إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهّاق الأوسى

يكنى أبا إسحاق ، ويعرف بابن المرأة .

حاله

سكن ما لقه دهرًا طويلًا ؛ ثم انتقل إلى مَرْسِيَّة ، باستدعاء المُحدِّث أبي الفضل المَرْسِي والقاضي أبي بكر بن مُحَرِّز ، وكان متقدمًا في علم الكلام ، حافظًا ذا كَرَأً للحديث والتفسير ، والفقه والتاريخ ، وغير ذلك . وكان الكلام أغْلَبَ عليه ، فصيح اللسان والقلم ، ذا كَرَأً لكلام أهل التصوّف ، يطرّزُ مجالسه بأخبارهم . وكان بحرًا^(٢) للجمهور بمالقة ومرسية ، بارعًا في ذلك متفنيًا له ، متقدمًا فيه ، حسن الفهم لما يلقى ، له وثوب على التمثيل والتشبيه ، فيما يُقَرَّبُ للفهم ، مؤثرًا للخمول ، قريبًا من كل أحد ، حسن العشرة ، مؤثرًا بما لديه . وكان بمالقة يتّجر بسوق الغزل . قال الأستاذ أبو جعفر وقد وصمه ، وكان صاحب حيل [ونوادِر]^(٣) مستظرفة ، يُلهي بها أصحابه ، ويؤنسهم ؛ ومتطلعًا على أشياء غريبة من الخواص وغيرها ، فتن بها بعض الحليّة ، واطَّلَعَ كثير ممن شاهده على بعض ذلك ، وشاهد منه بعضهم ما يمنعه الشرع من المُرْتَكَبَاتِ الشَّنِيعَةِ ، فنافره وباعده بعد الاختلاف إليه ، منهم شيخنا القاضي العدل

(١) وردت في المخطوطين : (وسبعائة) وهو تحريف ظاهر .

(٢) وردت في « ج » : بحر . وفي « ك » ، لحق . والأولى مع التصويب متفقة مع السياق .

(٣) وردت في المخطوطين : ونوارج . والتصويب من « ت » .

المسمى الفاضل أبو بكر^(١) بن المُرابط رحمه الله ؛ أخبرني من ذلك بما شاهد^(٢) مما يقبُح ذكره ، وتَبَرَّأ منه من كان سعى في انتقاله إلى مرسية ، والله أعلم بغيبه وضميره .

توَالِيْفُه^(٣)

منها شرحه كتاب الإرشاد لأبي المعالي ، وكان يعلقه من حفظه من غير زيادة وامتداد . وشرح الأسماء الحسنى ، وألف جزءاً في إجماع الفقهاء ، وشرح محاسن المجالس لأبي العباس بن العريف . وألف غير ذلك . وتوَالِيْفُه^(٣) نافعة في أبوابها ، حسنة الرصف والمباني .

« من روى عنه » ؛ أبو عبد الله بن أحلى ، وأبو محمد عبد الرحمن بن وصلة .
« وفاته » ؛ توفي بمرسية سنة أحد عشر [وسبعائة]^(٤) .

ابراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصارى

تَلْمِيسَانِي وقرشي الأصل ، نزل بسبْتَة ، يكنى أبا إسحاق ، ويعرف بالتَلْمِيسَانِي .

حَالُه

كان فقيهاً عارفاً بعقد الشروط ، مبرزاً في العدد^(٥) والفرائض ، أديباً ، شاعراً ،

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » أبو البركات . وهو تحريف .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : بأشهاده .

(٣) كذا في « ج » . وفي « ك » : تآليفه .

(٤) وردت في المخطوطين : (وستائة) ، وهو سهو بلا ريب . ذلك أن المترجم له (ابن دهاق) درس كما هو مذكور في ترجمته على القاضي أبي بكر بن محرز بمرسيه . وقد ذكر في الترجمة التالية ، وهي ترجمة التلمساني ، أنه هو أيضاً قد درس على القاضي المذكور . وقد توفي التلمساني كما هو مذكور في آخر ترجمته في سنة ٦٩٠ هـ .

(٥) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » القدر .

محسناً ، ماهراً في كل ما يحاول . نظم في الفرائض ، وهو ابن ثمانية وعشرين سنة ، أرجوزة محكمة بعلمها ، ضابطة ، عجيبة الوضع . قال ابن عبد الملك ، وخبرت منه في تكرارى عليه ، تيقظاً وحضور ذهن ، وتواضعاً ، وحسن إقبال وبر ، وجميل لقاء ومعاشرة ، وتوسطاً صالحاً فيما يناظر^(١) فيه من التواليف ، واشتغالاً بما يعنيه من أمر معاشه ، وتحاملاً^(٢) في هيئته ولباسه ، يكاد ينحط عن الإقتصاد ، حسب المؤلف والمعروف بسبته . قال ابن الزبير ، كان أديباً لغوياً ، فاضلاً ، إماماً في الفرائض .

مشيخته

تلا بمالقة على أبي بكر بن دثمان ، وأبي صالح محمد بن محمد الزاهد ، وأبي عبد الله بن حفيد ؛ وروى بها عن أبي الحسن سهل بن مالك ، ولقي أبا بكر بن محرز ، وأجاز له ؛ وكتب إليه مجيزاً ، أبو الحسن بن طاهر الرباج ، وأبو علي الشلوين ؛ ولقي بسبته الحسن أبا العباس بن علي بن عصفور الهواري ، وأبا المطرف أحمد بن عبد الله بن عفرة^(٣) ، فأجازوا له ؛ وسمع على أبي يعقوب يوسف بن موسى الحسائي الغماري . « من روى عنه » ؛ روى عنه الكثير ممن عاصره ، كأبي عبد الله بن عبد الملك وغيره .

تأليفه

من ذلك الأرجوزة الشهيرة في الفرائض ، لم يُصنّف في فنّها أحسن منها . ومنظوماته في السّير ، وأمداح النّبي ، صلى الله عليه وسلم ، من ذلك المَعشّرات على أوزان العرب ، وقصيدة في المولد الكريم ؛ وله مقالة^(٤) في علم العروض الدّوبّيتي .

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » : يناط فيه .

(٢) وردت محرفة في المخطوطين : وتحملاً . والتصويب يقتضيه السياق .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : عبده .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » : مقام .

شعره

وشعره كثير، مبرز^(١) الطبقة بين العالى والوسط ، مُنحازاً أكثره إلى الإجابة
جَمَّة ؛ وتقع له الأمور العجيبة فيه كقوله :

القدرُ في الناس شيمةٌ سَلَفَتْ قد طال بين الورى تصرُّفُها
ما كلُّ مَنْ سَرَتْ له نِعمٌ منك يرى قدرها ويعرفُها
بل ربما أَعْقَبَ الجزاءُ بها مضرةٌ عنك عزٌّ مَضْرُفُها
أما ترى الشمسَ تَعْطِفُ بالثُّ سور على البدر وهو يَكْسِفُها

دخوله غرناطة

أخبر عن نفسه أن أباه انتقل به إلى الأندلس ، وهو ابن تسعة أعوام ؛ فاستوطن
به غرناطة ثلاثة أعوام ، ثم رحل إلى مالقة ، فسكن بها مدّة ، وبها قرأ معظم قراءته .
ثم انتقل إلى سَبْتَة ، وتزوج بها أخت الشيخ أبي الحكم مالك بن المرحّل . وهذا
الشيخ جد صاحبنا وشيخنا أبي الحسين التلمساني لأبيه ، وهو ممن يُطرّز به التأليف ،
ويُشار^(٢) إليه في فنون لشهرته .

ومن شعره ، وهو صاحب مطوّلاتٍ مجيدة ، وأمدح مُبدية في الإحسان مُعيدة^(٣) ،
فمن قوله يمدح الفقيه أبا القاسم العزّفى أمير سبتة :

أرأيت من رَحَلُوا وزمُوا العَيْسا ألا يزول على الطول حسيسا
أَحْسَبْتَ سوف يعود نَسْفُ تُرابها بما يَشْفى لديك نسيسا
هل من مؤنّسٍ نارا بجانب طورها لأنيسها أم هل تحس حسيسا

(١) وردت في المخطوطين : مبرد .

(٢) وردت في المخطوطين : ويشر .

(٣) وردت في المخطوطين : بعيدة . والتصويب أرجح .

« مولده » ؛ قال عبد الملك ، أخبرني أن مولده بتلمسان سنة تسع وستمائة .
 « وفاته » ؛ في عام تسعين وستمائة بسبته ، على سن عالية ، فسحت مدى
 الانتفاع به .

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري السّاحلي
 المشهور بالطوّيجين ، من غرناطة .

حاله

من كتاب « عائد الصلة » ؛ كان رحمه الله ، نسيج وحده في الأدب ، نظماً
 ونثراً ، لا يُشَقّ فيهما غُبَارُهُ ، كلام^(١) صافي الأديم ، [غزير المائة]^(٢) ، أنيق
 الدّيباجة ، موفور المادة ، كثير الحلاوة ، جامعٌ بين الجزالة والرقّة ؛ إلى خط
 بديع ، ومشاركة في فنون ، وكرم نفس ، واقتدار على كل محاولة . رحل بعد أن
 أشهر فضله ، وذاع أوجه ، فشرّق ، وجال في البلاد . ثم دخل إلى بلد السودان ،
 فاتصل بملكها ، واستوطنها زماناً طويلاً ، بالغاً فيها أقصى مبالغ المكنة ، والخطوة ،
 والشهرة ، والجلالة ، واقتنى مالا دثراً^(٣) ؛ ثم آب إلى المغرب ، وحوّم على
 وطنه ، فصرفه القدر إلى مُستقره من بلاد السودان ، مُستزيداً من المال . وأهدى
 إلى ملك المغرب [هدية]^(٤) تشتمل على طُرف ، فأثابه عليها مالا خطيراً ؛
 ومدحه بشعر بديع كتبناه عنه . وجرى ذكره في كتاب « التاج » بما نصه :

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » : الكلام .

(٢) وردت محرفة في المخطوطين : عزيز المائنة .

(٣) وردت في المخطوطين : دبرا ، وهو تحريف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . ويقتضى إثباتها السياق .

« جَوَّابُ الْآفَاقِ ، وَمُخَالَفُ الْإِبَاقِ ، وَمُنْفِقُ سَعْدِ الشَّرِّ كُلِّ الْإِنْفَاقِ ؛ رَفَعَ بَيْلَهُ لِلْأَدَبِ رَايَةً لَا تَحْجُمُ ، وَأَصْبَحَ فِيهَا يَسُوءِي وَيُلْجِمُ ؛ فَإِنْ نَسَبَ ، جَرَى وَنَظَمَ نَظْمَ الْجَمَانِ الْحَامِدِ ؛ وَإِنْ ابْنَ وَرَثَى ، غَبَرَ فِي وَجْهِهِ السَّوَابِقُ وَحَثَا ؛ وَلَمَّا اتَّفَقَ كَسَادُ سَوْقِهِ ، وَضَيَّاقُ حَقْوَقِهِ ، أَخَذَ بِالْحَزْمِ ، وَأَدْخَلَ عَلَى حُرُوفِ عَلَيْهِ عَوَامِلَ الْجَزْمِ ؛ يَسْقُطُ عَلَى الدُّوَلِ سَقُوطُ الْغَيْثِ ، وَيَحِلُّ كِنَاسُ الظُّبَا وَغَابِ اللَّيْثِ ؛ شَبَّعَ الْعَجَائِبَ ، وَرَكَّضَ النَّجَائِبَ ، فَاسْتَضَافَ بِضْرَامَ ، وَشَاهَدَ [الْبِرَابِي] ^(١) وَالْأَهْرَامَ ؛ وَرَمَى بَعَزَمَتَهُ الشَّامَ ؛ فَاحْتَلَّ ثَغُورَهُ الْمَحْوَطَةُ ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ ، وَتَوَجَّهَ الْغُوطَةَ ، ثُمَّ عَاجَلَهَا بِالْعِرَاقِ ، فَخَيَا بِالسَّلَامِ مَدِينَةَ السَّلَامِ ؛ وَأَوْرَدَ [بِالرَّافِدِينَ] ^(٢) رَوَاحِلَهُ ، وَرَأَى الْيَمْنَ وَسَوَاحِلَهُ ؛ ثُمَّ عَدَلَ إِلَى الْحَقِيقَةِ عَنِ الْمَجَازِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى شَأْنِهِ الْحِجَازِ ، فَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ وَالْحَجَرَ ، وَزَارَ الْقَبْرَ الْكَرِيمَ لَمَّا صَدَرَ ؛ وَتَعَرَّفَ بِمَجْتَمَعِ الْوُفُودِ بِمَلِكِ ^(٣) الشُّودِ ، فَغَمَرَهُ بِإِرْفَادِهِ ، وَصَحِبَهُ إِلَى بِلَادِهِ ؛ فَاسْتَقَرَّ بِأَوَّلِ أَقَالِيمِ الْعَرَضِ ، وَأَقْصَى مَا يَعْمُرُ مِنَ الْأَرْضِ ، فَخَلَّ بِهَا مَحَلَّ [الْحُمْرِ فِي الْغَارِ] ^(٤) وَالنُّورَ فِي سَوَادِ الْأَبْصَارِ ؛ وَتَقَيَّدَ بِالْإِحْسَانِ ، وَإِنْ كَانَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ ؛ وَصَدَرَتْ عَنْهُ رِسَائِلُ أَثْنَاءِ إِغْرَابِهِ ، تَشْهَدُ بِجَلَالَةِ آدَابِهِ ، وَتَعْلُقُ الْإِحْسَانَ بِأَهْدَابِهِ » ^(٥) .

نثره

فمن ذلك ما خاطب به أهل غرناطة بلده ، وقد وصل إلى مرآكش :

-
- (١) وردت هذه الكلمة في المخطوطين هكذا : الفرابي . وظاهر من ورودها إلى جانب « الأهرام » أن المقصود هو البرابي ، وهي اللفظة التي تطلق في التواريخ الإسلامية على المعابد الفرعونية .
- (٢) وردت هذه الكلمة هكذا في المخطوطين : بالرفدس . وقد رجحنا أنها تحريف لكلمة (الرافدين) وهما الدجلة والفرات ، وهي هنا متسقة مع المعنى .
- (٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » بلد . وهو تحريف .
- (٤) هكذا وردت هذه العبارة في « ج » : وفي « ك » و « ت » (الحمر في القار) . والأولى أرجح
- (٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » : (ناهوايه) وهو تحريف ظاهر .

« سلام ليس دارين شعاره ، وحلق الروض والنضير به صداره ، وأنسى نجداً
 شمه^(١) الزكى وعزاره^(٢) ؛ جرّ ذيله على الشجر فتعطر ، وناجى غصن البان
 فاهتزّ لحديثه وتأطرّ ؛ وارتشف الندى من ثغور الشقائق ، وحياّ حدود الورد تحت
 أردية الحدائق ؛ طربت له النجدية المستهامة ، فهجرت صباها بطن تهمامة ،
 وحنّ ابن دهمان لصباه ، وسلا به التميمي عن رياه^(٣) ، وأنسى النُميري ما تضرّع
 بزئيب من بطن نعمائه ؛ واستشرف السمر والبان ، وتخلق بخلوقة الآس
 والظيان^(٤) ؛ حتى إذا رقت أنفاس تحياته ورقّت ، وملكت نفائس النفوس
 واستشرقت ؛ ولبست دارين في ملائها ، ونظمت الجوزاء في عقد ثنائها ، واشتغل
 بها الأعشى عن روضه ولهى ، وشهد ابن مُبرّد شهادة^(٥) أطراف المساويك لها ؛
 خيمت في رُبّع الجود بغرناطة ورقّت ، وملأت دلوها إلى عقد رَكبه^(٦) ،
 وأقبلت^(٧) منابتُ شرقها عن غربه ، لا عن عَرَفه ؛ هناك ترى لها صدور المجالس
 تحمل صدوراً ، وترايبُ المعالي تُحليّ عقوداً نفيسة وجذوراً^(٨) ؛ ومحاسن الشرف
 تحاسن البروج في زهرها ، والأفنية في إيوانها ، والأندية في شعب بَوّانها^(٩) ؛
 لو رآها النعمان لهجر سديره ، أو كسرى لنبد إيوانه وسريه ، أو سيف لقصر عن
 عُمدانه ، أو حستان لترك جِلّق لغسّانه^(١٠) .

(١) وردت في المخطوطين : شجه .

(٢) وردت في المخطوطين : وعزاره . والتصويب متفق مع السياق .

(٣) هكذا في « ت » . وفي « ك » زيادته . وفي « ج » ديانه .

(٤) وردت في « ج » و « ت » ، والضحيان . وفي « ت » والعنان وهو تحريف . والظيان هو نبات
 برى من نوع النباتات الزاحفة الملتفة .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . واردة في « ت » .

(٦) هكذا في « ك » . وفي « ج » و « ت » ركبت .

(٧) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » ، وانبات .

(٨) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » ، وجدورا .

(٩) « شعب بوان » هو اسم يطلق على أرض بفارس على مقربة من أرجان ، كانت في القديم من

متنزهات الدنيا (راجع معجم ياقوت - مصر - ج ٤ ص ٢٩٧) .

(١٠) والجلق اسم يطلق على دمشق أو غوطة دمشق .

بلاد بها نيطت على تمأى وأول أرض مسّ جلدى ترابها
 فإذا قضيت من فرض السلام ختماً ، وقضت من فاره الثناء ختماً ؛ ونفضت
 طيب عرارها^(١) على تلك الأنداء ، واقتطفت أزاهر محامدها أهل الود القديم
 والإخاء ، وعمت من هنالك من الفضلاء ؛ وتلت سور^(٢) آلائها على منبر ثنائها ،
 وقصت وعطفت على من تحمل من الطلبة بشارتهم ، وصدرت^(٣) عن إشارتهم ،
 وأنارت^(٤) نجماً حول هالتهم المنيرة ودارتهم ؛ فهناك تقصّ أحاديث وجدى على
 تلك المناهج ، لا إلى صلة عاج ؛ وشوقى إلى تلك العلى ، لا إلى عبلة ،
 والهذا^(٥) إلى ذلك الشريف الجليل ؛ فسقى الله تلك المعاهد غيداً^(٦) يهيم
 دعاؤها^(٧) ، ويفرق روضها إغراقاً^(٨) ؛ حتى تتكلل منه نحر زندها درّاً ،
 وترنو عيون أطراف نرجسها إلى أهلها سرراً^(٩) ؛ وتتعانق قدود أغصانها طرباً ،
 وتعطف خصور مذارها على أطراف كُتبانها لعباً ، وتضحك ثغور أقاحها عند
 رقص أدواحها عجباً ؛ وتحمرّ خدود وردّها حياءً ، وتشرق حدائق وردّها سناءً ،
 وتهدى إلى السنة صباها [خبراً طاب عرفه]^(١٠) وإنباء ؛ حتى تشتغل المطرية عن روضتها
 المردودة ، والمتكلى^(١١) عن مشاويه الجودة ؛ والبكرى عن شقائق رياض روضته

(١) وردت في «ج» غرايرها . و «ك» عرايرها . و «ت» «غابرها» . وهو كله تحريف .

(٢) هكذا في «ك» . وفي «ج» و «ت» سر .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة : صدر . والتصويب يقتضيه السياق .

(٤) في المخطوطات الثلاثة : وأنار . والتصويب يقتضيه السياق .

(٥) وردت في المخطوطتين : والجزا . وفي «ت» وانجر . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٦) وردت في المخطوطتين : غيدانا . وفي «ت» ، غيوثاً .

(٧) هكذا وردت في «ت» . وفي «ج» دعاوا . وفي «ك» دعاها .

(٨) هكذا في «ج» . وفي «ك» . اغترقا .

(٩) هكذا وردت في «ك» . وفي «ت» : شززا . وفي «ج» برزا .

(١٠) وردت هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة : (خبر طيبة) . وبذلك أدمجت الكلمتان

الأخيرتان في كلمة واحدة .

(١١) في المخطوطتين : والمكلى . والتصويب من «ت» .

الندية ، والأخطل عن خلع [بيعته الموشية]^(١) . فما أُلْخَوْرَنُق وسُرَاد ، والرُّصَافَة
وبغداد ، وما لَفَّ النَّيْلُ فِي مَلَاتِهِ كَرَمًا إِلَى أَفْدِينَ سَقَايَتِهِ ، وَحَارَتِهِ غَمْدَانِ عَنْ
مَحْرَاب ، وَقَصَرُوا بِدَرَةٍ^(٢) الْبَلْقَاءَ عَنْ غَوْطَةِ وَنَهْر ، بِأَحْسَنِ مِنْ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ الَّتِي
تَسَاوَى فِي حُسْنِهَا الْغَائِبُ وَالشَّاهِدُ ؛ وَمَا لِمَصْرَ تَفْخَرُ^(٣) بِنَيْلِهَا ، وَالْأُلْفُ^(٤) مِنْهَا
فِي شَنْيِلِهَا^(٥) ، وَإِنَّمَا زِيدَتِ الشَّيْنُ هُنَاكَ [لِيَعْدَ بِذَلِكَ]^(٦) :

وَيَا لِلَّهِ مِنْ شَوْقٍ حَثِيثٍ وَمِنْ وَجْدٍ تَنْشَطٍ^(٧) بِالصَّمِيمِ
إِذَا مَا هَاجَهُ وَجْدٌ حَدِيثٍ صَبَا مِنْهَا إِلَى عَهْدٍ قَدِيمٍ

أَجْنَحَ إِنْسَانِي^(٨) فِي كُلِّ جَانِحَةٍ ، وَأَنْطَقَ لِسَانِي مِنْ كُلِّ جَارِحَةٍ ؛ وَأَهْمِمْ وَقَلْبِي
رَهِينَ الْأَنْيْنِ ، وَصَرِيحَ الْبَيْنِ ؛ تَهْفَقُ بِهِ الرِّيحُ الْبَلِيلَةُ إِذَا ثَارَتْ ، وَتَطِيرُ بِهِ أَجْنَحَةُ
الْبُرُوقِ الْخَافِتَةِ أَيْنَمَا طَارَتْ ؛ وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَنْزِلُ قُرْبَهُمْ بِرَاحَةِ الْأَجْلِ ، وَأَقُولُ
عَسَى وَطَنُ يَدْنِيهِمْ^(٩) وَلَعَلَّ ؛ وَمَا أَقْدَرُ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَ عَلَيَّ الشَّحَطَ ، وَيُبْرِئَ^(١٠)
جِرَاحَ الْبَيْنِ بَعْدَ الْيَأْسِ وَالْقَنْطِ . هَذَا شَوْقِي يَسْتَعِيرُهُ الْبُرْكَانُ لِنَارِهِ ، وَوَجْدِي
لَا يَجْرِي قَيْسٌ فِي مِضْمَارِهِ ؛ فَمَا ظَنُّكَ وَقَدْ حَمَتِ حَوْلَ الْمَوْرِدِ الْخَضِرَ ، وَنَسَمَتِ
رِيحُ الْمُنْبِتِ الْخَضِرَ ؛ وَنَظَرْتُ إِلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ مِنْ أُمِّ ، وَهَمَسْتُ بِاهْتِصَارِ ثَمَارِ ذَلِكَ

(١) وردت في « ج » . و « ك » : (بيعة الموشية) . وفي « ت » : (بيعة المرسية) .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » ، برريه . وفي « ت » برأيه .

(٣) وردت في « ج » ، تفحر . وفي « ك » ، تهجر ، وهو تحريف .

(٤) وردت في المخطوطين : واللف ، وهو تحريف .

(٥) وردت محرفة في المخطوطين : شيلها ، شلها .

(٦) هكذا وردت في « ك » . وفي « ت » ، (ليعن بذلك) . وفي « ج » (ليعن ذلك) . والأولى

أصوب وأصلح للسياق .

(٧) وردت في المخطوطين : تشبط . وفي « ت » نشيط .

(٨) هكذا في « ت » . وفي المخطوطين : أساى .

(٩) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » ، يدنو بهم .

(١٠) وردت في « ت » ، ويبرا . وفي المخطوطين : ويأمر وهو تحريف .

المجد اليناع والكرم ؛ وإن الحبَّ مع القُرب لأعظم هَما ، وأشدُّ في مقاساة
الغرام غَما :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دَنَتْ الدِّيار من الدِّيار

وقَرُبَتْ مسافة الدُّوَّار ؛ لكن الدهر ذو غَيْر^(١) ، ومن ذا^(٢) يحكم على
القدر ؛ وما ضرَّه لو غفل قليلا ، وشفى بقاء الأحبة غليلا ؛ وسمح لنا بساعة اتفاق ،
ووصل ذلك الأمل القصير بباع ، وروى مسافة أيام ، كما^(٣) طوى مراحل أعوام .

[لك إبليس]^(٤) أفلا أشفت من عذابي ، وسمحت ولو بسلام أحبابي :

أسلمتني إلى ذَرع البید ، ومحالفة [الذمیل والوخید]^(٥) ، والتنقل في المشارق
والمغارب ، والتمطى في الصَّهوات والنوارب ؛ يا سابق البين دع تحمله ، وما بقي
في الجسم ما يحمله ؛ ويا بنات جديل ، ما لكن ولذمیل^(٦) ؛ ليت سَقَمي عقيم
فلم يلد ذات البين ، المُشْتَتَّة ما بين المحبين ؛ ثم ما للزَّاجر الكاذب ، وللغُراب
النَّاعب ، تجعله نذير^(٧) الجلا ، ورايد الخلا ؛ ما أبعد من زاجر ، عن رأى الزَّاجر ،
إنما فعل ما ترى ، ذات الغارب والقري ، المحتالة في الأزمنة والبرى ، المترددة بين
التَّأويب والشرى ؛ طالما باكرت النوى ، وصَدَعَت صدع الثوى^(٨) ، وتركت
الهائم بين رُبْع تحيل ، ورسم مستحيل ؛ يقفو^(٩) الأثر نحوه ، ويُسئل الطلل

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » أغير . وفي « ت » غيار .

(٢) وردت في المخطوطين : وماذا . وهو تحريف .

(٣) وردت في المخطوطين : كيما . والتصويب من « ت » .

(٤) هكذا في « ت » . وفي المخطوطين : (لذا يليس) .

(٥) وردت هذه العبارة في « ت » و « ج » : (الذمیل والوحيد) . وفي « ك » : (الوصيل والوحيد) .

وهو تحريف . والذمیل هو السير المتوسط . والوحيد هو السير الواسع الخطى .

(٦) هكذا وردت في « ج » و « ت » . وفي « ك » وللمدميل .

(٧) وردت في المخطوطين : قدير . والتصويب يستقيم السياق .

(٨) وردت في المخطوطين : النوى . والتصويب من « ت » .

(٩) هكذا وردت في « ج » و « ت » . وفي « ك » ينبو . والأولى أصح للسياق .

عن عهده ؛ وإن أنصفت فما لعين معقودة^(١) ، وإبل مطرودة ، مالت عن الحوض
والشوط ، وأسلمت إلى الحبل^(٢) والعصا والسوط ؛ ولو خير الباز لأقام ، ولو ترك
القطا ليلا لنام ؛ لكن الدهر أبو براقش ، وسهم^٣ بينه وبين بنيه غير طائش ؛ فهو
الذي شئت الشمل وصدّعه ، وما رُفع سيف^٤ بعماده إلا^(٣) وضعه ، ولا بل غليلا
أحرّقه بنار وجده ولا نفعه . فأقسم ما ذات^(٤) خضاب وطوق ، شاكية غرام
وشوق ؛ برزت^(٥) في منصتها ، وترجمت عن قضيتها ، أو غربت عن بيتها ،
ونفضت شرارة زفرتها عن عينها ؛ ميلا حكمت الميلا والغريض ، وعجماء ساجلت
بسجّعها القريض ، وكصت الفود فكأنما نقرت العود ، ورددت العويل ، كأنما
سمعت النّقل ؛ نبّهت الواله فشاب ، وناحت بأشواقها فأجاب . حتى إذا افتّر^٦
بريقها^(٦) ، استراب في أنثها ، فنادى يا حصيبة السّاق ، مالك والأشواق ،
أباكية^٧ ودموعك^(٧) راقية^٧ ، ومحرة وأعطافك حالية ؛ عطّلت الخوافي ، وحلّيت
القوادم ، وخضبت الأرجل ، وحضرت^(٨) المأثم^(٩) . أما أنت فزريعة خمار ،
وحليفة أنوار وأشجار ، تترددين بين منبر وسرير ، وتهادين بين روضة وغدير ؛
أسرفت في الغناء ، وإنما حكيت خرير الماء ، وولعت بتكرير الرّاء ؛ فقالت
أعد نظر البقير^(١٠) ، ولأمر ما جدّع أنفه قصير ؛ أنا التي أعرفت في الرّزء ،

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » ، مصفوه .

(٢) هكذا في « ج » و « ت » . وفي « ك » الجبل .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة : من . والتصويب يقتضيه المعنى والسياق .

(٤) وردت في الثلاثة : ماذا ، وهو تحريف .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » و « ت » بررت .

(٦) هكذا في « ك » . وفي « ج » بربتها . وفي « ت » بريتها .

(٧) هكذا في « ج » و « ت » . وفي « ك » : دموع .

(٨) هكذا في « ت » . وفي المخطوطين : حصرت .

(٩) هكذا في « ج » . وفي « ك » ، المأثم .

(١٠) هكذا في « ت » . وفي المخطوطين : البير ، والأول أرجح .

فكنيت^(١) عن الكل بالجزء ؛ كنت أربع بالفيافي ما ألافى ، وآنسُ مع مقبلي ،
بُكرته وأصيلي ؛ تحتال من غديرٍ إلى شَرَج^(٢) ، وتنتقل من سريرٍ إلى سَرَج ؛
أَوْنَةٌ تلتقط الحب ، وحيناً تتعاطى الحب ؛ وطورا تتراكم الفتن ، وتارة
تتجاذب الشجن^(٣) ؛ حتى رماه الدهر بالشتات ، وطرقه بالآفات ؛ فهأنا بعده
دائمة العين ، دأمة الأين ، أتلعل بالأثر بعد العين ؛ فإن صعدت نارى^(٤) ،
ألهبت منقارى ؛ أو نكأت أحشائى ، خُضبت رجلى بدمائى ؛ فأقسم لا خلعت
طوق عهده ، حتى أردى^(٥) من بعده ؛ بل ذات خَفْض وتَرَف ، وجمال باهر
وشَرَف ؛ بسط الدهر يدها ، وقبض ولدها ؛ فهي إذا عقدت التأميم على تريب ،
أولقت^(٦) العائم على نجيب ، حثت المفقود^(٧) ، وأدارت عين الحسود ؛ حتى
إذا أينعت فسالها ، وقضى حَمْلُها وفِصالها ، عمرَ لحدُّها بوحيد كان عندها وسطى ،
وفريد أضجى فى نحر^(٨) عشيرتها سِمطا ؛ استحثت له مَهَبَّات النسيم الطارق ،
وخافت عليه من خطرات اللَّحظ الرّاشق ؛ فحين هشَّ للجياذ ، ووهب التأميم للنَّجاد
ونادى الصريم ، يا آلَ والحريم ؛ فشد الأناة ، واعتقل القناة ، وبرز يَحْتال فى
عيون لامة ، ويتعرّف منه رحمه بِالْفِه ولامه ؛ فعارضه شَثْن^(٩) الكفين ، عارى
الشعر والمنكبين ، فأسلمه سَلْتفه ، وترك حاشية ردائه على عِطْفه ؛ فحين انبهم
لشَاكَلته ما جَرَى [برزت ل ترى]^(١٠) :

(١) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » وتكشف . وفى « ت » . ونسكت .

(٢) هكذا فى « ت » . وفى المخطوطين : سرج .

(٣) فى « ت » السجن . وفى المخطوطين : الشجر .

(٤) هكذا فى « ك » . وفى « ج » منارى .

(٥) وردت فى المخطوطات الثلاثة : اردموه .

(٦) فى المخطوطين : ليف . وفى « ت » ، أقف .

(٧) هكذا فى « ج » و « ك » . وفى « ت » المقتودة .

(٨) وردت فى المخطوطات الثلاثة : نحره .

(٩) هكذا فى المخطوطين . وفى « ت » شنن . وشنن اى خشن

(١٠) هكذا وردت هذه العبارة فى « ج » و « ت » . وفى « ك » : (ابرزت الثرى)

لم تَلَقَ منه غيرَ خمسِ قوايمَ وأشلاءَ لحمٍ تحتَ ليثٍ مختلٍ^(١)
 حطُّ على أعطافه وترايبه بكفِّ حديدِ النَّابِ صُلْبِ المفاصلِ
 عظم من وجد إلى تلك الآفاق ، التي أطلعت وجوه الحسن والإحسان ، وسفرت
 كمال الشرف ، وشرف الكمال عن كل وجه^(٢) حُسَّان ؛ وأبرزت من ذوى
 المنيفة ، والسَّير الشريفة ، ما أقرَّ عين العلياء ، وحلَّى جيد الزمان ؛ فتقوا^(٣)
 أزهاراً أربت على الروض المجود ، وأداروا للأدب هالةً استدارت حولها
 السُّعود ؛ نظم الدهر محاسنهم حُلِيًّا في جيده ونحره ، [واستعار لهم]^(٤)
 ضياء شمسهِ وبدَّره ، وأعرب بهم الفخر عن صميمه ، وفسح لهم المجد عن
 ره ؛ فهم إنسانُ عَيْن الزمان ، وملتقى طريق^(٥) الحسن والإحسان ؛ نظمت
 أفعالهم مفاخرهم ، ونثرت النِّثرة مآثرهم ، واجتلبت الشُّعري^(٦) من أشعارهم ،
 النور من أزرارهم^(٧) ، واجتمعت الثُّريا لمعاطة أخبارهم ، وود الدُّلو لو كرع
 رضهم ، والأسدُّ لو ربض حول ربضهم ، والنعايم^(٨) لو غُدَّيت بنعيمهم ،
 عة لو استمدت من فيض كرمهم ؛ عَشِقَ^(٩) المسك محاسنهم فرق ، وطرب
 ح لأخبارهم فخرَقَ جبينه وشقَّ ، وحام النَّسر حول حمامهم وحلَّق ، وقدَّ

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » ، مخايل .

(٢) وردت بعد هذه الكلمة في « ت » كلمة : الوجوه . وهي كلمة لا موضع لها هنا ، والغالب
 ودعا في « ت » من باب السهو .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » و « ت » ، فتقوى .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في « ج » و « ت » . ولكنها وردت في « ك » : واستعلاهم .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . وفي « ت » طريق . والأولى أنسب للسياق

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة : الشعر . والتصويب يقتضيه السياق .

(٧) هكذا في « ك » و « ت » . وفي « ج » أزرارهم .

(٨) وردت في « ت » : والنعم مفردة . والجمع أنسب للسياق . وفي المخطوطين : (والتعليم) وهو

(٩) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : عبق ، والأولى أرجح .

الفخر جدار^(١) محامدهم وخلق ؛ إلى بلاغة أخرست لسان لييد ، وتركت عبد الحميد غير حميد ؛ أهلّ ابن هلال لمحاسنهم وكبر ، وأعطى القارى^(٢) ما زجر به قلمه وسطر ، وأيس إياس من لحاقهم^(٣) فأقصر لما قصر .

ومنها : فما للوشى تآلق ناصعه ، وتأنق يائعه^(٤) ، بأحسن مما وشته أنفاسهم ، ورسمته أطراسهم ؛ فكم لهم من خريدة غذاها العلم ببره^(٥) ، وفريدة حلاها البيان بدُرّه ؛ واستضاءت المعارف بأنوارهم ، وباهت الفضائل بسناء منارهم ، وجُليت المشكلات بأنوار عقولهم وأفكارهم ؛ جَلُّوا عروس المجد وحلُّوا ، وحلُّوا^(٦) في ميدان السيادة ونشأوا ؛ وزاحوا الشهى^(٧) بالمناكب ، واختطوا التُّرب فوق الكواكب ؛ لزم محلّهم التّكبير ، كما لزم الياء التّصغير ، وتقدموا في رتبة الأفهام ، كما تقدّمت همزة الاستفهام ؛ ونزلوا من مراتب العلياء ، منزلة حروف الاستعلاء ؛ وما عسى أن أقول ودون النهاية مدّى نازح ، وما أغنى الشمس عن مدح المادح ؛ وحسبى أن أصف ما أعانيه من الشوق ، وما أجده من التّوق ؛ وأعلّل نفسى بلبائهم ، وأتعلّل بالنسيم الوارد من تلقائهم ، وإن جلانى الدهر عن ورود حوضهم ، وأقعدنى الزمان عن اجتناء رَوْضهم ؛ فما ذهب وِدادى ، ولا تغير اعتقادى ، ولا جفّت أقلامى عن مِدادهم ولا مدادى ؛ وأنا ابن جلا فى وجدهم ، وطلّاع الثّنايا إلى كرم عهدهم ؛ إن دعوا إلى ودّ صميم وجدونى ، أضع^(٨) العمامة عن

(١) هكذا فى « ج » . وفى « ك » مدار ، وهو تحريف .

(٢) هكذا فى « ت » . وفى المخطوطين : الغارى .

(٣) هكذا فى « ت » ؛ وفى المخطوطين : وحقاقهم .

(٤) هكذا فى « ت » . وفى المخطوطين : أنه . وهو تحريف .

(٥) هكذا فى « ت » ؛ وفى المخطوطين : بره .

(٦) هكذا فى « ت » و « ج » . وفى « ك » وحلوا .

(٧) وردت فى المخطوطات الثلاثة : السهر . وقد رجحنا التصويب ، إذ هو أكثر اتساقا

مع المعنى والسياق .

(٨) هكذا فى « ت » . وفى المخطوطين : أوضع .

(١) عهد قديم عرفوني^(٢) ؛ ولو شرعوا نحوى قلم مكاتبهم^(٣) ، وأسحوا^(٤) ،
 الثمين من مخاطبتهم ، لكفوا من قلبي العاني قيّد^(٥) إيساره ، وبلّوا صدى
 المتحرق بناره ؛ ففي الكتاب بُلغة الوطر ، وقد يُغنى عن العين الأثر ؛
 ثم الأثير الكريم الطيب الرّيا^(٦) ، الجميل المحيّا ، يحضّر محلّهم الأثير ،
 هم إذ ليس فيهم صغير ؛ ويعودُ على من هناك من ذوى الوُدِّ الصميم ، والعهد
 ، من أخٍ برٍّ وصاحبٍ حميم ؛ ورحمة الله وبركاته .
 لا خفاء ببراعة هذه الرسالة^(٧) على طولها ، وكثرة أصولها وفصولها ، وما اشتملت
 من وصف وعارضة ، وإشارة وإحالة ، وحلاوة وجزالة .

شعره

ت لدىّ من متأخر شعره قوله من قصيدة ، يمدح بها ملك المغرب ، أمير
 بن ، عند دنوّ ركابه من ظاهر تلمّسان ببابه أولها :
 تَطَرَّتْ كَمِيَّاسٌ^(٨) الْقَنَا الْمُتَأَطَّرُ^(٩) وَرَنْتَ بِالْحَظِّ الْغَزَالُ الْأَعْفَرُ
 من شعره فى النسب :

، وفى كل لحظ [طَرْفٍ]^(١٠) محترس وحول كل كناس كفٌ مفترس

-
- (١) هكذا فى « ك » . وفى « ج » ، ذى .
 (٢) هذه الكلمة واردة فى المخطوطين . وساقطة فى « ت » .
 (٣) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى « ت » ، كتابتهم . والأولى أنسب للسياق .
 (٤) هكذا فى « ت » . وفى المخطوطين : أسحوا . وهو تحريف .
 (٥) هكذا فى « ج » . وفى « ك » قد .
 (٦) هكذا فى « ت » . وفى « ك » التريا . وفى « ج » الرياى .
 (٧) هكذا فى « ت » . ووردت محرفة فى المخطوطين : الرياسة .
 (٨) هكذا وردت فى « ت » : وفى المخطوطين : كباد .
 (٩) وردت فى « ت » : المتناظر . وفى المخطوطين : الناظر . وهو تحريف .
 (١٠) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين .

يشكو لها الجيدُ ما بالخلي من هدر
متى^(١) تلا خدّها الزّاهي الضّحي نطقت
في لحظها سحرُ فرعون ورقتها^(٢)
تُخفي النّومين من حلي ومبتسم
وترسل اللّحظ نحوي ثم تهزأ بي
أشكو إليها فؤاداً واجلاً^(٣) أبداً
يا شقّة النفس إن النفس قد تلفت
هذا فؤادي وجفني فيك قد جمعا
ويا لطارق^(٤) نومٍ منك أرقتني
ما زال يشرب من ماء القلوب فلم
ملأت طرفي عن وردٍ تفتح في
وقلت للّحظ والصّدغ احرسا فهما
وليلاً جثتها سحرأ^(٥) أجوس بها
أستفهم اللّيل عن أمثال أنجمه

ويشتكي الزّند ما بالقلب من خرّس
سيوفُ الحاظها من آية الحرس
آيات^(٦) موسى وقلبي موضع القبس
تحت الكتومين من شعري ومن غلّس
تقول بعد نفوذ^(٧) الرّمية احترس
في النّازعات وما تنفك من عبّس
إلا بقيّة رجع الصّوت والنّفس
ضدين فاعتبري إن شئت واقتبسي
ليلاً ونهني للوجد ثم نسي
أبصرته ذابلاً يشكو من اليّس
رياض خديك صلاً^(٨) غير مفترس
ما بين مضمٍ وفتاك^(٩) ومُنْتَكس
شبا العوالى وخيس الأخنف الشّرس
وأسال العيس^(١٠) عن سرب المها الأنس

(١) وردت في المخطوطين محرفة : في « ك » معنى . وفي « ج » ممي .

(٢) وردت في المخطوطين : ورمتها .

(٣) في المخطوطين آية . والتصويب من « ت » .

(٤) واردة في « ج » و « ت » . وساقطة في « ك » .

(٥) وردت في المخطوطين : ووجه . والتصويب من « ت » .

(٦) وردت في « ج » و « ت » ، وبالطرف . وفي « ك » وبالطرف .

(٧) وردت في المخطوطين : ضلا . وفي « ت » : بالأصيل .

(٨) في المخطوطين : وماياه .

(٩) في المخطوطات الثلاثة : ليلا وهو تحريف .

(١٠) هكذا في « ج » . وفي « ك » : العيس .

وأهتكُ السُّتر لا أخشى بؤادره
 بتنا نعطى بها ممزوجةً مزجت
 أنكحتها من أبيها وهي آيسة
 نورٌ ونارٌ أضاءا في زُجاجتها
 حتى إذا آب نور^(٢) الفجر في وضح^(٣)
 وهيمنت بالضنا تحت الصباح صبا
 قامت تجر فضول الریط آيسة^(٤)
 تلوثُ فوق كثيب الرمل مطرَفيها
 فطل قلبي يقفوها بملتهب
 دهر يلوّن لوّنيه كعادته
 ما بين مُنتهزٍ طوراً ومُنْتَهَسٍ
 حُلُو^(١) الفكاهة بين اللّين والشّرس
 فثار أبناؤها في ساعة العرس
 فذاك خدك يا ليلي وذا نفس
 معرك جال بين الفجر والغلس
 قد أنذرتها ببرد القلب واللّمس
 كريمة الذيل لم تجنح إلى دنس
 وتمسحُ النوم عن أجفانها النّمس
 طوراً ودمعى يتلوها بمنبجس
 فالصبحُ في مآتمٍ والليل في عرس

وإحسانه كثير ، ومقداره كبير . ثم آبَ إلى بلاد السودان ، وجرت عليه
 في طريقه محنة ، ممن يعترض الرفاق ويُفسد السبيل . واستقرّ بها على حاله من الجاه
 والشهرة ، وقد اتخذ^(٥) أماءً للتسرّي من الزّنجيات [ورزق]^(٦) من الجوالك
 أولاداً كالخنافس . ثم لم يلبث أن اتصلت الأخبار بوفاته بتنبؤ^(٧) ، وكان حياً
 في أوائل تسعة وثلاثين وسبعائة .

(١) في المخطوطات الثلاثة : حال .

(٢) في المخطوطات الثلاثة : ليل .

(٣) ساقطة في المخطوطات الثلاثة .

(٤) ساقطة في المخطوطتين .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » أخذ .

(٦) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطتين ، ولكن السياق يقتضيها بداهة .

(٧) هي بلدة من أعمال السودان الغربى (الفرنسى) وتقع على مقربة من منحى نهر النيجر .

وقد كانت هذه المنطقة معروفة للرحل المسلمين منذ عصور قبل ذلك . ولكن يوجد قول في الجغرافية الحديثة

بأن الذى اكتشفها هم الرحل الأوربيون في القرن الثامن عشر . وهو زعم باطل .

إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم
ابن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النُميري
من أهل غرناطة ، يكنى أبا إسحاق ويعرف بابن الحاج .

أُولِيَّتُهُ

بيت نبيه^١ ، يزعم من يُعنى بالأخبار ، أن جدّهم الداخل إلى الأندلس توبة
ابن حمزة النُميري ، ويشركهم^(١) فيه بنو أرقم الوادي شيون^(٢) . وكان سكناه
بجهة وادي آش ، ولقومه اختصاص^٣ ، وانتقال ببعض جهاتها ، وهي شوَظَر ،
والمنظر ، وقرسيس ، وقطرش^(٣) ؛ تغلب العدو عليها على عهد عبد العزيز ، وآوى
جميعهم إلى كنف الدولة النصرية ، فانخرطوا في سلك الخدمة ، وتمحّض خلفهم
بالعمل . وكان جده الأقرب إبراهيم ، رجلاً خيراً [من أهل الدين]^(٤) والفضل
والطهارة والذكاء ؛ كتب للرؤساء من بني إشقيلولة ، عند انفرادهم بوادي آش ،
واختصّ بهم ، وحصل منهم على صِهْر بأم ولدٍ بعضهم ، وضبط المهمل من
أعمالهم . ثم رابته منهم سجايا ، أوجبت انصرافه عنهم ، وجنوحه^(٥) إلى خالهم

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : ويشكرهم .

(٢) الوادي شيون ، أو الوادي آشيون . نسبة إلى مدينة وادي آش .

(٣) شوَظَر أو شوذر . وهي الآن Jodar الحديثة ، بلدة من أعمال ولاية جيان تقع جنوبي مدينة
أبدة بقليل . ولم نوفق إلى تحقيق مواقع الثلاثة الأخرى أو أسماؤها الإسبانية . ولكن يبدو من أقوال ابن الخطيب
أنها كانت تقع جميعاً في هذه المنطقة الواقعة شرقي جيان وشمال وادي آش .

(٤) الكلمة الأولى من هذه العبارة واردة في « ك » وساقطة في « ج » . والكلمة الثانية واردة في

« ج » وساقطة في « ك » .

(٥) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : وجنوحهم . وهو تعريف .

السلطان الذى كاشفوه بالثورة ، فعرف حقه ، وأكرم وفادته ، وقبل بيانه ؛ فقلده ديوان جنده ، واستمرت أيام عمره تحت رعيه ، وكنتف عنايته . وكان ولده عبد الله أبو صاحبنا المترجم به ، صدراً من صدور المستخدمين فى كبار الأعمال ، على سنن^(١) رؤسائهم ، مكساباً متلاًفاً^(٢) ، سرى النفس ، [غاص الحواز]^(٣) . ولى الأشغال بغرناطة وسبتة ، عند تصيرها إلى إيالة بنى نصر ، وجرى طلاقه هذا ، فى صل دنيا عريضة ، تغلبت عليه بآخرة ، ومضى لسبيله ، مصدوقاً بالكفاية ، وبراعة الخط ، وطيب النفس ، وحسن المعاملة .

حاله

هذا الرجل نشأ على عفاف وطهارة ، امتحك صباية ترف من بقايا عافية ، أعانته على الاستظهار بيزة ، وصانته من التحرف بمهنة . ثم شد وبهرت خصاله ، فبطح بالشعر ، وبلغ الغاية فى إجادة الخط ، وحاضر بالأبيات ، وأرسم فى كتابة الإنشاء ، عام أربعة وثلاثين وسبعائة ، مستحقاً حسن سمة ، وبراعة خط ، وجودة أدب ، وإطلاق يد ، وظهور كفاية ؛ وفى أثناء هذا الحال ، يُقيد ولا يفتر ، ويروى الحديث ، ويلق^(٤) الأناشيد ، ولا يغيب النظم والنثر ، ولا يعنى القريحة ، مغمى ، مخولاً فى العناية ، مشتملاً على الطهارة ، بعيداً فى زمان الشيبية عن الريبة ، نزيهاً على الوسامة عن الصبوة^(٥) والرقيقة ؛ أعانته على ذلك ، نخوة فى طبعه ، وشفوف^(٦) وهمة . كان مليح اللعابة ، طيب الفكاهة ؛

(١) هكذا فى « ج » و « ت » . وفى « ك » ، سر .

(٢) هكذا وردت فى « ك » . ووردت فى « ج » متلافاً .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين . وفى « ت » : (غاض للحوار) .

(٤) هكذا وردت فى « ت » . وفى المخطوطين : ويلق .

(٥) هكذا وردت فى « ت » . وفى « ج » الكبوة . و « ك » الطبوة .

(٦) هكذا فى « ج » . وفى « ك » و « ت » : ووهه .

[آثر المشرق] ^(١) ، فانصرف إلى الأندلس في محرم عام سبعة وثلاثين وسبعائة ، وألم بالدول ، محرّكاً إياها بشعره ، هازناً أعطافها بأمداحه ؛ فعرف قدره ، وأعين على طيّته ؛ فحجّ وتطوّف ، وقيد ، واستكثر ، ودوّن في رحلة سفره ؛ وناهيك بها طرفة ؛ وقفل إلى إفريقية ، وكان علق بخدمة بعض ملوكها ، فاستقرّ ببجاية لديه ، مضطّلاً بالكتابة والإنشاء . ثم انتقل إلى خدمة سلطان المغرب ، أمير المسلمين أبي الحسن ؛ ولم ينشأ أن عاد إلى البلاد المشرقية ، فحج ، وفصل إلى إفريقية ، وقد دالت الدولة بها بالسلطان ^(٢) المذكور ، فتقاعد عن الخدمة ، وآثر الانقباض ؛ ثم ضرب الدهر ضرباته ، وآل حال السلطان إلى ما هو معروف ، وثابت للموحّدين برملة بجاية بارقة لم [تكذ تنقد] ^(٣) حتى خبت ، فعاد إلى ديوانه من الكتابة عن صاحب بجاية . [ثم] ^(٤) أبي مؤثراً للدّعة في كنف الدولة الفارسية ^(٥) ، ونفّض عن الخدمة يده ، لا أحقّق مضطراً أم اختياراً ، وحجة كليهما قائمة لديه ، وانقطع إلى تربة الشيخ أبي مدين بعباد تلمسان ، مؤثراً للخمول ، عزيزاً به ، ذاهباً مذهب التجلّة من التجريد والعكوف بباب الله ، مفخّراً لأهل نخلته ^(٦) ، وحجة على أهل الحرص والتهافت ، من ذوى طبقتة ، راجع الله بنا إليه بفضلله . ثم جبرته الدولة الفارسية على الخدمة ، وأبرّته بزة النّسك ، فعاد إلى ديدنه من الكتابة ، رئيساً ومرؤوساً . ثم أفلت نفيه موت السلطان أبي عنان ، فلحق بالأندلس ، وتلقى ببرّ وجراية ، وتنويه وعناية ،

(١) وردت هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة : (إلى أثر المشرق) وهو ما لا يدل على معنى معين . ونعتقد أن التصويب على هذا النحو يحقق المعنى المقصود .

(٢) هكذا وردت في « ت » . وفي المخطوطين : السلطان .

(٣) وردت هذه العبارة في المخطوطين : (تكن تقد) . وحكمة التصويب ظاهرة .

(٤) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق والمعنى .

(٥) نسبة إلى السلطان فارس أبي عنان .

(٦) هكذا في « ج » . وفي « ك » ، نخلته .

واستعمل في السفارة إلى الملوك ؛ ووُلِّي القضاء في الأحكام الشرعية بالقلم بقرب الحضرة ؛ وهو الآن بحاله الموصوفة ، صَدْرًا من صدور القطر وأعيانه ، يحضر^(١) مجلس السلطان ، ويُعدُّ من نبهاء من يُنتاب بابه ، وقد توسط من الأكتفال ، مقيمًا لرسم الكتابة والطرف مع الترخيص للباس الحرير ، والخضاب بالسواد ، ومصاحبة الأبهة ، والحرص على التجلة .

وجرى ذكره في « التاج المحلى » بما نصه : « طَلَعَ شهابًا ثاقبًا ، وأصبح بشعره للشعرى مُصاقبًا ، فنَجَمَ وبرع ، وتمَّ المعاني واخترع ؛ إلى خط يستوقف الأبصار رايقه ، وتقيدُ الأخداق حدايقه ، وتفتن الألباب فنونه البديعة وطريقه ؛ من بليغ يطارد^(٢) أسراب المعاني البعيدة فيقتنصها ، ويغوص على الدرر القريدة فيخرجها ، ويستخلصها بطبع مذاهبه دافقة ، وتأيد رايته خافقة ؛ نبه في عصره شرف البيان من بعد الكرى ، وانتدب بالنشاط إلى تجديد ذلك البساط وانبرى ، فدارت الكأس^(٣) ، وتضوَّع الورد والآس ، وطاب الصبوح ، وتبدل الروح المروح ؛ ولم تزل نفحاته تتأرجح ، وعقائلُ بناته تتبرَّج ، حتى دُعِيَ إلى الكتابة ، وخطب إلى تلك المثوبة ، فطرَّز المفارق برقوم أقلامه ، وشنَّف المسامع بدُرِّ كلامه ؛ ثم أجاب داعي نفسه التي ضاق عنها جُثمانه ، لا بل زمانه ، وعظُم لها فكره وغمُّه ، وتعب [في]^(٤) مداراتها ؛ وكما قال أبو الطيب المتنبي : « وأتعبُ خلق الله من راد محمده » ؛ فارتحل لطيفته ، واقتعد غارب^(٥) مطيئته ، فحجَّ وزار ، وشدَّ للطواف الإزار . ثم هبا إلى المغرب وحوَّم ، وقفل قفول النسيم عن الروض

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » بحضرة .

(٢) في المخطوطين : يطارب ، والتصويب يقتضيه السياق .

(٣) وردت في المخطوطين : الكباس .

(٤) لإضافة يقتضيها السياق .

(٥) وردت في المخطوطين : غاب . وهو تحريف .

بعد ما تلوّم ، وحطّ بإفريقية على نار القرى ، وحده^(١) بها صباح الشرى ، ولم يلبث أن تنقل ، ووجر الحميم سِفافه وتنقل ؛ ثم بدا له أخرى فشرّق ، وكان عزّمه أن يجتمع فتفرّق .

مُشِيخَتُهُ

روى عن مشيخة بلده وأشجر ، وقيد واستكثر ، وأخذ في رحلته عن أناس شتى يشق إحصاءهم^(٢) .

تَأْلِيْفُهُ

منها كتاب « المُساهلة والمسامحة ، في تبين طرق المداعبة والممازحة » و « إيقاظ^(٣) الكرام ، بأخبار المنام » و « تنعيم الأشباح بمحادثة^(٤) الأرواح » ، وكتاب « الوسائل ونزهة المناظر والخمائل » و « الزّهرات وإجالة النظرات » ؛ وكتاب في « التّورية » على حروف المعجم ، أكثره مروى بالأسانيد عن خلق كثير ، والله تعالى يخرّه ؛ وجزء في تبين المشكلات الحديثة الواصلة من زُبيد اليمن^(٥) إلى مكة ؛ وجزء في بيان اسم الله الأعظم ، وهو كبير الفائدة ؛ و « نزهة الحدّاق في ذكر الفرق » ؛ وكتاب الأربعين حديثاً البلدانية ، والمستدرك عليها من البلاد التي دخلتها ، ورويت فيها ، زيادة على الأربعين ؛ و « روضة العباد المستخرجة من الإرشاد » ، وهو من تأليف شيخنا القطب أبي محمد الشافعي ؛

(١) في « ج » : وحده . وفي « ك » وحمل . والتصويب يقتضيه السياق .

(٢) احصارهم هنا اعنى حصرهم .

(٣) وردت في المخطوطين : ايقاض .

(٤) وردت في المخطوطين : محادثة .

(٥) وردت محرفة في المخطوطين : (زبيد المن) .

والأربعون حديثاً التي رويتها عن الأمراء والشيوخ ، الذين [رَوَوْا] ^(١) عن الملوك والأمراء ؛ والشيوخ الذين رَوَوْا عن الملوك والخلفاء القريب عهدهم ؛ ووصلتُ بها خاتمةً ذكرتُ فيها فوائد مما رويته عن الملوك والأمراء ، وعن الشيوخ الذين رَوَوْا عن الملوك والأمراء ؛ وكتاب « اللباس والصُّحبة » وهو الذي جُمعت فيه طرق المتصوِّفة ، المدَّعى أنه لم يجمع مثله ؛ وكتاب فيه شَطْر الحماسة لحبيب ، وهو غير مُكَمَّل ؛ ورجز في الفرائض على الطريقة البديعة التي ظهرت ببلاد الشرق ؛ ورجز صغير في الحُجُب والسَّلاح ؛ ورجز في الجَدَل ؛ ورجز في الأحكام الشرعية سَمَاء ^(٢) ، « بالفصول المُقتَضبة في الأحكام المُنتخبة » ؛ وكتاب سَمَاء « بمثلث القوانين ، في التَّورِيَّة والاستخدام والتَّضمين » ، وهو كله من نظمه ؛ وله تأليف سَمَاء « بفيض العُباب ، وإجالة قِداح الآداب ، في الحركة إلى قُسْطَيْنَة والزَّاب » ^(٣) .

شعرُه

ومن شعره في المقطوعات :

طاب العذيب بماء ذِكْرِكِ واشئى	فكأنَّما ماء العذيب سلافُه
واهتزَّ من طربٍ للقياكِ الحصى	فكأنَّما بأناتِه أعطافُه

ومن ذلك :

لى المدحُ يروى منذ كنت كأنما	تصورت مدحاً للورَى وثناء
ومالى هجاء فاعجبين لشاعر	وكاتبٍ سرِّ لا يُقيم هجاء

(١) واردة في « ج » . وساقطة في « ك » .

(٢) وردت في المخطوطين : سميته . والتصويب يتمتضيه السياق .

(٣) وردت في المخطوطين : الذباب . وهو تحريف . والزَّاب من أقاليم المغرب الأوسط . وقسطنطينة

مدينة بالجزائر على مقربة من بجاية .

ومن ذلك :

ولى فرسٌ من عليّة الشُّهب سابق أصرّفهُ يوم الوغى كيف أطلب
غدوتُ له فى حَلْبة القوم مالكا [يتابعنى] ^(١) ماشئتُ ... أشهبُ

وقال ، وقد وقف حاجب السلطان على عين ماء « فيض الثغور » وشرب منها :

تعجبتُ من ثغر هذى البلاد وها أنت من عينه شاربُ
فله ثغرٌ أرى شاربا وعينٌ بدا فوقها حاجبُ

ومن ذلك :

وحراء فى الكأس مشمولة تحت على العود ^(٢) فى كل بيت
فلا غرو أن جاءنى سابقا إلى الأنس خل ^(٣) يحث الكميت

وقال مُضْمِنًا ، وقد تذكر حمراء غرناطة ، وبابها الأحفل المعروف « بباب
الفرَج » ^(٤) :

أقول وحمراء غرناطة تشوق النفوس وتسبى المهج
ألا ليت شعرى بطول السرى أرتنا الوجى واشتكت ^(٥) العرج
ومالى فى عرج رغبة ولكن لأقرع باب الفرَج

وقال مُلغزا فى قلم وهو ظريف :

أحاجيك ما واشٍ يُراد حديثه ويهوى الغريب النازح الدّار إفصاحه

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى « ج » . وفى « ك » : فتى يعنى .

(٢) أغفلت فى المخطوطين : والإضافة من نفح الطيب .

(٣) وردت فى المخطوطين : حل . والتصويب من النفح .

(٤) كان باب الفرَج هو باب قصر الحمراء الرئيسى الذى يلى « باب » الشريعة . وهو باب

مدخلها الحالى . وقد اختنى اليوم « باب الفرَج » . .

(٥) وردت فى « ك » . استكتب . وفى « ج » واستكتبه .

تراهُ مع الأحيان أَصْفَر ناحلا كَيْثُل مريض وهو قد لازم الرَّاحه
وقال :

وقالوا رمى في الكأس وَرْداً فهل تَرى لذلك وَجْهاً قلت أَحْسِن به قَصدا
ألم تجد اللذات في الكأس حَلْبة فلا تُنكروا فيها الكُميت ولا الوردا
وقال :

[كُماة تلاقى تحت نفع سيوفهم وللهام رَقَصْ كُما طُلب الثَّار
فلا غَرَوْ أن غَنَّتْ وتلك رواقِصُ ...فيهم في مَرِدِ الحرب أوتار^(١)
وقال :

وعارضُ في خدَّه نباته بِحُسْنِه بين الورى يَسْحَرنا
أَجْرَى دموعى إذ جَرَتْ شوقاه فقلتُ هذا عارضُ مُمَطَرنا
وقال وقد توفى السلطان أبو يحيى أبو بكر صاحب تونس ، وولى ابنه أبو حفص^(٢)
بعد قتله لإخوته :

وقالوا أبو حفص حَوَى المَلِك غاصباً وإخوته أولى وقد جاء بالثُّكر
فقلت لهم كُفُّوا فما رضى الورى سوى عُمر من بعد موت أبى بكر
وقال مضمناً ، وقد حضر الفتى الكبير عَنبر قتلاً ، وكان فارساً مذكوراً عند
بنى مَرَيْن :

ولقد أقول وعنبرُ ذاك الفتى يَلْقَى الفوارس في العَباج الأَكُور
يا عاثرين لدى الجِلاد لَمَّا فقد بَسَقَتْ^(٣) لكم ريح الجِلاد بعنبر

(١) ورد هذان البيتان بنصهما في « ك » ، وأغفلا في « ج » .

(٢) هكذا وردت في « ك » . ووردت في « ج » أبو جعفر . والأولى متفقة مع سياق الشعر .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » تبعت .

وقال وقد اشتاق إلى السَّيِّكة^(١) خارج حمراء غرناطة :

وإن إفراط بُكائي لم يرُعْ منى عريكة
قد أذاب العين لما زاد شوقي للسَّيِّكة^(٢)

* * *

لما نزلتُ من السَّيِّكة صادني ظبيٌ ووددتُ لديه أن لم أنزل
فاعجب لظبيٍّ صاد ليثاً لم يكن من قبلها مُتخَبِّطاً^(٣) في أحبل
وقال وهو ظريف :

قد قارب العشرين ظبيٌ لم يكن ليرى الورى عن حبه سلوانا
وبدا الربيع بخدّه فكأنما وافى الربيعُ ينادم النعمانا
وقال :

أتونى فعابوا من أحبُّ جماله وذاك على سَمْعِ المُحبِّ خفيف
فما فيه عيبٌ غير أن جفونه مراضٌ وأنَّ الخصر منه ضعيف
وقال :

أيا عجباً كيف تهوى الملوكُ محلي وموطن أهلى وناسى
وتحسِّدُننى وهى مخدومةٌ وما أنا إلا خديمٌ بفاس

نثره

ونثره تَلَوَ نظمته في الإجازة ؛ وقد تضمَّن الكتاب المسمى « بنفاضة الجراب »^(٤)

(١) كان اسم « السبيكة » يطلق على الساحة الكبيرة اليانعة الواقعة جنوب شرق الحمراء .
(انظر لزيادة التعريف الحاشية في ص ١٢٢) .

(٢) ادمج هذان البيتان في المخطوطين في بيت واحد .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : متحصنا .

(٤) « نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب » هو أحد كتب ابن الخطيب التي وضعها قبل « الإحاطة » .
وقد ذكرناه في المقدمة عند الكلام على مؤلفات ابن الخطيب .

منه ذكر كل بديع ؛ فمما ثبت فيه ، مما خاطبته به ، وقد ولى خُطّة القضاء بالإقليم ، أداعبه ، وأثير ما تستحويه عجائبه :

أيّا قاضى العدل^(١) الذى لم تنزل تمتازُ شهب الفضل من شمسك
قعدتَ للإنصاف^(٢) بين الورى فاطلب لنا الإنصاف من نفسك

« ما للقاضى ، أبقاه الله ، ضاق ذرعُ عدله الرَّحيب ، عن العجيب ؛ وهمَّ
عن العتب ، وضمَّ^(٣) على صديقه حتى بالكُتب ؛ أمِن المدوّنة الكبرى ركب
هذا التحريج ، أم من المبسوطة ذهب إلى هذا الأمر المريج ؛ أم من الواضحة امتنع
عن الإمام ببديع الوفاء والتعريج ؛ من أمثالهم إرضَ من أخيك بعُشر ودّه إذا
وُلّى ، وقد قنعنا والحمد لله بحبّة من مُدّه ، وإشارة من درّجه ، وبرّة وصاعة^(٤)
معتدلة من زمان بلوغ أشدّه ؛ فما باله يمتلّ مع الغنى ، ويحوج إلى العنا ، مع
قرب الجنى ؛ الحلة حلة ضالع ، ومطعم وطامع ، ومراء^(٥) وراء ، ومستمع وسامع ،
والكنف واسع ، والمكان لا ناء ولا شاسع ؛ والضرع حافل ، والزرع كافٍ
كافل ؛ والقريحة وارية الزند ، والإمامة خافقة البند ؛ وهب أن البُخل يقع بها
في الإخوان على الإخوان ، فما باله يسمح بالبيان ، وليس الخبر كالبيان ؛ ويتعدى
حظّ الجنان ، لا خطّ البنان ؛ أعيد سيدى من ارتكاب رأى ذميم ، ينقل إلى
نميرها بيتُ تميم ، ويقصدُ معناه بتميم ، وهلا تلا حم ؛ وعهدى بالسياسة
القاضوية^(٦) ، وقد نامت [فى مهاد أهل الظرف]^(٧) ، نوم أهل الكهف ، ولم

(١) وردت فى المخطوطين : اعدل .

(٢) وردت فى المخطوطين : الانصراف . وحكمة التصويب ظاهرة .

(٣) وردت فى المخطوطين : وطر . وهو تحريف .

(٤) هكذا فى « ج » وفى « ك » : واسعة . والأولى أرجح .

(٥) هكذا فى « ك » . وفى « ج » : ومراى .

(٦) فى « ك » ، العاطوية . وفى « ج » ، الفاطوية .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة فى « ك » . وفى « ج » (فى مهاد الترف) .

تُبَال بِمَرْدِّ الْوَيْلِ وَاللَّهْفِ ، أَوْ شَرْبَةِ لِحْفِظِ الصَّحَّةِ بِخَتَجَا ، وَدَقَّتْ لِإِعَادَةِ الشَّبِيَةِ
عَفْصًا وَرَدِّ سَخْتَجَا ؛ وَغَطَّتْ الصَّبْحَ بِاللَّيْلِ إِذَا سَجَا ، وَمَدَّتْ ^(١) عَلَى ضَاخِي
الْبَيَاضِ صَيًّا ^(٢) سَجَسَجَا ؛ وَرَدَّتْ سَوَسْنُ الْعَارِضِ بِنَفْسِجَا ^(٣) ، وَلَبَسَ بِحَرْهَا
الزَّآخِرُ مِنْ طُحْلُبِ الْبَحْرِ مُنْتَسَجَا ؛ وَأَحْكَامُ الْعَامَةِ ، وَمَزِين ^(٤) الْمَرْأَةِ يَنْصَحُ وَيُرْشِدُ ،
وَيَطْوِي الْحَاسِنَ وَيَنْشُدُ ، حَتَّى حُسْنُ الدَّارَةِ ، وَصَحَّتِ الْاسْتِدَارَةُ ، وَأَعْجَبَهُ
الْوَجْهُ الْجَمِيلُ ، وَالْقَدُّ الَّذِي يَمِيدُ فِي دَكَّةِ الدَّارِ وَيَمِيلُ ، وَأَغْرَى بِالسَّوَاكِ السَّمِيمِ
وَالْتَكْمِيلِ ، وَوَلَجَ بَيْنَ شُفْرَتَيْ سَيِّدِ الْمِيلِ ، وَقِيلَ لَوْ صَاحَ الْيَمِينُ خَابَ فِيكَ التَّأْمِيلُ ؛
وَامْتَدَّ جَنَاحُ بَرْنَسِ السَّرِقِ ، وَاحْتَفَلَ ^(٥) الْغَصْنُ الرَّطِيبُ فِي الْوَرَقِ ، وَرَشَّ الْوَرْدُ
بِمَائِهِ عِنْدَ رَشْحِ الْعَرَقِ ، وَتَهَيَّأَ لِمَنْطَلَقِ ، فَقَرَأَتْ عَلَيْهِ نِسَاءُ أَعْوَانِهِ ، وَكَتَبَتْ دِيْوَانَهُ ،
سُورَةَ الْفَلَقِ ؛ مِنْ بَعْدِ مَا وَقَفَ الْإِمْلِيْقُ ^(٦) حُجَّابَهُ عَلَى إِقْدَامِهِمْ ، وَسَحَبَهُمْ جَلَاوَزَتُهُ
مِنْ أَقْوَامِهِمْ ؛ فَمَثَلُوا وَاصْطَفَوْا وَتَأَلَّفُوا وَالتَّفَوُّوا ، وَدَارُوا وَحَفُّوا ، وَمَا تَسَلَّلُوا وَلَا
خَفُّوا ^(٧) ؛ كَأَنَّمَا أَسْمَعْتَهُمْ صَيْحَةَ النَّشْرِ ، وَأُخْرِجُوا لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، فَعُبُونَهُمْ بِمِلْتَقِي
الْمِصْرَاعِ مَعْقُودَةٍ ، وَأَذْهَانُهُمْ لِمَكَانِ الْهَيْبَةِ مَفْقُودَةٍ ، وَحِبَالَتُهُمْ قَبْلَ الطَّلَبِ بِهَا
مَنْقُودَةٍ ؛ فَبَعْدَ مَا فَرَشَ الْوَسَادَ ، وَارْتَفَعَ بِالنَّفَاقِ الْكَسَادَ ، وَذَارَعَ ^(٨) الْبَكَاءَ
وَتَأَرَجَ الْحَسَادَ ، وَاسْتَقَامَ الْكُونُ وَارْتَفَعَ الْفَسَادَ ، وَرَاجَعَتْ أَرْوَاحُهَا الْأَجْسَادُ ؛
جَاءَتِ السَّادَةُ الْقَاضِيَةُ فَجَلَسَتْ ، وَتَنَعَّمَتْ الْأَحْدَاقُ بِالنَّظَرِ فِيهَا وَاخْتَلَسَتْ ،

(١) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » ، وَمَرَّت .

(٢) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » ، هَلَا .

(٣) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » سَفْسَجَا .

(٤) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » . وَمَدِين .

(٥) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » وَاحْتَمَل .

(٦) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » ، الْأَمْلِينَ .

(٧) وَرَدَّتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ : وَحَفُّوا .

(٨) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » : وَارَعَ .

وَسَجَّتْ الْأَكُفُّ حَتَّى أَفْلَسَتْ ؛ وَزَانَتْ شَمْسُهَا ذَلِكَ الْفَلَكَ ، وَجَلَّتْ^(١) الْأَنْوَارُ
 ذَلِكَ الْحَلَاكَ ، وَفُتِحَتْ الْأَبْوَابُ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ؛ وَوَقَفَتْ الْأَعْوَانُ سِمَاطِينَ ،
 وَمَثَلُوا خَطَّينَ ، وَتَشَكَّلُوا مَجْرَّةً تَنْتَهِي مِنْكَ إِلَى الْبَطِينِ ، يُعْلَنُونَ بِالْهَدْيَةِ وَيَجْهَرُونَ ،
 [وَلَا]^(٢) يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ؛ مِنْ كُلِّ شَهَابٍ ثَاقِبٌ ،
 وَطَائِفٍ غَاسِقٍ وَاقِبٍ ، وَمَلاحِظٍ مُرَاقِبٍ ؛ كَمِيشُ الْإِزَارِ ، بَعِيدُ الْمَزَارِ ، حَامِلٌ
 لِلْأَوْبَارِ^(٣) ، خَصِيمٌ^(٤) مَبِينٌ ، وَارِثٌ سُوفِسْطَائِيًّا^(٥) عَنْ رَثِينٍ ، مُضْطَّلَعٌ بِفَقْهِ
 الْبَيْنِ^(٦) وَحَرِيمِهَا ، فَضْلًا عَنْ تَلْقِينِ الْخُصُومِ [وَتَعْلِيمِهَا]^(٧) ؛ يَرَأْسُهُمُ الْعَرِيفُ
 الْمُقَرَّبُ ، وَالْمُقَدَّمُ الْمُدْرَبُ ، وَالْمُشَافَهُ الْمُبَاشِرُ ، وَالنَّابِجُ الشَّاكِرُ ، وَالنَّهْجُ الْعَاشِرُ ؛
 الَّذِي يَقْتَضِي خِلَاصَ الْعَقْدِ ، وَيَقْطَعُ الْكَالِي وَالنَّقْدَ ؛ وَيُزَكِّي وَيَجْرِّحُ ،
 وَيُمْسِكُ وَيُسْرِحُ وَيَطْرَحُ ، وَيَحْمِلُ مِنْ شَاءَ أَوْ يَشْرَحُ ؛ وَالْمُسَيْطَرُ الَّذِي بِيَدِهِ
 مِيزَانُ الرِّزْقِ^(٨) ، وَجَمِيعُ أَجْزَاءِ الْمُفْتَرَقِ ، وَكِفَّةٌ^(٩) قَابِلَةٌ ، وَحِمُّ الدَّوَاةِ الْفَاغِرَةِ ،
 وَرِشَا بِلَالَةِ الصُّدُورِ الْوَاعِرَةِ ؛ فَإِذَا وَقَفَ الْخُصْمَانُ بِأَقْصَى مَطَرَحِ الشُّعَاعِ ، أَيْتَانِ^(١٠)
 يَجْتَمِعُ الرَّعَاعُ ، وَأَعْلَنَا النَّدَا ، وَطَلَبَ الْأَعْدَاءُ ، وَصَاحَا جَعَلَ اللَّهُ أَنْفُسَنَا لَكَ الْفِدَا ؛
 وَرَفَعَ الْأَمْرَ إِلَى مُقْطَعِ الْحَقِّ ، وَالْأَوَّلَى بِالْمَثُوبَةِ الْأَحَقِّ ، أَخَذْتُهُمَا الْأَيْدَى دَفْعًا فِي
 الْقُنْفِيِّ ، وَرَفَعَا السِّتْرَ اللَّطِيفَ الْخَفِيِّ ، وَأَمْسَكَا^(١١) بِالْحِجْرِ وَالْأَكَامِ ، وَمَنَعَا الْمُبَاشِرَةَ

(١) فِي الْمَخْطُوطِينَ : وَجَلِب . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَوَارِدَةٌ فِي « ت » .

(٣) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ : لِلْأَوْرِبَارِ .

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « ك » . وَفِي « ج » ، نَحِيمٌ .

(٥) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ : سُوفِسْطَائِيًّا .

(٦) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » الْبَيْقُ .

(٧) وَارِدَةٌ فِي « ت » . وَسَاقِطَةٌ فِي الْمَخْطُوطِينَ .

(٨) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » الْوَرَقُ .

(٩) هَكَذَا فِي « ك » وَفِي « ج » كَافَةٌ .

(١٠) وَرَدَتْ فِي « ج » أَمَانٌ . وَفِي « ك » وَأَمَايُ . وَنَعْتَقِدُ أَنَّ التَّصَوُّبَ أَنْسَبَ لِلْمَعْنَى ،

(١١) وَرَدَتْ فِي « ح » : وَلِمَسَاكًا . وَفِي « ك » وَلِمَسَا ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

والإمام ؛ فإذا أدلى بحجته مَنْ أدلى ، وسمعا دينه عدلا ، وحقَّ القول ، واستقرَّ^(١) الهول ، ووجبت اليمين ، أو الأداء الذى يفوت له الذخر^(٢) الثمين ، أو الرهن أو الضمين ، أو الاعتقال الذى هو على أحدهما كالأمين ؛ نهش الصل ، الذى سليمه لأهل ، ولَسَبَتْ^(٣) العقارب ، التى لا يُفلتُها الهارب ، ولا تخفى منها المشارب ؛ وكم تحت ظلام الليل من غرارة يحملها غر ، وصدّه ريح فيها صرّ ؛ ويهدى ارتقاب قُلة شهّد ، وكبش يُجرُّ بروقيه ، ويُدفع بعد رفع ساقيه ؛ ومغزى وجَدَى وقلائد ، [وسرب]^(٤) دجاج ، ذوات بجاج ، يفضّحن^(٥) الطّارق ، ويشعن^(٦) المّفارق ؛ فمتى يستفيقُ سيدى مع هذا اللّغظ العائد بالصّلة ، واللّهُو المتّصلة ، وتفرغ يده البيضا لأعمال ارتياض ، وخطّ سوادٍ فى بياض ، أو حنينٍ لدّوحٍ أو رياض ؛ أو إمتاع طَرْف ، باكتشاف حَرْف ، أو إعمال عدل الرسول فى صَرْف ، أو حَشْو طَرْف ، بتُحفة ظَرْف ؛ شأنه أشدُّ استغراقًا ، ومثواه أكثر طِراقًا ، من ذكرى حبيبٍ ومنزل ، وأمّ مُعدّل ؛ وكيف يستخدمُ القلم الذى يصرف ماء الحبر^(٧) ، بذوّب التّبر ، فى ترّهاتٍ عديم جَناها ، وأقْطع جانب الخيبة لفظها ومعناها ؛ اللهم إلا أن تحصل النفس على كفاية تُحتم لها الصّدر ، ويُشام من خلاها اللّجين [الرّبيع]^(٨) القدر ، أو يحى للفكاهة والأُنس ، أو يُنفق لديها ذمامٌ على الجنس ؛ فربما تقعُ المخاطبة المبرورة ، وتبيحُ هذا المرُ تكب الصّعب الضرورة ؛

(١) فى المخطوطين : استنفر .

(٢) فى المخطوطين : الزخر .

(٣) وردت محرفة فى المخطوطين : البست فى « ك » . والبيت فى « ج » .

(٤) وردت مكانها فى المخطوطين : وهو درب .

(٥) هكذا وردت فى « ك » . وفى « ج » ، بمحصر . والأولى أنسب للمعنى .

(٦) هكذا فى « ك » . وفى « ج » يشعن .

(٧) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » البحر .

(٨) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين . واردة فى « ت » .

والمرغوبُ من سيّدنا القاضي أن يذْكرنا^(١) يوماً بالإغفال في نعيمه ، ولا يحْيِبَ آمالنا المتعلقة بأذيال زعيمه ، ويُسهِمنا حظاً من فرائد خطّه ، لا من فوايد خُطّته ، ويجعلَ لنا كِفْلاً من فضل بُرّته وحِظّته^(٢) ، لا من فضل هِرّته وقُطّته^(٣) ؛ فقد غَنينا عن الحلاوات بحلاوات لفظه ، وعن الطرّف المجموعة ، بفنون حِفْظه ؛ وعن قَصَب الشُّكر ، بقصب أقلامه ؛ وعن جنى الرّؤم برّوامه ؛ وبهديّه ، عن جدّيه ؛ وبمجاّته ، عن دجاجته ؛ وبدلّجه عن أترّجه ؛ وعن البرّ ببرّه ، وعن الحبّ بحُبّه ؛ ولا نأملُ إلا طلوع بطاقته ، وقد رضىنا بوسّع طاقته ؛ وإلا فلا بدّ أن يجيش جيش الكلام إلى عتبه ، ونوالى عليه ضرايب الكنايب ، حتى يتّقى بضريبة كُتبه . والسلام^(٤) .

فراجعني بما نصه :

فَنيْتُ عن الإنصاف منّي لأنّني كما قُلْتُ لكن من فراقكم قاضٍ
فمن سمعنا أو من بعينك إنني^(٥) بكلّ الذي ترّضاه يا سيدي راضٍ
« عمرك الله أيها الإمام الفذُّ ، ومن بمدّحه تطرّبُ الأسماع وتلذُّ ، أوحده الدنيا ،
وحائزُ الرتبة العليا ؛ ولولا أنك فوق ما يقال ، والزّلة إن لم تُظهر العجز عن وصفك
لا تقال ، لأُطلتُ في القول ، وهَدَرْتُ هدير^(٦) قرع الشّول ؛ لكن تحصيل
الحاصل مُحال ، ولكل في تهيب كمالك مقال ، ومقامٌ وحال ؛ ولولا أنّ الدعاء مأمول ،
وهو بظهر الغيب مقبول ، والزيادة من فضل الله لا تنتهي ، والنّعم قد تُوافيك

(١) وردت في المخطوطين : يذكر . والتصويب يقتضيه السياق .

(٢) وردت في المخطوطين : ومظنه .

(٣) في المخطوطين : وقطمته . والتصويب يقتضيه السياق .

(٤) وردت هذه الكلمة في « ك » ، وأغفلت في « ج » .

(٥) وردت هنا الشّطّرة في المخطوطين هكذا : (فمن سمعنا أو بعثك إنني) .

(٦) في المخطوطين : هدير . والتصويب يقتضيه السياق .

فوق ما تشتهى ، لرأيت^(١) أن ذلك [أمر^(٢)] كفى ، وأمر^(٣) ظهر [فيه ما خفى]^(٣) .
 [إن قلت لا زلت مرفوعاً فأنت كذا أو قلت زانك ربّي فهو قد فعلاً]^(٤)
 إليه يا سيدى ما هذه الكلمات السّحرية ، والأنفاس النفيسة الشّجرية ، والألفاظ
 التى أنالت المرغوب ، وخالطت بشاشتها القلوب ؛ والنّزعات الرّائقة ، والأساليب الفاتكة ،
 والفصاحة التى سلبت العقول ، والبلاغة التى أوجبت الذّهول ؛ والبيان الذى لا يطيق
 حصيفه^(٥) ، ولا يبلغ أحد مدّه ونصيفه ؛ يميناً بما احتوى من المحاسن ، واللّطائف
 التى لم يكن ماؤها بالأسن ، وقسمًا ببراعتك التى هى الواسى المطاع ، وطرسك الذى
 أبهجت به الأبصار والأسماع ؛ لقد عادلى بكتابتك عيد الشّوق ، وجادلى بخطابك
 جدّ التّوق ؛ ولعمّدى بنفسى رهّن أشجاني^(٦) ، غير محمولة عُقدة [لسانى]^(٧) ،
 أشدّ من الصّخرة جلدًا ، وأغلظ من الإبل كبدًا ؛ حتى إذا بدّت حريقة^(٨) القلب
 وهب نسيمه الرّطب ، وأفّيح موردّه العذب ، وأضاء بنوره الشّرق والغرب ، ولم
 يبق لى بثّ ولا شجن ، ولا شاقنى أهل ولا وطن ؛ ومضى سيف اللسان بعد النّبوء ،
 ونهض طرف الفكر بعد البكر ، وهزّنى الطّرب المثير^(٩) للأفراح ، ومشى الجذال^(١٠)
 فى أطرافى وأعطافى مشى الرّاح ؛ بيد أنى خجلت ولا خجلة ربة الحذر^(١١) ،

(١) وردت فى « ج » لا ريت . وفى « ك » لرأيتك .

(٢) وردت فقط فى « ك » .

(٣) وردت هذه العبارة فى « ج » . وأغفلت فى « ك » .

(٤) هذا البيت وارد فى « ج » . وساقط فى « ك » .

(٥) هكذا وردت فى « ك » . وفى « ج » صحيفه .

(٦) وردت فى المخطوطين : الشحاني . وهو تحريف ظاهر .

(٧) وردت فى « ك » . وأغفلت فى « ج » .

(٨) هكذا فى « ك » . وفى « ج » حتميرة .

(٩) هكذا فى « ك » . وفى « ج » المتين .

(١٠) وردت فى المخطوطين : الجزل .

(١١) وردت فى المخطوطين : الحذر .

وتضاءلت نفسى لجلالة ذلك القَدَر ؛ وقلت مالى بشريةٍ من كأس بيانه ، وقطرة من
بُحور إحسانه ؛ حتى أودى ، ولو بعض حَقِّك ، وأكتب عَقْدَ مِلْكٍ رَقِّ لِرَقِّكَ ، إننى
على ما وليتُ من الصَّدقة والصَّدَاقَة وبعد طلاقك ؛ لكنى أقوم فى حَقِّكَ مُسْتَغْفِراً ،
ولا أرضى أن أكون لِدِمَّة الخدم عَفْراً ؛ على أننى أقول ، قد كتبتُ فلم يُردُّ
جوابى ، وجَرَمْتُ فهاج الجوى بى ؛ ولعمري قد لُزمت فيه خِطَّة الأدب ، ولم أر
التَّخِيل على المولى الرَّفيع الرَّتب ؛ فأما وقد تَفَقَّت عندك بضاعتى المَرْجاة ، وشَمَلنى
من لدُنْكَ الحلم والأناة ، وشَرَّفَتنى بالخطاب الكريم ، والرسالة التى عرفتُ فى وجهها
نُصْرَةٌ^(١) النعيم ؛ فما أبغى إلا إيرادها^(٢) عليك وكلها خراج ، ولُبُرُدها فى الإجابة
إنهاج ؛ ولعلك ترضى التَّخْرِيج من مُدَوَّنة الأخبار ، والمَبْسُوطَة والواضحة ، لكن
من الأعذار . وأما الولاية التى يَقْنَع بسببها من الودِّ بالعُشْر ، أو بِحَبَّة من المَدِّ إلى
يوم النَّشْر ، فلا بد أن يكون القانع محتاجاً للوالى ، ومُفْتَقِراً إلى التَّفَقُّد^(٣) المتوالى ؛
وأما إذا كان القانع هو الذى وُلِّى الخُطَّة ، وأُكْسِبَ الهَرَّة^(٤) الذى أشار إليه والقطعة ،
فهو قياسٌ عكسه كان أَقْبَس ، بل تعلِّم لمن وجد فى نفسه خيفةً وأوجس ؛ وهأنا قد
فهِمْتُ وعَلِمْتُ ، من حسن تأديبك ما عَلِمْتُ ، وعلى ما فَرَّطْتُ فى جَنْبِكَ نَدِمْتُ ،
وإلى المَعذرة^(٥) والحمد لله أُلْهِمْتُ ؛ ومع ذلك أُعيدُ حديث الشيخ [القاضى]^(٦) ،
وذَكَرَ عهدك به فى الزمان الماضى ؛ فلقد أجاد ، فى الخِضاب^(٧) بالسَّواد ، واعتمد
على قول المالكى الذى هَدَى [إلى الرَّشاد]^(٨) ، وأوجبه بعضهم فى بلاد الجهاد ؛

(١) هذه الكلمة ثابتة فى « ل » . وساقطة فى « ج » .

(٢) وردت فى المخطوطين : أيرادا .

(٣) وردت فى المخطوطين : تفقد .

(٤) وردت فى المخطوطين : الهند .

(٥) وردت فى المخطوطين : العذرة .

(٦) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين وواردة فى « ت » .

(٧) وردت فى المخطوطين : بالخطاب . والتصويب يقتضيه السياق .

(٨) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ل » : للرَّشاد .

وبين عمرُ منافع الخضاب^(١) الصادقة الإِشهاد ، وخضَب بالسَّواد جماعة من الصَّحابة
الأُمجاد ؛ وكان ذلك ترخيصاً لم يُعد شرعاً ، لكنه دفع شرّاً وجلب نفعاً ؛ لا كأخيه
الذى أبكى عين الحَميم ، وأنشد قول الرَضِيّ يوم السقيم ، وفجع قلوب أترابه ، ولم
يأت بيت النّصف من بابه ؛ وإلا فقد علم أن في الخير مشروع ، وتعجلُ الشئ قبل
أوانه ممنوع ، وستغيبُ أخاك ولو بعد حين ، وما كل صاحب يَحمد^(٢) في إيضاح
وتبيين ؛ وإني لأرجو أن تزوجها بكراً ، تلاعبها وتلاعبك ، أو ثيباً تقصُر عن
حبها ما رُبك ؛ فلا جرَم ترجع إلى الخضاب ، وحينئذ تُمَتِّع بِشَفِّ الرُّضاب ؛
وإلا قالت سیدی ، لا تعظم المُنَى ، ولا تجعل القطر قبل أن يموت^(٣) عمر ؛ لعمُرُ
الله إن هذا الموقف صَعْبٌ ، قد ملأ الروح منه رَوْعٌ ورُعْبٌ ؛ وإن أضاف إلى ذلك
غَلَبَةُ الأوهام ، وظن الشيخوخة الصادرة عن نيل المرام ، سكن المُتَحَرِّك المطلوب ،
وتنغص عند ذلك المحبوب ؛ والله يُعينك أيها المولى ، ويواليك من بسطه أضعاف
ما ولى . وأما الأوصاف التي حَسَبْتَهَا^(٤) أوصافى ، وأوجبت حُكْمَهَا بالقياس على
خلافى^(٥) ، فهي لعمري أوصاف لا تُراد ، ومراعٍ لا شك أنها تُراد ؛ غير أنى بعيد
العهد بهذه البلاد ، [لا أمت لها]^(٦) إلا بالانتساب والميلاد ، لا كالتقضاة الذين
ذكرت^(٧) لهم عهداً ، ونظمت حُلاهم^(٨) في جيد الدهر عِقْداً ؛ ولو أنك بَصَّرتنى
بشروط القضاء ، وسجايأ أهل الصَّرامة والمضاء ، لحققت المناط ، وأظهرت الزُّهد

(١) وردت في المخطوطين هنا أيضاً : الخطاب .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » ، يحمل .

(٣) وردت في المخطوطين : أموت ، وهو تحريف .

(٤) وردت في المخطوطين : حبستها .

(٥) وردت في المخطوطين : خلاف .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في « ج » . وفي « ك » : لا أمتلها .

(٧) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : تذكر .

(٨) هكذا في « ج » . وفي « ك » : حالهم .

والاغتباط ؛ لكنى جهلتُ وإلى الآن أمهلتُ ؛ وما عُلِّمَ الإنسان إلا ليَعْلَمَ ، والله يهديننا إلى الذى يكون أحسنُ وأقومُ ؛ وإني لأُعْلِمُ سيدى بنخبرى^(١) ، وأطلع جلاله على عُجْرَى وَبَجْرَى ؛ ولكنى رَحَلْتُ عن تلك الحَضْرَةِ ، وَعَدِمْتُ النَّظْرَةَ فى تلك النَّظْرَةِ ؛ لبستُ الإهمال ، واطَّلعت فى السفر والاعتماد ، فأقيم بادية الكآبة ، مُهْتَاج الصَّبَابَةِ ؛ قد فارتقتُ السكن ، وخلفت الدار مثيرَةَ الشَّجَنِ :

وكانت جَنَّتِي فخرجتُ منها كآدم حين أخرجَه الضَّرار

حتى إذا حطَّطْتُ رَحْلِي بالقرى ، وَقَنِعْتُ بالزَّاد الذى كفى معياراً والقرى ؛ أَدْخَلْتُ إلى دار ضيقة المسالك ، شديدة^(٢) الظُّلْمَةِ كالليل الحالك ، تَذَكَّرْنِي القَبْرَ وأهواله [وتُنْسِينِي الذى أهواه]^(٣) ، بل تزيد على القبر برَفَلٍ^(٤) لا يُتَخَلَّصُ ، وبِراغيث كزريعة الكتَّان حين تُمَحَّصُ ؛ وبعوضٍ يُطِيلُ اللَّهْزَ^(٥) ، ولا تُفْنِي حتى تشرب ، وبوق يسقط سقوط النَّدَى . وَيَرْحَفُ إلى فراشى زَحْفُ العدا ؛ وأراقم خارجة من الكُؤَى^(٦) ، وحيَّاتٍ بلدغها نَزَاعَةُ للشَّوَى ؛ وجنون يُسْمَعُ عزيفها^(٧) ، وسُرَّاق لا يعدم تخويفها ؛ هذا ولا فراش^(٨) لمن بالقَهْرُ حُبْسٌ ، إلّا حصيرٌ قد اسودَّ من طول ما لبس ؛ لا يُجْتَرَى^(٩) فى طهارته بالنَّضْحِ ، ولا يُحْشَدُ من جلس عليه إلّا بالجُرْحِ ؛ حتى إذا سبجا الليل ، وامتدَّ منه على الآفاق الذيل ، فارقتى

(١) وردت فى المخطوطين : بنخبر .

(٢) هكذا وردت فى « ك » . وفى « ج » : الشديدة .

(٣) وردت هذه العبارة فى « ج » ، وأغفلت فى « ك » .

(٤) هكذا فى « ك » . وفى « ج » : بزيل .

(٥) هكذا وردت فى « ك » . وفى « ج » : المنى . والأولى أصوب .

(٦) هكذا فى « ك » . وفى « ج » : الكرى .

(٧) وردت فى المخطوطين : عزيمها .

(٨) وردت فى المخطوطين : فرق . والتصويب يقتضيه السياق والمعنى .

(٩) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : يجن .

العونُ فراق الكرى ، ورأيت الدمع لما جَرَى قد جَرَى ؛ فَأَتَوَسَّدُ واللّٰه ذراعى ،
ولأحمد واللّٰه اضْطَجاعى ؛ فِكَلًا كَلِيًّا محمومين ، والوجع والسَّهر مَحْمُولان على الرأس
والعين ؛ حتى إذا طلع الصبح ، وآن لبالى وعيونِ الخصوم الفَتَحُ ، أَتَانِي عونٌ قد
انحنى ظهره ، ونيف عن المائة عمره ، لا يشعر بالجون الصَّيِّب ، ولا تُسمعه كلمات
أبى الطَّيِّب ؛ بَرَبْرَى الأَصْل ، غير عارف بالفَصْل ؛ حتى إذا أُذِنْتُ للخصوم ،
وأدرتُ إحياء الرسوم ، دخل على غولان غافلان^(١) ، وأثقل كَتِفِي منهما مايلان ، قد
أَكَلَا الثَّوم النَّيِّ والبصل ، وعَرَقَا في الزَّناير عرقًا اتَّصل ؛ يُهْدِيَانِ إِلَى تلك الروائح ،
ويُظْهَرَانِ لِي الخَازِي والفضائح ؛ فَإِذَا حَكَمْتُ لأحدهما على خصمه ، وأردت الفصل
الذى لا مطمع في فَصْمِهِ ؛ هرب العونُ هربًا ، وقضى من النجاة بنفسه أربا ؛ واجتمع
إلى النصحاء ، وجاء المرضى والأصحاء ، كل يقول أتريد تعجيل المنايا ، وإثكال
الولايا ، وإتعاب صديقك السَّيِّد العِمَاد ، بِمَرْتَبَةٍ كما فعل مع القاضي الحدَّاد ؛ فأقول هذا
جهاد ، وما لِي في الحياة مُرَاد ، فَأَرْتَكِبُ الخطر ، وأقضى في الحكم الوَطَرَ ، واللّٰه
يُسَلِّمُ ، وَيُكَمِّلُ اللُّطْفَ وَيَتِمُّمُ . وأما إذا جاء أحدكم لكتِّب عقد ، وطمعتُ في
نسيئةٍ أو نقد ، قطعتُ يومى في تفهِّم مقصده ، مستعيذًا باللّٰه من غضبه وحرَّده ؛
حتى إذا ما تَخَلَّصْتُ منه ، ومَلَأْتُ السَّجَلَ بما أثبتته عنه ، كشف عن أنياب عُضْلٍ ،
وعبس عبوس الحب لا تقطاع وَصْل ؛ وقال لقد^(٢) أخطأت فيما كتبت ، ورسمت
ما أردت وأحببت ؛ فأُكْتُبُ عقدًا ثانيًا وثالثًا ، وأرتقبُ مع كل كلام حادثٍ
حادثًا ؛ فَإِذَا رَضِيَ ، فأسأله كيف ، وسِن السَّالِي^(٣) الذى أظهره ، أو اسمه^(٤) أو السيف ،
أخرج من فمه دِرْهَمًا نَتِنًا ، قد لزم ضِرْسًا عَفِنًا ؛ فَأُعَاجِلُهُ في البُخُور ، وأحْكُهُ في

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » عاقلان .

(٢) وردت في المخطوطين : لو .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : البسالى .

(٤) وردت في المخطوطين : اسم . وبهذا التعديل يستقيم المعنى نوعا .

الصُّخُور ، حتى إذا حُمِلَ لمن يبيع خبز الذرة مُتَنَتًا ، ويرى أنه قد فَضَّلَ بذلك أنسًا وحُسْنًا ، وجده ناقصًا زايغًا ، فيرجع حامله وَجِلًا خائِفًا ؛ ويبقى القاضى فقيدَ الهَجُوع ، يَشُدُّ الحَجَرَ على بطنه من الجوع ؛ على أننى أَحْمَدُ خِلاءَ البَطْنِ ، وما بجسمى لا يُحْكى من الوَهَن ؛ لتعذر^(١) المرحاض ، وبعْدَ ماء الحياض ، وكُمُونِ السَّبَاعِ فى الغياض ، وتعلُّقِ الأفاعى بالرداء الفِضْفَاض ؛ ونجاسة الحجارة ، وكثرة تردُّدِ السَّيَّارة ، والانكشاف للريح العقيم ، والمطر المُنْصَبُّ إلى الموضع الذميم . هذه الحال ، وعلى شرحها مجال^(٢) ، وقد صدقتك سُننُ فكرى ، وأعلمتُك بذاتِ صَدْرِي ؛ فتَجَلَّى الغرارة غُرور ، وشهود الشَّهْدِ زور ، والطَّمعُ فى الصَّرةِ إصرار ، ودون التَّبرِ يعلم الله تَيَّار . وأما الكِبْشُ فحظى منه غُبَارُهُ إذا خطر ، والثَّورُ بقرنه إذا العيد حَضَرَ ؛ كما أن حظى من الجَدَى التأذى بمسلكه ، وإنَّ جَدَى السماء لأقربُ لى من تملكه ؛ وأنا من الحلاوة سالمُ ابنُ حَلَاوة ، ولا أعهد من طَرَفِ الطرفِ الدَّماوة ؛ ودون الدَّجاجِ كلُّ مُدَجَّجٍ ، وعِوَضُ الأُترجِ رَجَّةٌ بكلِّ مَعْرَجٍ ؛ ولو عرفتُ أنك تقبل على علائها الهدايا ، وتوجبُ المَزيدُ لأصحابك المَزايا^(٣) ، لبعثتُ بالقماش ، وأنفَذْتُ الرِيشَ ، وأظهرتُ الغنى ؛ والوقوفُ بمبنى المُنَى ؛ وأوردتها عليك من غير هَلَعٍ ، مطلعة فى الجَوِّفِ بعد بَلْعٍ ، من كلِّ ساحليَّةٍ تُقَرِّبُ إلى البحر ، وعُدْوِيَّةٍ لا تُعَدِّ ، وصدر مجلس الصَّدْرِ ؛ حتى أجمعَ بين [الفاكهة]^(٤) والفُكاهة ، ويبدولى بعد الشَّقْفِ وجوه الوجاهة ؛ وأتبرا من الصَّدِّ المذموم ، ولا أكون أهدأ من القِطَا لَطرَقِ^(٥) الأَومِ ، لأنك زهدتَ فى الدنيا زُهد ابنِ أَذْهَمِ ، وألهمك الله من ذلك أكرَمِ ما ألهم ؛ فيدُك [من]^(٦) أموال الناس مقبوضة ، وأحاديثُ اللّٰه الفاتحة لِلِها مرفوضة ؛

(١) وردت فى المخطوطين : لتعد . والتصويب يقتضيه السياق

(٢) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : محال

(٣) وردت فى المخطوطين : المزايا . وهو تحريف .

(٤) هذه الكلمة واردة فى « ك » . وساقطة فى « ج » .

(٥) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » . لطوق . والأولى أنسب للسياق .

(٦) هذه الكلمة ساقطة فى « ك » .

وإذا كان المرء على دين خليله ، ومن شأنه سلوك نهجه وسبيله ، فالأليق أن أزهّد في الصّفراء والبَيْضاء ، وأقابل زُخْرُف الدنيا بالبغضاء ؛ وأحقق وأرجو على يدك حسن التخلّي ، والاطلاع على أسرار التجلّي ؛ حتى أسعد بك في آخرتي ودنياي ، وأجد بركة خاطرك في مماتي ونحياي ؛ أبقاك الله بقاء يسر ، وأمتّع بمناقبك التي يحسدها الياقوت والدُّر ؛ ولا زلت في سيادة تروق بعتّا ، وسعادة لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ؛ وأقرأ عليك سلاماً عاطر العرف ، كريم التأكيد والعطف [مارثي لحالي راث ، وذكرت أدّاية حلف حراث]^(١) ، ورحمة الله وبركاته . وكتبه أخوك ومملوكك ، وشيعةُ مجدك ، في الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام أربعة وستين وسبعائة .

مولده

بغرناطة عام ثلاثة عشر وسبعائة .

محتله

توجّه رسولا عن السلطان إلى صاحب تلمسان السلطان أحمد بن موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن [يغمرا سن بن زيان] :^(٢) وظفر بالجفن الذي ركبته العدو ، بأحواز جزيرة حبيبة^(٣) ، من جهة وهران ، فأسر^(٣) هو ومن بأسطول

(١) ما بين الخاصرتين وارد في المخطوطين مع اختلاف يسير . وواقط في « ت » .

(٢) ورد هذان الإسمان محرفين في المخطوطين هكذا : (عمراسان بن زياد) . والتصويب من « اللوحة البدرية » .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » : حبيه . وهو تحريف . وجزيرة حبيبة تقع غربي مدينة وهران على مقربة الشاطئ .

(٣) م وردت محرفة في المخطوطين : فاتسر .

سفره من المسلمين ؛ وبلغ الخبر^(١) فعظم الفجع ؛ وبين نحنُ نروم سفر أسطول يأخذ
 الثار ، ويستقرى^(٢) الآثار ، فيقيل العثار ، إذ اتَّصل الخبر بمهادنة^(٣) السلطان
 المذكور ، فقُدَى^(٤) من أسر بذلك المال الذي يَنيف على سبعة آلاف من العَيْنِ في
 ذلك ؛ فتخلَّص من المحنة لأيام قلائل ، وعاد ؛ فتولى السلطان إرضاءه عما فقد ،
 وضاعف له الاستغناء وجدَّد ؛ وكان حديثه من أحاديث الفَرَج بعد الشدة محسوباً ،
 وإلى سعادة السلطان منسوباً . وأنشدته [شعراً في مصابه ، بعدها]^(٥) ، وقد
 قضيت له من برِّ السلطان على عادتي ، ما جَبَرَ^(٦) الكَسْر ، وخَفَضَ الأمر :

خَلُصْتُ كما خَلَصَ الزَّبْرُقان وقد مَحَقَ النُّورُ عنه السَّرار

وفي السَّيِّقِ والرَّارِ في هذا سرُّ وفي ذا أسرار

وكان تاريخ هذه المحنة المُرْدَفَةِ المِنْحَةِ^(٧) ، حسباً نقلته من خطه ؛ قال ،
 « اعلّموا يا سيدي أبقاكم الله تعالى ، أن سفرنا من المَرِيَّةِ ، كان في يوم الخميس
 السادس لشهر ربيع الآخر من عام ثمانية وستين وسبع مائة ؛ وتغلَّب علينا العدو في
 عَشِيَّة يوم الجمعة الثاني منه ، بعد قتال شديد ؛ وكان خروجنا من الأسر في يوم السبت
 الثاني والعشرين لربيع الثاني المذكور ، وكان وصولي إلى الأندلس في أسطول مولانا
 نصره الله ، في جمادى الآخرة من العام المذكور ، بعد أن وصلوا قرطاجنة وأخذوا
 أجفاناً ثلاثة من أجفان العدو ، وعمل المسلمون^(٨) الأعمال الكريمة » .

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : البحر . وحكمة التصويب واضحة .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : ويستغرق .

(٣) وردت في المخطوطتين : بمهادة . وفي « ت » بمهادات . وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت في المخطوطتين . وفي « ت » : وفك .

(٥) وردت هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة على النحو الآتي : (سنة أصابه بعدها) . وهو تحريف

لا معنى له . وقد حاولنا بما أثبتناه أن نقرب المعنى المقصود .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة : يجبر . وصيغة الماضي هنا لازمة لاستقامة السياق .

(٧) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : (المحنة) مرة أخرى وهو تحريف .

(٨) وردت في المخطوطتين : المسلمين . وهو خطأ اقتضى التصويب .

إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله
ابن عمر بن فرقد القرشي العامري

قال ابن عبد الملك ؛ كذا وقفتُ على نَسَبه بخطه في غير ما موضع من أهل
مُورَة^(١) ؛ وسكن إشبيلية .

حالُه

كان مُتَفَنَّناً في معارفه ، محدِّثاً ، راوية^(٢) ، عدلاً ، فقيهاً ، حافظاً ، شاعراً ،
كاتباً ، بارعاً ، حسن الأخلاق ، وطِيءُ الأكناف ، جميل المُشاركة لأخوانه
وأصحابه ؛ كتب بخطه الكثير من كبار الدواوين وصغارها ، وكان من أصحَّ
الناس كُتُباً ، وأتقنهم ضَبْطاً وتقييداً ، لا تكاد تلقى فيما تولى تصحيحه خلافاً ؛ وكان
رؤوفاً شديد الحنان على الضعفاء والمساكين واليتامى ، صليماً في ذات الله تعالى ، يعقد
الشروط مُحْتَسِباً ، لا يقبل ثواباً عليها إلا من الله تعالى .

مُشِيخَتُه

تلا بالسَّبْع على أبي عمران موسى بن حبيب ، وحدث عن أبي الحسن بن سليمان
ابن عبد الرحمن المُقَرِّي ، وعبد الرحمن بن بَقِيٍّ ، وأبي عمرو ميمون بن ياسين ،
وأبي محمد بن عَتَّاب ؛ وتفقه بأبوي^(٣) عبد الله بن أحمد بن الحاج ، وابن حميد ،

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » (مرده) وهو تحريف . وموره ، وبالإسبانية Mora هي بلدة
من أعمال طليطلة وتقع في جنوبها الشرق على مقربة منها .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » راوياً .

(٣) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

وأبي الوليد بن رشد ؛ وأجاز له أبو الأصْبَغ بن مناصف ، وأبو بكر بن قُزْمان ،
وأبو الوليد بن طريف .

« من روى عنه » ؛ روى عنه أبو جعفر ، وأبو إسحاق بن علي المزْدَالِي ،
وأبو أمية اسماعيل بن سعد السعود بن عُفَيْر ، وأبو بكر بن حكم الشَّرْمَسِي ، وابن خير ،
وابن تِسْع ، وابن عبد العزيز الصدفِي ، وأبو الحجاج إبراهيم بن يعقوب ، وأبو علي
ابن وزير ، وأبو الحسن بن أحمد بن خالص ، وأبو زيد محمد الأنصاري ، وأبو عبد الله
ابن عبد العزيز الذَّهَبِي ، وأبو العباس بن سَلَمَة ، وأبو القاسم بن محمد بن إبراهيم
المُراعي ، وأبو محمد بن أحمد بن جُهور ، وعبد الله بن أحمد الأطلَس .

توَالِيفُهُ^(١)

دَوْنُ بَرَنَاجَا مُمْتَعًا ذَكَرَ فِيهِ شَيْوْخُهُ ، وَكَيْفِيَّةُ أَخْذِهِ عَنْهُمْ ؛ وَلَهُ رَجُزٌ فِي الْفَرَائِضِ
مَشْهُورٌ ، وَمَنْظُومٌ كَثِيرٌ ، وَتَرْشُلٌ مُنَوَّعٌ ، وَخُطَبٌ مُخْتَلِفَةٌ الْمَقَاصِدُ ، وَمَجْمُوعٌ
فِي الْعَرُوضِ .

دخوله غرناطة

قال المؤرخ : وفي عام أربعة وخمسين وخمسمائة ، عند تغيب الخليفة بالمهدية ،
استدعى السيد أبو سعيد الوالي بئرناطة ، عند استقراره بها ، الحافظ أبا بكر بن
الجد والحافظ أبا بكر بن جَيْش ، والكاتب أبا القاسم^(٢) بن المُراعي ، والكاتب أبا
إسحاق بن فرقد ، وهو هذا المترجم به ، فأقاموا معه مدة تقرب من عامين اثنين بها .

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وترد أحياناً : تأليفه .

(٢) وردت في المخطوطين : ابن القاسم . والتصويب من « ت » .

شعره

مما ينقل عنه قصيدة شهيرة في رثاء الأندلس :

ألا مُسْعِدٌ مُنْجِزٌ ذو فِطْنٍ يبكي بدمعٍ مَعِينٍ هَتِينٍ
جزيرةَ أندلسٍ حَسرةً^(١) لا غالب^(٢) من حقود الزَّمنِ
وَيَنْدُبُ أَطْلَاهَا آسِفًا وَيَرْتُئِي مِنَ الشَّعْرِ مَا قَدْ وَهَنَ
وَيَبْكِي الْأَيَّامِ وَيَبْكِي الْيَتَامَى وَيَحْكِي الْحَمَامِ ذَوَاتِ الشَّجَنِ
وَيَشْكُو إِلَى اللَّهِ شَكْوَى شَجٍّ^(٣) وَيَدْعُوهُ فِي السَّرِّ ثُمَّ الْعَلَنِ
وَكَانَتْ رِبَاطًا لِأَهْلِ التَّقَى فَعَادَتْ مَنَاطًا لِأَهْلِ الْوَتَنِ
وَكَانَتْ مَعَاذًا لِأَهْلِ التَّقَى فَصَارَتْ مَلَاذًا لِمَنْ لَمْ يَدِنْ
وَكَانَتْ شَجَىً فِي حُلُوقِ الْعِدَا فَأُضْحِي لَهُمْ مَالُهَا مُحْتَجِنِ

وهي طويلة؛ ولدى خلاف فيمن أفرط في استحسانها . وشعره عندى وسط .
ومن شعره وهو حجة في عُمره عند الخلاف في ميلاده ووفاته . قال :

ثمانون عاماً مع سِتٍّ عَمَّرَتْ وَلِيْتَنِي أَرَقْتُ دُمُوعِي بِالْبُكَاءِ عَلَى ذَنْبِ
فلا الدَّمْعُ فِي مَحْوِ الْخَطِيئَةِ غُنْيَةً إِذَا هَاجَ مِنْ قَلْبٍ مُنِيبٌ إِلَى الرَّبِّ
فِيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ رَحْمَاكَ أُرْتَجِي فَهَبْ لِي انْسِكَابَ الدَّمْعِ مِنْ رِقَّةِ الْقَلْبِ
وَزَكَ الَّذِي تَذَرِيهِ مِنْ شِيْمَةٍ^(٤) تَعْلُقُ بِي الْمَظْلُومُ مِنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ

(١) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» و «ت» حسرت .

(٢) وردت في المخطوطين : عالياً . والتصويب من «ت» .

(٣) وردت في المخطوطين : (شجم) . والتصويب من «ت» .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» شيمتى .

وزكَّ مقامى^(١) فى العقود وكتبها لوجهك لم أقبل ثواباً على كتب
ولا تحرمنى أجر ما كنتُ فاعلاً فحقُّ اليتامى عندى من لى صعب
ولا تخزنى يوم الحساب وهوله إذا جئتُ مذعوراً من الهول والرعب

مولده

حسباً نُقل من خط ابنه أبى جعفر ؛ ولد ، يعنى أباه سنة أربع وثمانين وأربعمائة .
« وفاته » ؛ بعد صلاة المغرب من ليلة الثلاثاء [الثامن عشر]^(٢) من محرم
عام اثنين وسبعين وخمسمائة . ونُقل غير ذلك .

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبّيدس بن محمود النفزى

أبْدَى^(٣) الأصل ، غرناطى الإستقرار ، ويكنى أبا إسحاق .

حاله

خاتمة الرُّحال^(٤) بالأندلس ، وشيخ المجاهدات وأرباب المعاملات ، صادق
الأحوال ، شريف المقامات ، ماثور الإخلاص مشهور الكرامات ؛ أصبَرُ الناس
على مجاهداته ، وأدومهم على عملٍ وذكرٍ وصلاةٍ وصومٍ ، لا يفترُّ عن ذلك ولا ينام ،
آية الله فى الإيثار ، لا يدّخر شيئاً لغد ، ولا يتحرّف بشيء ؛ وكان فقيهاً حافظاً ،

(١) هكذا فى « ت » . وفى المخطوطين : منابى .

(٢) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » (الثامن والعشرين عشر) . وهو خلط لا معنى له .

(٣) نسبة إلى مدينة أبدة Ubeda . وقد سبق التعريف بها (انظر الحاشية فى ص ١٦١) .

(٤) وردت فى المخطوطات الثلاثة : الرجال . وهو تعريف ظاهر .

ذاكراً للغة^(١) والأدب ، نحويًا ماهرًا ، درس ذلك كله أول أمره ؛ كريم الأخلاق ؛ غلب عليه التصوف فشُهر به ، وبمعرفة طريقه الذي نَدَّ^(٢) فيها أهل زمانه ، وصنّف فيها التصانيف المفيدة .

ترتيب زمانه

كان يجلس إثر صلاة الصبح لمن يقصده من الصالحين ، فيتكلم لهم بما يحريه الله على لسانه ، ويُيسّرهُ من تفسير ، وحديث ، وعظة إلى طلوع الشمس ؛ فيتنفل صلاة الضحى ، وينفصل إلى منزله ، يأخذ في أوراده ، [من قراءة]^(٣) القرآن والذِّكر والصلاة إلى صلاة الظهر ، فيبكر في رواجه ، ويؤالي التنقل إلى إقامة الصلاة ؛ ثم كذلك في كل صلاة ، ويصل ما بين العشاءين بالتنفل ؛ هذا دأبه أبداً .
وكان أمره في التوكل عجباً ، لا يُلَوِّى على سبب ، وكانت تُجْبى إليه ثمرات كل شيء ، فيدفع ذلك بجملة ؛ وربما كان الطعام بين يديه ، وهو محتاج ، فيعرض من يسأله ، فيدفعه جملة ، ويبقى طاوياً ؛ فكان الضعفاء والمساكين له لياذاً ينسِلون من كل حَدَب ، فلا يردُّ أحداً منهم خائباً ؛ ونفع الله بخدمته وصحبته ، واستخرج بين يديه عالماً كثيراً .

مُشِيخَتُهُ

أخذ القراءة عن أبي عبد الله الحَضْرَمِي ، وأبي الكرم جُودِي بن عبد الرحمن ؛ والحديث عن أبي الحسن بن عمر الوادِي آشِي ، [وأبي محمد سليمان]^(٤) بن حَوَظِرِ الله ؛

(١) وردت في المخطوطين : للغات . وهو تحريف . ولا نظن أن المقصود بها غير العربية .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » ؛ ندب .

(٣) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : وقراءة .

(٤) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » (وأبي سليمان محمد) والأولى أرجح .

والنحو واللغة عن ابن يربوع وغيره . ورَحَل وحجَّ ، وجاور وتكرَّر ؛ ولَقِيَ هناك غير واحد من صدور العلماء ، وأكابر الصوفية ؛ فأخذ صحيح البخارى سماعا منه سنة خمس وستمائة عن الشريف أبى محمد يونس ، وأبى الحسن على بن عبد الله بن المغربانى ، ونصر بن أبى الفرج الحضرمى ؛ وسُتْن أبى داود وجامع الترمذى على أبى الحسن بن أبى المكارم نصر بن أبى المكارم البغدادى ، أحد السامعين على أبى الفتح الكروخى ، وأبى عبد الله الحمد بن مسترى الحمة^(١) ، وأبى المعالى^(٢) بن وهب بن البنا ؛ وبيبجايه عن أبى الحسن على بن عمر بن عطية .

« من روى عنه » ؛ روى عنه خلق لا يحصون كثرة^(٣) ، منهم أحمد بن عبد المجيد بن هذيل الغسَّانى ، وأبو جعفر بن الزبير ، وغيره .

تواليافه

صنّف فى طريقة التصوّف وغيرها ، تصانيف مفيدة ؛ منها « مواهب العقول^(٤) » وحقائق المعقُول ، و « المُغيرة المذهلة ، عن الحيرة والتّفرة والجمع » ؛ و « الرحلة العنوية » ؛ ومنها « الرسائل فى الفقه والمسائل » ، وغير ذلك .

شعره

له أشعار فى التصوف بارعة ؛ فمن ذلك ما نقلته من خط الكاتب^(٥) أبى إسحاق

(١) هكذا وردت فى المخطوطين . وربما أغفلت كلمة (ابن) قبلها . وربما كانت اسم البلد المعروف بالأندلس (الحمة أو الحامة) .

(٢) وردت فى المخطوطين : ابن المعالى . وهو تحريف .

(٣) وردت فى المخطوطين : كثير .

(٤) هكذا ورد العنوان فى « ك » . وفى « ج » : مواهب القلوب . والأولى أرجح لاتفاقها فى السجع مع الشطر الآخر من العنوان .

(٥) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : الكتاب ، وهو تحريف .

ابن زكريا في مجموع جمع فيه الكثير من القول :

يضيق على من وجدى الفضاء
وأرض الله واسعة ولكن
رأينا العرش والكرسي أعلا
فأين الأين منا أو زمان
شهدنا للإله بكل حكم
ويدعوني الإله إليه حقاً
ويقبضني ويُسْطِنِي وَيَقْضِي
ويعي في وجود الخلق نحواً
فكم أخفى وجودى وقت فقدى
فسكرته ثم صحوته ثم سكر
فوصفى حال^(٣) من وصفى ولكن
إذا شمس النهار بدت تولت

و[من]^(٤) شعره :

كم عارف سرحت في العلم همته
كساه نور الهدى برّداً وقلده
كسب ابن آدم في التحقيق كسوته
كلّف فؤادك ما يبدي عجائبه
فعلقه لحجاب العقل هتاك
دراً في قلبه للعالم أسلاك
إن القلوب لأنوار وأحلاك
إن ابن آدم للأسرار دراك

(١) هكذا في « ج ». وفي « ك » : نيعت .

(٢) وردت في المخطوطين : (أو حياً) .

(٣) وردت في المخطوطين : حل .

(٤) ساقطة في المخطوطين .

كَيْفَ وَكَمْ وَمَتَى وَالْأَيْنَ مُنْسَلِبَ عَنْ وَصَفَ بَارِيهَا وَالْجَهْلَ تَبَاكَ
كَبْرٌ وَقَدْسٌ [وَنَزْهُ] ^(١) مَا أَطَقْتَ فَلَمْ يَصِلْ إِلَى مَلِكِ الْأَمْلاكِ أَمْلاكِ
كُرْسِيهِ ذَلَّ وَالْعَرْشَ [اسْتَكَانَ] ^(٢) لَهُ وَنَزَهُ اللَّهُ أَمْلاكِ وَأَفْلاكِ
كُلٌّ يَقْرَأُ أَنَّ الْعَجْزَ قِيْدَهُ وَالْعَجْزَ [عَنْ دَرَكٍ] ^(٣) الْإِدْرَاكَ دِرَاكَ

وقال ، وهو ما اشتهر عنه ، وأنشدها بعض المشاركة في رحلته في غرض اقتضى ذلك ، يقتضى ذكره طولا :

يَا مَنْ أَنَامَلَهُ كَالْمُزْنَ هَامِيَةً وَجُودٌ كَفَيْهِ أَجْرِي مِنْ يَجَارِيهَا
بِحَقٍّ مِنْ خَلَقِ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ أَنْظِرْ إِلَى رِقْعَتِي وَافْهَمْ مَعَانِيهَا
أَنْى فَقِيرٌ وَمُسْكِينٌ بِلَا سَبَبٍ سَوَى حُرُوفٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَتْلُوهَا
سَفِينَةُ الْفَقْرِ فِي بَحْرِ الرَّجَا ^(٤) غَرِقَتْ فَاْمُنْ عَلَيْهَا بِرِيحٍ مِنْكَ يُجْرِيهَا
لَا يَعْرِفُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يَكَابِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يَعَانِيهَا

وقال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك ، وقد ذكره ؛ على الجملة فيه ختم حلة أهل هذا الشأن بصقع الأندلس ، نفعه الله ونفع به .

مولده

ولد بجيَّان سنة ثنتين وستين وخمسمائة أو ثلاث وستين .

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . واردة في « ت » .

(٢) ناقصة في المخطوطين ، واردة في « ت » .

(٣) هكذا وردت في « ت » . وفي « ك » : دون . وفي « ج » : در . وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت في « ت » . وفي المخطوطين : الدجا . والأولى أرجح بالنسبة للمعنى المقصود .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي

من أهل تازي^(١) ؛ يكنى أبا سالم ، ويعرف بابن أبي يحيى .

حالُه

من أهل^(٢) الكتاب المؤتمن ؛ كان هذا الرجل قيماً على التهذيب ، ورسالة ابن أبي زيد ، حسن الإقراء لهما ؛ وله عليهما تقييدان نبيلان ، قيدهما أيام قراءته إياهما على أبي الحسن الصغير ؛ حضرت مجالسته بمدرسة عدوة الأندلس من فاس ، ولم أر في مُصدري بلده أحسن تدريباً منه . كان فصيح اللسان ، سهل الألفاظ ، موفياً حقوقها ، وذلك لمشاركته الحضر فيما في أيديهم من الأدوات ؛ وكان مجلسه وفقاً على « التهذيب » و « الرسالة » ؛ وكان مع ذلك شيخاً فاضلاً ، حسن اللقاء ، على خلق بائنة من أخلاق أهل مصره^(٣) . امتحن بصحبة السلطان ، فصار يستعمله^(٤) في الرسائل ، فمر في ذلك حظٌ كبير من عُمره ضائعاً ، لا في راحة دنيا ، ولا في نصيب آخرة ؛ ثم قال هذه سنة الله فيمن خدّم الملوك ، ملتفتاً إلى ما يُعطونه ، لا إلى ما يأخذون من عُمره^(٥) وراحته ؛ أن يبوؤا^(٦) بالصفقة الخاسرة ، لطف الله بمن ابتلى بذلك ، ونخلصنا خلاصاً جميلاً .

ومن كتاب « عائد الصلة » : الشيخ ، الحافظ ، الفقيه ، القاضي ، من

(١) وردت في المخطوطين : تيزى . وهو تحريف لاسم المدينة المغربية القديمة .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وواردة في « ت » .

(٣) هكذا في « ك » و « ت » . وفي « ج » : عصره .

(٤) وردت في المخطوطين : يتملمه . وهو تحريف .

(٥) هكذا في « ك » . وفي « ج » ، : غيره .

(٦) هكذا في « ج » . وفي « ك » : تبوأ .

صدور المغرب ، مُشاركاً في العلم ، متبحراً في الفقه ؛ كان وجيهاً عند الملوك ، صَحبهم ، وحضر مجالسهم ، واستعمل في السفارة ، فلقيناه بغرناطة ، وأخذنا بها عنه ؛ تام السَّراوة^(١) ، حسن العهد ، مليح المجالس ، أنيق المحاضرة ، كريم الطبع ، صحيح المذهب .

تصانيفه

قيد على « المدوّنة » ، بمجلس شيخه القاضي أبي الحسن ، كتاباً مفيداً ؛ وضم أجوبته على المسائل في سفر ؛ وشرح كتاب « الرسالة » شرحاً عظيم الفائدة .

مشيخته

لازم أبا الحسن الصغير ، وهو كان قارئ كُتُب الفقه عليه ، وجل انتفاعه في التفقه به ؛ وروى عن أبي زكريا بن أبي ياسين ، قرأ عليه كتاب « الموطأ » ، إلا كتاب المكاتب ؛ وكتاب « المدبر »^(٢) ، فإنه سمعه بقراءة الغير ؛ وعن أبي عبد الله بن رشد ، قرأ عليه « الموطأ » ، « وشفاء » عياض ؛ وعن أبي الحسن بن عبد الجليل السّداري ، قرأ عليه « الأحكام الصغرى » لعبد الحق ؛ وأبي الحسن بن سليمان ، قرأ عليه « رسالة » ابن أبي زيد^(٣) ، وعن غيرهم .

وفاته

فُلج بآخره ، فالتزم منزله بفاس ، يزوره السلطان فَمَنّ دونه ؛ وتوفي بعد عام ثمانية وأربعين وسبعمائة .

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : السراة . والسراوة هي الرياسة .

(٢) هكذا رسمت في « ج » . وفي « ك » : المدر . وربما كان كتاب « المدارك » لعياض .

(٣) إن الكتب التي ورد ذكرها في هذه الترجمة كلها من كتب الحديث والفقه : وقد رأينا أن نشبها بعنوانيها ومؤلفيها كاملة في الملحق الخاص بذلك .

إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي التَّنُوخِي

أصله من جزيرة طريف^(١) ، ونشأ بقرنطة واشتهر .

حاله

من « عائد الصلة » : كان نسيج وحده حياءً ، وصَدَقَةً ، وتخلُّقاً ، ومشاركة ، وإيثاراً . رَحَلَ عند استيلاء العدو على جزيرة طريف ، عام أحد وسبعين وستمائة ، مُتَحَوِّلاً إلى مدينة سَبْتَةَ ، فقرأ بها واستفاد . وورد الأندلس [فاستوطن]^(٢) مدينة قرنطة ، وكتب في الجُمُلة عن سلطانها ، وترقى معارج الرتب ، حالاً مُحالاً ، من غير اختلاف على فضله ، ولا نزاع في استحقاقه ؛ وأقرأ فنوناً من العلم ، بعد مهلك أستاذ الجماعة ، أبي جعفر بن الزبير^(٣) ، بإشارة منه به ؛ وُلِّي الخطابة والإمامة بجامعها منتصف صفر عام ستة عشر وسبعائة ، وجمع بين القراءة والتدريس ، فكان مُقرِّناً للقرآن ، مبرزاً في تجويده ، مدرساً للعربية والفقه ؛ آخذاً في الأدب ، متكلماً في التفسير ، ظريفاً الخط ، ثَبَتاً محققاً لما ينقله ؛ وألقى الله عليه من المحبة والقبول ، وتعظيم الخلق له ، ما لا عَهْد بمثله لأحد ؛ بلغ من ذلك مبلغاً عظيماً ، حتى كان أحبَّ إلى الجمهور من أوصل أهلهم وآبائهم ، يتزاحمون عليه في طريقه ، ويتمسِّحون به ، ويسعون بين يديه ، ومن خلفه ؛ ويتزاحم مساكينهم على بابه ، قد عودهم طَلَاقَةٌ وجهه ، ومواساته لهم بِقُوَّتِهِ ، يفرِّقه عليهم متى وجدوه ، وربما أعجلوه قبل استواء خُبْزِهِ ، فيفرِّقه^(٤) عليهم عَجِيناً . له في ذلك أخبار غريبة .

(١) هي مدينة طريف التي سميت باسم طريف بن مالك أول من عبر البحر إلى إسبانيا من قواد المسلمين . وهي تقع على فتوة في جنوبي غربي المثلث الإسباني مقابل الجزيرة الخضراء واسمها بالإسبانية Tarifa

(٢) وردت هذه الكلمة في « ك » وأغفلت في « ج » .

(٣) سبقت ترجمته في هذا المجلد من الإحاطة (ص ١٩٥ - ٢٠٠) .

(٤) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » ، ففرقه .

وكان صادقاً بالحق ، غيوراً على الدين ، مخالفاً لأهل البدع ، ملازماً للسنة ، كثير الخشوع والتخلق على علو الهمة ، مبدول المشاركة للناس والجِدِّ في حاجاتهم ، مُبتلى بوسواس في وضوئه ، يتحمل الناس من أجله مَضَضاً في تأخير الصلوات ومضايقة أوقاتها .

مشيخته

قرأ ببلده على الخطيب القاضي المقرئ أبي الحسن عُبَيْد الله بن عبد العزيز القرشي المعروف بابن القارئ ، من أهل إشبيلية ؛ وقرأ بسبته على الأستاذ إمام المقرئين لكتاب الله ، أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن الطيّب بن زَرْقُون القَيْسِي الضرير ، نزيل سبته ، والأستاذ أبي إسحاق الغافقي المريوني ؛ وقرأ على الشيخ الوزير أبي الحكم بن منظور القيسي الإشبيلي ، وعلى الشيخ الراوية ، الحاج أبي عبد الله محمد بن الْكِتَامِي التِّلْيسَانِي بن الْخَضَّار ؛ وقرأ بغرناطة على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وأخذ عن أبي الحسن بن مستقور^(١) .

شعره

كان يَقْرِضُ شعراً وسطاً ، قريباً من الإنحطاط . قال شيخنا أبو بكر بن الحكيم^(٢) في كتابه المسمى « بالفوائد المُنتخبة ، والموارد المُستعذبة » ؛ كتب إليه شيخنا وبركتنا أبو جعفر بن الزيات في شأن شخص من أهل البيت النبوي بما نصه :

(١) وردت في المخطوطين : مسفور . وهو تحريف يرد دائماً في المخطوطين بالنسبة لهذا الاسم .

(٢) سبقت الإشارة إليه (انظر الحاشية في ص ١٦٣) . وقد ترجم له ابن الخطيب فيما بعد

في المجلد الثاني من الإحاطة .

رجل يدعى القرابة لليست وإن الثريا^(١) منه بمعزل
 سأل منى خطابكم وهو هذا ولكم في القلوب أرفع منزل
 فهبوه دعاءكم وامنحوني منه حظاً يُنمى الثواب ويُجزل
 وعليكم تحية الله ما دا م أمير الهدى يُؤلى ويعزل

فأجابه :

يا إمامي ومن به قطركم ذا لك وحادي البلاد أطيب منزل
 لم أضع ما نظمتم من يدي حتى أنيل الشريف تحفة منزل
 وحباه بكل منح جزيل من غداً يمنح الثواب ويُجزل
 دتم تنشرون علماً ثواب الله فيه لكم أعز وأجزل
 [تذكرون الله ذكراً كثيراً]^(٢) وعليكم سكينه الله تنزل
 وطلبتم منى الدعاء وإني عند نفسي من الشروط بمعزل
 لكن ادعوا ولتدع لي برضا الله وأبدى فهم ذكر قد أنزل
 وحديث الرسول صلى عليه كل وقت رب لنا الغيث ينزل
 وعليكم تحيتي كل حين ما اطمأنت بمكة أم معزل

قال ، ومما أنشدني من نظمه أيضاً في معرض الوصية للطلبة :

إعمل بعلمك تؤت علماً إنما عدوى علوم المرء منح^(٣) الأقوم
 وإذا الفتى قد نال علماً ثم لم يُعلم به فكأنما لم يعلم

(١) وردت في المخطوطين : الثرى . والتصويب منه « ت » .

(٢) وردت هذه الشطرة في المخطوطين محرفة : (ولذكر الله كثيراً) .

(٣) وردت في المخطوطين : تمنح .

وقال موطئاً على البيت الأخير :

أمولاي أنت الغفورُ الكريم لبذول النّوال والمُعذرة
على ذنوبٍ وتصحيّفا ومن عندك الجودُ والمغفرة

إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد

ابن خميس بن نصر [بن] ^(١) قيس الأنصاري الخزرجي

أمير المؤمنين ^(٢) بالأندلس رحمه الله .

أولّيته

تُقرّر عند ذكر الملوك من قومه في اسم صُنو جدّه ، أمير المسلمين أبي عبد الله
الغالب بالله .

حاله

من كتاب « طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر » ^(٣) من تصنيفنا : « كان
رحمه الله ، حسن الخلق ، جميل الرواء ، رجل جد ، سليم الصدر ، كثير
الحياء ، صحيح العقل ، ثَبَتًا في المواقف ، عفيف الإزار ، ناشئًا في حِجر الطهارة ،
بعيدًا عن الصّبوة ، بريًا من المعاقرة » ^(٤) ؛ نشأ مشغلاً بشأنه مُتَبَنِّكًا نعمة أبيه ،

(١) هذه الكلمة ناقصة في المخطوطين .

(٢) هذا اللقب تجاوز من ابن الخطيب . وقد كان لقب « أمير المسلمين » هو اللقب الصحيح
للملك بن نصر .

(٣) سبق التعريف بهذا الكتاب في المقدمة .

(٤) وردت في المخطوطين : المعاقده . والتصويب من اللوحة البدرية .

مختصاً بإيثار السلطان جدّه أبي أمه ، وابن عم والده ، منقطعاً إلى الصّيد ، معروف اللّذة إلى استجادة سلاحه ، وانتقاء مراكبه ، واستفّراه^(١) جوارحه ، إلى أن أفضى إليه الأمر ، وساعدته الأيام . وخدمه الجدّ ، وتنقل إلى بيته الملك به ، وثوى في عقبه الذّكر ، فبذل العدل في رعيته ، واقتصد في جبايته ، واجتهد في مدافعة عدو الله ، وسدّ^(٢) ثلم ثغوره ، فكان غرّة في قومه ، ودُرّة في بيته ، وحسنة من حسنات دهره . وسيرد نبذ من أحواله ، مما يدل على فضل جلاله .

صفته

كان معتدل القدّ ، وسيم الصورة ، عبّل اليدين ، أبيض اللون ، كثير اللحية ، بين السواد والصهوبة^(٣) ، أنجل أعين أفوه مليح العين ، أقنى الأنف ، جهير الصوت ؛ أمه الحرّة الجليّة ، العريقة في الملوك ، فاطمة بنت أمير المؤمنين ، أبي عبد الله نخبّة الملك ، وواسطة العقد ، وفخر الحرّم ، البعيدة الشّأو في العز والحُرمة ، وصيلة الرّعي ، وذكر التراث^(٤) . واتصلت حياتها ، ملتزمة الرأى ، برنامجاً للفوائد ، تاريخاً للأنساب ، إلى أن توفيت في عهد حفيدها السلطان أبي الحجاج ، رحمه^(٥) الله ، وقد أنفت على تسعين من السنين ، فكان الحفل في جنازتها ، مُوازيًا لمنصبها ، ومتروكها ، المفضى إليه خطيرُه ؛ وقلت في رثائها :

نبيتُ على علم بغائلة الدهر ونعلم أن الخلق في قبضة الدهر
ونركن للدنيا [اغتراراً بفكرها]^(٦) وحسبُك من يرجو الوفاء من الغدر

(١) هكذا وردت في «ك» وفي «ج» : واستفّراه . وهو تحريف .

(٢) في المخطوطين : وتسد .

(٣) الصهوبة هي احمرار الشعر .

(٤) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» : الثرات . والأولى أرجح .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : رحمه . والأولى أرجح هنا . والمقصود بها السلطنة

لا السلطان .

(٦) وردت هذه العبارة في «ك» : اغتراراً بفقرها . وفي «ج» : إغتراراً بفكرها .

وَنُمُتْلُ بِالْعَزْمِ الزَّمانَ سَفَاهَةً فيومٌ إلى يومٍ ، وشهرٌ إلى شهرٍ
 وَتُغْرِ بِهَا نَفْسِي الْمَطامِعَ وَالْهوى ونرفض ما يَبْقَى فِيا ضَيْعَةَ الْعُمْرِ
 هُوَ الدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ جَدِيدٌ^(١) وَلَا يَنْفَكُ مِنْ حَادِثٍ نُكْرٍ
 وَبَيْنَ الْخُطُوبِ الطَّارِقَاتِ تَفَاضُلٌ كَفَضْلٍ مِنْ اغْتَالَتَهُ فِي رِفْعَةِ الْقَدْرِ
 أَلَمْ تَرَأِ أَنْ الْمَجْدَ أَقْوَتَ رُبُوعُهُ وَصَوَّحَ مِنْ أَذْوَاحِهِ كُلَّ مُخَضَّرٍ
 وَلاَحَتْ عَلَى وَجْهِ الْعِلَاءِ كَأَبَةٍ فَقَطَّبَ مِنْ بَعْدِ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ

وُثِبَتْ اسْمُهَا فِي الْوَفَايَاتِ مِنَ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ بِمَا نَصَهُ :

« السُّلْطَانَةُ الْحُرَّةُ ، الصَّالِحَةُ ، الطَّاهِرَةُ ، فَاطِمَةُ بِنْتُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْغَالِبِ بِاللَّهِ ، بَقِيَّةُ نَسَائِ الْمُلُوكِ ، الْحَافِظَةُ لِنِظَامِ الْإِمَارَةِ ، رَعِيَا
 لِلْمَمْلُوكَاتِ^(٢) ، وَصَلَةُ لِلْحُرْمَةِ ، وَإِسْدَاءٌ لِلْمَعْرُوفِ ، وَسِتْرٌ لِلْيَبُوتَاتِ^(٣) ، وَاقْتِدَاءٌ
 بِسَلَفِهَا [الصَّالِحِ]^(٤) ، فِي نِزَاهَةِ النَّفْسِ ، وَعُلُوِّ الْهَمَةِ ، وَمَتَانَةِ الدِّينِ ، وَكُشْفِ
 الْحِجَابِ ، وَنَفَازِ الْعَزْمِ ، وَاسْتِشْعَارِ الصَّبْرِ ؛ تُوفِيَتْ فِي كِفَالَةِ حَفِيدِهَا ، أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ
 أَبِي الْحِجَابِ ، مُوَاصِلًا بِرَّهَا ، مُلْتَمِسًا دَعَاءَهَا ، مُسْتَفِيدًا تَجَرُّبَتَهَا وَتَارِيخَهَا ، مُبَاشِرًا
 مُوَارِثَتَهَا بِمَقْبَرَةِ الْجَنَانِ ، دَاخِلَ الْحِمَاءِ ، سَحَرِ يَوْمِ الْأَحَدِ السَّابِعِ لَذِي حِجَّةٍ ، مِنْ عَامِ
 تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . »

أولاده

تَخَلَّفَ^(٥) مِنْ الْوَلَدِ أَرْبَعَةٌ ، أَكْبَرُهُمْ مُحَمَّدٌ ، وَلِي الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَفَرَجَ شَقِيقُهُ

(١) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » : حَدِيثٌ . وَالْمُؤَدَّى وَاحِدٌ .

(٢) مِنْ مَتِّ مَتَا . أَيْ وَصَلَ . وَالْمَقْصُودُ : رَعِيًا لِلصَّلَاتِ .

(٣) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » لِلْيَبُوتِ . وَالْأَوَّلَى أَنْسَبُ لِلْمَعْنَى الْمَقْصُودِ .

(٤) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَارِدَةٌ فِي « ج » وَسَاقِطَةٌ فِي « ك » .

(٥) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي السَّحْنَةِ الْبَدْرِيَّةِ .

التالى له بالسن ، المنصرف عن الأندلس بعد مهلك أخيه المذكور ، المتغلب فى الإيالات ، الهالك أخيراً فى سجن قصبة^(١) ألمرية عام أحد وخمسين وسبعائة ، مظنوناً به الاغتيال ؛ ثم أخوه [أمير المسلمين]^(٢) أبو الحجاج ، تغمده الله برحمته ، أقعد القوم فى الملك^(٣) ، وأبعدهم أمدًا فى السعادة ؛ [ثم]^(٤) اسماعيل أصغرهم سنًا ، المبتلى فى زمان الشيبية فى الثقاف^(٥) الخيف مدة أخيه ، المستقر الآن مودعا مرفودا ، بقصر المستخلص^(٦) من ظاهر شالوبانية^(٧) ؛ وبنتين ثنتين من حظيته علوة ، عقد عليهما أخوها أبو الحجاج ، لرجلين من قرابته .

وزراؤه

وزر له أول أمره القائد البهمة ، أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح الفهرى ؛ وبيت هؤلاء القواد شهير ، ومكاثتهم من الملوك النصريين مكنية ؛ أشرك معه فى الوزارة الفقيه الوزير أبا الحسن على بن مسعود بن على بن مسعود الحاربي ، من أعيان الحضرة ، وذوى النباهة ؛ فجاذب^(٨) رفيقه حبلى الخطاة ، ونازعه لباس الحظوة ، حتى ذهب باسمها ومسمّاها ؛ وهلك القائد أبو عبد الله بن أبى الفتح ، فخلص له شربها ؛ وسيأتى التعريف بكل على انفراد .

(١) وردت فى المخطوطين : قصبات . والمفرد هنا أرجح . ولا محل للجمع . وقد كانت قصبة ألمرية من أعظم وأمنع قصبات الأندلس . وما تزال تقوم بها إلى اليوم بقية كبيرة من الأسوار والأبراج تدلى بما كانت عليه من المناعة والفخامة معاً .

(٢) هذه العبارة واردة فى « ك » . وساقطة فى « ج » .

(٣) وردت فى المخطوطين : الملوك . والتصويب من اللوحة .

(٤) واردة فى « ج » . وساقطة فى « ك » .

(٥) الثقاف أى الاعتقال .

(٦) المستخلص أعنى أملاك السلطان . وقد سبقت الإشارة إليها .

(٧) شالوبانية أو شلوبانية وبالإسبانية Salobrena . سبق التعريف بها (انظر الحاشية فى ص ١١٨)

(٨) وردت فى المخطوطين : فجاذف . والتصويب يقتضيه السياق .

كُتَابُهُ

كتب عنه لأول أمره بمالقة ، ثم بطريقه إلى غرناطة ، وأياماً يسيرة بها ، الفقيه الكاتب أبو جعفر بن صفوان المتقدم ذكره ، [ثم ألقى المقادة ^(١)] إلى كاتب الدولة قبل ، شيخنا أبي الحسن بن الجيَّاب ، فاضل الخطَّة ، وبارى القوس ^(٢) ، واقتصر عليه إلى آخر أيامه .

قضااته

استقضى أخا وزيره ، الشيخ الفقيه أبا بكر بن يحيى بن مسعود بن علي ، رجل الجزالة ، وفيصل ^(٣) الحُكْم ، فاشتد في إقامة الحق ^(٤) ، وغلظ بالشرع ، واستعان بالجاه ، فخيف سطوته ، واستمر قاضياً إلى آخر أيامه .

رئيس جنده الغربي

الشيخ البهمة ، لباب قومه ، وكبير بيته ، أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء إدريس ابن عبد الله بن عبد الحق ، مشاركاً له في النعمة ، ضارباً بسهم في المنحة ، كثير التجنّي ^(٥) والدّالة ، إلى أن هلك الخلوغ ، وخلا الجو ، فكان منه بعض الإقصار .

(١) هذه العبارة ساقطة في المخطوطين ، وبدونها يخل السياق . وقد أضفناها من اللمحة .

(٢) وردت في المخطوطين : القدس . وهو تحريف ظاهر .

(٣) وردت في المخطوطين : وفصل . والتصويب من اللمحة .

(٤) وردت في المخطوطين : الحكم . مرة أخرى . ونظن أنه سهو . والتصويب من اللمحة .

(٥) وردت في المخطوطين : التجنى .

الملوك على عهده

وأولا بُعدوة المغرب ؛ كان على عهده من ملوك المغرب السلطان الشهير ، جوادُ الملوك ، الرَّحْبُ الجَنَابُ^(١) ، الكثير الأمل ، خِذْن العافية ، ومحالف الترقية ، مُفَحِّمُ النَّعِيمِ ، السعيد على [خاصته وعامته]^(٢) ، أبو سعيد عثمان بن السلطان الكبير ، المجاهد ، المُرَابِط ، أبي يوسف بن عبد الحق . وجرت بينه وبينه المراسلات ، واتصلت أيامه بالمغرب بعد مهلكه ، وصدرًا من أيام ولده أبي عبد الله حسبا مر عند ذكره .

وبمدينة تِلْمَسَان ، وطن القِبْلَةِ ، الأمير أبو حمّو موسى بن عثمان بن يَغْمُرَاسِن بن زِيَّان ؛ ثم توفي قتيلا على عهده بأمر ولده المذكور ، واستغرقت أيام ولده المذكور الوالى بعده ، إلى أن هلك في صدر أيام أبي الحجاج ؛ وجرت بينه وبين الأمير مراسلات وهدايات .

وبمدينة تونس ، الشيخ المَتَلَقَّبُ^(٣) بأمير المؤمنين أبو يحيى ، زكريا بن أبي حفص المدعو باللَّحْيَانِي ، المَثُوبُ^(٤) بها على الأمير أبي البقاء خالد بن أبي حفص ؛ وهو كبير ، إلا أن أبا حفص أكبر سنًا وقدرًا ؛ وقد تملك تونس تاسع جمادى الآخرة من عام ظهر له [اضطراب مَنْ بها]^(٥) ، أحد عشر وسبعائة ؛ وتم له الأمر ، واعتقل أبا البقاء بعد خَلْعِهِ ، ثم اغتاله في شوال عام ثلاثة عشر وسبعائة ؛ ثم رَحَلَ عن تونس لما ظهر له من اضطراب أمره بها ، وتوجّه إلى طرابلس في وسط عام خمسة عشر ، واستناب صِهره الشيخ أبا عبد الله بن أبي عمر ، ولم يعد بعد إليها . ثم اضطرب أمر إفريقية ،

(١) وردت في المخطوطين : الجنان .

(٢) وردت في المخطوطين : (خاصة وعامة) . والتصويب من اللوحة .

(٣) وردت في المخطوطين : المتقلب . وهو تحريف .

(٤) وردت في « ج » : الموثب . وفي « ك » الموثوب .

(٥) وردت هذه العبارة في المخطوطين : (من اضطراب بها) . ونعتقد أن التصويب أرجح للسياق .

وتنوّبه عدة من الملوك الحفصيين ، منهم الأمير أبو عبد الله بن أبي عمر المذكور ، وأبو عبد الله بن الأحياني ، والسلطان أبو بكر بن الأمير أبي زكريا بن الأمير أبي إسحاق ، كَبنة تمامهم ، وآخر رجالهم ؛ واستمرت أيامه إلى أيام ولده الأمير بالأندلس ومعظم أيام ولديه ، رحم الله الجميع .

ومن ملوك الروم بقشتاله ؛ كان على عهده مقرونًا بالعهد القريب من ولايته ، الطاغية هراندة بن شانجة بن الهنشة بن هراندة^(١) المجتمع له مُلك قشتالة وليون ، وهو المتغلب على إشبيلية ، وقرطبة ، ومُرسية ، وجيان ؛ ابن الهنشة الذي جرت له وعليه هزيمة الأراك والعقاب^(٢) ؛ ابن شانجة^(٣) بن الهنشة المسمى انبرذور^(٤) ، وهو الذي أفرد صهره وزوج بنته بملك برتقال^(٥) ؛ إلى أجداد ، يخرجنا تقصى ذكرهم عن الغرض .

ومن ملوك رَغُون^(٦) بشرق الأندلس ، الطاغية جايمش بن بطّرة بن جايمش^(٧)

(١) هو فرناندو الثالث بن الفونسو التاسع ملك ليون . ولى الملك سنة ١٢١٤ م . وكان من أعظم ملوك اسبانيا النصرانية . وهو الذى استولى على قواعد الأندلس الكبرى : قرطبة وإشبيلية وجيان وغيرها . وقد سلكه الإسبان في ثبوت القديسين . وأسبغوا عليه لقب القديس فرناندو San Fernando . وحكم حتى وفاته في سنة ١٢٥٢ م . وقد أورد ابن الخطيب نسبه محرفة .

(٢) الهنشة أى ألفونسو . وهو الفونسو الثاني ملك قشتالة . وهو الذى هزم في معركة « الأراك » Alarcos سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م) أمام جيوش الموحدين بقيادة الخليفة الموحدي يعقوب المنصور . أما معركة العقاب ، فقد وهم ابن الخطيب بإيرادها على هذا النحو . والحقيقة أنها هي المعركة التي هزم فيها الموحدون بزعامة خليفهم محمد الناصر ، أمام الجيوش النصرانية المتحدة بقيادة ألفونسو الثاني ، وذلك في سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٢ م) وتعرف بالإسبانية بموقعة Las Navas de Tolosa

(٣) شانجة بالإسبانية Sancho

(٤) وردت في المخطوطين : (اشردون) وهو تحريف لكلمة (انبرذور) ومعناها الإمبراطور .

(٥) وردت في المخطوطين محرفة : (برطال) .

(٦) رَغُون أعنى مملكة أراجون .

(٧) جايمش (وقد رسمت في المخطوطين جامس) هو بالإسبانية Jaime (خاييمى) أى يعقوب .

وبطّره هو بيدرو Pedro أوبطرس . وقد حكم خاييمى ملك أراجون من سنة ١٢٢٧ م إلى سنة ١٢٧٤ م . وهو المستولى على بلنسية وشاطبة وجزائر البليار (الجزائر الشرقية) .

الذى تغلب على بَلَنْسِيَّة ، ابن بَطْرَة بن الهَنْشَة ، إلى أجداد عدة كذلك . ثم هلك في أخريات أيامه ، فولى مُلْك أرغون بعده الهَنْشَة بن جامس إلى أخريات أيامه . و يُرْتَقَال الهَنْشَة^(١) بن يومس بن الهَنْشَة بن شَانْجَة بن الهَنْشَة بن شَانْجَة بن الهُونْشَة ، ويسمى أولاً دُوْقًا .

ذكر تصيّر الأمر إليه

لما ولى الأمر بالأندلس ، حرسها الله ، السلطان أبو الجيوش نصر بن السلطان أبي عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله أبي عبد الله بن نصر ، يوم عيد الفطر من عام [ثمانية] ^(٢) وسبعائة ، بالهجوم على أخيه أبي عبد الله الزَّيْن المُقْعَد ، الآمن في ركن بيته ، واغتيال ابن الحكيم وزيره ببابه ، والإشادة بخلعه حسبما يأتى في موضعه ، استقرَّ الأمر على ضعف أخيه ، وسارع دَخَلته ، فساءت السيرة لمنافسة الخاصة ؛ وكان الرئيس الكبير عميدُ القرابة ، وعَلَم الدولة أبو سعيد فرج ، ابن عم السلطان المخلوع ، وأخيه الوالى بعده ، راسخاً قدمه وعُرفه ، بمثوبة الوارث ؛ ولنظره عن أبيه المُسَوِّغ عن جده مَالَقَة وما إليها ، ولنظره مدينة سَبْتَة ، المُضَافَة إلى إيالة المخلوع عن عهد قريب ، قد أفرد بها ولده المترجم به ، وجميعهم تحت طاعته ، وفي زمان انقياد بيوع مَدِيد^(٣) الدولة ، بل مد سَرَوِيهَا^(٤) لِمَا شاء عز وجل من احتوائهم في حبل هذا الدايِل ، يتعقبون على الرئيس الكبير أموراً تثيرُ حَمِيَّة^(٥) الصدور ، وتستدعى رفض الطاعة ، وتحتوى على مظنات مُخَلَّة^(٦) ؛ واحترسوا

(١) هو الفونسو الثالث الذى حكم البرتغال من ١٢٤٨ - ١٢٧٨ م .

(٢) مكان هذه الكلمة بياض في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : مدين .

(٤) وردت في المخطوطين : سرورها . والتصويب أنسب السياق .

(٥) وردت هذه الكلمة في المخطوطين هكذا : (نخيمه) ونعتقد أنه تحريف لما أثبتناه .

(٦) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » جملة .

صافيات منافعه ، وأوعزوا^(١) إلى ولاية الأعمال بالتضييق على رجاله ، وصرفوا سُنة عن نظره . ولما بادر إلى الحضرة لإعطاء صفقة البيعة وتهنئة السلطان نصر ، [عن روحه]^(٢) وابن عمه ، على عادته ، داخله بعض أرباب الأمر ، مُحذراً ، ومُشيراً بالامتناع ببلده ، والدُّعاء لنفسه ، ووعدده بما في وسعه . فاستعجل الإنصراف إلى بلده ، ولم تمر إلا برهة ، واشتعلت^(٣) نار الفتنة ، وهاجت مراحل الحفيظة ، فتلاحق به ولده ، وأظهر الانفراد والاستعداد في سابع عشر رمضان من هذا العام . وأقام بولده إسماعيل ، برسم الملك والسلطان ، ورتَّب له ألقاب الملك ، ودوَّن ديوان الملك لحينه^(٤) ، ونازل حَضْرَةَ^(٥) أَنْتَقِيرَةَ^(٦) ، وناصبها القتال ، فتملكها ؛ ودخلت مَرْبَلَةَ^(٧) في طاعته ؛ وتحرك إلى بَلَش^(٨) فنازلها ، ونصب عليها المجانيق فدانت ؛ فضخمت^(٩) الدعوة ، ومكنت الجباية ، والتفَّ إليه من مساعير الحروب ومن أجاب . وتحرك إلى غرناطة في أول شهر محرم عام ، اثني عشر وسبعائة ، ونزل بقرية العطش من مرجها^(١٠) . وبرز السلطان نصر في جيش خشن ، مُستجَاد^(١١) العدة ، وافر الرِّجُل ، فكان اللقاء ثالث عشر الشهر ؛ فأظهر [الله]^(١٢) أَقْلَ الفَتْنَيْنِ ، وانجرت على الجيش

(١) في المخطوطين : وإغروا .

(٢) هكذا في المخطوطين . ومعناها ، عن نفسه .

(٣) وردت في المخطوطين محرفة : واستعملت .

(٤) وردت هذه الكلمة في المخطوطين : بجبسه وهو تحريف لا معنى له . ونعتقد أن التصويب محقق للنرض .

(٥) وردت في « ك » : حضر . وفي « ج » صر . والمرجح ما أثبتناه .

(٦) انتقيرة وبالإسبانية Antaquera . مدينة أندلسية حصينة تقع شمال غربي مالقة .

(٧) مربلة وبالإسبانية Marbella من ثغور الأندلس الجنوبية . وقد سبق التعريف بها

(انظر الحاشية في ص ٢٠٤) .

(٨) سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١١٨) .

(٩) هكذا في « ج » . وفي « ك » وردت محرفة : فطمخت .

(١٠) وردت في المخطوطين : جها . وهو تحريف . والتصويب من اللوحة البدرية .

(١١) وردت في « ج » : مستجد . وفي « ك » مستنجد . والتصويب من اللوحة .

(١٢) أضفنا هذه الكلمة من اللوحة . وهي ساقطة في المخطوطين .

الغرناطى الهزيمة ؛ وكبا بالسلطان نصر فرسه فى مجرى سقى بعد الفدن ، فنجبا بعد لآى ودخل البلد مغلولا ؛ وانصرف الجيش الملقى ظاهراً إلى بلده ؛ وطال بالرئيس وولده الأمر وضرستهما الفتنة ، وعظم احتياجه إلى المال ، وكادت تفضحه المطاولة ؛ وزاحه الملك بمكلف ضخيم ، فاقتضى ذلك إذعانه إلى الصلح ، وإصغاره المهادنة ، على سبيله من المقام ببلده ، مُسَلِّماً للسلطان فى جبايته ، جاريةً وطايفةً فى رياسته ، وأرزاق جنده ؛ فتم ذلك فى ربيع الأول من العام المذكور . ثم لقيحت فتنة فى العام بعده ، فعادت جذعة ، وكانت ثورة الأشياخ فى غرناطة فى رمضان من العام المذكور هاتفين بخلعان السلطان ، وطاعة مخلوعهم ، وطالبين منه إسلام وزيره خِذْن^(١) الروم المتهم^(٢) على الإسلام أبى عبد الله بن الحاج . ثم لحق زعمائهم بمالقة عند اختلال ما أبرموه ، فكانت الحركة الثانية لغرناطة بعد أمور اختصرتها ، من استبداد [السلطان أبى الوليد]^(٣) بأمره ، والانحطاط فى القبض على أبيه ، إلى هوى جنده ، والتصميم فى طلب حقه ؛ فاتصل سيره ، واحتلّ بلبوشة سِرّار شوال فتملّكها^(٤) ، ورحل قافلاً إلى وطنه ، طريد كلب الشتاء ، وافر الخزانة ، واقتضى رأى الفائل ممن له النظر الجاش من زعيم شيوخ جندها ، اتهماماً له بالطاغية^(٥) ، فسجنه . ثم بداله فى أمره ، ثم سرّحه بعد استدعاء يمينه ، فوغرت صدور حاشيته ، وتبعهم من كان على مثل رأيهم ، وهو شوكة حادة ، فصرفوا الوجوه إلى السلطان المقبل الحظ ، المحبوب إليه هوى الملك ، بما راعه ؛ ثانياً من عِنايه بأحواز أرجدونة^(٦) ، إلّا تثويب داعيهم ، فكرّ إلى المدينة وبرز إليه

(١) فى المخطوطين : جذل . والتصويب من اللوحة البدرية .

(٢) فى المخطوطين : المبهم . والتصويب من اللوحة .

(٣) هذه الإضافة من اللوحة البدرية . وهى ساقطة فى المخطوطين .

(٤) وردت محرفة فى المخطوطين : فثملها . والتصويب من اللوحة .

(٥) وردت هذه الكلمة فى المخطوطين : (بالصفاغية) . والمرجح صواب ما أثبتناه .

(٦) هى فيما يرجح مدنية أرشدونة Archedona وهى تقع شمالى مالقة على مقربة من أنتقيرة .

جيشها ، ملتفا على عبد الحق بن عثمان ، فأبلى ، وصدق الحملة ، فكادت تكون الدائرة ؛ فلولا ثبوت السلطان لما استقبلت بأسفلهم الحملة ، فولوا منهزمين ، وتبعهم إلى سور المدينة ، وقد خفت اللّيف والغوغاء النّاعقون بأخلعان ، الشّرهون إلى تبديل الدّعوات ، وإلى تسنم المآذن والمنارات والرّبا ؛ وبرز أهل ربّض البيّازين^(١) ، الهافون إلى مثل هذه البوارق ، إلى شرف ربوتهم ، كل يشير مستدعياً ، إعلانا بسوء الجوار ، وملل الإيالات ، والانحطاط ، وبعد التلون والتقلب ، وسامة العافية ؛ شنّنة معروفة ، وخليقة في الخلق مألوفة . وبودر غلق باب البيرة ، ففض قفله ، ودخلت المدينة ، وجاء السلطان إلى معقل الحمراء بأهله وذخيرته وخاصته ؛ وبرز السلطان أبو الوليد بالقصبة القدّمي تجاهها ، بالدار الكبرى المنسوبة لابن المول ، يُنفذ الصكوك ، ويذيع^(٢) العفو ، ويؤلف الشّارد ؛ وضعت بصائر المحصورين ، وفشّلوا على وجود الطّعمة ، ووفور المال ، وتمكّن المنعة ؛ فالتمسوا لهم ولسطانهم عهداً نزلوا به ، مُنتقلين إلى مدينة وادي آش^(٣) ، في سبيل العوض بمال معروف ، وذخيرة موصوفة ؛ وتم ذلك ، وخرج السلطان رحمه الله مخلوعاً ، ساء به القرار ، جانياً على ملكه الأخايث^(٣) الأغوار ، ليلة الثامن والعشرين من شوال عام ثلاثة عشر وسبعائة ؛ واستقرّ بها ، موادعاً مرة ، ومحارباً أخرى ، إلى أن هلك حسبا يأتي ذكره . وخلا للسلطان الجو ، وصُرفت إليه المقادة ، وأطاعه القاصي والداني ، ولم يختلف عليه اثنان ؛ والبقاء أخلص لله وحده .

مناقبه

اشتد رحمه الله على أهل البدع ، وقصر الخوض على ما تضطر إليه الملة ؛ ولقد

(١) كان ربض البيّازين أهم أحياء غرناطة الإسلامية . وما زال يقوم بها إلى اليوم وهو يقع في شمالها الشرقى مواجهاً لهضبة الحمراء . وبالإسبانية Albaicin .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : ويدفع .

(٣) وردت في المخطوطين محرفة : الاجايث .

تُذوكر بين يديه [أهل] ^(١) البيت ، فبذل في فدية بعضهم ما يعزُّ بذله ، ونقل منهم بعضاً من [حرِّف خبيثة] ^(٢) ، فزعموا أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ، فشكر له ذلك . واشتدَّ في إقامة الحدود ، وإراقة المسكرات ، وحظر ^(٣) تجلِّي القينات للرجال في الولاثم ، وقصر طربهن على أجناسهن من الناس ؛ وأخذ يهود ^(٤) الذمة بالتزام سمةٍ تُشهرُهم ، وشارة ^(٥) تميزهم ، وليوفِّي حقهم من المعاملة التي أمر بها الشارع في الخطاب والطرق ، وهي شواشي صُفر .

ولقد حدَّث من يخفُّ حديثه ، من الشيوخ أولى المجانة والدُّعابة ، قال : كنا عاكفين على راح ^(٦) ، وبرأسي شاشية ملف حمراء ، فحاول أصحابي إنامتي ، حتى أمكن ذلك ، وبادروا إلى رقاع من ثوب أصفر ، فصنعوا منها شاشية ، ووضعوها في رأسي ، مكان شاشيتي ، وأيقظوني ، فقمت لشأني ، وقد هيئوا ثمنًا لشراء بقل وفاكهة ، وجهزوني لشرائه ، فخرجت حتى أتيت دكان السوق ، فساومته ، فلما نظر إليَّ قال لصاحبه : جزى الله هذا السلطان خيراً ، والله لقد كنت أبادر هذا اللعين بالسلام عند لقائه أظنه مُسلماً ، وبصق عليَّ ؛ فهَمَّت أن أوقع به ، ثم قَطِنْتُ للحلية ، فانتزعَتْها ، وبادرت فأوسعَتْهم ذمًّا ، وعظُم خجلي ، وسبقني إليهم عينٌ لهم عليَّ ، فكان الضحك يُهاكهم عند دخولي . ومناقبه كثيرة .

جهاده وبعض الأحداث في مدته

والتأثت ^(٧) الأمور ، ولش لأول مدته ، فجرت على جيشه بمظاهرة الخلوغ لجيش

(١) أغفلت في المخطوطين . ويقتضيها السياق .

(٢) وردت في المخطوطين : (من صروف جيشته) . والتصويب من اللمعة .

(٣) هكذا في « ك » . ووردت في « ج » حضر .

(٤) وردت في « ك » : اليهود . وأغفلت في « ج » .

(٥) وردت في المخطوطين : وإشارة . والتصويب من اللمعة .

(٦) وردت في المخطوطين : راحة .

(٧) أي ساءت وتحرجت .

الرُّومَ ، الهزيمة الشنيعة ، بوادي فَرْتُونَه ؛ أوقع بهم الطاغية بَطْرَةَ^(١) ، كافل ملك الروم ، المَمْلَكَ صغيراً على عهد أبيه ، وعمه الذَّاب عنه ، ففشا في الأعلام القتل ، وذلك في صفر من عام ستة عشر وسبعائة ؛ وظهر العدو بعدها فغلب^(٢) على حصن شَتْمَانَس^(٣) وحصن بِجِيج ، وحصن طَشْكُر ، وثغر رُوط . ثم صرفت^(٤) المطامع عزمه إلى الحَضْرَةِ ، فقصده مَرَجَهَا^(٥) ، وكف الله عاديته ، وقمعه ، ونصر الإسلام عليه ، ودالت للدين عليه الهزيمة العظمى بالمرج من ظاهر غرناطة على بريد منها ؛ واستولى على محلَّة النهب ، وعلى فرسانه ورجاله القتل ، وعظمُ الفتح ، وبهر الصنع ، وطار الذكر ، وثاب السَّعد . وكانت الواقعة سادس جمادى الأولى من عام تسعة عشر وسبعائة^(٦) ؛ وفي ذلك يقول كاتبه شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب :

الحمد حقُّ الحمد للرحمن كافي العدو وناصر الإيمان
ومُكَيِّفُ الصُّنع الكريم ودافعُ الخطب العظيم وواهب الإحسان
في كل أمر للمُهَيِّمين حكمة أُعِيَّت على الأفكار والأذهان

واستقر مَلِكُهم القَتِيل بأيدي المسلمين بعد فرارهم ، فجُعِل في تابوت خشب ، [ونُصِب]^(٧) بالسور المُنَازِل من الحمراء يسار الداخل بباب يعقوب من أبوابها إذاعةً للشهرة ، وثبتتاً لتخليد الفخر .

(١) هودون بيدرو Don Pedro . وكان وصياً على الملك الصبي الفونسو الحادي عشر ملك قشتالة

(٢) أثبتها « ك » . وأغفلها « ج » .

(٣) وردت في المخطوطين : مَتَابَس . وهو تحريف لاسم (شَتْمَانَس) وقد كان أحد الحصون

القريبة من غرناطة . وبالإسبانية Siete Manos أعني الأيدي السبعة .

(٤) وردت محرفة في المخطوطين : صَفَرَت .

(٥) مرج غرناطة الشهير La Vega

(٦) في هذا التاريخ الذي يورده ابن الخطيب للموقعة بعض التحريف . ويضع ابن خلدون تاريخ

الموقعة في سنة ٧١٨ هـ (ج ٤ ص ١٧٣ هـ و ج ٧ ص ٢٥٠) . وهو يوافق تاريخها الميلادي

الواقع في مايو سنة ١٣١٨ م . وراجع كتابي « نهاية الأندلس » (ص ٩١) .

(٧) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين ، ويقتضيها السياق .

ومن الغريب أننى فى هذه الأيام بعد خمسين سنة تماماً^(١) ، تفقدت ذلك المكان فى بعض ما أباشره ، أيام رنيابتي عن السلطان بدار مُلكه على عادتي ، فألفيته قد علا عليه كوم من الحجارة ، رجم الصبيان إياه ؛ فظهر لى تجديد الإشادة به ، والاستفتاح بوقوع مثله . ولما كشف عن الرمة لتُنقل إلى وعاء ثان ، أُلقي بَعْظُ^(٢) القطن^(٣) العريض منها ، سنانٌ مُرهب ثبت فى العظم ، انثزع منه ، وقد غالبتنى الرقة والإجهاش ، وقلت اللهم ادّخر رضوانك لمن أودع^(٤) فى هذه الرمة الطاغية ، سنان جهادك إلى اليوم ، وأثبته وارفع درجته ، إنك أهل لذلك .

« رجع » ؛ واستقامت الأيام ، وهلك المخلوع ، فصفا الجو ، واتحدت الكلمة ، وأمكن الجهاد . فتحرك فى شهر رجب من عام أربعة وعشرين وسبعائة ، وأعمل القصد إلى بلاد العدو، ونازل حصن إشكر^(٥) ، الشجى المعترض فى حلق بسطة ، فأخذ بمُخَنَّقَه ، ونشر الحرب عليه ، ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد محمأة طاق البرج المنيع من معقله ، فاندفعت يتطاير شررها ، واستقرت بين محصوريه^(٦) فعاشت عِيَاث الصواعق السماوية ، فألقى الله الرعب فى قلوبهم ، وأتوا بأيديهم ، ونزلوا قسراً على حكمه فى الرابع والعشرين من الشهر ؛ وأقام بظاهره ، فصيره دار جهاد ، وعمل فى خندقه بيده ، وانصرف ؛ فكانت غزاة جمّة البركة عظمت بها على الشرق الجَدَّوى ، وأنشد الشعراء فى هذه الوجهة قصائد أشادت بفضلها ، وشهرت من ذكرها ، فمن ذلك عن كاتب سره^(٧) قوله :

(١) يوافق ذلك سنة ٧٦٩ هـ (١٣٦٧ م) .

(٢) وردت فى المخطوطين : بمعظن .

(٣) القطن هو ما انحدر من الظهر واستوى .

(٤) هكذا وردت فى « ك » . وفى « ج » : وضع .

(٥) إشكر وبالإسبانية Huescar هى بلدة حصينة تقع شمال شرق مدينة بسطة .

(٦) وردت فى المخطوطين : محصوريه .

(٧) هكذا فى « ك » . وفى « ج » (كتاب بيره) وهو تحريف .

أما مَدَاكَ فغاية لم تُلْحَقْ أُعْيِتْ على غرِّ الجياد السُّبْقِ

ورفع إليه شيخنا الحكيم أبو زكريا بن هُذَيْل ، قصيدة أولها :

بِحَيْثُ الْقَبَابُ الْحُمْرُ وَالْأَسَدُ الْوَرْدُ كَتَائِبُ سَكَانِ السَّمَاءِ لَهَا جَنْدُ

أُنْشَدْنِي مِنْهَا فِي وَصْفِ النَّفْطِ قَوْلُهُ :

وظَنُّوا بَأْنَ الصَّعَقِ وَالرَّعْدِ فِي السَّمَاءِ فَحَاقَ بِهِمْ مِنْ دُونِهَا الصَّعَقُ وَالرَّعْدُ

غَرَائِبُ أَشْكَالٍ سَمَا هُرْمُسٌ بِهَا مَهْنَدَةٌ تَأْتِي الْجِبَالَ فَتَنْهَدُ

أَلَا إِنَّهَا الدُّنْيَا تَرِيكَ عَجَائِبًا وَمَا فِي الْقَوَى مِنْهَا فَلَا بَدَّ أَنْ يَبْدُو

وفي العاشر لشهر رجب من عام خمسة وعشرين وسبعائة ، تحرَّك للغزو بعد أخذ
الْأَهْبَةِ وَالْإِسْتِكْثَارِ وَالْإِجْتِهَادِ لِلْمَطْوَعَةِ ، وقصد مدينة مَرْتَشَ^(١) الْعَظِيمَةَ السَّاحَةَ ، الطَّيْبَةَ
الْبَقْعَةَ ، فَأَضْرَبَ^(٢) بِهَا الْحَمَلَاتِ^(٣) [وكان]^(٤) الْقَصْدَ إِجْهَامَ النَّاسِ ؛ فَصَوَّبَ الْحُشُودَ
وَوَجَّهَهَا إِلَى مَا بِهَا^(٥) مِنْ بَحْرِ الْكُرُومِ الْمَلْتَفَاتِ ، وَأَدْوَاكِ الْأَشْجَارِ ، فَأَمْعَنُوا فِي
إِفْسَادِهَا ، وَبَرَزَ حَامِيَتُهَا [فَنَاشَبَتِ النَّاسَ]^(٦) الْقِتَالَ ، فَحَمَيْتِ النَّفُوسَ ، وَأَرِيدَ
مَنْعَ النَّاسِ ، فَأَعْيَا أَمْرَهُمْ وَسَلَّ^(٧) مِنْهُمْ الْبَحْرَ ، فَتَعَلَّقُوا بِالْأَسْوَارِ ؛ وَقِيلَ لِلسُّلْطَانِ بَادِرٍ
بِالرَّكُوبِ ، فَقَدْ دُخِلَ الرَّبْضُ ، فَركب ووقف بإزائها ، فدخل البلدَ عَنُوةً ، واعتصم
أَهْلُهُ بِالْقَصْبَةِ ، فَدُخِلَتْ أَيْضًا الْقَصْبَةُ عَنُوةً ، وانطلقت أَيْدِي الْغَوَاةِ عَلَى مَنْ بِهَا مِنْ

(١) مرتش ، وبالإسبانية Martos هي بلدة أندلسية حصينة تقع جنوب غربي مدينة جيان ،
وشمال شرق مدينة بيبانه .

(٢) وردت في المخطوطين : فاضطرب . والتصويب من اللوحة .

(٣) وردت في المخطوطين : المحالات . والتصويب من اللوحة .

(٤) الزيادة من اللوحة وهي ساقطة في المخطوطين .

(٥) وردت في المخطوطين محرفة : بابها .

(٦) وردت محرفة في المخطوطين : (فَنَاشَبَتِ النَّاسَ) . والتصويب من اللوحة .

(٧) في المخطوطين : وهال .

ذكر وأثنى كبيراً أو صغيراً ، فسأت القتلة ، وقُبُحت الأحداث . ورُفعت من الغد
آكام من الجثث ، صعدت ذراها المؤذنون ؛ وقفل إلى غرناطة ينصر لا كفأ له ،
فكان دخوله من هذه الغزاة في الرابع والعشرين لرجب المذكور .

وفاته

ولما فصل من مرّتش نغم على أحد الرؤساء من قرابته ، وهو ابن عمه محمد
ابن إسماعيل المعروف بصاحب الجزيرة ، أمراً تقرّعه عليه ، وبالغ في الإهمال له ،
وتوعّده بما أثار حفيظته ، فأقدم عليه بالفتكة الشنعاء التي ارتكبها منه
بياب قصره ، بين عبيده وأرباب دولته ، آمن ما كان سرباً ، وأعزّ سلطاناً
وجنداً ؛ وذلك يوم الاثنين ثالث يوم من دخوله من مرّتش ، بعد أن عاهد في الأمر
جُحلة من القرابة والخدم ؛ فوثب به ، وهو مجتاز بين السّماطين من ناسه إلى مجلس
كان يجلس فيه للناس ؛ قاعنته وانتضى خنجرأ كان ملصقاً في ذراعه ، فأصابه
بجراحات ثلاث ، إحداهن في عنقه ، بأعلى ترّقوته ، فخرّ صريعاً . وصاح بكره
وزيره ، فعَمّته سيوف الحاضرين من أصحاب الفاتك ، ووقعت الرّجة ، وسُلت
السيوف ، وتشاغل كل بمن بليه ، واستخلص السلطان من يديه ، وحيل بينه
وبينه ؛ وحين^(١) تشاغل القوم بالوزير ، رُفع السلطان وظن أنه قد أفلت جريماً ،
فوقع البُهت ، وبادروا الفرار ، فسُدت المذاهب ، فقتلوا حيث وجدوا ، وأخذت
الظنة قوماً من أبريائهم ، فامتحنوا ، ونهب الغوزاء دورهم ، وعَلِقت بالجدران
أشلاؤهم ؛ وكان يوماً عصيباً ، وموقفاً صعباً ، واحتُمِل السلطان إلى بعض دور قصره ،
وبه صُبابة روح ، أشبه شيء بالعدم ، للزُّوق العامة بفوهة^(٢) شُرّيانه المبتور ،
ففاض لحينه بنفس زوال العامة ، رحمه الله .

(١) هكذا في « ج » . وفي « ل » : وعند .

(٢) وردت في « ج » : بغيره . وفي « ل » : يهيو . والتصويب من اللّمة .

وكان من أخذ البيعة لولده الأمير أبي عبد الله من بعده ، ما هو معروف في موضعه . ودفن غلَس ليلة الثلاثاء ، ثانی يوم وفاته ، بروضۃ الجنة من قصره ، إلى جانب جده ؛ وتنوہی الاحتفال بقبره نقشاً ، وتخريماً^(١) ، وإحكاماً ، وحلياً ، وتمويهاً ، يشق على الوصف ؛ وكُتب بإزاء رأسه في لوح الرخام ما نصه ، من كلام شيخنا ، بعد سطر الافتتاح :

« هذا قبر السلطان الشهيد^(٢) ، فتّاح الأمصار ، وناصر ملّة المصطفى المختار ، ومحى سبيل آباءه الأنصار ، الإمام العادل ، الهام الباسل ، صاحب الحرب والحراب ، الطاهر الأنساب والأثواب ، أسعد الملوك دولة ، وأمضاهم في ذات الله صولة ، سيف الجهاد ، ونور البلاد ، ذى الحسام المسلولة في نصرة الإيمان ، والفؤاد المعمور بخشية الرحمن ، المجاهد في سبيل الله ، المنصور بفضل الله ، أمير المسلمين أبي الوليد ، ابن الهام الأعلى ، الطاهر الذات والفخار ، الكريم المآثر والآثار ، كبير الإمامة النصرية ، وعماد الدولة الغالبية ، المقدس ، المرحوم ، أبي سعيد فرج ، ابن علم الأعلام ، وحامى حمى الإسلام ، صنّو الإمام الغالب ، وظهيره [المقدس]^(٣) العلى المراتب ، المقدس ، المرحوم أبي الوليد إسماعيل بن نصر ، قدّس الله روحه الطيب ، وأفاض عليها [غيث]^(٤) رحمته الصيّب ، ونفعه بالجهاد والشهادة ، وحيّاه بالحسنى والزيادة ؛ جاهد في سبيل الله حقّ الجهاد ، وصنع الله له في فتح البلاد ، وقتل كبار الأعداء ، ما يجده مذخوراً يوم التّناد ؛ إلى أن قضى الله بحضور أجله ، فختم عمره بخير عمله ، وقبضه إلى ما أعدّ له من كرامته وثوابه ، وغُبار الجهاد طيُّ أثوابه ، فاستشهد رحمه الله شهادةً أثبتت له في الشّهداء من الملوك قدماً ، ورفعت له في أعلام السعادة علماً .

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » تحميراً . وفي اللّحة : « تنجيذاً » .

(٢) هكذا وردت في اللّحة . وفي المخطوطين : الشهير .

(٣) وردت فقط في « ج » .

(٤) واردة في اللّحة . وساقطة في المخطوطين ..

« ولد رضى الله عنه فى الساعة المباركة بين يدي الصبح من يوم الجمعة سابع عشر شوال عام سبعة وسبعين وستمائة ؛ و بويح يوم الخميس السابع والعشرين لشوال عام ثلاثة عشر وسبعائة ؛ واستشهد فى يوم الاثنين السادس والعشرين لشهر رجب عام خمسة وعشرين وسبعائة . فسبحان الملك الحق ، الباقي بعد فناء الخلق » .

وبعده من جهة اللوح الأخير :

تحية كالصبا مرت بدارين	تخص قبرك يا خير السلاطين
على المراتب فى الدنيا وفى الدين	قبره من بنى نصر [إمام هدى] (١)
مستنصر واثق بالله مأمون	أبو الوليد وما أدراك من ملك
وفضل تقوى وأخلاق ميامين	سلطان عدل وبأس غالب وندى
وسر مجد بهذا اللحد مدفون	لله ما قد طواه الموت من شرف
ومن فؤاد بحب الله مسكون	ومن لسان بذكر الله منطلق
وقام منه بمفروض ومسنون	أما الجهاد فقد أحيأ معالمة
عجب بهن وأوراق الدواوين	فكم فتوح له تزهو المنابر من
يجرى عليه بأجر غير ممنون	مجاهد نال من فضل الشهادة ما
وفاة مستشهد (٢) فى الدار مطعون	قضى كعثمان فى الشهر الحرام ضحى
فى جنة الخلد أيدى حورها العين	فى عارضيه غبار الغزو تمسحه
مردد بين زقوم وغسلين	يسقى بها عين تسنيم وقاتله
فانخلق ما بين أحزان أفانين	تبكى البلاد عليه والعباد معاً
[فأمره] (٣) الجزم بين الكاف والنون	لكنه حكم رب لا مرد له
سلطان عدل بهذا القبر مدفون	ورحمة الله رب العالمين على

(١) وردتا فى « ج » . وأغفلتا فى « ك » .

(٢) وردت فى المخطوطين : مشتهر . والتصويب من اللوحة .

(٣) ساقطة فى المخطوطين . واردة فى اللوحة .

بعض ما رُئي به

[وعظمت فيه] ^(١) فجيعةُ المسلمين لما ثكلوا من جهاده وعزمه ، وبلوه من سعده وعز نصره ، فكثرت ^(٢) فيه المرائي ، وتراهنّت في شجوه القرائح ، وبكاه الغادي والرائح . فمن المرائي التي أنشدت على قبره ، قول كاتبه [شيخنا] ^(٣) أبي الحسن ابن الجيّاب :

أيا عبرة العين امزجى الدمع بالدم	ويازفة الحزن احكى وتحكى
ويا قلب ذب وجدًا وغمًا ولوعةً	فإنّ الأسى فرضٌ على كل مسلم
ويا سلوة الأيتام لا كنت فابعدى	إلى [حيث ألفت] ^(٤) رحلها أم قشعم
وصبح بأناة الصبر سُحقًا تأخرى	وقل لشكاة الحزن أهلا تقدّمى
ولم لا وشمسُ الملك والمجد والهدى	وفتّاح أبواب الندى والتكرّم
ثوى ^(٥) بين أطباق الثرى رهن غربة	وحيداً وأصمته الليالى بأسهم
على ملك الإسلام فاسمَحْ بزفرةٍ	تساقط درّا بين فذٍّ وتوأم
على علم الأعلام والقمر الذى	تجلّى بوجه العصر غرة أدهم
على أوحد الأملاك غير منازع	أصالة أعراق وفضل تقدّم
ومنّ مثل إسماعيل نوراً لمهتدٍ	وبشرى لمكروبٍ وعفو لمجرّم
وما مثلُ إسماعيل للبأس والندى	لأصراخ مذعور وإغناء مُعدم
وما مثلُ إسماعيل للحرب يُجتنى	به الفتح من غرس القنا المتحطّم

(١) ما بين الخاصرتين ساقط في المخطوطين . ووارد في اللوحة .

(٢) في المخطوطين : فكثرت .

(٣) وردت في اللوحة . وأغفلت في المخطوطين .

(٤) هذه العبارة واردة في « ك » . وساقطة في « ج » .

(٥) وردت في المخطوطين : ترى .

وما مثل إسماعيل سَهْمٌ سَعَادَةٌ أصاب به الإسلام شاكلة الدم
شهِيدٌ سَعِيدٌ صَبَّحَتْهُ شَهَادَةٌ تبوأ منها في الخلود التنعم
أَتَتْ وَغُبَارُ الْغَزْوِ طَى ثِيَابَهُ ظهيرُ أمانٍ من دخانِ جَهَنَّمَ
فَتَبًّا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا فما عِرْسُهَا إِلَّا طليعةُ مأْتَمٍ
وَلَا أَنْسُهَا إِلَّا رَهِينٌ بَوْحِشَةٍ ولا شَهْدُهَا إِلَّا مشوبٌ بعلقم
فِيَا مَنْ يَرَى الدُّنْيَا مُجَاجَةً نَحْلَةٍ ألا فاعتبرها فهي نَبْتَةٌ أَرْقَمُ
فَمَنْ شَامَ مِنْهَا الْيَوْمَ بَرْقُ تَبَشُّمٍ ففي الغد تلقاه بوجه جهنم
فَضَاحُكُهَا بِالْكُ وَجَدْلَانُهَا شَجٌّ وطالعُها^(١) هادٍ ومُبصرها عَمٌ
وَسَرَّاءُهَا تَفْنَى^(٢) وَضَرَّاءُهَا مَعَا فكلتاها طيفُ الخيالِ المُسَلَّمِ
سَطَّتْ بِمُلُوكِ الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ آدَمَ تَبَدَّدَ مِنْهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُنْظَمِ
فَكَمْ مِنْ قَصِيرٍ قَصَّرَتْ شَأْوُ عُمُرِهِ فخرٌ صريعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْقَمِ
وَكَمْ كَسَرَتْ كَسْرَى وَفَضَّتْ جِيُوشَهُ فلم تُحِمِهِ مِنْهَا كِتَابٌ رَسْمٌ
وَلَوْ أَنَّهَا تَرَعَى إِمَامَ هِدَايَةٍ لَأَعْفَتْ عَلَيَّ^(٣) مِنْ حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمِ^(٤)
وَمَا قَتَلَتْ عُثْمَانَ فِي جَوْفِ دَارِهِ فقدس من مُسْتَسَلِمٍ وَمُسَلِّمِ
وَمَا أَمَكَنْتَ فَيْرُوزَ^(٥) مِنْ عُمَرَ الرِّضَى فهَدَّتْ مِنَ الْإِسْلَامِ أَرْفَعُ مَعْلَمِ

إلى آخرها . وتضمن إجمالاً ما ذكر من ذلك ، التاريخُ المسمى « بقطع
السلوك »^(٦) المنظوم رجزاً من تأليفي بما نصه :

(١) هكذا في « ك » . في « ج » . وطالقتها .

(٢) في المخطوطين : تنى .

(٣) وردت في المخطوطين : علينا . وهو تحريف ظاهر .

(٤) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي بن الخطاب .

(٥) هو أبو لؤلؤة فيروز قاتل عمر بن الخطاب .

(٦) هذا هو اسم آخر يورده ابن الخطيب لكتابه المسمى : « رقم الحلال في نظم الدول » .

وعندما خيف انتشار السلّك ووزر الرؤم وزير الملك
تدارك الأمر الإمام الطاهر فعالج الدار طيبُ ماهر
وهو أبو الوليد إسماعيل والشمس لا يفقدها دليل
ابن الرئيس الماجد الهام فردّ العلا وعلم الأعلام
وجده صنو الإمام الغالب مناقبُ كالشَّهب الثواقب
فقد من مألقة الجنودا ونشر الأعلام والبُنودا
وعاد نصر بمدى حمرائه أتى وأمر الله من ورائه
فخلع الأمر وألقى باليد من بعد عهد موثق مؤكّد
وسار^(١) في الليل إلى وادي الأشي والملك لله يعز من يشا
ولم يزل فيها إلى أن ماتا وطلّق الدنيا بها بتاتا
واتّسق الأمر وقرّ الملك وربما جر الحياة^(٢) الهلاك

ومن الرجز المذكور في وصف جهاده ومقتله :

وكان يوم المرج في دولته ففرق الأعداء من صولته
وفتح المعانقل المنيعه وابتهجت^(٣) بعدله الشريعة
وانتبه الدهر له من نومه على يدى طائفة من قومه
بكى عليه الحرب والحراب وندبته الضمرّ العرّاب

(١) وردت في المخطوطين : وصار .

(٢) هكذا في اللوحة . وفي المخطوطين : المهلك .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » وابتهجت .

إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر

السلطان الذي احتال^(١) على أخيه المتوثب على ملكه ، يكنى أبا الوليد .

حالُه

كان صبيّاً كما اجتمع وجهه ، بادناً ، دمثَ الخلق ، لينّ الجانب ، شديد البياض كثيف الحاشية ، متصلاً بالجفوة ، لطول الحُجبة ، وبُعد التمرن والحُنْكة ، غُرّاً ، فاقداً لحسن الأدب ، عريقةً ألفاظه في العُجْمة . تصيّر الأمر إلى أخيه السلطان خيرتهم ، ولُبَاب ييتهم ، يوم قتل أبوها ، وله مزية السن والرجاحة^(٢) ، والسكنى بمحل وفاة الأب ؛ فأبقى عليه ، وأسكنه بعض القصور لصقه^(٣) ، ولم يضايق أمّه فيما استأثرت به من بيت المال ، إذ كان إقليدّه في يدها ، وبيضاؤه وصفراؤه^(٤) في حكمها ، ورفّه مُتَبَوّاه ، واستدعى له ولأخيه المعلم الذي كان السبب في إفاته إرماعهما ، وإعدام حياتهما ، الشيخ السّفلة^(٥) محمد البطروجي البائس ، [قرد ذلك السّر]^(٦) فاستمرت أيام احتجابه وانتظاره على قصره ، إلى رمضان من عام ستين وسبعائة . وحرك سمسرة^(٧) الفتنة له ولأمه جواز الطمع في المُلك ، ودندنوا لها حتى رقصت على إيقاعهم ، وخفت إلى مواعدهم ، وشمروا إلى خلاص الأمر ؛ وأحام الوثبة صهره الرئيس

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » اختال .

(٢) وردت في « ل » : الرجاجة . وفي « ح » الزجاجة .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » : لصقه .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » : وصفراؤها .

(٥) هكذا في « ك » . وفي « ج » : السلفه .

(٦) وردت محرفة في المخطوطين : (حدد ذلك السر) .

(٧) وردت في المخطوطين : سمسارة .

[أبو عبد الله] ^(١)، حلف الشؤم زوج أخته، محمد بن إسماعيل، الشهير الكائنة، المذكور في موضعه من حرف الميم. فسيرت إليه أمه المال، فبثه في الدّعة والشرار، حتى تم غرضه، واقتحم القلعة من بعض أسوارها عند البالية، وقد هُدم منها شيء في سبيل إصلاحه، ليلة الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان من عام ستين وسبعائة؛ والسلطان ليلتذ غير حالٍ بها، فملأها جُباً ولغطاً ^(٢) وصراخاً وهو لا وتنويراً، في جُملة تناهز المائة؛ وانضاف إليهم إخوانُ رأيهم من حُرّاسها وسكانها؛ فألبس الناس، وسُقِط في أيديهم. وأهدى الليل فتكته ^(٣) هائلة، وأدّاها شنيعةً، فاقتصر كل على النظر لنفسه، وانقسموا فرقتين، قصدت إحداها دار كبير الدولة، وقيوم التفويض، وشيخ رجال الملك، رضوان المستبدّ بإحالة كورتها، الشيخ الذّهول، معزوز القدر [ورائب النكيثة] ^(٤)، ومُعود الإقالة، وجرّار رَسَن ^(٥) الأطواد، وطول الإملا، الماشي على خدّ الدنيا، المغضوض البصر عن النظر، المستهين بكل سُبّة ^(٦) وحيّة تسعى، المعول على نظره، وقوة سَعْدَه ^(٧) وإجابة دعوته، مع كونه نسيج وحده في عفافه وديانته، ورضى الناس به، وسقوط منافستهم من أجله، ومأويهم على مَوِّل لفظه، وبِساط معاملته، وصحة عقده. فعالجوا بابه طويلاً وتولّجوا داره، وقتلوه بين أهله وولده.

وقصدت الأخرى دار الأمير المترجم به ومعها صهره، فأخرجوه ^(٨)، وأركبوه على فرس، راعِد الفرائص، منتقع اللون، مختلط القول، تحف به داياته بين

(١) في المخطوطين : أباهو .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » : وغلطا .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » : فتكة .

(٤) وردت في المخطوطين : (وريب النكة - النكنه) . والمرجح أنه تحريف ما أثبتنا .

(٥) الرسن هو الحبل .

(٦) وردت في المخطوطين : سبتا .

(٧) هكذا في « ك » . وفي « ج » : سعادته .

(٨) وردت في المخطوطين : فأرجوه .

مَوْلُودَةٍ^(١)، وتَافِلَةٍ، ومَعُوذَةٍ؛ قد جعلوا به سيفاً مُصَلَّتاً على سبيل اللّواعب بالنُّصُولِ والرّواقصِ، في مدارج اللّهُو؛ واستُخْرِجَت طَبُولُ المَلِكِ فُقِرَت، وقِيدَت الخِيلُ من مرابطها فُرُكِبَت، وقَصَرَت الخِزَانَتانِ عن الأسلحة فُفِرَت،؛ وتمّ الأمر، وحلّ من الرّيب على دار الإمارة القصد، وخرجت الكُتُبُ إلى البلاد والقواعد، فالتقت باليد أمهاتها لقطع من بها من أُولَى الأمانة، بتمام الأمر، وهلاك السلطان؛ فتمّ له الأمر، وبادر أخوه السلطان حينه^(٢) لظهر سابقٍ كان مرتبطاً عند مَجَرٍّ^(٣) له من الجَنَةِ لَصِقَ القلعة، فاستأجر الليل، ووافق الحزم، فاستقر بوادي آش. وكان أُمْلَكَ بها، ونازلته المحلات، وأخذ بمُخَنَّقَةِ الحصن، واستنصر لمنازلته الناس، وأُعمِلَت الخيل؛ وتَأَذَّنَ اللهُ بثبوت قدمه، وانتقاله إلى مَلِكِ المَغرب صَبَحَ عِيدُ النّحر من العام المذكور؛ إلى أن أعاد اللهُ إليه أمره وردَّ عليه حقه، وتولى بعد اليأس جُبره، حسبما يذكر في موضعه إن شاء الله.

وخلا الجو لهذا الأمير المضعوف، واستولى على أريكة المَلِكِ الأغمار وأولو البطالة، وأولياء^(٤) صهره الرئيس، خاطبها له ابتداءً ثم ناقلها^(٥) إلى نفسه انتهاءً، وحاملها إلى غايته دَرَجًا، وإلى إعاقة سُلْمًا؛ وهو ما هو من غش الحبيب، وسوء العقد، ودخل السريرة، واستيطان المكروه، فأغرى منه بالعهد نفساً مطاوعةً للشهوة، متبرّمة بالامتحان والخُلُوة، برية [من]^(٦) نور العلم وتهذيب الحكمة،

(١) هكذا في «ج». وفي «ك»: مملولة.

(٢) رسمت في «ج» هكذا: خير. ومكانها بياض في «ك». وقد رجحنا التصويب لاتساقه مع المعنى.

(٣) وردت في المخطوطين: بمَجَرٍّ. ونعتقد أن التصويب يتفق مع السياق.

(٤) رسمت في المخطوطين ناقصة: ولا.

(٥) وردت في المخطوطين: نقلها. وبالتصويب يستقيم السياق.

(٦) ساقطة في المخطوطين.

ناشئة بين أخايث القسوة ، جانيةً أمانى الشهوة والمخالفة ، مضادةً للفلاح^(١) ،
 حايدة عن سبيل النجاة ، بمحل اغتراب عن النصحاء ، وانتباز عن مقاعد الأحرار ؛
 فجرى طَلَقُ الجموح في التخلف ، حتى كبا لفيه ويديه ، وأعان نسمة السوء الرئيس
 على نفسه ؛ وقد كان اصطنع الرجال ، واستركب أولى البسالة ، وأسالف الدعرة ،
 واختص في سبيل خدمته والذب عنه ، بالبؤساء والمساكير ، يُشركهم في الأكلة ، ويصافيهم
 النعمة . وأظلم ما بينهما ، فحذر كل جانب أخيه ، إلا أن المهين كان استأثر بخطة المعالجة
 واهتدى^(٢) إلى سبيل الحزم . وفي عشيّ يوم الأربعاء [السابع والعشرين]^(٣) من
 شهر شعبان شارفه من مَكْمَن^(٤) غدره الرَّحْب بجوار قصره ، وارتبط به الخيل
 واستكثر من الحاشية ، وأخفى المساكير ، وداخل المورورى^(٥) المشثوم على الدولة ،
 فبادر رجاله سدّ الأبواب ، وانخرط في جملة أو باشه من باب السلطان ، من الرَّجُل
 لنظر ممالئه في العنا ، وعونه على الهول المورورى ، فأحاط به ، وقد بادر الاعتصام
 بالمصنع ثانى الصرح المنسوب إلى هامان سموًا ونفالًا في السُّكَاك^(٦) وسعة ذرع .
 وبعد ما رقى وصرخ بالناس ، يناديهم الذّمام ، فحف إليه منهم الكثير ، وتراكموا
 بالطريق تحته ، وتولى استنزاله عن سويّه مملوك أبيه ، العليج الخذول عبّاد ، وقد
 تحصّل في قبضته الغادر ، فقتل له في الغارب والذّروة ، ووعدته الحياة ، فنزل عن
 أمان فسحة الغدّر الصّراح ، والوفاء المُستباح . ولحين استهاله ، أمر نقله^(٧) إلى
 المُطبّق ، فقيد مُختبلاً كثير الضراعة ، إلى الأرى^(٨) لصق قصره ، وتعاورته

(١) وردت في « ك » . وأغفلت في « ج » .

(٢) وردت في المخطوطين : ويهتدى . والتصويب متفق مع السياق .

(٣) تاريخ اليوم ساقط في المخطوطات الثلاثة . وقد اكملناه من اللوحة البدرية .

(٤) وردت في المخطوطين : يمكن .

(٥) نسبة إلى بلدة مورور . وهى من قواعد الأندلس القديمة وتقع جنوب شرق إشبيلية وإسبانية Moron

(٦) السكالك هنا أى الجو .

(٧) وردت في « ج » نبله . وفي « ك » تبلة .

(٨) الأرى هو محبس الدواب .

السيوف ، وألحق به صغيره قَيْس ، استُخرج من بعض الخراين ، وقد جَهدت^(١) أمه في إخفائه ؛ فمضى لسبيله ، وطُرح رأسه على الرعاع المجيين لندائه ، فانفضوا لحينه ، وبقى مطروحاً موارى ، بِمَحَلْس^(٢) دابة من دواب الظهر ، إلى يوم بعده ، فوورى هو وأخوه بمقربة من مدفن أبيهم ، فكان من أمرهما عبرة . وقد استوفى [هذا]^(٣) الكتاب المسمى « بنفاضة الجراب » من تأليفنا .

وزراء دولته

قدّم للوزارة عشية^(٤) يوم ولايته ، محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهرى ، بطالع الشؤم ، ونعبة النحس . عهدى بالطبيب الإسرائيلي الحبرى العظيم المهارة [فى الفن النجومى]^(٥) ، إبراهيم بن زرزار ، يتطير بتلك الولاية بكون النحس الأعظم فى درجة طالعها ، جذواً انفرد بنحز أديمه الجهالة ، المعدودون فى البهيم والهمج^(٦) ، الذين لا يعبا الله بهم ؛ فكان الخبر ، وفوق الخبر ، فلم يُر فى الأندلس وزارة أثقل وطأة ، ولا أخبت عهداً ، ولا أعظم شرهاً ، ولا أكثر حَجْراً منها . ثم كان عاقبتهم أنهما فى النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين من رجل حبركة^(٧) ، كمد اللون ، تنطف سحنته مرةً ومُتّما ، غائر العين مطأطىء الرأس ، طَرفٌ بعيدٌ فى الحقد والطمع ، وعى المنطق ، وجمود الكف ، معدنٌ من معادن الجهل ، مثلٌ فى الخيانة ؛ تناول

(١) وردت فى المخطوطين : جهد .

(٢) المجلس هو كساء الدابة .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين . وقد أضفناها ليستقيم السياق .

(٤) هكذا فى « ك » . وفى « ج » عشى .

(٥) هذه العبارة واردة فى « ك » . وساقطة فى « ج » .

(٦) وردت فى المخطوطين : المهج . وهو تحريف لا يستقيم مع السياق .

(٧) هكذا رسمت فى المخطوطين . ولكن الرسم الشائع هو « حبركى » . والرجل الحبركى هو :

الطويل الظهر القصير الرجلين ، يكاد يكون مقعداً من ضعفهما .

الأمر مُزاحماً فيه بالرئيس المتوثب ، وابن عم نفسه ، الغادر ، الضخم الحرارة ، بالوَعَثَ المهين ، وثور النقل ، و ثعبان الفواكه ، وصاعقة الأخوينة^(١) ، ووكيل الدولة المنحط عن خلاصهم بالأبوّة والنشأة ؛ فجرت أمورهما أسوأ مجاريها ، إلى أن كان ما أذن الله به ، من مداخلة الرئيس الغادر ، على قتل أميره المسكين المهين ، مقلده [أنوّه الرتب]^(٢) ، وتاركه وخطة الخيانة ؛ ثم أخذه الأخذّة الرابية بيد من أمدّه في النفي ، وظاهره في الخزي ، فجعله نكالاً لما بين يديه وما خلفه ، وموعظةً للمتقين ، حسبما يأتي في اسمه بحول الله تعالى .

كاتبه

واستعمل في الكتابة صاحبنا الرجل الأخرق ، الطوال ، الأهوج ، البرى من الخلال الحميدة ، إلا ما كان من وَسَط الخط وسوق السجع ، والدرك الأسفل من النظم ، عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي ، الآتى ذكره . وهو الذى أفرد الله جل جلاله ، بال غاية البعيدة من مجال سوء العهد ، وقلة الوفاء . وتولى له القضاء ، أبو جعفر أحمد بن أبي القاسم بن جُزَى أياماً ، ثم شَهَّرَ به قوم من الفقهاء منافسيه ، ورشقوه بما أوجب صرفه ؛ وَقَدَّم للقضاء الشيخ المُسِن^(٣) ، الطويل السباحة فى بحر الأحكام ، المُقْرِى الوَدَجَيْن والخلقوم بِسَكِّين القضاء ، المنبور^(٤) بالموبقات فيه ، تجاوز الله عنه ، سَامُون بن على بن سامون . وشيخ الغزاة على عهده ، يحيى بن عُمر بن عبد الله بن عبد الحق ، شيخ الغزاة لأخيه ، أصبح يوم الكائنة فى قياده ، ونصح له فأمر له ، وضاعف برّه .

(١) جمع خوان وهو المائدة .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى « ك » . وفى « ح » : أبوه الرتبة .

(٣) وردت فى المخطوطين : الحسن .

(٤) أى المعروف والمشهور .

الملك على عهده^(١)

مولده

في يوم الإثنين الثامن والعشرين لربيع الأول من عام أربعين وسبعمائة .
« وفاته » ؛ حسبما تقرر آنفاً في يوم الأربعاء [السابع والعشرين]^(٢) لشعبان من
عام أحد وستين وسبعمائة .

أبو بكر بن إبراهيم ، الأمير أبو يحيى المسوفي^(٣) الصحراوي

من أمراء المرابطين ، صهرُ عليّ بن يوسف بن تاشفين ، زوج أخته ، وأبو^(٤)
ولده منها يحيى ، المشهور الكرم .
« أوليَّته » ؛ معروفةٌ تُستقرأ^(٥) عند ذكر ملوكهم .

حاله

كان مثلاً في الكرم ، وآيةً في الجود^(٦) ، أنسى أجواد الإسلام والجاهلية إلى
الغاية ، في الحياء والشجاعة والتبريز في ميدان الفضائل . استوزر الوزير الحكيم
الشهير أبا بكر بن الصائغ ، واختصه ؛ فتجمّلت دولته ونُبّه قدره . وأخباره معه شهيرة .

(١) هذا العنوان ثابت في المخطوطين . ولكن لم يثبت بعده شيء . وهذا هو الشأن أيضاً في
اللمحة البدرية .

(٢) تاريخ اليوم ساقط في المخطوطات الثلاثة .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة : المسوفي . وهو تحريف لكلمة (المسوفي) نسبة لقبيلة
« مسوفة » إحدى بطون صنهاجة .

(٤) وردت في المخطوطين : فبنوا .

(٥) وردت في المخطوطين : تستقر .

(٦) وردت محرفة في المخطوطين : (أجود . جود) .

ولايته

وُلِّيَ غَرْنَاطَةَ سنة خمس مائة . ثم انتقل منها إلى سَرَقُسْطَةَ ، عند خروج المستعين ابن هود [إلى] روطة^(١) . فأقام بها مراسم الملك ، وانهمك في اللذات، وعكف على المعاقرة ، وكان يجعل التاج بين ندمائه ، ويتزينا بزى الملوك ، إلى أن هلك بها تحت مضايقة طاغية الروم المستولى عليها بعد .

خروجه من الصحراء

قال المؤرخ : كان أبوبكر هذا رئيساً على بعض قبيله في الصحراء ، وكان ابن عمه منفرداً بالتدبير ؛ فاتفق يوماً أن دخل على ابن عمه في خبائه^(٢) ، وزوج ابن عمه تمشط^(٣) في موضع قريب من الخباء ؛ فاشتغلت نفس أبي بكر بالمرأة لحسنها وجهها ، فحين دخل قال لابن عمه ، فلانة تريد الوصول إليك ؛ وإنما قصد الاستئذان لرجل من أصحابه ، فنطق باسم المرأة لشغل باله بها ؛ فقال له ابن عمه بعد طول صمت وفكرة ، وقد أنكر ذلك ، عهدى بهذا الشخص لا يستأذن علينا . فرجع عقله ، وثاب لبّه وعلم قدر ما من القبيح وقع فيه ، فخرج من ذلك المجلس ، وركب جملة ، وهان عليه مفارقة وطنه من أجل العار ، واستصحب نفراً قليلاً من من أصحابه على حال استعجال ، ورحل ليلاً ونهاراً ، حتى وصل سِجِلْمَاسَةَ^(٤) أولى عمالات على بن يوسف بن عمه ؛ واتصل به قدومه ، فأوجب حقّه ، وعرف قدره ، وعقد له على أخته ، وولاه على سَرَقُسْطَةَ دار ملك بني هود بشرق الأندلس ، بعد ولاية غرناطة .

(١) روطة Rueda قاعدة أندلسية قديمة تقع على نهر خالون غرب سرقسطة ، وكان يلجأ إليها بنو هود لمناعتها كلما شعروا بالخطر على ملكهم ، وما تزال بها أطلال حصنها الأندلسي .

(٢) وردت في المخطوطين : خباء .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » : تمشط .

(٤) سِجِلْمَاسَةَ من قواعد المغرب القديمة . وهي تقع جنوب فاس .

نبذة من أخباره في الكرم

قالوا ؛ لما حل بظاهر سجلماسة ، مجهول الوفادة ، خافى الأمر ، نزل بظل نخلة بظاهرها ، لا يعرف أحداً ولا يقصده ، فجاء في ذلك الموضع رجل حداد فقراه^(١) بعز^(٢) كان له ، وتعرف له ، وأبو بكر يستغرب أمره ؛ فلما فرغوا من أكلهم ، قال للحداد ألا تصحبنا لموضع أمينا ، وتكون أحد إخواننا ، حتى نحمد لقاءنا ، فأجابه ؛ وصحبه الحداد ، وخدمه ، فلما قرئوا من مرآة كُش ، استأذن أبو بكر ، على ابن يوسف بن تاشفين ، وأعلمه بنفسه ، فأخرج له على بن يوسف فرساً من عتاق خيله ، وكسوة من ثيابه وألف دينار ، فأمر أبو بكر بدفعها للحداد فبُهِت الحداد ؛ وانصرف الرسول مُوجَّهاً إلى مرسله فأخبره بما عاين من كرمه وفعله ، فأعاده إليه في الحين بفرسٍ أخرى ، وكسب كثيرة ، وآلاف من المال ؛ فلما دخل مرآة كُش ، ولقى على بن يوسف وأنزله ، أنزل الحداد مع نفسه في بيت واحد ، وشاركه في الأموال التي توجب بها^(٣) ، فانصرف يجر وراءه دنيا عريضة .

ولما ملك سرقسطة ، اختص الوزير الحكيم أبا بكر بن الصائغ^(٤) ، ولطف منه محله . ذكر أنه غاب يوماً عنه وعن حضور مجلسه بسرقسطة ، ثم بكر من الغد ؛ فلما دخل قال له اين غبت يا حكيم عنا ؟ فقال يا مولاي أصابتني سوداء واغتممت ، فأشار إلى الفتى الذي كان يقف على رأسه ، وخاطبه بلسان عجمية ، فأحضره طبقاً مملوءاً مثاقيل مُحشمة^(٥) وعليها نوادر ياسمين [فدفعه]^(٦) كله إليه ، فقال ابن باجة ،

(١) أى أضافه وأكرمه .

(٢) وردت في المخطوطين : لعمر .

(٣) أى خص بها .

(٤) سبق التعريف به . (انظر الحاشية في ص ١٩٦) .

(٥) هكذا وردت في « ج » . وفي « ل » محشمة .

(٦) ساقطة في المخطوطين . ويقتضيها السياق .

يا مولاي لم يعرف جالينوس من هذا الطَّبِّ، فضحك .
 وذكر أنه أنشد شعراً في مدحه ، وقد قعد للشراب ، فاستفزّه الطرب ، وحلّف
 أن لا يمشي إلا من فوق المال إلى منزله في طريقه ، فالتمس الخُدام بُرْنُسَه بأن كانوا
 يطرحون من المال شيئاً له خطر ، على أوعيته حتى يغمرها ، فيمشي خطّواً إلى أن
 وصل إلى منزله ؛ وحسد الحكيم أصحابه ، ولم يقدرُوا على مطالبته . واتفق أن سار
 الأمير أبو بكر ، وأمر أصحابه بالتأهب والاستعداد ، فاستعد ابن باجة ، واتخذ الأقبية
 والأخبية ، واستفّرَه ^(١) الجياد من بغال الحمولة ، فكانت له منها ^(٢) سبعة صُفر
 الألوان ، حمل عليها الثياب والفرش والمال ؛ فلما نزل الأمير بمقبرة ، مرّت عليه البغال
 المذكورة في أجمل الهيئات ؛ فقال لجلسائه لمن هذه البغال ، ومن يكون من رجالنا
 هذا ؛ فأصابوا العزّة ، فقالوا هي للحكيم ابن الصائغ صاحب سر قسطة ، وليعلم مولانا
 أن في وسط كل حمل منها ألف دينار ذهباً سوى المتاع والعدة ؛ فاستحسن ذلك .
 وقال أهذا حق ؟ قالوا نعم ، فدعا الخازن دار على المال ، وقال له ادفع لابن باجة
 خمسة آلاف دينار ليُكْمَلْ له ذلك اثني عشر ألفاً ، فقد سمعته غير ما مرة يتمنى
 أن يكون له ذلك ؛ ثم بعث عنه في الحين وقال له ، يا حكيم ما هذا الاستعداد ،
 فقال له يا مولاي كل ذلك من هِبَاتِكُمْ وَأَعْطِيَا تَكُمُ وَلِمَا عَلِمْتُ أن أظهار ذلك
 يسرّكم به ، فسر بذلك . وأخبره رحمه الله كثيرة .

محتته

قالوا ، ولما وُلّي غرناطة سنة خمس مائة ، ثار بها ، وانبرى على قومه لأمر رابه ^(٣)
 فانتبذ عنه قومه ^(٤) . وناصبوه الحرب ، حتى استنزله عَنوة ، وقبضوا عليه ، ووجهوه

(١) وردت في المخطوطين : واستفر .

(٢) وردت في المخطوطين : منه .

(٣) في المخطوطين : اربه .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » أهله ، والمؤدى واحد .

الى على بن يوسف ، فأثر الإبقاء عليه ، وعفا عنه ، واستعمله ^(١) بسرقسطة ؛ كذا ذكره الملاحى ، وأشار إليه ، وعندى أن الأمر ليس ^(٢) كذلك ، وأن الذى جرى له ذلك ، أبو بكر بن على بن يوسف بن تاشفين فيتحقق .

وفاته

توفى بسرقسطة فى سنة عشر وخمسة بعد أن ضاق ذرعُه بطاغية الروم ، الذى أناخ عليه بكلّ كله . وعندما تُعرف خبر وفاته ، واتصلت بالأمير أبى إسحاق إبراهيم ابن تاشفين ، وهو يومئذ والى مرسية ، بادر إلى سرقسطة ، فضبطها ، ونظر فى سائر أمورها ، ثم صدر إلى مرسية .

رثاؤه

ورثاه الحكيم أبو بكر بن الصائغ بمرثا اشتهر عنه منها قوله :
سلام وإلام ووسمى مُزَنَةً على الجَدَث ^(٣) الثانى الذى لا أزوره
أحقُّ أبو بكر تقضى فلا ترى تردُّ جماهير الوفود ستوره
لئن أنست تلك اللُحود بلحده لقد أوحشت أقصاره وقصوره
ومن ذلك قوله :

أيها الملك المُقدّى لعمرى نعى المجد ناعيك يوم قمنا فنحننا ^(٤)
كما تقارعت والخطوب إلى أن غادرتك الخطوب فى التّرب وهنّا ^(٥)

(١) هكذا وردت فى « ك » . وفى « ج » : واستعملوه .

(٢) وردت هذه الكلمة فى « ك » وأغفلت فى « ج » .

(٣) فى المخطوطين : الحدث .

(٤) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : فبحنا .

(٥) هكذا فى المخطوطين . وفى « ت » : رهنّا .

غير أنى إذا ذكرتكَ والدهر أخال اليقين فى ذاك ظَنَّا^(١)
وسألنا متى اللقاء قليل الحشْر قلنا صبراً إليه وحُزْنا

إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على ،
أمير المؤمنين الملقب بالمأمون ، مأمونُ الموحدين

أوليتـه

جَدُّه^(٢) عبد المؤمن ، جذع الشجرة ، ويُنبوع الجدول ؛ هو ابن على بن
علوى بن يَعْلَى بن موار بن نصر بن على بن عامر بن موسى بن عون الله بن يحيى بن
ورجان بن سطور بن تفور بن هطهاط بن هودج بن قيس بن عيلان بن مُضر بن
نزار بن معد بن عدنان . وكان طالباً بربرياً ضعيفاً ، خرج مع عمه يؤم للشرق ،
وكان رأى رؤيا هالته تدل على مُلك ، إذ كان صفحته من طعام على رُكبتيه ،
ياكل منها الناس ، وكانت أمه رأت وهى حاملٌ ، كأن ناراً خرجت منها أحرقت
المشرق والمغرب ؛ فكانت فى نفسه حركة ، لأجل هذه الرؤيا ؛ فلما حل
بسجلماسة^(٣) ، سمع بها عن المهدي ، وكان رجلاً يُعرف بأبى عبد الله الشوسى ،
ووصف له بالعلم ، فتشوّف إلى لقائه ، ليرى ما عنده فى تأويل رؤياه ؛ فانصرف
إليه مع بعض الطلبة ، فلقى رجلاً قد وسمه ، على ما يزعم الناس ، حَدِثَانِ من أبى
حامد الغزالى ، وعَلَقَتْ به دعوة منه ، فى إذهاب مُلكِ أهل اللثام ، لحرق

(١) فى المخطوطين : ضناً .

(٢) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : جدهم .

(٣) سبق التعريف بها (ص ٤١٣) .

كتابه^(١) على أيديهم ، فهو مُغرَى بالخروج عليهم ، مهياً^(٢) في عالم الغيب إلى تخريب دعوتهم ؛ فوافق شئ طَبَقَه « وما اجتمع^(٣) الدّا آَن إلا ليقْتَتلا »^(٤) والله غالب على أمره . فأجلسه ، وسأله عن اسمه ، وبلده ، وسنه ، ونسبه ، بالتعريف ؛ وأمره أن يخفى من أمره ، وعبر له رؤياه ، بأنه يملك الأرض ؛ فاهتزّت الآمال وتعاضدت ، ونفذت مشيئةُ الله ، بأن دالت الدولة ، وهلك محمد بن تومرت^(٥) المهدي ؛ فأفضى الأمر [إلى عبد المؤمن]^(٦) ، واستولى على مُلك اللّمتُونيين ، فأباد خُضراءهم ، واستأصل شأفتهم ، واستولى على مُلك المغرب ، فأقام به رسماً عظيماً ، وأمرأ جسيماً ، وأورثه بنيه من بعده ، والله يُؤتِي مُلكه من يشاء .

حاله

كان رحمه الله شهماً شجاعاً ، جريئاً^(٧) ، بعيد الهمة ، نافذ العزيمة ، قوى الشكيمة ، لبيباً ، كاتباً أديباً ، فصيحاً ، بليغاً ، أيباً ، جواداً ، حازماً . وذكره ابن عسکر الملقى ، في تاريخ بلده ؛ قال [دخل]^(٨) مائقة من قِبَل أخيه ، فوصل إليها في الحادي عشر من مُحرم ، وهو شاب حَدَث ، فكان منه من نباهة القَدَر وجلالة النفس ، وأبهة المُلْك ، ما يعجز عنه كثير من الملوك . ولحين وصوله عقد مجلس مذاكرة ، استظهر^(٩) له نبهاء الطلبة ، وكان الشيخ علي بن عبد المجيد

(١) أهل الشام أو الملتصقون ، هم المرابطون . وكان علي بن تاشفين قد أمر بإحراق كتاب الإمام الغزالي : « إحياء علوم الدين » ، وتكفير مؤلفه .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : مهيناً .

(٣) في المخطوطين : أجمع . والتصويب يقتضيه السياق .

(٤) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : ليلتقيا ، والأولى أرجح للسياق .

(٥) وردت في المخطوطين : تامرت . وهو رسم آخر لاسم المهدي .

(٦) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : لعبد المؤمن .

(٧) في المخطوطين : جرياً .

(٨) ساقطة في المخطوطين . ويقتضيهما السياق .

(٩) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : استحضر .

محضره . وكان يبدو منه مع حداثة سنه ، من الذكاء والنبيل والتفطن ، ما كان يُبهِت الحاضرين ، وكانوا ينظرون منه إلى بدري الحسن ، وأسدي الهيبة ، وكهلي الوقار والتؤدة ؛ واشتغل بما يشتغل به الملوك من تفخيم البناء ، كبنيان رياض السيد الذي على ضفة الوادي^(١) بمالقة المعروف باسمه ، لله ورسوله ، وكان عرفاء البنائين لا يتصرفون إلا بنظره ؛ واستمرت ولايته ، مُفخِّم الأمر ، عظيم الولاية ، إلى أن نُقل منها إلى قرطبة ، ثم نقل إلى إشبيلية ، وفيها^(٢) بويع بالخلافة .

تصير الأمر إليه ، وجوازه إلى العدو

قام على أخيه العادل بين يدي مقلعة ، بمالاة أخيه السيد أبي زيد ، أمير بلنسية ، وتحريكه إياه ، فتم له ذلك ، وعقدت له البيعة بمرّاكش والأندلس . ثم إن الموحدين في مراكش بدا لهم في أمره ، وعدلوا عنه إلى ابن عمه أبي زكريا ابن الناصر ؛ واتصل به خبر خلعهم إياه فهاجت نفسه ، ووقدت جمرته ، واستعدّ لأخذ ثاره ، ورحل من إشبيلية ، واستصحب جمعاً من فرسان الروم ، واستبجاز البحر سنة ست وعشرين وستمائة ، قاصداً مراكش ؛ وبرز ابن عمه إلى مدافعه ، والتقى الجمعان فكانت الهزيمة على يحيى بن الناصر ، وفر إلى الجبال ، واستولى القتل على جيشه . ودخل المأمون مراكش فأمر بتقليد شرفاتها بالرهوس ، فعمتها على اتساع الساحة ؛ واستحضر الناكثين لبيعته وبيعة أخيه ، وهم كبار الدولة ، واستفتى قاضيه بمرأى^(٣) منهم ، واستحضر خطوطهم وبيعاتهم ، فأفتى بقتلهم ، فقتل جماعتهم ، وهم نحو مائة رجل ؛ واتصل بالبحث عمن أفلت منهم ، وصرف عزمه إلى محو آثار دولة الموحدين ، وتغيير رسمها ، فأزال اسم مهديها من الخطبة

(١) يقصد بالوادي هنا نهر « وادي المدينة » Guadalmedina الذي يخرق ثغر مالقة . وقد أجدبت ضفافه اليوم .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » ، وبها .

(٣) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : برى .

والسَّكَّةَ والمآذن ، وقطع النداء عند الصلاة ، « فتازلت الإسلام » وكذلك « منسوب رب » « وبادرى »^(١) وغير ذلك ، مما جرى عليه عمل الموحدين ؛ وأصدر^(٢) في ذلك رسالة حسنة ، من إنشائه ، يأتى ذكرها فى موضعه . وعند انصرافه من الأندلس ، خلا للأمير أبى عبد الله بن هُودُ الجوى ، بعد وقائع خلت بينهما ، واتهمز النصرى الفرصة ، فعظمت الفتنة ، وجلت الحنة .

دخوله غرناطة

لم يصح عندى أنه دخل غرناطة ، مع غلبة الظن القريب من العلم بذلك ، إلا طريقه إلى مدافعتة المتوكل بن هُودُ بجهة مرسية ؛ فإنه تحرك لمعالجة أمره فى جيش إشبيلية باستدعاء أخيه السيد أبى زيد إلى بلنسية ، بعد هزائم جرت بصُقع^(٣) الشرق لابن هود ؛ فتحرك المأمون إليه ، واحتل غرناطة ، فى رمضان من عام خمسة وعشرين وستمائة ، وأنفذ منها كتابه إلى أخيه ، يقوِّ بصيرته ، ويُعلمه بنفوذه إليه ؛ والتفّ عليه جيش غرناطة وما والاها ، واتصل سيره إلى الشرق ، فبرز ابن هُودُ إلى لقائه ، فكان اللقاء بخارج لورقة^(٤) ، فانهزم ابن هود ، وفرّ إلى مرسية ، وعساكر الموحدين فى عقبه ؛ واستقصاء مثل هذا يخرج عن الغرض .

وخاطب لأول أمره ، وأخذ الناس ببيعته ، من بأقطار الأندلس ، صادعاً بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والحض على الصلوات وإيتاء الزكاة ، وإيتاء الصدقات ، والنهي عن شرب الخمر والمسكرات^(٥) ، والتحريض على

(١) هذه العبارات فيما يبدو ، بربرية الأصل .

(٢) هكذا وردت فى « ك » . وفى « ج » : واصدل .

(٣) وردت فى « ك » كالمعتاد : بسقع .

(٤) لورقة من القواعد الأندلسية القديمة . وهى تقع جنوب غرب مرسية فى الطريق إلى غرناطة .

وبالإسبانية Lorca .

(٥) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : المسكر .

الدعاية^(١) . فمن كتابه : « الحمد لله الذى جعل الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، أصْلَيْنِ يتفرع منهما مصالح الدنيا والدين ، وأمر بالعدل والإحسان ، إرشاداً إلى الحق المبين ؛ والصلاة [والسلام]^(٢) على سيدنا محمد [النبي]^(٣) الكريم ، المبعوث بالشرعة التى طهرت الجيوب من الأدْران ، واستخدمت بواطن القلوب وظواهر الأبدان ، طوراً بالشدة ، وتارة باللين ؛ القائل ، ولا عدول عن قوله : « ومن اتقى الشُّبُهات استبرأ لدينه وعرضه » تنبيهاً على ترك الشك لليقين ؛ وعلى آله أعلام^(٤) الإسلام ، المُلقيين راية الإسلام باليمن ، الذين مكّنهم الله فى الأرض ، فأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهَوْا عن المنكر ، وفاءً بالواجب لذلك التمكين .

ومن فصلٍ : « وإذا كنا نوفى الأمة تمهيد دنياها ، ونُغْنى بحماية أقصاها وأدناها ، فالدين أهمُّ وأولى ، والتهمُّ [بإقامة الشريعة وإحياء شعائرها]^(٥) ، أحقُّ أن يُقدّم^(٦) وأحرى ، وعلينا أن نأخذ بحسب ما يأمر به الشرع ونَدَع ، وتبَع السُّنن المشروعة ونَذَر البدع . ولنا أن لا ندخر عنها نصيحة ، ولا نغبنها أداة^(٧) من الأدوات مريجة ، ولنا عليها أن تطيع وتسمع » .

ومن فصلٍ : « وأول ما يتناول^(٨) به الأمرُ النافذ ، الصلاة لأوقاتها ، والأداء لها على أكمل صفاتها ، وشهودها إظهاراً لشرائع الإيمان فى جماعتها . فقد قال عليه الصلاة^(٩) والسلام : أحبُّ الأعمال إلى الله الصلاة لأوقاتها . وقال : أول ما يُنظر

(١) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : الرعاية . والأولى أرجح .

(٢) ساقطة فى المخطوطين .

(٣) واردة فى « ج » ، وساقطة فى « ك » .

(٤) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : الأعلام .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى « ج » . ووردت فى « ك » كما يأتى : (بإحياء الشريعة وإقامة

شعائرها) .

(٦) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : يقوم .

(٧) وردت فى المخطوطين : إدارة .

(٨) هكذا فى « ك » ، وفى « ج » ، تناول .

(٩) واردة فى « ج » . وساقطة فى « ك » .

فيه من أعمال العبد الصلاة . وقال عُمر : إن أهمَّ أموركم عندي الصلاةُ فمن حَفِظَها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضَيَّعَها فهو لما سواها أضيَّعُ . وقال : لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، وهي الركنُ الأعظمُ من أركان الإيمان ، والأسر الأوثق لأعمال الإنسان ؛ والمواظبة على حضورها في المساجد ، وإيثارُ ما لصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد ، أمرٌ لا يضيِّعه المفلحون ، ولا يحافظ عليها إلا المؤمنون . قال ابن مسعود رضي الله عنه : لقد رأينا ، وما يتخلف عنها إلا المناقون معلومو^(١) النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى يتهادى بين الرَّجلين ، حتى يقام^(٢) في الصَّف . وشهود الصبح ، والعشاء^(٣) الآخرة شاهد بمحضر الإيمان . ولقد جاء : حضور^(٤) الصبح في جماعة يَعْدِلُ قيام ليلة ، وحسبكم بهذا الرَّجحان . ومن الواجب أن يُعْتَنَى بهذه القاعدة الكبرى من قواعد الدين ، ويأخذ^(٥) بها في جميع الأمصار الصغير والكبير من المسلمين ، ونيط في إلزامها قوله عليه الصلاة والسلام : مُرُّوا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر سنين . وهي طويلة في معاني متعددة .

نثره ونظمه

ولما غيَّر رسوم الموحِّدين ، وأوقع بأرباب دولتهم خبرُ النكث ببيعته ، وبيعتي أخيه وعمه ، كتب إلى الأقطار عن نفسه ، ولم يُكْمَل إنشاءه بكتابة رسالة بديعة اشتملت على فصول كثيرة تُنظر في كتاب « المغرب » و« البيان المغرب » وغير ذلك . وكتابه بخطه إلى أهل أندُوجَر^(٦) : « إلى الجماعة والكافة من أهل فلانة ، وقاهم الله عثرات

(١) وردت في المخطوطين : معلوم . والتصويب يستلزمه السياق .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : يقوم .

(٣) وردت في المخطوطين : وعشاء .

(٤) هكذا في « ح » . وفي « ك » : شهود . والمؤدى واحد .

(٥) وردت في المخطوطين : ويؤخذ . والتصويب لازم للسياق .

(٦) هي بلدة أندلسية تقع في شمال شرق قرطبة على نهر الوادى الكبير . وبالإسبانية Andujar

الألسنة ، وأرشدكم إلى نحو السيئة بالحسنة ؛ أما بعد فإنه قد وصل من قبلكم كتابكم الذى ^(١) جرّد لكم أسهم الانتقاد ، وربما كم من الشهاد ^(٢) ، بالداهية الساد ؛ أتعتذرون ^(٣) من المجال ^(٤) بضعف الحال ، وقلة الرجال . إذاً نلحقكم ^(٥) بربات المجال . كأننا لا نعرف مناحى أقوالكم ، وسوء مُنقلبكم وأحوالكم ؛ لا جرّم أنكم سمعتم بالعدوّ قصمه الله ، وقصّده إلى ذلك الموضع عصمه الله ؛ فطاشت قلوبكم خوراً ، وعاد صفوكم كدراً ، وشتمتم ربح الموت ورّداً وصدرأ ؛ وظننتم أنكم أُحيط بكم من كل جانب ، وأن الفضاء قد غُصّ بالتفاف واصطفاف المناكب ، ورأيتم غير شىء فتخيّلتموه طلائع الكتائب ؛ تبّاً لهمتكم المنحطة ، وشيتمكم الرّاضية بأدّون خُطة ؛ أحين ندبتم إلى حماية إخوانكم ، والذبّ عن كلمة إيمانكم ، نسّتم الأقوال وهى مكذوبة ، ولقّتم الأعذار وهى بالباطل مشوبة ؛ لقد آن لكم أن تبدلوا جلّ الخُرّصان ^(٦) ، إلى مغازل النّسوان ؛ وما لكم ولصهوات الخيول وإنما على الغانيات جرّ الذيول . أتظّهرون العناد تخريصاً ، بل تصرّيحاً وتلويحاً ، ونظنّ أن لا يجمع لكم شتاً ، ولا يُدنى منكم نزوحاً . أين المفرّ وأمر الله يدرككم ، وطلبنا الحثيث [لا] ^(٧) يترككم ، فأزِيلوا هذه النزعة النّفاقية من خواطركم ؛ ولا يغرنكم الإمهال ، أيّها الجهّال . وهى طويلة . وقال عند الإيقاع بالأشياخ أولى الفساد على الدول ، وصلبهم فى الأشجار والأسوار ^(٨) ، مما كلف السّلمى بحفظها واستظرافها :

(١) ساقطة فى « ك » .

(٢) هذا فى « ج » . وفى « ك » : الساد .

(٣) فى المخطوطين : أعتدون . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) فى المخطوطين : المحال .

(٥) فى « ك » : انحقكم .

(٦) أى الرماح الدقيقة المرفعة .

(٧) ساقطة فى المخطوطين . ولزامة للسياق .

(٨) وردت فى المخطوطين : الصور .

أهلُ الحَرَابَةِ والفساد من الورى يعزون فى التشبيه بالذُّكَّار
 ففساده^(١) فيه الصلاح لغيره بالقَطْع والتَّعليق فى الأشجار
 ذُكَّارهم ذِكْرَى إذا ما أبصروا فوق الجُدوعِ وفى ذُرَى الأغوار
 لو عمَّ عفو الله سائر خَلْقِه ما كان أكثرهم من أهل النار

توقيعه

قال ابن عسكر؛ وكانت تصدر منه توقيعات نبيلة . فمنها أن امرأة رفعت^(٢)
 رقعتها بأحد من الأجناد ممن نزل دارها ، وصدر لها أمر يُنكر ؛ فوقع على رقعتها:
 « يُخْرِج هذا النازل ، ولا يُعوِّض بشيء من المنازل » . وغير ذلك مما اختصرناه .

بنوه

أبو محمد عبد الواحد وليُّ عهده ، وأمير المؤمنين بعد وفاته ، الملقب بالرشيد ؛
 وعبد العزيز ، ومان ؛ وأبو الحسن على ، الملقب بالسعيد ، الوالى بعد أخيه الرشيد .
 « بناته » ؛ ابنة العزيز ، وصفية ، ونجمة ، وعائشة ، وفتحونة ؛ وأمّهات الجميع
 روميّات ، وسُرِّيَّات مغربيّات

وزراؤه

وزرّ له الشيخ أبو زكريا بن أبى العُمري وغيره .

(١) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : ففساده .

(٢) واردة فى « ج » . وساقطة فى « ك » .

« كُتَّابُهُ » ؛ كتب له جملة من مشاهير الكتاب، منهم^(١) أبو زكريا الفارازي، وأبو المطرف بن العميرة، وأبو الحسن الرُّعَيْنِي، وأبو عبد الله بن عِيَّاش، وأبو العباس ابن عُمران، وغيرهم. وما منهم إلا شهير كبير.

وفاته

توفي رحمه الله بوادي أم الربيع^(٢) وقد طوى المراحل من ظاهر سبَّتة، مُقلعاً عن حصارها، مبادراً إلى مَرَّاكُش، وقد اتصل به دخول يحيى بن الناصر إياها، فأعدَّ السير وقد اشتدَّ حَنَقُهُ^(٣) على أهلها، وأقسم أن يُبَيِّحَ حِمَاهَا لِلرُّومِ، ويذهب اسمها ومُسَمَّاها، فهلك عند دنوه منها فجأة، فكانت عند أهل مراكش من غُرَرِ الفرج بعد الشدة؛ وكتمت زوجته حُبابة الرومية، أم الرشيد ولده، خبر وفاته إلا عن الأفراد من قواد^(٤) النصارى وبعض الأسيان، واتفق القول على مبايعة ابنها المذكور، ببيعة خاصة ثاني يوم وفاته؛ ثم جعل في هودج وأُشيع أنه مريض، وزحفت الجيوش على تعبئته؛ وبرز يحيى بن الناصر من مراكش إلى لقائه، والتقى الجمعان فانهزم يحيى، واستولى الرشيد عليه، ودخل مراكش فاستقام الأمر؛ وكانت وفاة المأمون أبي العلاء رحمه الله، ليلة الخامس عشر لحرم عام ثلاثين وستمئة.

وجرى ذكر المأمون والمهدى وأوليتهم في الرجز المتضمن ذكر الدول المسلمة^(٥) من نَظْمِي بما نصه بعد ذكر الدولة اللّتونية :

وَنَجْمَ الْمَهْدَى وَهُوَ الدَّاهِيَةُ فَأَصْبَحَتْ تِلْكَ الْمَبْنَى وَاهِيَةً
وَأَنحَكَمَ الْأُمُرُ لَهُ وَانْجَمَا فِي خَبَرِ نَذَرٍ مِنْهُ لَمَعَا

(١) في المخطوطين : من .

(٢) هكذا في « ج ». وفي « ك » : أم ربيع .

(٣) في « ك » : حَنَقُهُ .

(٤) وردت في المخطوطين : عواد .

(٥) هو كتاب ابن الخطيب : « رقم الحلل في نظم الدول » الذي سبقت الإشارة إليه غير مرة .

لم يأل فيها أن دعا لنفسه وكان في الحزم فريد جنسه
 أغرب في ناموسه ومذهبه وفي الذي سطره من نسه
 وعنده سياسة وعلم وجرأة وكرم وحلم^(١)
 ووافقت أيامه في الناس لدولة المسترشد العباسي
 ثم انقضت أيامه المنيفة وكان عبد المؤمن الخليفة
 فضاء لون سعدة ووضعا ولاح مثل الشمس في وقت الضحى
 ثم تلمسان وفاسا فتحا وملك أصحاب اللثام^(٢) قد محا
 ولما انتهى القول إلى المأمون المترجم به ، بعد ذكر من يليه وعبد المؤمن^(٣)
 جده ، قلت :

ثم تولى أمرهم أبو العلاء فسلط البيض على بيض الطلاء
 وهو الذي أركب جيش الروم وجد في إزالة الرسوم

أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدي
 سعد بن بكر بن هوار الإليري

هذا هو جد سعيد بن جودي ، بن سودة ، بن جودي ، بن أسباط ، أمير
 المغرب . وقدرهم بهذه المدينة شهير .

حاله

كان من أهل العلم والفقه ، والدين المتين ، والورع الشديد ، والصلاح الشهير .

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » وحزم .

(٢) هم المرابطون أو الملشون كما تقدم .

(٣) وردت في « ك » . وعبد الرحمن وهو سهو ناسخ .

نباهته

ولاه الأمير عبد الرحمن قضاء البيرة حين بلغه زهده وورعه ، وأنه لم يشرك إخوته في شيء من ميراث أبيه ، إذ كان لم يحضر الفتح ، فبرى به إليهم ، وابتاع مؤثلاً بوطنه أنيط به ماء ، وانفرد به للعبادة والتبتل ، فاستقدمه هشام ؛ فركب حماره وقدم عليه في هيئة رثة بذلة ، فتوسم فيه الخير ، وقدمه ووسع له في الرزق ، ووهب له ضياعاً كثيرة ، تعرف اليوم باسمه ؛ وتوفي هشام وهو قاضٍ بالبيرة ، فأقره ابنه الحكم ثم ولاه شرطته ، إلى أن توفي أسباط ، قلت ، انظر حال الشرطة عند الخلفاء من كان يُختار لها لولايتها^(١) .

أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد الله بن خالد

ابن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان

مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ يكنى أبا الجعد .

أوليته

من أهل شرق الأندلس ، أصلهم من لوشة فتية غرناطة^(٢) وموضعهم بها معروف ، وإلى جدهم يُنسب جبل أبي خالد المطل عليها ، وكان لهم ظهور هنالك ، وفيهم أعلام وفضلاء .

(١) وردت في المخطوطين : لولاية .

(٢) لوشة هي بلد ابن الخطيب . وقد سبق التعريف بها في المقدمة . وكان ابن الخطيب يسميها

« بنت غرناطة » و « فتية غرناطة » اعتزازاً بها .

حاله

كان أسلم من خيار أهل البيرة ، شريف البيت ، كريم الأُبوة من كبار أهل العلم ، وكانت فيه دُعابة ، لم يُنسب إليه قط بسببها خِزْيَةٌ^(١) في دين ولا زَلَّةٌ . قال أبو الفضل عياض^(٢) ؛ كان أسلم من خيار أهل البيرة ، رفيعُ الدرجة في العلم ، وعلوُّ الهمة في الإدراك ، والرواية والدِّيانة ، والصُّحبة ، وبُعدُ الرِّحلة في طلب العلم ، معروف النّصيحة والإخلاص للأمراء .

مُشيخته

لقى بمصر ، المدني ، ومحمد بن عبد الحَكَم ، ويونس ، والربيع بن سليمان المؤذن ، وأحمد بن عبد الرحيم البرقي . وسمع من علي بن عبد العزيز ، وسليمان ابن عمران بالقيروان .

« من روى عنه » ؛ سمع من عثمان بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن يونس ، ومحمد ابن قاسم ، وغير واحد ؛ وانصرف إلى الأندلس من رحلته ، فنال الوجاهة العظيمة .

ولايته

ولاه قضاء الجماعة^(٣) بقرناطة ، الناصر لدين الله ، أول ولايته ، وسط^(٤) سنة ثلاثمائة ، إلى أن استعفى سنة تسع وثلاثمائة فأعفاه ، ثم أعاده . وكان في قضائه

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : مرية .

(٢) هوفقيه المغرب الكبير الحافظ عياض بن موسى اليحصبي السبتي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) . وقد كتب عنه المقرئ كتابه الضخم « أزهار الرياض في أخبار عياض » . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد .

(٣) قضاء الجماعة أعنى رئاسة القضاء العليا . أو منصب قاضي القضاة .

(٤) هذه الكلمة واردة في « ك » . وساقطة في « ج » .

صارماً لا هوادة عنده . قال المؤرخ ؛ كان الناصر يستخلفه في سطح القصر إذا خرج إلى مغازيه . وحكى ابن حارث ، أن ابن معاذ وابن صالح أتيا يوماً ، فلما أخذوا مجلسهما نظر إليهما ، وقال ألقوا^(١) ما أنتم مُلقون فأبتهما . ودخل عليه محمد بن وليد يوماً ، فكلمه في شيء ، فقال أسلم سمعنا وعصينا ، فقال ابن وليد ونحن قلنا واحتسبنا . وأتاه في بعض مجالسه شهود ، بعضهم من أهل المدينة بقرطبة ، وبعضهم من سُلال من الرِّبض الشرقي ، يشهدون في ترشيد امرأة من الرِّبض الغربي ، فلما أخذوا مجالسهم ، فتح باب الخوخة التي في المجلس الذي يجلس بدهليزه ، ونادى من بخارجه فاجتمعوا ؛ اسمعوا عجباً^(٢) لله دَرُّ الشاعر حيث يقول :

راحت مُشرِّقة ورُحَّت مغرباً شتَّان بين مُشرِّق ومغرب

هؤلاء من أهل المدينة وسُلال ، يشهدون في ترشيد امرأة^(٣) من ساكنات آخر بلاط مُغيث ؛ ثم سكت فدهش القوم وتسلوا^(٤) . وبلغه عن بعض الشهود المتهمين أنه أُرشي في شهادته ببساط ، فلما أتى ليؤديه ، ودخل على أسلم ، جعل يخلع نعليه عند المشي على بساط القاضي ، فناداه : أبا فلان البساط ، الله الله ، فتنبه بأن أمره عند القاضي ، ولم يجسر على أداء شهادته تلك . وخاصم فقيهه عند أسلم رجلاً في خادم أغربها^(٥) ، وجاء بشاهد أتى به من إشبيلية ، فقال يا قاضي هذا شاهدي فاسمع منه ، فصعد أسلم في الشاهد وصوب ، وقال أحتسب^(٦) أو مكتسب^(٧) أصلحك الله ؛ فقال الشاهد أحسن الظن أيها القاضي ، فليس هذا إليك ، هذا إلى الله المُطلع على ما في القلوب ، ولم تقعد هذا المقعد لتسأل عن هذا وشبهه ، وإنما عليك الظاهر ،

(١) وردت في المخطوطين : ألقوا . وهو تحريف .

(٢) في المخطوطين : عجبياً .

(٣) وردت في المخطوطين : امرأتين .

(٤) وردت في المخطوطين : وتسلا .

(٥) وردت في المخطوطين : أعربها .

(٦) محتسب أى مدخر أجره عند الله .

(٧) وردت في المخطوطين : مستكب . وهو تحريف ظاهر .

وَتَكِلُ الْبَاطِنَ إِلَى اللَّهِ ، فَإِنْ شِئْتُ ، فَاسْمَعْ الشَّهَادَةَ كَمَا يَلْزَمُنِي أَدَاؤُهَا ، ثُمَّ اقْبَلْهَا
أَوْ اضْرِبْ بِهَا الْحَائِطَ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى ، وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَكْشِفَ السَّيْرَ الْمُنْسَدِلَ
بَيْنَكَ وَبَيْنِي ، فَإِنْ هَذَا التفسير للشهود يُوَقِّفُ عَنِ الشَّهَادَةِ عِنْدَكَ ، وَيَعْرِضُ
لِإِهَاتِكَ أَهْلَ لَاثِقَةٍ ، وَفِي ذَلِكَ مِنْ ضِيَاعِ الْحَقُوقِ مَا لَا يَخْفَى ؛ فَأَخْبَلُ أَسْلَمَ كَلَامُهُ ،
وَقَالَ لَهُ ، لَكَ مَا قُلْتَ ، فَأَدِّ شَهَادَتَكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، قَالَ ، فَأَيْنَ الْخَادِمُ تَحْضُرُ حَتَّى أَشْهَدَ
عَلَى عَيْنِهَا ، قَالَ أَسْلَمَ وَفْقِيهِ أَيْضًا ؟ هَاتُوا الْخَادِمَ ، فَجَاءَتْ مِنْ عِنْدِ الْأَمِينِ ، فَلَمَّا
مَثَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، نَظَرَ مِنْهَا مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ ، أَعْرِفُ هَذِهِ ^(١) الْخَادِمَ مُلْكًا لِهَذَا الرَّجُلِ ،
لَا أَعْرِفُ مِلْكَهُ زَالَ عَنْهَا بَوَاجُهُ مِنَ الْوَجُوهِ ، إِلَى حِينَ شَهَادَتِي هَذِهِ ، سَلَامٌ عَلَى
الْقَاضِي ؛ ثُمَّ خَرَجَ ، فَبَقِيَ أَسْلَمَ مُتَعَجِّبًا مِنْهُ .

مَحْنَتُهُ

كَفَّ بَصَرَهُ فِي أَخْرِيَاتِ أَيَّامِهِ ، فَطَلَبَ لِأَجْلِ ذَلِكَ الْإِعْفَاءَ فَأَعْفَى ، وَلَزِمَ بَيْتَهُ
صَابِرًا مُحْتَسِبًا إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ .

مَوْلَدُهُ

سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ .

أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ بْنِ بَشَرَ بْنِ أَسَدِ الْمُرِّيِّ

مِنْ أَهْلِ قَرْيَةِ الصَّيْرِ مَوْرَثِهِ مِنْ إِقْلِيمِ الْبَسَاطِ ^(٢) مِنْ قَرْيَةِ غَرْنَاطَةِ .

(١) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ هَذَا .

(٢) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : الطِّينُ مَوْرَثِهِ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَقَرْيَةُ الصَّيْرِ مَوْرَثُهُ هِيَ قَرْيَةُ SIERRA MURADA

الْحَدِيثَةُ وَتَقَعُ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ غَرْنَاطَةِ .

حاله

كان عظيم القَدْر والشرف والشهرة ، أصيل المعرفة والدين .

مشيخته

خرج إلى المشرق ، ولقي مالك بن أنس رضى الله عنه ؛ روى عنه سُحنون ابن سعيد .

تأليفه

ألف كتاب « المختلطة » ، ووُلّى القضاء بالقيروان أجمل ما كانت وأكثر علماً ، وولاه زيادة الله^(١) غزو صقلية ، ففتحها وأبلى بلاء حسناً .

وفاته^(٢)

توفي رحمه الله محاصراً [سَرَقُوسَة]^(٣) منها سنة ثلاث عشر ومائتين . هذا ما وقع في كتاب أبي القاسم الملاحى . وذكره عِياض فذكر خلافاً في اسمه وفي أوليته .

(١) زيادة الله بن الأغلب أمير إفريقية (تونس) من سنة ٢٠١ - ٢٢٣ هـ (٨١٦ - ٨٣٨ م) .

(٢) ساقطة في المخطوطين .

(٣) وردت « سرقسطة » في المخطوطات الثلاثة . فيما أن يكون الناسخ قد سحرف الاسم الحقيقي . وإما أن يكون ابن الخطيب ومن نقل عنهم قد أخطأوا في ذكر هذا الاسم . ذلك أن المدينة التي توفي أسد بن الفرات وهو محاصر لها هي ثغر « سرقوسة » Syracuse الواقع جنوب شرق صقلية . أما سرقسطة فهي القاعدة الأندلسية المعروفة وقد كانت قاعدة الثغر الأعلى ، وتقع في شمال إسبانيا وسط ولاية أراجون الحديثة . (راجع كتابي تراجم إسلامية ص ١٣٤ في ترجمة أسد بن الفرات) .

أبو بكر المخزومي الأعمى الموروري [المَدَوْرِي]^(١)

حاله

كان أعمى ، شديد الفِحَّة والشَّرِّ ، معروفاً بالهجاء ، مُسَلِّطاً على الأعراض ، سريع الجواب ، ذكيّ الذهن ، فطناً للمعارض ، سابقاً في ديوان الهجاء ، فإذا مدح ضعف شعره .

دخوله غرناطة

وذكر شيء من شعره ، ومهاجرته مع^(٢) نزهون بنت القلاعي .
قال أبو الحسن بن سعيد ، في كتابه المسمى « بالطالع السعيد » ؛ قدم على غرناطة أيام ولاية أبي بكر بن سعيد عمّل^(٣) غرناطة ، ونزل قريباً منه^(٤) ، وكان يسمع به ؛ فقال صاعقة يرسلها الله عز وجل على من يشاء من عباده ، ثم رأى أن يبدأ بالتأنيس والإحسان ، قاستدعاه بهذه الأبيات :

يا ثانيًا للمعرّي في حسن نظمٍ ونثرٍ
وفرطٍ ظرفٍ ونبلٍ وغوصٍ فهمٍ وفكرٍ

(١) وردت هذه الكلمة في هامش « ج » مضافة إلى « الموروري » . والموروري نسبة إلى مورور وقد سبق التعريف بها (ص ٤٠٩) . والمدوري نسبة إلى بلدة المدور . وقد نسب ابن سعيد أبا بكر المخزومي إليها (راجع المغرب ج ١ ص ٢٢٣) . والمدور وبالإسبانية Almodovar بلدة أندلسية تقع شمال شرقي قرطبة على مقربة من المدينة الملكية Ciudad Real الحديثة .

(٢) وردت في المخطوطين كلمة (الأسمّة) قبل اسم نزهون . ولم نهند إلى علة وجودها فحذفناها .

(٣) هكذا في « ج » ، وفي « ك » : على . والمقصود هنا « حكم غرناطة » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في « ك » .

صِلْ ثُمَّ واصلَ حَفِيًّا بكلِّ شُكْرِ وبرٍّ
وليس إلا حديثٌ كما زها عَقْدُ دُرٍّ
وشَادِنٌ قد تَغْنَى على ربابٍ وزَمَرٍ
وما يسامح فيه الغفور من كَأْسِ خمرٍ
وبيننا عَقْدُ حِلْفٍ لِيانٍ شِرْكٍ وكُفْرٍ
فَقَمُّ نَجْدَدِهِ عهداً بطيبِ شُكْرِ وسُكْرِ
والكأْسُ مثلُ رَضَاعٍ ومن كِمِثْلِكَ يَدْرِي^(١)

ووجه له الوزير [أبو بكر بن سعيد]^(٢) عبداً صغيراً قاده . فلما استقر به المجلس ،
وأفعمته^(٣) روائح النَّدِّ والعود والأزهار ، وهزَّتْ عِطْفُه الأوتار ، قال :

دارُ السَّعِيدِ ذِي أُمِّ دارٍ رِضْوَانٍ ما تشهى النفسُ فيها حاضرٌ دانٍ
سقت أبارقها للنَّدِّ سَحْبٌ نَدَى تحدو برعد لأوتارٍ وألحانٍ
والبرقُ من كلِّ دِنٍّ ساكبٌ مَطَرًا يحى^(٤) به مَيِّتُ أفكارٍ وأشجانٍ
هذا النعيم الذي كنا نحمدُّه ولا سبيلَ له إلا بآذانٍ

فقال أبو بكر بن سعيد « ولا سبيلَ له إلا بآذان » ؛ فقال [حتى]^(٥) يبعث
[الله]^(٥) وَلَدَ زِنَا كلما أنشدتُ هذه الأبيات ؛ قال : وإن قائلها أعمى ، فقال :
أما أنا فلا أنطق بحرف في ذلك . فقال من صمَّتْ نجاً . وكانت نزهون بنت القلاعى
الآتى ذكرها^(٦) حاضرة ، فقالت ونراك^(٧) يا أستاذ قديم النعمة ، بنيدٌ وغناء وطيب

(١) كتبت هذه الأبيات في المخطوطين كل منها شطرة واحدة يكملها بيت آخر .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في « ت » . وساقط في المخطوطين .

(٣) واردة في « ج » . وساقطة في « ك »

(٤) هذا في « ج » . وفى « ك » يحدا .

(٥) هاتان الكلمتان أغفلتا في المخطوطين . والتكلمة من « ت » .

(٦) في المخطوطين : الآتية .

(٧) هكذا وردت في « ج » . وفى « ك » : وزيك .

شراب ، تتعجب من تأثيه وتشبهه بنعيم الجنة ، وتقول ما كان يُعلم إلا بالسماع ، ولا يُبلغ اليه إلا بالعيان ؛ لكن من يجيء من حصن المدوّر ، وينشأ بين تيّوس وبقر ، من أين له معرفة بمجالس النّعم . فلما استوفت كلامها تنحنح الأعمى ، فقالت له دعه ؛ فقال من هذه الفاعلة ؟ فقالت عجوز مقام أمك ، فقال كذبت ما هذا صوت عجوز ، إنما هذه نعمة قحبة محترقة تُشم روائح كذا منها على فرسخ ؛ فقال له أبو بكر : يا أستاذ هذه نزهون بنت القلاعى الشّاعرة الأدبية ، فقال سمعت بها لا أسمعها الله خيراً ، ولا أراها إلا^(١) ... فقالت له يا شيخ سوء تناقضت . وأى خير أفضل للمرأة ؟ ففكر الخزومي ساعة ثم قال :

على وجه نزهون من الحسن مسحّة وإن كان قد أُمسى من الضوء عاريا
قواصد نزهون تُدّارك غيرها ومن قصّد البحر استقل السّواقيا

فأعملت فكرها وقالت :

قل للوضع مقالاً يُتلى إلى حين يُحشَر
من المدوّر أنشئت وانخرا منه أعطر
حيثُ البداوة أُمست في أهلها^(٢) تتبختر
لذلك أُمسيت صباً بكل شيء مدوّر^(٣)
خُلقت أعمى ولكن تهيم في كل أغور
جازيتُ شعراً بِشعر^(٤) فقل لعمري من أشعر
إن كنت في الخلق أنثى فإنّ شعري مُذكر

(١) كلمة نابية رأينا حذفها .

(٢) هكذا في المخطوطين : وفي « النفح » : مشيها . وفي « المغرب » : جهلها .

(٣) هكذا ورد هذا البيت في المخطوطين . وورد في المغرب كالأتي (لذلك أُمسيت تهوى : حلول

كل مدور) .

(٤) في المغرب : « جاوبت هجوا بهجو . »

فقال لها اسمعى :

ألا قل لنزهونة ما لها تَجْرُ من التَّيه أذيالها
ولو أبصرت بَشَّةً^(١) شمرت كما عودتنى سِرِّبها
فحلف أبو بكر بن سعيد ألا^(٢) يزيد أحدهما على الآخر فى هَجْوِه كلمة ؛ فقال
الحزومى أكون هجاء الأندلس وأكف عنها دون شيء ؛ فقال أنا أشتري منك
عرضها فاطلب ، فقال بالعبد الذى أرسلته فقادنى إلى منزلك ، فانه لين القد رقيق
الملس . فقال أبو بكر لولا أنه صغير كنت أبلغك فيه مرادك ، وأهيه لك ؛ ففهم
قصده ، وقال أضبر عليه ، حتى يكبر ، ولو كان كبيراً ما آثرتنى على نفسك ؛
فضحك أبو بكر وقال قد هجوت نثراً ، وإن لم تهج نظاماً ؛ فقال أيها الوزير ،
لا تبديل لخلق الله ؛ وانفصل الحزومى بالعبد بعد ما أصلح بينه وبين نزهون .

وقال يمدح القاضى بغرناطة أبا الحسن بن أضحى رحمه الله :

عجباً للزمان يطلب هَضْمى وملاذى منه على بن أضحى
جاره قد سما على النطح عزاً ليس يخشى من حادث الدهر نطحا
فكأنى [علوت]^(٣) قرن [فلان]^(٣) أى تيس مُطول القرن ألحاً

فقال له ابن أضحى ، هلا اقتصرت على ما أنت بسبيله ، فكم تقع فى الناس ؛
فقال أنا أعمى وهم حُفَر فلا أزال أقع فيها ، فقال فأعجبنى كلامه على قُبْحِه .
وحديث مُفاهمه بغرناطة يقتضى طويلا .

وفاته

قال أبو القاسم بن خلف ، كان حياً بعد الأربعين وخمسمائة .

(١) هكذا وردت فى المخطوطين : وفى المغرب : فيشة .

(٢) فى « لك » : أن لا .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقطة فى المخطوطين . والتكلمة من المغرب (ص ٢٢٥) .

أَصْبَغُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الشَّيْخِ الْمَهْدِيِّ

يُكْنَى أَبُو الْقَاسِمِ ، عَالِمٌ مَشْهُورٌ .

حَالُهُ

كَانَ مُحَقِّقًا بَعْلِمِ الْعَدَدِ وَالْهَنْدَسَةِ ، مُقَدِّمًا فِي عِلْمِ الْهَيْئَةِ وَالْفَلَكَ وَعِلْمِ النُّجُومِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَعَ ذَلِكَ عُنَايَةٌ بِالطَّبِّ .

تَوَالِيْفُهُ

تَوَالِيْفُهُ حَسَنٌ ، وَمَوْضُوعَاتُهُ مُفِيدَةٌ ؛ مِنْهَا كِتَابُ « الْمَدْخَلُ إِلَى الْهَنْدَسَةِ » فِي تَفْسِيرِ كِتَابِ إِقْلِيدِسٍ . وَمِنْهَا كِتَابُ ثَمَارِ الْعَدَدِ الْمَعْرُوفِ « بِالْمَعَامِلَاتِ » . وَمِنْهَا كِتَابُهُ الْكَبِيرُ فِي الْهَنْدَسَةِ تَقْصِيٌّ فِيهِ أَجْزَاءُهَا . وَمِنْهَا كِتَابٌ ^(١) فِي آلَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْأَسْطُرْلَابِ . وَمِنْهَا تَارِيخُهُ الَّذِي أَلْفَهُ وَهُوَ تَارِيخٌ كَبِيرٌ .

وَفَاتُهُ

قَالَ ابْنُ سَجْمَاعَةَ فِي تَارِيخِهِ ؛ أَخْبَرَنِي أَبُو مَرْوَانَ ^(٢) ، سَلِيْمَانُ بْنُ عِيْسَى النَّاشِي الْمُهَنْدِسُ ، أَنَّهُ تَوَفَّى بِمَدِينَةِ غِرْنَاطَةِ قَاعِدَةُ الْأَمِيرِ حَبُوسَ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ لَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ لِرَجَبِ سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ سَنَةً شَمْسِيَّةً ^(٣) . وَعَدَّهُ مِنْ مَفَاخِرِ الْأَنْدَلُسِ .

(١) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ل » : كِتَابَانِ .

(٢) وَرَدَتْ بَعْدَهَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ كَلِمَةٌ : (أَنْ) . وَلَعَلَّهَا تَحْرِيفٌ تَكَرَّرَ لِلْحَرْفَيْنِ الْآخِرَيْنِ مِنْ كَلِمَةِ (مَرْوَانَ) . أَوْ لَعَلَّهَا (عَنْ) . وَقَدْ رَأَيْنَا حَذْفَهَا .

(٣) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : شَمْسِيَّةٌ ، وَفَرَجِحَ التَّصْوِيبُ .

أبو علي بن هديّة

من أهل غرناطة .

حاله

قال أبو القاسم الملاحى فيه ؛ من أهل الدين ، والفضل ، والأمانة ، والعدالة ، والمعرفة بالتكسير والأعمال السلطانية ، ووُلّي « المُسْتَخْلَص » ^(١) بغرناطة ، فثَقِب وأجاد النظر . قال ابن الصّيرفى : ولما وُلّي الوزير أبو علي بن هديّة المُسْتَخْلَص ، وباشر جلائل الأمور ودقائقها بنفسه ، حَمَى المناصِفِينَ ؛ ورفع المَوْن والكُلْف ^(٢) عنهم ، ووسعَ بِسَلِيفِ البذر ^(٣) عليهم ، وآثرهم بالنَّصَفَةِ بالتزام حصّة بيت المال ؛ ولم يكن له حُجَّاب ولا بَوَّاب ، فكان القَوِيُّ والضعيفُ ، والمشروف والشريف ، والكبير والصغير ، والرجل والمرأة ، شرعاً سواءً فى الوصول إليه ، والتكلم فى مجلسه ، فلم يَهْتَضِم جانب ، ولا دُحِضت حُجَّة ؛ إلا أنه ارتفعت الرِّقْبَةُ ، وزالت الهَيْبَةُ ، وأُتْحِق نور الخُطَّة ؛ وَخَصَّ أَحْبَاس ^(٤) جامع غرناطة بنظره ، بفضل مال كثير من غلته ^(٥) ؛ ونُبّه باجتماعه ليزيد به بلاطين فى مَسَقْفِهِ من شرقه وغربه ، فأكمل الله ذلك بسعيه وعلى يديه ؛ ورام رُبْع المُسْتَخْلَص ، وزاد به فى حَمَاماته ؛ ورَمَّ ^(٦) حَوَانِيته ، واستحدث مَنجى ^(٧) سَمَّاهَا المُسْتَحْدَثَةُ ، وغرس قضبان الجُوز

(١) انظر الحاشية فى ص ١٢٢

(٢) وردت فى المخطوطين : الكف .

(٣) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : الزرع .

(٤) الأحباس هى ما يحبس لأغراض الخير ، وهى الأوقاف .

(٥) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : خلته .

(٦) هكذا فى « ك » . وفى « ج » وردم . والأولى أرجح .

(٧) وردت فى المخطوطين : منيحة . ونعتقد أن التصويب أرجح :

في مواضع المياه ؛ وعوّض بما ذهب ، وشتمّ في جمع المال ، ووالى الحفز على العمل ،
ونصح بمقتضى جهده ، ومُنْتَهَى وَسْعِهِ ، ولم تُمدَّ يده في مصانعة ، ولا مالت إلى
مُدَاخَلَةٍ ، ولكنه لم يُحْمَلْ في حق ولا نُوقِشَ في باطل .

أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنّيجالي

من أهل لَوْشَةٍ .

نبيلةٌ حَسِيَّةٌ ، تُجَيِّدُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ ، وتشارك في فنون من الطَّلَبِ ، من مبادئ
غريبة ، وخلف وإقراء مسائل الطب ، وتنظم أبياتاً من الشعر . وذكرتها [في]^(١)
خاتمة « الإكليل »^(٢) بمانصه : « ثلاثة حَمْدَةٍ وولادة ، وفاضلة الأدب والمجادة ،
تقلدت المحاسن من قبل ولادة ، وأولدت أبكار الأفكار قبل سنّ الولادة .
نشأت في حجر أبيها ، لا يدخر عنها تدريجاً ولا سهماً ، حتى نهض إدراكها
وظهر في المعرفة حِراكَها ، ودرّسها الطبّ ففهمت أغراضه ، وعلمت أسبابه
وأغراضه » . وفي ذكر شعرها :

« ولما قدّم أبوها من المغرب ، وحَدَّثَ بخبرها المغرب ، توجه بعض الصدور
إلى اختبارها ، ومطالعة أخبارها ، فاستَنَبَلْ أغراضها واستحسنها ، واستطرف^(٣)
لَسْنَهَا ، وسألها عن الخط ، وهو أكسَدُ بضاعة جُلِبَتْ ، وأشحُّ درّة حُلِبَتْ .
فأنشدته من نظمها :

(١) ساقطة في المخطوطين .

(٢) هو كتاب ابن الخطيب المسمى : « الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر » . وقد
سبق التعريف به في المقدمة .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : واستطرب . والمؤدى واحد .

أَلْخَطُّ لَيْسَ لَهُ فِي الْعِلْمِ فَائِدَةٌ وَإِنَّمَا هُوَ تَزْيِينٌ بِقِرطَاسٍ
وَالدَّرْسُ سُؤْلٌ لَا أَبْغَى بِهِ بَدَلًا بِقَدَرِ عِلْمِ الْفَتَى يَسْمُو عَلَى النَّاسِ
وَرَاجِعُهَا بَعْضُ الْمُجَّانِ ^(١) يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ :

إِنْ فَرَطَ الدَّرْسُ يَا أُمِّي ^(٢) سَحَقٌ ^(٣) وَهَذَا هَزُّ الْمَشْهُورِ فِي النَّاسِ
فَخُذْ مِنَ الدَّرْسِ شَيْئًا تَافَهًا خَطْمًا وَبِالْفَهْمِ يَحْيَى كُلَّ النَّاسِ
وَمِنْ شَعْرَهَا فِي غَرَضِ الْمَدْحِ :

إِنْ قِيلَ مِنَ النَّاسِ رَبُّ فَضِيلَةٍ حَازَ الْعُلَا وَالْمَجْدَ مِنْهُ أَصِيلُ
فَأَقُولُ رِضْوَانُ وَحِيدُ زَمَانٍ إِنْ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ

بُلْكَيْنِ ^(٤) بَنُ بَادِيسَ بَنِ حَبُوسَ بَنِ مَاكُوسَ بَنِ زِيرِي
بَنِ مَنَادِ الصَّنَهَاجِي

الأمير الملقب بسيف الدولة، صاحب أمر والده والمرشح للولاية بعده .

حاله

قال المؤرخ : كان زيري بن مناد ، ممن ظهر في حرب ابن يزيد بإفريقية ،
واتَّسم هو وقومه بطاعة العبيديين أمراء الشيعة ، فكانوا حرباً لأضدادهم من زَنَاته

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : الهجاز .

(٢) في المخطوطين : يا أُمِّي .

(٣) في المخطوطين : سَحَقًا .

(٤) ترسم دائماً في المخطوطين بالقاف : (بلقين) . وقد سبق أن أوضحنا حكمة التعديل (راجع

الحاشية في ص ٢٦٩) .

الموالين لأُملاك المَرَاوِنَة^(١) لتُحقق جَدَّهم خَزَر^(٢) بولايتَه عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ فلما صار الأمر إلى بنى مَناد بعد انتقال مُلك الشيعة إلى المشرق ، وولى الأمر باديس بن منصور بن مُبَلَكِّين بن زيرى ، ذهب أعمامُه وأعمامُ أبيه إلى استضعافه ، فلم يُعطهم ذلك من نفسه ، ووقعت بينهم الحرب التى قتل فيها عم أبيه ما كَسَن بن زيرى ، فرهب^(٣) الباكون منهم صولة باديس ، وخافوا عاديتَه على أنفسهم ، على صِغر سنِّه ؛ فحاطب شيخُ بيتِه يومئذ زاوى بن زيرى ومعه أبناءُ أخيه ، المُظفر ابن أبى عامر ليجوز إليه إلى الأندلس رغبة فى الجهاد ، فألنى هَمَّةً بعيدة ، وملكاً شامخاً ، يذهب إلى استخدام الأشراف واصطناع الملوك ، فأذن فى ذلك ؛ فدخل منهم جماعةُ الأندلس مع أميرهم زاوى بن زيرى ، ومعه أبناءُ أخيه حُباسةً وحَبُوسٍ وما كَسَن ؛ فَأَنزَلهم المظفرُ وأكرمهم ، إلا أنهم كابدوا مشقةً من دهرهم الذى أصارهم يخدمون بأبواب الملوك من أعدائهم غيرهم ؛ فلما انهدمت الإمامة ، وانشقت عصا الجماعة ، سَعَوْا فى الفِتنة سَعَى غيرهم ، من سائر قبائل البرابرة^(٤) ، عند تشديد أهل الأندلس للبربر ؛ وانحازوا عند ظهورهم على أهل الأندلس ، بملوك بنى حُود^(٥) ، إلى بلاد تضمهم ، فانحازت صِنهاجة مع شيخهم ورئيسهم زاوى بن زيرى إلى مدينة غرناطة . ثم آثر زاوى العَوْد إلى وطنه إفريقية ، فخرج عن الأندلس حسبما يتفسر فى موضعه ؛ والتفَّ قومُه على ابن أخيه حُبُوس بن ما كَسَن ، فى جماعة عظيمة تسمى حَوَزته ، وأقام بها مُلكاً ؛ وغلب على ما اتصل بمدينة من الكُور ، فتملَّك قَبْرة ، وجِيَّان^(٦) ، واتسع نظره ، وحمى وطنه ورعيَّته ، ممن جاوره من البرابر ؛ وكان

(١) المَرَاوِنَة أعنى بنى مروان أو الأمويين خلفاء الأندلس .

(٢) هكذا فى « ك » . وفى « ج » خوز .

(٣) وردت فى المخطوطين : فذهب . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) هكذا فى « ك » وفى « ج » . ويجرى ابن الخطيب على ذكر « البربر » بلفظ البرابرة . والبرابر

(٥) وردت فى المخطوطين : بنى حميد . وهو تحريف .

(٦) جيان سبق التعريف بها (انظر الحاشية فى ص ١٩٥) . وتقع قَبْرة Gabra جنوب جيان

وقد سبق التعريف بها (انظر الحاشية فى ص ١١٧) .

داهية شجاعاً ، فدامت رياسته ، واتصل ملكه ، إلى أن هلك . فولى بعده ابنه باديس ، وسيأتى التعريف به ؛ ووُلد له ابنه بُلكَيْن هذا المترجم به ، فرشحه إلى ملكه ، وأخذ له بيعة قومه ، وأهله^(١) للأمر من بعده . قال المؤرخ : ونشأ لباديس ابن حبّوس ، ولدَ اسمه بُلكَيْن ، وكان عاقلاً نبيلاً ، فرشحه للأمر من بعده ، وسماه سيف الدولة ؛ وقال : وُلّى مائة في حياة أبيه ، وكان نبيلاً جليلاً ؛ ووقعتُ على كتاب بخطه نصه بعد البسملة :

« هذا ما التزمه واعتقد العمل به ، بُلكَيْن بن باديس ، للوزير القاضى أبى عبد الله بن الحسن الجذامى^(٢) سلّمه الله . اعتقد به إقراره على خُطّة الوزارة ، والقضاء فى جميع كُوره ، وأن يجرى من الترفيع والإكرام له ، إلى أقصى غاية ، وأن يُحمل على الجراية فى جميع أملاكه بالكُور المذكورة ، حاضرتها وباديتها ، الموروثة منها ، والمكتسبة ، القديمة الاكتساب والحديثة ، وما ابتاع منها من العالى^(٣) رحمه الله وغيره ، لا يلزمها وظيفٌ بوجه ، ولا يُكلف منها كُلفة ، على كل حال ، وأن يجرى فى قرابته ، وخوِّله وحاشيته وعامرى ضيعه ، على المحافظة والبرّ والحرّية . وأقسم على ذلك كله بُلكَيْن بن باديس بالله العظيم ، والقرآن الحكيم ، وأشهد الله على نفسه وعلى التزامه له ، وكفى بالله شهيداً . وكُتب بخط يده مستهل شهر رمضان العظيم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، والله المستعان . ولا شك أن هذا المقدار يدل على نبل ، ويُعرّف عن كفاية .

(١) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : وملكه . والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت فى « ج » . ووردت محرفة فى « ك » : الحراص .

(٣) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : المعالى . و « العالى » هو خليفة الأندلس إدريس

بن يحيى المعتلى من بنى حمود وقد حكم غرناطة وقومونة ولقب بالعالى . وخلع سنة ٤٣٨ هـ بعد أربع سنين من حكمه .

سبب وفاته

قال صاحب البيان المغرب وغيره : وأمضى باديس^١ كاتب أبيه ووزيره إسماعيل ابن نغالة^(١) اليهودى على وزارته وكتابته وسائر أعماله ، ورفعته فوق كل منزلة ؛ وكان لولده بلكين ، خاصة من المسلمين يخدمونه ، وكان مبعوضاً في اليهودى ، فبلغه أنه تكلم في ذلك لأبيه ، فبلغ منه كل مبلغ ؛ فدبر^(٢) الحيلة ، فذكروا أنه دخل عليه يوماً فقبل الأرض بين يديه ، فقال له الغلام : ولم ذلك ؛ فقال : يرغب العبد أن تدخل داره مع من أجبت من عبيدك ورجالك ؛ فدخل إليه بعد ذلك ، فقدم له ولرجاله طعاماً وشراباً ، ثم جعل السّم في الكأس لابن باديس ، فرام القى^(٣) ، فلم يقدر عليه ، فحمل إلى قصره وقضى فيه في يومه ؛ وبلغ الخبر إلى أبيه ولم يعلم السبب ، فقرّر اليهودى عنده أن أصحابه وبعض جواريه سمّوه ، فقتل باديس جوارى ولده ، ومن فتيانه وبنى عمّه [جماعة كبيرة]^(٤) ، وخافه^(٥) سائرهم فقرّوا عنه . وكانت وفاته سنة ست وخمسين وأربعمائة . وبعده قتل اليهودى في سنة [تسع وخمسين]^(٦) .

(١) وردت في المخطوطين : (ابن نغاله) . ويسميه ابن بسام في الذخيرة : ابن النغريلى : (ج ١ - ٢ ص ٢٦٥) . وورد في البيان المغرب : ابن نغزاله (ج ٣ ص ٢٦٤) . والتسمية الأولى أرجح .
(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : فدفن .
(٣) وردت في « ك » : القبر . وفي « ج » وردت لفظه غير واضحة : القلى أو البلى . والتصويب من البيان المغرب .

(٤) هذه الزيادة من البيان المغرب وهى لازمة للسياق .
(٥) وردت في المخطوطين : وخافوه . وهو رسم خاطئ . وكثيراً ما يرد الفعل بالجمع قبل الفاعل في المخطوطات المغربية .

(٦) وردت في « ك » ثمان . وفي « ج » ثمانين . وهو خطأ اقتضى التصويب وفقاً لما يرد بعد في الفصل الذى عنوانه : « ذكر مقتل اليهودى يوسف بن إسماعيل . . . »

باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري
بن مناد الصنهاجي

كنيته أبو مناد ، ولقبه الحاجب المظفر بالله ، الناصر لدين الله .

أوليته

قد تقدم الإلماع بذلك عند ذكر ابنه بلكين .

حاله

كان رئيساً يديساً ، طاغيةً جباراً ، شجاعاً ، داهية ، حازماً ، جلدأً ، شديد
الأمر ، شديد الرأي ، بعيد الهمة ، مأثور الإقدام ، شره السيف ، وارى زناد^(١)
الشر ، جماعةً للمال ؛ ضخمت به الدولة ، ونهت الألقاب ، وأمنت حمايته^(٢)
الرعايا ، وطمّ تحت جناح سيفه العمران ، واتسع بطاعته المرهبة الجوانب ببأسه
النظر ، وانفسح الملك ؛ وكان ميمون الطائر ، مُطعم الظفر^(٣) ، مصنوعاً له في
الأعداء ، يقنع أقتاله^(٤) بسامه ، ولا يطمع أعداؤه في حربه . قال ابن عسكر : يكنى
أبا مسعود ، وكان من أهل الحزم وحماية الجانب ، وكان يخطب ويدعو للعكويين
بمالقة ، فلما توفي إدريس بن يحيى العالى ، ملك مالقة سنة ثمان وأربعين وأربعمائة .

(١) وردت في المخطوطين : بزناد .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : لحميته .

(٣) ابقى كثير الظفر .

(٤) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : أمثاله .

وقال الفتح في قلائده^(١) : « كان باديس بن حبّوس بغرناطة^(٢) عاثياً^(٣) في فريقه ، عادلاً عن سنن العدل وطريقه ؛ يجترى على الله غير مراقب ، ويسرى إلى ما شاء [غير ملتفت]^(٤) للعواقب ؛ قد حجب سناؤه لسانه ، وسبقت إساءته إحسانه ؛ [ناهيك]^(٥) من رجل لم يبت من ذنب على ندم ، ولم يشرب الماء إلا من قليب دم ؛ أحزم^(٦) من كاد ومكر ، وأجرم^(٧) من راح وابتكر ؛ وما زال متقدماً^(٨) في مناحيه ، مفتقداً لنواحيه ، لا يرام بريث ولا عجل ، ولا يبيت له جار إلا على وجل . »

أخباره في وقائعه

يُنظر إيقاعه بزُهَيْر^(٩) العامري ومن معه في اسم زُهَيْر ، [فقد ثبت منه هنالك]^(١٠) نبذة ، وإيقاعه بجيش ابن عباد بمالقة عندما طرق مالقة وتملكها ، واستصرخ من استمسك بقصبتها من أساودتها ، وذلك مما هو معلوم ، وشهرته مغنية عن الإطالة . ومن أخباره في الجبرية والقسوة . قال ابن حيّان ، عندما استوعب الفتكة بأبي نصر بن أبي نور الشُّقْرى^(١١) أمير رُندة المنتزى^(١٢) بها وقتله ، ورجوعها إلى ابن عباد ؛

(١) هو كتاب : « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان .

(٢) في المخطوطين : غرناطة . والتصويب من « القلائد » .

(٣) هذا في القلائد . وفي المخطوطين : عاثياً .

(٤) وردت في المخطوطين : (لا ملتفتا) . والتصويب من القلائد .

(٥) ساقطة في المخطوطين . واردة في القلائد .

(٦) هكذا في القلائد . وفي المخطوطين : أجزم .

(٧) هكذا في القلائد . وفي المخطوطين : أفجر .

(٨) في المخطوطين : ممتداً . والتصويب من القلائد .

(٩) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : ابن مقيم . وهو خطأ بين .

(١٠) هكذا وردت هذه العبارة في « ج » . ووردت في « ك » : (وثبت في ذلك منه) .

(١١) وردت في « ج » : السفري . وفي « ك » الأسفري . ونعتقد أن التصويب أرجح . والشقري هنا نسبة إلى جزيرة شقر .

(١٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : المشري .

حكى أبو بكر الوسنشاني^(١) الفقيه عن ثقة عنده من أصادقة التجار ، أنه حضر مدينة غرناطة ، حَضْرَة باديس بن حبّوس الجبار ، أيام حدث على أبي نصر صاحب تَاكْرُؤًا ما حدث ، وأن أميرها باديس قام للحادثة^(٢) وقعد ، وهاج من داء عَصَبِيَّتِهِ ما قد سكن ، وشقَّ أثوابه ، وأعلن أحواله ، وهجر شرابه الذي لا صبر له عنه ، وجفا ملاذّه ؛ وأوهمتُه نفسه الخبيثة تماثُرَ رعيّته من أهل الأندلس ، على مثل الذي دهي أبا نصر ، فسوّلت له نفسه حَمْلَ السيف على أهل حضرته جميعاً ، مستحضراً^(٣) لهم ، وكيمًا ينبرهم^(٤) ، ويخلص برابرة وعبيده فيريح نفسه ؛ ودبر أن يأتي ذلك إليهم عند اجتماعهم بمسجدهم الجامع الأقرب أيام الجمعة ، من قوة همومه ؛ وشاور وزيره اليهودي يوسف بن اسماعيل ، مُدَبِّرَ دولته الذي لا يقطع أمراً دونه ، مُسْتَخْلِياً مُسْتَكْتِماً بسرّه ، مصمماً في عزمه ، ان هو لم يوافق عليه ؛ فنهاه عن ذلك وخطأ رأيه فيه ، وسأله الأناة ونَحْضَ الرويّة ، وقال له هَبْكَ وصلت إلى إرادتك ممّن بحضرتك ، على ما في استباحتهم من الخطر ، فأني تقدر على الإحاطة بجميعهم من أهل حضرتك ، وبسائط أعمالك ؟ أتراهم يطمثون إلى الذّهل عن مصائبهم ، والاستقرار في موضعهم ؟ ما أراهم إلا سيوفاً ينتظمون عليك في جموعٍ ، يُغرقونك في لُجَجِهَا أنت وجندك ؛ فردّ نصيحته ، وأخذ الكتمان عليه ، وتقدم إلى عارضه باعتراض الجند في السلاح ، والتّعبية لركوبه يوم الفَتْكَ ، يوم تلك الجمعة ، فارتجّ البلد . وذُكر أن اليهودي دسّ نسواناً إلى معارف لمنّ من زعماء المسلمين بغرناطة ، ينهاهم عن حضور المسجد يومهم ، ويأمرهم بإخفاء أنفسهم ؛ وفشا الخبر فتخلف الناس عن شهود الجمعة ، ولم يأتَه إلا نفر من عامّتهم ، اقتدوا بمنّ أتاه^(٥) من مشيخة البربر

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : الرسنلشاني .

(٢) وردت في المخطوطين : بالحادثة . والتصويب أنسب .

(٣) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » مستعرضاً .

(٤) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » ينفدهم .

(٥) هكذا في « ك » . وفي « ج » : أتاها .

وأغفال القادمين ؛ وجاء إلى باديس الخبر والجيش في السلاح حوالى قصره ، فسأه
وفت في عضده ، ولم يشك في فشو سره ، وأحضر وزيره وقلده البوَّح بسرّه فأنكر
ما قرهه^(١) به ؛ وقال ومن أين يُنكر على الناس الحذر ، وأنت قد استركبت جندك
وجميع جيشك في التَّعبية ، لا لسفرٍ ذكرته ، ولا لعدو وثب إليك ، فس هناك
حدس القوم على أنك تريد هم ، وقد أجمل^(٢) الله لك الصنع في نفارهم ، وقادك
إصارهم ، فأعد نظرك ياسيدى ، فسوف تحمد عاقبة رأيي وغبطة نصحي . فنصح
وزيرَه شيخٌ من موالى صِنهاجته ، فانعطف لذلك بعد لآى ، وشرح الله صدره .
ويجرى^(٣) التعريف بشيء من أمور وزيره .

قال ابن عذارى المرّا كشى في كتابه المسمى « بالبيان المُغرب » ؛ أمضى باديسُ
كاتب أبيه ووزيرَه ابن نغْالة اليهودى ، وعمالاً متصرفين من أهل ملته ، قاتسبوا
الجاه في أيامه واستطالوا على المسلمين . قال ابن حيان ؛ وكان هذا اللعين في ذاته ،
على ما زوى الله عنه من هدايته ، من أكمل الرجال علماً وحلماً وفهماً ، وذكاءً ،
ودمائه . وركانة ، ودهاء ، ومكرًا ، ومِلْكا لنفسه ، وبَسْطًا من خلقه ، ومعرفةً
بزمانه ، ومدارة لعدوّه ، واستِسلالاً لحقودهم بحلمه ؛ [ناهيك]^(٤) من رجل
كتب بالقلمين ، واعتنى بالعلمين ، وشغف باللسان العربى ، ونظر فيه ، وقرأ
كتّبه ، وطالع أصوله ؛ فانطلقت يده ولسانه ، وصار يكتب عنه وعن صاحبه
بالعربى ، فيما احتاج إليه من فصول التَّحْميد لله تعالى ، والصلاة على رسوله صلى الله
عليه وسلم ، والتزكية لدين الإسلام ، وذكر فضائله ما يريد ، ولا يقصر فيما يُنشئه
عن أوسط كتّاب الإسلام ؛ فجمع لذلك « السَّجِيح في علوم الأوائل الرياضية »

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : قر به .

(٢) في المخطوطين : أجمع . والتصويب أنسب للسياق .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : ويحى .

(٤) أضفنا هذه الكلمة إذ يلوح لنا أنها سقطت في المخطوطين سهواً .

وتقدم منتجليها^(١) بالتدقيق^(٢) للمعرفة النجومية ؛ ويشارك في الهندسة والمنطق ،
 ويفوق في الجدل كل مُستول منه على غاية ؛ قليل الكلام في ذكائه ، ماقناً للسباب^(٣) ،
 دائم التفكير ، جماعة للكتب . هلك في العشر الثاني لمحرم سنة تسع وخمسين وأربعمائة ،
 فجلل اليهود نعشه ، ونكسوا لها أعناقهم خاضعين ، وتعاقدوه جازعين ، وبكوه
 مُعلنين ؛ وكان قد حمل ولده يوسف المُكنى بأبي حسين على مطالعة الكتب ، وجمع
 إليه المعلمين والأدباء من كل ناحية ، يُعلمونه ويدارسونه ، وأعلقه بصناعة الكتابة ،
 ورشحه لأول حركته ، لكتابة ابن مخدومه بُلكين برتبة^(٤) المترشح لمكانه ،
 تمهيداً لقواعد خدمته ؛ فلما هلك إسماعيل في هذا الوقت ، أدناه باديس إليه ، وأظهر
 الاغتياب به ، والاستعاضة بخدمته عن أبيه .

ذكر مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل

بن نغزالة^(٥) الإسرائيلي

قال صاحب البيان ؛ وترك^(٦) ابناً له يسمى يوسف لم يعرف [ذلّ الذمة ، ولا قدر
 اليهودية]^(٧) . وكان جميل الوجه ، حادّ الذهن^(٨) ، فأخذ في الاجتهاد في الأحوال ،
 وجمع المال ، واستخراج الأموال ، واستعمال اليهود على الأعمال ، فزادت منزلته عند

(١) في المخطوطين : منتجليها .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » بالتدين .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : للسباب .

(٤) وردت في المخطوطين : بريه .

(٥) هكذا وردت لأول مرة صواباً في « ك » . ولكنها على الأغلب ترد محرفة في المخطوطين .

(٦) في المخطوطين : وتحرك .

(٧) وردت في المخطوطين : (ذلّ اليهودية ولا قدر الذمة) . والتصويب من البيان المغرب (ج ٣

ص ٢٦٤) .

(٨) هكذا في « ك » . وفي « ج » : الزهد .

أميره ؛ وكانت له عليه عيون في قصره ، من نساء وفتيان ، يشملهم^(١) بالإحسان ، فلا يكاد باديس يتنفس ، إلا وهو يعلم ذلك . ووقع ما تقدم ذكره ، في ذكر بلكين من اتهامه بسمة^(٢) ، وتولية التهمة به عند أبيه ، للكثير من جواريه وخدامه ، وفَتَكَ هذا بقريب له ، تَلَوَّ له في الخدمة والوجاهة ، يدعى بالقائد ، شعر منه بمزاحمته إياه فتكة شهيرة ؛ واستهدَف للناس فشَغَلت به ألسنتهم ، ومُلَّت غيظًا عليه صدورهم ، وذاعت قصيدة الزاهد أبي إسحاق الإلبيري ، في الإغراء بهم ؛ واتفق أن أغارت على غرناطة بعوث صُمادحية^(٣) تقول إنها باستدعائه ، ليصير الأمر الصنهاجي إلى مجهزها^(٤) الأمير بمدينة ألمرية . وباديس في هذه الحال منغمس في بطالته ، عاكف على شرابه . ونُي هذا الأمر إلى رهطه من صنهاجة ، فراحوا^(٥) إلى دار اليهودي مع العامة ، فدخلوا عليه ، فاختنى ، زعموا في بيت فحم ، وسَوَّد وجهه ، يروم التنكير فقتلوه لما عرفوه ، وصلبوه على باب مدينة غرناطة ، وقُتل من اليهود في يومه ، مقتلة عظيمة ، ونُهبت دورهم ، وذلك سنة تسع وخمسين وأربعمائة . وقبره اليوم وقبر أبيه يعرف أصلاً من اليهود ينقلونه بتواتر عندهم ، أمام باب البيرة ، على غلوة ، يعترض الطريق ، على لحده^(٦) حجارة كدان جافية الجرم ؛ ومكانه من الترف والترّف والظرف والأدب معروف ؛ وإنما أتينا ببعض أخباره لكونه ممن لا يمنع ذكره في أعلام الأدباء والأفراد إلا نحلته^(٧) .

(١) وردت في المخطوطين : يشغلهم . وفي البيان : شغلهم . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٢) وردت في المخطوطين : بنسبه . وهو تحريف .

(٣) نسبة إلى ابن صمادح أمير ألمرية يومئذ .

(٤) وردت في المخطوطين : مجهدا .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » : فوجوا .

(٦) وردت في المخطوطين : الحدة .

(٧) وردت في المخطوطين : محلة .

مكان باديس من الذكاء وتولعه بالقضايا الآتية

قال ابن الصيرفي ؛ حدثني أبو الفضل جعفر الفتي ، وكان له صدقٌ ، وفي نفسه عزّة وشهامة وكرم ، وأثنى عليه ، وعرف به ، حسباً يأتي في اسم جعفر المذكور . قال ، خاض باديس مع أصحابه في المجلس العلى ، من دار الشراب بقصره ، واصطفّت الصقاليب^(١) والعبيد بالبرّطل^(٢) المتصل به لتخدم إرادته ، فورد عليه نبأ قام لتعرفه عن مجلسه ، ثم عاد إلى موضعه وقد تجهم وجهه ، وخبثت نفسه ، فحذر ندماءه على أنفسهم ، وتخيلوا وقوع الشر بهم ؛ ثم قال أعلمتم ما حدث ، قالوا لا والله يطلع على خير ؛ قال : دخل المرابط^(٣) الدّمنة ؛ فسرى عن القوم ، وانطلقت ألسنتهم بالدعاء بنصره^(٤) ، وفُسحة عمره ، ودوام دولته ؛ ثم وجّها لوجومه ، فلما رأى تكذّر صفوفهم قال أقبلوا على شأنكم ، ما نحن وذاك ، اليوم خمرٌ وغداً أمرٌ^(٥) ؛ بيننا وبينه أمداد الفجّو ، والنشور الجبال ، وأمواج البحار ؛ ولكن لا بد له أن يتملك بلدى ، ويقعد منه مقعدى ، وهذا أمر لا يلحقه أحد منا ، وإنما يشقى أحفادنا . قال جعفر ، فلما دخل الأمير القصر ، عند خلعه حفيد باديس برجة مؤمّل^(٦) ، طاف بكل ركن ومكان منه ، وأنا في جملة حتى انتهى إلى ذلك المجلس ، فبسط له ما قعد عليه ،

(١) هم الصقالبة . وهم الممالك الفرنج من مختلف الجنسيات الأوروبية الذين غصت به قصور الأندلس منذ أواخر القرن الثالث الهجرى . (راجع في نشأة الصقالبة وأحوالهم وظهورهم في الأندلس ، كتابي « دولة الإسلام في الأندلس » ج ٢ ص ١٠٥ و ١٠٦)

(٢) البرطل هو الرسم العربى للكلمة القشتالية Portal وهو البهو ذو الشرفات المعقودة على الأعمدة .

(٣) يريد الإشارة إلى يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين وعبوره إلى الأندلس .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : في نصره .

(٥) وردت في المخطوطين : آخر . وهو تحريف للقول المأثور .

(٦) وردت في المخطوطين محرفة : (برجه مؤمل) . و « رجة مؤمل » اسم مكان بغرناطة الإسلامية .

كان يقع في جنوب غرب الحمراء وجنوب ربض الفخارين ويشتهر برياضه ومتنزهاته . ومكانه اليوم الحى الغرناطى المسمى Campo del Principe .

فتذكرت قول باديس ، وتعجبت منه تعجباً ظهر على ؛ فالتفت إلى أمير المسلمين مُنكراً ، وسألني مابى ، فأخبرته وصدّقته ، وقصصت عليه قول باديس ، فتعجب ، وقام إلى المسجد بمن معه ، فصلّى فيه ركعات ، وأقبل يترحم على قبره .

وفاته

قال أبو القاسم بن خلف : توفى باديس ليلة الأحد الموفى عشرين من شوال سنة خمس وستين وأربعمائة ، ودفن بمسجد القصر . قلت ، وقد ذهب أثر المسجد ، وبقي القبر يحفُّ به حلق له باب ، كل ذلك على سبيل من الخمول ، وجَدَثُ القبر رخام ، إلى جانب قبر الأمير المجاهد أبي زكريا يحيى بن غانية^(١) المدفون في دولة^(٢) الموحّدين به .

وقد أدال اعتقاد الخليفة في باديس بعد وفاته ، قديم العهد بتعرّف أخبار جبروته وعُتُوّه على الله سبحانه ، لما جبلهم عليه من الانقياد للأوامر [والانصياع للأصايل]^(٣) ؛ فعلى حُفْرته اليوم من الإزدحام بطلّاب الحوائج والمستشفين من الأسقام ، حتى أولو الدواب الوجيعة ، ما ليس على قبر معروف الكرخي ، وأبي يزيد البسطامي .

ومن أغرب ما وقفت عليه رقعة رفعها إلى السلطان على يدي ، رجل من أهل الخير مُكَتَّب^(٤) يؤمُّ في مسجد القصبة القُدّمي من دار باديس ، يُعرف بابن باق ، وهو يتوسل إلى السلطان ويسأل منه الإذن في دفنه [مجاوراً لقبره]^(٥) . وعفو الله

(١) سبق التعريف به (تراجع الحاشية في ص ١٠٣) .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : بدولة .

(٣) وردت هذه العبارة محرفة في المخطوطين : (وانقطاع الأصايل) .

(٤) أى يكتب للناس ما يرغبون كتابته .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في « ج » . ووردت في « ك » : (بجوار القبر) .

أوسع من أن يضيق على مثله، ممن أسرف على نفسه، وضيّع حقَّ ربِّه . ودأيره اليوم
طلول قد تغيرت أشكالها وقسم التملك جناتها ، ومع ذلك فمعاهدها إليه منسوبة ،
وأخباره مُتداولة .

وقد ألمعت في بعض مشاهده بقولى من قصيدة ، غريبة الأغراض ، تشتمل على
فنون^(١) أثبتتها إحاضاً وفكاهة ، لمن يطالع هذا الكتاب ، وإن لم يكن جلبها
ضرورياً فيه فمنها :

عسى خَطرة بالركب يا حادى العيس على الهَضبة الشَّاء من قصر باديس

بَكرون بن أبى بكر بن الأشقر الحضرى

يكنى أبا يحيى .

حاله

كان من ذوى الأصالة ومشايخ الجند ، فارساً نبجداً حازماً سديد الرأى ، مسموع
القول، شديد العُضلة^(٢) أيّداً ، فحلاً وسيماً ، قائداً عند الجند الأندلسيين ، فى أيام
السلطان ثانى ملوك بنى نصر ، من^(٣) أحفل ما كان الأمر ، يجرّ وراءه دنيا عريضة ،
وجبى الجيش على عهده مغنم كثيرة .

قال شيخنا ابن شبرين^(٤) فى تذكرة ألفتها بخطه ؛ كان له فى الخدمة مكان

(١) وردت فى المخطوطين : فتوق .

(٢) أى الدهاء .

(٣) كذا فى « ج » . وفى « ك » : بين .

(٤) هكذا فى « ك » . وفى « ج » : ابن شيرين . وهو تحريف .

كبير ، وجاه عريض ، ثم صرفه الأمر عن اسمه ، وأنزله الدهر عن حكمه ، تغمداً
الله وإياه برحمته .

وفاته

... في عام أربعة عشر وسبعائة ، ودفن بمقبرة قومه بباب البيرة .

بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل

يكنى أبا النصر ، رومي الأصل .

حاله

كان شجاعاً داهية ، حازماً فاضلاً ، مصمماً تقياً ، عالماً^(١) من أعلام الوفاء . لازم
مولاه في أعقاب النكبة ، وصحبه إلى المغرب الأقصى ، مختصاً به ذاباً عنه ، مشتملاً
عليه ، وخطب له الأمر بالأندلس ، فتم له بما هو مذكور .

قال أبو مروان^(٢) في المقتبس ؛ إن عبد الرحمن لما شرده الخوف إلى قاصية
المغرب ، وتنقل بين قبائل البربر ، ودنا من ساحل الأندلس — وكان بها همهم —
يستخبر من قرب ، فعرف أن بلادها مفترقة بفرقتي المضرية واليمانية ، فزاد ذلك في
أطباعه ؛ فأدخل إليهم بداراً مولاه يُحسّس^(٣) عن خبرهم ، فأتى القوم وبلى ما عندهم ،
فدخل اليمانيّين منهم ، وقد عصفت ريح المضريين بظهور العباس بالمشرق ، فقال لهم

(١) وردت في المخطوطين : عالماً . وهو تحريف .

(٢) هو ابن حيان مؤرخ الأندلس . وقد سبقَت الإشارة إليه غير مرة .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : يحسّس .

ما رأيكم في رجل من أهل الخلافة يطلب الدولة بكم، فيقيم أودكم ويديركم آمالكم . فقالوا : وَمَنْ لَنَا بِهِ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ ، فقال بدرٌ : ما أدناه منكم ، وأنا الكفيل لكم به ، هذا فلان بمكان كذا وكذا يُقدِّمُ نفسه [فقالوا : فجيء به أهلاً]^(١) إِنَّا سُرَاعٌ إِلَى طَاعَتِهِ ؛ وأرسلوا بدرًا بكتبهم^(٢) يستدعونه ، فدخل إليه بأئمن طائر ، واستجمع إليه خلق من أنصاره ، قاتل بهم يوسف الفهرى ، فقهره لأول وقائعه ، وأخذ الأندلس منه وأورثها عقبه .

محتبه

قال الراوى : وكان من أكبر من أمضى عليه عبدالرحمن بن معاوية حكم سياسته وقومه معدته^(٣) ، مولاه بدرُ المعتقُ منه بكل ذمة محفوظة الخائضُ معه لكل غمرة مرهوبة ، وكل ذلك لم يُغن عنه نقيراً ، لما أسلف في إدلاله عليه ، وكثر من الانبساط لحرمته [فجمع مركب تحامله]^(٤) حتى أورده المأْيُضِيقُ^(٥) الصدر عنه ؛ وآسف أميره ومولاه ، حتى كبح عنانه عن نفسه بعد ذلك كبحةً أقعى بها أو شارفَ حمامه ، لولا أن أبى الأمير على نفسه التي لم يزل مسرفاً عليها . قال ، فاتته في عقابه^(٥) لما سخط عليه أن سلب نعمته ، وانتزع دوره وأملاكه ، وأغرّمه على ذلك كله أربعين ألفاً من صامته ونفاه إلى الشجر ، فأقصاه عن قربه ، ولم يُقله العثرة^(٦) إلى أن هلك ، فرفع طمع الهوادة عن جميع ثقله وخدمته ، وصير خبره مثلاً في الناس بعده .

(١) هكذا وردت هذه العبارة في « ج » ، وفي « ك » : (فقال يجي أهلاً به) .

(٢) وردت في المخطوطين : بكتبكم .

(٣) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : معتدلة .

(٤) وردت هذه العبارة بحرفة في المخطوطين : (فجمع به مركب لحامله) . وبالتصويب ينصح

المعنى ويستقيم السياق .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » : يطيق .

(٥) كذا في « ج » . وفي « ك » : اعقابه .

(٦) هكذا في « ج » في « ك » العثرة .

تأشفين بن علي بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة

صالي^(١) حروب الموحدين .

أوليته

فما يختص به التعريف بأولية قومه ، ينظر في اسم أبيه وجده إن شاء الله . قال ابن الوراق في كتاب المقياس وغيره : وفي سنة اثنين وعشرين وخمسمائة ، ولّى علي بن يوسف أميراً لمتونة ، الشهير بالمرابط^(٢) ولده الأمير المسمى بسير عهده من بعده . وجعل له الأمر في بقية حياته ؛ ورأى أن يولى ابنه تأشفين الأندلس ، فولاه مدينة غرناطة ، والمرية ثم قرطبة مضافة إلى ما بيده . قلت ، في قولهم رأى أن يولى الأندلس فولاه مدينة غرناطة ، شاهد كبير على ما وصفناه^(٣) من شرف هذه المدينة ؛ فنظر في مصالحها ، وظهر له بركة^(٤) في النصر على العدو ، وخدمه الجد الذي أسلمه ، وتبرأ منه في حروبه مع الموحدين حسبما يتقرر في موضعه ، فكانت له على النصارى وقائع عظيمة بعد لها الصيت ، وشاع الذكر حسبما يأتى في موضعه . قال ، فكبر ذلك على أخيه سير ولى عهد أبيه ، وفاوض أباه في ذلك وقال له : إن الأمر الذى أهلتنى إليه لا يحسن لى مع تأشفين ، فإنه قد حمل الذكر والثناء دونى ، وغطى على اسمى ، وأمال إليه جميع أهل المملكة ، فليس لى معه اسم ولا ذكر . فأرضاه بأن عزله عن الأندلس وأمره بالوصول إلى حضرته ، فرحل عن الأندلس فى أواسط سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ووصل مرّا كش ، وصار من جملة^(٥) من يتصرف بأمر أخيه سير ويقف ببابه كأحد حجابيه ؛

(١) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : طالى أو كالى .

(٢) وردت فى المخطوطين : بالمرابطين . وهو تحريف ظاهر .

(٣) وردت فى المخطوطين : أوصلنا . والتصويب من مخطوط رواق المغاربة بالأزهر المرموز له

بحرفى « ر . م »

(٤) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وفى « ر . م » : بارقة .

(٥) كذا فى « ج » . وفى « ك » : الجملة .

فقضى الله وفاة الأمير سير على الصورة القبيحة حسبما يذكر في اسمه ، وشكّله أبوه واشتد جزعه عليه، وكان عظيم الإيثار والإرضاء لأمه قمر، وهي التي تسببت [في] ^(١) عزل تاشفين وإخماله نظراً إلى ابنها ، فقطع المقدار بها عن أملها بهلاكه .

ولما توفي [الأمير] ^(٢) سير، أشارت الأم المذكورة على أبيه بتقديم ولده إسحاق، وكان رؤوماً لها قد تولت تربيته عند هلاك أمه وتبنته ، فقال لها ، هو صغير السن لم يبلغ الحلم ؛ ولكن [حتى] ^(٣) أجمع الناس في المسجد خاصة وعامة ، وأخبرهم فإن صرفوا الخيار إلى ، فعلت ما أشرت به . فجمع الناس وعرض عليهم الأمر ؛ فقالوا كلهم في صوت واحد : تاشفين ، فلم توسعه السياسة مخالفتهم ؛ فعقد له الولاية بعده ونقش اسمه في الدنانير والدراهم مع اسمه ، وقلّده النظر في الأمور السلطانية ، فاستقر بذلك . وكتب إلى العدوّة والأندلس وبلاد المغرب ببيعته ^(٤) ، فوصلت البيعات من كل جهة . ثم رمى به جيوش الموحدّين الخارجين عليه، فبنا جدّه ومرضت أيامه، وكان الأمر عليه لا له بخلاف ما صنع الله له بالأندلس .

قال أبو مروان الورّاق : [وكان أمير المسلمين] ^(٥) على بن يوسف بن تاشفين قد أمل في ابنه تاشفين ما لم تكن الأقدار تساعد به ، فتشاءم به وعزم على خلع [وصرف عهده] ^(٦) إلى إسحاق ولده الأصغر ، ووجه إلى عامله على إشبيلية أغمار أن يصل إليه ليجعله شيخ ابنه ، إلى أن وافاه خبر أمّضه وأقلقه ولم يمهل، فأزعج تاشفين إلى عدوّه على غير أهبة بتفويضه إياه ، وصرف المدد في إثره ، وتوفي لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين [لفعله ذلك] ^(٧) .

(١) ساقطة في المخطوطين .

(٢) ساقطة في المخطوطين ، واردة في « ر . م » .

(٣) ساقطة في المخطوطين واردة في « ر . م » .

(٤) وردت في المخطوطين : في بيعته .

(٥) هكذا في « ر . م » . وفي المخطوطين : الأمير .

(٦) هكذا وردت في « ر . م » . وفي المخطوطين : (وصرفه وعهده) .

(٧) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : (تفعله ذلك) . وأغفلها « ر . م » .

مُلْكُهُ وَوَصْفُ حَالِهِ

فأفضى إليه ملك أبيه ، بتفويضه إياه في حياته ، لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وكان بطلاً شجاعاً حسن الرّكبة والهيئة، سالكاً ناموس الشريعة، مائلاً إلى طريقة المستقيمين ، وكُتِبَ المرّدين ؛ قيل إنه لم يشرب قط مُسكرًا ولا استمع إلى قينة^(١)، ولا اشتغل بلذة^(٢) مما يلهو بها الملوك .

الثناء عليه

قال ابن الصيرفي : وكان بطلاً شجاعاً ، أحبه الناس ، خواصهم وعوامهم وحسنت سياسته فيهم ، وسدّ الثُّغور ، وأذكى على العدو العيون ، وآثر الجند ، ولم يكن منه إلا الجِدُّ ، ولم تنل عنده الحظوة^(٣) إلا بالعناء والنجدة . وبذلك حمل على الخيل ، وقلد الأسلحة ، وأوسع الأرزاق واستكثر من الرماة ، وأركبهم ، وأقام همّتهم [للاعتناء بالثغور ومباشرة الحرب ، ففتح الحصون وهزم الجيوش وهابه العدو]^(٤) ولم ينهض إلا ظاهراً^(٥) ولا صدر إلا ظافراً^(٦) . وملك الملك ومهد بالحزم . وتملك نفوس الرعية بالعدل ، وقلوب الجند بالتصّفة . ثم قال : ولولا الإختصار الذي اشترطناه لأوردنا من سنّ^(٧) خلاله ما يضيق عنه الرّحْب ، ولا يسعه الكتّاب .

(١) وردت محرفة في المخطوطين : (غنية . عينة) .

(٢) هكذا في « ك » و « ر . م » . وفي « ج » بمرة .

(٣) هكذا في « ر . م » . وفي المخطوطين : حظوة .

(٤) الزيادة ما بين الخاصرتين واردة في « ر . م » فقط .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي « ر . م » ظهر .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي « ر . م » ظفر .

(٧) هكذا في « ج » . وفي « ك » : (من سنن خلاله) . والأولى أرجح .

دينه

قال المؤرخ ، عكف على زيارة قبر أبي وهب الزاهد بقرطبة، وصاحب أهل الإرادة، وكان وطىء الأكناف^(١) ، سهل الحجاب ، يجالس الأعيان ويذاكرهم ؛ قال ابن الصيرفى ، ولما قدم غرناطة أقبل على صيام النهار ، وقيام الليل ، وتلاوة القرآن ، وإخفاء الصدقة^(٢) ، [وإنشاء العدل]^(٣) ، وإيثار الحق .

دُمَاتِهِ

قالوا مريوماً بمرج القرون ، من أحواز قلعة يحصب^(٤) ، فقال لزَمَّال من عبيده كان يمازحه هذا مرجك ؛ فقال الزَمَّال ، ما هو إلا مرجك ومرج أيبك ، وأما أنا فمن أنا ؟ فضحك وأعرض عنه .

دخوله غرناطة

قالوا ، وفي عام ثلاثة وعشرين وخمسة ، ولى الأمير أبو محمد تاشفين بن أمير المسلمين على بن أمير المسلمين يوسف ، ووافاها فى السابع عشر لذى حجة ؛ فقوى الحصون وسد الثغور وأذكى العيون ، وعمد إلى رحبة القصر ، فأقام بها السقائف والبيوت ، واتخذها لخزن السلاح ومقاعد الرجال ، وضرب السهام^(٥) ؛ وأنشأ السقي ، وعمل

(١) أى النواحي .

(٢) هكذا فى « ر . م » . وفى المخطوطين : صدقته .

(٣) هذه الزيادة واردة فقط فى « ر . م » .

(٤) وردت محرفة فى المخطوطين : (يصعب) . وقلعة يحصب من حصون غرناطة القديمة . وكانت

تعرف بقلعة بنى سعيد . وقد سبق التعريف بها (انظر الحاشية فى ص ١١٧) .

(٥) هكذا وردت فى « ر . م » . وفى المخطوطين : الهام .

التراس ، ونسج الدروع ، وصقل البيضات والسيوف ، وارتبط ^(١) الخيل ، وأقام المساجد في الثغور ، وبنى لنفسه مسجداً بالقصر ، وواصل الجلوس ، للنظر في الظلمات ^(٢) ، وقراءة الرقاع ، وردّ الجواب ؛ وكتب التوقيعات ، وأكرم الفقهاء والطلبة ، وكان له يوم في كل جمعة ، يتفرغ فيه للمناظرة .

وزراؤه

قال أبو بكر ؛ وقرن الله به ممن ورد معه ، الزبير بن عمر اللّمتوني ، نُدرة ^(٣) الزمان كرمًا وبسالة ، وحزمًا وأصالة ، فكان كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولي شيئًا من أمور المسلمين فأراد الله به خيرًا ، جعل الله له بطانة خير ، وجعل له وزيراً صالحاً ، إن نسي شيئًا ذكره ، وإن ذكره أعانه » .

عمّاله

الوزير أبو محمد الحسين بن زيد بن أيوب بن حامد بن منحل ^(٤) [بن يزيد] ^(٥) .

كتّابه

الرئيس العالم أبو عبد الله بن أبي الخصال ، والكاتب المؤرخ أبو بكر الصيرفي [وغيرهم] ^(٦) .

(١) هكذا في « ر . م » . وفي المخطوطين : ورباط .

(٢) وردت في المخطوطين : الظلمات : والتصويب من « ر . م » .

(٣) هكذا وردت في « ك » و « ر . م » . وفي « ج » : نورة .

(٤) هكذا وردت في « ج » . و « ر . م » . وفي « ك » : محمد .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد فقط في « ر . م » .

(٦) الزيادة واردة فقط في « ر . م » .

ومن أخبار [جهاده] ^(١)

خرج الأمير تاشفين في رمضان عام أربعة وعشرين وخمسمائة بجيش غرناطة ومطوّعتها ، واتصل به جيش قرطبة إلى حصن السّكة من عمل طليطلة ، وقد اتخذه العدو ركاباً لإضراره بالمسلمين وشحنه وجَمَّ به شوكة حادة بقومس ^(٢) مشهور ؛ فأحرق به ، ونشر الحرب عليه ، فافتتحه عنوة ، وقتل من كان به ، وأحيا ^(٣) قائده « فِرَنْد » ^(٤) ومن معه من الفرسان ، وصدر إلى غرناطة ، فبرز له الناس بروزاً لم يُعهد مثله . وفي شهر صفر من عام خمسة وعشرين أوقع بالعدو المضيق على أوليته . وفي ربيع الأول من عام ستة وعشرين ، تعرّف خروج عدو طليطلة إلى قرطبة ، فبادر الأمير تاشفين إلى قرطبة ، ثم نهّد ^(٥) إلى العدو في خَفٍّ ، وترك السيقة والثقل بأرجونة . وقد اكتسح [العدو] ^(٦) بشت إسطبين ^(٧) والوادي الأحمر . وأسرى الليل ، وواصل الركض ، وتلاحق بالعدو بقرية براشة . فتراءى الجمعان صُبْحاً ، وافتضح الجيش ، ونشرت الرّماح ^(٨) والرايات ، وهذّرت الطبول ، وضاعت المسافة ، وانتبذ العدو عن الغنيمة ؛ والتف الجمع ، فتقصرت الرّماح ، ووقعت المسابقة ، ودارت الحرب على العدو ، وأخذ السيف مأخذه ، فأتى القتل على آخرهم ، وصدر إلى غرناطة ظاهراً . وفي آخر هذا العام خرج العدو « للنمط » وقد احتفل في جيشه

(١) الزيادة واردة فقط . في « ر . م » . ووردت في المخطوطين : ومن أخباره .

(٢) القومس هنا من ألقاب الشرف ، وهو باللاتينية Comes أو الكونت .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي « ر . م » : واستحى .

(٤) هكذا في « ر . م » . وفي المخطوطين : « فرنك » . وفرند هو Fernando .

(٥) أى يرز .

(٦) واردة فقط في « ر . م » .

(٧) هكذا في « ر . م » ، وهو الرسم الصواب لهذا الاسم . وفي المخطوطين : (بشط اشطن) .

وهو تحريف . وشتت اشطين وبالإسبانية San Esteban قاعدة حصينة قديمة من قواعد ولاية جيان .

(٨) في المخطوطين : الريح .

إلى بلاد الإسلام ، فصَبَحَ إشبيلية يوم النصف من رجب ، وبرز إليه الأمير أبو حفص عمر بن علي بن الحاج ، فكانت به الدِّبْرَةُ ^(١) في نفر من المسلمين استشهد جميعهم ؛ ونزل العدو على فرسخين من المدينة فجَلَّلَها ^(٢) نهباً و غارةً ، فقتل عظيمًا ، وسبي عظيمًا ؛ وبلغ الخبر الأمير تاشفين ، فطوي المراحل ، ودخل إشبيلية ، وقد أَسْرَها ؛ واستؤصلت باديتها ، وكثر بها التأديب والتنكيل ^(٣) ، فأخذ أعقاب العدو ، وقد قصد ناحية بَطْلَمْيُوس وباجة ويابرة ^(٤) في ألف عديدة من أنجاد الرجال ، ومشهور الأبطال ، [فراش جَوْلًا عَهْدًا بالرَّوع] ^(٥) ، فظَفِرَ بما لا يحصيه أحد ، ولا يقع عليه عدد ؛ واثنى على رِشْلِ ^(٦) انتقل السيقية ، وثقته ببعد الصَّارِخ ، وتجشمت بالأمير تاشفين الأدلاء كل ذِرْوَةٍ وثَنِيَّةٍ ، وأفضى به الإعداد إلى فلاة بقرب الزَّلَاقَةِ ، وهو المهيَّع الذي يضطر العدو إليه ، ولم يكن إلا كلاً ولا ، حتى أقبلت الطلائعُ منذرةً بإقبال العدو ، والغنيمة في يده قد ملأت الأرض ؛ فلما تراءى الجمعان ، واضطربت الحلات ، ورتبت المراكب ، فأخذت مصافَّها ، ولزمت الرجال مراكبها ، فكان القلب مع الأمير ووجوه المرابطين وأصحاب الطاعات ، وعليه البنود الباسقات ، مكتَّبة بالآيات ، وفي المجتَبين ^(٧) كبار الدولة من أبطال الأندلس ، عليهم تُحْمَرُ الرايات بالصور الهائلة ؛ وفي الجناحين أهل الثغر والأوشاب من أهل الجِلادة ، عليهم الرايات المُرَقَّعات ^(٨) بالعدَّات المجزَّعات ؛

(١) الدبرة أى الهريمة .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » فحللها .

(٣) في المخطوطين : التأكُل .

(٤) بطليوس Badajoz من أعظم قواعد الأندلس القديمة ، وتقع في جنوب غربي إسبانيا على حدود البرتغال . وباجة Beja من قواعد الأندلس القديمة . وتقع بكورة الغرب Algarve جنوبي البرتغال . ويابره Evora تقع في البرتغال شمال باجة ، وقد كانت من أهم قواعد الأندلس البرتغالية .

(٥) وردت هذه العبارة في المخطوطين : (فراس حوالا عهد بالرَّوع) . ونعتقد أن التصويب يؤدي معنى يستقيم مع السياق .

(٦) يبدو أن هنا كلمة ساقطة ، ولعلها « حتى » .

(٧) وردت في « ج » : المجتَبين . ومكانها بياض في « ك » .

(٨) أعنى خرق الألوية .

وفي المقدمة مشاهير زَنَاتِهِ^(١) ولَفَيْفُ الحِشْمِ بالرايات المصبغات، والأعلام المذبذبات^(٢).
 والتقى الجمعان ، ونزل الصبر، وَحَمِيَّتِ النفوس ، واشتدَّ الضرب والضَّراب ، وكثُرَتِ
 الحملات ؛ فهزم الله الكافرين ، وأعطوا رقابهم مُدَبِّرِينَ ، فوقع القتل ، واستلَحَمَ
 العدوَّ السيفُ ، واستأصله الهلاك والأسار ؛ وكان فتحاً جليلاً لا كفاء له ، وصدر
 الأمير تاشفين ظافراً إلى بلده في جمادى من هذا العام . ولو ذهبنا لاستقصاء حركات
 الأمير تاشفين وظهوره لاستدعى ذلك طويلاً كثيراً .

بعض ما مدح به

فمن ذلك :

أما وبيضُ الهند عنك خصوم فالروم تبذل ما ظبأك تروم
 تمضي سيوفك في العدا ويردها^(٣) عن نفسه حيث الكلام وخيم
 وهذه القصائد قد اشتملت على أغراضها الحماسية . والمثلک سوقٌ يجلب إليها
 ما يُنفق عندها .

وفاته

قد تقدم انصرافه عن الأندلس سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، وقيل سنة
 اثنين ، واستقراره بمراكش مرووساً لأخيه سير ، الى أن أفضى إليه الأمر بعد أبيه ؛
 قال ، واستقبل تاشفين مدافعة جيش [أمير]^(٤) الموحدين ، أبي محمد عبد المؤمن بن

(١) من أشهر القبائل البربرية ، وموطنها شرق مراكش في جنوبى منطقى تلمسان ووهران .

(٢) أى المزرکشة .

(٣) وردت في المخطوطين : وبردھا .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . ويستلزمها السياق .

على خليفة مهديهم ، ومقاومة أمر قضى الله ظهوره ، والدفاع عن مُلكٍ بلغ مداه ، وتمّت أيامه ، كتابُ الله عليه ؛ فالتأثَّ سَعْدُهُ ، وفُلَّ جَدُّهُ ، ولم تُقَمْ له قائمةٌ إلى أن هُزم ، وتبدّد عسكره ، ولجأ إلى وَهْران ، فأحاط به الجيش ، وأخذ الحصار ؛ قالوا فكان في تديره أن يلحق ببعض السواحل ، وقد تقدم به وصول ابن ميمون قائد أسطوله ، ليرفعه إلى الأندلس ؛ فخرج ليلاً في نفر من خاصّته فرّقهم الليل ، وأضلّهم الرّوع ، وبدّدتهم الأوعار ، فمنهم من قتل ، ومنهم من لحق بالقطائع البحرية ؛ وتردّى بتاشفين فرسه من بعض الحافّات ، ووُجد ميتاً في الغد ، وذلك ليلة سبع^(١) وعشرين لرمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ؛ وصلبه الموحّدون ، واستولوا على الأمر من بعده ، والبقاء لله تعالى^(٢) .

ثابت بن محمد الجرجاني ثم الإستراباذي^(٣)

يكنى أبا الفتوح .

حاله

قال ابن بسّام ؛ كان الغالب على أدواته علمُ اللّسان ، وحفظ الغريب ، والشعر الجاهلي والإسلامي ، إلى المشاركة في أنواع التعاليم ، والتصرّف في حمل السلاح ، والحدق بأنواع الجنّدية ، والنفاذ في أنواع الفروسية ، فكان الكامل في خلال جمّة . قال أبو مروان ؛ ولم يدخل الأندلس أكمل من أبي الفتوح في علمه وأدبه . قال ابن زيدون ،

(١) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » : تسع .

(٢) روجعت هذه الترجمة بأكملها على مخطوط « رواق المغاربة » بالأزهر .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة : (الأستريادي) ، وهو تحريف . وصوابه الإستراباذي نسبة

إلى إستراباذ . وهي بلد فارسية قديمة من أعمال طبرستان ، وإليها ينتسب كثير من العلماء .

لقيته بغرناطة ، فأخذت عنه أخبار المشاركة ، وحكايات كثيرة ؛ وكان غزير الأدب ، قوى الحفظ فى اللغة ، نازعاً إلى علم الأوائل من المنطق والنجوم والحكمة ، له بذلك قوة ظاهرة .

طروؤه على الأندلس

قال صاحب الذخيرة ؛ طرأ على الحاجب منذ صدر الفتنة للذائع من كرمه ، فأكرمه ورفع شأنه ، وأصبحه ابنه ، المرشح لمكانه ، فلم يزل له بهما المكان المكين ، إلى أن تغير عليه يحيى لتغير الزمان ، وتقلب الليالى والأيام بالإنسان^(١) ؛ ولحق بغرناطة بعسكر البرابرة ، فحلت به من أميرهم باديس الفاقرة^(٢) .

من روى عنه

قال أبو الوليد ؛ قرأت عليه بالحضرة^(٣) الحماسة فى اختيار أشعار العرب ، يحملها عن أحمد بن عبد السلام بن الحسين البصرى ، ولقيه ببغداد سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ، عن أبى ريش أحمد بن أبى هشام بن شبلى العباسى بالبصرة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ؛ وله^(٤) فى الفضائل أخبار كثيرة .

محنه ووفاته

لحقه عند باديس مع ابن عمه يدّير بن حُباسة تهمة فى التديير عليه ، والتسوّر على سلطانه ، دعتهما إلى الفرار عن غرناطة ، واللّحاق بإشبيلية . قال أبو يحيى الورّاق ؛ واشتدّ شوق أبى الفتوح إلى أهله عند هربه مع يدّير إلى إشبيلية لما بلغه أن باديس

(١) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : بالأسن .

(٢) الفاقرة أى الداهية .

(٣) وردت محرفة فى المخطوطين : (بحضرى . بحضرة) . والحضرة هنا أعنى غرناطة .

(٤) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

قبض على زوجته وابنه وحبسهم بالمنكب عند العبد قدّاح صاحب عذابه ، وكان لها من نفسه موقعٌ عظيم^(١) ، وكانت أندلسية جميلة جداً لها طفلان ذكرٌ وأنثى ، لم يُطَقْ عنهما صبراً ، وعمل على الرجوع إلى باديس طمعاً في أن يصفح عنه ، كما عمل مع عمّه أبي ريش ؛ فاستأمن إلى باديس يوم نزوله على باب إستجة إثر انهزام عسكر ابن عباد ، وفارق صاحبه يدّير ، ورمى هو^(٢) بنفسه إلى باديس من غير توثّق بأمان أو مراسلة ؛ فلما أُدخل^(٣) عليه وسلم ، قال له ابتدى ، بأى وجهٍ جئتني يا نمام^(٤) ما أجراك على خَلْقِكَ ، وأشدّ اغترارك^(٥) بسحرك ، فرقت بين بنى ما كُسنْ ، ثم جئت تخدعني كأنك لم تصنع شيئاً ؛ فلاطفه ، وقال اتق الله ياسيدى ، وارع ذمامى ، وارحم غُربى وسوء مقامى ، ولا تُلْزِمْنِي ذنب ابن عمك ، فما لى سبب فيه ، وما حملنى على الفرار معه إلا الخوف على نفسى لسابق خُلطته ؛ ولقد لَفَظْتَنِي البلاد إليك مُقرّاً بما لم أجنيه رغبة في صفحك ، فافعل أفعال الملوك الذين يَجْلُونَ عن الحقد على مثلى من الصعاليك ؛ قال بل أفعَلُ ما تستحقّه إن شاء الله ؛ أن تنطلق إلى غرناطة ، فدُم [على]^(٦) حالك ، والى أهلك إلى [أن]^(٧) أُقبِل ، فأصلح من شأنك . فاطمأن إلى قوله ، وخرج إلى غرناطة وقد وُكِّل به فارسان ، وقد كتب إلى قدّاح بحبسه ؛ فلما شارف إلى غرناطة قبض عليه ، وحلّق رأسه ، وأركب على بعير ، وجعل خلفه أسودٌ فظٌّ ضخم يوالى صفّعه ، فأدخل البلد مُشَهَّراً ، ثم أودع حبساً ضيقاً ، ومعه رجل من أصحاب يدّير أسرفى الواقعة من صِنْهاجة ، فأقاما في الحبس معاً إلى أن قفل باديس .

(١) وردت في المخطوطين : عظيمة .

(٢) أثبتها « ج » . وأغفلها « ك » .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » . دخل .

(٤) وردت في المخطوطين : (إتمام) . وقد رجحنا هذا التصويب الذى يستقيم به السياق .

(٥) وردت في المخطوطين : اغتراك . وهو تحريف .

(٦) ساقطة في المخطوطين . ويستلزمها السياق .

(٧) زيادة يستلزمها السياق .

مقتله

قال أبو مروان في الكتاب المسمى بالتيسير^(١) ؛ واستراح [باديس]^(٢) أياماً في غرناطة يهيم^(٣) بذكر الجرجاني ، ويعرض أنامله ، فيعارضه فيه أخوه بُلْكِين ، ويكذب الظنون وسعى في تخليصه ، فارتبك باديس في أمره أياماً ، ثم غافض^(٤) أخاه بلكين فقتله وقتاً أمن فيه [أمر]^(٥) معارضته ، لاشتغاله بشراب وآلة^(٦) ، وكانت من عادته ؛ فأحضر باديس الجرجاني إلى مجلسه ، وأقبل يشتمه ويسبه ويُبَكِّتُه ، ويطلق الشماتة ويقول ، لم تُتَقِنْ عنك نجومك يا كذاب ، ألم يعد أميرك الجاهل ، يعني يدِير ، أنه سوف يظفر بي ويملكُ بلدى ثلاثين سنة ، لِمَ لم تدقق^(٧) النظر لنفسك وتحذر ورطتك ؛ قد أباح الله لي دمك . فأيقن^(٨) أبو الفتوح بالموت ، وأطرق ينظر إلى الأرض ، لا يكلمه ولا ينظر إليه ؛ فزاد ذلك في غيظ باديس ، فوثب من مجلسه والسيفُ في يده ، فخبط به الجرجاني حتى جدَّ له ، وأمر بحزَّ رأسه ؛ قال ، وقُدِّم الصِّنهاجي الذي كان محبوساً معه إلى السيف ، فاشتد جزعُه ، وجعل يعتذر من خطيئته ، ويلحُّ في ضراعتِه^(٩) ؛ فقال له باديس أما تستحي يا ابن الفاعلة ؛ يصبر المعلم الضعيفُ القلب على الموت مثل هذا الصبر ، ويملكُ نفسه عن كلامه لي واستعطاني ،

(١) وردت محرفة في المخطوطين : بالتين .

(٢) ساقطة في المخطوطين : واردة في « ت » .

(٣) هكذا في « ل » وفي « ج » : يهم .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : عافص . وغافض أخاه أعنى فاجأه وأخذه على غرة .

(٥) واردة في « ج » . وساقطة في « ك » .

(٦) في « ك » : والآلة . وفي « ج » : وآله .

(٧) وردت في « ح » محرفة ، تدقن . وفي « ل » : تتقن ، والمؤدى واحد .

(٨) وردت محرفة في المخطوطين : (فايق) .

(٩) وردت في المخطوطين : غراصته .

وأنت تجزع مثل هذا الجزع ، وطال ما أعددت نفسك في أشدّاء الرجال ، لا أقال
اللهُ مقيلاً ؛ فضرب عنقه ، وانقضى المجلس .

ومن تمام الحكاية مما جلبه ابن حيان . قال ، وكلم الصنهاجيون باديس في جئته
صنهاجهم^(١) المقتول مع أبي الفتوح ، فأمرني بإسلامها إليهم ، فخرجوا بها من فورهم
إلى المقبرة على نعش ، فأصابوا قبراً قد احتفر لميت من أهل البلد ، فصبّوا صاحبهم
الصنهاجي فيه ، وواروه من غير غسل ولا كفن ولا صلاة ، فعجب الناس من
تسحيهم^(٢) في الاغتصاب حتى الموتى في قبورهم .

مولده

سنة خمسين وثلاثمائة .

وفاته

كما ذكر ليلة السبت لاثنتين بقيتا من محرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ؛ قال
برهون من خدام باديس : أمرني بمواراة أبي الفتوح إلى جانب [قبر]^(٣) أحمد بن
عباس وزير زهير العامري ، فقبراها في تلك البقعة متجاوران^(٤) ، وقال اجعل
قبر عدوّي إلى جانب عدو إلى يوم القيصاص ، فيالها قبران أجبا^(٥) أذبالا كفاء له ،
والبقاء لله سبحانه .

(١) كذا في « ج » . وفي « ك » : ضهاهم .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : تسحيهم .

(٣) واردة في « ج » . وساقطة في « ك » .

(٤) في المخطوطين : مجاورا / .

(٥) في « ج » : احما . وفي « ك » : احبا .

جعفر بن أحمد بن علي الخزاعي

من أهل غرناطة ؛ ويعسوب الثاغية والراغية^(١) من أهل ربض البيازين^(٢) ،
يكنى أبا أحمد الشهير ذكره بشرق الأندلس ، المعروف بكرامة الناس ، المقصود
الحفرة ، المحترم التربة حتى من العدو ، والرائق بغير هذه الملة . خرج قومه من
وطنهم عند تغلب العدو على الشرق ، فنزلوا ربض البيازين ، جوفى المدينة ،
وارتاشوا ، وتلثموا^(٣) ، وبنوا المسجد العتيق ، وأقاموا رسم الإرادة ، يرون أنهم
تمسكوا من طريق الشيخ أبي أحمد بآثاره ، فلا يغبئون بيته ، ولا يقطعون اجتماعاً ؛
على حالهم المعروفة من تلاوة حسنة ، وإيثار ركعات ، ثم ذكر ثم ترجيع أبيات
في طريق التصوف ، مما يُنسب للحسين بن منصور الحلاج^(٤) وأمثاله ، يعرفونها
منهم مشيخة ، قوالون هم [فحول]^(٥) الأجمة وضرائك^(٦) تلك القطيعة ، يهيجون
بلا بلهم ، فلا ينشبون أن يحمى وطيسهم ، ويخلط مريعهم بالهمل^(٧) ، فيرقصون
رقصاً غير مُساق للالقياع الموزون ، دون العجال^(٨) الغالبة منهم ، بإفراد كلمات من
بعض المقول ، ويكرّ بعضهم على بعض ، وقد خلعوا خشن ثيابهم ، ومرتوعات
قباطيهم ودرانيكهم^(٩) ، فيسدم حالهم حتى يتصببوا عرقاً ، وقوالهم يحرقون

(١) يعسوب أى رئيس. والثغاء هو صريخ الشاة ، والرغاء هو صوت البعير . والمقصود أهل الشغب .

(٢) هو أحد أحياء غرناطة . وسبق التعريف به (انظر الحاشية فى ص ٣٩٥) .

(٣) هكذا فى المخطوطين : وقد يعنى ذلك أنهم اتخذوا طريقة الملتزمين أى المرابطين الدينية .

(٤) سبق التعريف به (انظر الحاشية فى ص ٢٢٦)

(٥) وردت فى المخطوطين : فعل . والتصويب لازم للسياق .

(٦) وردت فى المخطوطين صراديك . ونرجح أنها « ضرائك » ومعناها النسور .

(٧) مريعهم أعنى أكابره . والهمل ، الأصاغر والرعاع .

(٨) هكذا « فى » ك . وفى « ج » : الجعال .

(٩) قباطيهم ودرانيكهم . من الواضح أنها من أصناف الثياب التى يرتديها أهل هذه الطريقة .

فتورهم ، وَيَزْمِرُونَ رُوحَهُمْ ، يخرجون بهم من قول إلى آخر ، وَيَصِلُونَ الشَّيْءَ
بمثله ، فر بما أخذت نوبة رقصهم بطرفي الليل التمام ، ولا تزال المشيعة لهم يدعونهم ،
ويحاجونهم^(١) إلى منازلهم ؛ وربما استدعاهم السلطان إلى قصره مُحَضّاً في لطائف
نعيمه باخشيشانهم ، مبدياً التبرُّك بألويتهم^(٢) ؛ ولهم في الشيخ أبي أحمد والد
نحلتهم ، وشحنة قلوبهم ، عصبية له ، وتقليد يائثاره ، أنفجّت^(٣) لعقده أيمانهم ،
وشرط في صحة دينهم ، وارتكبوا في النفور عن سماع المزمار القصبي المسمى
بالشّابة الذي أرخص في حضور الولائم ، مع نفخ برّعه العدد^(٤) الكثير من الجلة
الصلحاء القدوة مرتكباً ، حتى ألحقوه بالكبائر الموبقة ، وتعدّوا اجتنابه جيلة
وكرهة طباعية ، فتزوى عند ذكره الوجوه ، وتُقتحم عند الاتهام به الدور ،
وتسقط فيما بينهم بفلة سماعه أخوة الطريق ؛ وهم أهل سذاجة وسلامة ، أولو اقتصاد
في ملبس وطعمة واقتيات بأدنى بُلغة ، ولهم في التعصب نزعة خارجية^(٥) ، وأعظمهم
ما بين مُكتسب^(٦) مُتسبّب ، وبين معالج مدرة ، ومُرّيع حياكة ، وبين
أظهرهم من الذّعة^(٧) والصعاليك كثير ؛ والطّرُق إلى الله عدد أنفاس الخلايق ،
جعلنا الله ممن قبل سعيه ، وارتضى ما عنده ، ويسره ليسرى .

حاله

قام هذا الرجل مقام الشيخ أبي تمام قريبه على هيئة مهلكه ، فسدّ مسدّه ، على

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : (ويحاجون بهم) .

(٢) وردت محرفة في المخطوطين : (بالوميهم . بالوليمهم) .

(٣) أغنى أثارت وأخرجت .

(٤) كذا في « ك » . وفي « ج » : العود .

(٥) نسبة إلى مذهب الخوارج .

(٦) وردت محرفة في المخطوطين : مكسب .

(٧) هكذا في « ك » . وفي « ج » : الزرعة .

حال فتور وعرارة^(١) حتى لان له متنُ الخطّة ، وخف عليه بالمران نُقلُ الوظيفة ، فأمّ وخطب ، وقاد الجماعة من أهل الإرادة . وقضى في الأمور الشرعية بالرّبّض ، تحت ضيّب^(٢) قاضي الجماعة . وهو الآن بعده على حاله ، حسنُ السّجّية ، دميّ الأخلاق ، ليّن العريكة ، سهل الجانب ، مقتن الصدق والعفة ، ظاهر الجدة ، محمود الطريقة ، تطأه أقدام الكُلف ، وتطرح به المطارحُ القاصية ، حوا على الشّفاعات ، مستور الكفاية في لَفَق الضعف ، متوالى شعلة الإدراك في حِجْر الغفلة ، وجهٌ من وجوه الحضرة في الجمهوريّة ، مرعى الجانب ، مخفّف الوظائف ، مقصوداً من مُنتامى^(٣) أهل طريقه بالهدايا ، مُستدعى إلى من بالجهات منهم في كثير من الفصول ، ظاهرُ الجدوى في تَفِير الجهاد ، رحمه الله ، ونفع بأهل الخير .

مولده

عام تسعة وسبعائة .

وفاته

[يوم الإثنين التاسع والعشرين لرمضان خمسة وستين وسبعائة]^(٤) .

جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونة الخزاعي

من أهل شرق الأندلس من نظر^(٥) دانية ، يكنى أبا أحمد الولي الشهير .

(١) وردت في المخطوطين وعرارة . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) تحت ضيّبه أى في كتفه وتحت رباطه .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » : متنافي . والمقصود هنا أنصار أهل الطريقة .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط في « ك » . وفي « ج » أثبتت « الوفاة » قبل « المولد » .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » : سفر . وربما كانت « ثغر » وحرفت . وقد سبق التعريف

بدانية (انظر الحاشية في ص ٢٧١) .

حاله

كان أحد الأعلام المنقضي القرين في [طريق]^(١) كتاب الله، وأولى الهداية الحقة، فذ، شهير، شائع الخلّة، كثير الأتباع، بعيد الصيت، توجب حقه حتى الأمم^(٢) الدائنة بغير دين الإسلام، عند التغلب على قرية^(٣) مدفنه بما يقضى منه بالعجب؛ قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عند ذكره في الصّلة: أحد الأعلام المشاهير^(٤) فضلاً وصلاً، قرأ ببلنسية، وتفقه، وكان يحفظ نصف « المدوّنة »^(٥) وأقرأها، ويؤثر الحديث والتفسير والفقه، على غير ذلك من العلوم.

[مشيخته]^(٦)

أخذ القراءات السبع عن المقرئ أبي الحسن بن هذيل، وأبي الحسن بن النّعمة؛ ورحل إلى المشرق، فلقى في رحلته جلة، أشهرهم وأكبرهم في باب الزهد وأنواع سنى الأحوال، ورفيع المقامات، الشيخ الجليل، الولي لله^(٧) تعالى، العارف^(٨)، أبو مدين شعيب بن الحسين المقيم ببجاية؛ صحبه وانتفع به، ورجع من عنده بعجايب دينية، ورفيع أحوال إيمانية؛ وغلبت عليه العبادة، فشهر بها حتى رحل إليه الناس للتبرك بدعائه، والتمن برؤيته ولقائه، فظهرت بركته على القليل والكثير منهم^(٩)،

(١) واردة في « ك ». وساقطة في « ج ».

(٢) هكذا في « ك »، وفي « ج » الإمام.

(٣) وردت في المخطوطين: قراءة. والمرجح التصويب. وبه يستقيم المعنى.

(٤) هكذا في « ك ». وفي « ج » الشهيرة.

(٥) يرجع في التعريف بهذا المصنف إلى الملحق الخاص بالكتب.

(٦) ساقطة في المخطوطين. وقد اثبتناها تمشياً مع طريقة المؤلف. والظاهر أنها سقطت سهواً.

(٧) في المخطوطين: الولي.

(٨) وردت فقط في « ك ».

(٩) وردت هذه الكلمة في المخطوطين بعد كلمة بركته. وقد أخرجناها ليستقيم السياق.

وارتووا زلّالا من ذلك العذب النّير ، وحظه من العلم مع عمله الجليل موفور ،
وعلمهُ وعملهُ نورٌ على نور . لقيت قريبه الشيخ أبا تمام^(١) غالب بن حسين بن سيد بُونِه
حين ورد غرناطة ، فكان يحدث عنه بعجائب .

دخوله غرناطة

وذكر المعتنون بأخباره بالحضره إلى طريقه ، أنه دخل الحضرة وصلى في رابطة
الرُّبُط من باب . . .^(٢) وأقام بها أياماً ، فلذلك المسجد المزية عندهم إلى اليوم .
وانتقل الكثير من أهله وأذياه عند تغلب العدو على الشرق على بلادهم ، إلى هذه
الحضرة ، فسكنوا منها ربض البيّازين ، على دين وانقباض وصلاح ، فيحجون
بكنوز من أسرارهِ ، ومبشراتهُ مضمون^(٣) بها على الناس . وبالحضرة اليوم منهم
بقية تقدّم الإلماع بذكرهم .

وفاته

توفي رحمه الله بالموضع المعروف بزناة في شوال سنة أربع وعشرين وستمائة ،
وقد نيفَ على الثمانين .

الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري

نشأ بغرناطة ، يكنى أبا علي ، ويعرف بابن الناظر .

(١) وردت في المخطوطين : « أبو تمام » . والخطأ في رسم الأسماء الخمسة شائع في المخطوطين .
ونعتقد أنه سهو الناسخ .

(٢) بياض في المخطوطات الثلاث .

(٣) في المخطوطين : مضمون .

حاله

كان متفناً في جملة معارف ، أخذ من كل علم سنى بحظ وافر ، [حافظاً]^(١) للحديث والتفسير ، ذا كراً للأدب واللغة والتواريخ ، شديد العناية بالعلم ، مكباً على استفادته وإفادته ، حسن اللقاء لطلبة العلم ، حريصاً على نفعهم ، جميل المشاركة لهم . وقال الأستاذ : كان من بقايا أهل الضبط والإتقان لما رواه ، وآخر مقرئ القرآن ، ممن يُعتبر^(٢) في الأسانيد ومعرفة الطرق والروايات ، متقدماً في ذلك على أهل وقته ؛ وهو أوفر من كان بالأندلس في ذلك ؛ [أقرأ]^(٣) القرآن والعربية بخرابة مدة ، ثم انتقل إلى مالقة فأقر أبها يسيراً ؛ ثم انقبض عن الإقراء ، وبقي خطيباً بقصبة مالقة نحواً من خمسة وعشرين سنة ؛ ثم كثر منتقلاً إلى غرناطة ، فولى قضاء المريّة ، ثم قضاء بسطة ، ثم قضاء مالقة .

« وصمته » ؛ قال الأستاذ : إلا أنه كان فيه خُلُق^(٤) أخلت به ، وحملته على إعداء ما ليس من شأنه ؛ عفا الله عنه ، فكان ذلك مما يُزهد فيه .

مشيخته

روى عن الأستاذ المقرئ أبي محمد عبد الله بن حسين الكوَّاب ، أخذ عنه قراءة السبع وغير ذلك ، وعن أبي علي وأبي الحسن بن سهل بن مالك الأزدي ، وأبي عبد الله محمد بن يحيى المعروف بالحلبى ، وجماعة غير هؤلاء ؛ ورحل إلى إشبيلية فروى بها عن الشيخ الأستاذ أبي علي أكثر كتّاب سيبويه تفقهاً ، وغير ذلك .

(١) وردت فقط في « ك » .

(٢) وردت في المخطوطين : يعبد . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٣) ساقطة في المخطوطين . ويستلزمها السياق .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » خلة . والمؤدى واحد .

وأخذ عن جماعة كثيرة من أهلها ، وقدم عليها إذ ذاك القاضي أبو القاسم بن بَقيّ ،
فلقيه بها وأخذ عنه ؛ ورحل إلى بلنسية ، فأخذ بها عن الحاج [أبي الحسن] ^(١)
ابن خيرة ، وأبي الربيع بن سالم ؛ وسمع عليه جملةً صالحةً كآبي عامر بن يزيد بن
أبي العطاء بن يزيد وغيرهم ؛ وبجزيرة شُقر عن أبي بكر بن وضّاح ؛ وبمرسية عن
جماعة من أهلها ؛ وبأريولة عن أبي الحسن بن بَقيّ ؛ وبمالقة عن آخرين ،
وتحصّل له جماعة نيفوا على الستين .

« تصانيفه » ؛ منها المُسلسلات ، والأربعون حديثاً ، والترشيد في صناعة
التجويد ، وبرنامج رواياته وهو نبيل .

« شعره » ؛ كان يقرض شعراً لا يُرضى لمثله ، ممن برز تبريزه في المعارف .

مولده

يوم الخميس لاثني [عشر] ^(٢) ليلة بقيت من شوال سنة خمسين وستمائة .
« وفاته » ؛ توفي بغرناطة لأربع عشر ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة
[تسع وتسعين] ^(٣) وستمائة .

الحسن بن محمد بن الحسن النبأى الجذامى

من أهل مالقة ، يكنى أبا على .

أوليّته

قال القاضي المؤرخ أبو عبد الله بن أبي عسكر فيه ؛ من حُسباء مالقة وأعيانها

(١) ساقطة في « لك » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطات الثلاثة . ويقتضى إثباتها السياق .

(٣) وردت في المخطوطين : ثمانين . والتصويب من كتاب قصاة الأندلس (ص ١٢٧) وهو أرجح .

وقضايتها ، وهو جدُّ بنى الحسن الملقين ، وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة ، لم يزالوا يرثون ذلك كابراً عن كابر ؛ استَقْضَى جَدُّه المنصور بن أبي عامر ، وكانت له ولأصحابه حكاية^(١) مع المنصور .

قال القاضي ابن بياض ، أخبرني أبي ، قال : اجتمعنا يوماً في منزله لنا بجهة النَّاعُورَةِ بقرطبة مع المنصور بن أبي عامر في حادثة سنه ، وأوان طلبه ، وهو مُرْتَجٍ مُؤَمِّلٌ ، ومعنا ابن عمه عمر بن عبد الله بن عسقلان ، والكاتب ابن المرعزي ، والفقير أبو الحسن الملقى ؛ وكانت^(٢) سفرة فيها طعام ، فقال ابن أبي عامر من ذلك الكلام الذي كان يتكلم به ، لا بد أن نملك الأندلس ، ونحن نضحك منه ومن قوله . ثم قال : يتمنى كل واحد منكم على ما شاء أوليّه ؛ فقال عمر : أتمنى أن توليني المدينة ، نضرب ظهور الجنّات ؛ وقال ابن المرعزي : وأنا أشتهي الأسفح^(٣) ، القضاء في أحكام السوق ؛ وقال أبو الحسن : وأنا أحب هذه ، أن [تولينى]^(٤) قضاء مالقة بلدى . قال موسى بن غديرون ، قال لى تمن أنت ، فشَقَّقْتُ لحيته بيدي ، واضطربت به وقلت قولاً قبيحاً من قول السفهاء . فلما ملك ابن أبي عامر الأندلس ، ولّى ابن عمه المدينة ، وولى ابن المرعزي أحكام السوق ، وولى أبا الحسن الملقى قضاء رية^(٥) ؛ وبلغ كل واحد ما تمنى ، وأخذ منى ما لا عظيماً أفقرنى لقبح قولى . فبيت بنى الحسن شهير ، وسيأتى من أعلامه ما فيه كفاية .

حاله

قال ابن الزبير ؛ كان طالباً نبيلاً من أهل الدين والفضل والنهى والنباهة .

-
- (١) فى المخطوطين جاءت كلمة (ولأصحابه) ، بعد كلمة (حكاية) . ووضعها فى مكانها أنسب .
 (٢) فى المخطوطين : وكان .
 (٣) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : الأسفنج . والأسفنج ، أعنى الأقل جدوى .
 (٤) وارده فى « ج » . وساقطة فى « ك » .
 (٥) هو الاسم القديم لولاية مالقة .

[« نباهته » ؛ قال ابن الزبير في كتاب نُزهة البصائر والأبصار ، استُقضى
بغرناطة ^(١) .

وفاته

توفي سنة اثنين وسبعين وأربعمائة ؛ ذكره ابن بشكُوال في الصلّة ، وعرف
بولايته قضاء غرناطة ؛ وذكره ابن عسّكر ، وتوهم فيه الملاحى ، فقال ، هو من
أهل البيرة .

حسن بن محمد بن حسن القيسى

من أهل مالقة ، يكنى أبا علي ، ويعرف بالقلنار .

حاله

كان رحمه الله بقيّة شيوخ الأطباء ببلده ، حافظاً للمسائل الطّبية ، ذا كراً للدواء ،
فسيح التجربة ، طويل المزاولة ، متصرفاً في الأمور التي ترجع إلى صناعة اليدين ^(٢)
صدلة وإخراة ^(٣) ، محارباً ، مقدوراً عليه في أخرياته ^(٤) ، ساذجاً ، مُحْشَوْشاً ،
كثير الصحة والسلامة ، محفوظ العقيدة ، قليل المصانعة ، برياً من التّشمت ،
يعالج معيشته بيده في صُباة فلاحه . أخذ صناعة الطب عن أبي الحسن الأركشي ^(٥) ،

(١) ما بين الحاصرتين وارد فقط في « ج » .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » : الدين .

(٣) هكذا في المخطوطين . وقد تعني (صيدلة واختراعاً) .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : آخر أيامه .

(٥) نسبة إلى أركش Arcos وهي بلدة أندلسية صغيرة من أعمال شريش تقع على نهر وادي لكه .

ومعرفة أعيان النبات عن المصحفي ، وسرح معه ، وارتاد منابت^(١) العشب في صحبته ، فكان آخر السحارين^(٢) بالأندلس ؛ وحاول عمل الترياق الفارق بالديار السلطانية عام اثنين وخمسين وسبعائة مبرزاً في اختيار^(٣) أجزائه ، وإحكام تركيبه ، وإقدام على اختبار مرهوب حياته ، قتلاً وصنجاً وتقريراً ، بما يعجب من إدلاله فيه ، وفراشته عليه .

حسن بن محمد بن باصة^(٤)

يكنى أبا علي ، ويعرف بالصعلعل ، رئيس الموقتين بالمسجد الأعظم من غرناطة ؛ أصله من شرق الأندلس .

حاله

كان فقيهاً إماماً في علم الحساب والهيئة ؛ أخذ عنه الجلة والنبهاء ، قائماً على الأطلال والرخائم والآلات الشعاعية^(٥) ، ماهراً في التعديل ، مع التزام السنة ، والوقوف عند ما حدّ العلماء في ذلك ، مداوم النظر ، ذا مستنبطات ومستدركات وتوابع ، تسيج وحده ورخصة وقته .

وفاته

توفي بغرناطة عام ستة عشر وسبعائة .

(١) في المخطوطين : مناقب . والتصويب أرجح .

(٢) هكذا في « ج » وفي « ك » : السحارين .

(٣) هكذا في « ج » وفي « ك » : اختبار .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » ماصه .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » : الشعاعية .

الحسن بن محمد بن علي الأنصاري

من أهل . . . (١) يكنى أبا علي ويعرف بابن كسرى .

حاله

كان متقدماً في حفظ الأدب واللغة ، مبرزاً في علم النحو ، شاعراً مجيداً ،
ممتع المؤانسة ، كثير المواساة ، حسن الخلق ، كريم النفس ، مؤثراً (٢) في نظم
الشعر [في غير فن] (٣) ؛ مدح الملوك والرؤساء ، مؤثراً للحمول على الظهور ، وفي
تخامله يقول شعراً ثبت في موضعه .

مشيخته

روى عن أبي بكر بن عبد الله بن ميمون الكندي ، وأبي عبد الله الكندي ،
وأبي الحكم بن هرودس (٤) ، وأبي عبد الله بن غالب الرضاقي .
« ممن روى عنه » ؛ روى عنه أبو الطاهر أحمد بن علي الهواري السبتي ،
وأبو عبد الله إبراهيم بن جزيرة ، وإبراهيم بن سالم بن صالح بن سالم .

نباهته وإدراكه

من كتاب نزهة البصائر والأبصار ؛ قال القاضي أبو عبد الله بن عسكر ، نقلت

(١) مكانها بياض في المخطوطين .

(٢) ألقى خصباً كثيراً .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : (في فن غير) .

(٤) وردت في المخطوطين : ابن هرودس . والتصويب من صلة ابن الزبير (رقم ١٨٤) . .

من خط صاحبنا الفقيه القاضى رحمه الله ما معناه :

قال ؛ حدثنى الفقيه الأديب أبو على ، قال كنت بإشبيلية ، وقد قصدتها لبعض الملوك ؛ فبينما أنا أسير فى بعض طرقها ، لقيتُ الشيخ أبا العباس ، فسَلَّمْتُ عليه ، ووقفت معه ، وكنت قد ذُكِر لى أن بها رجلا من الصالحين ، زاهداً ، فاضلاً ينتقد من الشعر فى الزهد والرقائق ، بيدائع تعجب [وكان بالمغرب قد قصد الهربى والنادر]^(١) ؛ فسألنى أبو العباس عن مصيرى ، فأعلمته بقصدى ، فرغب أن يصحبنى إليه ، حتى أتينا ، فرأينا رجلاً عاقلاً ، قاعداً فى موضع قذر ، فسلمنا عليه ، فرد علينا ؛ وسألناه عن قعوده فى ذلك الموضع ، فقال أتذكر الدنيا وسيرتها ، فزِدْنَا به غبطة ؛ ثم استنشدناه فى ذلك الغرض من كلامه ، ففكر ساعة ثم^(٢) أنشدنا كلاماً قبيحاً ، تضمن من القبيح ومن الإقذاع والفواحش ما لا يحل سماعه ؛ فقمنا نلغنه ، وخجلت من أبى العباس ، واعتذرت له . ثم اتفق أن اجتمعنا فى مجلس الأمير الذى كنت قد قصدته ؛ فقال أبو العباس ، إن أبا على قد حفظ لبعض الحاضرين شعراً فى الزهد ، من أعذب الكلام وأحسنه ؛ فسألنى الأمير وطلب منى إنشاده ، فحجلى ثم تاب إلى علقى ، فنظمت بيتين فأنشدتهما إياه وهما :

أشهد أن لا إله إلا الله محمد المصطفى رسول الله
لا حول للخلق فى أمورهم إنما الحول كله لله

قال ، فأعجب الأمير ذلك واستحسنه .

ومن مقاماته بين يدى الملوك وبعض حاله ؛ نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضى أبى الحسن بن أبى الحسن ، قال ، المروى منسوب إلى قرية بقرب مالقة ، وهو الذى قال فيه الشيخ أبو الحجاج بن الشيخ رضى الله عنه :

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين . وفقط أدخلنا الباء على كلمة « المغرب » فصارت تؤدى معنى يستقيم مع السياق . وهو أن هذا الزاهد كان أثناء مقامه بالمغرب ينظم القصائد المعضلة النادرة .
(٢) وردت فى المخطوطين كلمة (قال) بعد (ثم) فلم نر موضعاً لإثباتها .

إذا سمعت مَنْ أُسْرَى ومن إلى المسجد أُسْرَى
فَقُلْ ولا تَتَوَقَّفْ أبا علي^(١) بن كسرى

قال وهو قريب الأستاذ الأديب أبي علي^(٢) الإِسْتِجَى^(٣) ومعلمه ، وأحد طلبة
الأستاذ أبي القاسم الشَّهيلي ، ومن نبع^(٤) صغيراً ؛ وارتحل إلى غرناطة ومُرسية ،
وهو الذي أنشد في طفولته السيد أبا إسحق بإشبيلية :

قسماً بِحِمَصٍ^(٥) وإنَّه لعظيم وهى المقامُ وأنت إبراهيم

وكان بالحضرة أبو القاسم الشَّهيلي ، فقام عند إتمامه القصيدة ، وقال لمثل هذا
هذا أحسبك الحسا ، وأواصل في تعليمك الإصباح والإمسا ، وكان يوماً مشهوداً^(٦) .
وأنشد الأمير أبا يعقوب حين حلَّها :

أَمْعَشَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ بهذا استنادى^(٧) في القيامة والعرض
لَقَدْ قَالَ فِيكَ اللَّهُ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ فيقضى بحكم الله فيك بلا نقضٍ
وَإِيَّاكَ يُعْنَى ذُو الْجَلَالِ بِقَوْلِهِ كذلك مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ

وذكره ابن الزبير ، وابن عبد الملك ، وابن عسكر ، وغيرهم .

(١) كذا في « ج » . وفي « ك » : أبو علي .

(٢) في المخطوطين : أبو علي . وهو تحريف كثيراً ما يقع أمثاله في المخطوطين .

(٣) نسبة إلى مدينة إستجة Ecija من قواعد الأندلس القديمة ، وتقع جنوب غرب قرطبة على
على مقربة منها .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » تبع . وقد تكون : نبغ . والمعنى قائم بدون تصويب .

(٥) كان اسم حصن يعطلق على مدينة إشبيلية لما كان بينها وبين حصن الشام من وجوه الشبه في
الموقع والمناخ . قال أبو البقاء الرندي في مراثيه الشهيرة مشيراً إلى إشبيلية :

وَأَيْنَ حِمَصٍ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نَزْهِ ونهرها العذب فياض وملآن

(٦) وردت في المخطوطين : مشهوراً . والتصويب أنسب .

(٧) وردت في « ك » : استاذى . وفي « ج » : السادى . والتصويب من « ت » .

ومن شعره في معنى الانقطاع والتسليم إلى الله تعالى ، وهي لزومية ، ولنختتم بها ،
ختم الله لنا بالحسنى :

إلهي أنت [الله] ^(١) ركني وملجئى ومالى إلى خَلْق سواك ركون
رأيتُ بنى الأيام عُقبى سكونهم حراكٌ وفي عُقبى الحراك سكون
رضى بالذى قدّرت تسليم عالم بأن الذى لا بدّ منه يكون

وفاته

توفي بمدينة مألقة في حدود ثلاث وستمئة .

الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي

يكنى أبا علي ، مُرْسِيٌّ [الأصل] ^(٢) سَبِيٌّ الاستيطان ، مُنْتَمٍ إلى صاحب الثورة
على المعتد .

حاله

كان نسيج وحده ، وفريد دهره ، إتقاناً ومعرفة ، ومشاركة في كثير من
الفنون اللسانية والتعاليمية ، متبحراً في التاريخ ، رياناً من الأدب ، شاعراً مُفْلِقاً ،
عجيب الإستنباط ، قادراً على الإختراع والأوضاع ، جَهِمَ الحيا ، موحش الشكل ،
يضم بُرْزاه طويلاً لا كفاء له ؛ تحرّف بالعدالة ، وبرّز بمدينة سَبْتَة ، وكتب
عن أميرها ، وجرت بينه وبين الأديب أبي الحكم مالك بن المرحّل من الملاحظات

(١) ساقطة في المخطوطين .

(٢) وردت في « ك » ، وأغفلت في « ج » .

والمهارات أشد ما يجرى بين متناقضين ، آلت به إلى الحكاية الشهيرة ، وذلك أنه نظم قصيدة نصها :

لِكِلَابِ سَبْتَةٍ فِي النَّبَاحِ مِدَارِكُ وَأَشْدَهَا [دَرَكًا لَذْلِك] ^(١) مَالِكُ
 شَيْخٍ تَفَانِي فِي الْبَطَالَةِ مُعْمَرُهُ وَأَحَالَ فَكِّيهِ الْكَلَامُ الْآفَكُ
 كَلَبٌ لَهُ فِي كُلِّ عِرْضٍ عِضَّةٌ وَبِكُلِّ مُحْصَنَةٍ لِسَانُ آفَكُ
 مُتَّهِمٌ بِذَوَى الْخَنَا مُتَزَمِعٌ ^(٢) مُتَهَازِلٌ بِذَوَى التَّقَى مُتَضَاحِكُ
 أَحْلَى شَمَائِلِهِ السَّبَابُ الْمُفْتَرَى وَأَعْفَى سِيرَتِهِ الْهَجَاءُ الْمَاعِكُ
 وَالَّذِي شَيْءٌ عِنْدَهُ فِي مُحْفَلٍ لَمَزٌ لِأُستَارِ الْحَافِلِ هَاتِكُ
 يَغْشَى مَخَاطِرَهُ اللَّثِيمُ تَفَكُّهُمَا وَيَعَافُ ^(٣) رُؤْيَتَهُ الْحَلِيمُ النَّاسِكُ
 لَوْ أَنَّ شَخْصًا يَسْتَحِيلُ كَلَامُهُ خِرَاءٌ لِلْأَكْ الْخِرَاءُ مِنْهُ لَأَنَّكَ ^(٤)
 فَكَأَنَّهُ التَّمَسَّاحُ يَقْدِفُ جَوْفُهُ مِنْ فِيهِ مَا فِيهِ وَلَا يَتِمَّاسِكُ
 أَنْفَاسُهُ وَفُسَاؤُهُ مِنْ عُنْصُرٍ وَسُعَالُهُ وَضُرَاطُهُ مُتَشَارِكُ
 [مَا ضَرَفَا مِنْ مَعْدٍ اللَّهُ] ^(٥) لَوْ أَسْلَمْتَهُ نَوَاجِذٌ وَضَوَاحِكُ ^(٥)
 فِي شَعْرِهِ مِنْ جَاهِلِيَّةٍ طَبْعُهُ أَثْقَالُ أَرْضٍ لَمْ يَنْلُهَا فَاتِكُ
 صَدْرُ وَقَافِيَةٍ [تَعَارَضَتَا مَعًا] ^(٦) فِي بَيْتِ عَنَسٍ أَوْ بَعْرُسٍ فَارِكُ
 قَدْ عَمَّ أَهْلَ الْأَرْضِ بِلَعْنَتِهِ فَلِلْعَنِيَةِ فِي السَّمَاءِ مَلَائِكُ
 وَلَأَعْجَبُ الْعَجَبِ أَنَّ كَلَامَهُ خِلَالَهُ مِسْكٌ يَرُوحُ وَرَامِكُ

(١) وردت مكانها في « ج » : رأس . وفي « ك » : وشن . والتصويب من « ت » .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : متدمع

(٣) في المخطوطين : ويعافر .

(٤) وردت هذه العبارة في « ج » (الملاك الحرومية لائلك) . وفي « ك » : (الملاك الحروسه) .

(٥) هكذا ورد هذا البيت في المخطوطين .

(٦) في المخطوطين : تعارض .

إن سام مكرمةً جثا متثاقلا
 ويدبُّ في جُنح الظلام إلى الخنا
 نبذ الوقار لصِبيّة يَهْجُونَه
 يُبْذَى لهم سوائه ليسوءهم
 والدهرُ باكٍ لانقلاب صروفه
 واللسنُ تنصحه بأفصح منطق
 تُب يا ابن تسعين فقد جُزّت المدَا
 [أو ما ترى من حافديك] ^(١) تشابهها
 هيهات أية عشرة لهجت به
 يا ابن المرحّل لو شهدت مَرَحَلًا
 وطريدُ لومٍ لا يحل بمعشرٍ
 [مركوب هو لجابة وركاكة] ^(٢)
 لرأيت للعين اللئيمة لمحّة
 وشغلت عن ذمّ الأنام بشاغل
 قسماً بمن سمك السماء مكانها
 لأقول للمغرور منك بشيبة
 لا تأمنن للذئب دفع مضرة
 عارٍ على الملك المنزه أن يرى
 فكلأه للدين سمّ قاتل
 يرغو كما يرغو البعير البارک
 عدواً كما يعدو الظلیم الراتک
 فسباله فرشٌ لهم وأرائکُ
 بمسالك لا يرتضيها سالك
 ظهرًا لبطن وهو لاهٍ ضاحک
 لو کان ینجو بالنصيحة هالک
 وارتاح للقياسنک مالک
 ابنٌ يضاجع جدّه ويُناسک
 هنوات مملوک وطیع مالک
 وقد انحنى بالرحّل منه الحارک
 الا آمال قفاه صفعٌ دالک
 وأراک من ذاک اللجاج البارک
 وعلا بصفع عرک أذنک عارک
 وثناک خصمٌ من أبيک مُماحک
 ولديه وشک رداء نفسک شائک
 بیضاء طیّ الصّحف منها حالک
 فالذئبُ إن أعفیتَه بک فاتک ^(٣)
 فی مثل هذا للملوك مسالک
 ودنوّه للعرض داء ناهک

(١) دكذا في «ت». وفي «ك»: (لو ما ترى حنفد).

(٢) في «ك»: (ركوب هو المحجة ركاكة).

(٣) في «ك»: شارك.

فعلیه ثم علی الذی یُصغى له ویلٌ یعاجله وحُتْفٌ واشک
 وأتاه من مثواه آتٌ مُجهزٌ لِدم الخناجر بالخناجر سافک
 وهی طویلة تشتمل من التعریض والتصریح علی کل غریب ، واتخذ لها کِنانة
 خشبية كأوعية الکتب ، وکتب علیها : «رقاص مُعجِّل ، إلی مالک بن المرحَّل » .
 وعمد إلی کلب ، وجعلها فی عنقه ، وأوجعه خبطاً حتی لا یأوی إلی أحد ، ولا یستقر ،
 وطرده بالزقاق متکماً بذلك . وذهب الکتب وخلفه من الناس أمة ، وقرئ مکتوب
 الکنانة^(١) ، واحتُمِل إلی أبی الحکم ، ونُزِعَت من عنق الکتب ، ودُفِعَت إلیه
 فوقف منها علی کل فاقرة^(٢) کَفَّت من طماحه ، وغضَّت عن عینان مجاراته ،
 وتحدث بها مدة ، ولم یغیب عنه أنها من حیل ابن رشیق ؛ فعوّق سهام المراجعة ،
 ثم أقصر مکتبوحا ، وفی أجوبته عن ذلك یقول :

کلاب المزابل آذینى^(٣) بأبوالهن علی باب دارى

وقد کنت أوجعها بالعصا ولكن عوّت من وراء الجدار

واستدعاه بآخرة أمير المغرب السلطان أبو یعقوب ، فاستكتبه ، واستكتب
 أبا الحکم صدقةً ، فیقال أن جرّ علیه خجلةً كانت سبب وفاة أبی علی . ودخل
 الأندلس ، وحطّ بها بالمریة ، وقد أصیب بأسر عیاله ، فتوسل إلی والیها من قرابة
 السلطان الغالب بالله ، بشعر مدحه فیهِ من قصيدة أولها :

مُلّقى النوى ملقٍ لبعض نوالکا فاشفِ المُحبّ ولو بطیْف خیالکا

ومنها :

لا تحسبَنى من فلانٍ أو فلا^(٤) أنا من رجال الله ثم رجالکا

(١) فی « ك » : الكتابة .

(٢) أى داهية .

(٣) فی « ك » : أدبتنى .

(٤) فی « ك » : فل .

ومنها :

نصبَ العدوَّ حبائلاً لحبائلي وعَلِقتُ في استخلاصها بحبالكا

وفي خاتمها :

وكفأك شرَّ العين عيبٌ واحد لا عيب فيه سوى فلول نِصالكا
ولحق بغرناطة ، ومدح السلطان بها ، ونجحت لديه مشاركة الرئيس بالمرية .
فجبر الله حاله ، وخلَّص أسره .

ومما جمع فيه بين نثره ونظمه [ما كتبه]^(١) لما كتب إليه الأديب الطيب صالح
ابن شريف بهاتين القصيدتين ، اللتين تنازع فيهما الأقوام ، واتفقوا^(٢) على أن يُحكم
بينهما الأحلام ، وعبر عن ذلك الأقلام ؛ ولينظرهما من تشوّق إليهما بغير هذا الموضع .

تأليفه

وأوضاعه غريبة ، واختراعاته عجيبة ، تعرّفت أنه اخترع في سفرة ، الشطرنج ،
شكلا مستديراً . وله الكتاب الكبير في التاريخ ، والتأخيص المسمى « بميزان
العمل » وهو من أظرف الموضوعات ، وأحسنها شهرة^(٣) .

وفاته

كان حيا عام أربعة وسبعين وستمائة^(٤) .

(١) ساقطة في « ك » .

(٢) في « ك » وانتفوا .

(٣) وردت في المخطوطين : شهير .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » وسبعمائة . وهو تحريف .

حبّوس بن ماكسّن بن زيرى بن مناد الصنهاجى

يكنى أبا مسعود ، ملك إلبيرة وغرناطة ، وما والاها .

حاله وأوليته

أما أوليته فقد مر ذلك بما فيه كفاية عند ذكر بُلكّين . ولما دخل زاوى بن زيرى على الأندلس غبّ إيقاعه بالمرتضى ، الذى نصّبته الجماعة ، واستيلائه على محلّته بظاهر غرناطة ، وخاف تمالك الأندلس عليه ، ونظر للعاقبة ، فأسند الأمر إلى ابن أخيه ، حبّوس بن ماكسّن ، وكان بحصن أشت^(١) ؛ فلما ركب البحر من المُنكب ، وودّعه به زعيم البلدة ، وكبير فقهاءها أبو عبد الله بن أبي زَمْنين ، ذهب إلى ابن أخيه المذكور واستقدمه ، وجرت بينه وبين ابن عمه المتخلف على غرناطة من قبل والده ، محاورة أنجلت عن رحيله تبعاً لأبيه ؛ وانفرد^(٢) حبّوس ، فاستبد بالملك ، ورأب الصدع سنة أحد عشر وأربعمائة ؛ قال ابن عذارى فى تاريخه : فأنحازت صنهاجة مع شيخهم ورئيسهم حبّوس ابن ماكسّن ، وقد كان أخوه حُباسة هلك فى الفتنة ، وبقي منهم معه بعد انصراف زاوى إلى إفريقية ، جماعة عظيمة ، فأنحازوا إلى مدينة^(٣) غرناطة ، وأقام حبّوس بها مُلكاً عظيماً ، وحامى رعيته ممن جاوره من سائر البرابرة المنتشرين حوله ، فدامت^(٤) رياسته .

وفاته

توفى بغرناطة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

(١) وردت محرفة فى المخطوطين : أشد . وأشت من حصون غرناطة القديمة .

(٢) فى المخطوطين : وأنفد .

(٣) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : المدنية .

(٤) كذا فى « ج » . وفى « ك » : فرامت .

الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

صفته وحاله

كان أزهَبَ العين ، أسمر ، أَقْنَى ، مُعَسِّلُ اللحية ، جهير الصوت ، طويل الصُّلب ، قصير الساقين ، عظيم الساعد ، أَفْصَمُ^(١) ؛ وكان ملكاً جليلاً ، عظيم الصَّيت ، رفيع القدر ، عالى الهمة ، فقيهاً بالمذهب ، عالماً بالأنساب ، حافظاً للتاريخ ، جماعاً للكتب ، محبباً فى العلم والعلماء ، مشيراً^(٢) للرجال من كل بلد ؛ جمع العلماء من كل قطر ؛ ولم يكن فى بنى أمية أعظم همة ، ولا أجل رتبة فى العلوم ، وغوامض الفنون منه . واشتهر بهمته بالجهاد ، وتحدث بصدقته فى المَحُول ، وأملته الحبايرة والملوك .

دخوله إلى البيرة

قال ابن الفياض ؛ كُتِبَ إليه من الثغر الجنوبى^(٣) أن عظيم الفِرَئْجَةِ من النصارى حشدوا إليه [وسألوه الممرة]^(٤) بطول المحاصرة^(٥) ؛ فاحتسب شخوصه بنفسه إلى المَرِيَّةِ^(٦) فى رجب سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، فى جحفل لجبٍ من

(١) كذا فى « ج » . وفى « ك » : أفضم .

(٢) كذا فى « ج » . وفى « ك » : مشأراً .

(٣) وردت فى المخطوطين : الحنوى وهو تحريف . وما يرد بعد ذلك يؤيد صحة التصويب .

(٤) هكذا فى « ك » . وفى « ج » : (وسأله الميرة) والمقصود هنا : وسألوه الاستمرار .

(٥) وردت فى المخطوطين : بطول المحاضرة .

(٦) وردت فى « ج » : المريبة . وفى « ك » : المرتلة . وقد رجحنا أن يكون الثغر المقصود

« المرية » . وهو قريب ما رسمه « ج » . وقد يكون هذا الثغر أيضاً هو ثغر « مربلة » وهو قريب من الرسم الذى أورده « ك » .

نَجْدَة^(١) الأولياء وأهل المراتب . ولما أحلَّ البيرة ورد عليه كتاب أحمد بن يعلى من طَرطُوشه بنصر الله العزيز وصنعه الكريم على الرّوم ؛ ووافى المريّة ، وأشرف على أمورها ، ونظر إلى أسطولها وجدّده ، وعدّته يومئذ ثلاثمائة قطعة ، وانصرف إلى قرطبة .

مولده

لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثمائة .

وفاته

لأربع خلون من صفر سنة ست وستين وثلاثمائة ، وعمره نحو من ثلاث وستين سنة ، وهو خاتمة العطاء من بني أمية .

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام

ابن عبد الملك بن مروان بن أمية

كنيته أبو العاصي .

« صفته » ؛ آدَمُ ، شديد الأدمة^(٢) ، طويل ، أشمٌ ، نحيف ، لم يخضب .
بنوه تسعة عشر من الذكور ، منهم عبد الرحمن ولى عهده .

« بناته » ؛ إحدى وعشرون ؛ أمه أمٌ ولد اسمها زُخْرُف .

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : صفحة .

(٢) الأدمة : أى السمرة .

« وزراؤه وقوادده » ؛ خمسة منهم إسحاق بن المنذر ، والعباس بن عبد الله ،
وعبد الكريم بن عبد الواحد ، وفطيس بن سليمان ، وسعيد بن حسان .
« قضائه » ؛ مُصْعَب بن عمران ، وعمر بن بشر ، والفرج بن كنانة ^(١) ، وبشر
ابن قطن ، وعبد الله بن موسى ، ومحمد بن تليد ، وحامد بن محمد بن يحيى .
« كتابه » ؛ فطيس بن سليمان . وعطاف بن زيد ، وحجاج بن العُقيلي .
« حاجبه » ؛ عبدُ الكريم بن عبد الواحد بن مُغيث .

حاله

كان الحكم شديد الحزم ، ماضى العزم ، ذا صولةٍ تُتَّقَى ؛ وكان حسن التدبير في
سلطانه ، وتولية أهل الفضل ، والعدل في رعيته ، مبسوط اليد بالعطاء الكثير ، وكان
فصيحا ، بليغا ، شاعرا مجيدا ، أديبا ، نحويا .

قال ابن عذارى ؛ كانت فيه بطالة ، إلا أنه كان شجاعا ، مبسوط اليد ^(٢) ،
عظيم العفو ، وكان يُسلِّط قضائه وحكامه على نفسه ، فضلا عن ولده وخاصته ؛ وهو
الذى جرَّتْ على يده الفتكة العظيمة بأهل رِبْضِ قُرْطُبة ^(٣) . الذين هاجوا به
وهتفوا بخُلْعانه ، فأظهره الله عليهم ، في خبر شهير ؛ وهو الذى أوقع بأهل طُلَيْطلة
أيضا ، فأبادهم بحيلة الدُّعاء إلى الطعام بما هو معلوم

(١) وردت في المخطوطين : قتامة ، وهو تحريف والصواب ما أثبتناه . وقد كان الفرّج بن
كنانة ، قاضى الجماعة بقرطبة أيام الحكم بن هشام (انظر قضية الأندلس ص ٥٣ . وقضية قرطبة
- القاهرة - رقم ٢٣) .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي البيان المغرب : باسط الكف (ج ٢ ص ٨١) .

(٣) الربض : ضاحية قرطبة . وقد حدثت هذه الواقعة التى نكل فيها الحكم بثوار ضاحية
الربض سنة ٢٠٢ هـ (٨١٧ م) .

دخوله غرناطة

قالوا ، و بالبيرة وأحوازاها تلاقى مع عمه أبى أيوب سليمان بن عبد الرحمن ،
فهرزمه وقتله حسبما ثبت فى اسم أبى أيوب .

شعره

قالوا ؛ وكان له خمس جوارٍ قد استخلصهنَّ لنفسه ، وملَّكهنَّ أمره ؛ فذهب
يوماً إلى الدخول عليهن ، فتأبَّين عليه ، وأعرضنَّ عنه ، وكان لا يصبر عنهن ، فقال :
قُضِبُ من البان ماستُ فوق كُشبان ولَّين عني وقد أزمعن هيجرانى
ناشدتهنَّ بحقى فاعترَمنَّ على الـ عصيان حتى خلا منهن هميانى
ملَّكنى ملكاً من ذلت عزيمة للحُبِّ ذُلٌّ أسيرٍ مُوثقٍ عانى
من لى بِمُفْتَصِّباتِ الرُّوحِ من بدنى يَغْصِبُنَنى ^(١) فى الهوى عِزِّى وسُلْطانى
ثم عَطَفَنَ عليه بالوصال فقال :

نلتُ الوصال بعد البعاد فكأننى ملَّكتُ كلَّ العباد
وتنا هى السرورُ إذ نلت مالم يُغْنِ عنه تكاثُفُ الأجناد

مناقبه

أنهى إليه عباس بن ناصح ^(٢) وقد عاد [من] ^(٣) الثغر ^(٤) أن امرأة من ناحية

(١) وردت فى المخطوطين : عصبته . وهو تحريف .

(٢) وردت فى المخطوطات الثلاثة : صالح . والتصويب من البيان المغرب (ج ٢ ص ٧٥)

(٣) ساقطة فى المخطوطين . ولأزمة السياق .

(٤) كلمة الثغر يقصد بها هنا : « الثغر الأدنى » الذى يشمل طليطلة وأعمالها . وهو يقابل اليوم ولاية قشتالة القديمة . وأما الثغر الأعلى فقد كان يشمل سرقسطة وأعمالها . ويقابل اليوم ولاية أراجون (راجع الحاشية فى ص ١٨٩) .

وادی الحجارة^(١) سمعها تقول ، واغوثاه ، يا حَكَم ضيِّعتنا ، وأسلمتنا ، واشتغلت عنا
حتى استأسدَ^(٢) العدو علينا ؛ ورُفِع إليه شعر في هذا المعنى والغرض ، فخرج من
قُرْطُبة كاتماً وُجْهته ، وأوْغَلَ في بلاد الشرك ، ففتح الحصون ، وهدم المنازل ،
وقتل وسبي ، وقفل بالغنائم على الناحية التي فيها تلك المرأة ؛ فأمر لأهل تلك الناحية
بمال من الغنائم يَفْدُون به أسراهم ، ويصلحون به أحوالهم ؛ وخصَّ المرأة وآثرها ،
وأعطاهم عدداً من الأسرى ، وقال لها ، هل أغاثكِ الحكم ؟ قالت أى والله أغاثنا
وما غفلَ عنا ، أعانه الله وأعز نصره .

وفاته

توفي لأربع بقين لدى الحجة سنة ست ومائتين ، وكان عمره اثنين وخمسين سنة .
وجرى ذكره في الرجز من نظمى في تاريخ دول الإسلام^(٣) بما نصه :

حتى إذا الدهر عليه احتكما قام بها ابنه المسمى حَكما
واستشعر الثورة فيها وانقبض مستوحشاً كالليث أقمى وربض
حتى إذا فرصته لا حَت تَفِض فأفحش الوقعة في أهل الربض
[وكان جباراً بعيد الهمة لم يرع من آل بها أوزمة]^(٤)

(١) وادی الحجارة هي مدينة من مدن الأندلس القديمة ما تزال قائمة حتى اليوم . وهي تقع شمال
غربي مدريد على مقربة منها . وبالإسبانية Guadal ajara .

(٢) وردت محرفة في المخطوطين : أست أسر .

(٣) هو كتاب رقم الحلل الذي سبقت الإشارة إليه غير مرة .

(٤) هذا البيت وارد في المخطوطين ، وساقط في « ت » .

حكيم بن أحمد بن رجا^(١) الأنصاري

من أهل غرناطة ، يُكنى أبا العاصي .

حاله

كان من قرائها^(٢) ، ونبهاؤها ؛ وكان من أهل الفضل والطلب ، وإليه يُنسب مسجد أبي العاصي ، وحمّام أبي العاصي ودربه بغرناطة ، وكفي بذلك دليلاً على الأصالة والتأثيل ؛ ذكره أبو القاسم ولم يذكر [من]^(٣) أمره مزيداً على ذلك .

حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله
ابن سعيد بن الحسن بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك بن
سعيد بن عمار بن ياسر

« أوليته » ، قد مرّ بعض^(٤) ذلك وسيأتي بحول الله .

حاله

قال أبو الحسن بن سعيد في كتابه الموضوع في مآثر القلعة^(٥) : كان صاحب

(١) هكذا في « ت » . وفي « ك » : رجا . وفي « ج » : رجلا .
(٢) في « ج » : قرارها . وهو تحريف . وفي « ك » : وزارها . والأولى أرجح . وتؤيده سيرة المترجم له .
(٣) ساقطة في المخطوطين .
(٤) في المخطوطين : بعين . وهو تحريف .
(٥) هو كتاب « الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد » . والقلعة هي قلعة يحصب .

سيف وقلم وعلم ، ودخل في الفتنة المَرْدَنِيشِيَّة ^(١) حسبما مر ذلك عند ذكر أخيه أبي جعفر ، فصار من جُلَسَاء الأمير أبي عبدالله [محمد] ^(٢) بن سعد بن مَرْدَنِيش بمرسية ، وأرباب آرائه ، وذوى الخاصة من وزرائه ، وكان مشهوراً بالقروسية والشجاعة [والرأى] ^(٣).

حكاياته ونوادره

قال ، كان التَّنْدِير والهزل قد غلبا عليه ، وعُرف بذلك فصار يُحْمَل منه مالا يحمل من غيره ؛ قالوا ، فحضر يوماً مع الأمير محمد بن سعد ، يوم الحلاب ^(٤) من حروبه ، وقد صبر الأمير صبراً جميلاً ^(٥) ، ووالى الكرّ المرّة بعد المرّة ، وذلك بمراى من حاتم ؛ فرد رأسه اليه ، وقال يا قائد أبا الكرم كيف رأيت ، فقال له حاتم ، لو رآك السلطان اليوم ل زاد في مرتبّك ، فضحك ابن مَرْدَنِيش ، وعلم أنه أراد بذلك : لاتليق به المخاطرة ، وإنما هو للثبات والتدبير . وقال له يوماً وقد جرى ذكر الجنّات ، جُنّ اليوم يا أبا الكرم على بستانك بالزّنقات ، وأردت أن أكون من ضيافتك ؛ فقال عبد الرحمن بن عبد الملك وهو إذ ذاك وزير الأمير ، ويده المجابى والأعمال ، لعل الأمير اغترّ بسماع اسمه حاتم ، ما فيه من الكرم إلا الإسم ؛ فقال الحاتم ^(٦) ، ولعل الأمير اغترّ ^(٧) بسماع [أمانة] ^(٨) عبد الرحمن ، فقدّمه على وزرائه ، وما عنده من

(١) نسبة إلى ابن مردنیش . وقد سبق التعريف به (انظر الحاشية في ص ٢٢٥) .

(٢) الزيادة من عندنا إكمالاً للإسم .

(٣) الزيادة من « ت » .

(٤) يوم الحلاب . قد يكون المقصود به يرم كثير الندى . وحلاب بالتشديد بمعنى ندى .

(٥) كذا في « ج » . وفي « ك » : عظيماً .

(٦) هكذا في المخطوطين .

(٧) ساقطة في المخطوطين . ويحتملها السياق .

(٨) واردة في (ك) . وساقطة في « ج » .

الأمانة إلا الإسم ؛ فقال ابن مردنیش وقد ضحك ، الأولى فهمتُ ، ولم أفهم الثانية ؛ فقال له كاتبه أبو محمد السامی ، إنما أشار إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : أمير هذه الأمة ، وأمير في أهل السماء ، وأمير في أهل الأرض ؛ فطرب ابن مردنیش ، وجعل يقول : أحسنتما أحسنتما .

شعره

قال أبو الحسن ، ولم أحفظ^(١) من شعر حاتم ما أورده في هذا المكان إلا قوله يخاطب حفصة الركونية الشاعرة ، التي يأتى ذكرها ، حين فرّ إلى مرسية ، وتركها بغرناطة :

أحنُّ إلى ديارك يا حياتي [وأبصر ذو هد سبل الطبات]^(٢)
وأهوى أن أعود إليك لكن [خفوق البندر عاق عن القنات]^(٣)
وكيف إلى جنابك^(٤) من سبيل وليس يُحسُّه إلا عُداقي

مولده

في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . وقال أبو القاسم الغافقي فيه عند ذكره : كان طالباً نبهاً جميلاً سرياً ، تام المروءة ، جميل العشرة .

وفاته

قال ، مات بغرناطة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

(١) كذا في « ج » . وفي « ل » : حفظت .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في المخطوطين .

(٣) وردت هذه الشطرة في المخطوطين كالاتي : (خفوق البندر عاق القنات) .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ل » : جانبك .

جُبَاسَة [بن مأكْسَن بن زيرى بن مَناد الصَّنْهَاجِي]^(١)

كان شهيمًا ، هَيَّيًّا ، بُهْمَةً من البُهَم ، كريمًا في قومه ، أَيْبًا في نفسه ، صَدْرًا من صدور صِنْهَاجَة ؛ وكان أشجع من أخيه حَبُوس .

وفاته

قال أبو مروان عند ذكر وقعة « رمداى » بطرف قرطبة في حروب البرابرة لأهلها في شوال عام اثنين وأربعمائة ، قال : واستلَحِمَ جُبَاسَة بن مأكْسَن الصَّنْهَاجِي ابن أخى زاوى بن زيرى ، [وهو]^(٢) فارس صِنْهَاجَة طُرًّا وفتاها ؛ وكان قد تقدم إلى هذه الناحية ، زعموا لما بلغه اشتداد الأمر فيها ، فرمى بنفسه على طُلَّابِهَا ، واتفق أن ركب بسرج طَرِي العمل مُتَفَتِح اللَّبْد ، وخانه مقعدُه عند المجاورة ، لتقلُّبه على الصَّهْوَة ؛ وقيل إنه كان مُتَبَدِّئًا على ذلك فتطارح على من يازائه ، ومضى قُدُمًا بِسَكْرَى شجاعته ونشوته ، يصافح البيوت بصفحته ، ويستقبل القنا بلبَّاته ، لا يعرض له شيء إلا حطَّه ، إلى أن مال به سرجُه ، فأتيح حِمَامُه لاشتغاله بذلك ، بطعنة من يد المسمى النبيه النصرانى ، أحد فرسان الموالى العامريين ؛ فسقط لفيه ، وانتظمت رماحُ الموالى فأبادته ؛ وحامى أخوه حَبُوس ، وبنوعه ، وغيرهم من أنجاد البرابرة على جثته ، فلم يقدرُوا على استنقاذها ، بعد جلاذِ طويل ، وغلب عليه الموالى فاحتزُّوا رأسه ، وعجَّلوا به إلى قصر السلطان ، وأسلموا جسده العامة ؛ فركبوه بكل عظمة ، واجتمعوا إليه اجتماع البُغَاث^(٣) على كبير الصَّقُورَة ، فجرَّوه في الطرق

(١) وردت كلمة جُبَاسَة فقط في المخطوطين . والزيادة ما بين الخاصرتين من عندنا . ويبدو أن هذه الترجمة وردت في الإسطاة في غير موضعها من حيث الترتيب الأبجدي .

(٢) ساقطة في المخطوطين . ويقتضيها السياق .

(٣) في المخطوطين : النفاث .

وطافوا به الأسواق ، وقطعوا بعض أعضائه ، وأبدوا شواره وكبدته بكل مكروه من أنواع الأذى ، بأعظم ما رُكب ميت ؛ فلما سئموا تجارده^(١) ، أوقدوا له ناراً فحرقوه بها جرياً على ذميم عادتهم ، في قُبْحِ المثلة ، ولُؤْمِ القُدْرَةِ ؛ وانجلت الحروب في هذا اليوم لمُصابه ، عن أمر عظيم ، وبلغ من جميع البرابرة الحزن عليه مناله ، ورأت أن دماء أهل قُرْطبة جميعاً لا تعدله . من الكتاب المتين .

حبیب بن محمد بن حبیب

من أهل النَّجَّش ، من وادی المنصورة^(٢) أخوه مالك ، النَّجَّشِي ، ذُباب الحَلَقَات ، ومِدَادُ أَذْنَابِ الْمُقْرِين .

حاله

كان على سَجِيَّة غريبة من الإِنْقِبَاضِ المشوب^(٣) بالاسترسال ، والأمانة مع الحاجة ، بادی الزَّيِّ واللسان ، يحفظ الغريب من اللغة ، ويحرِّك شعراً لا غاية وراءه في الرَّكَاكَةِ ، وله قيامٌ على الفقه وحفظ القرآن ، وَنَعْمَةٌ حسنة عند التَّلَاوَةِ . قَدِمَ الحضرة غير مرة ، وكان الأستاذ ، إمام الجماعة ، وسيبويه الصناعة ، أبو عبد الله ابن الفَخَّار ، المعروف بالبيزى^(٤) ، أباً مثواه ومحطاً طَيِّتَهُ ، يطلب منه مشاركته^(٥) بباب السلطان في جرایة يرغب في تسميتها ، وحال يروم إصلاحها ، فقصدني مُصْحَباً

(١) هكذا في المخطوطين .

(٢) وادی المنصورة هو المنطقة الواقعة على نهر المنصورة الذي يخترق شمال ولاية المارية بين برشانة ومدينة المنصورة الواقعة على النهر المذكور .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : المنشوب .

(٤) أعنى الإلبيرى نسبة إلى إلبيرة .

(٥) وردت في المخطوطين محرفة (متاركته . مماركته) .

منه رقعة تتضمن الشفاعة ، وعرض على قصيدة من شعره [يروم]^(١) إيصالها إلى السلطان ، فراجعت الأستاذ برقة أثبتها على جهة الإحاض^(٢) وهي :

« يا سيدي الذي أتشرف ، وبالانتماء إلى معارفه أتميز وأتعرّف ، وصل إلى عميد حصن النجش ، وناهض أفران ذلك العش^(٣) ، تلوح عليه مخائل أخيه المسمى بمالك ، ويترجّح به الحكم في الغاية في أمثال تلك المسالك ، أشبه من الغراب بالغراب ، وإنها لمن عجائب الماء والتراب ؛ فآلني من ثنائكم الذي أوجبته السيادة والأبوّة ، ما يقصر عن طيب الألوة ، وتنجل عند مشاهدته الغر المجلوة ؛ وليست بأولى برّ أسديتم ، ومكرمة أعدتكم وأبديتكم ، والحسنات وإن كانت فهي [إليكم]^(٤) منسوبة ، وفي أياديكم محسوبة ؛ وبَلَوْتُ من الرجل طلعة تُنفّث ، لم يغادر من صفات النبل صفة ، حاضر بمسائل الغريب ، وقعد مقعد الذكي^(٥) الأريب ، وعرض على حاجته وغرضه ، وطلب مني المشاركة ، وهي مني لأمثاله مُفترضة ، ووعدني بإيقافي على قصيدة حَبَّرها ، وأنسى بالخبر خبرها ؛ وباكرني بها اليوم مُباكرة السّاقى بدِّهاقه ، وعرضها على عرض التاجر نفائس أعلّاقه ، وطلب مني أن أهذب له ما أمكن من معانيها وألفاظها ، وأجلو القذى عن الحاظها ؛ فنظرت منها إلى روض كثرت أُنغابه^(٦) وجيش من الكلام زاحم خواصّه أوشابه ، ورُمتُ الإصلاح ما استطعت ، فعجزتُ عن ذلك وانقطعت ، ورأيت لا جدوى^(٧) إلى ذلك الغرض ، ما لم تُبدّل الأرضُ غير الأرض . وهذا

(١) ساقطة في المخطوطين .

(٢) أي على سبيل التفكهة .

(٣) هكذا في « ج » وفي « ك » : العشر .

(٤) ساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا في « ك » . وفي « ج » : الزكي .

(٦) أغفلت في المخطوطين .

(٧) هكذا في « ك » . وفي « ج » : جدنوا .

الفنُّ ، أبقى الله سيدي ، ما لم يمتُّ إلى الإجابة بسبب وثيق ، وينتَمي في الإحسان إلى مجد عريق ، كان رفضه أحسن وأحمد ، واطَّرَاحَهُ بالفائدة أعود ؛ وإذا اعتبره من عدل أو قسط ، وجده طريقين لا يقبل الوسط ، فمنهما مالٌ يُقتنى ويُدَّخَر ، وسافلٌ يهزء به ويُسخَر ، والوسط ثقيل لا يُتَلَبَّسُ به [نبيل]^(١) . قيل لبعضهم ألا تقول الشعر ؟ فقال أريدُ منه ما لا يتأتَّى لي ، ويتأتَّى لي منه ما لا أريدُه . وقال بعضهم ، فلان كمُغْنٍ وسط لا يجيد فُيْطرب ، ولا يُسِيء فيُسلى^(٢) . فاقتضى نظركم الذي لا يفارق السداد والتوفيق ، وإرشادكم الذي رافقه^(٣) الهدى ونعم الرفيق ، أن يشير عليه بالاستغناء عن رفعها ، والامتساک عن دفعها ، فهو أقوى لأمته^(٤) وأبقى على سكتته وسمته ، وأسترُّ لمالديه ، قبل أن يمدَّ أبو حنيفة رجله ؛ [وإن]^(٥) أصمَّت عن هذا العذل مسامعة ، وهفَّت به إلى النجاح مطامعه ، فليعتمد على الاختصار ، فذو الإكثار جَمُّ العثار ، وليعدل إلى الجادة عن ثنيات^(٦) الطُّرُق ، ويجتزئ عن القلادة بما أحاط بالعُنُق ؛ فإذا رتَّبها^(٧) وهذَّبها ، وأوردها من موارد العبارة أعذبها ، توليت زفافها وإهداءها ، وأمطت بين يدي الكفو الكريم رواءها ، والسلام .

سَمْدَةُ بِنْتُ زِيَادِ الْمُكْتَبِ

من ساكني وادي الحمة بقرية بادي من وادي آش .

(١) وردت في « ج » . وأغفلت في « ك » .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : فيلهي . والمؤدى واحد .

(٣) في المخطوطين : أرفقه .

(٤) الأمت هو المكان المرتفع . والمقصود هنا مقامه ومكانه .

(٥) ناقصة في المخطوطين . ويستلزمها السياق .

(٦) في المخطوطين : لبيات .

(٧) في المخطوطين : رهبا . وهو تحريف .

حـالها

قال أبو القاسم ، نبيلةٌ ، شاعرةٌ ، كاتبةٌ ؛ ومن شعرها وهو مشهور :

أَباحَ الدَّمْعُ أَسْرارِي بَوادِي له في الحُسْنِ آثارٌ بَوادِي
فَمِنْ نَهْرٍ^(١) يَطُوفُ بِكُلِّ رَوْضٍ ومن رَوْضٍ يَطُوفُ بِكُلِّ وادِي
وَمِنْ بَيْنِ الظُّبَا مَهَاتٍ إِنْسٌ^(٢) [سَبَتْ لِي] ^(٣) وَقَدْ سَلَبَتْ فَوادِي
لَهَا لَحْظٌ تَرْقُبُهُ لِأَمْرِ وَذَاكَ الْأَمْرُ يَمْنَعُنِي رُقَادِي
إِذَا سَدَلَتْ ذَوَائِبَهَا عَلَيْهَا رَأَيْتَ الْبَدْرَ فِي جُنْحِ السَّوَادِي
كَأَنَّ الصُّبْحَ مَاتَ لَهُ شَقِيقٌ فَمِنْ حَزَنِ تَسْرِيلٍ فِي الْخَدَادِي

ومن غرائبها :

وَلَمَّا أَبَى الْوَاشُونَ إِلَّا قِتَالَنَا^(٤) وَمَا لَهمْ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ ثَارِ
وَشَنُّوا عَلَيَّ آذَانَنَا^(٥) كُلَّ غَارَةٍ وَقَلَّتْ مُحَامَاتِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَنْصَارِي
رَمَيْتَهُمْ^(٦) مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَأَدْمَعِي وَمِنْ نَفْسِي [بِالسَّيْفِ وَالسَّيْلِ]^(٧) وَالنَّارِ
وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ سَعِيدٍ فِي حَمْدَةِ وَأَخْتِهَا زَيْنَبَ : شَاعِرَتَانِ ، أُدَيْبَتَانِ ، مِنْ أَهْلِ
الْجَمَالِ ، وَالْمَالِ ، وَالْمَعَارِفِ وَالْبَصَوْنِ ، إِلَّا أَنَّ حُبَّ الْأَدَبِ ، كَانَ يَحْمُلُهُمَا عَلَى مَخَالَطَةِ
أَهْلِهِ ، مَعَ صَيَانَةِ مَشْهُورَةٍ ، وَنَزَاهَةٍ مُوثَقَةٍ بِهَا .

(١) في المخطوطين : واد . والتصويب من النفح .

(٢) في المخطوطين . رمل . والتصويب من النفح .

(٣) هكذا في النفح . وفي « ج » هبت لي . وفي « ك » : هبت لي . وفي المغرب : لها لي

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النفح والمغرب : فراقنا .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي النفح والمغرب : أسماعنا .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي المغرب والنفح : غزوتهم .

(٧) في المخطوطين : السيل . والليل . والتصويب من النفح .

حفصة بنت الحاج الرُّكُونِي^(١)

من أهل غرناطة ، فريضة الزمان في الحسن ، والظرف ، والأدب ، واللؤذعية ؛
قال أبو القاسم ، كانت أديبة ، نبيلة ، جيّدة البديهة ، سريعة الشعر .

بعض أخبارها

قال الوزير أبو بكر بن يحيى بن محمد بن عمر الهمداني ، رَغِبْتُ أُخْتِي إِلَى حَفْصَةَ
أَنْ تَكْتُبَ شَيْئًا بِحُطَاهَا فَكُتِبَتْ :

يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ بَلْ يَا رَبَّةَ الْكَرَمِ غَضِي جُنُونَكَ عَمَا خَطَهُ الْقَلَمُ
تَصْفَحِيهِ [بَلَحْظِ الْوُدِّ مُنْعَمَةً]^(٢) لَا تَحْفَلِي بِقُبِيحِ^(٣) الْخَطِّ وَالْكَلِمِ
قال أبو الحسن بن سعيد ، وقد ذكر أنهما باتا بحوز مؤمّل^(٤) في جَنَّةٍ لَهُ هُنَاكَ
عَلَى مَا يَبِيتُ عَلَيْهِ أَهْلُ الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ ، قَالَ :

رَعَى اللَّهُ لَيْلًا لَمْ يُرْعَ بِمَذْمَمٍ [رَعَانَا وَدَارَانَا بِحَوْزِ مُؤَمَّلٍ]^(٥)
وَقَدْ نَفَحْتَ مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ أَرْيَجِهِ^(٦) إِذَا نَفَحْتَ هَبَّتْ بَرِيحُ^(٧) الْقَرَنَقَلِ
وَعَرْدَ قَمَرِيٍّ عَلَى الدَّوْحِ وَانْتَنَى قَضِيبُ ثَمَنِ الرِّيحَانِ مِنْ فَوْقِ جَدُولِ
يَرَى الرَّوْضَ مَسْرُورًا بِمَا قَدْ بَدَا لَهُ عَنَاقُ وَضَمٍّ وَارْتِشَافُ مُقْبَلِ

(١) نسبة إلى ركانة Requena ، وهي بلدة أندلسية قديمة تقع غربي ثغر بلنسية .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . ووردت محرفة في المخطوطين : (خط الود سقيه) .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ : بردي .

(٤) هو بقعة من متنزعات غرناطة الإسلامية اشتهرت بجمالها . (راجع الحاشية في ص ٤٤٩) .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة في المخطوطين . ووردت في النسخ كالأتي : (عشية دارانا بحوز مؤمل) .

(٦) في المخطوطين : أريحية . والتصويب من النسخ .

(٧) في النسخ : برياً .

فقلت :

[لعمرك ما سرّ الرياض وصالنا]^(١) ولكنه أبدى لنا الغلّ والحسد
ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنا ولا مدح^(٢) القمريّ إلا لما وجد
فلا تحسبن الظنّ الذي أنت أهله فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه لأمرٍ سوى كي ما يكون لنا رصد
قال أبو الحسن بن سعيد ، ويا لله ما أبدع ما كتبت به إليه وقد بلغها^(٣) أنه
عَلِقَ بجارية سوداء أسعت له من بعض القصور ، فاعتكف معها أياماً وليالي ، بظاهر
غَرَناطة ، في ظلٍّ ممدود ، وطيب هوى مقصور وممدود :

يا أظرفَ الناسِ قبلَ حالٍ أوقعه نحوه القدر
عَشِقْتَ سوداءَ مثلَ ليلٍ بدائعُ الحُسنِ قد ستر
لا يظهر البشُرُ في دُجَاها كلاً ولا يُبَصِّرُ الخَفَرُ
بالله قل لي وأنت أدري بكلِّ مَنْ هَمَّ في الصور^(٤)
مَنْ الذي هَمَّ في جنانٍ لأنوارٍ فيه ولا زهر

فكتب إليها^(٥) بأظرف اعتذار ، وألطف أنوار :

لا حُكْمَ إلا لآمرٍ ناهٍ له من ذنبه مُعتَذِر
له مُحْيِياً به حياتي أعيذُ مداه بالسُّور
كصُحْبَةِ العيد في ابتهاج وطلعةِ الشَّمسِ والقمر

(١) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ : (لعمرك ما سر الرياض بوصلنا) .

(٢) في النسخ : غرد .

(٣) في المخطوطين : بلغنا ، وهو تحريف .

(٤) في المخطوطين : المسطور .

(٥) هكذا في « ك » . وفي « ج » : إليه .

سَعْدُهُ لَمْ أَمِلْ إِلَيْهِ إِلَّا اطَّرافاً لَهُ خَبَرَ
عَدِمْتُ صُبْحِي فَاسْوَدَّ عِشِّي قِي وَانْعَكَسَ الْفِكْرُ وَالنَّظَرُ
إِنْ لَمْ تَدْلَحْ يَا نَعِيمَ رَوْحِي فَكَيْفَ لَا تَفْسُدُ الْفِكْرَ

قال ، وبلغنا أنه خلا مع حاتم وغيره من أقاربهم ، لهم طربٌ وهو ، فمرّت على الباب مُستترة ، وأعطت البوّاب بطاقةً فيها مكتوب :

زائر قد أتى بجيد غزال^(١) طامع من مُجبه بالوصال
أتراكم يا ذُنُكُم مُسْتَعْفِيهِ أَمْ لَكُمْ شَاغِلٌ مِنَ الْأَشْغَالِ

فلما وصلت الرقعة إليه ، قال ورب الكعبة ، ما صاحبُ هذه الرقعة ، إلا الرقعة حفصة ؛ ثم طُلبت فلم تُوجد ، فكتب إليها راغباً في الوصال والأنس الموصول :

أَيُّ شُغْلٍ عَنِ الْحَبِيبِ يَعُوقُ يَا صَاحِباً قَدْ آتَى مِنْهُ الشُّرُوقُ
صِلْ وَوَاصِلْ فَأَنْتَ أَشْهَى إِلَيْنَا مِنْ جَمِيعِ الْمَنَى فَكَمْ ذَا تَشْوِقُ
بِحَيَاةِ الرِّضَى يَطِيبُ صَبُوحُ عَرَفْنَا إِنْ جَفَوْتَنَا أَوْ غُبُوقُ
لَا وَذَلَّ الْهَوَى وَعَزَّ التَّلَاقُ واجتماعٍ إِلَيْهِ عَزَّ الطَّرِيقُ

وذكرها الأستاذ في «صِلَتِهِ» ، فقال : وكانت أستاذة وقتها ، وانتهت [إلى]^(٢) أن علّمت النساء في دار المنصور ؛ وسألها يوماً أن تُنشده ارتجالاً فقالت :

أَمْنٌ عَلَى بَصَاكَ يَكُونُ لِلدَّهْرِ عُدَّةُ
تَخُطُّ يُمْنَاكَ فِيهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ

قال : فَمَنْ عَلَيْهَا ، وحرّز لها ما كان لها من ملك .

(١) في نفع الطيب : الغزال .

(٢) ناقصة في المخطوطين ويقتضيها السياق .

وفاتها

قالوا : تُوِفِّيتَ بِمَحْضَرَةٍ مَرَّةً كُشِّ فِي آخِرِ سَنَةِ ثَمَانِينَ أَوْ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبي العافية

من أهل غرناطة ، يكنى أبا القاسم .

حاله

من كتاب « عائد الصلة » ؛ كان رحمه الله صَدْرًا من صدور القضاة ، من أهل النظر والتَّقييد ، والعُكوف على الطَّلَب ، مضطَّلَعًا بالمسائل ، مسائل الأحكام ، مهتديًا لمُظَنَّاتِ النُّصوص ، نسخ بيده الكثير ، وقَيَّدَ على الكثير من المسائل ، حتى عُرِفَ فضله ، واستشاره الناس في المشكلات . وكان بصيرًا بِعَقْدِ الشُّرُوط ، ظريف الخط^(١) ، بارع الأدب ، شاعرًا مُكثِّرًا ، مصيبًا غرض الإِجادة . وتصرَّف في الكتابة السلطانية ، ثم في القضاء ، وانتقل في الولايات^(٢) الرفيعة النِّبِيَّة . وجرى ذِكْرُهُ في « التَّاجِ الْمُحَلَّى » بما نصه :

« فارسٌ في ميدان البيان ، وليس الخبْرُ كالعيان ؛ وحاملٌ لواء الإحسان ، لأهل هذا الشَّان ؛ رَفَلٌ في حُلَلِ البدائع فسحب أذيالها ، وشَعَشَعَ أكواس العجائب فأدار جرياً لها ، واقتحم على الفحول أغياها^(٣) ، وطَمَحَ إلى الغاية البعيدة

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » : الخطاب . والأولى أرجح .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » : الولاية . والأولى أنسب للسياق .

(٣) أي أجهاتها .

فناها ، وتذوكرت الأعضاء^(١) فقال أنا لها . عكف واجتهد ، وبرز إلى مقارعة
المشكلات ونهّد ، فعلم وحصل ، وبلغ الغاية وتوصل ؛ وتولّى القضاء ، فاضطلع
بأحكام الشرع ، وبرع في معرفة الأصل والفرع ، وتميّز في المسائل بطول الباع ،
وسعة الذراع ، فأصبح صدرّاً في عصره ، وغرّة في صفحة عصره . وسيمرّ من
بديع كلامه ، وهنّات^(٢) أقلامه ، وغرر إبداعه ، ودُرر اختراعه ، ما يستنير لعلم
الحليم ، وتُلقى له البلغاء يد التسليم .

شعره

قال في غرض الحكمة والأمثال :

عزُّ الهوى نُقصانُ والرأى الذى	يُنْجِيكَ مِنْهُ [إِذَا ارْتَأَيْتَ مَرُوماً] ^(٣)
فإذا رأيتَ الرأى يَتَّبِعُ الهوى	خَالِفْ . وَفَاقَهُمَا تُعَدُّ حَكِيماً
[وكيف تخاف من الحليم مراجياً] ^(٤)	خِفْ مِنْ نَصِيحِكَ ذِي السَّفَاهَةِ شوماً ^(٥)
واحذر مُعَادَاتِ الرجالِ تَوَقُّياً	مِنْهُمْ ظَلُوماً كُنْتَ أَوْ مَظْلُوماً
فالناس إما جاهلٌ لا يَتَّقِي	عَاراً وَلَا يَخْشَى الْعُقُوبَةَ لُثُوماً
أو عاقلٌ يُرْمَى بِسَهْمٍ مَكِيدَةٍ	كَالْقَوْسِ تُرْسَلُ سَهْمُهَا مَسْمُوماً
فاحلِّمْ عَنِ الْقِسْمَيْنِ تَسْلَمَ مِنْهُمَا	وَتَسُدَّ فِتْنَةً سَيِّداً وَحَلِيماً
ودع المُعَادَاتِ التى مِنْ شَأْنِهَا	أَنْ لَا تُدِيمَ عَلَى الصِّفَاءِ قَدِيماً

(١) كذا في « ج » . وفي « ك » المحترعات .

(٢) هنّات أى الكتابة السريعة العابرة .

(٣) وفي نص آخر : (إن نأيت خزيماً) .

(٤) وفي نص آخر : (فكما تروم من الحليم مراجياً) .

(٥) في « ك » : شر ما . وفي « ج » : نثر ما .

أبت المغالبةُ الودادَ فلا تكنُ
 وإذا مُنيت^(١) بقرِّه فاخفضْ له
 إنَّ الغريبَ لكألقضيبٍ مُحارٍ
 وارِع^(٢) الكفافَ ولا تجاوزِ حدَّه
 وابسطْ يديك متى غنيت ولا تكنُ
 وإذا بذلتَ فلا تُبذر إنَّ ذا التَّبَذِيرِ [يومئذ أخوه]^(٣) رجياً
 وعِفْ الورودَ إذا تراحمَ مَوْرِدُ
 واصحبْ كريمَ الأصلِ ذا فضلٍ فمن
 فالفضلُ من لبس الكرامِ فمن عرا
 إنَّ المقارنَ بالمقارنِ يقتدى
 ورجاعُ كلِّ الخيرِ في التقوى فلا
 وقال يصف الشَّيب من قصيدة ، وهي طويلة ، أولها :

لاح الصباحُ ، صباحُ شَيْبِ المَفْرِقِ
 هي شَيْبَةُ الإسلامِ فاقدِرْ قدرَها
 خَطَّتْ بقودك أَيْضاً في أسْـوَدِ
 كالبرقِ راعٍ بسيفه طَرْفَ الدُّجَا
 كالْفَجْرِ يُرْسِلُ في الدَّجَنَةِ خِيطَه
 فاحمد سراكِ نجوتَ ممَّا تَتَّقِي
 قد اعتَقَّتْكَ وَحَقٌّ قدرُ المُعْتَقِ
 بالعكس من معهودِ خطِّ مُهْرَقِ
 فأعار دُهمته شَتَاتَ الأَبْلَقِ
 ويَجْرُ^(٦) ثوب ضيائه بالمشْرِقِ

(١) في المخطوطين : مننت .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » : واربِع .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : مثل أخيه .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : يعد .

(٥) في نص آخر : (جرى بين الأثنام) .

(٦) في المخطوطين : ويحرك .

كالماء يستره بقعر طحلب
كالحيّة الرقشاء إلا أنه
كالنجم عدّ لرجم شيطان الصبا
كالزهر إلا أنه لم يستنم^(١)
كتبسم الزنجى إلا أنه
وكذا البياض قذى العيون ولا ترى
ما للغواني وهو لون خدودها
وأخذه لمع السيوف [ومن يشم
هو ليس ذاك ولا الذى أنكرته
داء يعزّ على الطيب دواؤه
لكنه والحق أصدق مقول

فتراه بين خلاله كالزئبق
لا يبرأ الملسوع منه إذا رقى
يا ليت شيطان الصبا لم يحرق
إلا بغصن ذابل لم يُورق
يبكى العيون بدمعه المترق
للعين^(٢) أبكى من بياض الفرق
يجز عن من لألائه المتألق
لمع السيوف^(٣) على المفارق يفرق
فكن خائفاً ما خفن منه واتق
ويضيع خسراً فيه مال المنفق
شئ الميسر الفعيل زين المتقى

ومن مقطوعاته قوله :

أقلّ فما الفقر بالمرء عاراً
وما يكسب العزّ إلا الغنى
وما اجتمع الشمل فى غيره
فدهر غيرك لا تنظرن
وهزى إليك بجذع الرضى

ولا دار من يآلف الهون دارا
غنى النفس فاتخذ شاعرا
فيحسن إلا وساء انتشارا
فيا لم قلبك [منه]^(٤) انكسارا
تساقط عليك الأمانى ثمارا

(١) هكذا المخطوطين . وفى نص : يبتسم .

(٢) فى المخطوطين : للعين .

(٣) هذه الكلمات وردت فى « ج » ، وأغفلت فى « ك » . . .

(٤) ساقطة فى المخطوطين .

وقال أيضاً :

العلمُ حُسْنٌ وَزَيْنٌ والجهلُ قُبْحٌ وَشَيْنٌ
والمالُ عِزٌّ وَعَيْشٌ والفقرُ ذُلٌّ وَحَيْنٌ
والناسُ أَعْضَاءُ جِسْمٍ فمنهم أَسَتْ وَعَيْنٌ
هذى مقالةٌ حَقٌّ ما فى الذى قلت مَينٌ

وقال أيضاً :

إن أراك الزمانُ وجهاً عَبُوساً^(١) فستلقاه^(٢) من بعد ذاك طَلَقاً
لا يهْمُكَ حالُه إن فى طُرٍّ فَرَّ عَيْنٍ تَرْتاحُ فيه وَتَشْقَى^(٣)
أى عِزٍّ رأيت أو أى ذُلٍّ لدوى الحالتين فى الدهر يَبْقَى
سَلَّ نُجُومَ الدُّجَى إذا ما استنارت ما الذى فى وقت الظَّهِيرَةِ تَلْقَى
وَتَفَكَّرَ وَقُلْ بغير ارتيابٍ كلُّ شَيْءٍ يَفْنَى وَرَبُّكَ يَبْقَى

وقال أيضاً :

لو أَنَّ أَيَّامَ الشَّبَابِ تعود لى عَوْدَ النَّصَارَةِ لِلْقَضِيبِ المُورِقِ
ما إن بَكَيْتُ على شَبَابٍ قد ذوى وبقيتُ منتظراً لآخرِ مُورِقِ

وقال فى القلم :

لك القلمُ الأعلى الذى طال فخرُه وإن لم يكن إلا قصيراً مُجَوِّفاً
تَعْلَمُ منه [الناس] ^(٤) أبدعَ حكمة فها هو أمضى ما يكونُ مُحَرِّفاً

(١) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : حَبُوساً .

(٢) فى المخطوطين : فستلقى .

(٣) فى المخطوطين : ويشقى .

(٤) ناقصة فى المخطوطين .

وقال في التشبيه :

كأنما الشُّوسن الغضُّ الذي افْتَتَحَتْ منه كَأَمُّهُ المَبِيضَةُ اللُّونُ
بنانُ كَفَّ فتاةٍ قط ما خَضَبَتْ^(١) تَلْقَى بها مَنْ يراها خيفة العَيْنِ

وقال يُعَرِّضُ بقوم من بني أرقم :

إذا ما نَزَلْتَ بوادي الآشِ فقل ربِّ من لَدَغِهِ سَلَمٌ
وكيف السَّلامةُ في مَوْطِنٍ به عُصْبَةٌ من بني أرقم

وقال مورياً بالفقه ، وهو بديع :

لى دَيْنٌ على الليالى قديمٌ ثابتُ الرِّسْمِ منذُ خمسين حِجَّةً
أقاعداً بالحكم عليها أم لها في تقادم الدهر حُجَّةً

ونحتم مقطوعاته بقوله :

نَجَوْتُ بفضل الله مِمَّا أخافهُ ولمَ لا وخَيْرُ العالَمينَ شَفِيعُ
وما ضِيعْتُ في الدنيا بغير شفاعه فكَيْفَ إذا كان الشفيعُ أَضِيعُ

وقال أيضاً :

عليك بتقوى الله فيما ترؤمهُ من الأمرِ تَخْلُصُ بالمرام وبالأجر
ولا تَرْجُ غيرَ الله في نَيْلِ حاجةٍ ولا دَفْعَ ضَرٍّ في سِرارٍ ولا جَهْرٍ
فمن أمَّ^(٢) غيرَ الله أشْرَكَ عاجلاً وفارقه إيمانه وهو لا يَدُرُ

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : خطبت .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » رام .

وفاته

توفي قاضياً بـ بُرْجَة^(١) ؛ وسيق إلى غرناطة فدفن بباب البيرة عصر يوم الأربعاء
آخر يوم من ربيع الأول عام خمسة وأربعين وسبعائة .

خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوى

من أهل قَنْتُورِيَّة^(٢) ، من حصون وادي المنصورة .

حاله

هذا الرجل من أهل الفضل والسّذاجة ، كثير التواضع ، منحطٌ في ذِمّة
التَّخَلُّق ، نابه الهيئة ، حسن الأخلاق ، جميلُ العشرة ، مُحَبَّبٌ^(٣) في الأدب ؛
قضى ببلده وبغيره ، وحجَّ وقَيَّدَ رحلته في سِفَرٍ^(٤) ، وصف فيه البلاد ومن لَقِيَ ،
بفصول جالب أكثرها من كلام العِمَادِ الأَصْبَهَانِي ، وصَفْوَان وغيرهما من مُلَح .
وقَفَلَ إلى الأندلس ، وارتَسَمَ في تونس في الكتابة عن أميرها زماناً يسيراً ؛ وهو
الآن قاضٍ ببعض الجهات الشرقية .

وجرى ذكره في الرِّحْلَة^(٥) التي صدرت عني في صُحْبَةِ الرَّكَّابِ السلطاني عند

(١) سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١٦٤) .

(٢) قنتورية . وبالإسبانية Cantoria . وهي بلدة صغيرة من أعمال ولاية ألمرية . تقع على نهر
المنصورة على مقربة من بلدة المنصورة . وقد سبق التعريف بهذا النهر وواديه (راجع الحاشية في ص ٤٩٥) .

(٣) في المخطوطين : محب .

(٤) وردت في المخطوطين : سفن . وهو تحريف .

(٥) هي رسالة ابن الخطيب المسماة « خطرة الصيف في رحلة الشتاء والصيف » . وقد عرفنا بها
في المقدمة .

تَفَقَّدُ البلادَ الشرقية ، في فصل حَفِظَها الناس ، وأَجْرُوهُ في فِكاهاَتِهِم وهو :

« حَتَّى إِذَا الْفَجْرُ تَبَلَّجَ ^(١) ، وَالصُّبْحُ مِنْ بَابِ الْمَشْرِقِ تَوَلَّجَ ، عُدْنَا ^(٢) وَتَوَفَّقَ اللَّهُ قَائِدٌ ، وَكُنْفُنَا ^(٣) مِنْ عَنَائِهِ صَلَوةٌ وَعَائِدٌ ، تَتَلَقَّى رُكَابُنَا الْأَفْوَاجُ ، وَتُحْيِينَا الْمِضَابَ وَالْفِجَاجُ إِلَى قَنْتُورِيَّةٍ ، فَنَاهِيكَ مِنْ مَرَحَلَةٍ قَصِيرَةٍ كَأَيَّامِ الْوَصَالِ ، قَرِيبَةٍ الْبُكَرِ مِنَ الْأَصَالِ ، كَانَ الْمُبَيْتُ يَأْزَاءَ قَلْعَتِهَا السَّامِيَةِ الْارْتِفَاعِ ، الشَّهِيرَةِ الْامْتِنَاعِ ؛ وَقَدْ بَرَزَ أَهْلُهَا فِي الْعَدِيدِ وَالْعُدَّةِ ، وَالْإِحْتِفَالِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ الْعَهْدُ عَلَى طَوْلِ الْمُدَّةِ ، صَفُوفًا بِتِلْكَ الْبُقْعَةِ خِيَلًا وَرِجَالًا كَشَطَرِ نَجْمِ الرَّقْعَةِ ، لَمْ يَتَخَلَّفْ وَلَدٌ عَنْ وَالِدٍ ، وَرَكْبٌ قَاضِيهَا ابْنُ أَبِي خَالِدٍ ؛ وَقَدْ شَهَرَتْهُ النَّزْعَةُ الْحِجَازِيَّةُ ، وَقَدْ لَيْسَ مِنَ الْحِجَازِيِّ وَأَرْخَى مِنَ الْبَيَاضِ طَيْلَسَانًا ^(٤) ، وَتَشَبَّهَ بِالْمَشَارِقَةِ شَكْلًا وَلِسَانًا ، وَصَبَغَ لِحْيَتَهُ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ ^(٥) ، وَلَاثَ عِمَامَتِهِ وَاخْتَمَ ، وَالْبِدَاوَةُ تُسَيِّمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ، وَطَبْعُ الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ يَقُودُهُ قَوْدَ الْجَمَلِ الْمَخْطُومِ ؛ فَدَاعِبَتْهُ مَدَاعِبَةُ الْأَدِيبِ لِلْأَدِيبِ ، وَالْأَرِيبِ لِلْأَرِيبِ ، وَخَيْرَتُهُ بَيْنَ خَصَلَتَيْنِ ، وَقَلَّتْ نَظْمَتُ مَقْطُوعَتَيْنِ ، إِحْدَاهَا مَدْحٌ ، وَالْأُخْرَى قَدْحٌ ؛ فَإِنْ هَمَّتْ دِيمَتُكَ ، وَكُرِمَتْ شِمَتُكَ ، فَلِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى ، وَإِلَّا فَالْمَثَلُ الْأَدْنَى . فَقَالَ ، انشِدْنِي لِأَرَى عَلَى أَيْ أَمْرٍ أَتَيْتَ ، وَأَفْرُقُ بَيْنَ مَا جَنِّيتَنِي وَمَا جَنَيْتُ ، فَقُلْتَ :

قَالُوا وَقَدْ عَظُمَتْ سِيرَةُ خَالِدٍ قَارِي الضِّيُوفِ بِطَارِفٍ ^(٦) وَبِتَالِدٍ
مَاذَا تَمَمْتَ ^(٧) بِهِ فَجِئْتَ بِمُحْجَةٍ قَطَعْتَ بِكُلِّ مُجَادِلٍ وَمُجَالِدٍ

(١) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » : تَلَجَ .

(٢) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » زَهْدُنَا .

(٣) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي : « ج » وَكُنْفَهُ .

(٤) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » : كَيْطَلَسَانَ .

(٥) هُوَ نَبَاتٌ يَخْضِبُ بِهِ لِلْسَّوَادِ .

(٦) فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : بِالطَّارِفِ . وَهُوَ لَا يَسْتَقِيمُ عَلَى الْوِزْنِ وَالسِّيَاقِ .

(٧) فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : تَمَّتْ .

أَنْ يَفْتَرِقَ نَسَبٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا أَدَبٌ أَتَاهُ فِي مَقَامِ الْوَالِدِ
 وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَيَكْفِي مِنَ الْبَرَقِ شُعَاعُهُ ، وَحَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ . وَيَسِيرُ التَّنْبِيهِ
 كَافٍ لِلنَّبِيِّهِ^(١) ؛ فَقَالَ ، لَسْتُ إِلَى قِرَايِ بَذَى حَاجَةٍ ، وَإِذَا عَزَمْتُ^(٢) فَأَصَالِحُكَ
 عَلَى دَجَاجَةٍ ؛ فَقُلْتُ ضَرِيئَةً غَرِيبَةً ، وَمُؤْنَةً قَرِيبَةً ، عَجَلٌ وَلَا تُؤَجِّلْ ، وَإِنْ
 أَضْرَمُ أَمْرُ النَّهَارِ أُسْجِلْ ؛ فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلًّا وَلَا ، وَأَعْوَانُهُ مِنَ الْقَلْعَةِ تَنْحَدِرُ ،
 وَالْبِشْرُ مِنْهُمْ بَقْدُومَهَا يَبْتَدِرُ ، يَرْفُوقُنَهَا كَالْعُرُوسِ فَوْقَ الرُّؤُوسِ ؛ فَمَنْ قَائِلٌ
 يَقُولُ أُمُّهَا يَمَانِيَّةٌ ، وَآخِرُ يَقُولُ أَخُوهَا الْخِصْيِيُّ الْمَوْجَّهٌ إِلَى الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ ، وَأَذْنُوهَا
 مَرَابِطُهَا مِنَ الْمَضْرَبِ ، بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرَبِ ، وَالْحَفُوفُ فِي السُّؤَالِ ، وَتَشَطُّطُوهَا فِي طَلَبِ
 النَّوَالِ ؛ فَقُلْتُ يَا بَنِي اللَّكِيْعَةِ لَوْ جِئْتُمْ بِيَازِي ، بِمَاذَا كُنْتُ أَجَازِي ، فَانصَرَفُوا
 وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَاوُمُونَ ؛ حَتَّى إِذَا سُلِّتْ لَدَبُجُهَا
 الْمَدَى ، وَبَلَغَتْ مِنْ طَوْلِ^(٣) أَعْمَارِهَا الْمَدَى ، قُلْتُ يَا قَوْمَ ظَفِرْتُمْ بِقُرَّةِ^(٤) الْعَيْنِ ،
 وَابْشِرُوا بِاقْتِرَابِ^(٥) الْلِقَاءِ ، فَقَدْ ذَبَحْتُ لَكُمْ غُرَابَ الْبَيْنِ .

وَلَقَدْ بَلَغْنِي أَنَّهُ لِهَذَا الْعَهْدِ بَعْدَ أَنْ طَالَ الْمَدَى ، يَتَنَظَّمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيَنْطَوِي مِنْ
 أَجَلِهِ عَلَى الْوَجْدَةِ ؛ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ : وَصَلَ اللَّهُ عِزَّةَ الْفَقِيهِ النَّبِيِّهِ ، الْعَدِيمِ النَّظِيرِ
 وَالتَّشْبِيهِ ؛ وَارِثَ الْعَدَالَةِ عَنْ عَمِّهِ وَابْنِ أَبِيهِ ، فِي عِزَّةٍ مُتَظَلِّلَةٍ ، وَوَلَايَةِ مُتَوَجِّجٍ
 جَاهِهِ وَتُكَلِّلِهِ .

(١) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » : التَّنْبِيهِ .

(٢) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » : اعْزَمْتُ .

(٣) وَرَدَتْ فِي « ج » . وَأَغْفَلْتُ فِي « ك » .

(٤) وَرَدَتْ فِي « ج » . وَأَغْفَلْتُ فِي « ك » .

(٥) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « ج » . وَوَرَدَتْ مُحَرَّفَةً فِي « ك » : بِالْعِتْرَابِ .

داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر
ابن حَوْط الله الأنصاري الحارثي الأندلي^(١)

يكنى أبا سليمان .

أوليتته

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ؛ من بيت علم وعفاف ، أصله من أُنْدَة^(٢) ،
حصن بشرقي الأندلس ، وانتقل أبو سليمان هذا مع أخيه القاضي أبي محمد إلى حيث
يذكر بعد .

حاله

قال ابن عبد الملك ؛ كان حافظاً للقراءة ، عارفاً بإقراء القرآن بها ، أتقن ذلك
عن أبيه ، ثم أخيه كبيره أبي محمد ، محدثاً متسع الرواية ، شديد العناية بها ، كثير
السمع ، ثقة ، مُكثراً ، عدلاً ، ضابطاً لما ينقله ، عارفاً بطرق الحديث ، أطال الرّحلة
في بلاد الأندلس ، شرقها وغربها ، طالباً للعلم بها ، ورحل إلى سبّنة وغيرها من
بلاد^(٣) العُدوة^(٤) ، وعنى بقاء الشيوخ كباراً وصغاراً ، والأخذ منهم ، أتمّ عناية ؛

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : (الأبدى) نسبة إلى أبدة . وهو تحريف . وصوابه (الأندلي)
نسبة إلى بلدة . « أُنْدَة » كما هو مسطور في سياق الترجمة في غير موضع .

(٢) أُنْدَة بلدة أندلسية قديمة من بلاد ولاية بلنسية .

(٣) وردت بعد هذه الكلمة في المخطوطين كلمة : (الأندلس) . وظاهر من سياق الكلام أن
لا محل لها هنا وأنها وردت سهواً فقط .

(٤) أعنى بلاد المغرب .

وحصل له بذلك ما لم يحصل لغيره ؛ وكان فهمياً بصيراً بعقد الشروط ، حاذقاً في استخراج نكتها ، تلبس بكتبها زماناً طويلاً بمسجد الوحيد من مالقة ؛ وكان محباً في العلم وأهله ، حريصاً على إفادته أيتام ، صبوراً على سماع الحديث ، حسن الخلق طيب النفس ، متواضعاً ، ورعاً ، منقبضاً ، لين الجانب ، مخفوض الجناح ، حسن الهدى ، نزيه النفس ، كثير الحياء ، رقيق القلب ، تعدد الثناء عليه من الجيلة .

قال ابن الزبير ؛ كان من أهل العدالة والفضل ، وحسن الخلق ، وطيب النفس والتواضع ، وكثرة الحياء . وقال ابن عبد المجيد ؛ كان ممن فضله الله بحسن الخلق والحياء . على كثير من العلماء . وقال أبو عبد الله بن سلمة [مثل ذلك] ^(١) . وقال ابن ^(٢) ... بمثله .

مشيخته

قال الأستاذ؛ أقرأ بمرسية ، وأخذ بها ، وبقرطبة ، ومالقة ، وإشبيلية ، وغرناطة وسبتة ، وغيرها من بلاد الأندلس ، وغرب العدو ؛ واعتناؤه يُعِينُهُ [وأخاه] ^(٣) بباب الرواة ، والأخذ عن الشيوخ ، حتى اجتمع لهما ما لم يجتمع لأحد من أهل عصرهما ؛ فمن ذلك أبوهما ، أبو داود ^(٤) ، وأبو الحسن صالح بن يحيى بن صالح الأنباري ، وأبو القاسم بن حسن ، وأبو عبد الله بن حميد ، وأبو زيد الشَّهَلِي ، وأبو عبد الله محمد ابن محمد بن عراق الغافقي ، وأبو العباس يحيى بن عبد الرحمن المجريطي ^(٥) ، وعن

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » : كذلك .

(٢) لم يرد بعدها باقي الإسم في المخطوطات الثلاث .

(٣) وردت في المخطوطين : (أخباره) . وقد رجحنا أن تكون تعريفاً لكلمة (وأخاه) . يؤول ذلك باقي السياق .

(٤) وردت في « ج » وأغفلت في « ك » .

(٥) نسبة إلى مجريط (وبالإسبانية Magerit) . وهي القاعدة الإسلامية الحصينة التي كانت تقع شمال مدينة مدريد الحديثة ، والتي حرف اسمها فيما بعد إلى اسم العاصمة الإسبانية .

ابن بَشْكُوَال^(١)؛ وأخذ عن أبي بكر بن الجَد ، وأبي عبد الله بن زَرْقُون ، وأبي محمد ابن عبد الله ، وأبي عبد الله بن الفَخَّار الحافظ ، وأبي العباس بن مضاء ، وأبي محمد بن بُونَه^(٢) ، وأبي محمد بن عبد الصمد بن يَعِيش الغَسَّانِي ، وأبي بكر بن أبي حمزة ، وأبي جعفر بن حَكَم الزَّاهِد ، وأبي خالد بن يزيد بن رفاعه ، وأبي محمد عبد المنعم ابن الفَرَس ، وأبي الحسن بن كَوَثَر ، وأبي عبد الله بن عَرُوس ، وأبي بكر ابن أبي زَمَنِين ، وأبي محمد بن جُهمُور ، وأبي بكر بن النِّيار ، وأبي الحسن بن محمد بن عبد العزيز الغافِقِي الشَّقُورِي ، وأبي القاسم الحُوفِي القاضِي ، وأبي بكر بن بيش^(٣) بن محمد بن بيش^(٣) العَبْدَرِي ، وأبي الوليد بن جابر بن هشام الحَضْرَمِي ، وأبي بكر بن مالك الشَّرِيشِي ، وأبي عبد اليُسْر الجَزِيرِي ، وأبي بكر بن عبد الله السَّكْسَكِي^(٤) وأبي الحجاج ابن الشيخ الفهري ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

قضاؤه وسيرته فيه

قال ابن أبي الربيع^(٥) لازمت ابني^(٦) حَوْطِر الله ، فكان أبو محمد يفوق أخاه والناس في العلم ، وكان أبو سليمان يفوق أخاه والناس في الحِلْم . واستُتْقِضِي بِسَبْتَةِ وَالْمَرِيَّةِ والجزيرة الخضراء ، وقام قاضياً بها مدة ، ثم نقل منها إلى قضاء بَلَنْسِيَّةِ آخر ثمان وستائه ، ثم صُرف بأبي القاسم بن نُوح ، وقُدِّم على القضاء بمالقة في حدود إحدى عشر وستائه ، فشُكِرَتْ أحواله كلها ، وعُرف في قضاؤه بالنزاهة . قال

(١) وردت في المخطوطين محرفة : ابن شكوال .

(٢) وردت في المخطوطين محرفة : بزنو . وبولوا . والتصويب من « صلة الصلة » (ص ٧) .

(٣) هكذا وردتا في « ل » . ووردتا محرفتين في « ج » : (يبشر . بيش) .

(٤) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » ، والسكساكي .

(٥) في المخطوطين : ابن الربيع .

(٦) وردت في المخطوطين : أبي : والتصويب يستلزمه السياق .

أبو عبدالله بن سلمة ؛ كان إذا أحضر خَصْماً ^(١) ، ظهر منه [من] ^(٢) التواضع ، ووطأة الأكناف ، وتبيين المرشد ، والصبر على الإدارة ، والملاطفة ، وتحبيب الحق ، وتكريه الباطل ، ما يُعجز عنه . ولقد حضرته ، وقد أوجبت الأحكامُ عنده ^(٣) الحدود على رجلٍ ، فماله الأمر ، وذرفت عيناه ، وأخذ يعتبُ عليه ويؤنّبهُ على أن ساق نفسه إلى هذا ، وأمر بإخراجه ، ليحدّ بشهود في موضع آخر لرقّة نفسه ، وشدة إشفاقه . واستمرت ولايته بمالقة إلى أن توفى .

مولده

ببلدة أُنْدَة سنة ستين وخمسة .

وفاته

قال أبو عبد الرحمن بن غالب ؛ توفى إثر صلاة الصبح من يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وستمئة ، ودفن إثر صلاة العصر يوم وفاته ، بسفح جبل فارة ^(٤) ، في الروضة المدفون بها أخوه أبو محمد ، فأتبعه الناس ثناءً جميلاً ؛ ذكر واختلفوا في جنازته ، وخرج إليها النساء والصبيان داعين مُتَبَكِّين .

رِضْوَانُ النَّصْرِيِّ الْحَاجِبِ الْمُعَظَّمِ

حَسَنَةُ الدَّوْلَةِ النَّصْرِيَّةِ ، وفخرُ موالِهَا .

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » خصوصاً .

(٢) ساقطة في المخطوطين . ولزامة للسياق .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » عند .

(٤) هو الجبل الذي يشرف على مدينة مالقة من ناحية الجنوب الشرق . وهو يقع تجاه قصبة مالقة .

ويقع عليه الحصن المسمى بنفس الاسم . وهو بالإسبانية Gibralfaro

أوليته

رومى الأصل . أخبرني أنه من أهل القلصادة^(١) ، وأن انتسابه يتجاذبه القشتالية من طَرَف العمومة ، والبرجلونية^(٢) من طرف الخُوولة ، وكلاهما نبيه في قومه ، وأن أباه ألباه الخوف بدم ارتكبه في محل أصالته من داخل قشتالة إلى الشكنى بحيث ذكر ؛ ووقع عليه سبب^(٣) في سن الطفولية^(٤) ، واستقر بسببه بالدار السلطانية ، ومحض^(٥) إحرار رقه ، السلطان دايل قومه ، أبو الوليد المار ذكره ؛ فاختص به ، ولأزمه قبل تصيير الملك إليه ، موثراً له ، مغتبطاً بمخائل فضله ، وتمائلاً استقامته ؛ ثم صير الملك إليه ، فتدرّج في معارج خطوته ، واختص بتربية ولده ، ورَكَنَ إلى فضل أمانته ، وخلطه في قُرب الجوار بنفسه ، واستجلى الأمور المشككة بصِدْقه ، وجعل الجوائز السنية لعظماء دولته على يده ؛ وكان يوجب حقه ويعرف فضله ، إلى أن هلك ؛ فتعلق بكنف ولده ، وحفظ شمله ، ودبر ملكه ، فكان آخر اللّخف ، وسترا للحرم ، وشجى للعدا ، وعُدّة في الشدة ، وزينا في الرّخاء ، رحمة الله عليه .

حاله وصفته

كان هذا الرجل مليح الشّيبة والهيئة ، معتدل القَدِّ والسّحنة ، مُرهب البدن ،

(١) وردت في المخطوطين : (القلصارة) بالراء . وهو تحريف . وصوابه القلصادة . وهي بلدة La Calzada de Calatrava الواقعة جنوب قشتالة في شمال مدينة بياسة في منتصف الطريق بينها وبين طليطلة .
(٢) القشتالية نسبة إلى قشتالة Castile . والبرجلونية نسبة إلى برجلونة أو برشلونة أو بمبارة أخرى إلى أراجون .
(٣) أي أسر .
(٤) هكذا وردت في المخطوطين .
(٥) في المخطوطين : محض .

مُقبل الصورة ، حسن الخلق ، واسع الصدر^(١) ، أصيل الرأي ، رصين^(٢) العقل ، كثير التَّجَمُّل ، عظيم الصبر ، قليل الخوف في الهَيْعَات ، ثابت القدم في الأزمات ، ميمون النِّقِيَّة^(٣) ، عزيز النَّفْس ، عالى الهِمَّة ، بادی الحشمة ، آية في العِفَّة ، مثلاً في النزاهة ، ملتزماً للسُّنَّة ، دؤُبا على الجماعة ، جليس القِبْلَة ، شديد الإدراك مع السكون ، ثاقب الذهن مع إظهار الغَفْلَة ، مليح الدُّعَابَة مع الوقار والسكينة ، مستظهراً لعيون التاريخ ، ذا كراً للكثير من الفقه والحديث ، كثير الدَّالَّة^(٤) على تصوير الأقاليم وأوضاع البلاد ، عارفاً للسياسة ، مُكرماً للعلماء ، مُترِكا للهَوَادَة^(٥) ، قليل التصنُّع ، نافرأ من أهل البِدَع ، متساوياً الظاهر والباطن ، مقتصدأ في المطعم والملبس .

مكانته من الدين

اتَّفَق على أنه لم يُعَاقَر مُسْكراً ، ولا زُنَّ بِهِنَاةً ، ولا لُطِخَ بِرِيبةً ، ولا وُصِمَ بِخَلَّةٍ تَقْدَحُ في مَنْصِبٍ ، ولا بَاشَرَ عِقَابَ جَازٍ^(٦) ، ولا أَظْهَرَ شِفَاءً من غَائِظٍ ، ولا اِكْتَسَبَ من غير التَّجَرُّ والفَلَاحة مالا .

آثاره

أحدث المدرسة بغرناطة . ولم تكن بها بعد ، وسبَّب إليها الفوائد ، ووقف عليها

(١) وردت بعدها في المخطوطين هذه العبارة : (متين . سليم الصدر) . ويلوح لنا أنه تكرر وتحريف . ولهذا رأينا حذفها .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : رصيد .

(٣) أى محمود المخبر .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين : والمقصود بها العلم والإحاطة .

(٥) في المخطوطين : للهودة .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين : وقد تعنى عقاب مستحق له .

الرَّباعُ الْمُغَلَّةُ ، وانفرد بِمَنْقَبِهَا^(١) ، فجاءت نسيجة وحدها بهجة ورصداً وظرفاً وفخامة ، وجَلَبَ الماءُ الموقَفَ ، فأبَدَ سقيَه عليها ؛ وأدار السُّورَ الأعظمَ على الرِّبَضِ الكبيرِ المنسوبِ للبيّازين^(٢) ، فانتظم منه النَّجد والغُورُ ، في زمان قريب ، وشارف التمام إلى هذا العهد ؛ وبني من الأبراج المنيعة في مثالم الثُّغُور وروابي^(٣) مطالعها المُنْدِرَةُ ، ما يَنيفُ على أربعين بُرجاً ، فهي ماثلة كالنجوم ما بين البحر الشرقي من ثغر بيرة^(٤) إلى الأحواز الغربية ؛ وأجرى الماءُ بجبل مَوْرُورٍ ، مُهْتَدِياً إلى ما خفي على من تقدّمه ، وأفذاذ أمثال هذه الأنقاب يشقُّ تعداده .

جهاده

غزا في السادس والعشرين من محرم عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة بجيش مدينة باغة^(٥) ، وهي ما هي من الشهرة ، وكرم البقعة ، فأخذ بِمُخَنَّقِهَا ، وشدَّ حصارها وعاق الصريح عنها ، فتملكها عَنوةٌ ، وعمرها بالحماة ، ورتبها بالمُرابطة ، فكان الفتح فيها عظيماً . وفي أوائل شهر الحرم من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة غزا بالجيش عَدُوَّ المشرق ، وطوى المراحل مجتازاً على بلاد قَشْتَالَةَ ، لُورَقَةَ ومُرُسية ، وأمعن فيها ، ونازل حصن المَدَوَّرَ ، وهو حصن أمين غائلة العدو [مكْتَنَفٌ بالبلاد ، مُدٌّ بالبَسِينِ^(٦) ، موضوعٌ على طِيَّةِ التجارة ، وناشبه القتال ، فاستولى عَنوةٌ^(٧) عليه منتصف الحرم من العام المذكور ، وآبَ مملوء الحقائق سَيِّئاً وَغُنْماً .

(١) أى بفضلها وتأثيرها .

(٢) ما تزال ثمة إلى اليوم بقية من هذا السور قائمة وراء ربض البيّازين بغرناطة .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : ورواق .

(٤) بيرة Vera وقد سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١١٥) .

(٥) باغة وبالإسبانية Priego هي بلدة حصينة قديمة تقع شمال لوشة في ولاية جيان .

(٦) الآلات والتجهيزات الضخمة .

(٧) ١٠ بين الحاصرتين وارد في « ك » . وساقط في « ج » .

وغزواته كثيرة ، كظاهرة الأمير الشهير أبي مالك على مُنازلة جبل الفتح ، وما
اشتهر عنه فيه من الجد والصبر ، وأوثر عنه من المنقبة ، الدالة على صحة اليقين ،
وصدق الجهاد ، إذ أصابه سهم في ذراعه وهو يصلي ، فلم يشغله عن صلاته ، ولا حمله
توقعُ الإغارة على إبطال عمله .

ترتيب خدمته

وما تخلل ذلك من محنته

لما استوثق أمرُ الأمير الخصوص بتربيته ، محمد ، بن أمير المسلمين أبي الوليد
نصر ، وقام بالأمر وكيل أبيه الفقيه أبو عبد الله محمد بن المحروق ، ووقع بينه وبين
المرجّم عهداً على الوفاء والمناصحة ، ولم يلبث أن نكبه وقبض عليه ليلة كذا من
رجب عام ثمانية وعشرين وسبعائة ، وبعثه ليلاً إلى مَرَسَى الْمُنْكَب (١) ، واعتقله
في المطبق من قصبته ، بغياً عليه ، وارتكب فيه أشنوعة أساءت به العامة ،
وأنذرت باختلال الحال ، ثم أجاز به البحر ، فاستقر بتلمسان ؛ ولم يلبث أن
قُتل المذكور ؛ وبادر سلطانه الموتور بفرقة (٢) عن سُدَّتِهِ ، فاستدعاه (٣) فلحق
محلّه من هَضْبَةِ الْمُلْك مُتَمَلِّياً ما شاء من عز وعناية ، فصُرِفَ إليه المقاليد ،
وَنِيِطَتْ به الأمور ، وسُلم إليه الْمُلْك ، وأُطلقت يده في المال (٤) ؛ واستمرت
الأحوال إلى عام ثلاثة وثلاثين وسبعائة ، والتأث الأمر ، وظهر من سلطانه التنكر (٥)

(١) المنكب Almunecar هو ثغر صغير يقع على البحر الأبيض المتوسط في جنوبي ولاية غرناطة
وقد اشتهر في تاريخ الأندلس بنزول عبد الرحمن الداخل فيه .

(٢) وردت في المخطوطين . بغرفيه ، وهو تحريف . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) في المخطوطين : استدعاه .

(٤) وردت في المخطوطين : الحال . ونعتقد أن التصويب في محله .

(٥) في المخطوطين : المتنكر .

عليه ، فعاجله الحمام ، فخلصه الله منه ؛ وولى أخوه أبو الحجاج من بعده ، فوقع الإجماع على اختياره للوزارة أوائل المحرم من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة ، فرضى الكل به ، وفرحت العامة والخاصة للخطبة ، لارتفاع المنافسات بمكانه ، ورضى الأضداد بتوسطه ، وطابت النفوس بالأمن من غائلته ؛ فتولّى الوزارة وسحب أذيال الملك ، وانفرد بالأمر ، واجتهد في تنفيذ الأحكام ، وتقدّم الولاية ، وجواب الخطابات ، وقواد الجيوش ، إلى ليلة الأحد الثاني والعشرين من رجب عام أربعين وسبعمائة ، فنكبه الأمير المذكور نكبة ثقيلة ^(١) البرك ، هائلة الفجأة ، من غير زلة مأثورة ، ولا سقطة معروفة ، إلا مالا يُعَدُّم بأبواب الملوك من شرور المنافسات ، ودَيِّب السَّعَايات الكاذبة ؛ وقبض عليه بين يدي محراب الجامع من الحمراء ^(٢) إثر صلاة المغرب ، وقد شَهِرَ الرجال سيوفهم فوقه يحفُّون به ، ويقودونه إلى بعض دور الحمراء ؛ وكبس ثُقات السلطان منزله ، فاستوعبوا ما اشتمل عليه من نعمة ، وضم إلى المستخلص ^(٣) عقاره ، وسوَّغ الخبرَ عِلاَّتَه ؛ ثم نُقل بعد أيام إلى قصبة المِريَّة محمولا على الظهر ، فشُدَّ بها اعتقاله ، ورتب الحرس عليه إلى أوائل شهر ربيع الثاني من عام أحد وأربعين وسبعمائة ؛ فبدأ للسلطان في أمره واضطر إلى إعادته ^(٤) ، ووجدَ فَقْدَ نُصِحه ، وأشفق لما عَدِمَ من أمانته ، والانتفاع برأيه ، وغرض عليه بالنوم الكف والإقصار عن ضَرِّه ؛ فعفاه عنه ، وأعادَه إلى محله من الكرامة ، وصرف عليه من ماله ، وعرض الوزارة فأبأها ، واختار بُرد العافية ، وأنس لذَّة التَّخْلِى ، فَقُدِّمَ لذلك مَنْ سَدَّ الثُّغور ، فكان له اللفظ ، ولهذا الرجل المعنى ؛ فلم [يزل] ^(٥) مفرِّعا للرأى ، مُحَلِّى في العِظَةِ على الولاية ، كثير الأمل والغاشى ،

(١) في « ج » بقيلة . و « ك » نفيلة . والتصويب أرجح .

(٢) مسجد الحمراء الكبير ، كان يقوم فوق هضبة الحمراء على مقربة من القصر ، ومكانه اليوم كنيسة سانتا ماريا الواقعة على مقربة من قصر شارلكان القائم تجاه قصر الحمراء .

(٣) المستخلص أى أملاك السلطان .

(٤) وردت في المخطوطين : إعادته . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٥) ساقطة في المخطوطين .

إلى أن توفي السلطان المذكور غرة شوال من عام خمسة وخمسين وسبعائة ،
 فَشَعَبَ الثَّانِي ^(١) ، وَحَفِظَ الْبُلُوِي ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ لَوْلَاهُ سُلْطَانِنَا الْأَسْعَدُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ،
 وَقَامَ خَيْرُ قِيَامٍ بِأَمْرِهِ ، وَجَرَى عَلَى مَعْهُودِ اسْتِبْرَائِهِ ^(٢) ، وَقَدْ تَحَكَّمَتِ التَّجْرِبَةُ ، وَعَلَّتْ
 السَّنُّ ، وَزَادَتْ أَنَّ الْخَشْيَةَ ، وَقَرُبَتْ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ الشُّقَّةُ ، فَلَا تَسْأَلُ عَمَّا حَطَّ مِنْ
 خَلٍّ ، وَأَفَاضَ مِنْ عَدَلٍ ، وَبَذَلَ مِنْ مُدَارَاةٍ ؛ وَحَاوَلَ عَقْدَ السَّلَامِ ، وَسَدَّ أُمُورَ الْجَنْدِ
 عَلَى الْقِلِّ ؛ وَدَامَتْ حَالُهُ مُتَصِلَةً عَلَى مَا ذَكَرَ ، وَسَنَّهُ تَتَوَسَّطُ عَشْرَ التَّسْعِينَ إِلَى أَنْ
 لَحِقَ بِرَبِّهِ . وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي لَمْ يَحْمِلْنِي عَلَى تَقْرِيرِ سِيرَتِهِ ، وَالْإِشَادَةِ بِمَنْقَبَاتِهِ دَاعِيَةً ،
 وَإِنَّمَا هُوَ قَوْلٌ بِالْحَقِّ ، وَتَسْلِيمٌ لِحُجَّةِ الْفَضْلِ ، وَعَدْلٌ فِي الْوَصْفِ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 يَقُولُ : « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا » .

وفاته

فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ عَامِ سِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، طَرَقَ
 مَنْزِلُهُ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ إِحْيَاءِ ثُلُثِ اللَّيْلِ ، مُتَبَذِّلٌ لِلْبَيْسَةِ ، خَالِصٌ ، الطَّوِيَّةُ مُقْتَضِيًا لِلْأَمْنِ
 مُسْتَشْعِرًا لِلْعَافِيَةِ ، قَائِمًا عَلَى الْمَسَامِينِ بِالْكَلِّ ، حَامِلًا لِلْعَظِيمَةِ ، وَقَدْ بَادَرَهُ الْغَادِرُونَ
 بِسُلْطَانِهِ ، فَكَسَرُوا غَلْقَهُ بَعْدَ طَوْلٍ مُعَاجِلَةٍ ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ بَيْنَ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ،
 وَذَهَبُوا إِلَى الدَّائِلِ بِرَأْسِهِ ، وَفَجَعُوا الْإِسْلَامَ ، بِالسَّائِسِ الْخَصِيبِ الْمُتَغَاضِي ^(٣) ، رَاكِبَ
 مَتْنِ الصَّبْرِ ، وَمَطَوَّقَ طَوِّقِ الزَّاهَةِ وَالْعَفَافِ ، وَآخِرَ رِجَالِ الْكَمَالِ وَالسَّتْرِ ، الضَّافِي
 عَلَى الْأَنْدَلُسِ ؛ وَلَوْثُمْ مِنَ الْغَدِّ بَيْنَ رَأْسِهِ وَجَسَدِهِ ، وَدُفِنَ بِإِزَاءِ لِحُودِ ^(٤) مَوَالِيهِ ^(٥)

(١) وَرَدَتْ فِي « ك » الشَّائِنِ . وَفِي « ج » الشَّافِي .

(٢) تَقْرَأُ فِي الْمَخْطُوطِينَ : اسْتِبْرَادُهُ . هُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) وَرَدَتْ فِي « ج » الْمُغَاضِي . وَفِي « ك » الْمُقَاضِي .

(٤) وَرَدَتْ مُحَرَّفَةً فِي الْمَخْطُوطِينَ : (لِحُودِ . اِنْجُودِ) .

(٥) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » : مَوَالِيْفُهُ .

من السييكة^(١) ظهراً ، ولم يشهد جنازته إلا القليل من الناس ، وتُبرك بعدُ بقبره .
وقلت عند الصلاة عليه ، أخاطبه دون الجهر من القول لمكان التقية :

أَرْضِوان لا تُوحشك فَتُكَ ظالمِ فلا مُوردٌ إلا سَيُتلوه مَصْدَرُ
ولله سرٌّ في العباد مُغَيَّبٌ يشيد بخافيه^(٢) القضاء المُقَدَّرُ
سَمِيَّك مرتاحٌ إليك مُسَلِّمٌ عليك وِرِضوان من الله أ كَبَرُ
فحَثَّ المطأ لَيْسَ النعيم مُنْغَصٌّ ولا العيشُ في دار الخلود مُكَدَّرُ

زَاوِي بن زِيْرِي بن مَناد الصَّنْهاجِي

الحاجب المنصور ، يكنى أبا مُثْنَى .

أوليتّه

قد مر ما حدث بين أبيه زيْرِي وبين قرابته من ملوك إفريقية ، بادِيس بن منصور من المُشاحنة التي أوجبت مخاطبة المُظفر بن أبي عامر في اللُّحاق بالأندلس ، وإذنه في ذلك . فدخل الأندلسَ منهم على عهده جماعة وافرة من مساعير الحروب وآثار^(٣) الحُتُوف ، مع شيخهم هذا وأميرهم ، ودخل منهم معه أبناء أخيه ما كَسَنَ وحُباسة وحبُوس ، وقاموا في جُملة المُظفر ، وزاوى مخصوصٌ باسمِ الحُجابة ؛ فلما اختلَّ بناء الخلافة ، بمحمد بن عبد الجبار المُلقب بالمهدى ، أذلَّهم وتنكر لهم ، وأشاع بينهم وبين أمثالهم من البرابر ، المُغايرة ، فكان ذلك سبب الفتنة التي يسميها أهل الأندلس

(١) سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١٢٢) .

(٢) وردت في المخطوطين : تعجافيه .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : وأطار .

بالبربرية ؛ فأنحاشوا ، ونفروا^(١) عهده ، وبايعوا سليمان بن الحكم ، واستعانوا بالنصارى ، وحركوا على أهل قرطبة خصوصاً ، وعلى أهل الأندلس عموماً ، ما شاء الله من استباحة^(٢) ، وإهلاك النفوس ، وغلبوا على مُلك الأندلس ، وما وراء البَيْضَة ، واقتسموا أمَّهات الأقطار ؛ وانحازوا^(٣) إلى بلاد تَضُمُّهم ، فأنحازت صِنْهاجة مع رئيسهم المذكور إلى غرناطة ، فأووا إليها ، واتَّخذوها ملجأً ، وحماها زاوى المذكور ، وأقام^(٤) بها ملكاً ، وأثَّل بها سلطاناً لذويه ، فهو أوَّل من مدَّ غرناطة ، وبنائها وزادها تشييداً ومَنعة ؛ واتصل ملكه بها ، وأرشدت عروقه ، إلى أن كان من ظهوره بها وأحوازها ، على عساكر الموالى ، الراجعين بإمامهم المرتضى إلى قرطبة ، البادين بقتاله ، والآخذين بكَظْمِهِ ، بما تقرر ويتقرر فى اسم المرتضى ، من باب المُحمدين بحول الله .

وكان زاوى كَبَش الحروب ، وكاشف الكروب ، خدم قومه ، شهير الذِّكر ، أصيل المجد ، المثل المضروب فى الدهاء ، والرأى ، والشجاعة ، والأنفة ، والحزم . قال بعضهم ، أحكم التدبير ، والدولة تُسَعِّده ، والمقدار^(٥) ينبجده ؛ وحُكيت له فى الحروب حكايات عجيبة .

بعض أخباره فى الرأى

قال أبو مروان ، وقد مرَّ ذكرُ الفتنة البربرية ؛ لما خَلَصَ ملأُ القوم ، لتشاوُر أميرهم ، وهم فرض فى خروجهم من قرطبة ، عند ما انتهوا إلى فَحْص هلال ،

(١) هكذا فى « ك » . وفى « ج » : ونفدوا .

(٢) وردت فى « ج » . واستبحه . وفى « ك » استباحات .

(٣) هكذا فى « ك » . وفى « ج » ال واجتازوا .

(٤) فى المخطوطين : وقام .

(٥) هنا بمعنى القدر .

اجتمعوا على التآسى ، وضرب لهم زعيمهم زاوى بن زيرى بن مناد الصنهاجى ، مثلاً بأرماع خمسة جمعها مشدودة ، ودفعها لأشد من حضره منهم ، وقال له ، إجهد نفسك فى كسرهما كما هى وأغمرهما ، فعالج ذلك فلم يقدر عليه ؛ فقال له حلها وعالجها رُمَحًا رُمَحًا ، فلم يبعد عليه دقها ؛ فأقبل على الجماعة ، فقال : هذا مثلكم يا برابرة ، إن مُجِعتُم لم تُطافوا ، وإن تفرقتُم لم تبَقوا ، والجماعة فى طلبكم ، فانظروا لأنفسكم وعجلوا ، فقالوا نأخذ^(١) بالوثيقة ، ولا نُلقي^(٢) بأيدينا [إلى]^(٣) التهلكة ؛ فقال لهم بايعوا لهذا القرشى سليمان ، يرفع عنكم الأنفة فى الرياسات^(٤) ، وتستميلون إليه العامة بالجنسية ؛ ففعلوا ، فلما تمت البيعة ، قال إن مثل هذا الحال لا يقوى على أهل الإستطالة ، فيقيد له رئيس كل قبيلة منكم ، قبيلة يتكفل السلطان بتقويمهم ، وأنا الكفيلُ بصنهاجة ؛ قال ، وامتارت بطون القبائل على أرحامها^(٥) ، وقبائلها إلى أخاذا وفصائلها ؛ فاجتمع كل فريق منهم على تقديم سيده ، فاجتمعت صنهاجة على كبيرها زاوى ، ولم تزل^(٦) تلك القبائل المتألفة بالأندلس لطاعة أميرها ، المنادين^(٧) [له]^(٨) إلى أن أورثوهم الإمارة .

التوقيع

قالوا ، ولما نازله المرتضى الذى أجلب به الموالى العامرين بظاهر غرناطة ، خاطبه

(١) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : نأخذوا .

(٢) وردت فى المخطوطين : نلقوا على منوال ما يقع فى مواطن كثيرة من إيراد الفعل بالجمع .

مكان المفرد . وقد فضلنا التصويب ليستقيم السياق .

(٣) ساقطة فى المخطوطين .

(٤) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : الرياسة .

(٥) هكذا فى « ك » . وفى « ج » : أرحامهم .

(٦) وردت فى المخطوطين : ولم تر الدم . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٧) فى المخطوطين : المغاديين .

(٨) ساقطة فى المخطوطين ، ويقتضيا السياق .

بكتاب يدعوه فيه إلى طاعته ، وأجل موعده فيه ؛ فلما قرئ على زاوى قال لكتابه ، اكتب على ظهر رقعة : « قل يا أيها الكافرون » السورة . فلما بلغت^(١) المرتضى أعاد عليه كتاباً يعده فيه بوعيده ، فلما قرئ على زاوى ، قال رد عليه : « ألهاكم التكاثر » إلى آخرها ، فازداد المرتضى غيظاً ، وناشبه القتال ، فكان الظهور لزاوى .

قال المؤرخ ؛ واقتلت صنهاجة مع أميرهم مُستَمِيتين لما دهمهم من بحر العساكر ، على انفرادهم وقلة عددهم ، إلى أن انهزم أهل الأندلس ، وطاروا على وجوههم ، مُسَلِّمُوهم وإفرتُجُهم ، لا يلوون^(٢) على أحد ، فأوقع^(٣) البرابر^(٤) بهم السيف ، ونهبوا تلك الحملات ، واحتوا على ما لا كفاء له اتساعاً وكثرة ؛ ظلَّ الفارس يجرى من أتباع المنهزمين ومعه العشرة ، ولا تسل عما دون ذلك من فاخر النهب ، وخير الفساطيط ، ومضارب الأمراء والرؤساء .

قال ابن حيان ؛ فخلَّ بهذه الواقعة على جماعة الأندلس مصيبةٌ أنست ما قبلها ، ولم يجتمع لهم جمعٌ بعدها ، وفرّوا بإدبار ، وباءوا بالصغار .

مُنْصَرَفُهُ عَنِ الْأَنْدَلُسِ

قال المؤرخ ؛ ولهلول ما عاينه زاوى من اقتدار [أهل]^(٥) الأندلس في أيام تلك الحروب وجعاجعهم ، وإشرافهم على التغلب عليه ، هان سلطانه عنده بالأندلس ، وخرج عنها نظراً إلى عاقبة أمره ، ودعا بجماعة من قومه لذلك فعصوه ، وركب البحر

(١) هكذا في « ل » . وفي « ج » .. أبلغ .

(٢) وردت في المخطوطين : يلووا . وقد لزم التصويب .

(٣) وردت في المخطوطين : فوقع .

(٤) هكذا في المخطوطين . وهو يستعمل هنا كلمة « البرابر » للتعبير عن البربر . وقد استعمل

من قبل كلمة « البرابرة » في مواطن عدة .

(٥) واردة في « ل » . وساقطة في « ج » .

بجيشه وأهله ، فلحق بإفريقية. وطنه . قال ، فكان من أغرب الأخبار في الدولة الحمودية^(١) انزعاج ذلك الشيخ زاوى عن سلطانه بعد ذلك الفتح العظيم الذى [ناله]^(٢) على أهل الأندلس، وعبوره البحر، بعد أن استأذن ابن عمه المعز بن باديس، فأذن له . وحرص بنو عمه^(٣) بالقيروان ، على رجوعه لهم [لحال سنه]^(٤) ، وتقريبهم يومئذ من مثله من مشيختهم لمهلك جميع إخوانهم، وحصوله هو [على]^(٥) مقرر بنى مناد الغريب الشأن ، فى أن لا تحجب عنهم نساؤهم [وكن]^(٦) زهاء ألف امرأة فى ذلك الوقت، هن ذوات محرم من بنات أخوته وبناتهن وبنى بنين. وكان رحيل زاوى عن الأندلس سنة ستة عشر وأربعمائة . قال ابن حيان ، وأخبار هذا^(٧) الداهية كثيرة ، وأفعاله ونوادره ماثورة .

زهير العامرى ، فتي المنصور بن أبى عامر

حاله

كان شهماً داهية ، شديد المذهب ، مؤثراً للأناة ؛ ولي بعد خيران صاحب المريّة ، وقام بأمره أحمد قيام ، سنة تسعة عشر وأربعمائة ، يوم الجمعة لثلاث خلون من جمادى الأولى . وكان أميراً بمرسية ، فوجه عنه خيران حين أحسّ بالموت ، فوصل

(١) هكذا فى « ك » . وفى « ج » : الحمودية .

(٢) ساقطة فى المخطوطين . ويستلزمها السياق .

(٣) فى المخطوطين : بنى عمه . وهو تحريف شائع فى المخطوطين .

(٤) وردت هذه العبارة فى المخطوطين : (بحال سيئة) . ونعتقد أن هذا التصويب الذى نورد من

« اللخيرة » ، أرجح وأنسب للمعنى والسياق .

(٥) إضافة يقتضيهما السياق .

(٦) إضافة يقتضيهما السياق .

(٧) فى المخطوطين : هذه .

إليه ، وكان عنده إلى أن مات . فخرج زهير مع ابن عباس^(١) إلى الناس ، فقال لهم ،
أما الخليفة خيران فقد مات ، وقد قدّم أخاه زهيراً هذا ، فما تقولون ؛ فرضى الناس
به ، فدامت مدة^(٢) ولايته عشرة أعوام ونصف عام إلى أن قُتل .

منابعه

قال أبو القاسم الغافقي ؛ وكان حسن السيرة جميها ؛ بنى المسجد في المريّة^(٣) ، ودار
فيه من جهاته الثلاث ، المشرق والمغرب والجوف ؛ وبنى مسجداً ببجاية ، وشاور
الفقهاء ، وعمل بقولهم ؛ وملك قرطبة ، ودخل قصرها ، يوم الأحد لخمس بقين من
شعبان سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، ودام سلطانه عليها خمسة عشر شهراً
ونصف شهر .

قال ابن عذارى ؛ وأما زهير الفتي فامتدّت أطنابُ مملكته من المريّة إلى قرطبة
ونواحيها ، وإلى شاطبة وما يليها ، وإلى بيّاسة^(٤) ، وإلى الفجّ من أول طليطلة .
وقالوا^(٥) : قرّما بينه وبين باديس [فأرسل باديس]^(٦) ، إلى زهير رسوله مكاتبا مُستدعياً
تجديد المحالفة^(٧) ، فسارع زهير ، وأقبل نحوه ، وضيع الحزم ، واغترّ بالعُجب ،

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : ابن العباس وهو تحريف . وابن عباس هو أحمد بن عباس
بن زكريا الأنصاري وزير خيران العامري . وقد سبقت ترجمته (ص ٢٦٧-٢٧٠) .

(٢) أغفلت هذه الكلمة في « ك » .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : بالمريّة .

(٤) وردت في المخطوطين : بيانه . والتصويب من « البيان المغرب » . والواقع أن بيانه كانت
داخل المملكة الإسلامية جنوب قرطبة والاستيلاء عليها لا يعتبر توسعاً ذو شأن . أما بياسة (وبالإسبانية
Baeza) فقد كانت في الشمال ، في أطراف المملكة الإسلامية .

(٥) ما سيلي من كلام ابن حيان في « المقتبس » نقله ابن بسام في « الذخيرة » . وقد رجعنا في
تحقيق بعض ما ورد فيه إلى الذخيرة (القسم الثاني من المجلد الأول ص ١٦٦ وما بعدها) .

(٦) أغفلت هذه العبارة في المخطوطين . ونقلناها عن الذخيرة .

(٧) في المخطوطين : المحالفة . والتصويب من الذخيرة .

ووثق بالكثرة ، أشبه شيء بمجى الأمير الضخم إلى عامل من عماله ، قد ترك رسم الإلتقاء بالنظراء وغير ذلك من وجوه الحزم ، وأعرض عن ذلك كله ؛ وأقبل ضارباً بسوطه^(١) ، حتى تجاوز الحد الذي جرت العادة بالوقوف عنده من عمل باديس دون إذنه ؛ وصير الأوعار والمضايق خلف ظهره ، فلا يفكر فيها ، واقتحم البلد ، حتى صار^(٢) إلى باب غرناطة . ولما وصل خرج باديس في جمعه ، وقد أنكر اقتحامه عليه ، وعدّه حاصلاً في قبضته ؛ [فبدأه بالجميل]^(٣) والتكريم ، وأوسع عليه وعلى رجاله في العطاء والقرى ، والتعظيم بما مكن اغترارهم ، وثبت طمأنينتهم ؛ ووقعت المناظرة بين زهير وباديس ، ومن حضرهما من رجال دولتهما ، فنشأ بينهما عارض الخلاف^(٤) لأول وهلة ، وحمل زهير أمره على التشطُّط ؛ فعزم باديس على اللقاء ووافقه عليه قوم من خُدّامه ، فأقام المراتب ، ونصب الكتائب ، وقطع قنطرة لا محيد عنها لزُهير ، والخاص^(٥) لا يشعر ؛ وغاداه عن تعبئة مُحكمة ، فلم يرُعه إلا رجة^(٦) القوم راجعين ، فدهش زُهير وأصحابه ، إلا أنه أحسن تدبير الثبات لو استتمه ؛ وقام فنصب الحرب ، وثبت في قلب العسكر ، وقدم خليفته هُذَيْلاً في وجوه أصحابه إلى الموالى ؛ فلما رأتهم^(٧) صنهاجة ، علموا أنهم الحُماة والشُّوكة ، ومتى حُصِدوا^(٨) لم يثبِت مَنْ وراءهم ، فاختلطوا بهم ، واشتد القتال ، فحكم الله لأقل الطائفتين من صنهاجة ليرى قدرته ، فانهزم زُهير وأصحابه وتقطّعوا ،

(١) هكذا في الذخيرة وفي المخطوطين : سوطه .

(٢) في المخطوطين : طار .

(٣) وردت هذه العبارة محرفة في المخطوطين : (فبدأ له بالجميل . فبدأ له بالجميل) . والتصويب من الذخيرة .

(٤) ساقطة في «ك» .

(٥) هكذا في الذخيرة وفي المخطوطين وفي البيان المغرب : الخاص .

(٦) في المخطوطين : وجوه . والتصويب من البيان المغرب .

(٧) وردت في المخطوطين : راوهم . والتصويب أنسب .

(٨) في المخطوطين : حضروا . والتصويب من الذخيرة .

وعمل السيف فيهم فمزقوا ، وقتل زهير ، وجُهل مصرعه ، وغنم^(١) رجال باديس من المال والمرافق والأسلحة والحلية والأعدّة والعلمان والخيام ، ما لا يُحاط بوصفه . وكانت وفاة زهير يوم الجمعة عقب شوال ، سنة تسع وعشرين وأربعمائة بقرية ألفت^(٢) خارج غرناطة .

طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسي
وأخواه أبو بكر وأبو الحسن بنو القبطرنة^(٣)
يكنى أبا محمد .

حالم

كانوا عيوناً من عُيُون الأدب بالأندلس ، ممن اشتهروا بالظرف ، والشرف^(٤) والجلالة . وقال أبو الحسن بن بسّام وقد ذكر أبا بكر منهم ؛ فقال ، أحد فرسان الكلام ، وحملة السيوف والأقلام ، من أسرة أصالة ، وبيت جلالة ؛ أخذوا العلم أولاً عن آخر ، وورثوه كابراً عن كابر ؛ ثلاثة^(٥) كهقعة الجوزاء^(٦) ، وإن أربوا

(١) وردت في المخطوطين : وختم .

(٢) الفنت . وبالإسبانية Daifontes . بلدة صغيرة تقع على قيد نحو خمسة كيلواترات من شمالي غرناطة .

(٣) وفي هامش « ج » : (الوزراء بنو القبطرنة) . وقد وردت التسمية في « قلائد الأعيان » : (بنو القبطرنية) . ووردت في كتاب المغرب لابن سعيد (ج ١ ص ٣٦٧) : (بنو القبطورنه) . وواضح أن هذه التسمية ليست عربية . والراجح في شأنها أنها ترجع إلى أصل إسباني ، وأن أصحابها هم على الأغلب من الأندلسيين المولدين . ولعلها اشتقت من الكلمة الإسبانية Cavador ومعناها الحفار . أو Capotero ومعناها بائع المعاطف .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : والسرور ، والأولى أرجح .

(٥) في « ك » : كلاثمة .

(٦) ثلاثة كهقعة الجوزاء . أعني ثلاثة نجوم فوق منكب الجوزاء وهي الشاة التي يشق البياض ظهرها .

عن الشهر في السنا والسناء . كتب أبو محمد عبد العزيز وأخواه عن ملك لمتونة ودخلوا معه غرناطة . ذكر ذلك غير واحد . واجتزأت^(١) بذكر أبي محمد ، وأتبعه أخويه اختصاراً .

شعره

من شعر أبي محمد ، قوله في الاستدعاء :

هلم إلى رَوْضِنَا^(٢) يا زُهَيْرُ وَلُحْ في سماء المُنَى يا قمر
وفوق إلى الأُنسِ سَهْمِ الأَخَا ۝ فقد عَطَلْتُ قوسَهُ والوتر
إذا لم تكن عندنا حاضراً فما بغصون الأمانى ثَمَر
وقعت من القلب وقعَ المنى وحزت من العين حُسْنَ الحَوَرِ

قال أبو نصر^(٣) ؛ بات مع أخويه في أيام صباه ، واستطابة جنوب الشَّباب^(٤) وصباه ، بالمُنية المسماة بالبديع ، وهو روض كان المتوكل يَكَلِّفُ بموافاته ، ويتهيج بحسن صفاته ، ويقطف رَيمَانه وزهره ، ويقف عليه إغفائه وسهره ، ويستفرِّه الطرب متى ذكره ، وينتَهز فرص الأُنس فيه روحاته وبُكره ، ويدير حمياه على ضفة نهره^(٥) ، ويخلع سرَّه فيه لطاعة جَهْره ، ومعه أخواه ؛ فطاردوا اللذات حتى قضوها^(٦) ، ولبسوا بُرود السرور فما نَضَوْها ، حتى صرعتهم العقار ،

(١) في « ج » : واجترت وهو رسم آخر للكلمة . وفي « ك » : واجتزت . وهو تحريف .

(٢) في المخطوطين : أرضنا . والتصويب من « قلائد العقيان » .

(٣) هو أبو نصر الفتح بن خاقان مؤلف « قلائد العقيان » .

(٤) في المخطوطين : الشمال . والتصويب من « القلائد » .

(٥) هكذا في « ج » وفي القلائد . وفي « ك » : قصره .

(٦) هكذا في « ك » . وفي « ج » والقلائد : أنضوها .

وطلّحتهم^(١) تلك الأوقار ؛ فلما همّ رداء الفجر أن يندى ، وجبين الصبح أن
يبتدى ، قام الوزير أبو محمد فقال :

يا شقيقى وافى الصّباح بوجهه ستر الليل نورُه وبهاؤه
فاصطبح واغتئم مسرة يومه لست تدرى بما يجي مساؤه
ثم استيقظ أخوه أبو بكر فقال :

يا أخى قم ترّ النسيم عيلاً باكر الرّوض والمدام شمولاً
[فى رياض تعانق الزهرُ فيها مثل ما جانق الخليلُ خيلاً]^(٢)
لا تم واغتئم مسرة يوم إنّ تحت الترابِ نوماً طويلاً
ثم استيقظ أخوها أبو الحسن [وقد ذهب من عقله الوسن]^(٣) ، فقال :

يا صاحبي ذرّا لومى ومعتبى قم نصطبح قهوة^(٤) من خير ما ذخروا
وبادرا غفلة الأيام واغتئنا فاليوم خمرٌ ويبدو فى غد خبر^(٥)
وقال أبو بكر فى بقرة أخذها له الرنق^(٦) صاحب قلمورية^(٧) ، وقد أعاد أرضه :
وأفقدنيها الرنق أمّا حفيّة إذا هى حفت ألفت بين وفدين

(١) هكذا فى « ك » ، والقلائد . وفى « ج » : طرحتم .

(٢) هذا البيت ساقط فى المخطوطين . ونقلناه عن « القلائد » .

(٣) ما بين الحاصرتين من القلائد .

(٤) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : نهوة . ومن الغريب أن تذكر القهوة فى هذا الشعر القديم .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة فى « ج » والقلائد . ووردت فى « ك » كما يلى : (فالיום خمر
وليل وفى غد خبر) .

(٦) وردت فى المخطوطين : (الرنق) وهو تحريف لكلمة (ابن الرنق) ، (أو ابن الريق) وهو
الإسم الذى تطلقه الرواية الإسلامية على ألفونسو هنريكيز ملك البرتغال (١١٢٨-١١٨٥ م) وصاحب
مدينة قلمرية التى كانت يومئذ عاصمة للبرتغال . وقد عاش أبو بكر فى هذا العصر وتوفى بعد سنة ٥٢٠ هـ
(١١٢٦ م) فى عهد الملك المشار إليه .

(٧) هكذا رسمت فى المخطوطين ، والرسم الأصح : قلمرية . وهى مدينة أندلسية قديمة تقع فى شمال
البرتغال . وبالإفريقية Coimbra .

تُعَفِّنِي أُمِّي عَلَى أَنْ رَثَيْتَهَا وَأَنْ أَتَبَعْتَهَا الدَّمَ مِنْ عَيْنِ
لَهَا الْفَضْلُ عِنْدِي أَرْضَعْتَنِي [وَبِالرَّغْمِ مَا بَلَّغْتَنِي وَأُمِّي حَوْلِينَ] ^(١)

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر

الرئيس المتوثب على الملك ، وحى كرسى الإمارة ، وعاهد صفقة الخُسران
المُبِين ، يَكْنَى أبا عبد الله .
« أَوْلَيْتَهُ » ، معروفة .

حاله

« من نفاضة الجراب » وغيره ؛ كان شيطاناً ، ذميم الخلق ، حَرَفُوشاً ، على
عُرْفِ المِشَارِقَةِ ، مُتْرَافِياً لِلْخُسَائِسِ ، مَأْلُفًا لِلذَّعْرَةِ وَالْأَجْلَافِ وَالشُّوَارِ ^(٢) وَأَوَّلَى
الرَّيْبِ ، خَيْبَتًا كَثِيرَ التُّكْرِ ، مَنْعَمًا فِي الْعَيْنِ ، كَلِيفًا بِالْأَحْدَاثِ ، مُتَقَلِّبًا عَلَيْهِمْ
فِي الطَّرِيقِ ، خَلِيعَ الرَّسَنِ ، سَاقِطَ الْحِشْمَةِ ، كَثِيرَ التَّبَدُّلِ ، [قَوَادِ عَصْبَةِ
كِلَابٍ] ^(٣) ، مُعَاجِلًا لَأَمْرَاضِهَا ، مُبَاشِرًا لِلصَّيْدِ بِهَا ، رَاجِلًا فِي ثِيَابِ مُنْتَابِ
الشَّعْرِ مِنَ الْجُلُودِ وَالسَّوَابِلِ وَالْأَسْمَالِ ؛ عَقَدَ لَهُ السُّلْطَانُ عَلَى بَنْتِهِ لَوْقُوعَ الْقَحْطِ فِي رِجَالِ
يَتِيمِهِمْ ، وَنَوَّهَهُ ^(٤) بِالْوِلَايَةِ ، وَأَرْكَبَهُ ، وَأَعْطَى لَهُ مِنْ مُوَبِقَاتِ تَقْضُرِ بِهِ ، إِلَى
أَنْ هَلَكَ ؛ وَحَادَ الْأَمْرَ عَنْ شَقِيقِ زَوْجِهِ ، وَاسْتَقَرَّ فِي أَخِيهِ ، وَثَقُلَ عَلَى الدَّوْلَةِ ،

(١) هَكَذَا رَسَمَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ : وَتَوْجِدُ نَبْصُوصَ أُخْرَى .

(٢) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » : السَّرَارِ . وَالسَّوَارِى النَّاظِمُونَ .

(٣) فِي الْمَخْطُوطِينَ : (قَوَادِ عَصْبَةِ كِلَابٍ) . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) هَكَذَا فِي « ك » . وَفِي « ج » : وَتَوْجِهَهُ .

لكراهة طلعتة ، وسوء الأحداثة به ، فأمر بترك المباشرة ، والدخول [على
القلعة]^(١) ، وأذن له في التصرف في البلد والفحص ، وأُقيت عليه النعمة ؛ فدخل
أم زوجه ، وضمن لها تمام الأمر لولدها ، وأمدته^(٢) بالمال ، فنظر من المساعير
شيعةً ، من كسرة الأغلاق ، وقتلة الزقاق ، ومختلسي البضائع ، ومُخيفي السابلة ،
واستضاف من أسافلة الدولة ، من أسفته بإقصار قصد ، أو مظل وعد ، أو حط رتبة ، أو
عزل عن ولاية ، فاستظهر منهم بعدد ولا ، كالشقي الذليل الموروري ، الغريب الطور ،
وابراهيم بن أبي الفتح المنبوذ بالإضليع ، قريع الجهل ، ومستور العظيمة ، وارتادوا عورة
القلعة فاهتدوا منها إلى ما شاءوا ، وتآلفوا^(٣) بخارج ؛ ثم تسللوا ببطن الوادي المعروف
« بهدارته »^(٤) ، تحت الظلام ، إلى أن لصقوا بجناح الشور الصاعد ، الراكبة
قوسه جرية النهر ، وصعدوا مُساوقين جناحه المتصل بسور القلعة ، وقد نقص كثير
من ارتفاعه ، لحدثنان إصلاح فيه ، فتسوروه عن سلم ، ودافع بعض محاربيهم
بعضاً ، في استباق أدراجه ، فدخلوا البلد في الثلث الأخير من ليلة الأربعاء الثامن
والعشرين لرمضان ، [عام ستين وسبعائة]^(٥) ثم استغلظوا بالمشاعل^(٦) ، [وأسموا
الناس ومور]^(٧) ، وقتلوا نائب الملك رضواناً النصرى سايس الأمر ، وبقية
المشيخة ، واستخرجوا السلطان الذي هو يزيفه^(٨) ، فنصبوه للناس ، وتم الأمر ،

(١) هكذا في « ج » وفي « ك » : للقلعة .

(٢) في المخطوطين : وأمرته . وهو تحريف .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : وتآلموا .

(٤) هداره أو حداره ، وبالإسبانية El Darro هو اسم النهر الذي يخترق غرناطة ، وهو فرع

صغير من نهر شنيل .

(٥) هذه الزيادة من اللمحة البدرية .

(٦) في المخطوطين : بالمشاغيل . والتصويب من اللمحة .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في « ك » وفي « ج » (اسموا الناس ومور) ولم نوفق إلى تصويبها أو

استقراءها فتركناها كما هي .

(٨) هكذا في « ك » . وفي « ج » : يفه .

بمادل على احتقار الدنيا عند الله ؛ وانخرط هذا الخب^(١) في طور غريب من التنزل للسلطان ، والاستخدام لأمه ، والتهاك في نصحه ، وخلط نفسه فيه ، وتبذل في خدمته ، يتولى له الأمور ، ويمشي في زى الأشراف بين يديه ، ويتأتى لشهواته ، ويتظاهر بحراسته . ولما علم أن الأمر يشق تصييره إليه من غير واسطة ، بغير انقياد الناس إليه ، من غير [تدريج كاده]^(٢) ، فألطف الحيلة في مساعدته على اللذات ، وإغرائه بالخبائث ، وشغله بالعهز ، وقتله بالشهوات المنحرفة ؛ وجعل يتبرأ من دنيته وينفق بين الناس من سلع اغتيابه ، ويرى الجماهير الإنكار لصنيعه ، ويزين لهم الإستعاضة منه بعد ما غلظت^(٣) شوكته ، وضم الرجال إلى نفسه مؤرياً بحفظه ، والاستظهار على صوته . وفي الرابع من شعبان [عام] أحد وستين وسبعماية ، ثار به في محل سكناه في جواره ، واستجاش أولياء غدره ، وكبس منزله ، مداخل للوزير المشثوم ، عاقداً معه صفقة الغدر ؛ وامتنع السلطان بالبرج الأعظم ، فاستنزله وقتله ، كما مر في اسم المذكور قبل ، واستولى على الملك ، فلم يختلف عليه اثنان . واشتغل طاغية الروم بحرب ، كان بينه وبين القطلانيين^(٤) ، فمالأ لمسامته ؛ فاشتغل بالصنيع وتهناً المنحة ، وتشطط على الروم في شروط غير معتادة ، ساحوه بها ، مكيدةً واستدراجاً ؛ واجتاز أمير المسلمين المصاب بغدره إلى الأندلس ، طالباً لحقه ، ومبادراً إلى رد أمره ، فسقط في يده ، ووجه الجيش إليه بمشواه من بلد رندة ، فانصرف عنها خائباً ، ورجع أدراجه ، يشك في النجاة ؛ وتفرغ إليه الطاغية ، [ففض عليه بجه]^(٥) ، وقد أجرت عليه شوكته وقبحة ، نصر الله

(١) في المخطوطين : الحب .

(٢) وردت هذه العبارة في المخطوطين ، وفيها بمض الغدوض . وكاده من الكده وهو الغلبة وقد تعنى

الإخضاع القهرى .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ح » : غلظ .

(٤) أعنى القطلان سكان قطلونية Catalunya .

(٥) هذا ما أثبتته « ك » . وفي « ج » : (ففغر عليه فة) . والمؤدى واحد .

ففيها الدين ، وأملِي لهذا الوغد^(١) ، فلم يُقله^(٢) العثرة بعدها ، ونازل حصونه المهتزمة ، واستولى على كثير منها ، وحام فلم يُصحر غلوة ، وأكذب ما موّه به من البسالة ، وظهر^(٣) للناس بلبس الصوف ، وأظهر التوبة على سريرة دخلة ، وفسق مبين ؛ وقل ما بيده ، ونقد بيت ماله ، فلم يجد شيئاً يرجع إليه ، من بعد ما سبك الآنية والحلية ، وباع العقار لتبذيره ، وسحّه المال سحّاً ، في أبواب الأراجيف والاختلافات ، والبهج بالغنا ، فشرف الإنقاب إلى الفرار ، وأزمع إلى الانسلاخ . وعندما تحرك السلطان إلى غربي مالقة ، ونجم أهلها بطاعته ودخلوا في أمره ، وسقط عليه الخبر ، اشتمل على الذخيرة جمعاء ، وهي التي لم تشتمل خزائن الملوك مطلقاً على مثلها ، من الأحجار واللؤلؤ والقصب ؛ والتفّ عليه الجمع المستमित ، جمع الضلال ومرّد الغيّ ؛ وخرج عن المدينة ليلة الأربعاء السابع عشر من جمادى الآخرة ، وصوّب وجهه إلى سلطان قشتالة ، مكظوم تجنيه ، وموثور سوء جواره ، من غير عهد ، إلا ما أمل من التبقى عنده من التذميم به ، وضمان إتلاف الإسلام ، واستباحة البلاد والعباد بذكرته^(٤) .

ولما استقرّ لديه نزله ، تقبّض عليه ، وعلى شردمته المنيفة على ثلاثمائة فارس من البغاة^(٥) ، كشيخ جنده الغربي إدريس بن عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق ، ومن سواه ؛ تحصّل بسببهم بيد الطاغية ، كل ما تسمو إليه الآمال ، من جواد فارّه ، أو منطقة ثقيلة ، وسلاح محلي ، وجوشن رفيع ، ودرع حصينة ، وبليلة^(٦) منيعة ، وبيضة مذهبة ، ويزة فاخرة ، وصامت عتيد ، وذخيرة

(١) في المخطوطين : الوغد .

(٢) في المخطوطين : يلقه : وهو تعريف .

(٣) في المخطوطين : وطور .

(٤) وردت محرفة في المخطوطين : (بكرته . فكرته) .

(٥) وردت في المخطوطين : (البغاوة . البغارة) .

(٦) وردت في المخطوطين : وبلبة .

شريفة ، فتنخل^(١) منهم مُتَوَلَى التَّسَوُّر ، فجعلهم أَسْوَةَ رَأْسِهِمْ فِي الْقَتْلِ ، خَرَّ بعضهم يَوْمئِذٍ عَلَى بَعْضٍ ، فِي الْقَتْلِ ، وَأَخَذَتْهُمْ السُّيُوفُ ، فَحَلَّوْا بَعْدَ الشُّهْرَةِ ، وَالتَّمَثِيلِ فِي أَرْقَةِ الْمَدِينَةِ ، وَإِشَاعَةِ النِّدَاءِ فِي الْجَزِيرَةِ ، ثَانِي رَجَبٍ مِنَ الْعَامِ الْمَوْرُخِ بِهِ ؛ وَرَكِبَ أَسْوَقَ سَايِرِهِمُ الْأَدَاهِمَ ، وَاسْتَخْلَصَهُمُ الْإِسَارَ ، وَبَادَرَ بِتَوْجِيهِ رُؤُوسِهِمْ ، فَنَصَبَتْ مِنْ فَوْقِ الْعَوْرَةِ الَّتِي كَانَتْ مِنْهَا تَسَوُّرُهُمُ الْقَلْعَةَ ، فَكَشَتْ بِهَا إِلَى أَنْ اسْتُنْزِلَتْ وَوُورِيَتْ ؛ وَانْقَضَى أَمْرُهُ عَلَى هَذِهِ الْوَتِيرَةِ^(٢) مَشْتُومًا دَبِيرًا ، لَمْ يُمَتِّعْهُ اللَّهُ^(٣) بِالنَّعِيمِ ، وَلَا هَنَاءَ سَكْنَى الْحُلِّ الْكَرِيمِ ، وَلَا سَوْغَةَ رَاحَةٍ ، وَلَا مَلَأَهُ مَوْهَبَةً ، وَلَا أَقَامَ عَلَى فَضْلِهِ حُجَّةً ، وَلَا أَعَانَهُ عَلَى زُلْفَةٍ ؛ إِنَّمَا كَانَ رَئِيسَ السَّرَّاقِ ، وَعَرِيفَ الْخِرَابِ ، وَإِمَامَ الشَّرَارِ ؛ نَذَرِيَوْمًا فِي نَفْسِهِ ، وَقَدْ رَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ مِنَ الْبَدْوِ تَدَّعَى أَنَّهَا سُرِقَتْ دَارَهَا ، قَالَ : إِنْ كَانَ لَيْلًا بَعْدَ مَا سُدَّ بَابُ الْحِمَاءِ عَلَى وَعَلَى نَاسِي ، فَهِيَ وَاللَّهُ كَاذِبَةٌ ، إِذْ لَمْ يَبْقَ سَارِقٌ فِي الدُّنْيَا ، أَوْ فِي الْبِلَادِ^(٤) ، إِلَّا وَقَدْ تَحَصَّلَ خَلْفُهُ ؛ وَقَانَا اللَّهُ الْحَنُّ ، وَثَبَّتْنَا عَلَى مُسْتَقَرِّ الرُّشْدِ ، وَلَا عَاقِبَانَا عَنْ جَادَّةِ الْإِسْتِقَامَةِ .

وزراء دولته

استوزر الوزير المشتوم مُمَدَّهُ فِي الْغَى ، الْوَغْدُ ، الْجَهُولُ ، الْمُرْتَاشُ مِنَ السَّرْقَةِ ، الْحَقُودُ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ ، لَغِيرِ عِلَّةٍ عَنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ ، الْخَالَفُ فِي الْأَدَبِ سُنَنَ الشَّرِيعَةِ ، الْبَعِيدُ عَنِ الْخَيْرِ بِالْعَادَةِ وَالطَّبِيعَةِ ، دَوْدَةُ الْقَرْزِ ، وَبَغْلُ طَاحُونَةِ الْغَبْدَرِ ، وَزَقَّ الْقَطْرَانَ^(٥) ، مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ الْفَهْرِيِّ ؛ فَانْطَلَقَتْ يَدُهُ عَلَى الْإِبْشَارِ ،

(١) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » : فَتَنَخَّلَ .

(٢) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : الْوَتِيرَةُ .

(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَغْفَلَهَا « ك » .

(٤) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » : الْبِلَدُ .

(٥) فِي الْمَخْطُوطَيْنِ : الْقَطَرُ .

ولسانه على الأعراض ، وعينه على النظر الشر ، وصدره على التأوه والرّين ؛
يلقى الرجل كأنه قاتل أبيه ، مُحدّثاً إلى كمّيه ، يحتَرشُ بهما خبيثة ، أو يظن
بهما رشوة ؛ فأجاب الله دعاء^(١) المضطّرين ، وغيّث السّائلين ، وعاجله بالأخذة
الرّائية ، والبطشة القاضية ؛ فقبض عليه ، في ليلة السبت العاشر لرمضان من العام
المذكور ، وعلى ابن عمه العصفوط^(٢) ، وعلى الحيرا من نواضيتهم^(٣) ، وأنفذ
الأمر بتفريطهم^(٤) ، فمضى حكمُ الله بهذه المنيّة الفرعونية فيهم [لا تبديل لكلمات
الله]^(٥) ، قاهر الجبّارة ، وغالب الغلاب ، وجاعل العاقبة للمتقين .

واستوزر بعده ، أوّل الناس وأنسبهم إلى دولته ، وأحقّهم بمظاهرتة ، المسوس ،
الجبار البأس والفطنة ، المختبل الفكرة ، القليل ، المرّجس ، الحوّل ، الشهير^(٦) ،
الضّجر ، محمد بن علي بن مسعود ؛ فما لبى الناس على طول الحرّة ، وانفساح زمان
التجربة ، أسوأ تديراً ، ولا أشرّ معاملةً ، ولا أبذأ لساناً ، ولا أكثر شكوى
ومعاناة ، ولا أشحّ يداً ، ولا أجذب خواناً ، من ذلك المشثوم ، [بنعق اليوم]^(٧) ،
ينعق بما لا يسمع ، ويسرد الأكاذيب ، ويسىء السّمع ، فيسىء الإجابة ، ويقود
الجيش فيعود بالخيبة ؛ إلى أن كان الفرار ، فصحبّه إلى مصرعه ؛ وكان ممن
استؤثر به القيد الثقيل ، والأسر الشديد ، والعذاب الأليم ، عادة بذلك عبد
« المالاخوينا »^(٨) ، التي كان يَحْجَب سِمَتَهَا ، زمان ترفّيه ، فقضت عليه سيّء
الميتة ، مطّرح الجثة . سترنا الله بستره ولا سكبنا في الحياة ، ولا في المات ثوب عنايته .

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » : دعوة .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : العصفوط .

(٣) في المخطوطين : بينهما .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » : بتمريطهم .

(٥) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » (لا مبدل لكلمته) .

(٦) هذه الكلمة ساقطة في « ج » .

(٧) وردت في المخطوطين : (ينعق اليوم) ، والمرجح ما أثبتناه .

(٨) هكذا في المخطوطين . والظاهر أنه يعنى بذلك مرضاً معيناً .

كاتبُ سِرِّه

صاحبنا الفقيه الأهوج ، قصب الريح ، وشجرة الخور ، وصوت الصدى ،
أبو محمد عبد الحق بن عطية ، المستبد بتدير الدير ، خطاً فوق الرقاع الجاهلة ،
ومسارّة في الخلوات الفاسقة ، وصدعاً فوق المنابر الكبيبة ، بحلة لث الداية ،
ويذبُّ عنه ذبّ الوالدة ، ينتهي في الاعتذار عن هناته إلى الغايات القاصرة .

قضاته

شيخنا أبو البركات ، قيسٌ ليلي القضاء ، الخدوعُ برخرف الدنيا على الكبرة
والعناء ، لطف الله به ، وألممه رشده .

شيخ الغزاة على عهد

إدريس بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق بن تحيو^(١) ، بقية بيت الدبرة ،
وشيجة الشجرة المجتثة ، عذب في الجملة من أهل بيته عند القبض عليهم ؛ واستقرّ
في القبض الأشهب من قبيله بالمغرب ، مطلق الإقطاع ، مرموقاً بعين التجلة ،
مكنوفاً بشهرة الأب ، إلى أن سعى به إلى السلطان ، نسيج وحده فارس بن علي ،
واستشعر البثّ فطار به الذعر لا يلوى عناناً ، حتى سقط بإفريقية ، وعبر البحر إلى
ملك برجلونة^(٢) ؛ ثم اتصل بالدولة النصرية ، بين إدالة الغدر^(٣) ، وإيالة الشر ،
فقلده الدائل مشيخة الغزاة ، ونوّه به ، فاستراب معزله يحيى بن عمر ، فقرّ إلى

(١) وردت في المخطوطين : فحو . وهو تحريف .

(٢) أعنى برشلونة . يريد ملك أراجون .

(٣) وردت محرفة في المخطوطين : (العدر . العدد) .

أرض الروم حسبما يذكر في اسمه ؛ فقام له بهذا الوظيف ، ظاهر الشهرة والأبهة ،
مخصوصاً منه بالتجلة ، إلى أن كان ما كان من إزمانه وفراره ؛ فوفى له وصحبه
ركابه ، وقاسمه المنسجة شق الأبله ، واستقر بعد قتله أسيراً عانياً غلق الذهن^(١) ،
لضئانة العدو بمثله ، إلى أن أفلت من دون الأغلاق ، وشدّ الوثاق ، ولحق
بالمسلمين في خبر لم يشتمل كتاب الفرج بعد الشدة على مثله ، والإغراب منه ،
يستقر في اسمه إلماع^(٢) به ؛ ثم استقر بالمغرب معتقلاً ، ثم مات رحمه الله .

من كان على عهده من الملوك

وأولاً بمدينة فاس دار ملك المغرب ، السلطان ، الخير ، الكريم الأبوة ،
المودود قبل الولاية ، اللين العريكة ، الشهير الفضل في الحياة ، آية الله في إغراب
الصنع ، وإغراب الإدبار^(٣) ، أبو سالم إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب بن
عبد الحق ، أمير المسلمين ، المترجم به في حرف [الألف]^(٤) . ولما قُتل يوم الحادي
والعشرين لدى قعدة من عام اثنين وستين ، قام بالأمر بعده أخوه المتحليل أبو عامر
تاشفين بن علي إلى أواخر صفر عام ثلاثة وستين ؛ ولحق بالبلد الجديد ، الأمير
أبو محمد زيان بن الأمير أبي عبد الرحمن بن علي بن عثمان المترجم به في بابه ، ثم
المتولى من عام ثمانية وستين وسبع مائة السلطان أبو فارس عمه المؤمل لِم الشعث ،
وَضَمَّ النَّشْرَ ، وتجديد الأمر بحول الله ، ابن السلطان الكبير المقدس ، أبي الحسن
ابن سعيد بن يعقوب بن عبد الحق ، وهو بعد متّصل الحال إلى اليوم .

(١) هكذا في « ك » ، وفي « ج » : الدهر .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : الأمام .

(٣) هكذا في المخطوطين .

(٤) مكانها بياض في المخطوطين . وقد ترجم ابن الخطيب لهذا الأمير فيما تقدم في حرف الألف .

وَبَيْلَمْسَانُ الأَمِير أَبُو حَمَّو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن
يَعْمُرَاسِن^(١) بن زيان .

وَبِإفريقية الأَمِير الخليفة على عُرْفهم ، إبراهيم بن أمير المؤمنين أبي يحيى بن حفص .
وَبِقشتالة ، بَطْرَة بن الهنشة^(٢) بن هراندة بن شائجة المصنوع له ، ولى النعمة منه ،
ومستوجبُ الشكر من المسلمين لأجله ، بإراحته منهم .
وَبِرَغُون ، بَطْرَة بن شائجة^(٣) .

وَبِرُنْدَة ، مزاحمه بالملك^(٤) الفخم ، أمير المسلمين حقيقة ، المرتب الحق ،
المعقود البَيْعَة ، وصاحب الكُرَّة ، وولى حسن العاقبة ، مجتث شجرته الخبيثة ، وصارخُ
إيالته الدنيَّة ، أبو عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي الحجاج ، بن أمير المسلمين
أبي الوليد بن نصر .

مولده

مولد هذه النَّسَمَة المشثومة أول يوم من رجب عام اثنين وثلاثين وسبعائة .

وفاته

توفى قتيلاً ، مُمَثَّلاً به بطيلاطة ، من ظاهر إشبيلية في ثانی من رجب عام
ثلاثة وستين وسبعائة ، وسيقت رؤوس أشياعه^(٥) الغادرين مع رأسه إلى الحضرة
فصُلبت بها . وفي ذلك قلت :

(١) وردت محرفة في المخطوطين : (بفراسان) .

(٢) هو بيدرو الثالث بن الفونسو الحادى عشر . وقد حكم قشتالة من سنة ١٣٥٠ إلى سنة ١٣٦٨ م

(٣) هو بيدرو الرابع ملك أراجون وقد حكم من سنة ١٣٣٦ إلى سنة ١٣٨٧ م .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » بالمتكعب .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » : أتباعه .

فِي غَيْرِ حِفْظِ اللَّهِ مِنْ هَامَةٍ هَامَ بِهَا الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ وَادٍ
لَا خَلْفَتْ ذِكْرًا وَلَا رَحْمَةً فِي فَمِ-إِنْسَانٍ وَلَا فِي فَوْادٍ

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد
ابن أحمد بن خميس بن نصر الخزر جي

أمير المسلمين بالأندلس بعد أبيه رحمه الله .

أُولَيْتِهِ

معروفة .

حاله

كان معدوداً في نُبَلَاءِ الملوك ، صيانة ، وعِزًّا ، وشهامة ، وجمالاً ، وخصلاً ؛
عَذِبَ الشَّامِلُ ، حُلُوا لِبَقَاً ، كَوْدَعِيًّا ، هَشًّا ، سَخِيًّا ؛ المثل المضروب به في الشجاعة
المقتحمة حدَّ التهور^(١) ، حِلْسٍ^(٢) ظهور الخيل ، وأفرسَ من جال على ظهورها^(٣) ،
لا تقع العين ، وإن غُصَّت الميادين على أَدْرَبٍ بركض الجياد منه ، مغرماً بالصَّيد ،
عارفاً بِسِمَاتِ السَّقَارِ^(٤) وشتات الخيل ؛ يحب الأدب ، ويرتاح إلى الشعر وينبّه على
العيون ، ويلجأ بالنادرة الحارّة . أخذت له البيعة يوم مهلك أبيه ، وهو يوم الثلاثاء
السابع والعشرين لرجب من عام خمسة وعشرين وسبعائة ، وناله الحَجَبُ ، واشتملت

(١) في المخطوطين : الهور .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » ، جلس . وكلتاها صالحة للمعنى المقصود .

(٣) في المخطوطين : ظهوره .

(٤) السقار أى الصقورة .

عليه الكفالة إلى أن شبَّ وظهر ، وفتك بوزيره ، المتغلب على ملكه ، وهو غلام لم يَبْقِلْ خَدَّهُ ، فِهَيْب شَأْنُهُ^(١) ، ورُهِبَت سطوته ، وبرز لمباشرة الميادين ، وارتباد المطارد ، واجتلاء الوجوه^(٢) ، فكان ملء العيون والصدور .

ذكاؤه

حدَّثني القائد أبو القاسم بن الوزير أبي عبد الله بن عيسى وزير جدِّه ، قال ،
تُذَوِّك يوماً بحضرته تباين قول المتنبي :

أَلَا خَدَّدَ اللَّهُ وَرَدَ الْخُدُودَ وَقَدْ قُدُّودَ الْحِسَانَ الْقُودَ^(٣)

وقول امرئ القيس :

وإن كنت قد ساءتْكَ مني خَلِيقَةٌ فَسَلِي ثِيَابِي من ثِيَابِكَ تَنْسَلِ

وقول إبراهيم بن سهل :

أَتَى لَه من دَمِي الْمُسْفُوكُ مُعْتَذَرًا أَقُولُ حَمَلْتُهُ في سَفْكَه تَعْبَا

فقال رحمه الله ، بديهةً : بينهما ما بين نَفْسِ مَلِكٍ عربي وشاعر ، ونَفْسِ يهودي تحت الذِّمَّةِ ، وإنما تتنفس بِقَدْرِ هَمَّتْهَا ، أو كلاماً هذا معناه . ولما نازل مدينة قَبْرَةَ^(٤) ودخل جَفَنَهَا عَنُوةً ، وقاتل قَصَبَتَهَا ، ورماها بِالنَّفْطِ ، وتغلب عليها ، وهى ما هى عند المسلمين ، وعند النصارى من الشهرة والجلالة ، بادرناه نُهْنِيه بما نُسْقِ له ، فزَوَى وجهه عنا ، وقال ، ماذا تهنوننى^(٥) به ، كأنكم رأيتم تلك الخِرْقَةَ

(١) . وردت محرفة في المخطوطين : شاه .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : الوجدة .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : القدور .

(٤) سبق التمرير بها (انظر الحاشية في ص ١١٧) .

(٥) وردت محرفة في المخطوطين : هموننى . تهموننى .

بكذا يعنى العلم الكبير فى منار إشبيلية^(١) ، فعجبنا من بُعد همته ،
ومرى عزمه .

شجاعته

أقسم أن يغير على باب مدينة بيّانة^(٢) فى عدّة قليلة عيّنها الميّمنُ ، فوقع البُهتُ
وتوقّعت الفاقرةُ ، لقرب الصّريح ، ومنّعة الحوّزة ، وكثرة الحامية ، واتصال^(٣)
تُخوم البلاد ، ووفور الفرسان بذلك الصّقع ؛ وتنخلّ أهل الحفاظ ، وهجم على باب
الكفار نهراً ، وانهى إلى باب المدينة ، وقد برزت الحامية ، وتوقع فرسان الرُّوم
الكمّناء ، فأقصرُوا عن الإحصار ، وحجى المسامون فشُدَّ عليهم ، فأعطوهم الضّمة
ودخلوا أمامهم المدينة ؛ ورمى السلطان أحد الرجال النّاشبة بمزراق كان بيده مُحلى
السنان رفيع القيمة ، وتحامل يريد الباب ، فمنع الإجهاز عليه ، وانتزاع الرُّمح الذى
كان يجرُّه خلفه ، وقال اتركوه يُعالج به رُمحه أن كان أخطأته المنيّة ، وقد أفلت
من أنشُوطه خطر عظيم .

جهاده ومناقبه

كان له وقائع فى الكفار ، على قلة أيامه ، وتحرك ونال البلاد ، وفتح قُبرة ،
ومُقَدّم جيش العدو الذى بَيّت بظاھرِها وأثخن فيه ، وفتح الله على يده مدينة

(١) المقصود به منار جامع إشبيلية الأعظم الذى شيده الملك المنصور الموحدى . وقد حول فيما
بعد إلى برج أجراس لكنيسة إشبيلية العظمى . وما يزال قائماً حتى اليوم ويعرف باسم «الخيرالدا» La Giralda
وهو من أجمل الآثار الأندلسية .

(٢) بيانه سبق التعريف بها (انظر الحاشية فى ص ٢١٠) :

(٣) فى المخطوطين : واتصل .

باغوة^(١) ؛ وتغلب المسلمون على حصن قشتالة ، ونازل حصن قشرة^(٢) بنفسه لدى قرطبة ، فكاد أن يتغلب عليه ، لولا مدد اتّصل للنصارى به . وأعظم مناقبه تخليص جبل الفتح^(٣) ، وقد أخذ الطاغية بكظمه ، ونازله على قرب العهد من تملك المسلمين إياه ، وناخ بكلّ كفه ، وهدّ بالجانيق أسواره ، فدارى^(٤) الطاغية ، واستنزل عزمه وتحمفه ، ولحق في موضع اختلاله ، إلى أن صرفه عنه ، وعقد له صلحاً ، ففازت به قِداح الإسلام ، وتخلّصه من بين ناب العدو وظُفُرهِ ، فكان الفتح عظيماً لا كفاء له .

بعض الأحداث في دولته

وفي شهر الحرم من عام سبعة وعشرين وسبعائة ، نشأت بين المتغلب على دولته ، وزيره ، وبين شيخ الغزاة وأمير القبائل العدوية^(٥) ، عثمان بن أبي العلاء ، الوحشة وألقت ريمها السعايات ، فصبت على المسلمين شؤبوب فتنة عظم فيهم أثرها معاطباً ؛ وسُم الانصراف عن الأندلس ، فلحق بساحل المريّة ، وأخوزته المذاهب ، وتحامت جواره الملوك ، فدخل أهل حصن أندرش^(٦) ، فدخل في طاعته ؛ ثم استضاف إليه ما يجاوره ، فأغضل الداء^(٧) ، وتفاقت اللاواء^(٨) ، وغامت سماء الفتنة ، واستنفذ^(٩)

(١) هكذا وردت في المخطوطين . ونرجح أنها مدينة باغة Priego التي سبق التعريف بها ، وهي قرية من قبلة .

(٢) حصن قشرة ونرجح أنه حصن Castro الواقع بين بيانه وقبلة .

(٣) أغني جبل طارق .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : فدار .

(٥) أغني القبائل المغربية .

(٦) سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١٦٤) .

(٧) وردت في المخطوطين : الدواء . وهو تحريف .

(٨) وردت محرفة في المخطوطين : الألواء . والألواء أغني الداهية .

(٩) هكذا في « ك » . وفي « ج » : واستبعر .

خزائن الأموال المستعدة لدفاع العدو ، واستلحق الشيخ أبو سعيد عم السلطان ، وقد استقر بتلّمسان ، فلاحق به ، وقام بدعوته في أخريات صفر عام سبعة وعشرين وسبعائة؛ واغتنم الطّاغية فتنة المسلمين فنزل ثغر بيرة^(١) ، ركاب الجهاد ، وشجى العدو ، فتغلّب عليه ، واستولى على جملة من الحصون التي تجاوره ، فاتسع نطاق الخوف ، وأعي داء الشر؛ وصُرف إلى [نظر]^(٢) ملك المغرب، في أخريات العام، رُنْدَة ومَرْبَلَة^(٣) وما يليهما^(٤) ، وترددت الرسائل بين السلطان وبين شيخ الغزاة ، فأجلّت الحال عن مهادنة ، ومُعاودة للطاعة ، فصرف أميرهم أدراجه إلى العدو ، وانتقلوا إلى سكنى وادى آش على رَسَم الخدمة والحماية على شروط مقررة^(٥)؛ وأوقع السلطان بوزيره ، وأعاد الشيخ إلى محله من حَضْرته ، أوائل عام ثمانية وعشرين بعده ، واستقدم القائد الحاجب أبا النعيم رضوان من أعاصم حِبَالته^(٦) فتيلة ، فقام بأمره أحسن قيام . وعبر البحر بنفسه بعد استقرار ملكه في الرابع والعشرين من شهر ذى حجة من عام اثنين وثلاثين وسبعائة ، فاجتمع مع ملك المغرب السلطان الكبير أبي الحسن ابن عثمان ، فأكرم نَزْلَه ، وأصحبه إلى الأندلس ، وحباه بما لم يُحِب به ملك تقدّمه ، من مغرَبّيات الخيل ، وخطير الذخيرة ، ومُستجد العُدّة ؛ ونزل الجيش على أثره جبل الفتح ، وتوجه الحاجب أبو النعيم بأكبر إخوة السلطان ، مُظاهراً على سبيل

(١) وردت في المخطوطين : ويده - ويده . ويلوح لنا أن المقصود هنا هو ثغر بيرة Vera الواقع شمال شرق ألمرية على مقربة من البحر الأبيض المتوسط ، وكان يومئذ أقصى ثغور الأندلس الشرقية (انظر الحاشية في ص ١١٥) .

(٢) هذه الكلمة الزائدة من اللمحة البدرية .

(٣) رُنْدَة من أهم وأمنع قواعد الأندلس القديمة . وتقع غربي مالقة . وقد لعبت أدواراً هامة في تاريخ مملكة غرناطة . ومربلة سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ٢٠٤) .

(٤) هكذا في « ك » . ووردت محرفة في « ج » : وما آل إليها .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في « ك » .

(٦) وردت في المخطوطين : حباله . وبالتصويب يستقيم المعنى نوعاً .

النيابة ، وهياً^(١) الله فتحه ، ثم استنقذه^(٢) بلحاق السلطان ، ومحاولة أمره كما تقدم ، فتم ذلك يوم الثلاثاء الثانى عشر لذي حجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة .

وزراء دولته

وزر له وزير أبيه ، وأخذ له البيعة ، وهو مُتخَن^(٣) بالجراحات ، التى أصابته يوم الفَتك بأبيه السلطان أبى الوليد ، ولم ينشب^(٤) أن أجهز جُرح تجاوز عَظْم الدماغ ، بعد مُصَابرة ألم العلاج الشديد ، حسبما يأتى فى اسمه ، وهو أبو الحسن على بن مسعود بن يحيى بن مسعود الحاربي ؛ وترقى إلى الوزارة والحجابه وكيل أبيه محمد بن أحمد المحروق ، من أهل غرناطة ، يوم الإثنين غرة شهر رمضان من عام خمسة وعشرين وسبعمائة ، ويأتى التعريف بهم . ثم اغتيل بأمره ، عشيّ ثانى يوم من محرم فاتح تسعة وعشرين وسبعمائة ؛ ثم وزر له ، القائد أبو عبد الله بن القائد أبى بكر عتيق بن يحيى بن المول من وجوه الدولة ، وصدور من يَمَتُّ بوضله ، إلى السابع عشر من رجب من العام ؛ ثم صُرف إلى العُدوة ، وأقام رسم الوزارة والحجابه والنيابة ، أبو النعيم مولى أبيه ، إلى آخر مدته ، بعد أن التأث^(٥) أمره لديه ، وزاحمه بأحد المماليك المسمى بعصام حسبما يأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله .

رئيس كتابه

كتب له كاتب أبيه قبله ، وأخيه بعده ، شيخنا نسيجٌ وحده ، أبو الحسن على بن الجيّاب الآتى ذكره فى موضعه إن شاء الله .

(١) فى المخطوطين : هنا . وهو تحريف .

(٢) فى المخطوطين : استقاده .

(٣) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : تخن .

(٤) فى المخطوطين : يتشبث . والتصويب من اللمعة البدرية .

(٥) أى التبس .

قضااته

استمرت الأحكام لقاضي أبيه ، أخى وزيره ، الشيخ الفقيه أبى بكر بن مسعود رحمه الله إلى عام سبعة وعشرين وسبعائة ، ووجهه رسولا عنه إلى ملك المغرب ، فأدرسته وفاته بمدينة سلا ، فدفن بمقبرة سلا . رأيت قبره بها رحمه الله . وتخلّف ابنه أبا يحيى مسعود عام أحد وثلاثين وسبعائة ؛ وتولى الأحكام الشرعية القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن بكر الأشعرى ، خاتمة الفقهاء ، وصدر العلماء ، رحمه الله ، فاستمرت الأحكام إلى تمام مدة أخيه بعده .

أمه

رومية اسمها « علوة » ، وكانت أحظى لذاتها^(١) عند أبيه ، وأمّ بكره ، إلى أن نزع عنها في أخريات أمره ، لأمر جرسته الدالة ، وتأخرت وفاتها عنه إلى مدة أخيه .

من كان على عهده من الملوك

بأقطار المسامين والنصارى

فيفاس ، السلطان الكبير ، الشهير ، الجواد ، خذّن^(٢) العافية ، وحلفُ السعادة ، وبجر الجود ، وهضبة الحلم ، أبو سعيد عثمان بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق الذى بذل^(٣) المعروف ، وقرّب الصلحاء والعلماء ، وأدنى مكانهم ، وأعمل

(١) وردت في المخطوطين : لذاتها .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : حون . وهو تحريف .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » : بدا .

إشارتهم ، وأوسع بأعطيته المؤمنين المستترفين ، وعظم قدره ، واشتهر في الأقطار
صيته ، وفشا معروفه ، وعُرفت بالكف عن الدماء والحرمان عفته ، إلى أن توفي
يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ذي قعدة عام أحد وثلاثين وسبعائة ؛ ثم صار
الأمر إلى ولده السلطان ، مُقتفى سننه في الفضل والمجد ، وضخامة السلطان ، مبراً عليه ،
بالباس المرهوب ، والعزم الغالب ، والجد الذي لا يشوبه هزل ، والاجتهاد الذي
لا يتخلله راحة ؛ الذي بعد مداه ، وأذن لصولته عداه ، واتصلت [ولايته]^(١)
مدته ، ومعظم مدة أخيه الوالي بعده .

وبتلمسان الأمير عبد الرحمن بن موسى بن يعمراسين ، من بني عبد الواد ،
مُشيّد القصور ، ومروّض الغروس^(٢) ، ومُتبنك^(٣) الترف ، واتصل إلى تمام مدته ،
وصدرا من مدة أخيه بعده .

وبتونس الأمير أبو يحيى ، أبو بكر بن الأمير أبي زكريا بن الأمير أبي إسحاق
لبنة تمام قومه ، وصقّر الجوارح من عُشه ، وسابق الجياد من حَلبته ، إلى تمام
المدة ، وصدراً كبيراً من دولة أخيه بعده .

ومن ملوك النصارى ، ملك على عهده الجفرتين^(٤) القنيطية والتاكرونية^(٥) ،
الطاغية المرهوب الشبا ، المسلط على دين الهدى ، الهنشة^(٦) بن هِراندة بن شانجة
بن الفُئش بن هِراندة ، الذي احتوى على كثير من بلاد المسلمين حتى الجفرتين^(٧)

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . ويقتضيا السياق .

(٢) في المخطوطين : العروس .

(٣) في المخطوطين : متبك . وهو تحريف . والتصويب من اللمحة : وتبنك أى أقام في ظله .

(٤) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » الجفرتين .

(٥) وردت في المخطوطين : التاركونية . وهو فيما يبدو تحريف لكلمة : التاكرونية .

(٦) هو ألفونسو الحادى عشر ملك قشتالة الذى بحكم من سنة ١٣١٢ إلى سنة ١٣٥٠ م .

(٧) هكذا في « ك » . وفي « ج » : الجفرتين . ويلوح لنا أنه المقصود هنا هو افتتاح النصارى

لشغرى الجزيرة الخضراء وطريف . وهما الشتران المتقابلان للمثلث الإسباني . والجفر صفة لما اتسع جنباه .

واتصلت أيامه إلى أخريات أيام أخيه ، وأوقع بالمسلمين على عهده ، وتملك الجزيرة الخضراء وغيرها .

وبرغون ، ألفنش^(١) بن جايمنش بن الفنش^(٢) بن بطرة بن جايمنش الذي استولى على بلنسية ، ودام إلى آخر مدته ، وصدرأ من مدة أخيه . وقد استقصينا من العيون أقصى ما سح به الاستقصاء ، وما أغفلناه أكثر ، والله الإحاطة .

مولده

في الثامن للشهر المحرم من عام خمسة عشر وسبعماية .

وفاته

وإلى هذا العهد مات ؛ وغرت عليه من رؤوس الجند ، من قبائل العدو ، الصدور ، وشحنت عليه القلوب غيظاً ؛ وكان شرهاً لسانه ، غير جزوع ولا هيأب ، فر بما يتكلم بملء فيه^(٣) من الوعيد الذي لا يخفى على المعتمد به ؛ وفي ثاني يوم من إقلاع الطاغية من الجبل ، وهو يوم الأربعاء الثاني عشر من ذي حجة ، وقد عزم على ركوب البحر من ساحل منزله ، فهو مع وادي ياروا من ظاهر جبل الفتح ، تخفيفاً للمؤنة ، واستعجالاً للصدور ، وقد أخذت على حركته المراسد ؛ فلما توسط كمين القوم ، ثاروا إليه وهو راكب بغلاً أثابه به ملك الروم ، فشرعوا في عتبه بكلام غليظ ، وتأنيب قبيح ، وبدءوا بوكيله فقتلوه ، وعجل بعضهم بطعنه ، وترامى عليه مملوك من ممالك أبيه ، زنة^(٤) من أخايث العلوج يسمى زياناً ، صونع على

(١) هذا خطأ من المؤلف . فقد كان الجالس على عرش أراجون يومئذ هو بيدرو الرابع بن خايمن (جايمنش) وقد حكم من سنة ١٣٣٦-١٣٨٧ م . أما يلنسية فقد سقطت في يد النصارى سنة ١٢٣٨ م .

(٢) وردت محرفة في المخطوطين : (القتيل . الفليل) .

(٣) وردت محرفة في المخطوطين : بما فيه .

(٤) أي وغد زعيم .

مباشرة الإجهاز عليه ، فقضى لحينه بسفح الربوة المائلة ، يسرة العابر^(١) للوادي ممن يقصد جبل الفتح ، وتركوه بالعراء بادي البوار ، مسلوب البزة ، سيء المصرع ، قد عدت عليه نعمه ، وأوبقه^(٢) سلاحه ، وأسلمه^(٣) أنصاره وحماته .

ولما فرغ القوم من مبايعة أخيه السلطان أبي الحجاج ، صُرفت الوجوه يومئذ إلى دار الملك ، ونُقل القَتيل إلى مألقة ، فدُفن على حاله تلك برياضٍ تجاوز مُنية السيد ، فكانت وفاته ضحوة يوم الأربعاء الثالث عشر لذي حجة من عام ثلاث وثلاثين وسبعائة ، وأقيمت على قبره بعد حين قبة ، ونُوِّه بقبره ، وهو اليوم مائلٌ رهن غربة ، وحالبٍ عبرة ، جعلنا الله لقاته على حذر وأهبة ؛ ويلوح الرخام المائل عند رأسه مكتوب :

« هذا قبرُ السلطان الأجلِّ ، الملك الهامِّ ، الأمضى الباسل ، الجواد ذي المجد الأثيل ، والملك الأصيل ، المقدس ، المرحوم ، أبي عبد الله محمد بن السلطان الجليل ، الكبير ، الرفيع ، الأوحد ، المجاهد ، الهام ، صاحب الفتوح المسطورة ، والمغازي المشهورة ، سلالة أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ، أمير المؤمنين^(٤) ، وناصر الدين ، الشهيد ، المقدس ، المرحوم أبي الوليد [بن فرج]^(٥) بن نصر ، قدّس الله روحه ، وبرّد ضريحه . كان مولده في الثاني لحرم عام خمسة عشر وسبعائة ، وبويع في اليوم الذي استشهد فيه والدّه رضى الله عنه السادس والعشرين [لرجب عام خمسة وعشرين]^(٦) وسبعائة ؛ وتوفى رحمه الله في الثالث عشر لذي حجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعائة ، فسبحان من لا يموت » .

(١) في المخطوطين : العابرة . والتصويب من اللمعة .

(٢) في المخطوطين : وأوافقه . والتصويب من اللمعة .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ل » : وأسلموه .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي اللمعة : المسلمين .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . والإضافة من اللمعة .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين ووارد في اللمعة .

يا قبرَ سلطانِ الشجاعة والنّدى فرع الملوكِ الصيدِ أعلام الهدى
وسلالةِ السلفِ الذى آثارُهُ وضاحّة^(١) لمن اقتدى ومن اهتدى
سلفٌ لأنصارِ النّبي نجارُهُ قد حلّ منه فى المكارم محتدا
متوسّطُ البيتِ الذى قد أسسته سادة الأملاك^(٢) أوحد أوحد
بيتٌ بناه محمّدون ثلاثة من آل نصر أورثوه محمّدا
أودعتَ وجهها قد تهلل حسنه بدمراً بأفاق الجلالة [قد بدا]^(٣)
ونداً يسحّ على العفاة مواهباً مثنى الأيادى السابغات وموحدا
يبكيك مذعورٌ بك استعدى على أعدائه فسقّيتهم كاس الردى
[يبكيك محتاجٌ أذاك مؤملاً فعدا وقد شفّعت يدك له اليدا]^(٤)
أما سماحك فهو أسنى ديةً أما جلالك فهو أسمى مصعدا
جادت ثراك من الإله سحابةً لرضاه عنك تجودُ هذا المعهدا

وشرُّ ما تبع هذا السلطان تواطؤ قتلته من بنى أبى العلاء وأصهارهم وسواهم من
شيوخ خدّامه ، كالوكيل فى مدة أخيه بعد ، الشيخ الدهول مسافر بن حرطات^(٥)
وسواه ، على اكتاب عقّد بعد^(٦) وفاته ، بأمور من القول تقدح فى أصل الديانة ،
وأغراض تقتضى إلى الوهن فى الدين ، وهنات تسوّغ إراقة دمه الذى توفرت
الدواعى على حياطته ، والدّب عنه ، تولى كبرها شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب ،
مرتكباً منها وصمة^(٧) تحت على غرر فضله إلى كثير من خدّامه ومماليكه ، وبعثوا

(١) فى المخطوطين : واضحة ؛ والتصويب فى اللوحة

(٢) فى المخطوطين : أملاك . والتصويب من اللوحة .

(٣) هكذا فى اللوحة . وفى المخطوطين : مربداً .

(٤) هذا البيت وارد فى اللوحة . وساقط فى المخطوطين .

(٥) هكذا فى « ك » . وربما كانت : (سحوطات) . وفى « ج » : خركات .

(٦) وردت فى « ج » . وأغفلت فى « ك » .

(٧) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : وصمته .

بها إلى ملك المغرب ، فاقتطعت جانب التمهيل والتأخير واللبث عن الحكم ، والتعليل
عن السماع ، وبروز^(١) الأغراض ، واتباع السيئة أمثالها . وقد كان رحمه الله من
الجهاد^(٢) وإقامة رسم الدين ، بحيث تزل عن هذه الهنات صفاته ، وتُنكر هذه
المذمّات^(٣) صفاته ، وكان بمكان من العز ، وإرسال السّجّية ، ربما عذّله الشيخ في
بعض الأمر ، فيسجّم إضجاراً وتعليحاً بإخراجه ؛ ولم يمر إلا الزمان اليسير ، وأوقع الله
بالعصبة المماليكة عليه من أولاد عبد الله ، فسقّتهم رياح النّكبات ، واستأصلت نعمهم
أيدي النّقامات ، ولم تقم لهم من [بعد]^(٤) ذلك قائمة ، والله غالب على أمره

وتبعت^(٥) هذا السلطان نفوس أهل الحرية ، ممن له طبع رقيق ، وحس^(٦)
لطيف ، ووفاء كريم ، ممن كان بينه وبين سطوته دفاع ، وفي جو اعتقاده له صفاء ،
فصدرت مرات^(٧) مؤثرة ، وأقاويل للشجون مهيبة ، ثبت^(٨) منها يسيراً على العادة .
فمن ذلك ما نظمّه الشيخ الكاتب القاضي أبو بكر بن شبرين ؛ وكان على فصاحة
ظرفه ، وجمال روايته ، غراب قرّبه ، ونائحة مأتمه ، يرثيه ويُعرض ببعض من حمل
عليه من ناسه وخدامه :

استقلّا ودعاني طائفاً بين المغاني
وانما^(٩) بالصبر إني لا أرى ما تريان .

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : وبدو .

(٢) في المخطوطين : الجياد . وهو تحريف .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » . المهمات .

(٤) ساقطة في المخطوطين .

(٥) وردت في المخطوطين : وتبعث .

(٦) وردت في المخطوطين : وجسن .

(٧) في المخطوطين : مداثر .

(٨) واردة في « ك » وساقطة في « ج » .

(٩) هكذا في اللمحة . وفي المخطوطين : واقسما . والأولى أرجح بالنسبة للمعنى .

ومن قوله :

عينٌ بكى لميت غادروه في ثراه مُلقى وقد غدروه
دفنوه ولم يُصلِّ عليه أحدٌ منهم ولا غسّله
إنما مات يوم مات شهيداً فأقاموا رسماً ولم يقصِدوه

محمد بن محمد [بن محمد]^(١) بن يوسف بن محمد بن أحمد بن

محمد بن نصر بن قيس الخزرجي

ثالثُ الملوك من بني نصر ، يكنى أبا عبد الله .

« أوّلَيْتَه » ؛ معروفة .

حاله

كان من أعظم أهل بيته ، صيتاً وهمةً ، أصيل المجد ، مليح الصورة ، عريق
الإمارة ، ميمون النّقيبة ، سعيد [النّصبة]^(٢) ، عظيم الإدراك ؛ تهناً العيش مدة
أبيه ، وتملّى^(٣) السياسة [في]^(٤) حياته ، وبارش الأمور بين يديه ، فجاء نسيج
وحده إدراكاً ، ونُبلاً ، وفخاراً ، وشأواً . ثم تولى الأمر بعد أبيه ، فأجراه على ديدنه ،
وتقبل سيرته ، ونسج على منواله ؛ وقد كان الدهر ضايقه في حصّته^(٥) ، ونفّسه

(١) ساقطة في المخطوطين : وإثباتها ضرورى لصحة الاسم .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . والإضافة من اللمحة .

(٣) في المخطوطين : وتملاً . وهو رسم آخر لنفس الكلمة .

(٤) زيادة يستلزمها السياق .

(٥) هكذا في « ك » . وفي « ج » : عصته .

ملاذ الملك بزمانة^(١) ، سدكت^(٢) بعينه لمداخلة السهر ، ومباشرة [أنوار]^(٣) ضخام الشمع ، إذ كانت تُتخذ له منها جذوع في أجسادها مواقيت تنخر بانقضاء ساعات الليل ، ومضى الربع^(٤) ؛ وعلى التزامه لكِنَّه وغيوبته في كسر بيته ، فقد خدمته السُّعود ، وأملت بابه الفتوح ، وسالته الملوك ، وكانت أيامه أعياداً . وكان يقرض الشعر ، ويصغى إليه ، ويثيب عليه ، فيجيز^(٥) الشعراء ، ويرضخ للندماء^(٦) ، ويعرف مقادر العلماء ، ويؤاكل^(٧) الأشراف والرؤساء ، [ضاربا]^(٨) في كل إصلاح بسهم^(٩) ، ماثلاً من كل تجربة وحُكمة ، حارّ النادرة ، حسن التوقيع ، مليح الخط ، تغلب عليه الفظاظلة والقسوة .

شعره

كان له شعر مُستظرف من مثله ، لا بل يَفْضُلُ به الكثير ممن ينتحل الشعر من الملوك . ووقعتُ على مجموع له ، ألفه بعض خدامه ، فنقلت من مطولاته :

واعَدَنِي وعدًا وقد أخلفًا أقلُّ شيء في المليح^(١٠) الوفا
و حال عن عَهْدِي ولم يرْعَه ما ضرَّه لو أنه أنصفا

(١) أغنى بمرض مزمن .

(٢) سدكت أى لزمت .

(٣) الزيادة من اللمة .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي اللمة : الهزيع .

(٥) هكذا في اللمة . وفي « ج » : ويحسن . وفي « ك » : يحرز .

(٦) في المخطوطين : (النداد . الند) . والتصويب من اللمة .

(٧) في المخطوطين : ويوكل .

(٨) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . والإضافة من اللمة .

(٩) هكذا في اللمة . وفي المخطوطين : سباهم .

(١٠) هكذا في المخطوطين وفي اللمة : الملاح .

ما بالها لم تتعطف على صاحب لها ما زال مُستعطفًا
يَسْتَطْلِعُ الأنباء من نحوها ويرقبُ البرق إذا ما هفا
خَفِيتُ سُقْمًا عن عيون الوري خفي بعد ما قد خفا
لله كم [من] ليلة بثها أدير من ذاك اللمي قرّقا
متعتني بالوصل منها وما أخلفت وعدًا خلت أن يخلفا

ومنها :

مَلَكْتُكَ [القلب] ^(١) واني امرؤ على ملك الأرض قد وقفا
أوامري في الناس مسموعة وليس مني في الوري أشرفا ^(٢)
يرهف سيفي في الوغي مُصلتا ويثقي عزمي إذا أرهفا
وترتجى يُمْناي يوم الندى تخالها السحب غدت وكفا
نحن ملوك الأرض من مثلنا حزننا تليد الفخر والمطرفا
نُخاف إقدامًا ونرجى نداء لله ما أرجى وما أخوفا
لي راية في الحرب كم غادرت رُبُع العدا قاعًا بها صفصفا
ياليت شعري والمنى حمة والدهر يومًا هل يرى مُنصفا
هل يَرْتَجِي العبد ^(٣) تداينكم أو يُصبح الدهر له مُسعفا ^(٤)

مناقبه

وأعظم مناقبه المسجد الجامع بالجرهاء ^(٥)، على ما هو عليه، من الظرف والتنجيد،

(١) ساقطة في المخطوطين . واردة في اللوحة .

(٢) في المخطوطين : أسرفا . والتصويب من اللوحة .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وفي اللوحة : (هل نرتجى اليوم) .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : مضعفاً .

(٥) سبق التعريف بموقعه . (انظر الحاشية في ص ٥١٩) .

والترقيش ، وفخامة العُمد ، وإحكام أنوار الفضة ، وإبداع ثراها ؛ ووقف عليه الحنّام
بإزائه ، وأنفق فيه مال الجزية ، أغرمها لمن يليه من الكفار ، قدّوا به زرعاً ، نهّد
إليه صائفته^(١) لا تنسافه ، وقد أهتمهم فتنة ، فظهر بها منقبة يتيمة ، ومعلوّة^(٢) فذّة ،
فاق بها من تقدمه ، ومن تأخّره من قومه .

جهاده

أغزى الجيش لأول أمره مدينة المنظر^(٣) ، فاستولى عليها غنوة ، وملك من اختوت
عليه المدينة ، ومن جملةهم الزّعيمة صاحبة المدينة ، من أفراد عقائل الروم ، فقدّمت
الحضرة في جملة السّبي ، نبيهة المرّكب ، ظاهرة الملبس ، رائقة الجمال ، خُص بها
ملك المغرب ، فاتّخذها لنفسه ، وكان هذا الفتح عظيماً ، والصيت بمزايه عظيماً بعيداً
[أنشدني]^(٤)

ما نُقل عنه من الفظاظاة والقسوة

هجم لأول أمره على طائفة من ممالك أيّه ، وكان سيّئ الرأي فيهم ، فسجنهم في
مُطَبَق الأريّ من جمرائه ، وأمسك مفتاح قفله عنده ، وتوغّد من يُرفقهم بقوت بالقتل ،
فكثروا أياماً ، وصارت أصواتهم تغلو بشكوى الجوع ، حتى خفّت^(٥) ضعفاً ، بعد

(١) أعنى قوات الجيش التي تخرج صيفاً للغزو .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » : معلوّة .

(٣) يفهم من كلام ابن الخطيب في مناسبة سابقة (راجع ص ٣٥٠) أن هذه البلدة كانت من
أعمال وادي آش . ولكن يبدو من ذكرها مع بلدة شوّطر (شوذر) Jodar أنها ربما كانت من أعمال
جنوبي ولاية جيان ، وعلى مقربة من البلدة المذكورة . وعلى أي حال فإننا لم نشتدل بالبحث على وجودها ،
أو مقابلها الإسباني . وأغلب الظن أنها دثرت .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . ولم يرد بعدها شعر .

(٥) في المخطوطين : خفّضت

أن اقتات آخرهم موتاً من لحم من سبقه ؛ وحملت الشفقة حارساً كان برأس المطبق ،
على أن طرح لهم خُبْزاً يسيراً ، تنقص أكله ، مع مباشرة بلواهم ، ونمى إليه ذلك ،
فأمر بذبحه على حافة الجُبِّ ، فسالت عليهم دماؤه ؛ وقانا الله مصارع السوء ؛
وما زالت المقالة^(١) عنها شنيعة ، والله أعلم بجزيرتهم لديه .

وزراؤه

بقي على خطة الوزارة ، وزير أبيه أبو سلطان عزيز بن علي بن عبد المنعم الداني ،
الجارى ذكره بحول الله في محله ، متبرماً بحياته إلى أن توفى ، فأنشد عند موته :

مات أبو زيد فواحسرتا إن لم يكن مات من جمعة
مصيبة لا غفر الله لي أن كنت أجريت لها دمة

وتمادى بها أمره ، يقوم بها حاشيته ، وقد ارتاح إليها متوليها بعده ، المترفع^(٢)
بدولته ، القائد الشهير ، البهيم أبو بكر بن المول . حدث قارئ العشر من القرآن
بين يدي السلطان ، ويعرف بابن بكرُون ، وكان شيخاً متصافواً ظريفاً ، قال :
عزم السلطان على تقديم هذا الرجل وزيراً ، وكان السلطان يؤثر الفأل ، وله في هذا
المعنى وساوس مُلازمة ، فوجه إلى الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى يومئذ ،
أبو عبد الله بن الحكيم المستأثر بها دونه ، والمتلف لكرتها قبله ، وخرج لي عن
الأمر ، وطلب مني أن أقرأ آياً يخرج فألها عن الغرض ؛ قال فلما غدوت^(٣) لشأني
تلوتُ بعد التعوذ قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دُونكم
لا يآلونكم خبلاً ، ودُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم ، إلى قوله لنا^(٤) .

(١) وردت في المخطوطين : المألقة وهو تحريف .

(٢) في المخطوطين : المتوقع .

(٣) في المخطوطين : عدوت .

(٤) واردة في « ج » . وساقطة في « ك » .

فلما فرغت الآية ، سمعته حاد عن رأيه الذي كان أزمعه ، وقدّم للوزارة كاتبه أبا عبد الله بن الحكيم في ذي قعدة من عام ثلاثة وسبعائة ، وصرف إليه تدير ملكه ، فلم يلبث أن تغلب على أمره ، وتقلد جميع شئونه ، حسبما يأتي في موضعه إن شاء الله .

كُتَّابُهُ

استقل برياسته وزيره المذكور ، وكان يبابه من كُتَّابِهِ (١) جملةً تباهى بهم دسوت الملوك أدباً وتفنناً وفضلاً وظرفاً ، كشيخنا تَلُوهُ وولى الرتبة الكتابية من بعده وفاضل الخطبة على أثره ، وغيره ممن يشار إليه في تضاعيف الأسماء ، كالشيخ الفقيه القاضي أبي بكر بن شبرين (٢) ، والوزير الكاتب أبي عبد الله بن عاصم ، والفقيه الأديب أبي إسحاق بن جابر ، والوزير الشاعر المُفْلِقُ أبي عبد الله اللُّوشِي ، من كبار القادمين عليه ، والفقيه الرئيس أبي محمد الحَضْرَمِي ، والقاضي الكاتب أبي الحجاج الطرُطُوشِي ، والشاعر المُكْثِرُ أبي العباس القَرَّاق (٣) وغيرهم .

قَضَائِهِ

استمرت ولاية قاضي [أبيه] (٤) الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن هشام الأَلَشِي (٥) قاضي العدل ، وخاتمة أولى الفضل ، إلى أن توفي عام أربع وسبعائة . وتولى له القضاء ،

(١) في المخطوطين : كتاب .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : بشرين . وهو تحريف .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : العراق .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . واردة في السحرة .

(٥) نسبة إلى أَلَش Elche وهي بلدة أندلسية قديمة تقع على مقربة من أريولة في شرق الأندلس .

وهي اليوم مصيف جميل وتشتهر بغابات النخيل التي تمتد بجانبها لمسافة طويلة .

القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد [بن محمد بن أحمد]^(١) القُرَشِي المنبُور^(٢) بابن
فركون ، وتقدم التعريف به ، والتنبيه على فضله ، إلى آخر أيامه .

مَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِ مِنَ الْمُلُوكِ بِالْأَقْطَارِ

وأول ذلك بفاس ؛ كان على عهده بها ، السلطان الرفيع القدر ، السامي الخطر ،
المرهوب الشَّبا ، المستولى في العز وبعد الصيت على المدى ، أبو يعقوب يوسف بن
يعقوب المنصور ، بن عبد الحق ، وهو الذي وطَّد الدولة المَرِيْنِيَّة ، وجبا الأموال
العريقة ، واستأصل من تُتَقَى شوكته من القرابية وغيرهم ، وجاز إلى الأندلس في أيام
أبيه وبعده ، غازياً ، ثم حاصر تلمسان ، وهلك عليها في أوائل ذي قعدة عام ستة
وسبعمائة ، فكانت دولته إحدى وعشرين سنة وأشهرًا . ثم صار الأمر إلى
خافذة أبي ثابت عامر بن الأمير أبي عامر عبد الله بن يوسف بن يعقوب بعد اختلاف
وقع ، ونزاع انجلي عن قتل جماعة من كبارهم ؛ منهم^(٣) الأمير أبو يحيى بن السلطان
أبي يوسف ، والأمير أبو سالم بن السلطان أبي يعقوب ؛ واستمر الأمر للسلطان أبي ثابت
إلى صفر من عام ثمانية وسبعمائة ، وصار الأمر إلى أخيه أبي الربيع سليمان تمام مدَّة
ملكه وصدرا من دولة أخيه نصر ، حسبما يذكر في موضعه إن شاء الله .

وبتلمسان الأمير أبو سنيد عثمان [بن يَغْمُر اسل]^(٤) ، ثم أخوه أبو عمران^(٥) موسى ،
ثم ولده أبو تاشفين عبد الرحمن إلى [آخر]^(٦) مدته .

(١) ما بين الحاصرتين وارد في « ج » . وساقط في « ك » .

(٢) وردت في المخطوطين : المنبُور . وهو تعجريف . والمنبُور أي المعروف أو الشهير .

(٣) وردت محرفة في المخطوطين : سلم . بلم .

(٤) واردة في « ك » وفي اللمحة . ومكانها في « نج » : (ثم يَغْمُر أخيه) .

(٥) في « ج » أبو عمر ، وفي « ك » أبو محمد . وهو تعجريف .

(٦) هذه الكلمة واردة في اللمحة . وساقطة في المخطوطين .

و بتونس؛ السلطان الفاضل ، الميمون النقيية ، المشهور الفضيلة ، أبو عبد الله محمد ابن الواثق يحيى بن المستنصر أبي عبد الله بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص، من أولى العفة ، والنزاهة ، والتؤدة ، والحشمة ، والعقل ؛ غنى بالصالحين ، واختص بأبي محمد المرجاني ، فأشار بتقويمه ، وظهرت عليه بركته ، وكان يرتبط إليه ، ويقف في الأمور عنده ، فلم تعدم الرعية بركة ولا صلاحاً في أيامه ، إلى أن هلك في ربيع الآخر عام تسعة وسبعمئة ، ووقعت بينه وبين هذا الأمير المترجم به المراسلة والمهاداة .

وبقشتالة ؛ هراندة بن شانجة بن أدفونش بن هراندة ^(١) ، المستولى على إشبيلية وقرطبة ، ومُرُسية ، وجيَّان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛ هلك أبوه وتركه صغيراً ، مكفولاً على عادتهم ، فتنفس المُنخَنق ، وانعقدت السلم ، واتصل الأمان مدة أيامه ، وهلك في دولة أخيه .

وبرغون ؛ جايمش بن ألفنش بن بطرة ^(٢) .

الأحداث

في عام ثلاثة وسبعمئة ، نقيم على قريه الرئيس أبي الحجاج بن نصر الوالى بمدينة وادى آش ^(٣) ، أمراً أوجب عزله ، عنها ، وكان مقياً بحضرته فاتخذ [الليل] جملاً ^(٤) وكان أملك بأمرها ؛ وذاع الخبر ، فاستركب الجيش ، وقد حدث ما ينزل في استطلابه ، وجدّد الصكوك بولايته خوفاً من اشتعال الفتنة ، وقد أخذ على يديه ، وأغرى أهل

(١) هو الملك فرناندو الثالث المسمى بالقديس فرناندو San Fernando . وقد سبق التعريف به (انظر الحاشية في ص ٣٩١) .

(٢) وردت في المخطوطين : نصره . وهو تحريف .

(٣) في المخطوطين : واداش : وهو تحريف .

(٤) أضفنا كلمة (الليل) ليستقيم المعنى . والظاهر أنها سقطت من المخطوطين سهواً . وهذا التعبير يستعمله ابن الخطيب في غير مناسبة . ومعناه « سار تحت جنح الليل » .

المدينة بحربه ، فتداعوا حين شعورهم باستعداده وأحاطوا به ، فدهموه وعاجلوه ، فتغلبوا عليه وقيد إلى بابه أسيراً مُصَفَّدًا ، فأمر أحد أبناء عمه ققتله صبرًا ، وتملاً فتحاً كبيراً ، وأمن فتنة عظيمة . وفي شهر شوال من عام خمسة وسبعائة قرع الأسماع النبأ العظيم ، الغريب ، من تَمَلَّكَ سَبْتَةً وحصولها في قبضته ، وانتزاعها من يد رئيسها أبي طالب عبد الله ابن أبي القاسم ، الرئيس الفقيه ، ابن الإمام المحدث أبي العباس العزفي حسبما يتقرر في إسم الرئيس الفقيه أبي طالب أن بلغنا الله ذلك ؛ واستأصل ما كان لأهلها من الذخائر والأموال ، ونقل رؤساءها ، وهم عدّة ، إلى حَضْرته غرناطة في غرة المحرم من العام ، فدخلوا عليه ، وقد احتفل بالملك ، واستركب في الأبهة الجند ، فلثموا أطرافه ، واستعطفه شعراؤهم بالمنظوم من القول ، وخطباؤهم بالمنثور منه ، فطأَن روعهم ^(١) وسكَّن جأشهم ، وأسكنهم في جواره ، وأجرى عليهم الأرزاق الهلالية ، وتفقدهم في الفصول إلى أن كان من أمرهم ما هو معلوم .

اختلاعه

في يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعائة أُحيط بهذا السلطان ، وأُتت الحيلة عليه ، وهو مصاب بعينيه ، مقعدٌ في كَنِّه ، فدخلت طائفة من وجوه الدولة أخاه ، وفكت بوزيره الفقيه أبي عبد الله بن الحكيم ، ونصبت للناس الأمير أبا الجيوش نصر أخاه ، وكبست منزل السلطان ، فأُحيط به ، وجُعِل الحرس [عليه] ^(٢) ؛ وتُسَوِّم مع بالكائنة فكان البُهْت ، وسال من الغوغاء البحر ، فتعلقوا بالحمراء ، يسألون عن الحادثة ، فشغلوا باتتهاب ^(٣) دار الوزير ، وبها من مال الله ما يفوت الوصف ؛ وكان الفَجْع في إضاعته على المسلمين ، وإطلاق الأيدي الخبيثة عليه .

(١) في المخطوطين : روحهم .

(٢) ناقصة في المخطوطين . ويقتضيها السياق .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : بإتهاب .

عِظًا ؛ وفي آخر اليوم عند الفراغ من الأمر ، دخل على السلطان المخلوع ، الشهاداء عليه بخلعه ، بعد نقله من دار مُلكه إلى دار أخرى ، فأُمِّلَى رحمه الله ، زعموا ، وثيقة خلعه ، مع شَغَب الفكر ، وعِظَم الداهية ؛ وانتقل رحمه الله بعد ، إلى القصر المنسوب إلى السيد ^(١) بخارج الحضرة ؛ أقام به يسيراً ، ثم نقل إلى مدينة المنكب ، وكان من أمره ما يذكر إن شاء الله .

ومما يؤثر من ظَرْفه ؛ حدث من كان منوطاً به من خاصته ، مدة أيام إقامته بقصر تجد ، قبل خلعه ، قال : أرسل الله ^(٢) الأغرِبة على سقف القصر ، وكان شديد التطير والقلق لذلك حسبما تقدم من الإشارة إلى ذلك بحديث العشر ؛ وكان من جملتها ^(٣) غُراب ^(٤) ، شديد الإلحاح ، حادُّ النَّعيب والصياح ، فأغرى به الرماة من ممالكه بأنواع القنسى ، فأبادوا من الغربان ^(٥) أمة ، وتخطَّأ الحُتفُ ذلك الغراب الخبيث [العبقان] ^(٦) ؛ فلما انتقل إلى سكنى الحمراء ، ظهر ذلك الغراب على سقفه ؛ ثم لما أهبط مخلوعاً إلى قصر شنيل ^(٧) تبعه ، وقام في بعض السقف أمامه ، فقال ^(٨) يخاطبه رحمه الله : يا مشثوم ، يا محروم بين الغربان ، قد خلَّصت أمرنا ، ولم يبق لك علينا طلب ، ولا بيننا وبينك كلام ؛ إرجع إلى هؤلاء المحارم فاشتغل بهم ؛ قال ، فأضحكنا على حال الكآبة ، بعذوبة منطقته ، وخفة روحه .

(١) سبق التعريف به وبموقعه خارج غرناطة (انظر الحاشية في ص ١٢٥) .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : تعالى .

(٣) وردت في المخطوطين : جملتهم . وهو تحريف .

(٤) في المخطوطين : غريب .

(٥) في المخطوطين : غربان .

(٦) وردت هذه الكلمة محرفة في « ج » : (العبتاق) . ولم ترد في « ك » والصواب : العبقان .

وهو السبيء الخلق .

(٧) هو قصر السيد الذي سبق التعريف به . وتعرف بقاياها حتى اليوم في غرناطة بقصر شنيل

Alcazar Genil

(٨) هكذا في « ك » . وفي « ج » : فقام .

وفاته

قد تقدم ذكرُ استقراره بالمنكب . وفي أخريات شهر جمادى الآخرة عام عشرة وسبعائة ، أصابت السلطان نصراً سكتةً ، تُوقَّع منها موته ، بل شكَّ في حياته ؛ فوقع التفاوض الذى تمحض^(١) إلى التوجيه عن السلطان المخلوع الذى بالمنكب ليعود إلى الأمر ، فكان ذلك ؛ وأسرع إيصاله^(٢) إلى غرناطة فى محفَّة ، فكان حوله بها فى رجب من العام المذكور . وكان من قدر الله ، أن أفاق أخوه من مرضه ، ولم يتم للمخلوع الأمر ، فنقل من الدار التى كان بها إلى دار أخيه الكبرى ، فكان آخر العهد به . ثم شاعت وفاته أوائل شوال من العام المذكور ، فذكر أنه اغتيل غريقاً فى البركة فى الدار المذكورة لما تُوقَّع من عادية^(٣) جواره ؛ ودفن بمقبرة السبيكة ، مدفن قومه ، بجوار الغالب بالله جده ، ونُوهُ بجَدَّته وعليه مكتوب ما نصه :

« هذا قبر السلطان الفاضل ، الإمام العادل ، علم الأتقياء ، أحد الملوك الصالحاء ، المُخْبِت^(٤) الأَوَّاه ، المجاهد فى سبيل الله ، الرضى الأورع ، الأخشى الله الأخشع ، المراقب فى السرِّ والإعلان ، المعمور الجنان بذكره واللسان ، السالك فى سياسة الخلق وإقامة الحق ، منبهاج التقوى والرضوان ، كافلُ الأمة بالرافة والحنان ، الفاتح لها بفضل سيرته ، وصديق سريره ، ونور بصيرته ، أبواب اليمن والأمان ، المنيب الأواب ، العامل ما يجده نوراً مبيناً يوم الحساب ، ذى الآثار السنية ، والأعمال الطاهرة ، القائم فى جهاد الكفار بماضى العزم وخالص النية ،

(١) هكذا فى « ك » . وفى « ج » : تخمض وهو تخريف .

(٢) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : أصالة .

(٣) وردت فى المخطوطين : علاديته .

(٤) هكذا فى « ج » . وفى « ك » المبهخت .

المقيم قسطاس العدل ، المنير منهاج الحلم والفضل ، حامى الذمار ، وناصر دين
المصطفى المختار ، المقتدى بأجداده الأنصار ، المتوسل بفضل ما أسلفوه من أعمال
البر والجهاد ، ورعاية العباد والبلاد ، إلى الملك القهار ؛ أمير المسلمين ، وقامع
المعتدين ، المنصور بفضل الله ، أبي عبد الله ، بن أمير المسلمين الغالب بالله ؛
السلطان الأعلى ، إمام الهدى ، وغمام الندى ، محيي السنة ، حسن الأمة ،
المجاهد في سبيل الله ، الناصر لدين الله ، أبي عبد الله ، بن أمير المسلمين الغالب
بالله ، أبي عبد الله ، بن يوسف بن نصر ، كرّم الله وجهه ومثواه ، ونعمه برضاه .
وُلد رضى الله عنه يوم الأربعاء الثالث لشعبان المكرم عام أحد وسبعائة ، رفعه الله
إلى منازل أوليائه الأبرار ، وألحقه بأئمة الدين ، لهم عُقبى الدار ، وصلى الله على
سيدنا محمد المختار ، وعلى آله ، وسلم تسليماً .

ومن الجانب الآخر :

على قبر مولانا الإمام المؤيد	رضى الملك الأعلى يزوخ ويعتدى
فقدس من معنى كريم ومشهد	مقر ^(١) العلى والملك والبأس والندى
فبورك من مثوى زكى وملحد	ومثوى الهدى والفضل والعدل والتقى
ثوى تحت أطباق الصفيح المنضد	فيا عجباً طود الوقار جلاله
مآثر فخر ^(٢) بين مثنى وموحد	وواسطة العقد الكريم الذى له
إمام الندى نجل الإمام محمد	محمد الرضى سليل محمد
ويا علم الأعلام غير مفند	فيا نخبه الأملاك غير منازع
بعزم أصيل أو برأى مسدد	بكتك بلاد كنت فى ذمارها

(١) هكذا فى « ج » واللمحة . وفى « ك » : قصر .

(٢) هكذا فى المخطوطين . وفى اللمحة : مجد .

وكم معلّم للدين أو ضحت رشمه
 كأنك ما سست البلاد وأهلها
 كأنك ما قدت الجيوش إلى العدا
 وفتحت من أقطارهم كلّ مبهم
 كأنك ما أنفقت عمرك في الرضى
 وإنصاف مظلوم وتأمين خائف
 كأنك ما أحييت للخلق سنة
 كأنك ما أمضيت في الله عزمة
 فإن تجهل الدنيا عليك وأهلها
 تعرّضت ذخراً من مقام خلافة
 وكلّ الورى من كان أو هو كائن
 فلا زال جاراً للرسول محمد
 وهذى القوافى قد وفيت بنظمها

[بنى] ^(١) لك في الفردوس أرفع مصعد
 بسيرة ميمون النقية مهتد
 فصيرتهم نهب القنا المتقصّد
 فتحت به باب النعيم المخدّد
 بتجديد غزوات وتشيد مسجّد
 وإصراخ مذعور وإسعاف مجتد
 تُجادل عنها باللسان وباليد
 تدافع فيها بالحسام المهند
 بذاك ثواب الله يلقاك في غد
 مقيم منيب خاشع متعبّد
 صريع الردى إن يكن فكان قد
 بدار نعيم في رضى الله سرمد
 فيا ليت شئرى هل يصيخ ^(٢) لمنشد

محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن

خميس بن نصر الأنصارى الخزرجى

ثاني الملوك الغالبين من بنى نصر ، وأساس أمرهم ، وفحلّ جماعتهم .

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . واردة في اللوحة .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : يصح .

أُولَيْتُهُ

تقرر بحول الله في اسم أبيه الآتي بعد حسب الترتيب المشترط .

حاله

من كتاب « طُرُفَة ^(١) العصر » من تأليفنا ؛ كان هذا السلطان أُوْحَدَ الملوك
جلالة ، وصرامة ، وحزماً ^(٢) . مهّد الدولة ، ووضع ألقاب خدمتها ، وقرّر مراتبها ،
واستجداد أبطالها ، وأقام رسوم الملّك فيها ، واستدّرّ جباياتها ، مستظهِراً على ذلك
بسعة الذّرع ، وأصالة السياسة ، ورصانة العقل ، وشدة الأمور ، ونور الدهاء ،
وطول الحنكة ، وتملؤ ^(٣) التجربة ؛ مليح الصورة ، تام الخلق ، بعيد الهمة ،
كريم ^(٤) الخلق ، كثير الأناة . قام بالأمر بعد أبيه ، وبأشره مباشرة الوزير أيام
حياته ، فجرى على سنن أبيه ، من اصطناع أجناسه ، ومدارة عدوه ، وأجرى
صدقاته ، وأرّبى عليه بخلال ، منها براعة الخط ، وحسن التوقيع ، وإيثار العلماء ،
والأطباء ، والعدلين ^(٥) ، والحكماء ، والكتاب ، والشعراء ، وقرّض الأبيات
الحسنة ، وكثرة الملّح ، وحرارة النّادرة . وطأ بحرّ من الفتنة لأول استقرار أمره ،
وكثّر عليه المنّتزون والثّوار ، وارتجّت الأندلس ، وسط أكلب ^(٦) الكفار ،
فصبر لزلزالتها ، رابط الجأش ، ثابت المركز ، وبذل من الاحتيال ، والدّهاء ،

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : ظرف .

(٢) هكذا في « ج » واللمحة . وفي « ك » : جزماً .

(٣) في المخطوطين : وتلو . والتصويب من اللمحة .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » : كثير .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي اللمحة : المنجمين .

(٦) في المخطوطين : كلب . وهو تعريف .

المكنوفين بجميل الصبر ، [ما أظفره] ^(١) بخلوّ الجوِّ . وطال عمره ، وجدّ صيته ^(٢) ، واشتهر في البلاد ذكره ، وعظمت غزواته . وسيمر من ذكره ما يدل على أجل من ذلك إن شاء الله .

شعره وتوقيعه

وقفتُ على كثير من شعره ، وهو نَمَطٌ منحط بالنسبة إلى أعلام الشعراء ^(٣) ، ومُسْتَظَرَفٌ من الملوك والأمراء . من ذلك ، يخاطب وزيره :

تذكر عزيز ليالٍ مضتْ . وإعطاءنا المال بالراحتين
وقد قصدتنا ملوكُ الجها . ت ومالوا إلينا من العدوئين
وإذا سأل السَّلمُ منا اللّعي . ن ^(٤) فلم يحظَ إلا بخفي حنين

وتوقيعه يَشُدُّ عن الإحصاء ، وبأيدي الناس إلى هذا العهد كثير من ذلك ؛ فما كتب به على رقعة كان رافعها يسأل التصرّف في بعض الشهادات ويلح عليها : يموتُ على الشّهادة وهو حيٌّ إلهي لا تُتمته على الشّهادة

وأطال الخطّ عند إلهي إشعاراً بالضّراعة عند الدعاء والجد . ويُذكر أنه وقع بظهر رقعة لآخر اشتكى ضرر أجد الجند المُنزلين في الدُّور ، ونَبَزَه ^(٥) بالتّعريض لزوجه : « يُخرج هذا النّازل ولا يُعوّضُ بشيءٍ من المنازل » ^(٦) .

(١) هكذا وردت في المخطوطين : وما أظفره . والتصويب من النسخة .

(٢) وردت محرفة في المخطوطين : (صمته - صنته) .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » : البشير .

(٤) وردت في المخطوطين : لمعين . والتصويب من النسخة .

(٥) أي اتهمه .

(٦) يلاحظ أن هذه القصة وردت قبل ذلك منسوبة للمأمون خليفة الموحدين (راجع ص ٢٤٤) .

بنوه

ثلاثة ، ولى عهده أبو عبد الله المتقدم الذكر ، وفرج المُقتال أيام أخيه ، ونصر الأمير بعد أخيه .

بناته

أربع ، عَقَدَ لهن ، جمع أبرزهن إلى أزواجهن ، من قرابتهن ، تحت أحوال ملوكية ، ودُنِيا عريضة ، وهن : فاطمة ، ومؤمنة ، وشمس ، وعائشة . وفاطمة منهن أمٌ حفيده إسماعيل الذى ابتزَّ ملك بنيه عام ثلاثة عشر وسبعائة .

وزيره

كان وزيره ، الوزير الجليل الفاضل ، أبو سلطان ، لتقارب الشَّبه ، زعموا فى السَّن والصورة ، وفضل الذات ، ومثانة الدين ، وصحَّة الطبع ، وجمال الرُّواء . أغنى وحسَّنت واسطته ، ورُفِعت إليه الرسائل ، وطُرِّزت بإسمه الأوضاع ، واتصلت أيامه إلى أيام مُستوزرة ، ثم صدراً من أيام ولى عهده .

كتابه

ولى له خُطَّة الكتابة والرياسة العليا فى الإنشاء جملةً ، منهم كاتب أبيه أبو بكر بن أبى عمرو اللُّوشى ، ثم الأخوان أبو على الحسن والحسين ، ابنا محمد بن يوسف بن سعيد اللُّوشى ؛ سَبَق الحسن وتلاه الحسين ، وكانا [توأمين]^(١) ، ووفاتهما

(١) وردت فى المخطوطين : راميين . والتصويب من اللبحة .

مقاربة . ثم كتب له الفقيه أبو القاسم محمد بن محمد بن العابد الأنصاري ، آخرُ
الشيوخ ، وبقيةُ الصُّدور والأدباء ؛ أقام كاتباً [مدة]^(١) إلى أن أبرمه
انحطاطه في هوى نفسه ، وإيثاره المعاقرة ، حتى زعموا أنه قاء ذات يوم بين يديه ،
فأخّره عن الرتبة ، وأقامه في عِدَاد^(٢) كُتّابه إلى أن توفي تحت رِفْدِهِ^(٣) . وتولى
الكتابة الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ، فاضطلع بها إلى آخر دولته .

قضائته

تولى له خُطّة القضاء ، قاضى أيّه ، الفقيه العدل ، أبو بكر بن محمد بن فتح
الإشبيلي الملقب بالأشبرون . تولى قبل ذلك خُطّة الشُّوق ، فلقى سكران^(٤) أفرط
في قحته^(٥) ، واشتد في عربدته ، وحمل على الناس ، فأفرجوا عنه ؛ فاعترضه
واشتدّ عليه حتى تمكن منه بنفسه ، واستنصر^(٦) في حدّه ، وبالغ في نكاله ؛
واشتهر ذلك عنه فجُمع له أمرُ الشرطة وخُطّة السوق ، ثم ولى القضاء . فذهب أقصى
مذاهب الصرامة ، إلى أن هلك ؛ فولى خُطّة القضاء بعده الفقيه ، العدل أبو عبد الله
محمد بن هشام من أهل أُلش^(٧) ، لحكاية غَبَطَت السلطان بدينه ، ودلّته على
محلّه من العدل والفضل ؛ فاتّصلت أيام قضائه إلى أيام مُسْتَقْضِيهِ ، رحمه الله .

(١) ساقطة في المخطوطين . والإضافة من اللمعة .

(٢) هكذا في اللمعة . وفي المخطوطين : إعداد .

(٣) أى تحت كنفه وعطائه .

(٤) في المخطوطين . سكراناً .

(٥) وردت محرفة في المخطوطين : (محنه . محنته) .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي اللمعة البدرية : استبصر .

(٧) هكذا وردت في اللمعة . وفي المخطوطين : الشر . وهو تحريف ظاهر . وقد سبق التعريف

بمدينة الش (انظر الحاشية في ص ٥٥٧) .

جهاده

وباشر هذا السلطان الوقائع ، فأنجحت ظلماتها ، عن صُبح نصره ، وطُرزت
مواقعها بطراز جلادته وصبره ؛ فمنها وقعة المطران وغيرها ، مما يضيق التأليف عن
استقصائه . وفي شهر المحرم من عام خمسة وتسعين وستمائة^(١) ، على تَفَثَةٍ^(٢) هلاك
طاغية الروم ، شائجة بن أدفونش^(٣) ، عاجل الكفار حين دَهَشَهُمْ ، فحشد أهل
الأندلس ، واستنفر المسلمين ، [فاغتنم]^(٤) الداعية ، وتحرك في جيش ، يجرُّ
الشوك والشجر ، ونازل مدينة قَيْجَاطَه^(٥) وأخذ بكظمها ، ففتحها الله على يديه ،
وتملك بسببها جملة من الحصون التي ترجع إليها ؛ وكان الفتح في ذلك عظيمًا ، وأسكنها
جيشًا من المسلمين ، وطائفة من الحامية ، فأشرقت العدوُّ بريقه . وفي صائفة عام
تسعة وتسعين وستمائة ، نازل مدينة القبذاق^(٦) فدخل جَفْنَهَا ، واعتصم من تأخر أجله
بقصبتها ، ذات القاهرة العظيمة الشأن ، الشهيرة في البلدان ، فأحيط بهم ، فخذلوا
وزلزل الله أقدامهم ، فألقوا باليد ، وكانوا أُمْنَع من عُقاب الجو ؛ وتملكها على
حكمه ، وهي من جلالة الوضع ، وشهرة المنعة ، وخِصْب السَّاحَةِ ، وطيبِ الماء ،
والوصول إلى أفلاذ الكفر ، والاطِّلاع على عَوْرَاتِهِ ، بحيث شهر . فكان تيسر
فتحها من غرائب الوجود ، وشواهد اللطف ، وذلك في صلاة الظهر من يوم الأحد

(١) هكذا في اللوحة وهو الصواب . وفي « ك » سبعمائة صححت إلى ستمائة . وفي « ج » سبعمائة وهو تحريف .

(٢) أى على أثره وعلى حينه .

(٣) هكذا رسمت في « ك » . وفي « ج » : دفونش .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . والإضافة من اللوحة .

(٥) هي مدينة أندلسية قديمة من أعمال ولاية جيان تقع على مقربة من أبدة . ومكانها اليوم المدينة الإسبانية الحديثة Quesada .

(٦) هكذا في « ج » واللوحة . وفي « ك » : النبدان . والقبذاق مدينة أندلسية قديمة من أعمال قرطبة .

الثامن لشهر شوال عام تسعة وتسعين^(١) وستائة ؛ وأسكن بها رابطة المسلمين، وباشروا العمل في خندقها بيده رحمه الله ، فتساقط الناس ، من ظهور دوابهم إلى العمل ، فتم ما أريد* منه سريعاً .

وأنشدني شيخنا أبو الحسن الجيَّاب يهنئه بهذا الفتح :

عدوُّك مقهورٌ وحزبك غالبٌ وأمرُك منصورٌ وسهمُك صائبٌ
وشخصُك مهمالٌ لا لخلقٍ أذعنْتَ لهيبته عجمُ الورى والأعاربُ
وهي طويلة .

من كان على عهده من الملوك

كان على عهده بالمغرب ، السلطان الجليل ، أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق ، الملقب بالمنصور ؛ وكان ملكاً صالحاً ، ظاهر السذاجة ، سليم الصدر ، مخفوض الجناح ، شارباً أبواب الدالة عليه منهم ؛ أشبه بالشيخ منه بالملك ، في إخمال اللفظ والإغضاء عن الجفوة ، والنداء بالكنية^(٢) . وهو الذي استولى على ملك الموحدين ، واجتث شجرتهم من فوق الأرض ، وورث سلطانهم ، واجتاز إلى الأندلس ، كما تقدّم ، مرّات ثلاث أو أزيد منها ، وغزا العدو ، وجرت بينه وبين السلطان المترجم به أمور ، من سلم ومناقضة ، وإعتاب ، وعتب^(٣) ، حسبما تدلُّ على ذلك القصائد الشهيرة المتداولة ؛ وأولها ما كتب به على عهده ، الفقيه الكاتب الصدر ، أبو عمرو بن المرابط ، في غرض استنفاد للجهاد :

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » وسبعين . وهو تحريف .
* وهنا ينتهي مخطوط دار الكتب المصرية المرموز له فيما تقدم بحرف « ك » . وقد قطع الكلام قطعاً في لوحته الأخيرة رقم ١٢٢ مما يدل على أنه لم يكن سوى قطعة كبيرة من كتاب « الإحاطة » حسبما أوضحنا ذلك في مقدمة الكتاب .

(٢) وردت في « ج » : والكينة . والتصويب من اللمعة .

(٣) هكذا في « ج » . وفي اللمعة : وعتب وإعتاب .

هل من مُعَيَّنٍ في الهوى أو مُنْجَدٍ من متهم في الأرض أو من منجد .
وتوفي السلطان المذكور بالجزيرة الخضراء في عُنْفوان وَحْشة بينه وبين هذا
السلطان في محرم خمسة وثمانين وستمائة ؛ وولى بعده ولده ، العظيم الهمة ، القوى
العزيمة ، أبو يعقوب يوسف ، وجاز إلى الأندلس على عهده ، واجتمع به بظاهر^(١)
مَرْبَلَّة ، وتجدد العهد ، وتأكد الوُدُّ ؛ ثم عادت^(٢) الوَحْشة المُقْضِيَّة إلى تغلب العدو
على مدينة طريف ، فُرْضَة^(٣) المجاز الأدنى ، واستمرت أيام السلطان أبي يعقوب
إلى آخر مدة السلطان المترجم به ، ومدة ولده بعده .

وبوطن تِلْمَسَان ، أبو يحيى يَغْمُور ، وهو يَغْمُرَاسِن بن زِيَّان بن ثابت بن محمد
ابن بندوسن^(٤) بن طاع الله بن علي بن يعل ، وهو أُوحدُ أهل زمانه جرأة وشهامة ،
ودهاء ، وجزالة ، وحزمًا . موافقه في الحروب شهيرة ، وكانت بينه وبين بني مَرَيْن
وقائع ، كان عليه^(٥) فيها الظهور ، وزجما نَدَرَت المانعة ؛ وعلى ذلك فقوى الشكيمة ،
ظاهر المنعة . ثم ولى بعده ولده عثمان إلى تمام مدة السلطان المترجم به ، [وبعضاً من
دولة ولده]^(٦) .

وبوطن إفريقيَّة ، الأمير الخليفة ، أبو عبد الله بن أبي زكريا بن أبي حَفْص ،
الملقب بالمستنصر ، المثل المضروب ، في البأس والأنفة ، وعِظَم الجَبَرُوت ، وبُعد
الصيت ، إلى أن هلك سنة أربعة وسبعين وستمائة ؛ ثم ولده الواثق بعده ، ثم الأمير
أبو إسحاق^(٧) وقد تقدم ذكره . ثم كانت دولة الدَّعْيِ ابن أبي عمارة^(٨) المتوثَّب

(١) هكذا في اللوحة . وفي « ج » : على ظاهر .

(٢) في « ج » عاهد . والتصويب من اللوحة .

(٣) هكذا في اللوحة . وفي « ج » : فرصة .

(٤) هكذا في اللوحة . وفي « ج » : بندوسن . والأولى أرجح .

(٥) في « ج » عليها . والتصويب من اللوحة .

(٦) هذه الزيادة من اللوحة .

(٧) هكذا في اللوحة . وفي « ج » إسحاق .

(٨) سبق أن عرف ابن الخطيب بأخباره (انظر ص ٣٢٤-٣٢٦) .

على مُلكهم ؛ ثم دولة أبي حفص مَسْتَنْقِذُهَا من يده ، وهو عمر بن أبي زكريا بن عبد الواحد ؛ ثم السلطانُ الخليفةُ الفاضل ، الميمون النقيبة ، أبو عبد الله بن الواثق يحيى بن المستنصر أبي عبد الله ، بن الأمير زكريا .

وبوطن النَّصارى ، بَقَشْتَالَة ، الفُئش بن هِراندة ، إلى أن ثار عليه ولده شَانِجَة ، واقتضت الحال إجازة سلطان المغرب ، واستجار به ؛ وكان من لقائه بأحوار الصَّخرة من كورة تاكرُنا ما هو معلوم . ثم ملك^(١) بعده ولده شَانِجَة ، واتصلت ولايته مدة أيام السلطان ، وجرت بينهما خُطوب إلى أن هلك عام أربع وسبعين وستائه . وولى بعده ولده هِراندة سبعة عشر عاماً ، وصار المُلْكُ إليه ، وهو صبيٌّ صغير ، فتنفَّس مُخَنَّق [أهل]^(٢) الأندلس ، وغزا سلطانهم [وظهر]^(٣) إلى آخر مدته وبرغون ، الفُئش بن جايْمِش بن بَطْرَة بن جايْمِش المستولى على بلنسية . ثم هلك وولى بعده جايْمِش ولده ، وهو الذى نازل مدينة المُرِيَّة على عهد نصرٍ ولده ، واستمرت أيام حياته إلى آخر مدته . وكان لا نظير له فى الدَّهَاء ، والحزم ، والقوة .

ومن الأحداث فى أيامه

على عهده تفاقم الشر ، وأعياد الفتنه ، ولقحت حرب الرؤساء ، الأصهار من بنى إشقيلولة ، فمن دونهم ، وطنب سُرَادِق الخلاف ، وأصاب الأسر وفحول الثروة الرؤساء ؛ فكان بوادى آش الرئيسان أبو محمد وأبو الحسن ؛ وبمالقة وقمارش الرئيس أبو محمد عبد الله ؛ وبقمارش ، رئيس آخر ، [هو]^(٤) الرئيس أبو إسحاق . فأما الرئيس أبو محمد فهلك ، وقام بأمره بمالقة ، ولده ، وابن أخت

(١) وردت فى « ج » : هلك ، وهو تحريف والتصويب من اللمعة .

(٢) هذه الكلمة الزائدة واردة فى اللمعة .

(٣) هذه الزيادة من اللمعة .

(٤) ساقطة فى « ج » . ويقتضيها السياق .

السلطان المترجم به . ثم خرج عنها في سبيل الإنحراف والمُنايذة إلى ملك المغرب ، ثم تصير أمرها إلى السلطان ، على يد واليها من بني علي . وأما الرئيسان فصابرا^(١) المضايقة ، وعزما على النطاق والمقاطعة بوادي آش زماناً طويلاً ، وكان آخر أمرها الخروج عن وادي آش إلى ملك المغرب ، معوّضين^(٢) بقصر كتامة ، حسبما يذكر في أسمائهم ، إن بلغنا الله إليه .

وفي أيامه ، كان جواز السلطان المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، إلى الأندلس ، مُغازياً ومجاهداً في سبيل الله ، في أوائل عام اثنين وسبعين وستمائة ، وقد فسّد ما بين سلطان النصارى وابنه . واغتنم المسلمون الغرّة واستدعى سلطان المغرب إلى الجواز ، ولحق به السلطان المترجم به ، وجمع مجلسه بين المنتزعين عليه وبينه ، وأجلت الحال عن وحشة ، وقضيت الغزاة ، وآب السلطان إلى مستقرّه . وفي العام بعده ، كان إيقاع السلطان ملك المغرب بالزعيم « ذُنُونَه »^(٣) ، واستئصال شأفته ، وحصد شوكته . ثم عبر البحر ثانية بعد رجوعه إلى العدو ، واحتلّ بمدينة طريف في أوائل ربيع الأول عام سبعة وسبعين وستمائة ، ونازل إشبيلية ؛ وكان اجتماع السلاطين^(٤) بظاهر قرطبة ، فاتصلت اليد ، وصلحت الضمائر ؛ ثم لم تلبث الحال أن استحالّت إلى فساد ، فاستولى ملك المغرب على مالقة ، بخروج^(٥) المنتزى بها إليه ، إلى يوم الأربعاء التاسع والعشرين لرمضان عام سبعة

(١) في « ج » : فصار . والتصويب من اللوحة .

(٢) في « ج » : معرضين . وهو تحريف .

(٣) هو دون نونيو دى لارا Nuno de Lara صهر ملك قشتالة الفونسو العاشر . وكان يقود الجيش القشتالي في هذه المعركة الشهيرة التي التقى فيها النصارى بالجيوش المغربية والأندلسية المتحدة بقيادة السلطان أبي يوسف يعقوب على مقربة من مدينة إستجة ، والتي أحرز فيها المسلمون نصراً باهراً . وذلك في ربيع الأول سنة ٦٧٤ هـ . (سبتمبر سنة ١٢٧٥ م) .

(٤) هكذا في « ج » . وفي اللوحة : السلطانين . وربما كان المقصود بالجمع سلطان المغرب وولده وسلطان الأندلس .

(٥) في « ج » : وخروج . والتصويب من اللوحة .

وسبعين وستمائة . ثم رجعت إلى ملك الأندلس بمداخلة من كانت بيده ولنظره^(١) ،
حسبما يأتي بعد إن شاء الله .

وعلى عهده نازل طاغية الروم الجزيرة الخضراء ، وأخذ بمُخَنَّقِهَا ، وأشرف على
افتتاحها ، فدافع الله عنها ، ونَفَسَ حصارها ، وأجاز الروم بحرها ، على يد الفئة
القليلة من المسلمين ؛ فعظم المنح ، وأسفر الليل ، وانجَلَت الشَّدة ، في وسط
ربيع الأول من عام ثمانية وسبعين وستمائة .

مولده

بغرناطة عام ثلاثة وثلاثين وستمائة . وأيام دولته ثلاثون سنة ، وشهر واحد ،
وستة أيام .

وفاته

من كتاب « طُرفة العصر » من تأليفنا في التاريخ ؛ قال ، واستمرت الحال إلى
أحد وسبعمائة ، فكانت في ليلة الأحد الثامن من شهر شعبان في صلاة العصر ؛
وكان السلطان رحمه الله في مصلاه ، متوجَّهاً إلى القبلة لأداء فريضته ، على أتم
ما يكون عليه المسلم من الخشية والتأهب ؛ زعموا أن شرقاً كان ينتابه ، لمادة
كانت تنزل من دماغه ، وقد رَجَحَتِ الظنون في غير ذلك لتناوله عشية يومه كعكا
أُتخذت له بدار ولى عهده ، والله أعلم بحقيقة ذلك . ودفن منفرداً ، عن مدفن سلفه ،
شرقي المسجد الأعظم ، في الجنان المتصل بداره . ثم تُني بمحافده السلطان أبي الوليد ،
وَعُرِّزَ بثالث كريم من سُلالاته ، وهو السلطان أبو الحجاج بن أبي الوليد ، تَعَمَدَ الله
جميعهم برحمته ، وشملهم بواسع مغفرته وفضله .

« تم المجلد الأول »

(١) وردت في « ج » قبلها كلمة (وقائع) . والظاهر أنها وضعت هنا سهواً .

فهارس المجلد الأول من كتاب الإحاطة

صفحة

- ١ - فهرست الموضوعات والتراجم . . . ٥٧٧
- ٢ - فهرست الرسائل والقطع النثرية . . . ٥٨٣
- ٣ - فهرست الشعر والشعراء . . . ٥٨٤
- ٤ - فهرست الكتب التي ورد ذكرها خلال الكتاب . ٥٩٣
- ٥ - فهرست البلدان والأماكن . . . ٦٠٤
- ٦ - فهرست القبائل والطوائف . . . ٦١٧
- ٧ - فهرست الأعلام . . . ٦١٩

فهرست الموضوعات والتراجم

صفحة	
٥	مقدمة
٣٠	ابن الخطيب مؤلف هذا الكتاب
٦٨	تراث ابن الخطيب ، وبيان مؤلفاته
٧٨	كتاب الإحاطة ، موضوعه ومصادره
	* * *
٨٧	مقدمة المؤلف

القسم الأول

في حلى المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن

٩٩	فصل في اسم هذه المدينة ووضعها على إجمال واختصار
	فصل في فتح هذه المدينة ، ونزول العرب الشاميين من جند دمشق بها وما
١٠٦	كانت عليه أحوالهم ، وما تعلق بذلك من تاريخ
	ذكر ما آل إليه ، من ساكن المسلمين بهذه الكورة ، من النصارى
١١٢	المعاهدين ، على الإيجاز والاختصار
	ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم ، التي نزلتها العرب بخارج
١٢١	غرناطة ، وما يتصل بها من العمالة
١٢١	فصل فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى والجنات والجهات
١٣٠	فصل [في وصف مدينة غرناطة وبعض ما قيل في رياضها من الشعر]
١٣١	فصل [في قرى مدينة غرناطة وضياعها وجناتها وأعيان دورها]

صفحة

فصل [فى صفات أهل غرناطة ومظاهريهم وأنسابهم وأزيائهم وطرق معيشتهم وصنوف نكدهم ووصف نسايتهم]	١٤٠
فصل فيمن تداول هذه المدينة من لدن أصبحت دار إمارة، باختصار واقصر	١٤٦

القسم الثاني

فى حلى الزائر والقاطن
والمتحرك والساكن

أحمد بن خلف بن عبد الملك الغسانى	١٥٣
أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمدانى اللخمى	١٥٦
أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف . . . بن غريب الهمدانى الإلبيرى	١٥٦
أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشى (ابن فركون)	١٥٩
أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله . . . بن سعيد بن جزى الكلبي	١٦٣
أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن سعدة . . . بن	
سعيد بن عبد الله العامرى	١٦٨
أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدى	١٧٢
أحمد بن أبى سهل بن سعيد بن أبى سهل الخزرجى	١٧٥
أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله بن ورد التيمى	١٧٥
أحمد بن محمد بن على بن أحمد بن على الأموى (ابن برطال)	١٧٧
أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة الخزومى	١٧٩
أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى بن عبد الحق الجزلى	١٨٦
أحمد بن عبد الرحمن بن محمد . . . بن الصقر الأنصارى الخزرجى	١٨٩
أحمد بن أبى القاسم بن عبد الرحمن (ابن القباب)	١٩٣
أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم . . . بن مسلم بن كعب	
الثقى (ابن الزبير)	١٩٥

صفحة

- أحمد بن عبد الوالى الرعينى ٢٠٠
- أحمد بن على بن أحمد بن خلف الأنصارى (ابن الباذش) . ٢٠١
- أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد ٢٠٣
- أحمد بن محمد بن على بن محمد بن يحيى بن محمد بن مصادف . ٢٠٩
- أحمد بن حسن بن باصة الأسلمى ٢١١
- أحمد بن محمد بن يوسف الأنصارى ٢١٢
- أحمد بن محمد الكرنى ٢١٣
- أحمد بن محمد بن أبى الخليل مفرج الأموى (ابن الرومية) . ٢١٥
- أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد . . . بن محمد بن عبد الله
- ابن سعيد بن عمار بن ياسر ٢٢٢
- أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشى (ابن فركون) ٢٢٨
- أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان ٢٢٩
- أحمد بن أيوب اللماى ٢٤٠
- أحمد بن محمد بن طلحة ٢٤٣
- أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن خاتمة الأنصارى . ٢٤٧
- أحمد بن عباس بن أبى زكريا ٢٦٧
- أحمد بن أبى جعفر بن محمد بن عطية القضاعى ٢٧١
- أحمد بن محمد بن شعيب الكريانى ٢٨٠
- أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد . . . بن سليمان بن عوفه اللخمى ٢٨٦
- أحمد بن على المليانى ٢٩٢
- أحمد بن محمد بن عيسى الأموى ٢٩٥
- أحمد بن الحسن بن على بن الزيات الكلاعى ٢٩٥
- إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك ٣٠٥
- إبراهيم بن أمير المسلمين أبى الحسن بن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان . . .
- بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق (أبو سالم) . ٣١١
- إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص عمر بن يحيى الهنتائى ٣١٨
- إبراهيم بن محمد بن أبى القاسم . . . بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي ٣٢٨

صفحة

- ٣٣٠ . . . إبراهيم بن فرج بن عبد البر الحولاني (ابن حرة)
- ٣٣٣ . . . إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي
- ٣٣٤ . . . إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري (التلمساني)
- ٣٣٧ . . . إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي
- ٣٥٠ . . . إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن موسى . . . بن أسد بن قاسم
التميري (ابن الحاج)
- ٣٧٢ . . . إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب . . . بن فرقد القرشي العامري
- ٣٧٥ . . . إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزي
- ٣٨٠ . . . إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي
- ٣٨٢ . . . إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي التنوخي
- ٣٨٥ . . . إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد . . . بن قيس الأنصاري
الخزرجي
- ٤٠٦ . . . إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر
- ٤١٢ . . . أبو بكر بن إبراهيم ، الأمير أبو يحيى المسوفي الصحراوي
- ٤١٧ . . . إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، الملقب بالمأمون
- ٤٢٦ . . . أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد بن بكر بن هوار الإلبيري
- ٤٢٧ . . . أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد . . . بن أسلم بن أبان
- ٤٣٠ . . . أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المري
- ٤٣٢ . . . أبو بكر المخزومي الأعشى الموروري المدوري
- ٤٣٦ . . . أصبغ بن محمد بن الشيخ المهدي
- ٤٣٧ . . . أبو علي بن هدية
- ٤٣٨ . . . أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي
- ٤٣٩ . . . بلكين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي
- ٤٤٣ . . . باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي
- ٤٤٧ . . . ذكر مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل بن نغالة الإسرائيلي
- ٤٥١ . . . بكرون بن أبي بكر الأشقر الحضرمي
- ٤٥٢ . . . بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل

صفحة

٤٥٤	تاشفين بن علي بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة . . .
٤٦٢	ثابت بن محمد الجرجاني ثم الإستراباذي . . .
٤٦٧	جعفر بن أحمد الخزاعي . . .
٤٦٩	جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعي . . .
٤٧١	الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري . . .
٤٧٣	الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي . . .
٤٧٥	حسن بن محمد بن حسن القيسي . . .
٤٧٦	حسن بن محمد بن باصة . . .
٤٧٧	الحسن بن محمد بن علي الأنصاري (ابن كسرى) . . .
٤٨٠	الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي . . .
٤٨٥	حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي . . .
	الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن
٤٨٦	هشام بن معاوية (المستنصر) . . .
	الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان
٤٨٧	ابن أمية . . .
٤٩١	حكم بن أحمد بن رجا الأنصاري . . .
	حاتم بن سعيد بن خلف . . . بن سعيد بن عبد الملك بن سعيد بن عمار
٤٩١	ابن ياسر . . .
٤٩٤	حباسة بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي . . .
٤٩٥	حبيب بن محمد بن حبيب . . .
٤٩٧	حمدة بنت زياد المكتب . . .
٤٩٩	حفصة بنت الحاج الركوني . . .
٥٠٢	الحضر بن أحمد بن الحضر بن أبي العافية . . .
٥٠٨	خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي . . .
	داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري الحارثي
٥١١	الأبدى . . .
٥١٤	رضوان النصري ، الحاجب المعظم . . .

صفحة

٥٢١	زاوى بن زيرى بن مناد الصنهاجى
٥٢٥	زهير العامرى ، فقى المنصور بن عامر
	طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطلوىسى ، وأخواه أبو بكر وأبو الحسن
٥٢٨	بنو القبطرنة
٥٣١	محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر
	محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد . . . بن نصر
٥٤٠	الخزرجى
	محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد . . . بن نصر بن قيس
٥٥٢	الخزرجى
٥٦٤	محمد بن محمد بن يوسف بن محمد . . . بن نصر الأنصارى الخزرجى

فهرست الرسائل والقطع النثرية

صفحة

١٨٣	وصف ابن عميرة الخزومي لسقوط بلنسية
٢٣٦	نص إجازة ابن صفوان لابن الخطيب
٢٤١	رقعة لأبي جعفر اللماي يخاطب فيها أبا جعفر بن العباس
٢٤٩	رسالة ابن خاتمة لابن الخطيب
٢٦١	رسالة أخرى منه لابن الخطيب
٢٦٣	رسالة ابن الخطيب في الرد على ابن خاتمة
٢٧٥	رسالة لابن عطية القضاعي يستعطف فيها عبد المؤمن
٢٧٧	رسالة لابن عطية في وصف معركة وادي ماسة
٢٩٨	خطبة ابن الزيات الكلاعي الحالية من حرف الألف
٣٣٨	رسالة لإبراهيم الساحلي يخاطب فيها أهل غرناطة
٣٥٩	رسالة لابن الخطيب يخاطب فيها ابن الحاج ويداعبه
٣٦٣	رسالة ابن الحاج في الرد على ابن الخطيب
٤٠١	ما كتب نثراً على قبر السلطان إسماعيل أبي الوليد النصري
٤٢١	كتاب المأمون الموحدي إلى أهل الأندلس
٤٢٢	رسالته إلى أهل أندو جر
٤٤١	مرسوم بلكين بن باديس بتعيين القاضي أبي عبد الله بن الحسن الجذامي رسالة وصفية من الرحلة لابن الخطيب في مداعبة القاضي ابن أبي خالد
٥٠٩	البلوي
٥٢٩	وصف الفتح بن خاقان لليالي بني سعيد البطليوسي
٥٤٩	ما كتب نثراً على قبر السلطان محمد بن إسماعيل بن فرج النصري
٥٦٢	ما كتب نثراً على قبر السلطان محمد بن محمد بن يوسف النصري

فهرست الشعر والشعراء^(١)

صفحة

	إبراهيم بن محمد بن أبي العافية التنوخي
٣٨٤	رجل يدعى القرابة للبيت
٣٨٤	يا إمامي ومن به قطركم ذاك
٣٨٤	اعمل بعلمك تؤت علماً إنما
	إبراهيم بن محمد . . . بن عبيدس النفزي
٣٧٨	يضيق على من وجدى الفضاء
٣٧٨	كم عارف سرحت في العلم همته
٣٧٩	يا من أنامله كالمنز هامية
	إبراهيم الساحلي
٣٤٧	خطرت كميّاس القنا المتأطر
٣٤٧	زارت وفي كل لحظ طرف محترس
	ابن أضحى (أحمد بن محمد)
١٥٧	الله أعطاك التي لا فوقها
١٥٨	أيا ملكاً ترمي به قضب الهند
	ابن الجياب ، أبو الحسن على
٣٩٧	الحمد لله حق الحمد للرحمن
٤٠٣	أيا عبدة العين امزجى الدمع بالدم
	ابن الحاج (إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم)
٣٥٥	طاب العذيب بماء ذكرك وانثى
٣٥٥	لى الملاح يروى مذ كنت كأنما
٣٥٦	ولى فرس من عليّة الشهب سابق

(١) نورد هنا أسماء الشعراء مرتبة على حروف المعجم ونشير إلى شعرهم بإيراد الشطرة الأولى من البيت الأول من كل قصيدة أو قطعة من المنظوم .

صفحة

٣٥٦	تعجبت من ثغر هذى البلاد
٣٥٦	وجمراء فى الكأس مشمولة
٣٥٦	أقول وجمراء غرناطة تشوق
٣٥٧	وقالوا رمى فى الكأس ورداً فهل ترى
٣٥٧	كما تلاقت تحت نقع سيوفهم
٣٥٧	وعارض فى خده نباته
٣٥٧	وقالوا أبو حفص حوى الملك غاصباً
٣٥٨	لما نزلت من السبيكة صادنى
٣٥٨	قد قارب العشرين ظي لم يكن
٣٥٨	أتونى فعابوا من أحب جماله
٣٥٨	أيا عجباً كيف تهوى الملوك
					ابن الخطيب
٣٧	خليفة الله ساعد القدر
٤٠	سلا هل لديها من مخبرة ذكر
٤٢	أطاع لسانى فى مديحك إحسانى
٥٧	بعدنا وإن جاورتنا البيوت
١٢١	بلد يحف به الرياض كأنه
١٢٨	يا عهد عين الدمع كم من لؤلؤ
١٢٨	إذا كان عين الدمع عيناً حقيقة
١٩٤	أبيتم دعوتى إما لشأو
٢٦٠	دعونا الخطيب أبا البركات
٣٢٦	أولهم يحيى بن عبد الواحد
٣٨٦	نبئت على علم بغائلة الدهر
٤٠٥	وكان يوم المرج فى دولته
٤٩٠	ونجم المهدي وهو الداهية
٥٠٩	حتى إذا الدهر عليه احتكما
٥٢١	أرضوان لا توحشك فتكة ظالم

		ابن الرومية ، أبو العباس
٢٢٠	.	نخيم تخلق بين الكأس والوتر .
		ابن الزبير ، أبو جعفر
١٩٧	.	مالى وللتسثال لا أم لى
		ابن الزيات الكلاعى ، أبو جعفر
٣٠١	.	جل اسم مولانا اللطيف الخبير
٣٠٢	.	دعنى على حكم الهوى أتضرع
٣٠٣	.	ما لى بباب غير بابلك موقف
		ابن باجه ، أبو بكر بن الصائغ
٤١٦	.	سلام وإمام ووسمى مزنة
٤١٦	.	أيها الملك المفدى لعمري
		ابن برطال
١٧٩	.	أستودع الله الأولى أودعتهم
		ابن جزى (أحمد بن محمد)
١٦٥	.	كم بكائى لبعده كم وأنينى
١٦٥	.	أرى الناس يولون الغنى كرامة
١٦٥	.	أقول لحزى أو لصالح أعمالى
		ابن خاتمة
٢٤٩	.	يا من حصلت على الكمال بما رأيت
٢٥٢	.	أجنان خلد زخرفت أم مصنع
٢٥٢	.	من لم يشاهد موقفاً لفراق
٢٥٤	.	وقفت والركب قد زمت ركائبه
٢٥٥	.	لولا حياى من عيون النرجس
٢٥٧	.	زارت على حذر من الرقباء
٢٥٧	.	أرسلت ليل شعرها من عقص
٢٥٨	.	أنا بين الحياة والموت وقف
٢٥٨	.	رق السنا ذهباً فى اللازوردى

صفحة

٢٥٨	هو الدهر لا يبقى على عائد به
٢٥٨	ملاك الأمر تقوى الله فاجعل
٢٥٩	دماء فوق خدك أم خلوق
٢٥٩	أرسل الجو ماء ورد رذاذا
٢٦٠	أقول وعين الدمع نصب عيوننا
ابن شبرين					
١٠٤	رعى الله في غرناطة متبواً
٣٠٤	أيساعد رائده الأمل
٥٥١	استقلا ودعاني
٥٥٢	عين بكى لميت غادروه
ابن صفوان					
٢٣١	بان الحميم فما الحمى والبان
٢٣٣	حديث الأمانى في الحياة شجون
٢٣٨	رشق العذار بلحينه بنباله
٢٣٩	يا كاملاً شوقى إليه وافر
٢٣٩	أيا قمراً مطالعه جناني
٢٣٩	لا تصحبني يا صاحبي غير الوفي
٢٣٩	تردى ابن منظور وحم حماه
ابن عبد الحق					
١٨٨	ومقارب الشطين أحكم صقله
١٨٨	وثمار نارنج نرى أزهارها
ابن عرفه اللخمى (أحمد بن عبد الله بن محمد)					
٢٨٧	تملكت رقى بالجمال فأجمل
٢٩٠	أما الرسوم فلم ترق لما بي
٢٩٠	لم يبق ذو عين لم يسبه
٢٩١	وعدتني أن تزور يا أملى
٢٩١	ويوم كساه الدجى دكن ثيابه

صفحة

٢٩١	عذلوني فيمن أحب وقالوا .
	ابن عطية القضاعى ، أبو جعفر
٢٧٦	فعفواً أمير المؤمنين فمن لنا .
	ابن عميرة المخزومى
١٨٣	قد عكفنا على الكتابة حيناً .
١٨٣	يا غائباً سلبتني الأنس غيبته
١٨٣	إن الكتاب أتى وساحة طرسه
١٨٤	شرطت عليهم عند تسليم مهجتي
	ابن فرقد (إبراهيم بن خلف)
٣٧٤	ألا مسعد منجز ذو فطن .
	ابن فركون (أحمد بن محمد)
١٦٢	أنا عن الحكم تائب .
	ابن هذيل ، أبو زكريا
٣٩٩	بحيث القباب الحمر والأسد الورد .
	أبو إسحاق التلمسانى (إبراهيم بن أبى بكر)
٣٣٦	الغدر فى الناس شيمة سلفت
٣٣٦	أرأيت من رحلوا وزموا العيسا
	أبو اسحاق الساحلى
١٢٦	يا نازحاً لعب المطى بكورة .
	أبو الحسن بن سعيد
٤٩٩	رعى الله ليلاً لم يرع المذمم .
٥٠٠	لا حكم إلا لأمر ناه .
	أبو القاسم بن قرطبة
١٢٨	أجل إن عين الدمع قيد النواظر
١٢٩	وليلاً بعين الدمع وصلاً قطعته
١٢٩	ومل بنا نحو عين الدمع نشرها

	أبو بكر بن الطفيل
١٩٣	لأمر ما تغيرت الدهور
	أبو بكر بن سعيد
٤٣٢	يا ثانيا للمعري
	أبو بكر المخزومي الأعمى
٤٣٣	دار السعيدى ذى أم دار رضوان
٤٣٤	على وجه نزهون من الحسن مسحة
	أبو جعفر بن أبى حبل
٢٠٠	عزيز على الإسلام والعلم ماجد
	أبو جعفر اللماى
٢٤٢	طلعت طلائع الربيع فأطلعت
٢٤٣	روحنى عائدى فقلت له
٢٤٣	بنيت ولم أسكن وحصنت جاهداً
	أبو زكريا الحفصى
٣٢١	ألا جازع يبكى لفقد حبيبته
	أبو محمد بن المربع
٣٠٤	أيساعد رائده الأمل
٣٠٤	عبرة تفيض حزناً وتثكلاً
	أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر
١٩١	إلهى لك الملك العظيم حقيقة
	أحمد بن عبد النور
٢٠٦	محاسن من أهوى يضيق لها الشرح
	أحمد بن عبد الملك بن سعيد
٢٢٣	تكلم فقد أصغى إلى قولك الدهر
٢٢٦	من يشتري من الحياة وطيبها
٢٢٧	أتانى كتاب منك يحسده الدهر

صفحة

٢٢٧	لله يوم مسرة .
						أحمد بن محمد بن طلحة
٢٤٤	يا هل ترى الظرف من يومنا .
٢٤٥	أدرها فالسما بدت عروساً
٢٤٦	سمعنا بالموفق فارتحلنا .
						أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني
٢٨١	رعى الله وادى شنيانة
٢٨٢	أجمع هذا الشمل بعد شتاته
٢٨٢	يا رب ظي شعاره نسك
٢٨٢	يا من توعدني بحادث هجره
٢٨٤	أعلمت ما صنع الفراق
٢٨٥	يا موحشي والبعد دون لقائه .
						أحمد بن علي الملياني
٢٩٤	العز ما ضربت عليه قباني
						الحسن بن عتيق التغلبي
٤٨١	لكلاب سبته في النباح مذاهب
٤٨٣	لا تحسبني من فلان أو فلا
						الحسن بن محمد بن علي الأنصاري
٤٧٩	أمعشر أهل الأرض في الطول والعرض
٤٨٠	إلهي أنت الله ركني وملجئي
						الحكم بن هشام بن عبد الرحمن
٤٨٩	قضب من البان ماست فوق كشبان
٤٨٩	نلت الوصال بعد البعاد
						الحضر بن أبي العافية
٥٠٣	عز الهوى ذل والرأي الذي
٥٠٤	لاح الصباح صباح المفرق
٥٠٥	أقل فم الفقر بالمرء عاراً

صفحة	
٥٠٦	العلم حسن وزين
٥٠٦	إن أراك الزمان وجهاً عبوساً
٥٠٧	عليك بتقوى الله فيما ترومه
	المأمون الموحدي
٤٢٤	أهل الحراة والفساد من الوري
	أم الحسن بنت القاضي الطنجالي
٤٣٩	الخط ليس له في العلم فائدة
	بنو القبطرة : طلحة بن عبد العزيز البطليوسي
٥٢٩	هلم إلى روضنا يا زهير
٥٣٠	يا شقيقى وفى الصباح بوجهه
	أبو بكر بن عبد العزيز البطليوسي
٥٣٠	يا أخى قم تر النسيم عليلا
٥٣٠	وأفقدنيها الرنق أما حفية
	أبو الحسن بن عبد العزيز البطليوسي
٥٣٠	يا صاحبي ذرا لوى ومعتبى
	حاتم بن سعيد
٤٩٣	أحن إلى ديارك يا حياتى
	حمدة بنت زياد المكتب
٤٩٨	أباح الدمع أسرارى بوادى
٤٩٨	ولما أبى الواشون لإقتالنا
	حفصة بنت الحاج الركوني
٤٩٩	يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم
٥٠٠	لعمرك ما سر الرياض وصالنا
٥٠٠	يا أظرف الناس قبل حال
٥٠١	زائر قد أتى بجيد غزال
	محمد بن محمد بن يوسف النصرى
٥٦٦	تذكر عزيز ليال مضت

محمد بن محمد بن محمد بن يوسف النصرى	
واعدننى وعدا وقد أخلفا	٥٥٣
مروان بن عبد العزيز	
قل للإمام أطل الله مدته	٢٧٤
نزهون بنت القلاعى	
قل للوضيع مقالا	٤٣٤
يوسف بن سعيد بن حسان	
أحن إلى غرناطة كلما هفت	١٢٣
ما كتب شعراً على قبر السلطان إسماعيل أبى الوليد النصرى	٤٠٢
ما كتب شعراً على قبر السلطان محمد بن إسماعيل بن فرج النصرى	٥٥٠
ما كتب شعراً على قبر السلطان محمد بن محمد بن يوسف النصرى	٥٦٣

فهرست الكتب التي ورد ذكرها خلال الكتاب

١

الإحاطة في أخبار غرناطة : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ،
١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،
٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ،
٧٠ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ١١٣ ، ١٢٤ ، ١٤٩ ،
٢٢٥ ، ٥٧٠

الاحتفال بمحاسن الأعلام من أهل مالقة : ٩١

الاحتفال في أعلام الرجال : ٩١

الأحكام الصغرى لعبد الحق : ٣٨١

أخبار بغداد : ٩٠

أخبار محمد بن إسحاق : ٢١٩

أخبار هراة : ٩٠

اختصار غريب حديث مالك للدارقطني : ٢١٩

اختصار الكامل في الضعفاء والمتكبرين : ٢١٩

الأربعون حديثاً : ٤٧٣

أرجوزة في الفرائض ، للتلمساني : ٣٣٥

الإرشاد والمعالي : ٣٣٤

الإرشاد والهداية : ١٧٠

أزهار الرياض في أخبار عياض : ٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ ،

٦٨ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٤٢٨

أسس مبنى العلم ، وأس معنى الحلم : ٢٩٨

الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى : ١٥٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧١

- استنزال اللطف الموجود في أسرار الوجود : ٧٠ ، ٧٦
 أصول الفقه : ١٧٠
 أعمال الأعلام فيمن بويح قبل الاحتلام : ٥٥ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٨٢
 الإقناع في القراءات : ٢٠٣
 الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج والخواهر : ٧٠ ، ٧٥ ، ٢٩٣ ، ٤٨٣
 الإمارة عن وجه الإحاطة ، فيما أمكن من تاريخ غرناطة : ٧١
 أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار : ١٩٢
 الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية : ٨٠ ، ١١٤ ، ١١٦
 الإيضاح لأبي علي : ٢٠٥
 إيقاظ الكرام بأخبار المنام : ٣٥٤

ب

- البرهان في ترتيب سور القرآن : ١٩٧
 بستان الدول : ٧٠ ، ٧٤
 بغية المستطرف ، وغنية المتطرف : ١٨٤
 بغية المستفيد لابن صفوان : ٢٣١
 بغية الوعاة في تراجم النحاة : ١٧
 البيان المغرب في أخبار المغرب : ٨٠ ، ٨٣ ، ٣٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٤٢ ، ٤٤٦ ،
 ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٨٨
 البيطرة والبيزرة : ٧٦

ت - ث

- التاج المحلى في مساجلة القدرح المعلى : ٦٩ ، ٧٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢٤٨
 ٣٣٧ ، ٣٥٣ ، ٥٠٢
 تاريخ ابن جماعة : ٤٣٦
 تاريخ ابن خلدون : ٢١ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٣
 ٢٢٥ ، ٢٧١
 تاريخ ابن حيان : ٨٠ ، ١٠٠ ، ٤٥٢

- تاريخ أصبهان : ٨٩
 تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية : ٨٠ ، ١٠٦
 تاريخ الاسكندرية : ٩٠
 تاريخ الأندلس لأحمد بن موسى العروى : ١١٠
 تاريخ البيرة : انظر تاريخ علماء البيرة
 تاريخ الجزيرة الخضراء : ٩١
 تاريخ الرازي : ٨٠
 تاريخ الرقة : ٩٠
 تاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطليطلة : ٩١
 تاريخ ألمرية وباجة : ٩١
 تاريخ بغداد : ٩٠
 تاريخ بقيرة : ٩١
 تاريخ بلنسية : ٩١
 تاريخ تلمسان لابن الأصفر : ٩١
 تاريخ تلمسان لابن هدية : ٩١
 تاريخ جرجان : ٩٠
 تاريخ دمشق : ٩٠
 تاريخ سبتة : ٩١
 تاريخ سمرقند : ٩١
 تاريخ شقورة : ٩١
 تاريخ طبقات أهل شيراز : ٩٠
 تاريخ طبقات فقهاء تونس : ٩١
 تاريخ علماء البيرة للغافقي : ٨٠ ، ٩١ ، ١٠١
 تاريخ فاس لابن أبي زرع : ٩١
 تاريخ فاس لابن عبد الكريم : ٩١
 تاريخ فاس للقونجي : ٩١
 تاريخ فقهاء قرطبة : ٩١
 تاريخ قضاة الأندلس للنباهي : ٦ ، ٥٥ ، ١٦٠ ، ٤٧٣

- تاريخ قرطبة : ٩١
 تاريخ قلعة يحصب ؛ انظر الطالع السعيد
 تاريخ قومه وقرابته لابن مسعدة : ٩٠ ، ١٧٠
 تاريخ مالقة لابن عسكر : ٨٠ ، ٩١
 تاريخ المدينة : ٩٠
 تاريخ مدينة بخارى : ٨٩
 تاريخ المرابطين والموحدين : ١١٩ ، ٢٢٣
 تاريخ مصر : ٩٠
 تاريخ مكة : ٩٠
 تاريخ من نزل حمص من الصحابة : ٩٠
 تاريخ نسف : ٩٠
 تاريخ نيسابور : ٨٩
 تاريخ هراة : ٩٠
 تاريخ همذان : ٨٩
 تاريخ واسط : ٩٠
 التبيان في علم البيان : ١٨٤
 تخلص الذهب في اختيار عيون كتب الأدبيات : ٧٠
 الترشيذ في صناعة التجويد : ٤٧٣
 التعريف بابن خلدون : ٤٠ ، ٥٩
 التعريف بطبقات الأمم ، لصاعد بن أحمد : ١٠١
 التكملة لابن الخطيب : ٢٤
 التكملة لابن عبد الملك المراكشي ؛ أنظر الذيل والتكملة .
 تلخيص الدلالة في تخلص الرسالة : ٢٩٨
 التنبيه على أغلاط الغافقي : ٢١٩
 تنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح : ٣٥٤
 التهذيب لابن سعيد البراذعي : ٣٨٠
 توهين طرق حديث الأربعين : ٢١٩
 التيسير لأبي مروان بن حيان : ٤٦٥

التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني : ٢٠٤ ، ٢٠٥
ثورة المريدين : ١٨٤

ج - خ

جامع الترمذی : ٣٧٧
جلوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس للحميدي : ٦
الجزولية ، لأبي موسى الجزولي : ٢٠٥
الحمل للزجاجي : ٢٠٥
جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ٦
جوامع الأشراف والعنايات في الصوابع والآيات : ٢٩٨
جيش التوشيح : ٧٠ ، ٧٧
الحافل في تذييل الكامل : ٢١٩
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : ١٠
حكم الدعاء في إدبار الصلوات : ٢١٩
الحلة السراء لابن الأبار : ٨٠ ، ٨٣ ، ٢٢٥
الحلل المرقومة ؛ انظر رقم الحلل في نظم الدول
الحلل الموشية في الأخبار المراكشية : ٧٣ ، ٢٢٣
الحلية في ذكر البسملة والتصلية : ٢٠٥
الحماسة : ٤٦٣
خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف : ٧٤ ، ٥٠٨
خلع الرسن في أمر القاضي أبي الحسن : ٧٧

د - ذ

الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة : ٦٠ ، ٧٦ ، ٢٣٦
الدرة المكنونة في أخبار أشبونة : ٩١
دولة بني مروان بالأندلس لمعاوية بن هشام : ١٠٧
الديوان : ٧٧

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ٦ ، ٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٤٤٢
الذيل والتكملة لكتايب الموصول والصلة لابن عبد الملك : ٨٠ ، ٢٤١

ر - ز

- رجالة المعلم بزوائد البخارى على مسلم : ٢١٩
رجز الأغذية : ٧٦
رجز الطب : ٧٦
رجز في أصول الفقه : ٧٦
رجز في الفرائض لابن فرقد : ٣٧٣
الرجز في عمل الترياق : ٧٦
الرحلة العنوية : ٣٧٧
الرحلة النباتية : ٢١٩
الرد على الشودية : ١٩٧
ردع الجاهل عن اغتياب المجاهل : ١٩٧
رسالة ابن أبي زيد القيروانى : ٣٨٠ ، ٣٨١
رسالة تكوين الجنين : ٧٦
رسالة في السياسة : ٧٥
رسالة في الموسيقى : ٧٧
الرسائل في الفقه والمسائل : ٣٧٧
رصف نفائس الآلى ، ووصف عرائس المعالى : ٢٩٨
رقم الحلل في نظم الدول : ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٤٠٤ ، ٤٩٠
روض القرطاس : ٧٠ ، ١٥٤ . وانظر تاريخ فاس
روضة التعريف بالحب الشريف : ٧٠ ، ٧٦
روضة العباد المستخرجة من الإرشاد : ٣٥٤
ريحانة الكتاب ونجعة المنتخب : ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٦٩
الزهرات وإجالة النظرات : ٣٥٤

س

- سبيل الرشاد في فضل الجهاد : ١٩٧
 السجيج في علوم الأوائل الرياضية : ٤٤٦
 السحر والشعر : ٦٠ ، ٧٠ ، ٧٢
 الصفحة الوسيمة والمنحة الجسيمة : ٢٩٨
 سنن أبي داود : ٣٧٧

ش

- شذور الذهب في صرور الخطب : ٢٩٨
 شرح الأسماء الحسنى : ٣٣٤
 شرح الإشارة ، للباجي : ١٩٧
 شرح حشائش دياسقوريدس وأدوية جالينوس : ٢١٩
 شرح الشهاب : ١٩٢
 شرح كتاب القرشي في الفريض : ٢٣١
 شرح محاسن المجالس : ٣٣٤
 شرح مغرب أبي عبد الله بن هشام الفهرى : ٢٠٥
 شروب المفارق في اختصار كتاب المشارق : ٢٩٨
 شعر الحماسة : ٣٥٥
 شعر من لا شعر له لابن الحاج : ١٩٧
 الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى لعياض : ٣٨١

ص - ط

- صبح الأعشى للقلقشندي : ٥٩
 صحيح البخاري : ٣٧٧
 الصلة لابن بشكوال : ٨٠ ، ١٠١ ، ٤٧٥
 صلة الصلة لابن الزبير : ٧٧ ، ٨٠ ، ١٠١ ، ١٧٢ ، ١٩٧ ، ٤٧٠ ، ٥٠١
 الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي : ٦١

الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد ، لأبي الحسن بن سعيد : ٨٠ ، ٩١ ، ٢٢٢ ، ٤٣٢ ، ٤٩١

طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر : ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٣٨٥ ، ٥٦٥ ، ٥٧٤ ، الطرق المتداولة في القراءات : ٢٠٣

ع

عائد الصلة : ٧٧ ، ٨٠ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٩٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٣٧ ، ٣٨٢ ، ٣٨٠ ، ٥٠٢

العبارة الوجيزة عن الإشارة : ٢٩٨

عدة الداعي ، وعمدة الواعي : ٢٩٨

عدة المحق وتحفة المستحق : ٢٩٨

عمل من طب لمن حب : ٧٥

عنوان الدراية في ذكر من كان في المائة السابعة ببجاية للغبري : ٩١

عوارف الكرم وصلات الإحسان : ٢٩٨

ف

فائدة الملتقط وعائدة المختبط : ٢٩٨

الفتح القسي في الفتح القدسي : ١٨٤

فصيح ثعلب : ٢٠٥

الفصول المقتضبة في الأحكام المنتخبة : ٣٥٥

فهرس الغزيري : ٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٧٥

الفوائد المستغربة والموارد المستعذبة لأبي بكر بن الحكيم : ١٦٣ ، ٣٨٣

فيض العباب وإجالة قداح الآداب في الحركة إلى قسطنطينية والزاب : ٣٥٥

ق

قاعدة البيان وضابطة اللسان : ٢٩٨

القدح المعلى في التاريخ المحلى لابن سعيد : ٦٩ ، ٨٠ ، ٢٢٠ ، ٢٤٤

قرة عين السائل ، وبغية نفس الآمل : ٢٩٨

قطع السلوك : ٤٠٤ ؛ وانظر رقم الحلل
قلائد العقيان : ٨٠ ، ٨٣ ، ٤٤٤

ك

- كائنة مبرقة : ١٨٤
كتاب التكملة لابن الخطيب : ٢٤
كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب : ١٧٠
كتاب سيويه : ١٧٠
كتاب الطب لابن الخطيب : ٧٠
كتاب العبر : انظر تاريخ ابن خلدون
كتاب المختلطة لأسد بن الفرات : ٤٣١
كتاب المدبر : ٣٨١
كتاب المعالم في أصول الفقه للرازي : ١٨٤
كتاب المقياس لابن الوراق : ٤٥٤
كتاب الوزارة ومقامة السياسة : ٦٧
الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة : ٥٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٨٠
كشف الظنون : ٧٧ ، ١١٠
كناسة الدكان بعد انتقال السكان : ٧١
الكوامل لأبي موسى الجزولي : ٢٠٥
كيفية الأذان يوم الجمعة : ٢١٩

ل

- اللباس والصحبة لابن الحاج : ٣٥٥
لذات السمع من القراءات السبع : ٢٩٨
اللطائف الروحانية ، والمعارف الربانية : ٢٩٨
اللمحة البدرية في الدولة النصرية : ٣١ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٨٠
لهجة اللافظ وبهجة الحافظ : ٢٩٨

م

- مآثر القلعة لابن سعيد : ٤٩١ ؛ وانظر الطالع السعيد
 ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل : ١٩٧
 مثاليث القوانين في التورية والاستخدام والتضمين : ٣٥٥
 مثلى الطريقة في ذم الوثيقة : ٧٦ ، ١٩٤
 المحتنى النصير ، والمقتنى الخطير : ٢٩٨
 المدخل إلى الهندسة : ٤٣٦
 المدونة الكبرى للإمام مالك : ٣٥٩ ، ٣٨١ ، ٤٧٠
 المرقبة العليا ، فيمن يستحق القضاء والفتيا للنباهي ؛ انظر تاريخ قضاة الأندلس
 مركز الإحاطة بأدباء غرناطة لبدر الدين البشتكى : ١٢
 مزية ألمرية لابن خاتمة : ٩١
 المساجلة والمساححة في تعيين طرق المداعبة والممازحة : ٣٥٤
 المسائل الطبية لابن الخطيب : ٧٦
 المستصفي : ١٧٠
 المستدركة ، لأبي العباس ابن الرومية : ٢١٩
 المسلسلات لابن أبي الأحوص القرشي : ٤٧٣
 المشرف الأصفى في المأرب الأوفى : ٢٩٧
 المطرب في أشعار أهل المغرب لابن دحية : ٦
 مطلع الأنوار الإلهية : ٢٣١
 المعاملات : ٤٣٦
 معجم فهرسى للمؤرخين والجغرافيين الأندلسيين لهنس بويجس : ١٤
 معجم ما استعجم للبكري : ٦
 معجم ياقوت : ٩٩ ، ١٠٤
 المعشرات على أوزان العرب : ٣٣٥
 معيار الاختبار في ذكر المشاهد والآثار : ٧٣ ، ٧٤
 المغرب في حلى المغرب لابن سعيد : ٦ ، ٤٢٢
 المغيرة المذهلة عن الحياة والتفرقة والجمع : ٣٧٧

- مفاضلة بين مالقة وسلا : ٧٤
 المقام المخزون في الكلام الموزون : ٢٩٧
 المقتبس في تاريخ رجال الأندلس لابن حيان : انظر تاريخ ابن حيان
 مقدمة ابن خلدون : ٥٧ ، ٦٣
 مقنعة السائل عن المرض الهائل : ٧٥
 مواهب العقول وحقائق المعقول : ٣٧٧
 الموطأ للإمام مالك : ٢٠٥ ، ٣٨١
 ميزان العمل : ٤٨٤

ن - ي

- نثير فرائد الجمان ، فمن ضمنى وإياهم الزمان ، للأمير ابن الأحمر : ٦٣
 نزهة البصائر والأبصار ، لابن الزبير : ٤٧٥ ، ٤٧٧
 نزهة الخديق في ذكر الفرق : ٣٥٤
 نظم السلوك في رسم الملوك : ٢٩٨
 نقاضة الجراب ، وعلالة الاغتراب : ٢٦ ، ٢٧ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٨٠ ،
 ٣٥٨ ، ٤١٠ ، ٥٣١
 نفح الطيب : ٧ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ،
 ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٤ ،
 ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٤٩٩
 الوسائل ونزهة المناظر والحمائل : ٣٥٤
 الوصاية النظامية في القوافي الثلاثية : ٢٩٨
 الوصول لحفظ الصحة في الفصول : ٧٦
 وفيات الأعيان : ٢٦٩
 اليوسنى في الطب : ٧٦

فهرست البلدان والأماكن

- ١
- أبدة : ١٦١ ، ١٧٩ ، ٣٥٠ ، ٣٧٥
- أجيلار : ١١٧
- أراجون : أنظر رغون
- أرجونة : ٤٥٩
- أرجبة : ١٧٣
- أردستان : ٩٠
- الأردن : ١٠٩
- أرشدونة : ٣٩٤
- الأرك ، موقعة : ٣٩١
- أركش : ٤٧٥
- أرملة الصغرى : ١٣٣
- أرملة الكبرى : ١٣٣
- أرمليا : ١٣٨ ، ١٢٥
- أريولة : ٤٧٣
- أزمور : ٣١٥
- اسبانيا : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٤ ، ٥٩ ، ٧٩ ، ١٤٨ ، ٢٤٧ .
- إستجة : ١٠٧ ، ٤٦٤ ، ٤٧٩ ، ٥٧٣
- إستراباد : ٤٦٢
- الإسكندرية : ٩٠ ، ٢١٨
- الإسكوريال ، مكتبة : ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٥٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ١٠٤ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩١ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٣٥ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ٣٢٨ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٢٠ ، ٤١٩ ، ٣٩١ ، ٣٨٣ ، ٣٧٢ ، ٣٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٧٣ ، ١٩٦ ، ١٩٣ ، ١٩٠ ، ١٠٢ ، ٨١ ، ٣٢ ، ١٠١ ، ١٨٠ ، ٨٣ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٩١ : أشبونة : ٩١ : أشبيلية : ٣٢ ، ٨١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٩٦ ، ١٩٣ ، ١٩٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٧٣ ، ٣٨٣ ، ٣٧٢ ، ٣٢٠ ، ٣٩١ ، ٤٢٩ ، ٤٢٠ ، ٤١٩ ، ٤٥٥ ، ٤٦٣ ، ٤٦٠ ، ٤٧٢ ، ٥٣٩ ، ٥٥٩ ، ٥٧٣ .
- أصبهان : ٨٩
- أصيلا : ٣١٥
- أغمات : ٧١
- إفراغة : ١١٤
- إفريقية : ١٥ ، ١٠٨ ، ١٤٦ ، ١٨٢ ، ٢١٦ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٩٠ ، ٤٣٩ ، ٤٨٥ ، ٥٢١ ، ٥٢٥ ، ٥٣٩ ، ٥٧١ .
- إقليم البلاط : ١٣٣ .
- أكاديمية التاريخ ، مكتبة : ٧ ، ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ١٠٠ ، ١٨٢ : الأرش : ١٨٢
- إلبيرة : ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٣٥ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ٣٢٨ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٢٠ ، ٤١٩ ، ٣٩١ ، ٣٨٣ ، ٣٧٢ ، ٣٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٧٣ ، ١٩٦ ، ١٩٣ ، ١٩٠ ، ١٠٢ ، ٨١ ، ٣٢ ، ١٠١ ، ١٨٠ ، ٨٣ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٩١ : أشبونة : ٩١ : أشبيلية : ٣٢ ، ٨١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٩٦ ، ١٩٣ ، ١٩٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٧٣ ، ٣٨٣ ، ٣٧٢ ، ٣٢٠ ، ٣٩١ ، ٤٢٩ ، ٤٢٠ ، ٤١٩ ، ٤٥٥ ، ٤٦٣ ، ٤٦٠ ، ٤٧٢ ، ٥٣٩ ، ٥٥٩ ، ٥٧٣ .

٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٩٣ ،
 ٢٩٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ،
 ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ،
 ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ،
 ٣٣٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٧١ ،
 ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ،
 ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٠١ ،
 ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٨ ، ٤٣٦ ،
 ٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ،
 ٤٥٥ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ،
 ٤٦٣ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٢ ،
 ٤٧٤ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٥٠٨ ،
 ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ،
 ٥٢٢ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٤٤ ،
 ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣

أندوحر : ٤٢٢

أندة : ٥١١ ، ٥١٤

أنطاكية : ١٠٢

الأهرام : ٣٣٨

ليبرو ، نهر : ١٩٠

ب

باب للبيرة : ١١٣ ، ١٢٦ ، ٣٩٥ ،

٤٥٢ ، ٥٠٨

باب للبيرة ، جبانة : ٢٩٤

باب الشريعة : ٣٥٦

باب الفخارين : ٢٠١

باب الفرع : ٣٥٦

باب قبالة : ١٧٢

باب يعقوب : ٣٩٧

٤٧٥ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩

الحامة : ٧٤ ، ١٧٥ ، ٢١٠ ، ٢٩٧

ألش : ٥٥٧ ، ٥٦٨

ألفنت : ٥٢٨

الإقليم : ١١٧ ، ٣٥٣

المرية : ٣١ ، ٤٥ ، ٦٠ ، ٧٤ ،

٨١ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،

١٨٩ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ،

٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،

٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٣٧١ ،

٤٤٨ ، ٤٥٤ ، ٤٧٢ ، ٤٨٣ ،

٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٥١٣ ، ٥٢٥ ،

٥٢٦ ، ٥٤٣ ، ٥٧٢

أنقيرة : ٣٥٣ ، ٣٩٤

أندرش : ١٦٤ ، ٥٤٣

أندلس ، الأندلس : ٥ ، ٦ ، ٧ ،

٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٣١ ،

٣٢ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ،

٤٤ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

٥٩ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ،

٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٧ ،

٧٩ ، ٨٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،

١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ،

١١٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٩ ،

١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٥ ،

١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،

١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ،

٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،

- باجة : ٩١ ، ١٠٩ ، ٤٦٠
 بادى : ٤٩٧
 باغة : ٥١٧
 بجاية : ٢٩ ، ٩١ ، ١٨٢ ، ٢٠٨ ،
 ٢٠٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٥٢ ،
 ٣٧٧ ، ٤٧٠ ، ٥٢٦
 بحر الشام : ١٠٢
 بخارى : ٨٩
 البرابى : ٣٣٨
 البراجلة ، البراجلات : ١١٩ ،
 ١٢٠
 براجلة ابن خريز : ١٦٩
 براشة : ٤٥٩
 برتقال : ٣٩١ ، ٣٩٢
 برج هلال : ١٣٦
 برجلونة : ٣١٥ ، ٥١٥
 برجة : ١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،
 ٢٠٤ ، ٥٠٨
 برشانة : ٧٤ ، ١٧٠
 برشلونة : راجع برجلونة
 البرطل : ٤٤٩
 بستان وبشرعيون : ١٣١
 بسطة : ٧٤ ، ١١٥ ، ١٣٧ ،
 ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
 ٣٩٨
 بسكرة : ٥٠
 بطليوس : ١٤٧ ، ٤٦٠
 بغداد : ٩٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ،
 ٣٤١ ، ٤٦٣
 بقيرة : ٩١
 بلاد عمان : ٣٠٦
 بلاى : ١١٧
 البلد الجديد : ٥٦ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ،
 ٥٣٨
 بلش : ١١٨ ، ١٨٧ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٧ ، ٣٠٤ ، ٣٩٣
 بلش مألقة : انظر بلش
 بلنسية ، ٩١ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
 ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ،
 ٢٢٥ ، ٢٤٤ ، ٢٧١ ، ٣٩١ ،
 ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ ،
 ٥١٣ ، ٥٤٨ ، ٥٧٢
 بياسة : ١١٤ ، ٥٢٦
 بيزنطية : ٢١٩
 بيش : ١١٦
 بيانة : ٢١٠ ، ٣٩٩ ، ٥٢٦ ،
 ٥٤٢
 بيرة : ١١٥ ، ٥١٧ ، ٥٤٤
 ت - ث
 تازى : ٣٨٠
 تاقمرت : ٢٧٥
 تدمير : ١٠٧ ، ١٠٩
 تطيلة : ١٨٩ ، ١٩٠
 تلمسان : ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٩ ،
 ٥٤ ، ٥٦ ، ٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،
 ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ،
 ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٧٠ ، ٣٩٠ ،
 ٤٢٦ ، ٤٦١ ، ٥١٨ ، ٥٣٩ ،
 ٥٤٤ ، ٥٤٧ ، ٥٥٨ ، ٥٧١
 تنبكتو : ٣٤٩

الجزائر الشرقية : ٢٧١ ، ٣٩١
 جزيرة الأندلس : انظر أندلس
 جزيرة حبيبة : ٣٧٠
 الجزيرة الخضراء : ٣٤ ، ٥٤ ، ٩١ ،
 ٢٣٦ ، ٣٨٢ ، ٥١٣ ، ٥٤٧ ،
 ٥٧٤ ، ٥٧١
 جزيرة شقر : ١٨٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
 ٤٧٣

جنة ابن عمران : ١٢٢
 جنة ابن كامل : ١٢٢
 جنة ابن المؤذن : ١٢٢
 جنة الجرف : ١٢٢
 جنة العرض : ١٢٢
 جنة العريف : ٣٨ ، ١٢٢
 جنة قدهاح بن سخنون : ١٢٢
 جنة نافع : ١٢٢
 جنة النخلة السفلى : ١٢٢
 جنة النخلة العليا : ١٢٢
 جيان : ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٤٧ ،
 ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٣٥٠ ،
 ٣٧٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٩ ، ٤٤٠ ،
 ٥٥٥ ، ٥٥٩

جيان ، ولاية : انظر جيان .

ح - خ

حارة الجامع : ١٣٣
 حارة الفراق : ١٣٣
 الحرمين : ٢٦٣
 حش ابن علي : ١٣١
 حش البكر : ١٣٣

تونس : ٧ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ،
 ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
 ٨٣ ، ٩١ ، ١٠٨ ، ١٨١ ،
 ١٨٢ ، ١٨٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ،
 ٢١٨ ، ٢٨٥ ، ٣١٨ ،
 ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٢ ،
 ٣٩٠ ، ٥٠٨ ، ٥٤٧ ، ٥٥٩
 الثغر الأعلى : ١١٤ ، ١٨٩ ،
 ٤٨٩ ، ٤٥٣

ج

الجامع الأزهر : ١٢ ، ٦٩ ، ٤٥٤
 جامع الزيتونة : ٧ ، ١٢ ، ١٤ ،
 ١٥ ، ١٩ ، ٢٧ ، ٧٧
 جامع غرناطة : ٥١ ، ١٧٨ ، ٤٧٣
 جبل أبي خالد : ٤٢٧
 جبل البيرة : ٣٠٩
 جبل الفتح : ٨ ، ٤٧ ، ١٤٨ ،
 ١٩٤ ، ٢٢٣ ، ٣٣٢ ، ٥١٨ ،
 ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩
 جبل الفخار : ١٢٧

جبل طارق : انظر جبل الفتح

جبل غدر : ١٠٤

جبل فارة : ٥١٤

جبل مورور : ٥١٧

جرجان : ٩٠

جرف مقبل : ١٢٢

الجزائر : ٦٩ ، ٧٢

جزائر البليار : انظر الجزائر الشرقية

٣٨٧ ، ٣٩٧ ، ٥٣٥ ، ٥٦٠ ،

٥٦١

حصن : ٩٠

حوز الساعدين : ١٣٢

حوز مؤمل : انظر رغبة مؤمل

حوز وتر : ١٣٢

خراسان : ٨٩ ، ١٠١

الخورنق : ٣٤١

د

دار ابن جزى : ١٣١

دار ابن مرضى : ١٣١

دار البيضا : ١٣١

دار خلف : ١٣١

الدار السلطانية : ٢١٣

دار السنينات : ١٣١

دار العطشا : ١٣١

دار الكتب المصرية : ١٠ ، ١١ ،

١٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٣ ، ٦٩ ،

٧١ ، ٨٢ ، ٥٧٠

دار نبلة ووتر : ١٣١

دار هذيل : ١٣١

دانية : ٢٧١ ، ٤٦٩

دجعة : ١١٦

دلابة : ١٠٤

دلىر : ٣١٠

دمشق : ٩٠ ، ١٠٩ ، ٢٢٠ ،

٣٣٨

دير الإسكوريال : انظر الإسكوريال

دير برغش الملكى : ٣٤

ديوان الخرص : ١٣٠

حش البلاط : ١٣٦

حش بنى الرسيلىة : ١٣٦

حش البومل : ١٣٦

حش خليفة : ١٣٥

حش الدجاج : ١٣٥

حش رقيب : ١٣٦

حش الرواس : ١٣٦

حش زنجيل : ١٣٤

حش السلسلة : ١٣٥

حش الصحاب : ١٣١

حش الطلم : ١٣٣

حش على : ١٣٦

حش قصيرة : ١٣٦

حش اللوبانى : ١٣٥

حش المعيشة : ١٣٥

حش مرزوق : ١٣٦

حش نوح : ١٣٥

حصن إشكر : ٣٩٨

حصن أليط : ١٥٤

حصن بجيج : ٣٩٧

حصن السكة : ١١٦ ، ٤٥٩

حصن شمانس : ٣٩٧

حصن شقوبش : ٣٠٦

حصن طشكر : ٣٩٧

حصن المدور : ٥١٧

حصن مناس : ١٧٧

حصن منت ميور : ٢٤٣

حصن الورد : ٢٤٣

حلب : ٢٢٠

الحمراء : ٣٨ ، ٣٩ ، ١٧٨ ،

سبته : ٤٠ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٩١ ، ١٠٦ ،

١٨١ ، ١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٣١٥ ،

٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،

٣٥١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٩٢ ،

٤٢٥ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ،

٥٦٠

السبيكة : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ٣٥٨ ،

٥٢١

سجلماصة : ١٧٦ ، ٣١٣ ، ٤١٣ ،

٤١٤ ، ٤١٧

السدير : ٣٣٩

سردانية : ١٠٢

سرقسطة : ١١٤ ، ١٤٧ ، ١٨٩ ،

٢٤٤ ، ٣٠٥ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ،

٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٣١ ، ٤٨٩ ،

٥٢٥ ، ٥٥٩

سرقوسة : ٤٣١

سلا : ٤٠ ، ٤٢ ، ٧١ ، ٧٢ ،

٧٤ ، ١٩٤ ، ٢٧١ ، ٣٠٩ ،

٣١٦ ، ٥٤٦

سمرقند : ٩٠

سنجيل : انظر شنيل

السودان : ٣٣٧ ، ٣٤٩

السوس : ٢٧١

ش

الشارات : البشارات : ١١٧ ، ١٧٠

شاطبه : ١٠٢ ، ١١٩ ، ٣٩١ ،

٥٢٦

الشأم : ١٠١ ، ١٤٠ ، ٢١٦ ،

٣٢٨

ر - ز

الرافدين : ٣٣٨

الرباط : ١٩٤

رباط الفتح : ١٨٢

الربض (ضاحية قرطبة) : ٣٢ ،

٤٢٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠

ربض البيازين : ٣٩٥ ، ٤٦٧ ،

٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٥١٧

رحبة مؤمل : ٤٤٩ ، ٤٩٩

الرصافة : ٣٤١

رغون : ٣٩١ ، ٤٨٩ ، ٥١٥ ،

٥٣٩ ، ٥٤٨ ، ٥٥٩ ، ٥٧٢

الرقعة : ٩٠ ، ١٠٢

ركانة : ٤٩٩

رمداى ، موقعة : ٤٩٤

رندة : ٤٤٤ ، ٥٣٢ ، ٥٣٩ ، ٥٤٤

روط ، ثغر : ٣٩٧

روطة : ٤١٣

رية : ٤٧٤

الزباب : ٣٥٥

الزاوية : ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨

الزلاقة : ١١٣ ، ٤٦٠

الزهراء : ١٠٠

س

ساسان : ١٢٩

سالادو ، موقعة : ٣٤ ، ٣٥ ،

وانظر موقعة طريف

طريف : ٣٤ ، ٣٨٢ ، ٥٤٧ .
٥٧٣ ، ٥٧١

طغتر : ١٣٥ ، ١٦٩
طليطلة : ٣٢ ، ٩١ ، ١٠١ .
١٠٦ ، ١٠٩ ، ٣٧٢ ، ٤٥٩ ،
٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٥٢٦
طنجة : ١٠٦ ، ٣١٥
طيلاطة : ٥٣٩

ع

العدوة : ٦٤ ، ٦٧ ، ١٠٢ .
١١٦ ، ١٢٠ ، ١٨١ ، ٢١٣ .
٢٣٠ ، ٢٦١ ، ٣١١ ، ٣٣٢ .
٣٨٠ ، ٣٩٠ ، ٤١٩ ، ٤٥٤ .
٤٥٥ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥٤٥ .
٥٧٣

العراق : ٢١٦ ، ٣٣٨
العطشا : ٣٩٣

العقاب ، موقعة : ٣٩١

عين الأبراج : ١٣١

عين الحورة : ١٣٦

عين الدمع : ٣٩ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
١٢٩ ، ٢٦٠

غ

غدير الصغرى : ١٣٣

غدير الكبرى : ١٣٣

غرناطة : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ٢١ ،

٢٢ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ،

شرق الأندلس : ٢٠٨ ، ٢١١ ،
٢٢٥ ، ٣٠٧ ، ٤٦٩ ، ٥٤٤ ،

٥٥٧

شريش : ٤٧٥

شعب بوان : ٣٣٩

شقر : انظر جزيرة شقر

شقر ، نهر : ١٨٥

شقورة : ٩١ ، ١٧٩ ، ٣٠٦

شلار : ٤٢٩

شلوبانية : ١١٨ ، ٣٨٨

شليز ، جبل : ١٠٣ ، ١٠٥

شنت اشطيين : ٤٥٩

شنيل : ٣٣ ، ١٠٥ ، ١٢٢ ،

١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ٣٤١

شوذر ، شوظر : ١٣٤ ، ٣٥٠ ،

٣٥٥

شون : ٢٨٥ ، ٣٢٨

شيجة : ١١٧

شيراز : ٩٠

ص

صقلية : ٤٣١

الصيرمورته : ١٣٤ ، ٤٣٠

ط

طرابلس : ٣٩٠

طرش : ١٧٧

طرطوشة : ١٠٢ ، ١٨٩ ، ٢٧١ ،

٤٨٧

طركونة : ١٨٩

طريف ، موقعة : ٣٤ ، ٣٥

٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٥٠٢ ، ٥٠٨ ،
٥١٢ ، ٥١٩ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ،
٥٢٨ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٦٠ ،
٥٦٢ ، ٥٧٤

غمندان : ٣٣٩ ، ٣٤١

الغوطه : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٣٣٨

ف

فاس : ١٥ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٧ ،
٥٦ ، ٥٧ ، ٩١ ، ١٧٧ ،
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢١٣ ،
٢٨٠ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٤٢٦ ،
٥٣٨ ، ٥٤٦ ، ٥٥٨

فحص الرئيسول : ١١٧

الفحص ، فحص غرناطة : انظر
المرج

فحص هلال : ٥٢٢

فدان عصام : ١٢٢

فدان الميسة : ١٢٢

ق

قابس : ١٨٢ ، ٣٢٠

القاهرة : ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٥ ،
٢٩ ، ٨٣

قبتور : انظر كبتور

القبذاق : ٥٦٩

قبرة : ١٠٤ ، ١١٧ ، ٤٤٠ ، ٥٤١ ،
٥٤٢ ، ٥٤٣

قرطاجنة : ٣٧١

قرطبة : ٣٢ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،

٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٥ ،
٥٧ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
٧٠ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ،
٩٢ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ،
١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،
١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ،
١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
١٤٥ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،
١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧١ ،
١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ،
١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ،
٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ،
٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ،
٢٥٩ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ،
٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ،
٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،
٣٢٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،
٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٧٣ ، ٣٨١ ،
٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ،
٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤١٣ ،
٤١٥ ، ٤٢٠ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ،
٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ،
٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ ،
٤٥٩ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ،
٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ،
٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥ ،

قرية البلوط : ١٣٥	١٠٩ ، ١٤٧ ، ١٦١ ، ١٩٦ ،
قرية بلومال : ١٣٦	٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
قرية بليانة : ١٣٥	٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٣٠ ، ٣٩١ ،
قرية بنوط : ١٣٧	٤٢٩ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ،
قرية بيره : ١٣٤ ، ١٣٥	٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ،
قرية بيش : ١٣٧	٥١٢ ، ٥٢٦ ، ٥٥٩ ، ٥٧٣ ،
قرية تجرجر : ١٣٤	قرسيس : ٣٥٠
قرية جيجانة : ١٣٤	القرية : ١٦١
قرية حارة عمروس : ١٣٣	قرية أبتايلس : ١٣٧
قرية الحبشان : ١٣٤	قرية ابن ناطح : ١٣٤
قرية دار الغازي : ١٣٦	قرية أحجر : ١٣٤
قرية دار وهدان : ١٣٤	قرية أججر : ١٣٣
قرية دد شطر : ١٣٧	قرية أربل : ١٣٦
قرية دور : ١٣٧	قرية أرناالش : ١٣٧
قرية الدوير : ١٣٥	قرية أشتر : ١٣٤
قرية الديموس الصغرى : ١٣٦	قرية أشقطنر : ١٣٦
قرية الديموس الكبرى : ١٣٦	قرية إشكر : ١٣١
قرية ذرذر : ١٣٧	قرية إشكر قلنبيرة : ١٣٦
قرية ذكر : ١٣١	قرية أصبغ بن مطرف : ١٣٥
قرية رق المخيض : ١٣٦	قرية آقلة : ١٣٤
قرية رفاق وهمدان : ١٣٣	قرية ألفنت : ١٣٦
قرية الركن : ١٣٦	قرية أنتيانة : ١٣٥
قرية رومة : ١٣١	قرية أنطس : ١٣٤
قرية الزاوية : ١٣٨	قرية أنقر : ١٣٤
قرية سنبودة : ١٣٤	قرية بربل : ١٣٦
قرية سج : ١٣٨	قرية برذنار : ١٣٤
قرية سعدى : ١٣٦	قرية برسانة ، ابن ياط : ١٣٦
قرية سنتشر : ١٣٤	قرية برقلش : ١٣٥
قرية سويده : ١٣٦	قرية بشر : ١٣٧
قرية السيجة : ١٣٤	قرية بشر وواط : ١٣١
قرية شمانس : ١٣٧	قرية بلسانة : ١٣٤

- الشكروجة : ١٣٥
 الشلان : ١٣٥
 شنيانة : ١٣١
 شوذر : انظر شوذر
 ضوجر : ١٣٥
 الطرف : ١٣٥
 : طغر : انظر طغر .
 ة علقاجج : ١٣٧
 ة العيران : ١٣٦
 ة غرليانة (حرليانة) : ١٣٣
 ية الغروم : ١٣٤
 ية غسان : ١٣٤
 ية الغضون : ١٣١
 ية فتن : ١٣٧
 ية الفخار : ١٣٧
 ية فنتيلان : ١٣٤
 رية قبالة : ١٣٦
 رية قربسانة (قرباسة) : ١٣٦
 رية قريش : ١٣٨
 رية قشتالة : ١٣٣
 رية القصر : ١٣٧
 قرية القصيبة : ١٣٤
 قرية ققلولش : ١٣٦
 قرية قلتيش : ١٣٦
 قرية قلنقر : ١٣٧
 قرية القنار : ١٣٦
 قرية قنالش : : انظر قنالش .
 قرية قو لجر : (قلجار) : ١١٣ ،
 ١٣٥
 قرية قولر : ١٣٣
 قرية القمور : ١٣٥
 قرية الكدية : ١٢٧ ، ١٣٦
 قرية كورة : ١٣٧
 قرية لاقش : ١٣٦
 قرية لسانة : ١٣٣
 قرية لص : ١٣٧
 قرية اللقوق : ١١٩
 قرية ماس : ١٣٦
 قرية مرسانة : انظر مرسانة
 قرية مرنيط : ١٣٧
 قرية المطار : ١٣٤
 قرية مطرف بن عيسى : ١٣٤
 قرية الملاحة : ٩٣ ، ١٣٥
 قرية منشتال : ١٣٨
 قرية ناحرة : ١٣١
 قرية نبالة : ١٣٦
 قرية النبيل : ١٣٧
 قرية نفجر وغرنطلة : ١٣٥
 قرية وابشر : ١٣٧
 قرية واط عبد الملك : ١٣١
 قرية والة : ١٣٤
 قرية واني : ١٣٨
 قرية الوطا : ١٣٨
 قرية ولجر : ١٣٧
 قرية ياجر الشاميين : ١٣٣
 قرية ياجر البلديين : ١٣٣
 قسطنطينية : ٣٥٥
 قسطيلية : ٩٩ ، ١٠٤
 قشتالة : ٣٧ ، ٤٢ ، ٣١٤ ، ٣٣٢ ،
 ٤٨٩ ، ٥١٥ ، ٥١٧ ، ٥٣٤ ،
 ٥٣٩ ، ٥٥٩ ، ٥٧٢
 القصبة : ١٠٧

- القصبه القدي : ٣٩٥ ، ٤٩٠
 قصبه المري : ٢٤٧ ، ٣٨٨
 قصر الحمراء : ٣٥٦ ؛ وانظر الحمراء
 قصر السيد : ١٢٥ ، ١٣٣ ، ٣٢٤ ، ٥٦١
 قصر شنيل : انظر قصر السيد
 القصور النجدية : ١٢٣
 قطرش : ٣٥٠
 القلصادة : ٥١٥
 قلعة بنى سعيد : انظر قلعة يحصب
 قلعة الحمراء : ٣٧ ، ١٧٨
 قلعة يحصب : ١١٧ ، ١٥٥ ، ٢٢٢ ، ٤٥٧
 قلمورية ، قلمرية : ٥٣٠
 القليم : انظر الإقليم
 قمارش : ٥٧٢
 قنالش : ٧٤ ، ١٣٧ ، ١٧٠
 قنب قيس : ١٣٤
 قنتورية : ٥٠٨
 قيجاطة : ٥٦٩
 القيروان : ٣٢٠ ، ٤٣١ ، ٥٢٥
 ك
 كبتور : ٢٢١
 الكنبانية : ١٠٢
 كورة الغرب : ٤٦٠
 ل
 لاردة : ١٨٩
 لورسانة : ٧٤
 لورقة : ١٥٤ ، ٤٢٠ ، ٥١٧
 لوشة : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٣٩٤ ، ٤٢٧ ، ٤٣٨
 ليون : ٣٩١
 م
 ماردة : ١٤٧
 مالقة : ٧٤ ، ٧٦ ، ٩١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٨١ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٤٠٥ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٣٤ ، ٥٤٩ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣
 المتحف البريطاني : ١٠١
 متريل : ١١٨
 مجريط : ٥١٢
 مدرج السبيكة ؛ انظر السبيكة
 مدرج نجلد : ١٢٢
 مدريد : ٧ ، ١٤ ، ١٥ ، ٦٩ ، ٨٣ ، ١٠٠ ، ٤٩٠ ، ٥١٢
 المدور : ٤٣٢
 مدينة الحمراء : انظر الحمراء
 مدينة السلام : ٣٣٨
 المدينة الملكية : ٤٣٢
 مراکش : ٨ ، ٩ ، ٧٣ ، ١١٩ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٣٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٣٨

٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٣٧ ،

٣٣٨ ، ٣٨١ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ،

٤٣٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥

المغرب الأقصى : ٣٥٢

مقبرة السبيكة : ٥٦٢

مكتبة مدريد الوطنية : ٩ ، ١٤ ،

٢٣ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٦

مكتبة القاتيكان : ٧٠

مكتبة أبسال : ٧٠

مكة : ٩٠ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٦٣

مكناسة الزيتون : ١٨١ ، ١٨٥ ،

٣١١

الملاحه : ٩٣ ، ١٣٥ ، ٢٧٥

منار إشبيلية : ٥٤٢

المنصورة : ١١٥

المنظر : ٣٥٠ ، ٣٥٥

منية السيد : ٥٤٩

المهدية : ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٧٣

موره : ٣٧٢

مورور : ٤٠٩ ، ٤٣٢

ميورقة : ١٠٢ ، ١٨٤

ن

الناعورة ، ضاحية قرطبة : ٤٧٤

النجش : ٤٩٥

نسف : ٩٠

النمط : ٤٥٩

نيسابور : ٨٩

النيل : ١٢٤ ، ٣٤١

٤١ ، ٤١٩ ، ٤٢٥ ، ٤٥٤ ،

٤٦ ، ٥٠٢

٤٠ : ٣٩٣ ، ٣١٣ ، ٢٠٤ ،

٥٤

٤٠٠ ، ٣٩٩ :

الرقاد : ٣٠٩

مرج غرناطة : ١٠٥ ،

١١ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ،

١٣ ، ٣٠٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٧ ،

القرون : ٤٥٧

١١٦ ، ١٣٥

١٠٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ،

١١ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ٢٢٥ ،

٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٩١ ، ٤١٦ ،

٤٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٩ ، ٤٩٢ ،

٤٩ ، ٥١٢ ، ٥١٧ ، ٥٢٥ ،

٥٥

خلص : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣١

١٣٢ ، ١٣٨ ، ٤٣٧

مد الأعظم : انظر جامع غرناطة

مد الحمراء : ١٦٨ ، ٥١٩ ،

٥٤ ، ٥٥٤ ، ٥٧٤

مد السلطان : انظر مسجد الحمراء

١٤ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ،

٩ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٥ ،

٤ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ،

٥ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ،

٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٨١ ،

٨ ، ١٤٧ ، ١٩٣ ، ٢١٦ ،

٢١ ، ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٩٣ ،

- وادى الحمة : ٤٩٧
 وادى أم الربيع : ٤٢٥
 وادى شنيانة : ٢٨١
 وادى فرتونة : ٣٩٧
 الوادى الكبير ، نهر : ١٢٤ ، ١٦١
 وادى لكّة : ١٠٦ ، ٤٧٥
 وادى ماسة : ٢٧٧
 وادى المدينة : ٤١٩
 وادى المنصورة : ٤٩٥
 وادى هدرّة : ٥٣٢
 وشقة : ١٨٩
 وهران : ٣٧٠ ، ٤٦١
- وادى آش : ٣٨ ، ٣٩ ، ٧٤ ،
 ١١٥ ، ١١٩ ، ١٣٦ ، ١٤٨ ،
 ١٦٤ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ ،
 ٣٥٠ ، ٣٩٥ ، ٤٠٨ ، ٤٩٧ ،
 ٥٤٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٩ ، ٥٧٢ ،
 ٥٧٣
 الوادى الأحمر : ٤٥٩
 وادى الحجارة : ٤٩٠
- يابرة : ٤٦٠
 يثرب : ٢٦٣
 اليمن : ٣٣٨

فهرست القبائل والطوائف

- البربر : ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ،
١٠٩ ، ١٤٦ ، ٤٤٥ ، ٤٤٠ ،
٤٥٢ ، ٤٨٥ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ،
٥٢١ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤
البلديون : ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،
١١١
بنو ألى العلاء : ٥٥٠
بنو أرقم : ٣٥٠
بنو إشقيلولة : ١٩٨ ، ٣٥٢ ، ٥٧٢
بنو الأحمر : ٦٣ ، ٧٢ ، وانظر
بنو نصر
بنو أمية : ١٠٠ ، ١٠٥ ، ٤٨٦
بنو حمود : ١٠٥ ، ٢٤١ ، ٤٤٠
بنو سعيد : ١١٧ ، ٢٢٢ ، ٤٩١
بنو عامر : ١٠٥
بنو عبد المؤمن : ٢٤٤ ، ٣٢٠
بنو عبد الواد : ٤٧ ، ٥٤٧
بنو عمار : ١٧٢
بنو مردنيش : ٣٠٨
بنو مرين : ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٦٧ ،
١٨٥ ، ٣١٢ ، ٥٥٨
بنو مسعدة : ١٦٩
بنو مسعود : ١٧٢
بنو مكى : ٣٢٠
بنو مناد : ٥٢٥
بنو نصر : ٦٣ ، ٧١ ، ٧٢ ،
٧٤ ، ٧٨ ، ٢٣٠ ، ٢٨٧ ،
٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٥٠ ، ٥١٥ ،
٥٣٧ ، ٥٥٢ ، ٥٦٤
بنو هود : ٣٠٥
الحلافة الأندلسية : ١٠٠ ، ١٤٦ ،
١٥٧
الدولة العامرية : ١٠٠ ، ١٠٥ ،
١٤٦
الدولة المرينية : انظر بنو مرين
الدولة النصرية : انظر بنو نصر
الدولة اليوسفية : ٢٢٥
الروم : ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٣ ،
١١٦ ، ١١٩ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ،
٣٩١ ، ٣٩٧ ، ٤٢٥ ، ٤٨٧ ،
٥٣٨ ، ٥٤٢ ، ٥٤٨ ، ٥٧٤
الرومان : ٩٩
زناتة ، قبيلة : ٣١٢ ، ٤٣٩ ، ٤٦١
سلمان : ٣١
الشاميون : ١١٠ ، ١١١
الصقالبة : ٤٤٩
صنهاجة : ٢٤٣ ، ٤١٢ ، ٤٤٠ ،
٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٨٥ ، ٤٩٤ ،
٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٧
الطوائف ، دول أو ملوك : ٧٢ ،
١٠٠ ، ١١٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
٢٦٨ ، ٢٧١
الظاهرية : ٢١٦

- العبيديون : ٤٣٩
العرب : ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢١
عرب دباب : ٣٢٤
العلويون : ٤٤٣
القطالنيون : ٥٣٣
القوط : ٩٩
لمتونة ، قبيلة : ١٤٦ ، ١٥٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣٠٥
٤١٨ ، ٤٢٥ ، ٤٥٤ ، ٥٢٩
اللمتونيون : انظر لمتونة
المرابطون : ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٣٠٥ ، ٤١٢ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ، ٤٦٠
المرأونة ، (بنو مروان) : ٤٤٠
مسوفة ، قبيلة : ٤١٢
المضرية : ٤٥٢
المعاهدون ، المعاهدة : انظر النصاري
المعاهدون
- الملثمون : انظر المرابطون .
الموالي العامريون : ١٠٥ ، ٢٦٨ ، ٤٩٤ ، ٥٢٣
الموحدون : ١٠٣ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٥٢ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٥٠ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦١ ، ٥٧٠
النصاري : ٣٢ ، ٧٢ ، ٨١ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٤٧ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٤٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٣٠٥ ، ٤٢٠ ، ٤٥٤ ، ٤٨٦ ، ٥٢٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٧
النصاري المعاهدون : ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٩ ، ١٦٩
اليمانية : ٢٢٢ ، ٤٥٢
اليهود : ١٠٧ ، ١٢٠ ، ٣٩٦ ، ٤٤٧

فهرست الأعلام

- الساحلي : ٣٣٧ - ٣٤٩
- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس
النقري، أبو إسحاق : ٣٧٥ - ٣٧٩
- إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولاني ،
أبو إسحاق : ٣٣٠ - ٣٣٣
- إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن
مالك الأزدي، أبو إسحاق : ٣٢٨ -
٣٣٠
- إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد
ابن أبي العاصي التنوخي : ٣٨٢ -
٣٨٥
- إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن
أبي حفص الهنتاتي ، أبو إسحاق :
٣١٨ - ٣٢٧
- إبراهيم بن يعقوب ، أبو الحجاج :
٣٧٣
- إبراهيم بن يوسف بن دهاق الأوسي
٣٣٣ - ٣٣٤
- إبراهيم الفزاري : ١٩٨ ، ١٩٩
- ابن أبي البركات ، أبو الفضل بن
جعفر : ٢١٨
- ابن أبي الربيع : ٥١٣
- ابن أبي خط ، طلحة : ٢١٨
- ابن أبي زرع الفاسي : ٨٠ ، ٩١
- ابن أبي صيف : ٢١٧
- ابن أبي عمارة ، الدعى : ٣٢٥ ،
٣٢٦ ، ٥٧١
- إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله
ابن موسى الأنصاري ، أبو إسحاق
٣٣٧ - ٣٣٤
- إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي
سعيد عثمان بن أبي يعقوب يوسف
ابن عبد الحق ، أبوسالم : ٣٩ ،
٤٠ ، ٤٢ ، ٥٦ ، ٧٥ ، ٣١١ -
٣١٨ ، ٥٣٨
- إبراهيم بن أبي العاص التنوخي :
٢٤٩
- إبراهيم بن أبي الفتح الفهري : ٥٣٢
- إبراهيم بن أبي ياسر القطيعي : ٢١٨
- إبراهيم بن أبي يحيى بن حفص : ٥٣٩
- إبراهيم بن تاشفين ، أبو إسحاق :
٤١٦
- إبراهيم بن جزيرة : ٤٧٧
- إبراهيم بن زرار : ٤١٠
- إبراهيم بن زيد المحاربي : ١٣٢
- إبراهيم بن سالم بن صالح : ٤٧٧
- إبراهيم بن سهل : ٥٤٢
- إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر
التسولي ، أبوسالم : ٣٨٠ - ٣٨١
- إبراهيم بن علي بن يوسف بن تاشفين :
٢٧١
- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري

ابن الأبار القضاعى ، أبو عبد الله :

١٨١ ، ٨٠

ابن الباذش ، أحمد بن على بن أحمد

ابن خلف الأنصارى ، أبو

جعفر : ١٧٧ ، ٢٠١ - ٢٠٣

ابن البستى : ٣٢٨

ابن الجياب ، أبو الحسن على : ٣١ ،

٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٧٢ ،

٧٦ ، ٧٩ ، ١٢٤ ، ١٧٣ ،

١٨٥ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ، ٣٨٩ ،

٣٩٧ ، ٤٠٣ ، ٥٤٥ ، ٥٥٠ ، ٥٧٠

ابن الحاج ، إبراهيم بن عبد الله بن

إبراهيم بن قاسم النيرى ، أبو

إسحاق : ٢٨ ، ٣٥ ، ٨١ ،

٩١ ، ١٢٨ ، ١٧٨ ، ٢٠٣ ،

٢٤٩ ، ٢٦٠ ، ٢٩٦ ، ٣٢٩ ،

٣٥٠ - ٣٧١ ، ٥٣٧

ابن الحكيم اللخمى ، أبو بكر بن

محمد : ٣١ ، ٣٥ ، ٧٩ ، ١٦١ ،

١٦٣ ، ١٧٨ ، ٣٨٣

ابن الحكيم اللخمى ، أبو عبد الله :

٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

٣٠١ ، ٣٩٢ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ،

٥٦٠ ، ٥٦٨

ابن الحضار ، محمد بن الكتامى

التلمسانى ، أبو عبد الله : ٣٨٣

ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن

عبد الله ، لسان الدين : ٥ ،

٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ،

١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ،

٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ،

٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ،

٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ،

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ،

٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ،

٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،

٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ،

٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،

٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ،

٨٢ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١١٣ ،

١١٤ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ،

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ،

١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ٢٢٣ ،

٢٢٥ ، ٢٣٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٨ ،

٣٨٤ ، ٣٩٧

ابن الدقاق : ٢٢٣

ابن الرنق (الفونسو هنريكيز) : ٥٣٠

ابن الرومى : ٧٢ ، ٩٢ ، ٩٣

ابن الرومية ، أحمد بن محمد بن

أبى الخليل مفرج الأموى ،

أبو العباس : ٢١٥ - ٢٢١

ابن الزبير ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير

بن محمد بن إبراهيم ، أبو جعفر :

٧٧ ، ٨٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ،

١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٩٥ -

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ ، ٢٢٠ ،

٢٢١ ، ٢٩٧ ، ٣٣٣ ، ٣٧٧ ،

٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢ ،

٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٥٠١ ، ٥١١ ،

٥١٢

ابن باحة ، أبو بكر بن محمد التجيبي :

١٩٦ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦

ابن باصة ، أحمد بن حسن ، أبو

جعفر : ٢١١

ابن برطال ، أبو عبد الله : ٢٠٤

ابن برطال ، أحمد بن محمد بن

علي الأموي ، أبو جعفر : ١٧٧

١٧٨ ، ١٧٩

ابن بسام ، أبو الحسن علي : ٩٠٦ ، ٩٠٧

٨٠ ، ٢٤١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣

ابن بشكوال ، أبو القاسم : ٨٠ ، ٨١

٩١ ، ٢٠٨ ، ٤٧٥ ، ٥١٣

ابن بقي : ٧٧

ابن بياض ، القاضي : ٤٧٤

ابن تسع : ٣٧٣

ابن تيمية : ٢١٧

ابن جبير الأندلسي ، أبو الحسن : ٢١٨

ابن جزى ، أحمد بن أبي القاسم ،

أبو جعفر : ٤١١

ابن جزى ، أحمد بن محمد بن أحمد

ابن محمد بن عبد الله : ١٦٣ -

١٦٨

ابن جماعة الكنانى : ٤٣٦

ابن جمهور ، أبو محمد بن أحمد :

٣٧٣ ، ٥١٣

ابن حمادة ، محمد بن أيوب بن غالب :

٣٠٦

ابن حزم ، علي بن سعيد ، أبو محمد :

٦ ، ١٠١ ، ٢١٦

ابن حفصون ، عمر : ١١٧

ابن حمدين ، حمدين بن محمد بن علي ،

ابن الصيرفي أبو بكر : ٨٠ ، ١١٤ ،

١١٨ ، ١٥٣ ، ١٦٩ ، ٤٣٧ ،

٤٤٩ ، ٤٥٦

ابن العمار : ٢٠٨

ابن الغبريني ، أبو العباس : ٩١

ابن الفضل المؤذن : ٢١٧

ابن الفياض : ٤٨٦

ابن القارئ ، عبيد الله بن عبد العزيز

القرشي : ٣٨٣

ابن القباب ، أحمد بن أبي القاسم بن

عبد الرحمن ، أبو العباس : ٧٦ ،

١٩٣ - ١٩٥

ابن القلاس : ١١٣ ، ١١٦

ابن القوطية ، محمد بن عمر بن

عبد العزيز ، أبو بكر : ٨٠ ،

١٠٦

ابن اللبانة : ٧٢

ابن المحروق ، محمد بن أحمد ، أبو

عبد الله : ٣٣١ ، ٥١٨ ،

٥٤٥

ابن المرعزي ، الكاتب : ٤٧٤

ابن المعتز : ٧٢

ابن المول ، أبو بكر عتيق بن يحيى :

٣٩٥ ، ٥٤٥ ، ٥٥٦

ابن الناظر ، الحسين بن عبد العزيز

ابن محمد بن أبي الأحوص القرشي

الفهرى : ٤٧١ - ٤٧٣

ابن النبأى : ٢٦٧

ابن الوراق ، أبو مروان : ٤٥٤ ،

٤٥٥ ، ٤٦٣

ابن اليسر : ١٥٦

- أبو جعفر : ٣٠٦
 ابن حيان ، حيان بن خلف بن
 حسين بن حيان القرطبي ، أبو
 مروان : ٨٠ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ،
 ١٥٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٤٤٤ ،
 ٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ،
 ٤٩٤ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥
 ابن خاتمة ، أحمد بن علي بن محمد ،
 أبو جعفر : ٣٠ ، ٧١ ، ٩١ ،
 ٢٤٧ - ٢٦٧
 ابن خفاجة : ٢٢٣
 ابن خلدون : ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ،
 ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،
 ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٦ ،
 ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٢٦٩
 ابن خلكان : ٢٢٦
 ابن خمسين ، أبو بكر : ٩١
 ابن خير : ٣٧٣
 ابن دحية البلنسي ، عمر بن حسن ،
 أبو الخطاب : ٦
 ابن رزمير (الفونسو الأول الأرجوني) :
 ١١٤ ، ١١٥
 ابن رشد (الجلد) ، أبو الوليد :
 ١١٩ ، ١٧٦ ، ٣٧٢
 ابن رشد (الحفيد) أبو الوليد : ١١٩
 ابن رفاعه : ١٧٧
 ابن زرقون ، أبو الحسن محمد بن
 أحمد : ٢١٧
 ابن زرقون ، أبو عبد الله : ٥١٣
 ابن زرقون القيسي ، محمد بن
 عبد الرحمن ، أبو القاسم : ٣٨٣
 ابن زمرك ، محمد بن يوسف بن محمد
 الصريحي ، أبو عبد الله : ٢٨ ،
 ٣١ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٧٩
 ابن زيدون : ٤٦٢
 ابن سحنون العماري ، أبو محمد : ٢١٨
 ابن سهل بن مالك : ١١٤
 ابن سنية : ٢١٧
 ابن سيناء ، أبو علي : ٢١٤ ، ٢٣٧
 ابن صمادح : ٧٢
 ابن شبرين ، محمد بن أحمد بن محمد
 ابن أحمد ، أبو بكر : ١٠٤ ، ٤٥١
 ٥٥١ ، ٥٥٧
 ابن صفوان ، أحمد بن إبراهيم بن
 أحمد ، أبو جعفر : ٦٠ ،
 ٧٦ ، ٢٢٩ - ٢٤٠ ، ٢٨١ ،
 ٣٨٩ ، ٥٨٢
 ابن عاصم ، أبو يحيى : ٦٤
 ابن عباد : ٤٤٤ ، ٤٦٤
 ابن عبد الحق ، أحمد بن عبد الحق
 ابن محمد بن يحيى الجزلي ، أبو
 جعفر : ١٨٦ - ١٨٨
 ابن عبد الرحمن الفارسي : ٢١٧
 ابن عبد السلام بن محمد الكوي :
 ٢٧٣
 ابن عبد العزيز الصديقي : ٣٧٣
 ابن عبد الكريم : ٩١
 ابن عبد الملك المراكشي : ٨٠ ،
 ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ٢١٥ ،
 ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ ،
 ٢٤١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٧٢ ،
 ٣٧٩ ، ٤٧٩ ، ٥١١

ابن كماشة ، أبو الحسن علي : ٢٠٧
ابن لب ، أبو سعيد فرج : ٣١ ،
٣٥

ابن مردنيش ، محمد بن سعد بن
محمد بن أحمد ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٤٩٢ ،
٤٩٣

ابن مستقور ، محمد بن إبراهيم الطائي ،
أبو عبد الله : ١٦٠ ، ١٦١ ،
١٧٤ ، ١٩٦

ابن مسعدة ، أحمد بن محمد بن أحمد
ابن عبد الرحمن ابن مسعدة ، أبو
جعفر : ٨٠ ، ١٥٦ ، ١٦٨ —
١٧٢ ، ٣٢٨

ابن مصادف ، أحمد بن محمد بن
علي ، أبو جعفر : ٢٠٩ — ٢١١
ابن مفرج المالتي ، محمد بن يحيى بن
علي : ٢٠٥

ابن ميمون الشريشي ، ٢١٧
ابن نباتة : ٧٢

ابن نغالة اليهودي ، إسماعيل : ٤٤٢
ابن نغالة اليهودي ، يوسف بن
إسماعيل : ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ،
٤٤٨

ابن هذيل ، يحيى أبو زكريا : ٣٥ ،
٥٣ ، ٧٢ ، ٢١٢ ، ٢٨٦ ،
٣٩٩

ابن هرودس ، أبو الحكم : ٤٧٧
ابن همشك : إبراهيم بن محمد بن
مفرج : ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،
٣١١ ، ٣١٠ ، ٣٠٩

ابن عبد النور ، أبو جعفر أحمد :
٢٠٣ — ٢٠٩

ابن عبدون : ٧٢
ابن عذارى المراكشي : ٨٠ ، ٣٢١ ،
٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٨٥ ، ٤٨٨ ،
٥٢٦

ابن عساكر ، علي بن الحسن ،
أبو القاسم : ٩٠
ابن عسكر المالتي ، أبو عبد الله : ٨٠ ،
٩١ ، ٤١٨ ، ٤٢٤ ، ٤٤٣ ،

٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩
ابن علقمة : ٩١

ابن عميرة الخزومي ، أحمد بن عبد الله
ابن محمد ، أبو مطرف : ١٧٩ —
١٨٦

ابن غانية ، أبو زكريا يحيى : ١٠٣ ،
٣٠٥ ، ٤٥٠

ابن غانية ، محمد بن إسحاق المسوفي
٣١٩ ، ٣٢٠

ابن فرتون : ٢١٥
ابن فرقد ، إبراهيم بن خلف بن
محمد بن الحبيب القرشي العامري
٣٧٢ — ٣٧٥

ابن فركون ، أحمد بن سليمان بن أحمد
ابن محمد القرشي ، أبو جعفر :
٢٢٨ — ٢٢٩

ابن قزمان ، أبو بكر : ٣٧٣
ابن قعنب ، أحمد بن محمد بن أحمد
الأزدى ، أبو جعفر : ١٧٢ — ١٧٥
ابن قندة ، يحيى بن عبد الوهاب :
٨٩

- ابن هوازن القشيري : ٢١٧
 ابن هود ، أبو عبد الله المتوكل :
 ١٤٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
 ٤٢٠
- ابن ورد التميمي ، أحمد بن عمر بن
 يوسف ، أبو القاسم : ١٧٥ — ١٧٧
 ابن يربوع : ٣٧٧
 ابن يزيد : ٤٣٩
- أبو إبراهيم بن الخليفة ، السيد : ١٤٧
 أبو أحمد بن علي : ٢١٩
 أبو إسحاق ، السيد : ٤٧٩
 أبو إسحاق بن إبراهيم بن أحمد الحشني :
 ١٧١
- أبو إسحاق بن الخليفة ، السيد : ١٤٧
 أبو إسحاق بن جابر : ٥٥٧
 أبو إسحاق بن زكريا : ٣٧٧
 أبو إسحاق بن علي المزدي : ٣٧٣
 أبو إسحاق الإلبيري ، الزاهد : ٤٤٨
 أبو إسحاق البلقيني : ١٨١
 أبو إسحاق الدمشقي : ٢١٧
 أبو إسحاق الغافقي الميربي : ٢٩٧
 أبو إسحاق الموحدى : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ،
 ٣٢٦
- أبو الإصبع بن عامر : ٢١٠
 أبو الإصبع بن عبد العزيز : ٢١٨
 أبو الإصبع بن مناصف : ٣٧٣
 أبو البركات بن داود : ٢١٧
 أبو البقاء بن قديم : ٢١٧
 أبو البقاء الرندي : ٤٧٩
 أبو الحجاج الساحلي : ٢١٠
 أبو الحجاج بن الشيخ الفهري :
- ٥١٣ ، ٤٧٨
 أبو الحجاج الطرطوشي : ٥٥٧
 أبو الحسن بن أبي الحسن : ٤٧٨
 أبو الحسن بن أبي الربيع : ٢٩٧
 أبو الحسن بن أبي المكارم : ٣٧٧
 أبو الحسن بن أبي عامر : ١٧١
 أبو الحسن بن أحمد بن خالص :
 ٣٧٣
- أبو الحسن بن إسحاق ، الرئيس :
 ٥٧٢
- أبو الحسن بن أضحى : ٤٣٥
 أبو الحسن بن الأخضر : ٢٠٢ ،
 ٢٠٤
- أبو الحسن بن الصائغ : انظر ابن
 باجة .
- أبو الحسن بن الضحاك : ٢٠٣
 أبو الحسن بن بقي : ٤٧٣
 أبو الحسن بن خيرة : ٤٧٣
 أبو الحسن بن سراج : ١٧٦ ، ٢٠٨
 أبو الحسن بن سعيد ، علي بن موسى
 الأندلسي : ٦٩ ، ٩١ ، ١١٧ ،
 ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ،
 ٤٣٣ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٨ ،
 ٤٩٩ ، ٥٠٠
- أبو الحسن بن سليمان بن عبد الرحمن :
 ٣٧٢
- أبو الحسن بن سهيل الناس : ٣٢٣
 أبو الحسن بن طاهر الرباح : ٣٣٥
 أبو الحسن بن عبد الجليل السداری :
 ٣٨١
- أبو الحسن بن عبد العزيز بن سعيد

أبو الربيع ، السيد : ٣٢٠
 أبو الربيع بن سالم : ٤٧٣
 أبو الربيع سليمان المريني : ٥٥٨
 أبو الطاهر ، تميم : ١٤٧
 أبو العباس بن البنا : ٢٣٠
 أبو العباس بن الكاتب : ٢٠٨
 أبو العباس بن سليمان : ٢٢١
 أبو العباس بن عمران : ٤٢٥
 أبو العباس بن مضاء : ٥١٣
 أبو العباس السبتي : ٢٤٦
 أبو العباس القراق : ٥٥٧
 أبو العلاء الموحدي ، السيد : ٣٢٠
 أبو الفتح الكروخي : ٣٧٧
 أبو الفضل المرسى : ٣٣٣
 أبو القاسم بن أبي عميرة : ١٨١
 أبو القاسم بن الأصفر : ١٦١
 أبو القاسم بن العريف : ١٨٨
 أبو القاسم بن العزفي : ٣٣٦
 أبو القاسم بن الجياب : ١٧٣
 أبو القاسم بن حسن : ٥١٢
 أبو القاسم بن حمزة : ٣٩١
 أبو القاسم بن خلف : ٢٠٢ ، ٤٣٥
 ٤٥٠ ، ٤٩١
 أبو القاسم بن دوهم : ١٨٨
 أبو القاسم بن سمحون : ٢١٧
 أبو القاسم بن سيد الناس : ٢١٧
 أبو القاسم بن صفوان : ٢٨٢
 أبو القاسم بن عمران الخرجي : ١٧٧
 أبو القاسم بن قرطبة : ١٢٨

وسى : ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠
 لحسن بن عمر الوادي آشي :
 ٣٧
 لحسن بن كهاشة : ٢٠٧
 لحسن بن كوثر : ٥١٣
 لحسن بن محمد بن عبد العزيز
 غافقي الشقوري : ٢١٣ ، ٥١٣
 لحسن بن نصر : ٢١٨
 لحسن بن هذيل : ٤٧٠
 لحسن الأبدى : ١٦١
 لحسن الأركشي : ٤٧٥
 لحسن التجلي : ٢٩٧
 لحسن التطيلي : ١٩٠
 لحسن التلمساني : ٣٣٦
 الحسن الحويكر : ٢١٧
 لحسن الرعيني : ٤٢٥
 لحسن السفاح العبدري : ٢٩٧
 الحسن الصغير : ٣٨٠ ، ٣٨١
 الحسن العدال : ١٦١
 الحسن الكناني : ١٧١
 الحسن الملقى : ٤٧٤
 الحسن المبارك : ١٧٧
 الحسن المريني ، علي بن عثمان
 ، يعقوب بن عبد الحق : ٣٤ ،
 ٣٩ ، ٤٧ ، ٣١٢ ، ٣٥٠ ، ٥٤٤
 الحسن النيسابوري : ٢١٧
 الحكم بن منظور القيسي الاشبيلي :
 ٣٨٣
 الخطاب بن واجب : ١٨٠
 الخطار ، حسام بن ضرار الكلبي :
 ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢

أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم المراعى :
٣٧٣

أبو القاسم بن نوج : ٥١٣

أبو القاسم البراق : ٢١٧

أبو القاسم التلمساني : ٣٩

أبو القاسم الحسنى : ٢١٠

أبو القاسم الحوفى : ٥١٣

أبو القاسم الخطيب : ١٦٧ ، ٢٠٨

أبو القاسم السهلى : ٤٧٩

أبو القاسم العطار : ١٧١

أبو المطرف بن العميرة : ٤٢٥

أبو المعالى بن وهب بن البنا : ٣٧٣

أبو الميمون بن هبة الله القرشى : ٢١٨

أبو الوليد بن جابر بن حسام الحضرمى :

٥١٣

أبو بكر بن إبراهيم المسوفى الصحراوى ،

أبو يحيى : ٤١٢ - ٤١٧

أبو بكر بن أبى حمزة : ٥١٣

أبو بكر بن أبى زكريا بن إسحاق :

٣٩١ ، ٥٤٧

أبو بكر بن أبى زمنين : ٥١٣

أبو بكر بن الجلد ، الحافظ : ١٦١ ،

١٦٣

أبو بكر بن الطفيل : ١٩٣

أبو بكر بن بيش العبدى : ٥١٣

أبو بكر بن جيش ، الحافظ : ٣٧٣

أبو بكر بن حكيم الشرمى : ٣٧٣

أبو بكر بن دسمان : ٣٣٥

أبو بكر بن سابق الصقلى : ١٧٦

أبو بكر بن سعيد : ٤٣٢ ، ٤٣٣ ،

٤٣٤ ، ٤٣٥

أبو بكر بن طلحة : ٢١٧

أبو بكر بن عبد العزيز بن سعيد

البطليوسى : ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠

أبو بكر بن عبد الله بن ميمون

الكندى : ٤٧٧

أبو بكر بن عبد الله السكسكى :

٥١٣

أبو بكر بن على بن يوسف بن تاشقين :

٤١٦

أبو بكر بن عمر التونسى : ٥٦٧

أبو بكر بن عياش : ٢٠٢

أبو بكر بن غازى : ٥٦ ، ٧٢

أبو بكر بن مالك الشريشى : ٥١٣

أبو بكر بن محرز : ٣٣٣ ، ٣٣٥

أبو بكر بن محمد بن إدريس الفرائى

العالوسى : ٩١

أبو بكر بن مسعود : ٥٤٦

أبو بكر بن معن : ٢٤٢

أبو بكر بن مقط : ٢٧١

أبو بكر بن وضاح : ٤٧٣

أبو بكر بن يحيى بن محمد بن عمر

الهمدانى : ٤٩٩

أبو بكر بن يحيى بن مسعود : ٣٨٩

أبو بكر السرقسطى : ٧٧

أبو بكر العربى : ١٧٦

أبو بكر الخزومى الأعمى المورورى

المدورى : ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ،

٤٣٥

أبو بكر النيار : ٥١٣

أبو بكر الوسنشانى : ٤٤٥

أبو تمام ، حبيب بن أوس : ٢٤٤

أبو سالم المريني ، السلطان ، انظر
 ابراهيم بن أبي الحسن
 أبو سعيد الموحدي ، السيد : ٢٢٤ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٣٧٣
 أبو سعيد بن عبد المؤمن بن علي :
 ٢٧٣ : ٢٧٩ ، ٣٠٩ ، ٣١٠
 أبو سليمان بن حوط الله : ٢١٧
 أبو فارس بن أبي الحسن بن يعقوب
 ابن عبد الحق : ٥٣٨
 أبو عامر بن يزيد بن أبي العطاء :
 ٤٧٣
 أبو عبد الرحمن بن غالب : ٥١٤
 أبو عبد الله بن أبي الخصال : ٤٥٨
 أبو عبد الله بن أبي زكريا بن أبي
 حفص ، المستنصر : ٥٧١
 أبو عبد الله بن أبي زمين : ٤٨٥
 أبو عبد الله بن أبي عمر : ٣٩٠ ،
 ٣٩١
 أبو عبد الله بن أحمد بن الحاج : ٣٧٢
 أبو عبد الله بن أجروم : ٤٨٠
 أبو عبد الله بن الحر : ٢١٧
 أبو عبد الله بن الحسن الجذامي : ٤٤١
 أبو عبد الله بن السعيد : ٣٢٢
 أبو عبد الله بن العواد : ٢١٠
 أبو عبد الله بن الفخار الإلبيري :
 ٣٥ ، ٤٩٥ ، ٥١٣
 أبو عبد الله بن اللحياني : ٣٢٢ ،
 ٣٩١
 أبو عبد الله بن المؤذن : ٩١
 أبو عبد الله بن الواثق بن المستنصر :
 ٥٧٢

جعفر بن أبي حبل : ٢٠٠
 جعفر بن الزيات : ٣٨٣
 جعفر بن الطباع : ٢٩٧
 جعفر بن العياش : ٢٤١
 جعفر بن حكم الزاهد : ٥١٣
 جعفر بن مظاهر : ٩١
 جعفر بن يوسف الهاشمي الطنجلي :
 ٢٩١
 جعفر الأغبر : ٢٤٩
 جعفر الحربوني : ٢٠١
 جعفر اللماي ، أحمد بن أيوب :
 ٢٤٠ - ٢٤٣
 جعفر المنصور ، الخليفة : ١٠٥
 جميل بن أبي الحملات بن مردنيش :
 ٣٢٢
 حامد الغزالي : ٤١٧
 خالد بن رفاعه : ٢٠٣
 خالد بن يزيد بن رفاعه : ٥١٣
 ذر ، مصعب : ٢١٧
 زكريا بن أبي العمري : ٤٢٤
 زكريا بن أبي حفص : ٣٢٠ ،
 ٣٢١
 زكريا بن الناصر الموحدي :
 ٤١٩
 زكريا بن مثنى : ٢١٢
 زكريا بن مرزوق : ٢١٧
 زكريا السهيلي : ٥١٢
 زكريا الفازازي : ٤٢٥
 زيد الموحدي ، السيد : ٤١٩ ،
 ٤٢٠
 وسالم بن أبي يعقوب : ٥٥٨

- أبو عبد الله بن اليسع : ٨٩
أبو عبد الله بن جوبر : ١٧٦
أبو عبد الله بن حسون : ١٩٠
أبو عبد الله بن حميد : ٣٧٢ ، ٥١٢
أبو عبد الله بن رشيد : ٢٨٠
أبو عبد الله بن سعيد اللوشى : ٢١٨ ، ٥٥٧
أبو عبد الله بن سلمة : ٥١٤
أبو عبد الله بن عاصم : ٥٥٧
أبو عبد الله بن عبد العزيز الذهبي : ٣٧٣
أبو عبد الله بن عروس : ٥١٣
أبو عبد الله بن عسكر : انظر ابن
عسكر
أبو عبد الله بن عياش : ٤٢٥
أبو عبد الله بن عيسى : ٥٤١
أبو عبد الله بن غالب الرصافي : ٤٧٧
أبو عبد الله بن فرج : ١٨٠
أبو عبد الله بن فضيلة : ١٧٤
أبو عبد الله بن مرزوق : ٣٥
أبو عبد الله بن هاني السبتي : ١٨٤
أبو عبد الله البري : ١٨٠
أبو عبد الله البياني : ٢١٠
أبو عبد الله الحضرمي : ٣٧٦
أبو عبد الله الرقوطي : ٢١٣
أبو عبد الله الساحلي : ١٧٣
أبو عبد الله الشريشي : ٨٢
أبو عبد الله الطنجالي : ١٨٨ ، ٢٣١
أبو عبد الله الكندي : ٤٧٧
أبو عبد الله اليابري : ٢١٧
أبو عبد اليسر الجزيري : ٢١٣
أبو عثمان بن الخليفة ، السيد : ١٤٧
أبو عثمان بن عيسى : ١٨٨
أبو عثمان بن ليون : ٢١٠
أبو علي بن الأحوص : ١٧١
أبو علي بن زهيق التغلبي : ٢٩٧
أبو علي بن هدية : ٤٣٧ - ٤٣٨
أبو علي بن وزير : ٣٧٣
أبو علي الإستجى : ٤٧٩
أبو علي الحافظ : ٢١٧
أبو علي الشلوبين : ١١٨ ، ١٨١ ، ٢٠٦ ، ٣٣٥ ، ٤٧٢
أبو علي الغساني : ٢٠٢
أبو علي القلعي المعدي : ٢٠٣
أبو عمر بن القطان : ١٥٣
أبو عمر بن عات : ١٧٦ ، ٣٧٢
أبو عمران الموحدي ، السيد : ٣٢١
أبو عمرو بن المرباط : ٥٧٠
أبو عمرو بن المنظور : ٢٣٩
أبو عمرو الداني : ٢٠٤ ، ٢٠٥
أبو عنان ، فارس بن علي أبي الحسن
المريني : ٣٦ ، ٣٩ ، ٧١ ، ١٢٨ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٥٢
أبو فارس بن أبي الحسن بن يعقوب
ابن عبد الحق : ٥٣٨
أبو مالك المريني ، الأمير : ٥١٨
أبو محمد بن أبي حفص ، السيد : ٣٠٩
أبو محمد بن إشقيلولة ، الرئيس : ٥٧٢
أبو محمد بن الجزيري : ٢٢٠ ، ٢٢١
أبو محمد بن الخليفة ، السيد : ١٤٧
أبو محمد بن السيد : ٢٠٢

- أبو يحيى بن عبد المنعم الخزرجي : ١٧١
 أبو يحيى بن يوسف : ٥٥٨
 أبو يحيى الوراق : ٤٦٣
 أبو يزيد البسطامي : ٤٥٠
 أبو يعقوب الموحدي ، السلطان :
 ٤٨٣
 أبو يعقوب ، الأمير : ٤٧٩
 أبو يعقوب بن عبد المؤمن بن علي :
 ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٣١٠ ، ٤٨٣ ،
 ٥٠١
 أبو يعقوب يوسف المريني : ٥٧١
 أبو يعقوب يوسف الناصر : ٣١٩
 أحمد بن أبي السعادات : ٢١٨
 أحمد بن أبي بكر : ٢١٨
 أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية
 القضاعي ، أبو جعفر : ٢٧١ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ - ٢٧٩
 أحمد بن أبي سالم المريني : ٥٦ ، ٥٧
 أحمد بن أبي سهل بن سعيد بن أبي
 سهل الخزرجي ، أبو جعفر :
 ١٧٥
 أحمد بن أبي طاهر : ٩٠
 أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات
 الكلاعي ، أبو جعفر : ٢٩٥ ،
 ٢٩٨ - ٣٠٤
 أحمد بن خلف الغساني القليعي ،
 أبو جعفر : ١٥٣ ، ١٥٤ ،
 ١٥٥ ، ١٥٦
 أحمد بن عباس بن زكريا ، أبو جعفر :
 ٢٦٧ - ٢٧٠ ، ٤٦٦ ، ٥٢٦
 أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن
 أبو محمد بن الرابع : ٣٠٤
 أبو محمد بن بونة : ٥١٣
 أبو محمد بن حوط الله : ١٨٠
 أبو محمد بن سحنون الغماري : ٢١٨
 أبو محمد بن عبد الصمد بن يعيش
 الغساني : ٥١٣
 أبو محمد بن عبد الكريم بن سمالك :
 ١٨١
 أبو محمد بن عبد الله العسال : ١٧٦
 أبو محمد بن عتاب : ٣٧٢
 أبو محمد بن عطية : ٢٠٢
 أبو محمد بن محمد بن علي القضاعي :
 ١٩١
 أبو محمد بن مزدلي : ١١٧
 أبو محمد بن يونس : ٣٧٧
 أبو محمد الباهلي : ٢٣٠
 أبو محمد الحجري : ٢١٧
 أبو محمد الحضري : ٥٥٧
 أبو محمد السلمي : ٤٩٣
 أبو محمد الشافعي : ٣٥٤
 أبو محمد المرجاني : ٢١٨ ، ٥٥٩
 أبو مروان بن سراج : ١٥٣
 أبو موسى الجزولي : ٢٠٥
 أبو نصر بن أبي نور الشقري : ٤٤٤
 أبو نصر صاحب تاكرونا : ٤٤٥
 أبو نصر القرشي : ٢١٨
 أبو هلال الموحدي : ٣٢٢ ، ٣٢٤
 أبو يحيى بن أبي زكريا بن أبي حفص :
 ٣٢١
 أبو يحيى أبو بكر سلطان تونس :
 ٣٥٧

أحمد بن محمد بن سعيد الغافقي : ١٧٤
 أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني :
 ٢٨٥ — ٢٨٠
 أحمد بن محمد بن طلحة ، أبو جعفر :
 ٢٤٣ — ٢٤٧
 أحمد بن محمد بن عيسى الأموي ،
 أبو جعفر : ٢٩٥
 أحمد بن محمد الكوفي : ٢١٣ — ٢١٤
 أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري ،
 أبو جعفر : ٢١٢ — ٢١٣
 أحمد بن موسى العروى : ١١٠
 أحمد بن موسى بن يوسف بن
 عبد الرحمن ، أبو حمزة : ٣٧٠
 أحمد بن ياسين الحداد ، أبو إسحاق :
 ٩٠
 أحمد بن يعلى : ٤٨٧
 إدريس بن عثمان بن إدريس بن
 عبد الله بن عبد الحق : ٥٣٤ ،
 ٥٣٧
 إدريس بن يعقوب بن يوسف بن
 عبد المؤمن ، المأمون : ٣٢٠ ،
 ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ ،
 ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٥٦٦
 أرطباس : ١٠٩
 أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب
 ابن سعد بن بكر بن هوار الإلبيري :
 ٤٢٦ ، ٤٢٧
 إسحاق بن المنذر : ٤٨٨
 إسحاق بن علي بن يوسف : ٤٥٥
 أسد بن الفرات بن بشر بن أسلم
 المري : ٤٣٠ — ٤٣١

الصقر الأنصاري الخزرجي ،
 أبو العباس : ١٨٩ — ١٩٣
 أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ،
 أبو العباس : ١٨٩
 أحمد بن عبد الرحمن البرقي : ٤٢٨
 أحمد بن عبد السلام بن الحسين
 البصري : ٤٦٣
 أحمد بن عبد الله بن عفيرة : ٣٣٥
 أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد
 ابن عرفة اللخمي ، أبو العباس :
 ٢٨٦ — ٢٩٢
 أحمد بن عبد المجيد بن هذيل الغساني :
 ٣٧٧
 أحمد بن عبد الله بن سعيد : ٢٢٢ —
 ٢٢٨
 أحمد بن عبد الوالي بن أحمد الرعيني ،
 أبو جعفر : ٢٠٠ — ٢٠١
 أحمد بن علي الرعيني ، أبو جعفر :
 ١٧١
 أحمد بن علي المذحجي : ٢٩٦
 أحمد بن علي الملياني ، أبو عبد الله :
 ٢٩٢ — ٢٩٤
 أحمد بن علي الهواري السبتي ، أبو
 الطاهر : ٤٧٧
 أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام
 القرشي ، أبو جعفر (ابن فركون) :
 ١٥٩ — ١٦٣ ، ٢٤٩ ، ٥٥٨
 أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد
 الهمداني اللخمي : ١٥٦
 أحمد بن محمد بن أضحى الهمداني
 الإلبيري : ١٥٦ — ١٥٩

الفونسو السادس ، ملك قشتالة :
١٥٤

الفونسو ريموندس : ٢٧٩
الهنشة بن شانجة بن الهنشة ، (الفونسو
الثاني) : ٣٩١

الهنشة بن هراندة بن شانجة (الفونسو
الحادي عشر ملك قشتالة) : ٥٤٧
الهنشة بن يومس بن الهنشة (الفونسو
الثالث) : ٣٩٢

أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر
الطنجالي : ٤٣٨ - ٤٣٩

أما دور دي لوس ريوس : ٥
أنوشروان ، كسرى : ١٢٩ ، ٢٦٣
٣٠٢ ، ٤٠٤

إيسابيل الكاثوليكية : ٢١

ب

باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري
بن مناد الصنهاجي : ١٢٣ ، ١٥٣ ،
١٥٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،
٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ،
٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ،
٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ،
٤٦٥ ، ٤٦٦

باديس بن منصور بن بلكين بن زيري :
٤٤٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ،
٥٢٨

البحترى : ٧٢ ، ٢٢٠ ، ٢٤٤
البخارى : ٢١٩
بلر ، مولى عبد الرحمن الدهان أبو النصر :
١٣ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣

بن عبد العزيز بن خالد بن أسلم
بن أبان ، أبو الجعد : ٤٢٧ ،
٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠

عيل بن أبي البركات : ٢١٨
عيل بن إسماعيل بن فرج النصري :
٣٨٨

عيل بن الأحمر ، أبو الوليد : ٦٣
عيل بن باركش : ٢١٨
عيل بن سعد السعود ، أبو أمية :
٣٧٣

عيل بن عفير : ٢٢١
عيل بن فرج بن إسماعيل بن
يوسف بن نصر ، أبو الوليد :
٣٤ ، ٣٥ ، ٦٣ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ،
٢٣٠ ، ٣٨٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ،
٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ،
٥١٥ ، ٥٤٩ ، ٥٧٤

عيل بن يوسف بن إسماعيل بن
فرج بن نصر ، أبو الوليد :
٣٧ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٦٠ ، ١٤٨ ،
١٤٩ ، ٤٠٦ ، ٤١٢

سبغ بن العباس ، أبو العباس : ٩١
سبغ بن محمد بن الشيخ المهدي ،
أبو القاسم : ٤٣٦
سعد بن فقار : ٢١٨
وزاعي : ١٤٠
تاميرا : ٥

فنش بن جايماش بن بطرة بن
جايماش (ملك أراجون) : ٥٧٢
فنش بن هراندة (الفونسو العالم ملك
قشتالة) : ٥٧٢

بدر الدين البشتكى : ١٢

بروكلمان : ٧٨

بشر بن قطن : ٤٨٨

بطرة ، (دون بيدرو) : ٣٩٧

بطرة بن الهنشة بن هراندة بن شانجة
(بيدرو الثالث ملك قشتالة) : ٥٣٩

بطرة بن شانجة (بيدرو الرابع ملك
أراجون) : ٥٣٩

بكر بن بكار : ١٦٩

بكرون بن أبي بكر بن الأشقر الحضرمي ،
أبو يحيى : ٤٥١ - ٤٥٢

بلج بن بشر القشيري : ١٠٨

بلكين بن باديس بن حبوس بن
ماكس بن زيري بن مناد الصنهاجي :

٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ،

٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ،

٤٦٥ ، ٤٨٥

بونس بويجس : ١٤ ، ١٨ ، ٧٨

بيدرو الثاني : ٤٢ ، ٤٤

ت - ث

تاشفين بن علي ، أبو عامر : ٥٣٨

تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين :

١٣ ، ٢٧١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ،

٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١

التطيلي ، الأعمى : ٧٧

توابة بن حمزة النميري : ٣٥٠

ثابت بن محمد الجرجاني ، أبو الفتوح :

٢٧٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥

٤٦٦

ج

جالينوس : ٢١٩ ، ٤١٤

جايمش بن الفنش بن بطرة : ٥٥٨

جايمش بن بطرة : ٣٩١

جاينجوس : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ،

٢٥ ، ٢٧ ، ٨٢

جعفر بن أحمد بن علي الخزاعي :

٤٦٧ - ٤٦٩

جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة

الخراعي : ٤٦٩ - ٤٧١

جعفر بن عثمان المصحفي ، الحاجب :

٣٩

جعفر بن محمد المعبر المستغصري : ٩٠

جودي بن عبد الرحمن ، أبو الكرم :

٣٧٦

ح

حاتم بن حاتم بن سعيد : ٢٢٥ ،

٢٢٧

حاتم بن سعيد : ٤٩١ ، ٤٩٢ ،

٤٩٣ ، ٥٠١

حاجي خليفة : ٧٧

حازم القرطاجني ، أبو الحسن : ٢٠٨

حامد بن محمد بن يحيى : ٤٨٨

حبابة الرومية : ٤٢٥

حباسة بن ماكسن بن زيري بن مناد

الصنهاجي : ٤٤٠ ، ٤٦٣ ، ٤٩٤

٥٢١

حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد

الصنهاجي : ١٤٦ ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ ،

٥٠١ ، ٥٠٠
 حكم بن أحمد بن رجا الأنصاري ،
 أبو العاصي : ٤٩١
 الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن
 عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم
 ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ،
 المستنصر : ٤٨٦ - ٤٨٧
 الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن
 معاوية بن هشام بن عبد الملك
 ابن مروان ، أبو العاصي : ٣٢ ،
 ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠
 الحلاج ، الحسين بن منصور ،
 أبو مغيث : ٢٢٦ ، ٤٦٧
 حمدة بنت زياد المكتب : ٤٩٧ ،
 ٤٩٨
 حمزة بن يوسف بن إبراهيم ، أبو
 القاسم : ٩٠
 الحميد بن محمد بن فتوح بن عبد الله ،
 أبو عبد الله : ٦
 حنش بن عبد الله الصنعاني : ١٠٠
 حنظلة بن صفوان : ١٠٨

خ

خالد بن أبي حفص ، أبو البقاء :
 ٣٩٠
 خالد بن عيسى بن إبراهيم بن خالد
 البلوي : ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠
 خايم ملك أرجوان : ١٨٢ ، ١٨٤
 الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبي
 العافية ، أبو القاسم : ٥٠٢ -
 ٥٠٨

٤٨ ، ٤٩٤ ، ٥٢١
 بن محمد بن حبيب : ٤٩٥
 ٤٩٧ -
 أج : ٢٢٦
 حاج بن أبي ربحانة المربلي : ٢٠٤
 ج بن العقيلي : ٤٨٨
 بن بن أبي الأحوص الغمري :
 ٢٩١
 بن بن سهل بن مالك الأزدي :
 ٤٧٢
 بن بن علي بن عصفور الهواري :
 ٣٣٥
 ن بن محمد بن باصة : ٤٧٦
 ن بن محمد بن حسن القيسي ،
 أبو علي : ٤٧٥
 سن بن محمد بن علي الأنصاري ،
 أبو علي : ٤٧٧ - ٤٨٠
 سن بن محمد الكتبي ، أبو عبد الله :
 ٩٠
 سن بن محمد بن مفرج القيسي :
 ٩١
 سن بن محمد بن يوسف بن سعيد
 اللوشي : ٥٧٦
 حسين بن زيد بن أيوب : ٤٥٨
 حسين بن عتيق بن الحسين بن
 رشيق التغلبي ، أبو علي : ٤٨٠ ،
 ٤٨٣ ، ٤٨٤
 حسين بن محمد بن يوسف بن سعيد
 اللوشي : ٥٦٧
 حفصة بنت الحاج الركوني : ٢٢٣ ،
 ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٤٩٣ ، ٤٩٩

خمنيس ، الكردينال : ٨
الخطيب البغدادى ، أبو بكر بن
ثابت : ٩٠
خوان ، آمون : ٢٣
خيران العامرى : ١٠٥ ، ٥٢٥ ،
٥٢٦

رضوان النصرى الحاجب المعظم ،
أبو النعيم : ٣٦ ، ٣٨ ، ٦٠ ،
٧٩ ، ٣٣٢ ، ٤٠٧ ، ٥١٤ ،
٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ،
٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ،
٥٤٤ ، ٥٤٥
ريميرو : ٥ ، ٧٠

د - ذ

الدارقطنى : ٢١٩
داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن
بن حوط الله الأنصارى الحارثى
الأبلى ، أبو سليمان : ٥١١ -
٥١٤
دياسقوريدس : ٢١٩
ديرنبور : ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٨
ذنونة ، (نونيوى لارا) : ٥٧٣

ز
زاوى بن زيرى بن مناد الصنهاجى :
٤٤٠ ، ٤٨٥ ، ٤٩٤ ، ٥٢١ ،
٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥
الزبير بن عمر ، أبو طلحة : ١٤٧
الزبير بن عمر اللمتوني : ٤٥٨
زخرف ، أم عبد الرحمن بن الحكم :
٤٨٧

زكريا بن أبى حفص اللحيانى ، أبو
يحيى : ١٨١ ، ٣٩٠

زهير العامرى ، قتي المنصور بن
عامر : ٢٦٨ ، ٤٤٤ ، ٤٦٦ ،
٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨

زيادة الله الأغلب : ٤٣١
زيان بن أبى عبد الرحمن بن على بن
عثمان : ٥٣٨

زيان بن سعد بن مردنيش ، أبو جميل :
١٨١

زيبولة : ٣٠ ، ٧١ ، ٩٩
زيرى بن مناد الصنهاجى : ٤٣٩
زينب بنت زياد المكتب : ٤٩٨
زينب بنت على بن يوسف : ٢٧٣

ر
الرازى ، أحمد بن محمد بن موسى :
١٠٤

رييرا : ١٠٦
الربيع بن سليمان المؤذن : ٤٢٨
ربيع بن محمد بن ربيع الأشعرى :
٢٩٧

رسلان المسلى : ٢١٨
الرشيد ، أبو محمد عبد الواحد ،
خليفة الموحدين : ٤٢٤ ، ٤٢٥
الرشيد العباسى ، الخليفة : ٦٧

س

- سارة القوطية : ١٠٦
 سخنون بن سعيده : ٤٣١
 السخاوى ، شمس الدين : ٦١
 السعيده بن المأمون ، على أبو الحسن :
 ٤٢٤
 سعيده بن جودى : ٤٢٦
 سعيده بن حسان : ٤٨٨
 سعيده بن الخطيب : ٣٢
 السعيده بن عبد العزيز المريى : ٥٦ ،
 ٧٢
 السعيده الموحدى : ٣٢١ ، ٣٢٢
 السقرسطينى : ١٦٥
 سلمون بن على بن سلمون : ٤١١
 سلمان بن الحكم بن الناصر : ١٠٠
 سليمان بن حوط الله ، أبو محمد :
 ٣٧٦
 سليمان بن داود : ٥٦ ، ٥٧
 سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية :
 ٤٨٩
 سليمان بن عيسى الناشى ، أبو مروان :
 ٤٣٦
 سهل بن مالك ، أبو الحسن : ٣٢٩ ،
 ٣٣٥
 سيبويه : ١٧٠
 سير بن على بن يوسف : ٤٥٤ ،
 ٤٥٥ ، ٤٦١
 سيمونيت : ٥ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٩٩ ،
 ١١٣ ، ١١٩ ، ١٣٨
 السيوطى : ١٠ ، ١٧

ش

- شانجة بن أدفونش (ملك قشتالة) :
 ٥٦٩ ، ٥٧٢
 الشريف الرضى : ٧٢ ، ٢٢٣
 شعيب بن الحسين ، أبو مدين :
 ٤٧٠
 شمس الدين بن جابر الوادى آشى :
 ٣٥
 شيرويه بن شهردار ، أبو شجاع :
 ٩٠

ص - ظ

- الصباى : ٧٢
 صاعده بن أحمد : ١٠١
 صالح بن شريف : ٤٨٤
 صالح بن يحيى بن صالح الأنصارى
 ٥١٢
 صخر بن أبان : ١٣٦
 الصيقلانى : ٢١٧
 طارق بن زياد : ١٠٦ ، ١٠٧
 الطاعون الجارف : انظر الوباء الكبير
 طريف بن مالك : ٣٨٢
 الطغرى : ١٦٩
 طلحة بن عبد العزيز بن سعيده
 البطليوسى ، أبو محمد : ٥٢٨ ،
 ٥٢٩ ، ٥٣٠
 ظفر بن محمد : ٢١٧

ع - غ

- العادل بن يعقوب ، الموحدى : ٤١٩

عبد الرحمن الناصر : ١٠٠ ، ١٥٧ ،

٢١٩ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩

عبد الصمد بن سعيد القاضي : ٩٠

عبد العزيز بن أبي الحسن المريني :

٤٧ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٢

عبد العزيز بن المأمون الموحدى : ٤٢٤

عبد العزيز الكبتورى ، أبو الأصبغ :

٢٢١

عبد العزيز بن موسى بن نصير :

١٠٧

عبد الغافر بن اسماعيل : ٨٩

عبد الكريم الربيعي ، أبو محمد :

٢١٨

عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث :

٤٨٨

عبد الكريم بن محمد بن منصور

السمعاني : ٩٠

عبد الله بن إبراهيم بن أبي العباس :

٩١

عبد الله بن أبي القاسم بن العزفى :

٥٦١

عبد الله بن أحمد الأطلس : ٣٧٣

عبد الله بن أحمد الهمداني الجياني ،

أبو محمد : ٢٠٢

عبد الله بن بلكين بن باديس :

١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥

عبد الله بن الخطيب (الأب) : ٣٤ ،

٣٥ ، ٢٣٦ ، ٣٢٩

عبد الله بن الخطيب (الابن) : ٦٧ ،

٧٢ ، ٣٢٩

عبد الله بن العواد : ١٧٦

عاصم بن عبد الملك الجعلى : ١٦٩

العالى ، لإدريس بن يحيى : ٤٣٣

عامر بن عبد الله بن يوسف بن

يعقوب ، أبو ثابت : ٥٥٨

عبادة القزاز : ٧٧

العباس بن عبد الله : ٤٨٨

عباس بن ناصح الجزيرى : ٤٨٩

عبد الحق بن عثمان : ٣٩٥

عبد الحق بن عطية ، أبو محمد :

٥٣٧

عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربى :

٤١١

عبد الحميد الكاتب : ٣٤٦

عبد الرحمن بن أحمد بن نواس : ٩٠

عبد الرحمن بن الحكم بن هشام : ٤٨٧

عبد الرحمن بن المبارك : ٢١٧

عبد الرحمن بن بتي : ٣٧٢

عبد الرحمن بن عبد الملك : ٤٩٢

عبد الرحمن بن عثمان ، أبو تاشفين :

٥٥٨

عبد الرحمن بن عوف : ٤٩٣

عبد الرحمن بن محمد الأردسى : ٩٠

عبد الرحمن بن محمد بن شعيب القيدي :

٢٤٩

عبد الرحمن بن معاوية الداخلى :

٤٢٧ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣

عبد الرحمن بن ملجم : ٤٠٤

عبد الرحمن بن موسى بن يغمراسن :

٥٤٧

عبد الرحمن المتوكل ، سلطان تونس :

٧٣

عزیز بن علی بن عبد المنعم الدانی ،
أبو سلطان : ٥٥٦ ، ٥٦٦ ،

٥٦٧

عطاف بن یزید : ٤٨٨
عطية بن خالد المحاربي : ١٣٣
علي بن أبي طالب : ٤٠٤
علي بن الخطيب (الابن) : ٦٧
علي بن الطيب الخلافي : ٩٠
علي بن حمود : ٢٤١

علي بن عبد العزيز : ٤٢٨
علي بن عبد الحميد الشيخ : ٤١٨
علي بن عبد الله بن المغربي ،
أبو الحسن : ٣٧٧

علي بن عمر بن عطية ، أبو الحسن :
٣٧٧

علي بن محمد بن أبي العيش المری ،
أبو الحسن : ٢٤٩

علي بن محمد بن الصائغ ، أبو الحسن :
١٦١

علي بن محمد اليزيدي : ٢١٧
علي بن مسعود بن علي بن مسعود
المحاربي ، أبو الحسن : ٣٨٨ ،

٥٤٥

علي بن يوسف بن تاشفين : ١١٩ ،
١٤٦ ، ٢٧١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ،

٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥

علي الوهبي : ٢٧٣
العماد الأصفهاني : ١٨٤ ، ٥٠٨

عمارة اليمني : ٧٢
عمر بن أبي زكريا بن عبد الواحد ،
أبو حفص : ٥٧٢

لله بن حسين الكواب : ٤٧٢
لله بن سعيد بن عمار بن ياسر :

٢٢

الله بن عبد العزيز البكري
لأندلسي ، أبو عبيد : ٦

الله بن محمد بن عبد الرحمن ،
ساحب الأندلس : ١١٧

الله السوسي : انظر محمد بن تومرت
المنعم بن الضحاك ، أبو محمد :

٢٠٣

المنعم بن فرس : ٢١٧ ، ٥١٣
المؤمن بن علي : ١٤٧ ، ١٩٠ ،

٢٢٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،
٢٧٥ ، ٣١٨ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ،

٤٢٦ ، ٤٦١

الواحد بن يعقوب بن عبد المؤمن :
٢٢ ، ٢٤

ن بن أبي العلاء ، شيخ الغزاة :
٥٤٣ ، ٥٤٤

ان بن أبي العلاء ، أبو سعيد :
٣٨٩

ان بن أبي يحيى : ٤٣
ان بن أبي يوسف بن عبد الحق

المري ، أبو سعيد : ٣٩٠
ان بن بدر اللمتوني : ١٤٧

مان بن عفان : ٤٠٤ ، ٤٢٧ ، ٤٤٠ ،
مان بن يعقوب بن عبد الحق ،

أبو سعيد : ٥٤٦
مان بن يغمراسن ، أبو سعيد : ٥٥٨

مان بن يغمراسن بن زيان : ٥٧١
مدل : ١٩٣ ، ٢١٢

- عمر بن الخطاب : ٣٥٧ ، ٤٠٤
عمر بن بشر : ٤٨٨
عمر بن عبد الله : ٤٢ ، ٣١٧
عمر بن عبد الله بن عسقلان : ٤٧٤
عمر بن علي بن الحاج : ٤٦٠
عمر بن يحيى الهنتاقي ، أبو حفص :
٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٣١٩
عياض بن موسى بن عياض ،
أبو الفضل : ٩١ ، ١٩١ ، ٢٩٧ ،
٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣١
غالب بن حسين بن سيده بونة : ٤٧١
الغافقي ، الطبيب : ٢١٩
غالب البياني ، أبو تمام : ٢٦٨
- ف
- فاطمة بنت أبي عبد الله ، الأميرة
النصرية : ٣٨٦ ، ٣٧٨
الفتح بن خاقان : ٨٠ ، ٤٤٤ ،
٥٢٩
فخر الدين الرازي : ١٨٤
فرج بن إسماعيل ، أبو سعيده الرئيس :
٣٩٢ ، ٤٠١ ، ٥٤٤
فرج بن إسماعيل بن فرج النصري :
٣٨٧
الفرج بن كنانة : ٤٨٨
فرج بن محمد بن يوسف بن نصر :
٥٦٤
فرديناند الكاثوليكي : ٢١
فستنفله : ٧٤
- فضل بن فضيلة ، أبو الحسن :
٢٩٧
فطيس بن سليمان : ٤٨٨
فيليب الثالث : ٨
فيروز ، أبو لؤلؤة : ٤٠٤
فيروز بن سعد ، فناخسرو : ٢١٧
- ق - ل
- قسطنطين السابع : ١٩
قضاء الجماعة : ١٦٠
القلقشندي : ٥٩
القومس : ١٠٩
القونجي : ٩١
قيس بن إسماعيل بن يوسف : ٤١٠
كعب بن مالك : ١٩٥
كوديرا : ٥ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ،
١٧ ، ٦٩ ، ٨٣
كونتيريراس : ٥
لبيد : ٣٤٦
لذريق (ردريك) ، ملك القوط :
١٠٦ .
لوثينا : ٥
- م
- الماسي ، محمد بن هود : ٢٧١ ،
٢٧٢
ماكسن بن ماكسن الصنهاجي :
٤٤٠ ، ٥٢١
مالك ، الامام : ٢١٧ ، ٢١٩ ،
٤٣١

ابن يوسف بن محمد بن نصر :
٥٤٩ - ٥٤٠

محمد بن الاحمر ، محمد بن يوسف
ابن محمد بن نصر : ٧٨ ، ٣٨٥
محمد بن الخطيب (الابن) : ٦٧
محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر :
٥٥٩

محمد بن أيوب : ١٨٧

محمد بن تليد : ٤٨٨

محمد بن تومرت ، المهدي : ١٤٣ ،
١٤٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٣١١ ،
٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٥ ،
٤٦٢

محمد بن جابر الوادي آشي : ٢٤٩
محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري :
٩٠

محمد بن عبد الجبار المهدي : ٥٢١
محمد بن عبد الحكم : ٤٢٨
محمد بن عبد الرحمن بن الحكم : ١٠٠
محمد بن عبد العزيز القصار ،
أبو عبد الله : ٩٠

محمد بن عبد المؤمن بن علي : ١٩١
محمد بن علي الحسني السبتي الوادي
آشي : ٣٥

محمد بن علي بن مسعود : ٥٣٦
محمد بن علي بن نصر ، أبو عبد الله :
١٦٤

محمد بن قاسم : ٤٢٨

محمد بن محمد بن جابر السقطي : ٢٢١

مالك بن المرحل ، أبو الحكم : ٣٣٦ ،
٤٨٠ ، ٤٨٣

مالك النجشي : ٤٩٥

المتني : ٩٢ ، ٢٤٤ ، ٥٤١ ،

مجاهد العامري : ٢٧١

مروان بن عبد العزيز : ٢٧٤

المرتضي ، خليفة الأندلس : ٤٨٥ ،
٢٥٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤

محمد بن إبراهيم بن مفرج الأوسي ،
أبو بكر : ١٦١ ، ١٧١

محمد بن أبي الحسن المريني : ٣١٣ ،
٣١٤

محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري ،
أبو عبد الله : ٦١ ، ٣٨٨ ،
٤١٠ ، ٥٣٥

محمد بن أبي الوليد بن نصر ، الأمير :
٥١٨

محمد بن أحمد بن سليمان ، أبو عبد الله :
٨٩

محمد بن أحمد بن مرعيان الهلالي :
١٣٧

محمد بن إسحاق : ٢١٩

محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله ،
الرئيس : ٤٠٧

محمد بن إسماعيل ، صاحب الجزيرة :
٤٠٠

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل
بن نصر : ٦٠ ، ١٤٨ ، ٢٨٥ ،
٣٨٧ ، ٤٠١ ، ٥٣١ ، ٥٣٩

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل

- محمد بن محمد بن سهل بن مالك :
٢٤٩
- محمد بن محمد بن عراق الغافقي ،
أبو عبد الله : ٥١٢
- محمد بن محمد بن فتح الإشبيلي
(الأشبرون) : ٥٦٨
- محمد بن محمد بن محمد بن يوسف
ابن محمد بن نصر ، أبو عبد الله :
١٦٢ ، ٣٣٢ ، ٥٥٢ - ٥٦٣ ،
٥٦٤
- محمد بن محمد بن يوسف بن محمد
ابن نصر : ٨٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠ ،
٥٦٤ - ٥٧٤
- محمد بن محمد الزاهد : ٣٣٥
- محمد بن هشام ، أبو عبد الله :
٥٦٨
- محمد بن هشام الألهشي ، أبو عبد الله :
٥٥٧
- محمد بن وليد : ٤٢٩
- محمد بن يحيى بن بكر الأشعري ،
أبو الحسن : ١٦١ ، ٢٩٧ ،
٥٤٦
- محمد بن يحيى الحلبي : ٤٧٢
- محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج
ابن إسماعيل بن نصر ، أبو عبد الله
الغني بالله : ١٥ ، ٣٤ ، ٣٦ ،
٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ،
٤٣ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦٠ ،
٦٤ ، ٨٣ ، ١٤٨ ، ٢٨٥ ،
٥٢٠
- محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج
- ابن يوسف بن نصر : ١٥ ، ١٤٧ ،
١٤٨
- محمد البطروجي : ٤٠٦
- المستنصر بالله ، سلطان تونس :
١٨٢ ، ٢٠٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ،
المستنصر بالله الموحدى : ٣٢٠ ،
٣٢٢
- مسعود بن أبي بكر بن مسعود ، أبو
يحيى : ٥٤٦
- مسعود بن محمد المنيعي : ٢١٧
- مسلم : ٢١٩
- مسلم بن عدى بن مرة : ١٩٥
- مصعب بن عمران : ٤٨٨
- مطرف بن عيسى الغساني : ٣٢٨
- المظفر بن أبي عامر ، عبد الملك :
٤٤٠ ، ٤٦٣ ، ٥٢١
- معاوية بن هشام : ١٠٧
- المعتمد بن عباد : ٧١
- معروف الكرخي : ٤٥٠
- المعري ، أبو العلاء : ٤٣٢
- المعز بن باديس : ٥٢٥
- مغيث الرومي : ١٠٧
- المغيرة بن شعبة : ٢٧٦
- المقتدر العباسي ، الخليفة : ٢٢٦
- المقرئ ، أبو عبد الله : ١٣
- المقرئ ، أحمد بن محمد التلمساني ،
شهاب الدين : ٦ ، ٧ ، ١٢ ،
١٣ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٩ ،
٤٢ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٩ ،
٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٧ ،
١٢٤

ابن الحسين : ٦ ، ٣١ ، ٤٧ ،
٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
٥٥ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٧٧ ، ٨٢
النباهي ، الحسن بن محمد بن الحسن
النباهي الجذامي : أبو علي ،
٤٧٣ - ٤٧٥

نزهون بنت القلاعي : ٤٣٢ ، ٤٣٣ ،
٤٣٤

نصر بن أبي الفرج الحضرمي : ٣٧٧
نصر بن أبي الفرج المصري ، أبو
الفتوح : ٢١٨

نصر بن محمد بن محمد بن
يوسف ، أبو الجيوش : ١٤٨ ،
٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٥٦٠ ، ٥٦٥ ،
٥٧٢

نصر بن محمد بن محمد بن محمد بن
يوسف بن نصر : ٥٦٤
نصير (الفتي) : ٣٢٤ ، ٣٢٥
النعمان : ٣٣٩
نونيودي لارا : انظر ذنونة
نييتو : ٥ ، ٦٤

هـ

هابيل بن محمد الحلاسي ، أبو جعفر :
٢٠٢

هراندة بن الفنش بن شانجة ،
(ملك قشتالة) : ٥٧٢
هراندة بن شانجة بن الهنشة ،
(فرناندو الثالث ملك قشتالة) :
٣٩١ ، ٥٥٩

هشام بن عبد الرحمن : ٤٢٧

المقري ، محمد بن محمد بن أحمد : ٢٨
الملاحى ، محمد بن عبد الواحد
الغافقى ، أبو القاسم : ٨٠ ، ٩١ ،
٩٢ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١٣٥ ،
١٥٦ ، ١٧٦ ، ٢٢٢ ، ٤١٦ ،
٤٣١ ، ٤٣٧ ، ٤٧٥ ، ٤٩٣
المنصور بن أبي عامر : ٣٩ ، ٤٧٤ ،
٥٢٥

منصور بن سليمان بن منصور : ٩١ ،
٣١٥

منصور بن عبد الملك الصاعدي :
٢١٧

المهلى : انظر محمد بن تومرت
مهيار الديلمي : ٧٢ ، ٢٢٣
موسى بن حبيب ، أبو عمران : ٣٧٢
موسى بن عثمان بن يغمراسن ،
أبو عثمان : ٣٩٠ ، ٥٥٨
موسى بن غدرون : ٤٧٤

موسى بن نصير : ١٠٦ ، ١٠٨
موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن
يحيى بن يغمراسن : ٥٣٩

مولاي الزغل ، محمد بن سعد : ١١٥
مولاي زيدان : ٨ ، ٩ ، ٢٠
ميخائيل الغزيرى : ٨ ، ١٩ ، ٢٢ ،
٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨

ميللر : ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥
ميمون بن ياسين ، أبو عمرو : ٣٧٢
ميمونة أم المؤمنين : ١٦٩

ن

النباهي ، أبو الحسن علي بن عبد الله

و

الواثق بن أبي عبد الله بن أبي زكريا :

٣٢٢ ، ٥٧١

الوباء الكبير : ٣٩ ، ٧٥ ، ١٧٩

وتيزا ، ملك القوط : ١٠٦

وضيع بن جراح : ١٦٩

ولادة بنت المستكفي : ٤٣٨

الوليد بن عبد الملك : ١٠٧

ى

يحيى بن أبي بكر بن إبراهيم : ١٤٧

يحيى بن أبي زكريا : ١٨٢

يحيى بن الناصر ، الموحدى : ٤١٩ ، ٤٢٥

يحيى بن عبد الرحمن ، أبو عامر :

١٧١

يحيى بن عبد الرحمن المجريطى : ٥١٢

يحيى بن عمر بن عبد الله : ٤١١ ، ٥٣٧

يحيى بن مسعود ، أبو بكر : ٣٨٩

يدير بن حباسة : ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥

يربوع بن عبد الجليل : ١٣٣

يربوع بن عبد الملك بن حبيب :

١٣٣

يزيد بن الحمير : ١٦٩

يزيد بن يزيد ، أبو خالد : ١٩١

يعقوب بن الدراس : ٢٨١

يعقوب بن عبد الحق ، أبو يوسف ،

المنصور : ١٩٣ ، ٥٧٠ ، ٥٧٣

يغمراسن بن زيان بن ثابت ،

أبو يحيى : ٥٧١

يليان الرومى : ١٠٦

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن

إسماعيل بن نصر ، أبو الحجاج :

١٦ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ،

٦٣ ، ٧١ ، ٧٤ ، ١٤٤ ،

١٤٨ ، ١٦٤ ، ٢٥٢ ، ٣٨٦ ،

٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٥١٩ ،

٥٣٩ ، ٥٤٩ ، ٥٥٩ ، ٥٧٤

يوسف بن تاشفين : ١١٣ ، ١١٩ ،

١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥

يوسف بن عبد الرحمن الفهرى : ٤٥٣

يوسف بن موسى الغمارى : ٣٣٥

يوسف بن يعقوب المنصور ، أبو

يوسف : ٥٥٨

ARAB TREASURES

17

THE HISTORY OF GRANADA

entitled

AL-IHATA FI AKHBAR GHARNATA

BY

LISAN-ud-DIN IBN-ul-KHATIB

Edited, with an Introduction and Notes,

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

Author of 'Decisive Moments in the History of Islam' 'Moorish
Empire in Spain' 'Life and Work of Ibn Khaldun' etc.

VOLUME I

Printed & Published by
DAR AL MAAREF, CAIRO

Bibliotheca Alexandrina



0419981